



١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
1401AH - 1981AC

الأزهر الشريف

مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات
التجارية الإسلامية

٤

المعهد العالمي للفكر الإسلامي



أنجاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام

القاهرة ١١ - ١٣ أغسطس ١٩٩١

المشاركون

أحمد يوسف بشير

زين العابدين محمد

عفاف إبراهيم الدباغ

محمد أحمد عبد الهادي

مصطفى أحمد حسان

إبراهيم عبد الرحمن رجب

رشاد أحمد عبد اللطيف

زينب عطية محمد

على حسين زيدان

محمد سلامة غباري

يحيى بسيوني مصطفى

تقديم

على جمعة محمد



المشاركون *

- د. إبراهيم عبد الرحمن رجب أستاذ ورئيس قسم الخدمة الاجتماعية ، جامعة الإمام
"محمد بن سعود الإسلامية بالرياض" والأستاذ بكلية
معارف الوحي والعلوم الانسانية بالجامعة الإسلامية
بماليزيا .
- د. أحمد يوسف بشير أستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ،
وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
- د. رشاد أحمد عبد اللطيف أستاذ مساعد ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان
- د. زين العابدين محمد رجب أستاذ مساعد ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان
- أ. زينب عطية محمد باحثة في الخدمة الاجتماعية .
- د. عفاف إبراهيم الدباغ مدرس بالمعهد العالي للخدمة الاجتماعية للبنات ،
الرياض .
- د. علي حسين زيدان أستاذ مساعد ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان
- د. محمد أحمد عبد الهادي أستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية بالرياض . والمعهد العالي للخدمة
الاجتماعية بكفر الشيخ .
- د. محمد سلامة غباري أستاذ مساعد خدمة الفرد ، المعهد العالي للخدمة
الاجتماعية ، جامعة الاسكندرية .
- د. مصطفى أحمد حسان وكيل كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة القاهرة ، فرع
الفيوم .
- أ. يحيى بسيوني مصطفى أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

* رتبت الأسماء الفبائياً .

أنجاث ندوة
الخدمه الاجتماعيه في الاندلس

الطبعة الأولى
(١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد تعبر عن
آراء واجتهادات مؤلفيها

أنجاش ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسكندرية

الفاهرق ١١ - ١٣ أغسطس ١٩٩١

المشاركون

أحمد يوسف بشير	إبراهيم عبد الرحمن رجب
زين العابدين محمد	رشاد أحمد عبد اللطيف
عفاف إبراهيم الدباغ	زينب عطية محمد
محمد أحمد عبد الهادي	علي حسن زيدان
مصطفى أحمد حسان	محمد سلامة غباري

يحيى بسيوني مصطفى

تقديم

علي جمعة محمد

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

(سلسلة قضايا الفكر الإسلامى : ١٣)

© ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جميع الحقوق محفوظة

المعهد العالمى للفكر الإسلامى

٢٦ ب - ش الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج.م.ع.

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة .

المعهد العالمى للفكر الإسلامى - مصر .

ندوة الخدمة الاجتماعية فى الإسلام : القاهرة ١١ - ١٣

أغسطس ١٩٩١ / المعهد العالمى للفكر الإسلامى ؛ تقديم

على جمعة محمد . - القاهرة : المعهد ، ١٩٩٦ .

٥٧١ ص. سم . - (سلسلة قضايا الفكر الإسلامى ؛

(١٣

تدمك X - ٠٨ - ٥٦٥٨ - ٩٧٧ .

١ - الخدمة الاجتماعية أ - العنوان .

ب - (السلسلة)

رقم التصنيف ٣٦١

رقم الإيداع ٩٤٨٧ / ١٩٩٦

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم : بقلم أ. د. على جمعة محمد	٧
المحور الأول : التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية	٩
✓ أزمة النهج في العلوم الاجتماعية : أصل المشكلة وأبعاد الأزمة	١١
د. ابراهيم عبد الرحمن رجب	
- مداخل التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية مع اهتمام خاص بمهن	
المساعدة الإنسانية	٧٣
د. ابراهيم عبد الرحمن رجب	
- المنظور الإسلامى للطبيعة الإنسانية	١٠٩
د. عفاف بنت ابراهيم بن الدباغ	
✗ المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية الإسلامية	١٤١
د. محمد سلامة غبارى	
- الرعاية الاجتماعية فى الإسلام	١٨٢
د. مصطفى أحمد محمد حسان	
- الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج : دليل الملاحظة كنموذج للتعرف على	
شخصية الطفل المسلم	٢٢١
د. زين العابدين محمد رجب	
- نحو مكنز إسلامى للخدمة الاجتماعية	٢٤٩
أ. زينب عطية محمد	
- مدخل جديد فى علم الترويح من خلال النظرة الإسلامية	٢٦٧
أ. يحيى بسيونى مصطفى	

المحور الثانى : مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنظور الإسلامى ٢٩٣
١ . يحيى بسيونى مصطفى

- المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية ٢٩٥
د . عفاف بنت ابراهيم بن الدباغ

- العلاج الإسلامى للحالات الفردية ٣٢٧
د . محمد سلامة غبارى

- الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامى ٣٨١
د . أحمد يوسف بشير

✧ - الخدمة الاجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية ٤١٥
د . محمد أحمد عبد الهادى

✧ - المدخل الوقائى للخدمة الاجتماعية فى رعاية الطفل إسلاميا (٤٣٧)
د . زين العابدين محمد رجب

- تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتقى الإسلام حديثا ٤٨١
د . رشاد أحمد عبد اللطيف

- المعاونة المهنية من الخدمة الاجتماعية لإحدى مؤسسات العمل : دراسة
حالة ٤٩٩

د . على حسين زيدان

٢ دور الخدمة الاجتماعية فى العمل مع المنحرفين : منظور إسلامى ٥٢١
د . على حسين زيدان

تقديم

نقدم فى هذا الكتاب ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية الأولى التى عقدها المعهد العالمى للفكر الإسلامى مكتب القاهرة (تحت عنوان الخدمة الاجتماعية فى الإسلام والتى انعقدت فى القاهرة فى الفترة من ١٩٩١/٨/١١ إلى ١٩٩١/٨/١٣ ، وشارك فيها كوكبة من خيرة المتخصصين علماء وعملاً فى مجال الخدمة الاجتماعية من مصر وخارجها وقدم إليها ستة عشر بحثاً من البحوث المحكمة والتى عالجت فى مجملها النواحي المختلفة لهذا المجال العلمى الهام . وكانت تلك الندوة بداية ندوات تالية واستمر العطاء فيها بأساليب مختلفة أثرت ذلك الجانب من جوانب علم الخدمة الاجتماعية وهو التأصيل الإسلامى لذلك العلم . وهو الأمر الذى نسعى إلى أن يشيع فى العلوم الاجتماعية والانسانية المختلفة .

إن فكرة التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية والانسانية عامة تتمثل فى بناء الإطار المرجعى والرؤية الكلية للإنسان والكون والحياة والذى يحكم ويحدد ويقوم ويكون منطلقاً فى آن واحد لمناهج ومسائل تلك العلوم وهذا البناء يحتاج إلى تحديد المواقف من قضايا المعرفة ومصادرها وأقسامها وكنهها وطبيعتها وهى التى اهتم بها علماء الكلام المسلمين عند اصطدامهم بالحضارة اليونانية وحددوا موقفهم فى نطاق الإسلام من كل المشكلات التى شغلت بال الفكر اليونانى خاصة والفكر البشرى عامة ولم يبالوا بنقاط التشابه أو الاختلاف ما داموا قد أصدروا قضاياهم وأحكامهم فى ظل إطارهم المرجعى ورؤيتهم الكلية .

وهى عملية وإن كانت تختلف عما أطلقنا عليه إسلامية المعرفة إلا أنها أسهمت فى تفصيل الدين فى الحياة العامة اليومية وقدمته للعالم باعتباره محوراً للحضارة وجعلت النص (الوحي) منه البدء وإليه الانتهاء وبه التقويم وله الخدمة وجعلت الواقع حاضراً فى المثال والمثال مطبقاً فى الواقع ولم تغيب الإنسان الذى هو ثروة هذه الحضارة تنسب إليه وتقوم بشؤونه .

أما إسلامية المعرفة فهى تلك العملية الفكرية التى تطلق للإنسان الملتزم حرية الفكر والإبداع ولا ترى التغلب سبباً لذلك الإبداع بل ترى التفكير هو السبب وتعود بالإنسان إلى مصادر معرفته الحققة التى تجعله أقرب إلى حقيقة الوحي والوجود معاً وتسعى لتحديد موقفه من الكتاب والسنة وكيفية التعامل معهما والاستفادة منهما وموقعهما من المعرفة الإنسانية ومن التراث الإسلامى والتراث الإنسانى وكيفية التعامل معهما دون

انتقاء مشوه ولا رفض ساذج ولا قبول مطلق بل بمعايير أساسية تبعد عن مناهج التلقين والتوفيق أو مناهج التبرير والتقليد فيجعل للمسلم شخصية مستقلة بعقلية واضحة ونفسية مستقرة . ثم تضع المناهج وتدرّب على المعرفة وتطبق كل ذلك في مسائل العلوم الاجتماعية والإنسانية .

إن تلك الندوة خطوة في الطريق ودربة للباحثين للوصول إلى هذه الخطوة التي هي خطة رشد في عالم لم يعد للتسطيح مكان فيه ولا تصلح التبعية للماضي وإساره أو للغير وبلائه لا تكون سبباً في الرقي أو هداية الناس .

والله الموفق للصواب

د . علي جمعه محمد

المستشار الأكاديمي للمعهد

العالمي للفكر الإسلامي

المحور الأول

التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية

- أزمة المنهج في العلوم الاجتماعية : أصل المشكلة وأبعاد الأزمة .
- مداخل التأصيل الإسلامى فى العلوم الاجتماعية .
- المنظور الإسلامى للطبيعة الإنسانية .
- المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية .
- الرعاية الاجتماعية فى الإسلام .
- الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج :
- دليل الملاحظة كنموذج للتعرف على شخصية الطفل المسلم .
- نحو مكنز إسلامى للخدمة الاجتماعية .
- مدخل جديد فى علم الترويح من خلال النظرة الإسلامية .

أزمة المنهج فى العلوم الإجتماعية أصل المشكلة وأبعاد الأزمة

د. إبراهيم عبد الرحمن رجب

قد لا تكون هناك قضية أولى بالاهتمام وأجدر بالتناول الجاد من جانب المهتمين بأسئلة العلوم الاجتماعية أوبالتوجيه الاسلامى للعلوم الاجتماعية أو - ان كنت تفضل - بالتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية من قضية المنهج العلمى الذى ينبغى على الباحثين فى تلك العلوم استخدامه للتوصل إلى معارف محققة يمكن الاعتماد عليها فى بناء " النظريات العلمية " التى تتصدى لتفسير الظواهر النفسية والاجتماعية ، أو فى بناء " نظريات الممارسة " التى تستخدم لتوجيه التدخل المهنى الذى يستهدف أحداث تغييرات مرغوبة فى تلك الظواهر ، فمن المسلم به أنه لا علم بغير منهج ، كما أنه لا ممارسة مهنية تستحق هذا الاسم دون قاعدة علمية تستند إليها ، ودون ضوابط منهجية تدير الممارسة وفقاً لها .

وفى الواقع فإن حركة " التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية - التى قد اكتسبت الآن أبعاداً ، يمكن اعتبارها ثورة علمية " حقيقية Scientific Revolution وفقاً للمعايير التى وضعها مؤرخ العلم الأشهر توماس كون Thomas Kuhn -^(١) هى حركة تسعى أولاً وقبل كل شئ الى احلال توجه جديد Paradigm فى النظر للعلم وللمنهج العلمى للبحث محل المفهوم التقليدى الوضعى للعلم Science والمنهج العلمى Scientific Method ، خصوصاً فيما يتصل بدراسة الانسان والسلوك البشرى والعلاقات والترتيبات المجتمعية ، ونتيجة لذلك فإن نقد النموذج القديم وتحديد أبعاد التوجه الجديد فى النظر الى طبيعة العلم والمنهج العلمى تحتل دون جدال مكان الصدارة فى أى مناقشة لقضية التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية .

ولما كان الباحثون والممارسون فى المحيط الاجتماعى فى العالم الإسلامى قد تعرضوا طوال حياتهم العلمية - دراسة وممارسة - للمفهوم التقليدى للعلم والمنهج العلمى الذى نما فى الغرب فى أحضان الفلسفة الوضعية^(٢) Positivism ومشتقاتها الوضعية Logical Positivism والامبيريقية المنطقية Logical Empiricism ، فإن الكثيرين منهم لازالوا لا يستطيعون التصور بإمكان العلم والمنهج العلمى فى إطار مختلف عن ذلك التصور التقليدى الذى درجوا عليه ، رغم أنه قد ظهر للكافة الآن قصوره عن التوصل إلى فهم حقيقى للانسان كما ظهر عجز وتضارب النظريات

المستمدة منه فى محاولاتها لتفسير سلوكه كفرد أو كعضو فى جماعة أو مجتمع . ولقد يبلغ تشرب الباحثين والممارسين بروح ذلك المنظور التقليدى حدا يظنون معه أحيانا أن مجرد مناقشته ونقده يعتبر نوعا من الهرطقة العلمية التى لاتجوز فى حق هذا المنتج الانسانى العظيم الذى كان السبب وراء التقدم التقنى (التكنولوجى) الذى يجنى العالم ثماره (وأضراره ؟) اليوم .

ومن هنا قد نلمس لدى بعض الباحثين أو الممارسين شيئا من المقاومة أو التردد أو التحفظ على فكرة التأسيس الاسلامى للعلوم الاجتماعية ، لأنهم يفترضون أن المنهج العلمى التقليدى الذى نجح فى العلوم الطبيعية نجاحا باهرا والذى يقوم على استقراء الظواهر الجزئية " المحسوسة " وصولا إلى تعميمات تصدق فى كل زمان ومكان (حسب التصور الشائع) بعد ثبوت مطابقتها للواقع الامبيريقى (المحسوس) - يفترضون أو يكانون أن هذا هو النموذج الأمثل الذى لايمكن أن يطرأ عليه التعديل أو التغيير حتى يرث الله الأرض ومن عليها بعد ما ثبت للعام والخاص من كفايته ، وأن العلم الحديث لايجوز أن يخضع لإعادة النظر أو التقويم ، وممن ؟ من جانب الباحثين والممارسين فى العالم الإسلامى الذى لم يقدم فى عدة القرون الفائلة اسهامات علمية بارزة تؤهله لأن يكون مصدرا لى دعوة إلى إعادة النظر فى المنهج أو النظرية . ويفوت أصحاب هذه التصورات أن يدركوا الحقائق الآتية : -

(١) أن البحث العلمى إنما هو مجرد نشاط انسانى متأثر فى نشأته وتطوره وفى صورته الحالية - كغيره من الأنشطة الإنسانية الأخرى - بالظروف التاريخية والاختيارات الثقافية والقيمية التى تحكم المجتمعات الغربية التى تبلور فيها حتى وصلنا فى صورته الحالية ، وأنه بهذا يحتمل ظهور توجهات أخرى منبثقة من نظرات أخرى للكون والحياة ودور الانسان فيهما تختلف عن تلك التى سادت فى الحضارة الغربية حتى الآن . . . نظرات قد تتطلب ادخال تعديلات جوهرية على تلك النظرة التقليدية خصوصا عند التعرض بالدراسة للظواهر الانسانية .

(٢) أن نظريات العلوم السلوكية والاجتماعية ، التى تبلورت فى اطار المنهج العلمى التقليدى المستمد من الفلسفات المادية والوضعية التى تسود الفكر فى المجتمعات الغربية قد سارت فى طريق مسدود ولم تستطع تجاوزه فى محاولاتها للتوصل إلى فهم واقعى للنفس الانسانية والسلوك الفردى والاجتماعى والنظم والترتيبات المجتمعية يشهد بذلك ما تعانى به تلك المجتمعات المتقدمة ذاتها من مأسى انسانية ومشكلات اجتماعية عميقة يبدو الأمل فى حلها من خلال المنظور السائد ، وهذا يعطى قدرا

كثيرا من المصادقية لقول من قالوا بوجود انحياز خطير فى النظرة التقليدية الغربية للعلم والمنهج العلمى ، يتمثل فى الاقتصار على دراسة ما يمكن مشاهدته باستخدام الحواس ، واغفال أى معارف ذات مصدر غير بشرى وأن هذا التجاهل للمعارف المنتزلة بها الوحي هو السبب الأساسى فى ذلك القصور والعجز الذى تعاني منه العلوم الاجتماعية، وأنه لن يمكن التوصل إلى فهم حقيقى متكامل للانسان إلا بالرجوع إلى ما علمه آياه خالقه .

(٣) أن النجاحات التى حققها المنهج العلمى التقليدى قد كانت أساسا فى محيط العلوم الطبيعية ، وأن المادة المدروسة Subject - Matter أو الظواهر التى تنصب عليها الدراسة فى العلوم الاجتماعية تختلف عنها فى العلوم الطبيعية ، ولقد كان هذا يتطلب إعادة نظر جذرية منذ زمن بعيد فى الافتراضات الضمنية التى قام عليها المنهج فى العلوم الطبيعية حتى يصبح ملازماً للدراسات الاجتماعية -لولا الأمل المفرط فى امكانية تحقيق نفس النوع من الفاعلية والنجاح الذى حققته تلك العلوم من جهة ، ولولا الحرص على إظهار العلوم الاجتماعية بمظهر العلوم المنضبطة Exact Sciences لتحقيق نفس المكانة العلمية الرفيعة لتلك العلوم للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية من جهة أخرى .

(٤) لقد كان المسلمون أصحاب الريادة فى ظهور المنهج العلمى التجريبي فى دراسة الظواهر الطبيعية فى الماضى ، وكانوا من أهم أسباب استنقاذ الحضارة الغربية من ضيق الدائرة المغلقة للقياس الصورى الأرسطى العقيم إلى سعة الاستقراء القائم على المشاهدة والتحقق باستخدام الحواس ، وليس بمستبعد على المسلمين أن يقوموا مرة أخرى - مستندين إلى ما حباهم الله به من علوم الوحي - بتصحيح مسار الفكر والعلم الانسانى فى محيط دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية ليعود بعد طول حيرة إلى الطريق الصحيح بعد أن توقف عطاء المسلمين لأسباب وعوامل وظروف لاتخفى (ليس هذا مجال تفصيلها) لعدة قرون .

(٥) أن التأصيل الاسلامى للعلوم الاجتماعية ومناهجها لايعنى تجاهل ما ثبت صدقه من حقائق علمية Facts وتعميمات أمبيريقية ، كما لا يعنى التفريط فى المناهج والأدوات الصحيحة التى استخدمت فى التوصل إليها ، ولكنه يعنى " استكمال " ما ثبت من نقص فيها سواء من حيث التوجه العام للدراسات والبحوث فى المجال الاجتماعى أو من حيث أنواع الظواهر التى تخضع للدراسة . بما يعيد العلوم الاجتماعية عامة إلى جادة الطريق وما يزيد من فاعليتها فى فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية من جهة ، وبما يمهّد الطريق من جهة أخرى أمام الممارسين العاملين فى مجالات الخدمة الاجتماعية وغيرها من مهن المساعدة الانسانية

Helping Professions لبناء ممارساتهم على ما يصلح لمجتمعاتهم (بل ويصلح لكل الناس لو كانوا يعلمون !) من قاعدة علمية صحيحة غير مبتورة أو مختزلة .

وستتعرض فى هذه الدراسة تفصيلا للقضايا التى أجمالناها فى النقاط السابقة . حيث نحاول فى الجزء الأول استجلاء الأصول التاريخية والثقافية للمنهج العلمى بصورته الراهنة ، مع بيان جوانب القصور فى المنهج العلمى التقليدى المستخدم الآن فى دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية ، ثم توضيح ما يتعين عمله لمواجهة ذلك القصور ، وننتقل فى الجزء الثانى من الدراسة إلى توصيف للمنهج العلمى لدراسة الظواهر النفسية والاجتماعية من منظور الإسلام الذى نرى أنه هو السبيل لإنقاذ العلوم الاجتماعية من أزمتها الراهنة ، حيث نشرح الأبعاد التفصيلية للكيفية التى يتم من خلالها إيجاد التكامل الصحيح بين ما هو مستمد من الوحي وما هو مستمد من المشاهدات المبيريقية .

ونود أن نوضح هنا أن هذه الدراسة وإن كانت تركز على العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية كما جاء فى عنوان الدراسة الا أننا أكثر اهتماما فيما يتصل " بالعلوم الاجتماعية " أو " السلوكية " على نطاق اهتمام علم النفس وعلم الاجتماع بصفة أساسية ، كما أننا أكثر اهتماما فيما يتصل " بمهن المساعدة الانسانية " بالعلاج النفسى وبصفة أخص بالخدمة الاجتماعية ، ومرجع هذا الاهتمام يكمن فى أن تلك " العلوم " تتعرض أساسا لذلك المدى من الظواهر الذى ينصب تدخل مهنة الخدمة الاجتماعية عليه بهدف أحداث تغييرات مرغوبة فيه ، انطلاقا من النسق القيمى للمهنة ذاتها من جهة ، وللمجتمعات التى تمارس فيها المهنة من جهة أخرى . وإذا فإننا نود أن يكون مفهوما أن الخدمة الاجتماعية إذ تعتمد فى قاعدتها المعرفية Knowledge Base^(٢) على نتائج تلك " العلوم " (وعلى غيرها من العلوم الاجتماعية) لتدرك أن فاعليتها فى تحقيق أهدافها المهنية تعتمد إلى حد كبير على درجة صدق تلك العلوم وأصالتها ، ليس فقط فى وصف وتفسير الظواهر النفسية والاجتماعية التى تخصصت فى البحث فيها ، وإنما أساسا على درجة عمق " فهمها وفقها " لتلك الظواهر ، ومن هنا نشأ اهتمامنا بالتعرض لقضايا العلم الاجتماعى ومناهجه . ومن جهة أخرى فلقد أثرت تلك العلوم بتوجهاتها ومناهجها على ادراك الممارسين لمهنة المساعدة الانسانية وخصوصا مهنة الخدمة الاجتماعية لحقيقة مكان وطبيعة القاعدة القيمية Value Base للمهنة، ذلك أنه على الرغم من وضوح الفرق بين علم النفس أو علم الاجتماع اللذين ينتميان إلى جنس العلم Science من جهة وبين الخدمة الاجتماعية التى تنتمى إلى جنس التقنية Technology من جهة أخرى على الوجه الذى بينه تفصيلا منذ فترة من الوقت ايرنست جرينود^(٤) ، ذلك الفرق الذى تترتب

عليه اختلافات جوهرية فى نظرة كل منهما للقيم ولدرجة التأثير بالتفضيلات المجتمعية ، إلا أننا نجد أن بعض الممارسين فى بلادنا يضيفون على الممارسات المهنية المستفادة من مجتمعات أخرى تختلف عن مجتمعاتنا الإسلامية فى ثقافتها وقيمها اختلافا كبيرا نوعا من العمومية أو العالمية التى يفترضها نموذج " العلم " التقليدى ، والتى هى الآن موضع تساؤل شديد ، ومن هنا فإن مناقشة القضايا المتصلة بالعلم والقيم والأطر الثقافية تكون ذات أهمية خاصة للوصول إلى درجة أكثر من الوضوح فيما يتصل بفلسفة الخدمة الاجتماعية فى المجتمعات الإسلامية .

ولقد يكون من الملائم هنا أن نشير إلى أننا نستخدم اصطلاح " العلوم الاجتماعية " فى هذا البحث لنشير به إلى ما يطلق عليه أحيانا العلوم السلوكية أو " العلوم الانسانية " بدرجات مختلفة من التداخل بينهما على ما هو معروف من خلاف فى الكتابات العلمية حول هذه الموضوعات^(٥) . ولكن تركيزنا سيكون منصبا بصفة أساسية كما ذكرنا على علم النفس وعلم الاجتماع لما لتلك العلوم من أهمية خاصة باعتبار أنها تقدم " القاعدة العلمية " التى تستند إليها مهن المساعدة الانسانية وخصوصا الخدمة الاجتماعية .

وأخيرا فلقد أثرت استخدام تعبير " من وجهة نظر إسلامية " فى العنوان بدلا من العبارة الأصلية " من منظور الإسلام " التى كنت أراها أكثر وضوحاً فى التعبير عن اتجاه الدراسة ، ولكننى تجنبته لما قد يوحي به من ادعاء بأن الاتجاه الذى سلكه كاتب هذه السطور هو المنظور " الوحيد " المنطلق من تراث الإسلام ؛ ولكننى على يقين بأن السنوات القليلة القادمة ستشهد - بفضل الله سبحانه وتعالى - تحولا من التركيز على الألفاظ إلى التركيز على " المفهوم " مما تنتفى معه أشكال الحساسية أو التحرج ، ويكون الحكم فيه للمحتوى أكثر من التوقف عند الألفاظ .

المبحث الأول : مفهوم العلم والمنهج العلمي

جاء فى لسان العرب أن " العلم " نقيض الجهل ، وأن العلم هو المعرفة^(٦) ، أما الجرجاني فقد ذكر فى كتاب التعريفات^(٧) أن العلم هو " الاعتقاد الجازم المطابق للواقع " وأضاف أنه " قيل : العلم وصول النفس إلى معنى الشئ " ، وقد عرف الراغب الاصفهاني^(٨) العلم بأنه " ادراك الشئ بحقيقته " ، كما عقد مقارنة بينه وبين " الحكمة " التى ذكر أنها " اسم لكل علم حسن وعمل صالح . . بالعمل فيما هو غاية المراد من الانسان " ، ويضيف الزرنرجي^(٩) أنه " انما شُرف العلم لكونه وسيلة إلى

البر والتقوى الذى به يستحق الكرامة عند الله تعالى والسعادة الأبدية " كما ينقل عن أبى حنيفة النعمان قوله : " ما العلم الا للعمل به ، والعمل به ترك العاجل للأجل " . هذا هو مفهوم العلم عند المسلمين ونلاحظ أنه يتضمن العناصر الآتية :

١ - السعى " المخلص الجاد " للوصول إلى الحقيقة بمعناها الشامل لكل ما فى الوجود أو ما وراء الوجود (أو المعارف الناتجة عن ذلك السعى) . . اخلاصا نتصور معه أن الباحث المسلم يسعى للوصول إلى ما يشبه الاتحاد أو الاقتراب الوثيق بين ذاته العارفة وبين موضوع بحثه .

٢ - الهدف من هذا السعى هو " العمل " بمقتضى المعرفة " المطابقة للواقع " (فى قول الجرجاني) لتحقيق الرسالة التى من أجلها خلق الانسان ألا وهى الوصول إلى إرضاء الخالق سبحانه ، وتحقيق السعادة فى الحياة الآخرة مع الاستفادة بالنتائج الحسنة للعلم فى تدبير شئون الحياة الدنيا بطبيعة الحال ، ولكن على الوجه الذى يرضى الله سبحانه وتعالى أيضا .

فإذا انتقلنا من نظرة المسلمين للعلم لكى نستطلع تصور الحضارة الغربية له - أو بشكل أكثر دقة . . . إذا تفحصنا نموذج العلم " كما بلورته الحضارة الأوربية الحديثة " على حد تعبير جيروم رافيتز^(١٠) ، وهو النموذج السائد فى عالمنا اليوم فاننا سوف نلاحظ أن العلم Science قد أصبح ينظر إليه من زاوية أكثر تحديدا - أو على الأصح أكثر محدودية - بكثير عن الصورة التى وجدناها عند المسلمين .

لقد اختار الدكتور عبد الباسط حسن - بعد أن استعرض عددا من التعريفات المستخدمة فى الكتابات الغربية - التعريف التالى للعلم^(١١) : " العلم هو المعرفة المصنفة التى تم التوصل إليها باتباع قواعد المنهج العلمى الصحيح مصاغة فى قوانين عامة للظواهر الفردية المتفرقة " ثم أكد على أن العلم " منهج " أكثر مما هو مادة للبحث ، وأوضح أن العلم يقوم على الاستقراء Induction الذى يعتمد على الملاحظة ووضع الفروض واجراء التجارب للتحقق من صحة الفروض وصولا إلى القوانين والنظريات العامة ، مؤكدا فى موضع آخر أن العلم " لا يستمد حقائقه إلا من الملاحظة الحسية المباشرة " .

أما عن المنهج العلمى Scientific Method فإننا نجد أن قاموس وبستر^(١٢) يعرفه بشكل يتفق إلى حد كبير مع التعريف السابق " للاستقراء " حيث يقرر أنه " منهج للبحث يتمثل فى تحديد المشكلة وجمع البيانات ووضع الفروض والتحقق الامبيريقى Empirical من صحتها " .

أما القاموس الحديث لعلم الاجتماع فيعرف المنهج العلمى بأنه " عملية يتم فى اطارها بناء كيان من المعرفة العلمية من خلال الملاحظة والتجريب والتعميم والتحقق ... وهو مبنى على افتراض أن المعرفة العلمية لابد أن تكون مبنية على الخبرات المدركة عن طريق الحواس ، وأن أى عبارة تتصل بالظواهر الطبيعية لايمكن قبولها على أنها صحيحة أو ذات معنى إلا إذا كان يمكن التحقيق من صدقها امبيريقيا ، . . . ولكن بالرغم من أن المنهج العلمى يعتمد على جمع الحقائق الامبيريقية (المستمدة من المدركات الحسية) فإنه يتجاوز ذلك ، فالحقائق وحدها لا تكون علما وحتى يكون لها أى معنى فلا بد من ترتيبها بطريقة ما وتحليلها وإصدار التعميمات المنطلقة منها وربطها بالحقائق الأخرى ، ومن هنا فإن بناء النظريات يعتبر أحد المكونات الحيوية للمنهج العلمى ، فالإطار النظرى يمدنا بالوسائل اللازمة لتنظيم الملاحظات الإمبيريقية وتفسيرها وربطها بما توصل إليه الباحثون من قبل من نتائج " .

وبمقارنة هذا المفهوم الأوروبى الحديث بالمفهوم الإسلامى للعلم فإننا نلاحظ بوضوح أن المفهوم الحديث قد قلص بشكل كبير من مهام العلم وهويته سواء من حيث موضوعات الدراسة أو من حيث المنهج ، فلقد أصبح العلم مقتصرًا على دراسة ما يعرف بالواقع المحسوس أو الإمبيريقى Empirical Reality أى الظواهر التى يمكن مشاهدتها بالحواس ، أما عن المنهج فإنه يركز بصفة أساسية على الاستقراء الذى يبدأ من الحالات " الجزئية " توصلًا إلى القوانين العامة .

ومعنى ذلك أن موضوعات الدراسة التى تتصل بالقطاعات الأخرى من الظواهر التى تخرج عن نطاق المشاهدة الحسية أو تلك التى تتصل بعالم التفضيلات والقيم - مهما كانت أهميتها لحياة الناس أو سعادتهم - مستبعدة عند علماء العصر الحديث من نطاق الدراسة " العلمية " ، وكأن عالم المحسوسات وحده هو الذى له وجود حقيقى ، أو على الأقل وكأن عالم المحسوسات لا يتأثر إطلاقًا بما وراء الحس (كالروح مثلاً) ، أما بالنسبة لمناهج البحث ومصادر المعرفة فإننا نجد أنه قد تم إستبعاد الوحي إستبعاداً تاماً كمصدر للمعرفة ، وبطبيعة الحال فقد ترتب على هذه الاختيارات المحددة نتائج هامة تتمثل أساساً فى التقدم العظيم " للعلوم الطبيعية " التى تتعرض لدراسة ظواهر محسوسة ، وفى التخليف الذريع فى محيط العلوم السلوكية أو الإجتماعية التى تتعرض بطبيعتها لعالم الإنسان ككائن حى عاقل ذى وعى - Conscio- ness بذاته وبما حوله مما لا يدرك مباشرة بالحواس .

ولنا أن نتساءل الآن عن الأسباب والظروف التى أدت إلى صياغة العلم الحديث على هذا الوجه الخاص جداً ، وأن نحاول أن نتبين ما إذا كان هذا النموذج التقليدى للعلم

هو النموذج النهائي الناضج الذى يستطيع حقا أن يوصلنا إلى معرفة متكاملة ومحقة بالإنسان والمجتمع البشرى ، أو أنه مجرد شكل من الأشكال الممكنة للبحث عن الحقيقة نشأت استجابة لظروف مكانية وزمانية خاصة جدا ، مما يترتب عليه الجزم بأن خروج العلوم الإجتماعية من ورطتها الحالية يتطلب ما يمكن اعتباره " ثورة علمية " فى المنهج العلمى المستخدم لدراسة الظواهر الإنسانية - على الأقل من المنظور الإسلامى .

إننا لن نجيب عن تلك الأسئلة بتأكيدات أو مزايع من عندنا ، ولكننا سنتوقف عند ما قاله الثقات المختصون فى تاريخ العلم وفلسفة العلم الحديث ممن ينتمون هم أنفسهم إلى التيار السائد فى الحضارة الغربية المعاصرة والذين بدأت تتكشف أمامهم بعض الحقائق التى تستند إليها هذه الدراسة .

المبحث الثانى : الأصول التاريخية والثقافية للمنهج العلمى الحديث

تقول دائرة المعارف البريطانية فى المقال المتخصص الذى أورده حول (١٤) موضوع تاريخ العلم " والذى يستعرض فيه مؤلفه أحدث ما توصل إليه الباحثون فى هذا الموضوع:

" أن مؤرخى العلم كانوا حتى وقت قريب ينظرون لتاريخ العلم على أنه سلسلة متصلة ومتراكمة من الانتصارات العظيمة التى حققتها المعرفة ضد الجهل والخرافة ، وأنه قد ترتب على التطبيق العملى لتلك الانتصارات إثراء كبير فى حياة البشرية ، ثم يعود المؤلف بعد ذلك ليقرر أن مؤرخى العلم الآن يعيدون النظر فى هذا التصور المبسط القديم فى ضوء ما تكشف لهم أخيرا من أن العلم يواجه مشكلات أخلاقية (أدبية) فى داخله ، ثم أن هناك أيضا المخاطر المترتبة على التغير التكنولوجى الذى لا ضابط له " .

ويقرر جيروم رافيتز مؤلف المقال أن مؤرخ العلم سرعان ما يتبين له أن فكرة "العلم" بالصورة التى تعلمها خلال دراسته ليست إلا واحدة فقط من بين عدد من " التصورات الممكنة " للعلم ، وأن هذه الصورة التى نعرفها ليست إلا نتاجا لظروف مؤقتة (أو عارضة) ، وإن المؤرخ كلما ازداد تعمقه فى دراسة جنور العلم الأوربى الحديث كلما ازدادت الصعوبات التى تواجهه عندما يحاول الفصل بين ما يعتبر اتجاهات علمية ونتائج محققة واقعا من جانب وبين ما يبدو له غير علمى وغير محقق من جانب آخر ، وينتهى من ذلك إلى القول بأننا ينبغى أن ننظر إلى علمنا (الحديث) على أنه أحد مراحل علمية مستمرة من التطور .

وسنحاول فى هذا المبحث أن نتتبع مع رافيتز وغيره ممن كتبوا حول هذه القضية الحيوية من علماء الحضارة الغربية أنفسهم للتحويلات والمراحل التى مر بها العلم منذ كان جنينا فى رحم الفلسفة إلى أن وصل إلى صورته الفتية الحالية ، مبيينين الظروف التى أحاطت بتلك التحويلات ، حتى يتبين للباحث المسلم حقيقة المنهج العلمى المعاصر وأنه ليس بذلك المنتج النهائى الصادق بذاته الذى لا يحتمل التعديل ولا يخضع للنقد ، بل يتضح له أنه إسهام " بشرى " بكل ما يحتمله هذا التعبير من عظمة وضعف فى آن واحد ! بما يسوغ لنا أن نستفيد من جوانب القوة والحق فيه ، فنحن أولى بالوقوف عند الحق من غيرنا ، وأن نقوم بأمانة النقد والإصلاح لنواحى الضعف فيه ، ونحن أولى مرة أخرى من غيرنا بأن تكون لدينا الشجاعة الأدبية والرغبة فى الإصلاح دون مصلحة ذاتية ودون مراعاة للخلق - بل مراعاة فى الأمر كله لوجه الحق وما يرضى الرب سبحانه .

فإذا بدأنا رحلتنا بالعصور الوسطى فى أوربا (والتى تمتد فيما بين القرن الرابع أو الخامس الميلادى إلى القرن الثالث عشر الميلادى) فإننا لن نجد تراثا علميا يستحق الذكر إلا فى نهاية تلك الحقبة ، حيث يذكرنا جيروم رافيتز أن أوروبا ظلت سادرة حتى عام ١٠٠٠ الميلادى فيما يعرف بالعصور المظلمة Dark Ages التى كادت تكون حسب تعبيره خلوا من كل علم وفكر، إلى أن بدأ شئ من النهوض فى القرن الثانى عشر الميلادى يرجع كما ذكر إلى " الإحتكاك بالحضارة الإسلامية الأرقى فى أسبانيا وفلسطين ، وإلى نمو المدن التى تضم طبقة من الأغنياء المتعلمين " ، ويضيف بعد ذلك قوله " إن الحضارة الإسلامية تعتبر أكثر الحضارات صلة بالعلم الأوروبى ..لقد صادفت عصور إزدهار الإسلام عصر انحطاط الثقافة الأوروبية الغربية ... ولم يبدأ القرن العاشر الميلادى حتى كانت اللغة العربية هي لغة العلماء لدى الشعوب التى تعيش فيما بين بلاد فارس وأسبانيا ، حيث جلب الغالبون العرب بصفة عامة معهم السلام والإزدهار للدول التى استوطنتوها .. وقد شهد القرن الثانى عشر الميلادى برنامجا هائلا لترجمة الكتب من اللغة العربية إلى اللاتينية بدأت بكتب التنجيم والسحر ثم بكتب الطب وأخيرا بكتب الفلسفة والعلم^(١٥) ، ويلاحظ هنا أنه لم يكن يوجد حتى ذلك الوقت تمايز أو فصل واضح بين الفلسفة والعلم بمعناه المستخدم اليوم.

ويوضح ألبرت ليفى فى مقاله الهام " تاريخ الفلسفة الغربية " فى دائرة المعارف البريطانية أن ترجمة المؤلفات الفلسفية والعلمية ذات الأصول اليونانية والعربية قد خلقت " انفجارا فى المعرفة " فى غرب أوربا فى تلك الفترة ، ويضرب مثلا بإبن سينا الذى يذكر أنه كان له " تأثير غير عادى على مفكرى العصر المدرسى (أواخر العصور الوسطى : القرن الثانى عشر إلى الرابع عشر الميلادى) خصوصا فى توضيحه لآراء

أرسطو الفلسفية وفي اضافاته فى محيط علم النفس والفلسفة الطبيعية (ما يعادل العلوم الطبيعية اليوم) حتى أن كتابه القانون فى الطب قد ظل حجة فى الموضوع حتى العصر الحديث ، ويبين المؤلف أن تلك الكتابات اليونانية والعربية قد كان لها تأثير مباشر على جامعة اكسفورد من خلال رئيسها روبرت جروستست Robert Geoss- teste (المتوفى عام ١٢٥٣م) الذى كان له " إهتمام عميق بالمنهج العلمى والملاحظة وإجراء التجارب " ، أما تلميذه روجر بيكون (المتوفى ١٢٩٢م) فقد ساعدت كتاباته على انتشار اصطلاح " العلوم التجريبية " (١٦) .

ولقد كان ألبرتوس ماجنوس (المتوفى ١٢٨٠م) من " أوائل من أدركوا القيمة الحقيقية للكتابات العلمية والفلسفية اليونانية والعربية التي ترجمت حديثا فى تلك الفترة، حتى أنه قام بإدراج كل ما رآه ذا قيمة منه فى كتاباته الموسوعية ، كما تولى مهمة تعليمه لمعاصريه " ، أما تلميذه الأشهر القديس توماس الاكوينى (المتوفى ١٢٧٤) فإنه قد شارك أستاذه فى تقدير الفلاسفة القدماء خصوصا أرسطو وكذلك فى تقدير المفكرين العرب واليهود والأقرب عهدا " ولكنه كان أكثر أصالة وابداعا من أستاذه وكان " يرحب بالحقيقة حينما وجدها ويستخدمها لإثراء الفكر المسيحى ، فكان يرى أنه لا يمكن أن يكون هناك تناقض بين العقل والنقل لأن لهما نفس المصدر الإلهى" ، وبصفة عامة فإنه يمكن القول بأن " فلسفة العصور الوسطى قد إستمرت توجيهها دينيا... حيث كانت وسيلة لإلقاء الضوء على حقائق العقيدة وأسرارها " (١٧) .

ولقد كان من نتائج بزوغ الاهتمام الكبير بفهم الطبيعة وإدراك أسرارها من جهة ، وبإستخدام النظر والمشاهدة وإجراء التجارب بدلا من مجرد الاقتصار على القياس الصورى الأرسطى من جهة أخرى ظهور ما سعى بعصر النهضة الأوربية -Renaissance (القرن ١٥ - ١٧ م) الذى تميز بثورة علمية كبرى فى مختلف ميادين العلم على أيدي أمثال ليوناردو دافنشى وكوبر نيكوس وجاليليو وكبلر وفيزاليوس وهارفى ، كما تميز بثورة موازية فى مناهج البحث العلمى والفلسفى على أيدي أمثال فرانسيس بيكون وديكارت وقد ترتب على جهود هؤلاء التوصل إلى نظرة واقعية جديدة للعلم الذى نعيش فيه اختلفت عما كانت الكنيسة تؤمن به وتفسر به آيات الإنجيل ، فبدأ صراع عنيف ومرير بين الكنيسة كمؤسسة ذات سطوة دينية وسياسية كبرى من جانب وبين العديدين من العلماء الذين توصلوا إلى نتائج مبنية على ملاحظاتهم الحسية وتجربهم العلمية من جهة أخرى ، وقد قامت الكنيسة فى إطار ذلك الصراع بمعاقبة أولئك العلماء بشدة وعنف بالغين . وقامت محاكم التفتيش بدورها المشئوم فى التنكيل بهم بالصورة التى تحفل الكتابات التاريخية بأخبارها، وإذا كان هذا التعنت والعنف البالغان اللذان أصابا رجال الفكر والعلم قد أجبرا بعضهم على السكوت فترة أو حملا

الآخرين على إخفاء آرائهم تحسبا من نفس المصير فترة أخرى ، فإنه كان من المحتوم أن تنتصر الحقائق الواقعية الناصعة على التأكيدات الكنسية المخالفة للواقع المحسوس مهما كانت سلطة من يرجون لها ، ولقد كان الحصاد المر لهذا كله في النهاية أن الفكر في عصر النهضة قد اتسم بنزعة معادية للسلطة الدينية كما اتسم برغبة جامحة في الخلاص بكل طريقة ممكنة من الخضوع للقيادة الفكرية والعلمية لتلك السلطة الدينية ، ومن هنا فلم يكن هناك مفر من إعطاء إهتمام خاص لأي مصدر آخر للحقيقة يكون بديلا عن السلطة الدينية للكنيسة ، وكلما كان هذا المصدر مؤديا إلي معارف معارضة أو مناوئة لتلك السلطة كلما كان ذلك أفضل ، ولم يكن هناك أفضل من التركيز على " الخبرة " الإنسانية واستخدام " الحواس " كأساس للمعرفة العلمية الحققة ، لأن ذلك يعطى الإنسان قيمته وحرية (بل ويبالغ في ذلك أيما مبالغة) من جهة كما يقلل من قيمة المصادر الألهمية إلي أقصى حد من جهة أخرى .

يقول البرت ليفي^(١٨) أن " عصر النهضة قد أعلن التمرد على حكم الدين ، ومن هنا كانت الثورة ضد الكنيسة ، وضد السلطة ، وضد الفكر المدرسى (المسيحي) ، وضد أرسطو ، وإزدهار إهتمام مفاجئ بالمشكلات التي تدور حول الإنسان والطبيعة والمجتمع البشرى ، كما يضيف رافيتز أن عصر النهضة " أصبح ينظر للطبيعة نظرة خالية من أى خصائص روحية أو بشرية ... بل تجد، دراستها بتعقل وبطريقة غير شخصية Impersonal باستخدام الخبرة الحسية والعقل " ... ولم ينته القرن السابع عشر إلا وكانت البيئة الثقافية في أوروبا - بما فيها العلم - قد اتخذت طريقها بقوة في اتجاه العلمانية الكاملة " .^(١٩)

ولقد كان للسير فرانسيس بيكون - الذى يعتبر أبا العلم الحديث - دور بارز في توجيه العلم في اتجاه الإقتصار على الخبرة الحسية ، فلقد أراد الرجل أن يضع برنامجا جديدا شاملا لتقدم المعرفة وإصلاح المنهج العلمى وذلك من خلال " اعتبار الحقائق التى يتم مشاهدتها بالحواس (Empirical) هى نقطة البداية لكل علم ، مع الاعتماد على النظريات فقط فى الحدود التى يمكن اشتقاقها من تلك الحقائق " ^(٢٠) ومن هنا فقد أصبح ينظر لبيكون على أنه أيضا أبو الإتجاه " الحسى " Empiricism أى المتطرف فى الأمبيريقية وذلك بسبب اصراره الذى لا يلين على إعتبار الخبرة المستمدة من المشاهدة الحسية هى المصدر الصحيح " الوحيد " للمعرفة .

ويقابل بيكون على الطرف الآخر (الذى يقلل من شأن الحسى) رينيه ديكارت الذى يعتبر أبا للاتجاه العقلانى Rationalism ، والذى رأى أن العلوم الطبيعية ينبغى

أن تؤسس على معيار اليقين المطلق وأن " المعايير النهائية لصدق الأفكار وصحتها هي الوضوح والدقة وإمتناع التناقض .. وأن الفهم أرقى بشكل كبير من معطيات الحس .. وأن العقل البشرى فقط هو الذى يستطيع الحكم على العلم بالصدق " . (٢١) .

ورغم أن أى مناقشة جادة للمنهج العلمى - كما يقول ليفى (٢٢) - تتضمن بالضرورة بعدا حسيا امبيريقيا Empirical وبعدا رياضيا عقلانيا Bditional وأنه ليس هناك مايدعو للصراع بين هذين البعدين الرئيسين ، إلا أن كلا منهما يمثل قطبا مغايراً يسهل التطرف فى تقدير مكانته مع التقليل من أهمية القطب الآخر أو استبعاده (فى الحالات الشديدة التطرف) ، وكما سنرى فيما بعد فإن تاريخ العلم فى العصور التالية يشهد بالمدى الذى وصل إليه الحسيون (الامبيريقيون) خصوصاً فى تطرفهم فى اتجاه عدم الإعتداد إلا بالخبرة والمشاهدة الحسية كأساس لكل علم - بل ولكل معرفة !! ولكن الذى يهمنا أن نؤكد عليه الان هو أن كلا من الإتجاهين كان يمثل محاولة مستميتة من جانب رجال العلم والفكر للتوصل إلى إيجاد - وإثبات مشروعية - طرق أخرى للوصول إلى معرفة صحيحة بخلاف " الوحي " الذى احتكر التحكم فى فهمه وتفسيره رجل الكنيسة المسيحية وأرادوا فرضه كرها على العلماء على الوجه الذى دونوه فى كتبهم المقدسة وفى تفسيراتهم لتلك الكتب مدعين فى موقفهم بالقوة القهرية للدولة وبالسيطرة الأدبية على عقول الدهماء دون سند من الواقع أو العقل ، ويبدو أن رجال العلم الوليد قد وجدوا ضالتهم فيما قدسته الحضارة الإسلامية من استخدام الملاحظة والتجريب والعقل والمنطق فى الوصول إلى الحقيقة ، يشهد بذلك ما قاله رافيتز فى مجال توضيحه " لطبيعة العلم الأوربى " حيث يقول " يمكن تفسير الشخصية المميزة للعلم الأوربى فى ضوء الظروف التى عمل فى نطاقها العلماء فى هاتين المرحلتين المتعاقبتين (عصر النهضة - عصر التنوير) وفى ضوء المادة والأدوات التى ورثوها ، والتى تشمل المبدأ الأساسى المتمثل فى أن معرفة العلم الطبيعى إنما تكون من خلال حجج يمكن البرهنة عليه Demonstrative Argument ، وهو مبدأ تحقق أولاً فى الحضارة اليونانية ثم التقطته الحضارة الإسلامية وحدها دون أى حضارة أخرى " . (٢٣)

وإذا كان عصر النهضة قد أفلح فى وضع حجر الأساس لمعرفة علمية لا تستند إلى سلطة رجال الدين المسيحي مبنية على مشاهدات الحواس - فى إطار النزعة الحسية الإمبيريقية - وعلى عمل العقل - فى إطار النزعة العقلانية - فإن عصر التنوير Enlightenment (القرن ١٨ الميلادى) قد " أدخل العلم فى مجال السياسة لأول مرة .. وتمثلت رسالته فى النضال ضد الكنيسة وعقائدها الجامدة وضد الخرافات الشعبية ، مع إستخدام حقائق العلم وطرقه العقلانية كسلاح أساسى فى هذا السبيل

.. وقد انضم للفلاسفة أفضل العقول في فرنسا وساعد في ذلك كراهيتهم للرقابة الغبية المفروضة على الفكر .. وقد اعتبر هؤلاء أن مهمتهم هي إكمال جهود بيكون في الارتقاء بالمعرفة العلمية ولكنهم قاموا بذلك بأسلوب ديكارت الذي يخضع كل شيء سواء كان اجتماعيا أو فلسفيا لنقد العقل .. ولكن صفوف الحركة سرعان ما انشقت إلى فرق .. ومع ذلك فقد كانت نقطة الاتفاق فيما بينها هي أن عدوهم الأول هو الكنيسة . (٢٤)

وعلى أي حال فإن الصراع في أوساط العلماء ظل محتدما بين الحسنيين والإمبيريقين من جانب والعقلانيين من جانب آخر ، وكان الإمبيريقيون دائما أكثر ميلا للتطرف في الاعتماد على معطيات الحس والثقة بها وأكبر قدرة على اجتذاب الأنصار ، فوجدنا دفيد هيوم يتابع جون لوك في نظريته " النفسية " للمعرفة فقرر بأن العلاقات التي يصل إليها العقل " مثل علاقات التشابه والتقارب والسببية .. ليست ذات صدق ذاتي داخلي ولكنها مجرد نتيجة لعادات عقلية لا نستطيع تفسيرها " ، وقد رتب على ذلك أن مبدأ العلية الذي تستند إليه كل معرفة لا يشير إلى علاقات ضرورية بين الأشياء وإنما هو ببساطة أمر يعرض للعقل بسبب الترابط الدائم بين الأشياء في عقول الناس ، وفوق ذلك فإن العقل نفسه هو أبعد شيء عن أن يكون قوة مستقلة ، فهو عبارة عن " رابطة من المدركات " A Bundle of perceptions دون وحدة أو ترابط ، ومن هنا فإن هيوم يكون قد أنكر من جهة وجود نظام في الطبيعة . وإنما مجرد إنطباعات حسية متفرقة كما أنكر وجود ذات مدركة ذات وحدة أو تماسك من جهة أخرى . (٢٥)

وقد حاول عما نويل كانط التوفيق بين الاتجاهين الحسي والعقلاني من خلال فلسفته النقدية التي تقرر أن المدركات الحسية وحدها لا يمكن أن توصلنا إلى معرفة بالظواهر الطبيعية الخارجية عنا (على الوجه الذي يظنه أصحاب الاتجاه الحسي) ، كما أن تلك الظواهر ليست واضحة بذاتها Self-evident أمام عقولنا (على الوجه الذي ينادي به أصحاب الاتجاه العقلاني) ، ولكن المعرفة بالعالم الطبيعي من حولنا تكون ممكنة عندما (يصل العالم إلى نسق عقلي متماسك من التفسيرات التي تطابق الواقع الإمبيريقى) ، أي أن كانط يرى أن الإنسان يفرض بناء عقليا على معرفة من خلال المفاهيم والفئات التي يأتي بها من عنده لتشكيل خبرته الحسية وتفسيرها ، ولقد أثبت هذا التفكير الكانطي خصوصية متناهية لأنه ساعد على تحليل عملية بناء النظرية ، واستمر تأثيره على مايزيد على مائة عام بل وإلى اليوم من بعض النواحي . (٢٦)

يرى البعض أن القرن التاسع عشر الميلادي يعتبر العصر الذهبي للعلم ، ذلك أن تطبيقاته العملية في مجالات الصناعة والطب كانت قد ظهرت أثرها بشكل كبير ، مما رفع مكانة العلماء ودعم موقفهم ضد جمود رجال الدين المسيحي ، واستمر في ذلك

القرن استخدام الحقائق العلمية ومنهج البحث العلمى فى الصراع ضد الوصاية الفكرية للكنيسة .

لقد انصبت دراستنا لتاريخ العلم والمنهج العلمى حتى الان بصفة أساسية على العلم الطبيعى وبدرجة أقل على دراسة الإنسان وفهم سلوكه الفردى أو الإجتماعى ، ولقد نادى الفيلسوف الفرنسى أوجست كونت فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى بتطبيق نفس قواعد المنهج العلمى المستخدم فى العلوم الطبيعية فى دراسة الظواهر الإجتماعية ، وانطلق فى ذلك من نزعة امبيريقية (حسية) متطرفة سار فيها على نهج سيكون ولوك وهيوم مبشرا بما سماه بالفلسفة الوضعية Positivism التى وصفها البعض بأنها " فلسفة للعلم بلغت من ضيق النطاق حدا أنكرت معه أى صدق لأى نوع كان من المعرفة لم يتم التوصل إليه بالمناهج العلمية المقبولة " (٢٨) ، ويعرف تيودرسن وتيودرسن الوضعية (٢٩) بقولهما " أنها موقف فلسفى يؤمن بأنه لا يمكن الوصول إلى المعرفة إلا من خلال الخبرة الحسية ، ويرفض التفكير فيما وراء الطبيعة والبصيرة الحدسية والتحليل المنطقى المجرى باعتبارها تخرج عن نطاق المعرفة الحقة ، وينظر إلى مناهج العلوم الطبيعية على أنها الوسيلة الدقيقة الوحيدة للحصول على المعرفة ومن هنا فإن العلوم الإجتماعية ينبغى أن تقتصر على استخدام تلك المناهج وأن تتخذ العلوم الطبيعية كنموذج تحتذى " .

والحق أن كونت يعتبر أول من أوضح معالم هذه الأيديولوجية الفلسفية التى اتخذت أبعاد حركة علمية بعيدة الأثر عنها فى مراحل تالية ما يعرف بإتجاه الوضعية المنطقية logical positivism والإمبريقية المنطقية logical Empiricism .

وبصفة عامة فإن فكرة الوضعية التى استند إليها العلم الحديث تقوم إجمالاً على التأكيدات الآتية : (٣٠) .

١- أن كل معرفة تتصل بالحقائق الواقعة لابد أن تبنى على شواهد ايجابية الوجود Positive مستمدة من واقع الخبرة .

٢- فيما وراء مجال الحقائق الإيجابية يوجد مجال المنطق البحث والرياضيات البحتة والذى كان هيوم يقول منطلقاً من إمبريقته المتطرفة أنها تهتم بالعلاقات بين الأفكار " والتى اعتبرت فيما بعد من قبيل العلوم الصورية Formal Sciences (أى تلك العلوم التى تبحث فى صور الفكر وليس فى المحتوى المادى المتعين للأشياء) .

٣- أما على الجانب السلبي Negative فترى الوضعية إنكار ما وراء الطبيعة وكل ما لا يمكن حسمه بالدليل الواقعى مثل المعارف المتعالية أو المتجاوزة أى التى تتجاوز نطاق العقل Transcendent .

وفى ضوء ذلك أصرت النظرية الوضعية على أن " العلوم الإجتماعية " ينبغي لى
تستحق اسم " علوم " أن تسير فى نفس الخطوط التى تسير عليها العلوم الطبيعية كما
سبق أن أوضحنا .

وقد أعلن كونت بناء على تحليلاته التاريخية ما سماه بقانون الحالات الثلاث التى
زعم أن تطور الفكر البشرى يمر بها ، والتى توازى مع المراحل التى يمر بها الإنسان
الفرد من الطفولة إلى النضج ، تبدأ أولها بالمرحلة الدينية التى تفسر الظواهر فيها
بإرجاعها إلى قوى قدسية وهى عنده تمثل مرحلة الطفولة فى الفكر البشرى (!) أما
المرحلة الثانية فهى المرحلة الميتافيزيقية التى لا تخرج عن كونها دينية ولكن بنظرة غير
- شخصية تفسر فيها الظواهر بقوى حيوية أو غيبية لا تقدم تفسيرات أصلية فى رأيه
(كالحقيقة المطلقة والأسباب الأولى والبدايات المطلقة) ، أما المرحلة الثالثة فهى
المرحلة الوضعية أو العلمية التى لا تهتم إلا بالحقائق الإيجابية من حيث وجودها فى
الواقع المحسوس .

وقد شهدت بدايات القرن العشرين ظهور ما يسمى بالوضعية المنطقية Logical
Positivism التى بنيت على التوجهات الإمبريقية المتطرفة لهيوم والتوجهات الوضعية
التي وجدناها عند كونت اضافة إلى فلسفة العلم عند ايرنست ماك ، ويعرف القاموس
الحديث لعلم الاجتماع ^(٣١) الوضعية المنطقية على أنها " موقف فلسفى تطور عن
الوضعية يؤمن بأن الحق فى أى عبارة يثبت بالتحقق من صدقه من خلال الخبرة
الحسية ، وأن أى عبارة لا يمكن التحقق من صدقها بالرجوع إلى الخبرة الحسية
كالعبارات الدينية أو المتصلة بما وراء الطبيعة فإنها لا معنى لها Meaningless .. ولا
كانت هناك حاجة إلى التحليل المنطقى لتوضيح المعاني التى تم التحقق من صدقها أو
تم رفضها بإستخدام الخبرة الحسية ، إلا أن مثل تلك التحليلات المنطقية ينبغي أن
تبقى وثيقة الصلة بالملاحظات الإمبريقية ، (ومن هنا) فإن بناء النظريات ينبغي أن
يقلل منه إلى أدنى حد ممكن " .

ومن هنا فإن الوضعية المنطقية تقوم على الأفكار الأساسية الآتية : (٣٢)

- ١- أن المهمة الأصلية للفلسفة هى توضيح معانى المفاهيم والتأكيدات الأساسية
للعلم ، وليس محاولة الإجابة على الأسئلة التى لا إجابة لها مما يتصل مثلا بطبيعة
الحقيقة المطلقة أو غيرها من الأسئلة الوجودية الكبرى .
- ٢- جميع العبارات المتصلة بالقيم الأخلاقية أو الجمالية أو الدينية لا يمكن التحقق
منها علميا ، وبذلك تعتبر كلاما فارغا (أى لا تحمل أى معنى يرتد للحقيقة على وجه
الاطلاق) .

٣- معنى كلمة "منطقية" فى اصطلاح الوضعية المنطقية يقصد به التأكيد على الطبيعة الخاصة للحقائق الرياضية والمنطقية التى تعتبر صحيحة بنفس المسلمات والتعريفات التى تقوم عليها .

وأخيرا فإن الثلث الثانى من القرن العشرين قد شهد تحولا نحو استخدام اصطلاح الإمبيريقية المنطقية Logical Empiricism بدلا من "الوضعية" وذلك لأن هذا المفهوم الأخير قد أصبح مرتبطا بشدة بتفكير أوجيست كونت ، وأيضا بأراء إيرنست ماك الذى بلغ بشدة فى التأكيد على الحقائق الإيجابية للملاحظة حتى أنه لم يكن من الممكن مشاهدتها بالحواس ، ومع ذلك فإن الفكر الجديد قد احتفظ من الوضعية بإصرارها على ضرورة إختبار الفروض والنظريات فى الواقع الإمبيريقى ومن هنا صارت التسمية "بالإمبيريقية" ، فى نفس الوقت الذى إستخدمت فيه تسمية "المنطقية" للدلالة على مكانة المنطق والرياضيات التى يتوقف صدق قضاياها على صحة المسلمات والتعريفات كما ذكرنا من قبل . (٢٣)

ويلاحظ أن الإمبيريقية المنطقية تمثل النموذج "الساند" اليوم فى فلسفة العلوم (٢٤) بصفة عامة وهى لذلك تستحق وقفة خاصة لبيان طبيعته ، وقد أوضح ليفى (٢٥) الأفكار الأساسية للإمبيريقية المنطقية كما يلى :

١- كل كلام "ذى معنى" يتكون اما من :

أ - عبارات "صورية" منطقية أو رياضية .

ب - قضايا تشير إلى حقائق علمية "واقعية" .

٢- أى قضايا تزعم أنها تشير إلى حقائق يكون لها معنى فقط اذا كان فى الامكان بيان الطريقة التى يمكن بها التحقق منها بالرجوع إلى الواقع المحسوس .

٣- أى قضايا تتصل بما وراء الوجود ولا تقع فى نطاق الفئتين المذكورتين أعلاه لامتني لها

٤- جميع العبارات المتصلة بالقيم الأخلاقية أو الجمالية أو الدينية لا يمكن التحقق منها علميا وهى بهذا لا معنى لها .

هذا هو النموذج السائد فى فلسفة العلم اليوم ، وتلك هى الظروف التى وصل اليها من خلالها ، ولقد قصدنا بهذا العرض التاريخى لتطور فكرة "العلم" فى الحضارة الغربية فى سياقها الواقعى أن نضع أساسا يمكن فى ضوء القيام بمناقشة متأنية تفصل ما هو أصيل عما هو عارض فيما يتصل بالعلم والمنهج العلمى ، بما يمكننا من اتخاذ الموقف الصحيح من كل منهما .

المبحث الثالث :

أثر التاريخ والبيئة والثقافة في تشكيل المنهج العلمي الحديث

لا يمكن لأى منصف أن يزعم أن كل نشاط فكري أو علمي لا يخرج عن كونه مجرد انعكاس خالص للظروف التاريخية والبيئة والثقافية التي أحاطت بظهور ذلك النشاط وتطوره (وإن كان هناك من العلماء من يرون هذا بالفعل) ، وقضايا المنهج بإعتبار طبيعتها " العامة " في خدمة كل العلوم أولى من غيرها بأن تتجافى مع الخضوع للملابسات الوقتية أو الظروف التاريخية العرضية الضاغطة فالمنهاج عادة ما يكون بمثابة المحور الذي تدور حوله العلوم المختلفة ، وعليه يعتمد الباحثون والعلماء في الوصول إلى نتائجهم ، وهم لهذا يتوقفون بقوة عند أى تغيير أو حتى محاولة لتغيير أى من المسلمات الأساسية للمنهج ، ومن هنا فإن المتوقع دائما أنه من خلال عمليات التصحيح - الذاتى التى يتميز بها العلم أن يظل المنهج (نسبيا) بمنأى عن التأثير الشديد بالتيارات التى تتجاذب ما ينتج من تطبيقه من نماذج ونظريات علمية - تلك التيارات التى قد تكون شديدة أو حتى عاصفة فى بعض الأحيان .

ولو تأملنا التطورات التى مر بها المنهج العلمى فى البحث حتى وصل إلى صورته الراهنة (على الوجه الذى عرضناه فى المبحث السابق) فإننا لن نملك إلا الإعجاب بالجهود التى بذلها العلماء والباحثون فى كثير من الأحيان " للخلاص من تأثير " الضغوط الفكرية التى مارسها الكنيسة عليهم ، متحملين ما يلحقهم فى سبيل ذلك من قهر وعنف (يصل أحيانا إلى حد تقييد الحرية بالسجن أو تجريم نشر المؤلفات ويصل أحيانا للتهديد بالموت أو لتنفيذ ذلك التهديد) تمسكا بما وجدوا أنه الحق من خلال مشاهداتهم الواقعية التى لا يمكن لعاقل أن يتشكك فيها - اللهم إلا أن يكون ذا مصلحة أو صاحب هوى ، وقد تمخض عن مجالدة هؤلاء العلماء الأفذاذ مثابرتهم ومقاومتهم لتأثيرات البيئية وضع قواعد المنهج العلمى الأوروبى الحديث الذى كان الأساس الذى بنى عليه صرح العلوم الطبيعة الحديثة والذى جعل فى الامكان تحقيق التقدم التقنى (التكنولوجى) الذى يجنى ثماره الناس اليوم (فى جوانبها الخيرة) .

ولكم هل سلم هؤلاء العلماء الأفذاذ حقا من تأثير الضغوط الثقافية والبيئية التى جاهدوا لمغالبتها ونجحوا فى النهاية فى الاعتناق من ربقته بالكلية ؟ وهل يمكننا القول بأمانة أن المنهج العلمى الأوروبى الحديث بصورته السائدة اليوم هو حقا مجرد نتاج لسعى متجرد للبحث عن الحقيقة ولا شئ غير الحقيقة ؟

وفى الحقيقة فإن إعجابنا بما حققه المنهج العلمى للبحث من إنجازات رائعة فى العلوم الطبيعية ، واحترامنا لاسهامات أولئك العلماء الأفذاذ الذين جاهدوا حتى

توصلوا لتوصيف أبعاد هذا المنهج وإقامة أركانه لا ينبغي أن تلفتنا عن الجانب الآخر للثورة - كما أوضحنا في الصفحات السابقة - والذي يتمثل في أن أولئك العلماء في غمرة غيرتهم في طلب الحقيقة وفي إطار حماسهم لمقاومة المؤثرات قد تجاوزوا الحقيقة ووقعوا تحت تأثير المؤثرات من وجه آخر !

فلقد أدى التخاصم والعداء الشديد بين رجال العلم ورجال الكنيسة في الظروف التاريخية التي سبق عرضها إلى استبعاد الوحي كمصدر للحقيقة استبعادا كلياً ، اكتفاء بالرجوع إلى الواقع " المحسوس " كمصدر وحيد للمعرفة " العلمية " ، مما أدى إلى فصام بين طريقتين للمعرفة كان يمكن لو توحدتا (في إطار ديني مختلف كما في حالة الإسلام) أن يؤدي توحيدهما ذلك إلى الخروج من الطريق المسدود الذي تجد العلوم الاجتماعية نفسها أمامه اليوم - تلك العلوم التي تتعامل مع ظواهر هي في بعض جوانبها غير إمبيريقية بالإضافة إلى جوانبها الإمبيريقية التي إختص العلم الحديث نفسه بالعمل في محيطها ، ولكم أنى لأولئك العلماء القبول بوحدة الحقيقة . بمعنى الجمع بين الوحي والمشاهدات الواقعية) إذا كان ما يأتيهم باسم الوحي - في تلك الظروف التاريخية - لا يمكن بأي حال التوفيق بينه وبين المشاهدات الواقعية المحققة ، وإذا كانوا يقهرون للتسليم بما يرى رجال الكنيسة أن الوحي أي الذي لا محيص لهم عن الإلتزام به إن أرادوا أن يظلوا في ساحة المؤمنين بالمسيح وأن يحققوا لأرواحهم الخلاص الأبدى وأنى لهؤلاء العلماء أن يتصوروا وجود بدائل أخرى من " الوحي " الصحيح الذي أنزل في أمم أخرى وللخلق كافة تصحيحاً للتعريف الذي عانوا هم من آثار حتى نتوقع منهم أن يتجهوا يبحثهم إليها ؟ .

إننا في ضوء تلك الظروف نستطيع أن نتفهم السبب الذي من أجله اندفع أولئك العلماء اندفاعاً عظيماً في اتجاه اعتماد المشاهدات الحسية الإمبيريقية والبعد عن كل ما يمت إلى الوحي والشرع بصلة ، ولا يستطيع منصف أن يلومهم على عدم قدرتهم على تجاوز حدود الزمان والمكان لا ستشراف ظروف أخرى يمكن فيها (بسهولة شديدة) تحقيق التكامل والتناغم بين معطيات الوحي ومعطيات الحواس كتلك التي توفرها العقيدة الإسلامية ، خصوصاً وأن أولئك العلماء كانوا مهتمين فقط بما لدى المسلمين في عصور ازدهارهم من علوم وتكنولوجيا متقدمة (يمكن التحقق من صدقها إمبيريقياً) أكثر من اهتمامهم بما لدى المسلمين من عقيدة وشرعية ، ويبدو هذا أمامنا بوضوح إذا تذكرنا أن المفكرين والفلاسفة الأوائل الذين نقلوا العلوم الإسلامية إلى الغرب كانوا هم أنفسهم من رجال الدين المسيحي الذي كانوا يحسون بخطورة العقيدة الإسلامية على معتقداتهم كما عبروا هم أنفسهم عن ذلك (راجع المقالات المتصلة بتاريخ العلم التي سبقت الإشارة إليها) .

ولكن التماسنا العذر لأولئك العلماء لا يعفى نفرا آخر منهم تجاوزوا كل الحدود من حيث المغالاة فى تلك النزعة الإمبيريقية بيا لا يعتبر خدمة للعلم بقدر ما يعبر عن شخصية العالم نفسه أو عن مصلحته الضيقة ، حتى أدى ذلك بهم إلى التوقف عما لا يستحق التوقف فيه ، وأوضح مثال لذلك موقف إيرنست ماك عالم الطبيعة النمساوى وويلهلم أشتوالد مؤسس علم الكيمياء العضوية ومن شايعهم ممن توقفوا عن القبول " بفكرة " وجود الذرة فى الواقع بناء على نظرتهم الوضعية المتطرفة فى إمبيريقيتها ، حيث يرى ماك مثلاً أن " كل معرفة حقيقة إما أن تتكون فقط من تنظيم وتدقيق لما تقدمه .. الخبرة المباشرة من بيانات " .. ولما كان لا يمكن رؤية الذرة بالعين المجردة أو المناظرة المكبرة (فى ذلك الوقت) فقد اعتبر الوضعيون فرض وجود الذرة مجرد " خيال مريح " على أحسن تقدير أو فرضاً غير شرعى على أسوأ تقدير.

وتمثل هذه الفصيلة من الوضعيين الذين رفضوا التسليم بوجود الذرة فى الطبيعة أحد الأشكال المتطرفة لتخوف الوضعية من أى شئ لا يمكن ملاحظته ، فالحجر عندهم مثلاً ليس إلا مجموعة من الصفات التى تنطبع على الحواس كصفات الصلابة واللون والكتلة ، وهم يرفضون فكرة وجود مادة أو شئ يكمن وراء تلك الصفات الحسية ، فإذا سألتهم عما يتبقى من ذلك الشئ الذى نلاحظه (الحجر) إذا تصورنا أننا جردناه من تلك الصفات المدركة بالحواس فإن اجابتهم أنه لا يتبقى هناك شئ . (٣٦)

وفى مقابل أصحاب النزعة الإمبيريقية المتطرفة Empiricists وجدنا فريقاً آخر من العلماء تطرفوا فى الاتجاه العقلانى Rationalists " ينكرون أن تبدى الحقائق الإمبيريقية الخام بذاتها وفى ذاتها أى علاقات يمكن فهمها أو حكمها أى قوانين ضرورية فالخبرة الغازية التى يحصل عليها العالم من ملاحظة الظواهر الطبيعية تظل عبارة عن تجمع غير منظم أو سيال حتى يستطيع العالم أن يكتشف أطارا عقليا أو مبدأ يربط به بين هذه الحقائق المفككة وبين إطار كلى أقرب للفهم " (٣٧) .

وفى ضوء ما تقدم يتبين لنا بوضوح أن المنهج العلمى الحديث إنما هو نتاج عقول بشرية تسعى للوصول إلى الحقيقة فى حدود ظروف الزمان والمكان ، وفى حدود قدرة البشر (أو عدم قدرتهم) على التحرر من ضعفهم الإنسانى ومن تأثيرات علاقاتهم الاجتماعية والمهنية وتأثير زملائهم فى المجتمع العلمى ، ومن هنا يتضح خطأ التصور بأن هذا المنهج العلمى الأوروبى الحديث هو خاتمة المطاف فى تحديد طرق السعى للوصول إلى الحقيقة ، أو حتى الظن بأن هذا المنهج بصورته الحالية هو " أفضل الممكن " .

ولعل هذا هو الموقف الذى انتهى إليه جيروم رافيتز بعد تحليل دقيق لتاريخ العلم اذ يقول "لقد أصبح المؤرخون يرون أن العلم الأوروبى الحديث إنما هو جزء لا يتجزأ من

الحضارة (الغربية) ، وأن نقائصه مثل فضائله إنما هي مستمدة من جوانب (الحياة) الأوروبية التي تضرب بجذورها في طريقة الحياة الغربية ، فالارتباط وثيق بين بقاء العلم وبقاء الحضارة (التي تحتضنه) " ، ثم يضيف موضحاً أنه ليس لدينا ضمان في أن تستطيع الحضارة الغربية تحقيق التوافق مع الطبيعة بالشكل الذي يلزم لبقائها ، وأن هذا الأمر يتوقف جزئياً على خصائص العلم الطبيعي كما تبلور في الحضارة الأوروبية على مدى القرون " .

ويؤكد هذا المعنى المفكر الشهير جوهان جالتونج في كتابه عن المنهجية والأيديولوجيا^(٣٩) إذ يقول أن العلاقة بين بناء العلم والبناء الاجتماعي علاقة تبلغ من القوة لدرجة أن الحديث عن المنهج العلمي دون إشارة إلى البناء الاجتماعي الذي يستخدم في إطاره يعتبر تضليلاً ، لأنه يؤدي إلى ادعاءات بأن هذا المنهج عالمي ومطلق Pretenses of Universalism and absolutism مع إخفاء حقيقة أن أي منتج علمي صادق إنما يمثل في الوقت ذاته وإلى حد كبير تصديقاً وتدعيماً للبناء الاجتماعي الذي تم انجازه في إطاره ، ويصل ويتكهن وجو تشوك إلى قاعدة مشابهة عند الحديث عما ينبغي مراعاته عند تقويم النظريات العلمية أو النظر في أهداف العلم فيقولون أنه " بنفس الطريقة التي نجد بها أن النظريات قد تعكس القيم المتمركزة حول الثقافة المحلية لمن وضعوها . . . فإن التصورات المتعلقة بأهداف العلم أيضاً تعكس المعتقدات الثقافية كما تعكس معايير غير ابستمولوجية " .

وينتقد د. فؤاد أبو حطب الاتجاه الذي يتصور أن العلم سواء أكان علماً طبيعياً أو اجتماعياً أو إنسانياً ذو طبيعة محايدة ثقافياً بقوله أن هذا الاتجاه " يتجاهل مافى العلم من تحيز ثقافي لا يتفق مع الصورة التي تقدمها الدراسات والمسوح التي أجراها علماء النفس في الغرب أنفسهم حول مسيرة هذا العلم " ويستشهد بكتابات جلجن عام ١٩٨٧ التي بينت أهمية " التنبيه إلى الطابع الثقافي ثم الأيديولوجي للعلم وبخاصة العلوم ذات الطبيعة الاجتماعية والإنسانية " ، ثم يقرر أن الوعي بهذه الخاصية الثقافية الأيديولوجية للعلم عامة قد ظهر خفياً في معظم ما يكتبه فلاسفة ومؤرخو العلم المعاصرون كما ظهر الوعي بها صريحاً في علم النفس مع التوجه الأوروبي نحو الوحدة في شكل الحديث عن علم النفس الأوروبي ، كما أشار إلى توجه اليابانيين نحو التأصيل الياباني لعلم النفس مع ظهور اليابان كقوة عظمى .

وبناء على هذه الأدلة الدامغة التي تثبت التأثير الشديد للعلم والمنهج العلمي بالبيئة الثقافية التي يمارس فيها بل وبالظروف التاريخية التي نبت فيها فإنه لا يسمع الباحث المنصف إلا أن يكون تناوله لهذه القضية منطلقاً من أفق واسع يأخذ في اعتباره حقيقة أن نظرة المجتمع للإنسان ولكانه في هذا الوجود والطريقة التي يختارها المجتمع

لحياته وحضارته إنما تضع الاطار العام الذى يتحرك فيه العلم والعلماء مثل غيرهم من الناس ، وأن التركيز الضيق على الاجراءات المنهجية وما توحى به من عمومية وعالمية يعتبر إلى حد كبير من قبيل النظرة الميكروسكوبية القصيرة المدى التى تقصر عن ادراك الصورة فى كليتها ، فإذا عرفنا أن العلم الاجتماعى مثلاً يواجه أزمة أو محنة فى ثقافة ما (كما هو حادث فى الثقافة الغربية اليوم) فإن هذا لا يعنى أن الحال ينبغى أن يكون كذلك فى كل الثقافات الأخرى ، وإذا كان " العلماء " فى تلك الثقافة عاجزين عن " النظر من خارج " الأطر الثقافية لمجتمعاتهم إلى العلم والمنهج العلمى لتمحيصها واكتشاف ما إذا كانت مسلماتها القيمية مسئولة عن وجود تلك الأزمة ، فليس الحال كذلك بالنسبة للباحثين من " خارج " تلك الحضارة ممن انتقلت إليهم النماذج الغربية الحديثة عن طريق التقليد ، وإذا كان الفريق الأول قد يُعذر لصعوبة المهمة أمامه (أو حتى استحالتها) فإن الفريق الآخر لا يمكن أن يُعذر على اصراره على التقليد وتمسكه بما هو عقيم مجذب مع أن مفتاح الحل قد يكون تحت أقدامه . وسنرى بعد قليل أن تطبيق المنهج " العلمى " بصورته التقليدية فى دراسة الظواهر الاجتماعية قد فشل فشلاً ذريعاً فى تحقيق فهم وتفسير السلوك الإنسانى والعلاقات الاجتماعية حتى فى محيط الحضارة الغربية مما يجعلنا نقول بلا مبالغة أن ضرر استخدام هذا المنهج بصورته التقليدية فى دراسة الظواهر الاجتماعية قد يكون أكثر من نفعه ، وأن الأمل فى تحقيق أى فاعلية فى فهم الإنسان والمجتمع قد يتوقف على الخروج عن نموذج العلم الطبيعى التقليدى وتخليصه من القيود التى كبلته بها الاتجاهات الوضعية والامبيريقية .

المبحث الرابع : مظاهر الأزمة فى العلوم الاجتماعية

إذا كانت الوظائف الأساسية " للعلوم " هى الفهم والتفسير والتنبؤ بالظواهر ، وإذا كانت الوظائف الأساسية للمهن " هى التحكم فى مسار تلك الظواهر والتدخل لحدوث تغييرات مرغوبة فيها ، فإن لنا أن نتساءل عن المدى الذى وصلت إليه نظريات العلوم الاجتماعية ونظريات الممارسة فى مهن المساعدة الإنسانية فيما يتعلق بكل من النوعين من الوظائف فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بها من جانب ، والتدخل المهنى لحدوث تغييرات واصلاحات مرغوبة فيها من جانب آخر ، وفى الحقيقة أن أى مراجعة أو تقويم جاد للمستوى الذى وصلت إليه نظريات العلوم الاجتماعية - التى يفترض أنها بمثابة الوعاء الذى يحوى الحصيصة النهائية للنتائج التى توصلت إليها تلك العلوم - فى محاولاتها لفهم وتفسير الظواهر الاجتماعية تكشف لنا عن ضعف واضطراب

النظريات " العلمية " فى المجال الاجتماعى كما تكشف لنا عن تضاربها الشديد تضاربا يصل فى بعض الأحيان إلى حد التسفيه الكامل من جانب أنصار بعض النظريات لكل ما جاء به أصحاب النظريات المنافسة (كما يفعل أصحاب المدرسة السلوكية فى علم النفس عادة عند تقويمهم لنظرية التحليل النفسى مثلا) ، وأى مراجعة للكتابات التى تعرضت لتقويم حالة النظرية فى العلوم الاجتماعية عموما تكشف عن مثل ذلك التناقض والتضارب والعجز عن التفسير .

يلخص كيت ديكسون مثلا حالة النظرية فى علم الاجتماع بقوله : (٤٠) " ان أى معرفة بأدبيات نظريات علم الاجتماع عموما تكشف بوضوح أن بناء النظرية فى علم الاجتماع - إذا حكمنا عليه بالمعايير المأخوذ بها فى العلوم الطبيعية - يفتقر لوجود أى منطق متماسك ، فهناك اختلافات كثيرة ليس فقط حول مناهج البحث الاجتماعى وانما أيضا حول طبيعة علم الاجتماع ذاته . . . إن بإمكاننا أن نثبت أن علم الاجتماع رغم مضى مائة عام على تحقيقه لدرجة نسبية من الاحترام الأكاديمى لزال . . لم يتوصل بعد إلى توجه موحد مقبول للممارسة المهنية ، وكنتيجة لذلك فاننا نجد أمامنا كثرة كاثرة من " النظريات " المتنافسة . . ، حيث لم يتم تحقيق السيادة لأى إطار بعينه . . . ولم يعد من الممكن أن نعزو هذه الحالة إلى الزعم بأن علم الاجتماع لزال فى " طفولته " . . . ففرض حداثة العهد (الطفولة) لايفسر لنا شيئا وانما هو يشير إلى " الحالة " التى عليها علم الاجتماع " .

فاذا انتقلنا إلى علم النفس فاننا نجد أنه يعانى أيضا من تعدد منطلقاته النظرية وتناقضها على خط مستقيم فى بعض الأحيان ، كما عبر عن ذلك بوضوح أيزينك وراثشمان إذ يقرر أن فى مقدمة أحد مؤلفاتهما أن علم النفس كما يراه السلوكيون إنما هو فرع تجريبى من فروع العلوم الطبيعية ، وأنهما كسلوكيين يسيران " فى الاتجاه العكسى تماما Exactly Opposite " لاتجاه مدرسة التحليل النفسى . (٤١) ويشير جورج هوارد (٤٢) فى مقال هام نشر بمجلة علم النفس الأمريكية فى عام ١٩٨٥ إلى بحوث ونظريات علم النفس كانت محل تساؤل شديد على مدى العشرين عاما الماضية ، وينقل عن كوش قوله أن علم النفس قد بني منهجه العلمى على فلسفة للعلم كانت قد تقادم بها العهد وأصبحت مهجورة حتى عند ذلك الوقت (عام ١٩٦٤) ، ويعقب هوارد مؤكدا بقوله أنه اذا كان واطسن مؤسس المدرسة السلوكية قد كتب يقول ان علم النفس فرع تجريبى موضوعى خالص من فروع العلوم الطبيعية لاحتاج إلى دراسة الوعى (الشعور) إلا كما يحتاج علم الكيمياء أو الطبيعة إلى ذلك " فإن الزمن قد أثبت أن الوعى أو الشعور ليس على الاطلاق بالأمر الذى لايهم علم الطبيعة الحديثة ، وينقل عن أحد علماء الطبيعة المعاصرين قوله " إن من المستحيل صياغة قوانين نظرية الكم

Quantum Theory بطريقة كاملة الاتساق دون إشارة إلى الوعي " ، حيث قد ثبت علميا أنه لا يمكن فهم الظواهر الطبيعية المتناهية الصغر دون ادخال موقع الباحث الذي يقوم بالملاحظة ومكانه من الظواهر التي يشاهدها ضمن معطيات قوانين نظرية الكم .

فإذا انتقلنا إلى مهن المساعدة الانسانية The Helping Professions التي تستند في ممارستها المهنية إلى نتائج تلك العلوم الاجتماعية ونظرياتها المتضاربة فلن يدهشنا أن نجد أن تلك المهن قد أصابها شرر الآثار المترتبة على قصور الفهم والتفسير الذي تعاني منه تلك العلوم ، وهذا يفسر لنا ما تشير إليه الكتابات في تلك المهن حول ما تعانيه من أزمة في الهوية أو ضعف في تأثير وفاعلية الممارسة المهنية وقصورها عن تحقيق النتائج المتوقعة منها .

فإذا نظرنا إلى موقف العلاج النفسي فإننا سنجد أن نظرياته " المتصارعة " تنطلق من نظريات علم النفس ومدارسه التي تتناقض مع بعضها تمام التناقض كما يشهد بذلك ما أوردناه من أقوال أيزينك وراثشمان من أن الاتجاه السلوكي يسير في " الاتجاه العكسي تماما لاتجاه التحليل النفسي " والربط بين هذه الملاحظة وبين ما أوردناه عن مدى نجاح الممارسة إذ يقولان " اننا نعتقد أن الفشل العام في تحقيق الشفاء من خلال العلاج النفسي لا يرجع إلى استحالة تحقيق الشفاء بقدر ما يرجع إلى الطرف الخاطئة المتبعة لمحاولة تحقيقه " (٤٢ب) ، فالقضية اذن وفقا لرأيهما (الذي قد يتفق فيه معهما الكثيرون ، ولكن من زاوية غير تلك التي ينطلقان منها) انما هي قضية التوجه النظري وقضية المنهج في الأساس ، غير أن عين الانحياز النظري وعدم القدرة على الخروج من اسار التوجه العلمي السائد The Paradigm هي التي تمنع من رؤية الموقف برمته في ضوء جديد يدرك معه هؤلاء الباحثون وغيرهم ممن يسيرون في نفس الأطر التقليدية أن الخروج من الأزمة انما يتطلب نوعا من المراجعة الشاملة للأساسيات كما سنجد فيما بعد عند أصحاب النظري المعرفية أو العقلية في علم النفس على سبيل المثال .

ورغم أن رينيه داويس Dawis يعترف بأنه لايزال من أنصار التوجه العلمي السائد The Received View of Normal Science كما يطبق في محيط ممارسة التوجيه والارشاد النفسي ، إلا أنه يسلم بأن " القاعدة المعرفية لهذه الممارسة ليست كافية - اذا استخدمنا تعبيراً مهذباً " . . كما يشير إلى أنه لا بأس لديه من تجربة مداخل جديدة " مادامت المداخل القديمة لا يبدو أنها تعمل " (٤٣)

وأما بالنسبة للخدمة الاجتماعية فإن الموقف لا يختلف منها كثيرا عما وجدناه في مهن المساعدة الانسانية الأخرى ، فلقد كتب جوزيف هيس في عام ١٩٨٠ حول ما أسماه بأزمة الهوية التي تواجه الخدمة الاجتماعية والتي تظهر آثارها سواء في

الجوانب النظرية أو فى الممارسة أو فيما يتصل بأخلاقيات المهنة ، فيشير مثلاً إلى " الحرب " الايديولوجية الطاحنة الدائرة فى محيط المهنة بين " النموذج الطبى " ونموذج التغيير الاجتماعى " الذى يتخذ فى صورته المتطرفة خطوطاً ماركسية ، ثم يوضح أن ضحايا تلك الحرب إنما هم الأخصائيون الاجتماعيون الذين يصابون بالاحتراق المهني Bur - Out ، والعملاء الذين يضيعون بين التوجهات المهنية المتنازعة . ويرى هيس أن أساس الأزمة كلها إنما يكمن فى إهمال البعد الروحي والممارسة (٤٤) .

المبحث الخامس : أسباب الأزمة واتجاهات العلاج

ان أى مراجعة متأنية لتاريخ العلم والمنهج العلمى الحديث لتكشف لنا بوضوح - كما رأينا فى المبحث الأول - عن التأثير الشديد للعوامل البيئية والثقافية والظروف التاريخية الخاصة فى تشكيل التوجه العام السائد للعلم الأوروبى الحديث ، ذلك التوجه المادى الوضعى القائم على المبادأة بين العلم وبين كل ما يمت بصلة للدين أو الوحي أو حتى القيم ، والذى يصر على أن أى محاولة للمزج بينهما ستكون ضارة بكليهما على حد التعبير الذى جاء فى قرار لمجلس الاكاديمية الأمريكية للعلوم عام ١٩٨١ والذى يؤكد على (٤٥) " أن الدين والعلم مجالان للفكر البشرى منفصلان عن بعضهما تمام الانفصال (Mutually Exclusive) ، وان أى محاولة للجمع بينهما فى اطار واحد يترتب عليها سوء فهم لكل من النظريات العلمية والمعتقدات الدينية " ، وهو تفكير يعكس النزعة المادية التى صاحبت دراسات العلوم الطبيعية بسبب النجاحات التى حققها اسحق نيوتن ، وقد حقق نظام نيوتن نجاحاً فى العديد من المجالات ولاسيما فى مجال الفيزياء والكيمياء . . . وتمت له الغلبة بشرحه ظواهر الحركة والحرارة والضوء والكهرباء ، وطبيعى أن هذا النجاح ولد فى النفوس رغبة فى توسيع نطاق هذا الأسلوب فى (التفسير) بحيث يشمل جميع حقول المعرفة بما فيها علم الأحياء والنفس والتاريخ والاقتصاد ، وقد أسفرت امكانية الكشف عن أسرار جزء كبير من العالم الطبيعى بافتراض وجود المادة وحدها عن دفع بعض العلماء تدريجياً إلى اعتبار المادية جزء من الأسلوب العلمى ذاته . . . ولعل فى وسعنا أن نطلق على هذا اسم المادية المنهجية " ، ويشير آخرون إلى أن نظرة نيوتن والعلم الذى بنى عليها كانت تتبنى نموذج الآلة الميكانيكية Machine Model لتصوير الكيفية التى يتم بها تنظيم كل الظواهر الطبيعية . !! ويبدو أن الكثيرين من علماء النفس ورجال العلوم الاجتماعية ليسوا واعين بالدرجة التى توجه أعمالهم بها تلك المسلمات المستعارة من ذلك التوجه الكلاسيكى " للعلم الذى تمت صياغته فى القرنين السابع عشر والثامن عشر " . (٤٦)

وقد أدى هذا النجاح الذى حققته العلوم الطبيعية الكلاسيكية كما ذكرنا إلى شعور رجال العلوم الاجتماعية بأن صلاح أمر النظر فى الظواهر الانسانية لن يكون إلا بما صلح به أوله ، أى بالتشدد فى تطبيق المناهج التى نجحت فى العلوم الطبيعية ، حتى وجدنا جون ستيوارت ميل يقول حول منتصف القرن التاسع عشر الميلادى " أن الحالة المتخلفة للعلوم الأخلاقية (الانسانية) يمكن علاجها بتطبيق مناهج العلوم الطبيعية عليها مع توسيع نطاقها وتعميمها " (٤٧) ، ويقول بولكنجهورن - الذى نقل كلام ميل - أن هذه النصيحة ظلت مقبولة طوال مايزيد عن مائة عام حتى بدأت الأصوات المطالبة بكسر هذا القالب المقيد للحركة تكسب قوة وظهورا بعد شعور العديدين من الباحثين بخيبة الرجاء فى نتائج البحوث المبنية على القيم والتوجهات التى وصلت إلينا من العلوم الطبيعية .

ولقد تبنى المتخصصون فى العلوم الاجتماعية هذا النموذج المستمد من العلوم الطبيعية بقضه وقضيضه دون مراعاة لاختلاف طبيعة الظواهر الانسانية عن الظواهر الطبيعية ، فجاءت نظريات العلوم الاجتماعية مغرقة فى المادية ومعادية للدين أيضا ، " فرزعت أن من الممكن تفسير وظائف المخ والسلوك البشرى فى ضوء العمليات الطبيعية / الكيميائية والفسولوجية وحدها دون أدنى إشارة إلى الوعى الانسانى . . أو العوامل الذاتية ، وكان ينظر لبذء المبادئ على أنها لايتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها حتى تم اكتشاف خطئها المنطقى ونقصها (أخير) " . (٤٨)

ويضيف روجر سبيرى (٤٩) Sperry فى مقاله الهام بمجلة علم النفس الامريكية إلى ماسبق قوله " لعله من الانصاف أن نقول أن . . العلم والدين قد وقف كل منهما أمام الآخر وقفة العدو الأء (حتى ظهرت النظرية العقلية المعرفية فى السبعينات على الوجه الذى تبينه فيما بعد) .

وعلى العكس من ذلك فإن الكثيرين من العلماء قد أصبحوا يعترفون بالاختلافات الواضحة بين الظواهر الطبيعية والاجتماعية كموضوعات للدراسة وكذا بين مناهج العلوم الطبيعية ومناهج العلوم الاجتماعية ، على أساس أن العلوم الطبيعية علوم نوموطيقية Nomothetic أى علوم تسعى للوصول إلى قوانين " عامة " حول ظواهر هى بطبيعتها متكررة ومضطردة ويمكن التنبؤ بها كالفيزياء والكيمياء ، وبين علوم ايديوجرافية Ideographic تسعى لادراك الخصائص " الفردية " لموضوعاتها مثل علم التاريخ ، ويرى هؤلاء العلماء أن من الخطأ تطبيق المناهج التى ثبت نجاحها فى النوع الأول من العلوم (العلوم الطبيعية) على النوع الثانى من العلوم (العلوم الانسانية) ، لأن هذا كما يرون " سوف يؤدى إلى خلط كبير ، بل هو السبب فى تخلف العلوم الانسانية . . . ذلك أن التعميم يعتمد على اطراد الطبيعة بينما إذا تمت صياغة قوانين

انسانية فسوف تختلف باختلاف الزمان والمكان . . . حقائق توجد أوجه للتشابه بين عادات وتقاليد البشر ، وقد يتشابهون فى الشكل والسمات النفسية . . . إلا أن وجود هذه التشابهات وحده غير كاف لامكانية إقامة قوانين فى مجال الشئون الانسانية". (١٤٩)

وسنحاول فيما يلى أن نبين الطريقة التى تسبب بها تبنى العلوم الاجتماعية لذلك كالتوجه " القديم " فى الأزمة الحاضرة التى تعاني منها تلك العلوم اليوم ، بل وتعانى منها مهن المساعدة الانسانية بالتبعية ، وسنقصر مناقشتنا لهذا الموضوع على أخطر قضيتين كان لهما أكبر الأثر فى حدوث تلك الأزمة وهما :

١ - اهمال تلك العلوم والمهن للعوامل الروحية والدينية وانكار دورها كمسببات فاعلة للسلوك الانسانى .

٢ - دعوى الموضوعية والزعم بأن العلوم الاجتماعية ينبغى أن تكون متحررة من القيم Value - Free .

أولا : قضية استبعاد العوامل الروحية

لو أننا تساءلنا عن كنه الأسباب التى أدت إلى تلك الحالة التى تعاني منها العلوم الاجتماعية - والتى تتمثل أساسا فى ذلك القصور المزمن فى فهم الانسان وتفسير الظواهر الاجتماعية - فإن العلماء والباحثين سيقدمون لنا طائفة كبيرة من الأسباب التى تختلف بحسب التوجه النظرى لكل منهم ، ففى كل عام من تلك العلوم الاجتماعية " مدارس " علمية متعددة ، تتبنى نظريات متباينة تتنافس فيما بينها فى تقديم التفسيرات التى تعترف بها للظواهر التى تخص صدىك العلم فى دراستها ، ومن الطبيعى أن يعزو المنتمون إلى كل من تلك المدارس ذلك الاضطراب والقصور النظرى إلى أن غيرهم من الباحثين فى ذلك التخصص ينطلقون من النظريات المنافسة (الخاطئة) الأخرى . . ! غير أن أمثال تلك التفسيرات لاتبدو كما رأينا كافية ، لأن المنتمين إلى كل من تلك التوجهات النظرية لابد وأنهم قد شاركوا بسهم وافر فى بحوث ذلك العلم بأنفسهم أيضا مستخدمين أطرا تصورية مستمدة من توجههم النظرى فى تلك البحوث دون أن يؤدى ذلك إلى فتح جديد فى فهم وتفسير الظواهر فى نطاق ذلك العلم . وهذا يسوغ لنا أن نقصر اهتمامنا هنا على التبريرات ذات الطبيعة " العامة " التى تساق عادة عندما يثار موضوع القصور النظرى والتضارب بين نظريات العلوم الاجتماعية بدلا من أن تركز على ما يسوقه أنصار أى مدرسة ضد أنصار المدرسة الأخرى ويمكن تلخيص تلك التبريرات العامة فيما يلى :

١ - لعل أكثر التبريرات العامة التى تساق لتفسير الضعف والاضطراب النظرى فى العلوم الاجتماعية يتمثل فى أن تلك النظريات لاتقف حتى الآن على أرض صلبة وكافية من الحقائق الامبيريقية والملاحظات الواقعية المحققة القابلة للتعميم ، ووجه الاحتجاج هنا هو أن قلة المشاهدات المحققة امبيريقا تفتح الباب واسعا أمام الباحثين لابتكار تفسيرات متعددة - بل ومتناقضة أحيانا - للربط بين تلك الحقائق والتعميمات الامبيريقية القليلة والمحدودة النطاق لكى يصبح لها أى معنى . ويلاحظ أن القائلين بهذا الرأى يفترضون ضمنا أن تلك الحقائق والتعميمات الامبيريقية التى تم التوصل إليها حتى الآن رغم قلتها إلا أنها تأخذ فى اعتبارها " كل المتغيرات " الممكن دراستها دون استبعاد لأى فئة أو طائفة من المتغيرات عن وعى أو عن قصد .

٢ - ويتصل بالتفسير السابق الذى يساق تبريرا لضعف واضطراب نظريات العلوم الاجتماعية تفسيراً آخر يتمثل فى صعوبة قياس بعض المتغيرات وصعوبة التحكم فى بعضها الآخر لأسباب تتعلق بعدم قابلية تلك المتغيرات للقياس أصلا ، أو لاعتبارات انسانية وأخلاقية ، مما يضطر الباحثين اضطارا لاستبعاد بعض المتغيرات من دراستهم رغم أنهم مدركون لمدى أهميتها لبناء النظريات فى مجال العلوم الاجتماعية .

٣ - أما التفسير الثالث فيختلف عن التفسيرات السابقة فى أنه يرفض التسليم بأن الصعوبات التى تواجه التنظير فى العلوم الاجتماعية تكمن فقط فى مجرد فقر تلك العلوم من جهة مدى توفر الحقائق الامبيريقية الصلبة ، أو فى صعوبات القياس والتحكم فى المتغيرات وحسب ، وإنما يرى أن تلك الصعوبات ترجع أيضا وبصفة أساسية إلى أن العلوم الاجتماعية - جريا على سنن البحث العلمى التقليدي - قد إستبعدت عن عمد قطاعا أساسيا من العوامل أو المتغيرات الفاعلة المؤثرة فى الظواهر السلوكية والاجتماعية وأعنى بذلك المتغيرات الروحية والاعتقادية التى يظن العلماء (للأسباب التاريخية التى شرحناها أنفا) أنه لا يصح ادراجها ضمن المتغيرات التى تتعرض لها دراستهم " العلمية " .

ولو أننا تأملنا التفسير الأول فأننا نجد أنه يصعب قبوله كأساس وحيد لتفسير الحالة الراهنة لنظريات العلوم الاجتماعية ، وذلك على أساس أنه مهما ازداد عدد الحقائق الامبيريقية والتعميمات المستمدة منها فى اتجاهات خاطئة أصلا فان ذلك لن يقربنا إلا قليلا من فهم وتفسير السلوك الانسانى والعلاقات الاجتماعية مادامت بحوثنا مستمرة فى السير فى الاتجاهات التى اتخذتها تقليديا ، وذلك لسبب بسيط يتمثل فى أن تطور العلم والمنهج العلمى تاريخيا فى الاتجاهات التى سبق توضيحها يعتبر السبب الرئيسى فى تخلف العلوم الاجتماعية نتيجة لما رأيناه من تضيق لنطاق الظواهر التى تدخل بطريقة مشروعة فى نطاق " العلم " وفقا للتصور أو التوجه

التقليدى السائد الآن ، ذلك التصور الذي يقوم على اتخاذ قرار واع ومقصود باستبعاد العوامل الروحية المتعلقة بصلة الانسان بخالقه من نطاق الدراسة العلمية ، مع أن هذه العوامل قد تكون " أهم المتغيرات المفسرة للسلوك الفردى والعلاقات الاجتماعية كما سنرى فيما بعد .

ثم اننا لو تأملنا التفسير الثانى الذى يرد المشكلة الى صعوبات القياس والتحكم فسنجد أنه أيضا ليس تفسيراً كافياً للضعف النظرى المزمّن فى العلوم الاجتماعية ، لأننا مهما تمكنا من زيادة درجة دقة المقاييس المستخدمة ومهما أضفنا متغيرات أخرى لم تخضع من قبل للدراسة بعد أن يصبح قياسها ممكناً ، فإن قدرتنا على الفهم والتفسير لن تزيد إلا قليلاً ، والسبب فى ذلك أننا مهما تقدمنا فى قياس متغيرات تنتمى إلى التوجه التقليدى المادى للعلم الطبيعى وترسم خطى توجهاته الايديولوجية فاننا سنظل أسرى ذلك التوجه التقليدى ، ولن يؤدى هذا إلى اتجاه جهودنا البحثية فى الاتجاه الصحيح على الوجه المبين آنفا .

ومن هنا فانه لايتبقى أمامنا إلا التفسير الأخير الذى يبدو أنه يصدق جملة وتفصيلاً على الموقف الراهن فى محيط العلوم الاجتماعية : اننا فى هذه العلوم ننطلق (عند قصد أو عن حسن ظن) من منطلقات معادية للوحى ولكل ما يتصل بالله واليوم الآخر ، . . . تلك المنطلقات التى انبثقت فى اطار ظروف تاريخية ومكانية معينة وارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً (سبق شرحها فى الفصل الأول) ، وبناء على ذلك فاننا قد أهملنا أحد المصادر الأساسية (هل نقول المصدر الأساسى ؟) التى يمكن أن توجهنا إلى متغيرات هامة يؤدى أخذها فى الاعتبار حتماً إلى زيادة قدرتنا على فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بها والتحكم فيها وتغييرها .

ان استمساك بعض العلماء وبعض الهيئات العلمية اليوم بذلك الموقف المعادى للدين والوحى لم يعد له ما يبرره - علمياً !! - بعد التطورات الحديثة فى العلوم البيولوجية وفى فهم الطبيعة الانسانية التى بدأت تتراكم نتائجها منذ أوائل السبعينات الميلادية من هذا القرن ، والتى أدت إلى ثورة شاملة فى فلسفة العلم على الوجه الذى نبينه بعد قليل ، ولم يعد ذلك التمسك بالقديم ذا وظيفة مفيدة لتقدم العلم ذاته بعد تلك التطورات الحاسمة التى أثبتت خطأ النظرة الوضعية المادية وقصورها عن فهم الظواهر الانسانية .

يبدو لنا أن أقصى ما نستطيع أن نتوقعه من جانب الكثيرين من علماء الغرب فى محيط الاعتراف بالعوامل والمتغيرات - غير المادية - أقصد انهم اذا حملهم الواقع على الاعتراف بوجودها فانهم يسارعون إلى التأكيد على أنها ليست ذات مصدر متعال عن تلك القوى الطبيعية والكيميائية التى يتكون منها العالم فى فهمهم وإنما هى عوامل

منبثقة تطوريا عنها - وإذا كان سبيري يؤكد أن هذه الاتجاهات المعرفية / العقلية الجديدة فى علم النفس تفتح الأبواب أمام " التقارب بين الدين والعلم . . . إذ أنها عدلت من توصيف العلم للطبيعة البشرية وللذات الواعية وأصلحته بطريقة جذرية " إلا أنه عندما يكشف لنا عما يقصده بالدين يتبين لنا أنه يتحدث عن نوع من الدين الانسانى " العام " الذى يستطيع أن يتعامل هو طبعاً معه كإنسان غربى فى ضوء رفضه لما يقدم له من معتقدات نصرانية ، ويهودية . . . فلا يجد أمامه إلا البحث عن دين يقوم على قيم أخلاقية هدفها - كما يرى - " المحافظة على البقاء " للإنسان فى هذه الحياة الدنيا . (٥٠)

تلك هى الصورة التى تقدمها لنا المدرسة " المعرفية / العقلية " فى فهم الإنسان ، وهناك أيضاً مدرسة أخرى بدأت تجد تأييداً كبيراً بين علماء النفس المعاصرين هى المدرسة الانسانية Humanistic Approach والتى تسير أيضاً فى خطوط تؤدى إلى نتائج مماثلة ، ويعتبر الاتجاه الانسانى بمثابة ثورة على النزعة المادية الميكانيكية التى سيطرت على النموذج العلمى القديم فى فهم الإنسان ودراسته الظواهر الانسانية، ويوضح عالم النفس ايرفين تشايلد (٥١) الخط الأساسى لهذا التوجه بأنه يتمثل فى النظر للإنسان " كقوة واعية " لاعلى أنه مجرد حيوان أو آلة ، ويرى أن هذه هى نقطة الانطلاق الرئيسية لهذا المنظور العلمى الجديد للإنسان ، ويضيف أجروس وبستانسيو أن الإنسان فى هذا المنظور ليس مجرد رزمة من ردود الأفعال أو الدوافع أو الآليات النفسية ، كما أنه ليس مجرد منتج جانبى لقوى خارجية فاعلة وموثرة فيه ، وإنما هو إنسان واع له إرادة يملك حرية الاختيار ، ويملك القدرة على التصرف من أجل تحقيق أهداف ينتقيها بنفسه ، ثم يوضحان أن الأهداف إنما تستند بالضرورة إلى " قيم " ومن هنا فإن علم النفس فى النظرة الجديدة يشمل دراسة القيم التى توجه السلوك الواعى للفرد ، وينقل المؤلفان عن كارل روجرز تأكيداً على ضرورة البحث فى " المعانى العقلية والروحية للسلوك " ، ويعلق أجروس وبستانسيو بقولهما أن " مؤدى ذلك أن حياة الإنسان الفكرية وحياته الأخلاقية وحياته الروحية هى حقائق مماثلة تماماً لحقيقة حياته البيولوجية " ، وينقلان عن عالم النفس رولو ماى قوله أن علم النفس الجديد مفوض من قبل المجتمع للعمل فى ملكوت عقل الإنسان وروحه ، ولكن المؤلفين عندما يتعرضان للمقصود بالنواحي الروحية يسيران فى نفس الخطوط العامة للحضارة الغربية أيضاً فيفسران النواحي الروحية بأنها تتصل " بالقيم الأخلاقية والفكرية والجمالية " ويوضحان أنها تتضمن المعرفة العقلية والحكمة والمهارة الفنية إضافة إلى جميع الخصال المحمودة كالكرم والشجاعة والأمان والطيبة والصدق .

ومرة أخرى فانتنا نلاحظ حتى عند علماء هذه المدرسة أيضا ميلا لا يخفي لتجنب الربط بين الجوانب الروحية وبين المعتقدات الدينية خصوصا فيما يتصل بصلة الانسان بربه وخالقه بالرغم من أن هذين المؤلفين نفسيهما يعترفان - استنادا إلى النظريات الحديثة فى العلوم الطبيعية - فى مواضع أخرى من مؤلفهما القيم بوجود اله حكيم وراء هذا الكون وراء القوانين التى تسيّره ، ولعل السبب فى عدم قدرة أولئك العلماء على اجتياز هذه الخطوة المتبقية فى طريق الرجوع إلى الحق يكمن كما رأينا فى التصورات المحرفة والمشوهة للدين فى تلك المجتمعات ، كما يكمن فى تعدد الديانات فى تلك المجتمعات وتبنيها نتيجة لذلك لفكرة التعددية الدينية Pluralism ولمبادئ العلمانية Secularism .

أما العالم المسلم الذى ينطلق من عقيدة صحيحة غيرمحرفة لا يمكنه إلا التسليم بأن معرفة الانسان وصلته بربه هى محور حياته ، وأنها أهم العوامل المؤثرة على سلوكه ، فكلما كانت معرفة الانسان بالله صحيحة وصلته به قوية كان الاحتمال كبيرا فى أن يأتى سلوكه متمشيا مع التوجيه الالهى لما فيه صلاحه ، فيعيش فى حالة من الطمأنينة والسكينة تتمشى مع أفضل ما يتمناه من يكتبون حول معايير الصحة النفسية والتوافق الاجتماعى فى الدنيا قبل أن يرتحل إلى نعيم الآخرة ، وأما ان كانت معرفته بالله محرفة أو ناقصة أو مشوهة أو كانت صلته بالله منقطعة فان الاحتمال كبير فى أن يكون أكثر تعرضا للاضطرابات النفسية والانحرافات الاجتماعية فى الدنيا وهو فى الآخرة من الخاسرين .

وقد فطن كثير من علماء النفس المسلمين إلى تلك الحقائق وطالبوا باعتبار التطور الروحى والخلقى للانسان موضوعا للدراسة النفسية ، فيرى د. عبد الحميد الهاشمى^(٥٢) ان الانسان بفطرته كائن حى يتأمل ويتأمل ويعتقد ويؤمن ، وهو قادر على أن يدرك عن يقين وجود الله تعالى ووجدانيته ، ويدرك أهمية طاعة الله عز وجل ، ومن هنا فان من الضرورى دراسة هذا الجانب الروحى فى الانسان لبيان طبيعته ومراحل تطوره وعوامل صحته وانحرافه ، ثم يرد على حجة من زعموا عدم امكان دراسة الجوانب الروحية للانسان دراسة علمية بأن جهل علماء الطبيعة بجوهر الكهرباء والمغناطيسية لم يمنعهم من دراسة آثارها كالحرارة والحركة والضوء ، كما أن علماء النفس يدرسون الذكاء والعاطفة عن طريق دراسة آثارها وعواملها مع الجهل بطبيعتها أو جوهرها ، ثم يصل إلى أن " نفس الشئ صحيح بالنسبة للجانب الروحى من التكوين النفسى للإنسان ، فعلماء النفس ليسوا فى حاجة إلى دراسة حقيقة القيمة والروح وجوهرها بل إلى ظواهرها فى حياة الانسان " ، أما الدكتور مالك بدرى فانه يقرر من واقع دراسته التطبيقية أنه " من الواضح أن الإسلام كأسلوب للحياة يلعب

دورا رئيسيا للغاية فى التطور العاطفى والاجتماعى والشخصى للانسان المسلم ويرى أن استمرار علماء النفس المسلمين فى استخلاص نظرياتهم وممارستهم من علماء النفس غير المسلمين يعتبر مأساة ، وأن النظر للجوانب الروحية على أنها غير ذات بال فى فهم السلوك يعتبر فهما غير علمى أو على الأقل غير منصف (٥٣) .

فاذا انتقلنا إلى مهن المساعدة الانسانية وخصوصا العلاج النفسى والخدمة الاجتماعية لوجدنا توازيا بين الاتجاهات المهنية السائدة فيها وبين ذات الاتجاهات المتصارعة فى العلوم الاجتماعية التى تستند إليها القاعدة العلمية لتلك المهن ، وإذا كنا قد وجدنا أن العلوم الاجتماعية قد حذت فى دراستها للانسان حذو العلوم الطبيعية وتأثرت بتلك العلوم أولا فى اتجاهها المادى الميكانيكى القديم ثم أخيرا فى منظورها العلمى الجديد ، فاننا سنلاحظ أن العلاج النفسى والخدمة الاجتماعية أيضا قد سارت كل منهما على نفس نهج تلك العلوم ، فاتخذت فى منظورها التقليدى القديم توجهها علمانيا خالصا يستبعد الدين بالكلية من عملية المساعدة ، ثم اتجهت بعض الكتابات فيها أخيرا على استحياء للمطالبة بعلاقة أوثق مع الدين وبأخذ العوامل الروحية فى الاعتبار عند تقديم المساعدة .

فاذا بدأنا بالعلاج النفسى فاننا سنجد مباشرة أن كلا من السائرين على نهج مدرسة التحليل النفسى أو المدرسة السلوكية يتخذون بالتبعية نفس المواقف المعادية للدين والعوامل الروحية التى تتخذها تلك المدارس كما يتمثل ذلك فى أقوال روادها ، فبالنسبة للمدرسة الأولى نجد فرويد (٥٤) يقرر أن الأديان " ينبغى أن تصنف باعتبارها وهما من أوهام الجماهير " وأنها نشأت من حاجة الانسان لحماية نفسه من قوى الطبيعة الساحقة ، وهكذا فإن الانسان فى زعمه هو الذى يخلق الله وليس العكس (!) ومن هنا فإن الدين فى رأيه هو نوع من الطفولية Infantilism التى لابد أن يتجاوزها الناس يوما ما ، أو أنه نوع من المرض النفسى يقول بوهرتى (٥٥) أن فرويد " قد اعتبر الدين مرضا عصابيا لأنه كان بالنسبة له يمثل نكوصا إلى مرحلة طفولية . . . (وذلك من منطلق) أن الانسان الراشد الذى لا يستطيع التعامل مع مشكلاته بطريقة عقلانية يصيبه النكوص إلى مستوى الدفاعات الطفولية . . . وهذا هو السبب فى أن فرويد يرى أن الدين بذلك يعتبر العصاب الوسواس العام للبشر جميعا .

وإذا كان هناك من انشقوا على فرويد وخالفوه فى رأى حول هذه القضية (اضافة إلى غيرها) مثل يونج ، فإن أراءهم لم يتح لها نفس الدرجة من القبول فى الأوساط العلمية بسبب شيوع الروح المعادية للدين فى تلك الأوساط كما بينا ، وذلك بالرغم من

أن يونج قد عبر عن آرائه المناقضة تماما لآراء فرويد فى الموضوع بكل وضوح وقوة حيث يقرر " أن الدين أبعد ما يكون عن أن يعتبر مرضا عصائيا وادعى أنه لم يحدث أبد أن جاءه مريض بالأمراض العصابية إلا وكان سبب مرضه هو بعده عن الدين ، كما أنه لم يعالج مريضا قط إلا وكان شفاؤه بسبب عودته للدين " . ولكن يونج كان يردد دائما أنه عالم نفس امبيريقى ، ولم يظهر التزامات نحو أى دين معين مما دعا البعض إلى الظن بأنه من اللادريين أو حتى من الملاحدة . إلا أنه فقط يسجل الواقع المشاهد أمامه . (٥٦) .

أما مؤسس السلوكية جون واطسون فكان يرى أن جسم الانسان هو " الحقيقة الوحيدة " ، وأن سلوكه وليس وعيه هو الموضوع الصحيح لعلم النفس ، وكان يقول أن الناس مستعدون للاعتراف بأنهم حيوانات ، غير أنهم يريدون أن يضيفوا إلى ذلك شيئا آخر يخلق المشاكل ، ويندرج تحت هذا " الشئ الآخر " عنده كل ما يعرف بالدين والحياة بعد الموت ، والأخلاق .

والحقيقة الغارية فى رأيه أن على عالم النفس أن يصف سلوك الانسان بعبارات لا تختلف عن تلك التى تستخدم فى وصف سلوك الثور الذى ننحره (٥٧) .

ولازالت هذه الاتجاهات المعادية للدين منتشرة على نطاق واسع " بين المشتغلين بالعلاج النفسى ولكن البندول ينطلق الآن فى الاتجاه المضاد - كما يقول ألين بيرجين فى مقاله الجيد عن العلاج النفسى والقيم الدينية (٥٨) - ينطلق فى اتجاهات تبتعد عن النزعات الطبيعية والغنوصية (اللا دينية) والانسانية (التى تقدر الانسان) التى سيطرت على علم النفس معظم هذا القرن بعد أن فقد العلم " سلطانه القديم كمحتكر للمعرفة الحقة بعد ما تبين أن العلم ليس إلا نتاجا ثقافيا حدسيا محملا بالقيم " ، وقد فتح هذا الطريق أمام أنواع من الدراسات للظواهر المتصلة بالوعى والادراك الذهنى التى مهدت الطريق بدورها أمام النظر فى امكانية دراسة القوى الروحية المؤثرة فى السلوك الانسانى رغم عدم خضوعها للملاحظة فى الوقت الحالى .

وقد استعرض بيرجين افتراضات كل من الاتجاهين الرئيسيين الغالبين اليوم فى العلاج النفس وهما الاتجاه الذى اسماه بالنفعية الاكلينيكية Clinical Pragmatism الذى يتبنى قيم الثقافة السائدة فى المجتمع (الغربى) دون تمحيص وتقتصر مهمته على مساعدة العملاء على التوافق معها ، والاتجاه الذى أطلق عليه المثالية الانسانية Humanistic Idealism والذى يتبنى قيما اصلاحيية تركز على مساعدة العميل وتحقيق ذاته ، ثم أوضح بيرجين أنه رغم اختلاف هذين الاتجاهين إلا أن موقفهما من

الدين واحد فقال : " ان كلا من الاتجاهين النفعى والانسانى يبدى عدم اكتراث نسبي بالله ، وكذا بعلاقة البشر بالله ، ولا يرى امكانية وجود تأثير للعوامل الروحية على السلوك . . . وبهذا فانهما يستبعدان ما يعد واحدا من أكبر الايديولوجيات الفرعية فى المجتمع وأقصد بذلك التصورات الدينية الايمانية التى يعتنقها المؤمنون بالله ويحاولون فى اطارها توجيه سلوكهم وفقا لما يدركون أنه قد شرعه لهم . . . ورغم ما للقيم التى تقوم عليها الاتجاهات النفعية والانسانية من فائدة كبيرة إلا أنها أيضا غالبا ما تصبح سببا فى تدهور المجتمع " ، وفى ضوء هذا التحليل فان بيرجين يدعو رجال العلاج النفسى إلى تبني اتجاه ثالث بديل يطلق عليه هو الواقعية الايمانية - Theistic Realism وهو اتجاه يراه ضروريا لتحقيق فاعلية العلاج مع الأشخاص المتدينين من جهة ، كما يراه محققا لبعث الحياة فى المجتمع ككل من جهة أخرى .

ويوضح بيرجين المسلمات التى يستند إليها هذا الاتجاه البديل فيقول : " إن أول وأهم تلك المسلمات هى أن الله موجود ، وأن البشر هم من خلق الله ، وأن هناك عمليات روحية غير منظورة يتم من خلالها الارتباط بين الله والناس " ثم يعقد للتوضيح مقارنة بين قيم الاتجاه الايمانى من جهة وبين قيم الاتجاهين الآخرين (الكلينى والانسانى) من جهة أخرى ننقلها هنا لأهمية دلالاتها :

قيم الاتجاه الايماني (البديل)	قيم الاتجاهين التقليديين
١ - الله قوي (متعال) ولذلك فان التواضع والخضوع لعظمته والطاعة لأوامره تعتبر من الفضائل .	الانسان متعال - تمجيد الذات - الحرية ورفض السلطة الخارجية فضائل .
٢ - هوية الانسان الشخصية خالدة ومصدرها الله ، والعلاقة بالله هي التى تحدد قيمة الذات .	هوية الانسان فى هذا الوجود عارضة زائلة - العلاقة بالآخرين هي التى تحدد قيمة الذات .
٣ - ضبط النفس فى اطار قيم مطلقة - الالتزام الاخلاقي الصارم - أخلاقيات عامة .	التعبير عن الذات فى اطار قيم نسبية - أخلاقيات مرنة - أخلاقيات موقفية .
٤ - الحب والعطف والاستعلاء على الذات أمور أساسية - خدمة الغير والتضحية بالذات محور النمو الشخصي	الحاجات الشخصية وتحقيق الذات أمور أساسية - الرضا عن الذات محور النمو الشخصي .

٥ - الالتزام والولاء والوفاء في الزواج - التأكيد علي الانسان وحياة الأسرة كعوامل تؤدي إلي التكامل .

٦ - المسئولية الشخصية عن الأفعال التي تضر بالغير والمسئولية عن تعديل السلوك - القبول بالشعور بالذنب والمعاناة والتوبة كأساس للتغيير - رد المظالم لأصحابها ضروري .

٧ - المغفرة لمن يسببون لنا الآلام (بما في ذلك الأبوان) تستكمل عملية استعادة الذات في العلاج .

٨ - التوصل للمعرفة من خلال الايمان وبذلك الجهد الذاتي - المعاني والأهداف تستمد من البصيرة الروحية - المعرفة العقلية لا يمكن أن تنفصل عن الجوانب الوجدانية والروحية .

الزواج المفتوح أو عدم الزواج - التأكيد علي الأشباع الذاتي أو النظر للجنس كنوع من التسريح دون مسئوليات علي المدى البعيد .

الآخرون مسئولون عن مشاكلنا وعن التغيير الحادث فينا - تقليل الشعور بالذنب إلي أقصى حد وتخفيف المعاناة دون أدراك مغزاها - الاعتذار عن المظالم .

القبول بالمشاعر المتهمة للآخرين والتعبير عنها كافيان .

التوصل للمعرفة بالجهد الذاتي وحده ، المعاني والأهداف تستمد من العقل والمنطق - المعرفة العقلية هدف لذاتها - عزل العقل عن بقية جوانب الحياة .

ومن الواضح أن بيرجين يدعو إلى ما يشبه أن يكون إعادة نظر شاملة ، وحقيقية في ممارسة العلاج النفسي في الاتجاهات التي يظن أنها يمكن أن تعتبر خطوات في الاتجاه الصحيح .

أما بالنسبة للخدمة الاجتماعية فإنها أيضا وفي اطار سعيها للحصول على مكانة مهنية محترمة كبقية المهن الأقدم منها عهدا فقد تعمدت اغفال الجوانب الروحية والدينية في ممارستها بصفة عامة حتى تتخذ سماتا مهنية عاما يمكن معه تطبيقها مع كل الأجناس والأديان مستبعدة بذلك الدين بالكلية ، رغم أن الخدمة الاجتماعية كما يقرر فيلسوف الخدمة الاجتماعية الشهير فرانك برونو هي أقرب المهن إلى الدين حيث يقول : " رغم أن الدين هو أقرب النظم الاجتماعية التصاقا من حيث الهدف بالخدمة الاجتماعية ، فإن الأخذ والعطاء بينهما كان أقل كثيرا مما هو بين الخدمة الاجتماعية ، وغيرها من المهن " . (٦٠) ، وتتفق الخدمة الاجتماعية في موقفها هذا المتباعد عن الدين مع غيرها من مهن المساعدة الانسانية عموما كما يرى جوزيف هيس

إذ يقرر أن مهن المساعدة الانسانية الحديثة تكاد تهمل الجانب الروحي من الوجود الانساني جملة وتفصيلا فتحيل هذا الوجود إلى مجرد تفاعل بين القوى الغريزية (متابعة لفرويد) والحاجة للحصول على القوة (متابعة لأدلر) (٦١) .

ولكن العديد من الشواهد قد بدأت تشير الآن إلى اهتمام متنام بالجوانب الروحية والدينية في الخدمة الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم كما يقرر ذلك ادوارد كاندا في مقاله القيم الصادر عام ١٩٨٨ عن " تنوع التوجهات الدينية والروحية وممارسة الخدمة الاجتماعية " ، (٦٢) حيث يشير إلى ظهور عدد كبير من المقالات والكتب والى عقد المؤتمرات في السنوات الأخيرة حول مختلف جوانب العلاقة بين الدين والخدمة الاجتماعية ، كما يشير بصفة خاصة إلى اسهام ماكس سيبورين وأيرين براور في توضيح معنى الجوانب الروحية بشكل عام يمكن أن ينطبق على الكثير من الديانات والمذاهب حيث يقرران أن الجوانب الروحية " تتضمن الأنشطة الانسانية المتصلة باتخاذ القرارات الموجهة أخلاقيا ، والبحث عن معنى وهدف للحياة ، والسعى للتوصل إلى علاقات متبادلة مشبعة بين الأفراد والمجتمع والحقيقة المطلقة Ultimate Reality أيا كان تصورهما " وبطبيعة الحال فإن معنى " الحقيقة المطلقة " هو " الله " عند المؤمنين بالله (٦٣) ، وهذا الاتجاه يفتح المجال أمام تجاوز العقبة الكئود التي أعاقت اجراء البحوث في هذا المجال في الولايات المتحدة بسبب التعددية الدينية وعدم امكان اقرار توجه ديني واحد يمكن أن تنطلق منه البحوث .

غير أن فنسنتيا جوزيف تشكو من أنه حتى الآن لم يتم اعطاء العوامل الروحية والدينية ما تستحقه من اعتبار في التنظير للخدمة الاجتماعية رغم أن المهنة تنظر للانسان بطريقة كلية Holistic ، كما تقرر أن ديناميات تفاعل العامل الديني مع بقية عوامل الشخصية في مختلف مراحل العمر وكذلك تأثير الدين كعامل من عوامل مواجهة المواقف العسيرة في الحياة Coping جديران بدراسة أعمق ، وهي تعرف الدين تعريفا عاما أيضا ليشمل كل الديانات والمذاهب على أنه " التعبير الخارجي (أو الظاهر) عن العقيدة " ثم توضح ما تقصده بالعقيدة على أنها " المعتقدات الداخلية والقيم التي تربط بين الشخص وبين قوة أسمى أو بينه وبين الله " .

ثانيا : دعوي الموضوعية والحياد القيمي

رأينا في المبحث الأول كيف أن الظروف التاريخية والثقافية والاجتماعية الخاصة التي نشأ في ظلها العلم الأوروبي الحديث وتطور قد أدت في النهاية إلى صياغة نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) التقليدية واتجاهات تنأى بالعلم وترفع به عن أن يكون له

أدنى صلة بالتصورات الدينية السائدة فى الحضارة الغربية ، . . . فى اتجاهات تحصر اهتمام العلم فى الظواهر التى يمكن مشاهدتها بالحواس ، والتى تتوقف بالتالى عند دراسة ما هو كائن وواقع دون اعطاء أى مشروعية علمية لتقويم هذا الواقع .

ورأينا أن مؤسس علم الاجتماع فى صورته الحديثة أوجست كونت قد كان هو فى الوقت ذاته مؤسس الاتجاه الوضعى الذى ارتبط " بالدعوة إلى تحقيق الموضوعية العلمية فى مجال الانسانيات تماما كما تم تحقيقها فى مجال الطبيعيات ، حيث اعتبرت الوضعية ابتداءً أن ارتباط العلم بالأخلاق والقيم من مخلفات القرون الوسطى . . . ولقد فصل رواد علم الاجتماع الأوائل بين . . . ما يسمونه أحكام الواقع وأحكام القيم . . . فقد كانت القيم تمثل فى نظر علماء الاجتماع أخطر عائق فى سبيل تقدم البحث العلمى حيث اعتقدوا أن البحث العلمى لابد وأن يكون بحثاً محايداً ومجرداً من كل القيم والمعايير الأخلاقية " . (٦٥)

وجاء ماكس فيبر الذى نسج أو نسجت حول كتابته " خرافة أن العلوم الاجتماعية ينبغى ويمكن لها أن تلتزم بالحياد القيمى Value - Free " على حد تعبير ألفين جولدنر فى مقاله الشهير الذى هاجم فيه بعنف " خرافة علم الاجتماع المتحرر من القيم (٦٦) ، والذى أكد فيه أن الفكرة الشائعة عن امكان وجود علم اجتماع محايد قيماً مستحيلة وسخيفة Absurd ، وتسأل جولدنر عما يعنيه علماء الاجتماع عندما يتحدثون عن العلم الملتزم بالحياد القيمى قائلا : هل يقصدون أنه " بالفعل " متحرر من القيم أم أنه " ينبغى " أن يكون كذلك ؟ هل يريدون لعلماء الاجتماع ألا يكونوا مبالين بالنتائج الأخلاقية المترتبة على بحوثهم ؟ أم يرون أن بإمكانهم إصدار الأحكام القيمية بشرط عزلها عن الأحكام الواقعية ؟

هل يقصدون أن على علم الاجتماع ألا يتخذ المبادرة لكى يبين (بناء على خبرته) لغير المتخصصين خطأ بعض الآراء التى يعتنقونها دون تمحيص ؟ أم يقصدون أن عليه أن يلتزم الصمت فلا يتكلم إلا عندما يدعى للكلام عن النتائج المترتبة على بعض السياسات العامة فى الأمور التى تقع فى نطاق اختصاصه ؟ . . . إلى غير ذلك من التصورات التى تبدو من تحليل كتاباتهم .

ثم يسير إلى أن الكثيرين من علماء الاجتماع ممن يؤمنون بأن هذا العلم محايد قيماً يقصدون أشياء مختلفة جداً عن بعضها ، ويلتزمون بتلك التصورات دون تمحيص جاد للأسس التى تقوم عليها تصوراتهم ، ويوضح أن فيبر نفسه لم يكن يمانع

فى التعبير عن القيم إذا تحرر الباحث من الخلط بينها وبين الحقائق ، كما أنه كان أكثر اهتماما باستبعاد القيم " السياسية " أكثر من استبعاد القيم " الدينية أو الجمالية " .

ويكشف لنا جولدنر عن الأسباب التى كانت وراء دعوة فيبر نفسه إلى أن يتصف علم الاجتماع بالحياد القيمى قائلا أن هذه الدعوة كانت بمثابة " عقيدة شخصية جدا لدى فيبر ، وأنها كانت نابعة من ظروف معينة عايشتها الجامعات الألمانية وأساتذتها فى تلك الفترة ، وعاشها علم الاجتماع كعلم ناشئ^(٦٧) ، ولكن هذه الدعوة كما يقول قد تحولت عند علماء الاجتماع اليوم إلى جواز مرور شكلى فارغ من المضمون يتذرع به الباحث للتوقف عن التفكير الجاد ، ثم يوضح أنه إذا كان هذا الموقف قد أفاد علماء الاجتماع بتحريرهم من الاندفاع القهرى وراء القيم الأخلاقية للثقافة المحلية التى يعيشون فى إطارها ، إلا أنه من جانب آخر قد أدى بهم إلى نوع من " اللامبالاة الأخلاقية واللامعيارية الفاقدة للاتجاه " .

غير أن جولدنر يرى أن " المذهب الذى يؤمن بأن علم الاجتماع ينبغى أن يكون محايدا قيميا إنما هو الامتداد الحديث للصراع القديم بين الدين والعقل ، ولقد نشأ هذا المذهب ولازال يعيش على الاتجاهات التى سادت القرن الثالث عشر الميلادى لايجاد فواصل أو حواجز بين الدين والعقل لحفظ السلام بينهما . . . ان مذهب فيبر حول علم اجتماع متحرر من القيم إنما يخلق هوة بين العلم والقيم وينطلق من نفس الطريق الذى سلكه سابقوه ممن حرصوا على ابقاء كل من الدين والعلم فى مجال منفصل عن الآخر " . (٦٨)

وإذا كان جولدنر قد ألقى الأضواء " التاريخية " على أصول الدعوة الى علوم اجتماعية محايدة قيميا كما بينّ العوامل " الشخصية والمهنية " التى أفرزتها عند فيبر وعند من تابعوه بعلم أو بغير علم ، إلا أن التحليل الواقعى لكتابات علماء الاجتماع يكشف لنا من جهة أخرى أنهم لم يلتزموا " واقعيا " بما كانوا يدعون إليه نظريا من تمسك بالحيادة العلمية بازاء القيم والثقافة بل كانوا جميعا يؤكدون على سيادة وتفوق النمط الغربى ثقافيا وسياسيا واجتماعيا وسلوكيا وأخلاقيا مما يجعل حيادهم القيمي محل تساؤل شديد ، ويشير وليان فرويند إلى أن ماكس فيبر يكاد لا يرى أصالة أو تفردا أو عقلانية إلا فى الغرب والغرب وحده ، حتى وصل به الحال إلى التساؤل عما إذا كانت تلك الأصالة راجعة إلى صفات وراثية عندهم ! .

أما نور كايم فانه كما يقول رايموند أرون " قد سخر علم الاجتماع لأهداف اصلاحية تقوم في جوهرها على أسس علمانية وإلحادية ومادية بقصد أحداث تغيرات عميقة داخل البنية الاجتماعية والثقافية الغربية ، ولم يمنعه التزامه العلمى من التصريح بأن علم الاجتماع لم يكن ليستحق ساعة من الاهتمام اذا لم يمكننا من تحسين المجتمع " ، ومن الواضح أن أية نظرة اصلاحية إلى المجتمع وأية محاولة في سبيل تغيير الوضع القائم نحو نموذج اجتماعى أمثل لابد وأن تتم في ضوء معايير تعبر عن قناعة الباحث الاجتماعى وتستجيب للغايات التى تهدف إليها ^(٦٩) ، فهل يمكن والحال هذه أن نتحدث عن حياد قيمي عند هؤلاء ؟ أم يكون الأوفق أن نتحدث عن تركز ذاتى حضارى Ethnothentrism يعمى ويصم .

وماذا كانت نتيجة ذلك الحياد القيمي المزعوم ؟ يقول محمد أمزيان " لقد كان لهذا التوجه المنهجى الذى سارت فيه الوضعية نتائج خطيرة على المستوى الاجتماعى والأخلاقى ، فلم يعد الأمر يقتصر على تجاهل القيم الاجتماعية واستبعادها من مجال الدراسة وحسب ، بل أن هذا الفصل المنهجى أدى إلى تبرير الواقع الاجتماعى الفاسد بالتأكيد على القيم السائدة أيا كانت طبيعتها وبغض النظر عن سلبياتها وإيجابياتها ، ان استبعاد النظرة المعيارية النقدية من مجال الدراسة معناه قبول هذا الواقع كما هو (مادام) السبيل الوحيد إلى إدراك حقيقة المجتمع هو استقراء المحسوس كما (يتبدى) فى سلوك الناس وتصرفاتهم ، والقيم السائدة فى وسط اجتماعى ما - حسب الوضعية - تعبر عن ظواهر صحية وسليمة لأنها تعبر عن رغبات المجتمع واتجاهه الأخلاقى .. فالمقياس الذى تتحدد وفقه المثل الاجتماعية يتحدد وفق ما هو موجود وشائع بين الناس " ^(٧٠) ، ويضيف اسماعيل الفاروقى إلى ذلك قوله " إن التطهير المتعمد للعلوم الاجتماعية من جميع اعتبارات القيم الجوهرية قد جعلها عرضة للتأثر بأية قوة تتعرض لها ، وكانت النتيجة لذلك هى استحواذ الحقائق الواقعية لآى مجتمع على المقدرة لتكوين المعايير الخاصة به " . ^(٧١) .

وبلغة أخرى فاننا إذا أعطينا السلوك الواقعي والقيم الاجتماعية الحاضرة التى تمت دراستها واقعيا فى مجتمع ما الصلاحية لتكون المعيار النهائى للحكم على الصواب والخطأ ، وإذا عرفنا أن من يملكون القوة فى المجتمع يكون لهم قدرة أكبر للتأكيد على معايير وقيم تصبح " هى " المعايير والقيم السائدة ، أدركنا أننا من هذا المنظور انما نكرس الوضع الراهن دون أدنى أمل فى الخروج نقديا من إسهاره فى ضوء أى معايير ذات صدق خارجى ، سواء كنا على وعى بذلك أو لم نكن واعين به ، كما أن هذا يفتح الباب من جهة أخرى أمام الداعين إلى " مذاهب النسبية والتشكك

والذاتية " مما يبطل أثر العلوم الاجتماعية ويفسد قوة الايمان والعقيدة والخير والواجب فى تقدير مسارات الحياة والتاريخ (٧٢) .

ولعل المثال التالى من العلوم السياسية يقدم لنا استبصاراً أكبر بالقضية على اعتبار أن السلوك السياسى يتعامل مع حقائق الحياة اليومية الملموسة فى ضوء الصراع أو الموازنات بين القيم ، ومن هنا تتبدى قضايا العلوم الإجتماعية فى نطاق ظواهره بوضوح أكبر ، يقول رشيد موتن (٧٣) " إن العلوم السياسية فى العالم الغربى بكل تأكيد ليست محايدة قيماً ، ورغم أن معظم رجال العلوم السياسية الغربيين يتخذون سمناً يبدو فى ظاهره كالتزام صارم بالحياد القيمى فإنهم يؤكدون (من جهة أخرى) على قدسية الديمقراطية الليبرالية الغربية التي تتوقف اهتماماتها عند الربح وتحقيق أقصى ربح ممكن " وينقل عن كريستيان باي قوله " إن المعارف التي يتم التوصل اليها فى دراساتهم تكون منصهرة بشكل خفى مع الشخصية والتوجه العام للحضارة الغربية مما يترتب عليه أن الآخرين يأخذون تلك المعارف بكاملها دون وعى منهم ، مسلمين بأنها تمثل معرفة علمية خالصة فى ذاتها .

وإذا كان انصهار النموذج العلمى القديم يدعو بالحاح إلى بناء العلم على ما يرون أنه " حقائق " واقعية امبيريقية فقط ، ولا يرون أى مكان فى صرح العلم للقيم أو المسلمات التي لم يتم التحقق من صدقها بالرجوع إلى الواقع المحسوس ، فإن هذا التصور يتناقض مع واقع العلم الحديث نفسه الذى يقوم على " تأكيدات قيمية " على مسلمات غير علمية " Nonscientific على حد تعبير وليام وجود وبول هات (٧٤) ، حيث يشير إلى أن العلم يقوم على المسلمات الآتية التي لا يمكن اثباتها علمياً :

- ١- أن العالم " موجود " .
- ٢- أن بإمكاننا " معرفة " العالم .
- ٣- أن الحواس وحدها " هى طريقنا إلى معرفة العالم .
- ٤- أن الظواهر مرتبطة ببعضها ارتباطاً " سببياً " .

ومن الواضح أن تقسيم العمل الحديث قد أدى إلى أن تقع مناقشة مثل تلك القضايا الأشمل - والتي تتحكم فى الإطار الذى يعمل فى نطاقه العلماء فى نطاق عمل المتخصصين فى فلسفة المعرفة (الابستمولوجى) ، أو فلسفة العلم ، أو علم العلم ، فى حين يظل الباحث الغارق إلى أذنيه فى التفاصيل الدقيقة لبحوثه المتخصصة الضيقة غير واع بتلك القضايا وغير مهتم بها أصلاً وغير مدرك لدلالاتها أو لمغزاها بالنسبة لما يقوم به هو من عمل ، وهو يظن أنه يحسن صنعا وأنه يقف على أرض

صلبة ، فى حين أنه فى الواقع كمن يحترق فى البحر أو يعطى ظهره للطريق الذى اعلن أنه ينوى السير فيه .

وإذا كان البعض قد لا يتصور امكانية الشك " فى المسلمات غير العلمية " التى يقوم عليها بناء العلم الحديث فى منظوره القديم فإن جود وهات يوضحان أنه بالنسبة للمسلمة الأولى مثلاً فإن " كل الجهود التى بذلت لاثبات أن العالم موجود قد باءت بالفشل ، بل انه يمكن فى الواقع انكار وجود العالم على أسس فلسفية " ، ومعنى ذلك أن العلم الذى تقوم أعمدته على التحقق والتطابق مع الواقع انما يقوم هو نفسه على ما لا يمكن التحقق منه ، لا لسبب إلا لأننا " نرغب فى التسليم بتلك المسلمات " ليقوم صرح العلم .

أما بالنسبة لمسلمة امكانية معرفة العالم أصلاً وأن الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة هو استخدام الحواس ، فإنها مسلمات تحيط بها الشكوك من كل جانب عند كثير من العلماء ، فأصحاب النظرة العلمية القديمة أنفسهم تشككوا فى إمكانية معرفة العالم أصلاً كما يقول أجروس وستانسيو^(٧٥) ، فالسير فرانسيس بيكون الذى يعتبر أبا العلم الحديث وصاحب المنهج الإستقرائى بدأ " بإثارة الشكوك حول الحواس بصفة عامة " على أساس أن " شهادة الحاسة وما يرد إليها من معلومات ترجع على الدوام إلى الإنسان لا إلى الكون " على حد تعبير بيكون نفسه ، الذى شك أيضاً فى قدرة العقل البشرى على ادراك العالم قائلاً إن " العقل أشد عرضة للخطأ من الحاسة كثيراً... فالشئ المؤكد هو أنه مثلما تحرف المرآة غير المستوية أشعة الأجسام تبعاً لشكلها ومقطعها ، كذلك لا يستطيع التعويل على العقل حين يتلقى صوت الأشياء عن طريق الحاسة فى أن يكون أميناً فى نقلها ، إذا أنه فى نقل انطباعاته يخلط بين طبيعته الخاصة وطبيعة الأشياء " ، وإذا كان الإنسان لا يستطيع الثقة بحواسه ولا بعقله فعلى أى شئ يعتمد فى معرفة العالم ؟ يجيب أجروس وستانسيو بأن بيكون كأنه قد وجد البلسم الشافى فى " التجربة " التى تصحح خداع الحواس حيث يقول " أنا لا أقيم كبير وزن لادراك الحاسة المباشر فى حد ذاته ولكننى أحتال للأمر بحيث تقف وظيفة الحاسة عند الحكم على التجربة ثم تقوم التجربة ذاتها بإصدار الحكم .. إن طبيعة الأشياء أيسر كشفاً عن ذاتها تحت ضغط الحيلة البارة منها وهى تتمتع بحريتها الطبيعية " ، وقد فعل ديكارت نفس الشئ أى " الإرتياب فى حواسه وعقله تماماً كما فعل بيكون فهو يتساعل : ما الذى يضمن أن أيا من أفكارى وأحاسيسى يمثل أى شئ خارج كيانى ؟ ولكنه لا يلبث أن يرى أنه لا يستطيع أن يشك فى أن أفكاره موجودة ، فحتى لو كانت هذه الأفكار لا تمثل شيئاً خارج نطاق عقله فهى مع ذلك حقيقة .. ومن ثم فهو يقول كلمته الماثورة : أنا أفكر إذن أنا موجود ، وعند ديكارت أن " الأنا " هى أدنى إلى اليقين من وجود العالم " .

والآن فإذا رأينا أنه لم يعد هناك من مناص أمام أنصار التوجه العلمى القديم من التسليم بأن العلم ذاته مبنى على قواعد ودعائم قيمية وغير علمية Non-Scientific على الوجه الذى شرحه جود وهات ، فإن هنالك اتفاقا فى رأى بين الجميع على أن القيم يمكن استخدامها لتوجيه خطوة اختيار مشكلة البحث أو حتى خطوة وضع الفروض ، ولكنها لا تتجاوز هذه الخطوات لتوجيه الملاحظات ولا للانتقاء من بينها فى مرحلة التحقق من صحة الفروض ، كما أنه لا خلاف من زاوية أخرى على أن القيم ذاتها يمكن أن تكون "موضوعا" للدراسة والبحث كظواهر ناشئة عن عملية التنظيم الإجتماعى التى يمكن دراستها بطريقة موضوعية ، ولكن موضع النزاع يكمن فى إستخدامها لتفسير الملاحظات وإضفاء المعنى عليها ، فهنا نجد أنصار التوجه العلمى القديم يعترضون على ذلك أشد الإعتراض رغم أنهم يرتضون ما يقل عن ذلك كثيرا من حيث إمكانية الإعتماد عليه، كإلعتماء فى بناء النظرية على التخمينات وما يسمى بالتفكير الإبداعى مثلا - على الوجه الذى فصله فى الجزء الثانى من هذه الدراسة .

أما التوجه " الجديد " فى العلم فإنه لم يتحدث عن الموضوعية وإنما عن " الذاتية المشتركة " Intersubjectivity ، يقول ستانلى سترونج^(٧٦) " إن الإدراك ليس فعلا سلبيا ولكنه تأويل إيجابى للواقع الخارجى ، فالواقع ليس شيئا معلوما ومسلما به ولكننا نقوم إيجابيا ببنائه (بأنفسنا) ، ولذلك فإن إدراك أى منا للواقع إنما هو بالضرورة إدراك ذاتى ومرتببط بالشخص ذاته " ، ولكن لما كانت نظرة الجماعة التى ينتمى إليها كل منا تتضمن بعض أوجه الإلتفاق والتجانس فإن أعضاء كل جماعة يشتركون فى رؤية "موحدة نسبيا " للعالم وفى تفسير مشترك " للواقع ، ولا يشترط أن يكون هذا الفهم المشترك للجماعة متطابقا تماما مع الواقع الخارجى ، " فالواقع الخارجى - كما يوجد بصرف النظر عن من يدركه - لا يمكن ببساطة أن نعرفه موضوعيا ، فالواقع كما يظهر لنا فى الرؤية المشتركة يكون ذا صدق ذاتى مشترك Intersubjectively Valid أما عن الصدق الموضوعى فلا يمكن الوصول إليه " .

والواقع أنه حتى لو كان من المقبول أن نتحدث عن الموضوعية والحياد القيمى فى العلوم الطبيعية ، فإنه لا يمكن التسليم بذلك النهج فى دراسة الإنسان والمجتمع البشرى ، " فالمجال الإنسانى متصل بعالم القيم والمصالح والغايات ... (ذلك أن) العالم الطبيعى يبحث موضوعات محايدة ، والنتائج التى ينتهى إليها فى أبحاثه يتساوى تأثيرها فىنا، وليست لدى الإنسان مصلحة خاصة فى تغليب نظرتة فى العلم الطبيعى على الأخرى (هل يمكننا التسليم حتى بهذا فى ضوء التنازع مثلا بين المنادين بنظرية التطور ونظرية الخلق ؟) أما فى حالة العلوم الإنسانية فإن الموضوعات

التي تتناولها .. والنتائج التي تتوصل إليها تؤثر تأثيرا بالغاً في قيمنا وغاياتنا وتمس مصالحنا وإهتماماتنا .. وحين تقترب من المجال الإنساني فإن العلم لابد أن يتداخل مع المصالح ومع القيم ويصبح الحياد والموضوعية التامة أمراً عظيم الصعوبة " . (٧٧)

ونضيف إلى ذلك أنه يكون أمراً غير مرغوب فيه على الإطلاق ، لأن الحياة الاجتماعية في أى مجتمع إنما تستند إلى النسق القيمي المعين الذي يرتضيه الناس ويختارونه من بين جميع الأنساق القيمية المحتملة والممكنة واللائهائية في تعددها، فلو سلمنا لكل مجتمع بالصدق الذاتي لنسقه القيمي الخاص لانتبهنا إلى نسبية استحيل معها أى علم إجتماعى ذو طبيعة عامة، ولو لم نسلم بذلك صراحة فإن الواقع الذى نراه فى علومنا الاجتماعية اليوم هو التسليم بذلك ضمناً، وذلك من خلال فرض رؤية قيمية موجهة لبحوثنا مستمدة من واحد فقط من الأنساق القيمية إختارته الحضارة الغالبة فى حقبة زمنية معينة ويزعم أصحابه أن له صدقاً مطلقاً - كما هو الحال مع العلوم الاجتماعية المستمدة من المصادر الغربية اليوم .

وينبنى على هذا نتيجة هامة جداً تتمثل فى أن أى تصور شامل حقيقى يصلح لكى نرد إليه تلك الأطر القيمية المعيارية النسبية لا يمكن أن يأتى من مصدر بشرى ، (فكل المجتمعات والجماعات البشرية متساوية فى نسبية قيمها ، ولا يستطيع أى منها أن يفترض لنسقه القيمي صدقاً عاماً مجرد تغلبه الحضارى على غيره) ، وإنما لابد أن يأتى ذلك الإطار الموضوعى المحايد من مصدر خارج نطاق البشر Extra Human ، أى مصدر إلهى .

ومن هنا نرى أن الخروج من هذا الطريق المسدود الذى سارت فيه العلوم الاجتماعية ربحاً من الزمن ونقصد بذلك الطريق الذى رسمته خرافة العلوم الاجتماعية الموضوعية المتحررة من القيم ، الذى يتحلل فى النهاية إلى تكريس نسبية قيمية ووقوع فى أسر أطر ثقافية بعينها تعزى إليها قيمة موضوعية عامة - نقول أن تجاوز هذا الطريق المسدود لا يمكن أن يتم إلا بالجمع بين الأطر التصورية الإلهية العامة (الموضوعية) من جهة وبين الأطر البشرية النسبية أو الذاتية من جهة أخرى .

ولقد عبر أمزيان (٧٨) عن مثل هذا الموقف بشكل جيد إذ أوضح أنه إذا كانت الدعوة إلى التزام الموضوعية الخالصة فى علم الاجتماع قد استهدفت إستبعاد الأحكام المعيارية تخلصاً من نسبية المعايير وقابليتها للإختلاف والتعارض زماناً ومكاناً فإنتهت إلى تكريس الواقع المحدود بالزمان والمكان أياً كان، فإن التزام الموضوعية يمكن أن يتحقق فى إطار الإسلام بأخذ المعايير " من الوحي نفسه الذى يتجرد عن كل النزعات

الشخصية والذاتية ... ومن ثم فليس لنا أن نستبعد النظرة المعيارية مادامت العلة الأساسية التي من أجلها استبعدتها الميتولوجيا الوضعية منتفية .

كما يعبر د. إسماعيل الفاروقى^(٧٩) عن نفس المعنى بطريقته الفريدة قائلا : " يدعى الغرب أن علومه الاجتماعية تتسم بالصفة العلمية لأنها محايدة وتتعمد تفادى الأحكام والتفضيلات الإنسانية وتعامل الحقائق باعتبارها حقائق وتتركها تتحدث عن نفسها ولكن ذلك كما رأينا يعد إدعاءً باطلاً ، ومن ثم فإنه بدلا من الإمتناع عن تحليل النواحي القيمية - الذى لا يمكن تطبيقه على أى حال مع السماح للاعتبارات القيمية أن تقرر النتائج بطريقة سرية - فإن العالم الأصيل يحاول أن يحلل كل جوانب الظاهرة المعروضة ويضع ذلك علنا... إن إضفاء الصبغة الإسلامية على العلوم الاجتماعية يجب أن يعمل على إظهار العلاقة بين الواقع المدروس بالجانب من النموذج الإلهي المتصل به ، ولما كان النموذج الإلهي هو المعيار الذى يجب أن يتحقق فى الواقع فإن تحليل الأمر الواقع ينبغى ألا يغفل أبدا ما يجب أن تكون عليه الأشياء " .

وإذا كان قد تبين لنا الآن إستحالة الظن بوجود " علوم إجتماعية " محايدة قيميا فى الواقع كما يشهد بذلك تاريخ الفكر الاجتماعى ، بل وعدم جدوى ذلك حتى إن كان ذلك ممكنا ، وإذا كان قد تبين لنا أن هناك أضرارا جسيمة تلحق ليس فقط بالعلوم الاجتماعية بل بالمجتمعات البشرية كلها من جراء هذا التوجه الزائف، فإن نفس الشئ ينطبق من باب أولى على " مهنة المساعدة الاجتماعية " التى يفترض أنها فى الأساس تجتهد لاحداث تغييرات فى اتجاهات مرغوبة إجتماعيا أى موجهة قيميا ، ذلك أن الضرر الواقع فى حق الأفراد الذين نساعدهم وفى حق المجتمع الذى نخدمه يكون أبلغ إذا سارت تلك المهن فى الإتجاهات التقليدية المفرغة من القيم مهما كانت المبررات التى تساق لتبرير مثل ذلك الوضع .

ولقد عبر ماكس سيبورين عن الإتجاه الذى سارت فيه مهنة الخدمة الاجتماعية طوال حقبة كبيرة من عمرها فقال فى عام ١٩٧٥ إنه خلال نصف القرن الماضى ٠٠٠ لم تكن هناك شعبية كبيرة للحديث عن الفلسفة الاخلاقية فى الخدمة الاجتماعية ، وبدلا من ذلك فقد كان نموذج العلم - المتحرر - من القيم ، وخصوصا العلوم الاجتماعية - المتحررة - من القيم " ، هو أن يتوصلوا إلى قيم يمكن قياسها كمييا بدلا من أن يجهدوا أنفسهم فى التعامل مع القضايا الفلسفية الكبرى التى تتسم بالغموض ، رغم أنهم بذلك قد ضيعوا الأبعاد الأشمل التى تتعلق بمعنى الحياة ، ويضيف هوارد جولدشتين^(٨٠) إلى ما نقله عن سيبورين قوله إن الأخصائيين الاجتماعيين عندما وجدوا أن نظرياتهم لا تسعفهم فى مواجهة تعقيدات المسائل المتصلة بالقيم فإنهم تجنبوا الخوض فى الأمور المتصلة بالقضايا الأخلاقية بالتركيز على الجوانب " العلمية " وإتخاذ موقف حيادى يتجنب إصدار الأحكام .

ولقد قام كولين بيل في عام ١٩٨٨^(٨١) بتحليل الاتجاهات السائدة في بحوث الخدمة الإجتماعية في الخمس سنوات الأخيرة ، فتبين له أنه رغم سيادة الاتجاه الإمبيريقى الذى يقتضى أثر الإمبيريقية الوضعية أو الوضعية الجديدة أو الوضعية لمنطقية ، إلا أنه قد وجد إتفاقا عاما على عدم الرضا عن ذلك الإتجاه الإمبيريقى ، إن كانت الإتجاهات نحوه تتفاوت ما بين الرغبة فى تعديله وإصلاحه إلى الثورة عليه ، كما تبين له أن التأثيرين على الاتجاه الإمبيريقى لديهم بديل يطرحونه بقوة هو الاتجاه لمعيارى Normative Approach ، الذى يقوم على الإعتراف بالقيم ، وإيجاد التكامل بينها وبين المعارف ، مع أخذ الجوانب الذاتية والإستبصار والحدس فى الإعتبار ، وقد عقد بيل مقارنة بين الإتجاهين الإمبيريقى والمعيارى نجتزئ منها ما يلى : -

الإتجاه الإمبيريقى	الإتجاه المعيارى
<ul style="list-style-type: none"> ★ العالم يمكن التنبؤ بظواهره ، ويمكن معرفته ويمكن قياسه . ★ الواقع يمكن ادراكه كأجزاء متفرقة فقط . ★ العالم يمكن التنبؤ بظواهره ، ويمكن معرفته ويمكن قياسه . ★ الواقع يمكن ادراكه كأجزاء متفرقة فقط . ★ السلوك يمكن تفسيره بطرق سببية حتمية - نزعة ميكانيكية . ★ مصدر المعرفة هو التجريب والملاحظة ، وأساسها اليقين المستمد من الخبرة الحسية ★ رفض كل معرفة ميتافيزيقية . ★ الفصل بين المعارف والقيم - القيم والمسائل الأخلاقية تقع خارج نطاق إهتمام العلم . ★ رفض التفسيرات الروحية - فصل واضح بين العلم والدين ★ الموقف المحايد قيما يدعم ضمنا سيطرة الوضع الراهن . 	<ul style="list-style-type: none"> يمكن تفسير الواقع واكتشاف ما يعنيه بالنسبة للناس . لا يمكن فهم الأجزاء إلا في إطارها الأشمل يمكن تفسير الواقع واكتشاف ما يعنيه بالنسبة للناس . لا يمكن فهم الأجزاء إلا في إطارها الأشمل السلوك هادف ابتكاري - يمكن تفسيره ولا يمكن التنبؤ به . المعرفة تنشأ من التفسير والبصيرة ، وأساسها الأتصال المتعاطف مع المبحوثين . الرموز والمعاني والعوامل غير الظاهرة أساسية للفهم . القيم يمكن أن تخضع للدراسة - نسبية اخلاقية تؤدي إلى عدم الاكتراث بالقيم - أو الي فردية فرضوية . نسبية المعتقدات الروحية - هذه المعتقدات لها أهميتها لبناء المعاني إجتماعيا . إتجاه محافظ لعدم وجود تحليل بنائي أو تاريخي للمجتمع .

والمأمل للجدول السابق لا يملك إلا ملاحظة التوازي الواضح مع ما سبق أن وجدناه لدى المشغلين بالعلاج النفسى والذي وصفه بيرجين فى شكل مقابلة بين الإتجاهات التقليدية الإكلينيكية والإنسان من جانب وبين الإتجاه الإيمانى البديل من جانب آخر، ولكن بيل بعد أن ينتهى من المقارنته بين الإتجاهين يقرر أن " الصورة الكلية التى تنبثق من الوصف السابق تشير إلى أن العلاقة بين الإتجاهين المعيارى والإمبيريقى إنما هى علاقة تناقض عدائى .. (ومع ذلك فإن) كلا من المنظورين مرتبط بالآخر ارتباطا وثيقا .. بحيث يكونان معا وحدة أكبر ... إن المشكلة تكمن فى أن كل فريق لا يستطيع أن يدرك أن كلا الجانبين يضع يده على جانب من جوانب الحقيقة ، ذلك أن إختلاف كل منهما عن الآخر لا يعنى خطأ الرؤية الأخرى وإنما قد يعنى أن كلا منهما له رؤية جزئية وغير كاملة ، وإننى أرى أن الإمبيريقية والمعيارية متكاملتان . "

ولكن كيف يمكن الجمع بين هذين المنظورين المتقابلين رغم أن كلا منهما يقوم على مسلمات متعارضة ؟ إن التأليف بين المتناقضين ليس مجرد عملية مزج بسيط أو خلط لخصائصهما، ولكنه يتضمن إيجاد وحدة جديدة مختلفة الخصائص فى هذا التأليف . ويتعرض بيل لبعض الطرق التى يمكن من خلالها إيجاد هذه الوحدة ، ويشير إلى أن البعض قد يتصور الحل فى النظر إلى المداخل الإله بيريقية والمعيارية كمداخل منفصلة ولكنها أجزاء من مدخل ابستمولوجى متعدد الطرق Multimethod ، بحيث ينتظر من كل مدخل منهما أن يقدم لنا استتبصاراً مختلفاً من زاويته دون إمكان القول بأن أحدهما مفضل على الآخر، ويعطينا مثالا على ذلك بأن الباحث مثلا يمكن أن يجمع بين البيانات الموضوعية والذاتية للوصول إلى استتبصار أعمق وفهم أفضل للواقع .

ولكنه يحبذ مدخلا للتوحيد " الخلاق " أو الابتكارى الذى " ينظر للواقع نظرة كلية Wholistic لا تتفصل فيها الأجزاء عن بعضها، ولكنها تتداخل (أو تنطوى) فى بعضها البعض ، بمعنى أن كل شريحة تقطع من الواقع تكون متداخلة ضمنا مع الكل ، وأن الكل حاضر ضمنا فى كل جزء "، ثم يوضح ما يقصده فيبين أننا لو نظرنا إلى الممارسة الواقعية للإمبيريقية لوجدناها تتضمن بعض عناصر المعيارية ، لكن أصحابها لا يعترفون بذلك نتيجة المغالاة وعدم القدرة على رؤية الحقيقة كما هى ، والعكس أيضا صحيح ، ولكنه يرى أن البصيرة Insight هى الضمان لعدم التناقض بين النتائج ، فالمدخل " الخلاق " يقوم على أن الباحث ليس منفصلا عن موضوع بحثه ، بمعنى أن

فهم موضوع البحث لا يتم فقط من خلال الملاحظة الخارجية التي يقوم بها الباحث ، ولكن من خلال "خبراته الداخلية أيضا" ، فعلية "الإستبصار" ليست ذاتية بحتة وليست موضوعية بحتة ولكنها تأليف Synthesis بينهما .

ويعالج ويتكهن وجوتشوك الموضوع نفسه من زاوية أخرى، وينتهيان إلى نتائج مشابهة، فقد قاما بمراجعة المعايير التي تستخدم في تقويم النظريات في الخدمة الإجتماعية ، وتوصلا إلى أن هناك شعورا واضحا بضرورة الاستجابة للتطورات الحديثة في فلسفة العلم وفي العلوم الأخرى والتي تدعو بوضوح إلى مراجعة جذرية للإتجاه الإمبيريقى ، كما أن من الضرورة لأى نظرية تستخدم في محيط الخدمة الإجتماعية أن تستجيب للأطار القيمي الذى تنطلق منه رسالة المهنة، وينتهيان إلى أن معايير تقويم صلاحية النظريات في الخدمة الإجتماعية ينبغي أن يتم توسيع نطاقها لتشمل إلى جوار المعايير الإستمولوجية المعتادة (مثل دقة التنبؤ والإتساق الداخلى) معايير أخرى لا تقل عنها أهمية مثل :

١- أن تكون النظرية مفتوحة للنقد ، من خلال بيان الأطر والدلالات التاريخية والثقافية والسياسية والإقتصادية التي تعتبر كمسلمات تنطلق منها النظرية ، حتى تفتح المجال لنقد تلك الأسس والإفتراضات التي يسلم بها عادة دون تمحيص .

٢- أن تعترف النظرية بالإنسان كعامل فعال لا منفعل سلبي أمام المؤثرات السببية ، " اذ أنه يستطيع التدبر والتأمل فى أفعاله ، والتغلب على الأغراءات والصوارف عن تحقيق أهدافه ، والتحكم فى شهواته ، وتبنى مبادئ جديدة " .

٣- أن تأخذ النظرية فى إعتبارها خبرات الحياة التي مر بها العميل ، والمعنى الذى يرى تلك الخبرات فى ضوءه ومن وجهة نظره ، بدلا من أن ينصب الباحث نفسه كعالم واثق بنفسه ممثلا حكمة وعارفا بما وراء سلوك العميل .

٤- أن تؤكد النظرية على قيمة " العدالة الإجتماعية " لتحرير الأفراد والجماعات من التحكم التعسفى فى حياتهم بإعتبار أن هذه من أهم القيم التي ميزت الخدمة الإجتماعية طوال تاريخها .

والواقع أن من يتفحص المحاولتين السابقتين لتحديث الأساس العلمى للخدمة الإجتماعية لكى يصبح متسقا مع إتجاهات المنظور العلمى الجديد يلاحظ أن كلا منهما قد حاول إيجاد نوع من التوفيق بين الجانب " القيمي " والجانب المعرفى "الإمبيريقى" بطريقة مختلفة ، ففي حين يوحى إسهام كولين بيل بأن الإتجاه المعيارى

يعترف بالقيم والمعتقدات الروحية وبأهميتها لبناء المعانى إجتماعيا ، فإنه ينظر للقيم من منظور " العملاء " أساسا ، ولا يملك إلا الإستنتاج بأن هذا الاعتراف يترتب عليه "نسبية أخلاقية " قد تؤدي إلى عدم الإكتراث بالقيم أساسا، ما دام لكل قيمة المختلفة المساوية فى الوقت نفسه لقيم غيره ، مما يترتب عليه التسليم بالجميع واستبعاد الكل من الصورة ، ولكن إسهام ويتكين وجوتشوك يتجه من الناحية المعيارية إلى الإعتراف " بقيم المهنة " بدلا من التركيز على قيم العملاء وخصوصا قيم العدالة الإجتماعية التى لا يكاد يختلف عليها أحد فى عمومها ولكنها تترك المجال مفتوحا أمام كل التفسيرات عندما نتجه إلى التفضيلات .

ومن هنا يتبين لنا أنه لا مناص من التسليم بأن الحل الحقيقى للمشكلة التى يثيرها فشل المنظور العلمى " القديم " القائم على نظرة وضعية تدعو إلى الحياد القيمى ، وفى نفس الوقت الذى نستجيب فيه للمكتشفات العلمية والتطورات المنهجية التى يقوم عليها المنظور العلمى " الجديد " ، ... نقول أن الحل إنما يكمن فى الإعتراف " بالقيم " كموجه للسلوك الفردى ولترتيبات المجتمعية ، وفى الإعتراف بأن نظريات العلوم الإجتماعية كما تصف الواقع فإنها تشكله فى الوقت ذاته ، ثم الإعتراف بأنه لا يمكن الخلاص من نسبية تلك القيم لأنها تختلف باختلاف الزمان والمكان - مما يترتب عليه ضرورة التسليم بالنتيجة التى سبقت الإشارة إليها فيما سبق ألا وهى ضرورة أن يكون "مصدر تلك القيم نفسها محايدا " - وهو ما يشير بكل جلاء إلى الوعى كمصدر للقيم التى ينبغى أن توجه السلوك الفردى والجماعى من جهة كما توجه محاولات التنظير " العلمى " له من جهة أخرى .

المبحث السادس : التأصيل الإسلامى لمنهجية البحث العلمى

رأينا فى المبحث الأول من هذه الدراسة أن المنهج العلمى التقليدى يقوم على عدد من المسلمات أساسية التى لم تنزل كاملة من سماوات العلم والحكمة والعقل ، ولكنها تبلورت من خلال تفاعل تاريخى طويل ، بين قوى وتوجهات فكرية ثقافية وسياسية معينة ، وفى إطار مكانى وزمانى معين ، وقد رأينا كيف أن تلك المسلمات الأساسية قد اتخذت فى نهاية الأمر طابعا ماديا وضعيا إمبيريقيا ، وقد تبين لنا كيف أن هذا التوجه قد أدى إلى نجاحات وإنجازات باهرة فى دراسة الظواهر الطبيعية ، ولكنه قد أسهم من جانب آخر فى إقامة عقبات كبرى فى طريق دراسة الظواهر الإنسانية ، ولقد توصلنا فى نهاية المطاف إلى أن خروج العلوم الإجتماعية من دائرة الأزمة التى تواجهها رهين بإعادة النظر فى تلك المسلمات الأساسية بشكل جاد ، رغم إدراكنا

لصعوبة الأمر بسبب ما اكتسبه المنهج العلمى من تلك المسلمات عندهم تعلموا وتعلما وممارسة على مدى حقبة طويلة من الزمان .

ولقد رأينا أن أصواتا كثيرة فى الغرب قد بدأت - ومن عجب - نتيجة للتقدم العلمى المعاصر المنطقى من المنظور التقليدى ذاته ترتفع مطالبة بمراجعة تلك المسلمات خصوصا فيما يتصل بالتعامل مع الظواهر الإنسانية ، ولكننا رأينا أيضا أن تلك الأصوات لم تستطع - بسبب نفس القيود والمحددات الثقافية ذاتها - أن تتخلص كليا من نزعتها المادية أو من التأثير بطرفها المجتمعية ، فوجدنا أنه بالرغم من تسليم أولئك العلماء مثلا بتأثير ما يطلقون عليه العوامل الروحية والدينية فى السلوك الإنسانى ، إلا أن هذا الإقرار لم يصل لديهم إلى حد الإقرار بوجود إله خالق قادر مدبر فاعل فى هذا الوجود ، كما رأينا أنه حتى أولئك العلماء الذين حاربوا الدعوى الشائعة بتحرر العلوم الإجتماعية من القيم قد انتهوا إلى نسبية قيمية تكاد تطفى كل معنى للإقرار بدور القيم فى تشكيل عملية التنظيم الإجتماعى .

ولقد انتهينا إلى أن عملية إعادة النظر فى المسلمات التى يقوم عليها المنهج العلمى التقليدى ينبغى أن تسير فى اتجاهات تدعم عناصر القوة الأساسية فى هذا المنهج (والتي تتمثل فى فكرة التحقق من صدق القضايا بالتعرف على درجة مطابقتها للواقع المحسوس) ، ولكنه تضعها أيضا فى موضعها الصحيح وفق نظرة الإسلام الشاملة للكون والإنسان ولوظيفة العلم ، بحيث يتبوأ الوحي مكانه الصحيح كمصدر يقينى للمعرفة الكلية المنزلّة من عند خالق ذلك الواقع المحسوس وخالق الحواس التى تدرك معطياته الجزئية .

وإذن فالتوجه الإسلامى لا يقوم - ولا يمكن أن يقوم - على أساس رفض معطيات الحس والعقل ، لأنه كان أول الداعين منذ العصور الوسطى إلى استخدامهما فى ملاحظة الظواهر المادية الحسية حين كان العالم « المتحضر » سجين القياس الصورى الأرسطى ، ولكن التوجه الإسلامى فى الوقت ذاته لا يتوقف فى دراسة الظواهر الإنسانية بصفة خاصة عند حد معطيات الحس وحدها كما يفعل المفرقون فى الإمبريقية ، ولكنه يضم إليها معطيات الوحي التى لا يمكن بدونها التوصل إلى فهم « الإنسان » ذلك الكائن المتميز عن غيره من المخلوقات ، المتضمن فى داخله عالم الغيب متوحدا فى عالم الشهادة أى الروح المتحدة بالجسد .

وسنحاول فى هذا المبحث بيان معالم الطريق لإتمام هذه المهمة ، وذلك من خلال إستعراض المسلمات الأساسية التى يقوم عليها المنهج العلمى للبحث من منظور الإسلام ، مع إستجلاء مكانة الوحي ومكانه فى علاقته بالعقل والحواس توصلا إلى المعرفة « العلمية » ، ثم ننقل لبيان الأسس التى يقوم عليها النشاط العلمى فى الإسلام

من حيث غاياته وضوابطه ، وذلك قبل أن تنتقل فى الجزء التالى لترجمة متضمنات هذا كله فى شكل إجراءات محددة تتصل مباشرة بالعمل اليومى الذى يقوم به الباحثون - ألا وهو بناء النظرية من المنظور الإسلامى .

أولا : الافتراضات الأساسية التى يقوم عليها البحث العلمى من منظور الإسلام :

يقوم البحث العلمى فى إطار التصور الإسلامى على مجموعة من الافتراضات أو المسلمات الأساسية التى تضعه - مثله فى ذلك مثل أى نشاط إنسانى آخر يقوم به المسلم - موضعه الصحيح فى إطار التوجيهات الإلهية فى النظر لهذا الوجود ولما وراءه ، دون تجاوز للحدود ، ودون انفصال تعسفى عن بقية جوانب الحقيقة ، فلقد رأينا أن التجاوز فى تقدير مكانة العلم الوضعى ، ثم الفصل أو الفصام بين عالم الحس وعالم الغيب كما لو لم تكن بينهم أية صلة ، قد أدت إلى عواقب وخيمة لم تعد فقط على البحث العلمى ذاته بل وتجاوزته إلى المجتمعات التى تسير وفق ذلك التصور الوضعى فى علومها ومهنها .

أما فى المجتمع المسلم - حيث يوضع كل أمر فى موضعه الصحيح دون إفراط أو تفريط - فإن كل نشاط إنسانى يتوافق ويتناغم مع غيره من الأنشطة بما يودى إلى صلاحه فى ذاته كما يودى إلى صلاح الكل الذى هو جزء منه ، ومن هنا فإن العلم والمنهج العلمى فى منظور الإسلام يقومان على مسلمتين لا تودى فقط إلى فاعليه العلم فى الوصول إلى الحقيقة وإنما تودى أيضا بفضل الله إلى صلاح أحوال المجتمعات ليس فقط فى هذه الدنيا بل وأيضا فى الآخرة ... متجاوزة بذلك قصور النظرة البشرية لدور العلم ، وموحدة لجوانب الوجود فى تناغم وتكامل لا نظير له « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » (البقرة : ١٢٨) .

وفيما يلى نسوق مجموعة من المسلمات التى تعطى العلم فى المنظور الإسلامى أصالته ، فى إطار الفهم الأشمل لحياة الناس فى هذه الدنيا فى صلتها التى لا تنقسم بحياتهم فى دار الخلود ، وقد يختلف الباحثون فى صياغة هذه المسلمات فيقدمون فيها أو يؤخرون ، أو يفصلون فيها أو يجمعون ، ولكننا نظن أن هناك إتفاقا عاما على مضمون هذه المسلمات بشكل أو آخر - مع وجود مجال لقدر محدود من الاختلاف مرده اختلافات الرؤية الشخصية والخبرة الفردية مما يحتمل بعض الأخذ والرد ، ولقد اعتمدت بصفة عامة فى صياغة هذه المسلمات على مجموعة المبادئ التى صاغها د. إسماعيل الفاروقى - يرحمه الله - ^(٨٢) إضافة إلى ما وجدته عند غيره مما يثرى ذلك الإطار العام ويزيده تحديدا .

(١) وحدة الخالق ووحدة الخلق :

إن وحدانية الله سبحانه وتعالى هي محور التصور الإسلامي وذرورة سنامه ، والإيمان بوحداية الله هو أول وأهم عامل - على الإطلاق - من العوامل الموجهة لسلوك الإنسان المسلم في كل جانب من جوانب حياته وفي كل عمل يقوم به دون استثناء ، فوفقا لهذا التصور يؤمن المسلم أن الله خلق هذا الوجود، ويعرف أنه سبحانه متصف بكل صفات الكمال ، وأنه مطلق الإرادة والتصرف في ملكه دون شريك ، « ألا له الخلق والأمر » (الأعراف : ٥٤) ، وهو صاحب الحق الأوحد في تحديد الغاية من وجود جميع الكائنات التي خلقها بعلم وقدرة وحكمة ، وصاحب الحق في تحديد القوانين التي تحكم الوجود كله ، وإذا كان سبحانه قد أعطى البشر حرية الاختيار فإن طاعة أوامره ونواهيه والرغبة في تحقيق مرضاته سبحانه هي أوجب الواجبات عليهم ، وهو لا يريد بما يأمر به إلا الخير ، فهو لم يخلق الناس عبثا ، وإنما هو رادهم إلى معاد ، ومجازيهم على أفعالهم .

فإذا تيقن المسلم أن الله خالقه ورازقه ، وأنه هو الرؤوف الرحيم الكريم اللطيف الودود ، وأنه هو الملك الديان الذي إليه المرجع والمآل ، عرف أنه لا خير في شيء أبدا إلا أن يجيء وفق أمره ، وأنه مصدر كل خير ، وأصبح الله وحده موضع تقديسه ومحبه ، فلا يفعل إلا ما يرضى الرب ولا يقصد إلا وجهه في كل ما يأتي ويدع - في سعية لتحصيل الرزق كما في سعيه لتحصيل العلم .

ويترتب علي وحدانية الخالق بالضرورة وحدة الخلق ، « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (الأنبياء : ٢٢) ، فالكون نظام واحد متكامل لأنه من صنع خالق واحد يرى نظامه وتقديره في كل جزء منه ، والنظام الكوني يتكون من قوانين الطبيعة التي هي سنن الله السارية في خلقه المادي أو النفسي أو الإجتماعي أو الأخلاقي ، وكل كائن يوجد وكل حدث يقع في الكون وفقا لتلك القوانين إنما يتم على ما قضى به أمر الله وقدرت حكمته وبما أودع في كل كائن من طبع وقوة ، وما خص به كل نفس إنسانية من إرادة وطبع وقوة تمكنها من الأداء والسعي والتغير وفق ما اقتضت كليات حكمة الله وإرادته .

فالأسباب في هذا الكون هي أسباب وسنن إلهية مرد وجودها وعلاقاتها وأثارها الكلية إلى الله سبحانه وتعالى ، وليس على الإنسان إلا السعي في مناكبتها وفق طاقته ، وهو مسؤول بحسب إرادته وقدرته ، وجزاؤه وحسابه على ما كسبت يداه بعد ذلك إلى الله ، أما الكليات الإلهية خلف مجمل هذه السنن والأسباب فذلك من أمر الله ، ويتعلق بعلمه المطلق الذي لا يحيط به أحد إلا بإذنه إذ يوحى من أمره ما يشاء لمن

يشاء ممن اختارهم من الرسل ، فهو سبحانه خالق تلك السنن ، وهو ذاته منزل الوحي
لهداية البشر لما شاء من تلك السنن إلى جانب وظيفة الوحي فى إرشاد الناس لما
ينبغى عليهم فعله لتحقيق مرضاته .

(٢) وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة :

ويترتب على ما سبق أن « العقل » بما أودع الله فيه من قوة مدركة للمعاني
والأسباب ، و« الوحي » الذى أرسل الله به رسله يتكاملان ويتكاتفان على فهم الغايات
والأسباب وعلاقتهما فى هذا الوجود كما فطره البارئ وسخره - وهذا يصدق طبعا إذا
استقام فهم معنى العقل ودوره ، ومعنى الوحي ودلالته ، وطبيعة التكامل بينهما
وصورته .

فالعلاقة بين العقل بين العقل والوحي علاقة ذات طبيعة خاصة جداً .. علاقة تتطلب
حرصا ودقة فى التناول إذا أردنا تجنب الوقوع فى التجاوز ، أو الإنسياق وراء ما
تهوى الأنفس مما حسنت صورته وساعت عاقبته ، فقد يبالغ البعض فى تمجيد العقل
بقوله إن العقل أساس فى ثبوت الوحي والتسليم به أصل ، فإن كان المقصود بهذا أن
العقل أساس فى التكليف بمعنى أن المجنون الذى لا عقل عنده يسقط عنه التكليف ،
فهذا الاستخدام للفظ مما لا يمارى فيه أحد ، ولكن أى إحياء بأن العقل حاكم على
الوحي فإنه أمر لا يمكن قبوله أو التهاون فيه .

ويرى أهل الاعتدال فى الأمر ^(٨٣) أن العقل وسيلة لإدراك صدق الوحي ، لأن الوحي
قد قام الدليل العقلى على صحته من خلال الإعجاز والتحدى ، فالإعجاز (بكل المعانى
المتفق عليها) دليل على صحة القرآن الكريم وصحة نسبته إلى البارئ جل شأنه ، كما
أن التحدى قد أثبت عجز البشر أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله بما لا
يدع مجالا لأى شك فى نسبته إليه سبحانه ، وإذن فالإيمان بالله والرسول والكتاب
بالنسبة لنا « حقائق موضوعية .. وهناك أدلة عقلية على صحتها ، فهي ليست مجرد
دعوى اعتقادية بل هى إيمان يقوم على علم » ^(٨٤) .

ولكن التساؤل الذى قد يثار هنا إضافة إلى ذلك هو : هل النظر فى الأدلة العقلية
المثبتة لصحة الوحي أمر عقلى بحق ؟ أم أن النظر العقلى شرط « ضرورى » وأن لم
يكن « كافيا » وحده لإثبات صحة الوحي ؟ إن من ينظر فى الآيات الكريمة التى
تعرض لقضايا الإيمان بالوحي يجد أنها تربط بين أمور « عقلية » أساسا كالتدبر
والتفكر ، وبين أمور « وجدانية » كالخوف والتقوى ، وأمور « روحية » كرجاء النشور أو
حضور القلب الذى يتأثر بنوع « السلوك » ... تأمل مثلا الآيات الكريمة التالية :

- ١- « وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم » (الذاريات ٣٧) .
- ٢- « أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا » (الفرقان ٤٠) .
- ٣- « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (ق ٣٧) .
- ٤- « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (محمد ٢٤) .
- ٥- « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (المطففين ١٤) .

فهذه الآيات الكريمة تربط بين الإدراك والوجدان والنزوع ، وكأن فيها إشارة لا تخفى إلى أن قضايا الإدراك في المنظور الإسلامي ترتبط بطريقة ما بقضايا الوجدان بل والسلوك أيضا ، وبلغة أخرى فإن القلب إذا صفا وزكا ، يفتح الطريق أمام العقل المتأمل المتدبر المتوازن ، لإدراك صحة الوحي والإيمان بحقائقه ، وكلاهما يتطلب استقامة في السلوك واعتدالا في القصد حتى يبلغ مبلغه .

ومن جهة أخرى فإننا نجد الآيات القرآنية وإن دعت في مواضع عديدة إلى إعمال الحواس كالسمع والبصر كوسائل للأدرك الحسى ، فإنها تشير أيضا إلى أن الحواس وحدها ليست كافية للمعرفة الكاملة المحققة « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها » (الأعراف : ١٧٩) . « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (الحج : ٤٦) .

وهذا كله يشير بوضوح إلى عدم إمكان الفصل المصطنع في المنظور الإسلامي بين الجوانب الإدراكية « المعرفية » للإنسان الباحث عن المعرفة وبين بقية جوانب أو مكونات الإنسان الوجدانية والروحية والسلوكية ، وأن هذا إن صح في دراسة الوجود المادى المشاع للمؤمن والكافر ، فإنه مستحيل في دراسة النفس الإنسانية (المتضمنة بطبيعتها لجوانب غيبية) أو دراسة الترتيبات المجتمعية المرتبط بها تكاليف تمتد نتائجها وأثارها من الحياة الدنيا إلى الآخرة .

والعلم عند المسلم إذن هو ثمرة التوجيه « الوحي » للعقل حتى يستطيع إدراك كليات الكون على حقيقتها التي يعلمها الله ، ليقوم « العقل » بدوره بتوجيه مدركات « الحواس » وإضفاء المعنى عليها ، وبهذا يقوم في الإسلام نسق المعرفة الواحد ، لفهم الحقيقة الواحدة ، التي خلقها الإله الواحد .

فالوحي يوجه العقل في المجالات التي تخرج عن قدرته على المعرفة والإحاطة والإدراك ، وتتمثل تلك المجالات أولا في كل ما يتصل بعالم الغيب الذي يعتبر النظام المعرفى الحَكَم على عوالم المعرفة كلها ، على أساس أن عالم الغيب هو عالم البقاء والدوام في حين أن عالم الشهادة عالم زائل فان ، كما تتمثل ثانيا في كليات عالم

الشهادة من حيث إضفاء المعنى على المدركات الجزئية لذلك العالم من جهة ، ومن حيث ربط تلك المدركات - مرة أخرى - بعالم الغيب .

أما العقل فدوره هو توجيه الملاحظات أو المشاهدات الحسية بشكل يضيف عليها شيئا من المعنى حتى تيسر الحياة البشرية حتى لأولئك الذين لم تصلهم رسالات الرسل ، وإذا كان هذا وحده يعد كافيا في فهم الظواهر غير الإنسانية ، إلا أنه لا يكفي لفهم الظواهر الإنسانية المتضمنة في صميم بنائها مكونات تنتمي إلى عالم الغيب (الروح) ، ذلك أن تلك الظواهر الإنسانية تتطلب أن يتم تفسير المشاهدات الحسية المتصلة بها من خلال معطيات العقل المؤمن الذي يستقى المعنى ليس فقط من كليات عالم الشهادة وإنما - وهو الأهم - من صلة معطيات عالم الشهادة بعالم الغيب .

وبلغة أخرى فإنه إذا كان العقل هو وسيلة الإنسان للإدراك وطلب الأسباب وتنظيم الملاحظات الحسية ، فإن الوحي المنزل من عند الخالق الحكيم مقصوده هداية الإنسان واستكمال ادراكاته ، من خلال تحديد غايات الحياة الرشيدة للإنسان وتحديد مسؤولياته في هذه الحياة ، ووصل إدراكه الجزئي بالمدركات الكلية فيما وراء الحياة الدنيا ، وبيان المفاهيم الإنسانية ، والاجتماعية اللازمة لتمكين العقل والإرادة الإنسانية من حمل مسؤولياتها وفق الغايات المحددة لها في هذه الحياة - ذلك أن العقل الإنسانى رغم مكانته وكل إمكاناته ، يظل محدودا وجزئيا يعتمد الاستقرار وتراكمات المعرفة والخبرة لأداء دوره ، ومن هنا فقد جاء الوحي لإمداده بالمدركات الكلية حول الكون وموضع الإنسان منه ومهمة وجوده والقواعد الأساسية لعلاقاته الاجتماعية حتى يستقيم الأمر وفق المرد الإلهى من خلق هذا الوجود وكل ما فيه ، وإلا تاه البشر وراء منتجات عقولهم المحدودة بطبيعتها بحدود خبراتهم ، بل والمتأثرة بما تهواه أنفسهم ، مما لا يمكن أن يؤدي في النهاية إلا الى الضلال . صحيح أن العقول والحواس ستكون قادرة تماما على إدراك الكثير من الأمور الجزئية الصحيحة ، ولكن فى الحساب الختامى فإن البشر يكونون كمن يكسب معركة ويخسر الحرب كلها ، إذ يفرحون بما عندهم من العلم ويغفلون عن الأبعاد الأشمل للوجود « فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون » (غافر : ٨٣)

(٣) تكامل الوحي والعقل والحواس :

رأينا فيما تقدم أن نظرية المعرفة فى الإسلام تقوم على وحدة الحقيقة ، المستمدة من وحدانية الله ، الذى يملك الحقيقة الكاملة سواء فى ذلك الحقائق اليقينية التى يوحى بها إلى رسله لإرشاد عباده أو الحقائق الاحتمالية التى تركت

لاجتهاد البشر في اكتشاف السنن الكونية ، ولا يمكن أن يكون ما يوحى به الله سبحانه مختلفا عن الحقيقة الكونية الثابتة ، لأنه سبحانه خلق الحقائق كلها ، ولقد رأينا أن الوحي لم يقتصر فقط على الإخبار عن حقيقة وجود الله وصفاته ، أو التعريف بما وراء هذا الوجود من مغيبات ، ولكنه يرشدنا أيضا إلى جوهر القوانين الطبيعية والسنن الإلهية التي يسير الكون وفقا لها ، كما يرشدنا إلى الغاية منها وبالتالي فإننا نستطيع أن نتوقع التطابق التام بين ما نصل إليه من مشاهدات حسية محققة وبين ما يأتي به الوحي من حقائق يقينية .

وإذن فإن هناك استحالة لوجود تناقض « حقيقي » بين معطيات الوحي ومعطيات العقل والحواس ، ولكن من الممكن وقوع تناقض « ظاهري » ، قد يرجع إلى سوء فهمنا أو قصور تفسيرنا لمعطيات الوحي كما قد يرجع إلى أخطائنا المنهجية أو أخطائنا في قياس المتغيرات في مشاهداتنا الحسية ، وهذا يقتضى منا في حالة ظهور أى تناقض من مثل هذا النوع بين الوحي والمشاهدات الواقعية أن نقوم بمراجعة مدى دقة فهمنا للوحي من جهة ، وأن نستوثق من جهة أخرى من سلامة كليات وجزئيات إدراكنا لحقائق الواقع ، فالذي يحدث أحيانا أن الباحث حال قيامه بالبحث عن السنن والقوانين الكونية قد يتوهم أو يظن أنه قد أمسك بالحقيقة مع أنه مخطئ ، مما يخلق تعارضاً في الذهن بين معطيات الوحي ومعطيات العقل والحس ، ويكون على الباحث هنا - إذا كان نزيها ومخلصا في بحثه عن الحقيقة - أن يعاود النظر في معطياته ويتفحصها من جديد ، ولا يمكن إلا أن يصل في النهاية إلى تجلية الحقيقة وإدراكها وحل التناقض الموهوم بين مفهوم الوحي ومسلماته وبين مدركات الواقع ومشاهداته .

فمنطوق الوحي في أى أمر لابد أن يمثل الحق في شأن ذلك الأمر ، والإدراك العقلي والملاحظة الحسية السليمة لابد من أن تؤيد منطوق الوحي ، ولكن « الإدراك الإنساني » لمفهوم الوحي في أى أمر بعينه وفي أى لحظة بذاتها يكون جزئيا ويحتمل الخطأ ، ومن هنا فإن حل ذلك التناقض الظاهري لا يكون بالانتصار العاطفى لأحدهما على الآخر ، وإنما الباحث المسلم شأنه أن يتحلى بالتواضع والإخلاص والتريث ، ثم إن عليه أن يدير دفة الحياة في ذلك الأمر وفق القيم الإسلامية الأساسية التي تتعلق بها المصلحة فيما يخص الموضوع ، حتى يتسنى في النهاية تصحيح فهم منطوق الوحي في الأمر أو تصحيح وجه إدراك الحقيقة العقلية والحسية في القضية التي تتم دراستها .

وبلغة أخرى فإن الباحث أو متخذ القرار المسلم إذا واجهه مثل ذلك الموقف الذي يختلف فيه منطوق الوحي أو إدراكنا له في أى لحظة عما توصلنا إليه في دراساتنا القائمة على الملاحظة الواقعية يكون أمامه حال انتظار تجلى الحقيقة وحل التناقض الموهوم أحد موقفين :

١- أن يتخذ قراراته ويضع خطته في ضوء ما توصلت إليه الدراسات الواقعية رغم علمه بأن عملية البحث تمر بعدد من الخطوات التي ترد على كل منها احتمالات الخطأ : بدءاً من غموض تحديد المشكلة ، وقصور تعريف المفاهيم ، إلى عدم ملائمة المنهج أو الاستراتيجية المستخدمة في دراسة المشكلة ، ثم ضعف صدق وثبات أدوار البحث ، ثم المشكلات المحيطة بعملية جمع البيانات ، ومخاطر الإقرار اللفظي للمبحوثين ، ثم ضعف صدق وثبات التصنيفات ، ومشكلات تمثيل العينة لمجتمع البحث ، ومشكلات الإستنتاج الإحصائي .. إضافة إلى المخاطر التي تهدد الصدق الخارجى للبحث كله ، وغير ذلك من احتمالات الخطأ التي لا تخفى على كل مهتم بتقويم البحوث .

٢- أن يتخذ قراراته ويضع خطته في ضوء أفضل ما يشير إليه فهمنا لمنطوق الوحي ، وذلك على أساس اليقين بأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً ، وأن العلم هو نوع من الرزق الذى يفتحه الله على خلقه بقدر ، وأن ما كان من العلم مقترنا بالواجب فإنه أقرب احتمالاً للصواب من ذلك العلم الجزئى المشوب بالأخطار التى أشرنا إليها آنفاً .

ومن الطبيعى أن الباحث المسلم ومتخذ القرار المسلم ليس أمامهما إلا اختيار البديل الثانى ، انتظاراً لوضوح مصدر التناقض وحل التعارض الظاهرى ، ليتقدم البحث العلمى من جديد بعد ذلك فى الاتجاهات التى تكشف ، وليضيف إلى معرفتنا المتكاملة ... وهكذا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن الواضح أن تحقيق ما بيناه من مسلمات وسبائى فى واقع العمل اليومى للباحثين فى نطاق العلوم الإجتماعية يتطلب نظرة جديدة لطبيعة النظرية فى صلتها بالمشاهدات الإمبيريقية وهو ما سميناه « بثورة التنظير » فى العلوم الاجتماعية .

المراجع والحواشي

- (1) Thomas S. Juhn, The Structure of Scientific Revolution (Chicago: University of Chicago Press, 1962, 1970).
- (2) Andrew Tudor, Beyond Empiricism (London: Routledge & Kegan Paul, 1982) P.3.
- (3) William Gorden "Knowledge and Value : Their Distinction and Relationship in Clarifying Social Work Practice, " in, Beulah Compton& Burt Galaway, Social Work Processes, 2nd ed.(Homewood, Illinois, Dorsey, 1979) P.P. 52-59.
- (4) Ernest Greenwood, "The Practice of Science and the Science of Practice ",in, Warren Bennis, et al., (eds). The Planning of Change (New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1961) P.P.73-82.
- (٥) يذكر القاموس الحديث لعلم الاجتماع أن العلوم الاجتماعية تضم علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا الثقافية والعلوم السياسية والاقتصاد، أما العلوم السلوكية فتضم علم الاجتماع وعلم الناس والأنثروبولوجيا الثقافية وبعض جوانب علم الاقتصاد والعلوم السياسية ، ويشير بعض الباحثين إلى أنه ليس هناك «تعريف محدد ومباشر ومتفق عليه بين كافة العلماء والباحثين حول التسمية الأفضل لهذه المجموعة من العلوم» أنظر : د. علا مصطفى أنور « أزمة المنهج في العلوم الإنسانية » مجلة المسلم المعاصر ، المجلد ١٤ ، العدد ٥٥ - ٥٦ ، يناير - يونيو ١٩٩٠ ، ص ص ١١٥ - ١١٦ .
- (٦) لسان العرب لابن منظور ، مادة « علم » .
- (٧) كتاب التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني (بيروت : دار الكتب العلمية) ص ١٥٥ .
- (٨) الراغب الأصفهاني : الذريعة إلى مكارم الشريعة (المنصورة : دار الوفاء) ص ص ١٧٩ ، ١٨١ .
- (٩) برهان الدين الزرنوجي : تعليم المتعلم (دمشق : دار ابن كثير) ، ص ١٣ .
- (10) Jerome Ravetz "History of Science", in , Encyclopedia Britanica ,15 th ed ,1975, Vol.16, p.366.

(١١) د. عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الإجتماعي ، الطبعة الثامنة (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٢) ص ص ١٩ ، ٢٤ ، ٢٧ .

(12) The Lexicon Webster Dictionary, 1976, P.859.

(13) George Theodorson & Achilles Theodorson, A Modern Dictionary of Sociology (New York: Barnes & Noble, 1969) P.370.

(14) Jerome Ravetz, op.cit., 366.

(15) Ibid., P. 368.

(16) Albert W. Levi "History of Western Philosophy", in Encyclopedia Britanica, Vol. 14, P.P.257 -259.

(17) Op. cit.

(18) Ibid., P.261.

(19) Jerome Ravetz, op.cit., PP.370 - 371.

(20) Stephen E. Toulmin, "Philosophy of Science", in Encyclopedia Britanica, Vol.16, P.378.

(21) Albert Lev, op.cit, P.265.

(22) Ibid.,P.263.

(23) Jerome Ravetz, op.cit. p. 371.

(24) Ibid.,P. 372.

(25) Albert Levi, op.cit., P.267.

(26) Stephen Toulmin, op.cit., P. 379.

(28) Albert Levi, op.cit., P. 270.

(29) George Theodoeson and Achilles Theodoeson, op. cit., P. 306.

(30) Herbert Feigl."Positivism and Logical Empiricism" in Encyclopedia Britanica, Vol.14, P.877.

(32) Theodorson & Theodorson, op.cit, P. 307.

(33) Herbert Feigl, op, cit.,PP. 878 -879. 881; and, Albert Leivi, P. 273.

- (34) Herbert Feigl, op. cit., P.881.
- (35) Andrew Tundor, op.cit., P.3.
- (36) Albert Levi, op.cit., P.P.272 - 273.
- (37) Herbert Feigl, op.cit., p. 878.
- (38) Stephen Toulmin, op. cit., P. 383.
- (39) Jerome Ravetz, op. cit.,P. 393.
- (40) Johan Galtung, Methodology and Ideology (Copenhagen: Christian Ejlers,1977) P.13.
- (41) Stanley Witkin & Shimon Gottschalk "Alternative Creteria for Theory Evaluation", Social Servise Review, June 1988, P. 213.

(٤٢) د. فؤاد أبو حطب « نحو وجهة إسلامية لعلم النفس » بحث مقدم إلى ندوة علم النفس : المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة ١٩٨٩ ، ص ص ٢٣ - ٢٤.

- (1) Keith Dixon , Sociological Theory: Pretence and Possibility (London : Rountledge & Kegan Paul 1973), P.26.
- (2) H,J,Eysenck & S.Rachman, The Causes and Cures of Neurosis (London:Rountledge & Kegan Paul, 1967) PP.XI - XII.
- (3.a.) George Ho"ward "The Role of Values in the Science of Psychology"American Psychologist, Vol. 40, No.3, March 1985, P.259.
- (3.b.) H.J.Eysenck and S. Rachman, op. cit ., P.XII.
- (4) Rene V. Dawis, " Old Philosophies and New Kids on the Block, "Journal of Counseling Psychology , Vol.31, No.4, 1984, PP.467, 469.
- (5) Joseph Hess, "Social Work's Identity Crisis" , Social Thought, Winter 1980, PP.59 -61.
- (12) Sonold Ford "Reexamining Guiding Assumptions: Theoretical and Methodological Implications" Journal of Counseling Psychology, Vol. 31, No. 4 1984, P.464.

(13) As quoted by Donald Polkinghorne, "Further Extentions of Metodhlogical Diversity for Counseling Psychology" . Journal of Counseling Psychology, Vol. 31, No4, 1984, P.416.

(14) Roger Sperry " Psychology's Mentalist Paradigm and the Religion/Science Tension", American Psychologist , Vol 43, No 8, August 1988, PP. 608 -609.

(15) Ibid .

(١٥) علا مصطفى أنور ، مرجع سابق ، ص ص ١٢١ - ١٢٣ .

(20) Ibid., PP. 611 - 612.

(٢١) روبرت أجروس ، جورج ستانسيو ، العلم فى منظوره الجديد، ترجمة كمال خلايلي ، (الكويت : المجلس الوطنى للثقافة الفنون والآداب، ١٩٨٩) ص ص ٨٦ - ٩٠ .

(٢٢) عبد الحميد الهاشمى « صبغ علم النفس بالصبغة الإسلامية » ، مقال ضمن كتاب : العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية ، إعداد د. إسماعيل الفاروقى ، د. عبد الله عمر نصيف ، ترجمة د. عبد الحميد الخريبي (جدة : شركة مكتبات عكاظ ، ١٩٨٤) ص ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢٣) مالك بدرى « مدمن الكحول : هل يستطيع الإسلام إنقاذه ؟ » مجلة المسلم المعاصر العدد ٢٢ أغسطس - أكتوبر ١٩٨٢ (ص ص ١٢٩ - ١٣١) .

(٢٤) أجروس وستانسيو ، مرجع سابق ، ص ص ٥٨ - ٥٩ .

(25) E.F,O'Doherty, Religion and Psychology, (New York : Alba House) P.6.

(26) Ibid, PP. 15 -16 .

(٢٧) أجروس وستانيو، مرجع سابق ، ص ص ٨٣ - ٨٥ .

(28) Allen Bergin, "Religiosety and Mental Health' , Professional Psychology, Vol.14, No. 2, 1983, p.170.

(29) Allen Bergin, " Psychotherapy and Religious Values", Journal of Consulting and Clinical Psychology, Vol. 48 , No.1, 1980, PP.95 - 105.

(30) Martin Marty, " Social Service : Godly and Godless ", Social Service Review, Dec. 1980, P. 470.

(31) Joseoh Hess , op. cit., P. 62.

(38) Edward Canda " Spirituality, Religious Diversity , and Social Work Practice", Social Casework, April 1988, P.238; See also: James Midgley et al , " Social Work , Religion, and The Global Challenge of Fundamentalism" International Social Work, Vol. 32. 1989, P. 276.

(٤١) محمد أمزيان « تلازم الموضوعية والمعيارية في المتودولوجيا الإسلامية » ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي - قسطنطينة ، الجزائر ، سبتمبر ١٩٨٩ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلام ، ص ١ .

(42) Alvin Gouldner " Anti - Minotaur: The Myth of a Value - Free Sociology" For Sociology: Renewal and Critique in Sociology Today, Penguin Books, 1973.

(٤٣) يمكن الرجوع لتفصيلات تلك الظروف في مقال جولدنر ص ص ٦ - ١١ .

(44) Gouldner, op. cit., P.P.20 - 21.

(٤٥) محمد أمزيان ، مرجع سابق ، ص ص ٦ - ٨ .

(٤٦) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٤٧) د. إسماعيل الفاروقي « صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية » مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٢٠ ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٤ .

(٤٨) نفس المرجع السابق .

(49) A. Rashid Moten " Islamization of Knowledge : Methodology of Research in Political Science' Ameican Journal of Islamic Social Sciences, Vol. 7, No 2, 1990 P. 170.

(50) William Goode and Paul Hatt, Methods in Social Research (New York: Mc Graw-Hill, 1952) P.20.

- (٥١) أجروس وستانسيو ، مرجع سابق ، ص ٩٧ - ١٠١ .
- (52) Stanly Strong " Reflections on Human Nature, Science, and Progress in Counselung Psychology", Journal of Counselung Psychology, vol. 31, No 4, p 471.
- (٥٣) علا مصطفى أنور ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .
- (٥٤) محمد أمزيان : مرجع سابق ، ص ١٥ .
- (٥٥) إسماعيل الفاروقى « صياغة العلوم .. » ، مرجع سابق ص ٣٦ - ٣٧ ، مع مراجعة علي النص كما أورده الفاروقى ونصيف ، مرجع سابق، ص ٣٢ - ٣٣ .
- (56) Howard Goldstein "The Neglected Moral Link in Social Work Practice", Social Work, May - June , 1987, P.182.
- (57) Colin Peile, " Research Paradigms in Social Work:From Stalemate to Creative Synthesis" , Social Service Review, March 1988, P.P 4 - 11 .
- (58) Witkin & Gottschalk, op.cit., P.P.211 - 222.
- (٥٩) إسماعيل الفاروقى « إسلامية المعرفة » ، المسلم المعاصر العدد ٣٢ ، ١٤٠٢ هـ، ص ١٧ - ١٨ .
- (١) إسماعيل الفاروقى : إسلامية المعرفة ، ترجمة د. عبد الحميد أبو سليمان (واشنطن : المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٨٦) ص ٧٥ - ١١٧ .
- (٢) طه جابر العلوانى : إسلامية المعرفة ، سلسلة محاضرات دورة ستراسبورج ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٨٨ ، ص ٢٨ .
- (٣) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ .

مداخل التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية

(مع اهتمام خاص بمهن المساعدة الإنسانية)

د. إبراهيم عبدالرحمن رجب

لقد أدرك المشتغلون بالعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية فى معظم البلدان الإسلامية منذ سنوات طويلة ، ولكن بدرجات متفاوتة من الوضوح والشدة ، أن هذه « العلوم » تواجه أزمة فى المنهج والمحتوى تجعلها قاصرة عن فهم الإنسان والمجتمع على الوجه المأمول بعد سنوات وسنوات من البحوث الامبيريقية ومحاولات بناء النظرية؛ وأن تلك « المهن » تواجه أزمة فى الهوية كما تواجه أزمة فيما يتصل بدرجة فاعليتها فى تحقيق الآمال المعقودة عليها من حيث إحداث التغييرات المنشودة فى الفرد والجماعة والمجتمع .

ولقد أدرك الجميع أن الخروج من دائرة هذه الأزمة .. وأن التوصل إلى فهم أفضل وأعمق للإنسان والمجتمع ... وأن تحقيق درجة أرقى من الفاعلية لجهود الإصلاح ... كل ذلك انما يتوقف على إيجاد درجة أكبر من التوافق بين العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية من جانب وبين الواقع المادى والاجتماعى والثقافى للمجتمعات التى تجرى فيها البحوث أو تتم فيها الممارسة من جانب آخر .

ولكن الباحثين والممارسين المسلمين بعد هذا الاتفاق العام على ضرورة إتخاذ اجراءات لإصلاح مناهجهم ونظرياتهم وطرقهم فى التدخل قد تبنوا مواقف متباينة ، واتجهوا اتجاهات شتى فى تصورهم للمدى وللطريقة التى ينبغى أو التى يمكن بها تحقيق ذلك التوافق مع الأطر المادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المسلمة . (أو حتى غير المسلمة كما سنرى فيما بعد) .

فلقد رأى البعض أنه لامناص من التسليم بضرورة أخذ الواقع المادى والبنائى المميز للمجتمعات العربية والإسلامية التى تتم فيها البحوث والممارسة فى الاعتبار ، ولكن كانت لهم تحفظاتهم على أخذ العوامل « القيمية والثقافية » فى الاعتبار فى البحوث والممارسة ، على أساس « اعتقادهم » بضرورة ابتعاد العلوم والمهن عن مجال التقييم تجنباً للخلافات فى التوجهات من جهة ، ولعدم امكان التحقق الامبيريقى من صحة القيم والتفضيلات المجتمعية من جهة أخرى ، وبطبيعة الحال فإن هؤلاء - من باب أولى - قد اعترضوا أشد الاعتراض على إدماج « العوامل الروحية والدينية » فى نظرياتهم وبحوثهم وممارساتهم .

ولكن الكثيرين غيرهم قد ارتأوا أنه لايمكن الاستجابة لظروف وأسباب الأزمة التى تواجهها العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية فى العالم الإسلامى بشكل جاد ما

لم يؤخذ الإسلام فى الاعتبار عند دراسة المجتمعات الإسلامية أو عند التدخل المهنى ما دام الإسلام هو العنصر الثقافى الحاكم (أو على الأقل أنه من العناصر المؤثرة والفاعلة) فى الحياة والثقافة فى المجتمع المسلم .

وقد تبلورت هذه الاستجابة فى السنوات الأخيرة بوضوح فى شكل ما أصبح يسعى بأسلمة المعرفة ، أو إسلامية المعرفة ، أو أسلمة العلوم ، أو التوجيه الإسلامى للعلوم ؛ وفى نطاق العلوم الاجتماعية : التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية أو التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية ، أو ما أشبهها من المسميات ، وقد بذلت جهود كثيرة - وإن كانت متفرقة فى الغالب الأعم - للاستجابة لتلك الدعوة التى بدأت تكتسب الآن أبعاد ما يمكن اعتباره « ثورة علمية » لاستهداف فى جملتها ما هو أقل من إعادة النظر بطريقة جذرية فى مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية ، وفى كل منتجاتها النظرية ، وفى نظريات الممارسة فى مهن المساعدة الانسانية فى ضوء معطيات الإسلام .

غير أن الجهود التى بذلت حتى الآن فى نطاق التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية تتفاوت فيما بينها تفاوتاً شديداً من حيث الافتراضات الضمنية أو الظاهرة التى تقوم عليها ، مما يؤدى فى كثير من الأحيان إلى اللبس والغموض ، أو إلى السير فى طرق جانبية لا تحقق الهدف المنشود ، مما يؤدى فى كل الحالات إلى صرف الجهود فى غير طائل ، وإلى تكثير صفوف المعارضين على ما يظنون أنه يمثل جهود الأسلمة أو التأصيل الإسلامى تمثيلاً صحيحاً - رغم أنه ليس كذلك فى حقيقته .

ومن هنا تأتى أهمية المراجعة النقدية للكتابات التى تندرج عادة ضمن جهود أسلمة المعرفة أو التأصيل الإسلامى فى نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية ، واستجابة لذلك فإننا سنحاول فى هذه الدراسة أن نتعرف على « المداخل » التى تنطلق منها الكتابات فى هذا المجال ، وأن نتبين ملامح الأرضية التى ينطلق منها كل مدخل من تلك المداخل ، ثم نتناولها تناولاً نقدياً بما نرجو أن يبين الطريق أمام الباحثين عندما يحاولون تقدير قيمة كل نوع من تلك الكتابات ، أو عندما يخططون للإسهام فى الجهود المتنامية للتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية .

ولما كان الحكم على الشئ فرعاً عن تصويره ، فقد كان من الضرورى أن ننطلق من تصور محدد لماهية أسلمة المعرفة أو التأصيل الإسلامى ، مع استخلاص المعايير التى ينبغى تطبيقها للتمييز بين المداخل المختلفة التى تنتمى إليها ، ومن هنا فإننا سنبدأ هذه الدراسة بتعريف الأسلمة أو التأصيل ، وتحديد المعايير التى تستخدم فى التمييز بين المداخل المختلفة ، ثم نتعرض لكل مدخل منها بشئ من التفصيل مع إعطاء أمثلة محدودة منها من الكتابات الواقعية ، دون أى محاولة لحصر تلك الكتابات أو تصنيفها فهذا مما يخرج عن أهداف هذه الدراسة .

وسيلاحظ القارئ أننا جمعنا في هذه الدراسة بين « العلوم » الاجتماعية و « مهن » الممارسة الإنسانية ، وأتينا ركزنا فيما يتصل بتلك « العلوم » على أمثلة مستمدة من علم النفس وعلم الاجتماع ، وفي « المهن » على الخدمة الاجتماعية أساسا ، ويرجع ذلك إلى أن اهتمامنا الأصلي منصب على مهنة الخدمة الاجتماعية ، ولكن لما كانت هذه المهنة تستفيد في بناء قاعدتها المعرفية المتصلة بفهم الإنسان والمجتمع البشري من علم النفس وعلم الاجتماع (إضافة إلى علم الاقتصاد والعلوم السياسية وغيرها) وأنها بالتالي تشترك معها في نفس القطاعات من الظواهر التي يتم التعامل معها ، فإن هناك توازيا ملحوظا فيما يتصل بقضايا التأصيل الإسلامي بين هذه التخصصات الثلاثة مما يبرر الجمع بينها في دراسة واحدة حول هذا الموضوع ، ومن هنا فإننا سنستخدم - للسهولة فقط - من الآن فصاعدا اصطلاح التأصيل الإسلامي « للعلوم الاجتماعية » للدلالة على مجموع اهتمامات هذه التخصصات الثلاثة في المواضيع التي نتحدث فيها الواقف ، مع الإشارة إلى التخصص المقصود على حدة كلما اختصت المناقشة به وحده .

المبحث الأول : مفهوم التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية

لقد بدأت إرهاصات الربط بين العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية من جانب وبين الإسلام من جانب آخر منذ انتصاف هذا القرن فى مصر ، حيث عبر البعض على استحياء فى محاضراتهم وفى بعض الكتابات المحدودة عن أهمية تلك القضية ، إلا أنه يبرز من بين تلك الأعمال بوضوح الرسالة التى قدمها د. فؤاد عبدالله نويرة - يرحمه الله - إلى إحدى الجامعات الأمريكية (١٩٥٨) والتى حاول التوصل فيها إلى مبادئ للخدمة الاجتماعية مستمدة من القرآن الكريم ، ولكن هذه الجهود كانت بمثابة قطرة فى بحر نقل إسهامات « العلوم الحديثة » من الدول الأخرى « المتقدمة » أو التى « سبقتنا فى هذا المجال » .

ولابد هنا من كلمة حق تقال ، فإن أحوال العالم الإسلامى فى تلك السنوات الباكورة كانت على مستوى لا يكاد يطمح معه أحد فى أكثر من « استيعاب » مالى الآخرين ، دون أمل فى « اللحاق » بهم ، ناهيك عن « تجاوزهم » ، ومن هنا فإننا نستطيع أن نتفهم الحقيقة الواقعة وهى أن التيار العام للعلوم والمهن كان جل اهتمامه هو مجرد «نقل» المنتجات الحديثة أكثر من « نقدها » ، يدعم هذا اتجاه عام فى المجتمعات لطرده القوات الاستعمارية وتحقيق « الانتصار » لإرادة الشعوب الإسلامية ظاهرياً .

ولكن فشل تطبيق النموذج العلمى « المتقدم » فى قطاع دراسات الانسان والمجتمع على أرضه وعلى أرضنا ، إضافة إلى تغير الاتجاهات فى المجتمعات الإسلامية التى بدأت الصحوة الإسلامية تبث فيها روح الثقة والأمل من جديد ... كل هذا قد ساعد على تغيير الصورة إلى حد كبير .

وعلى أى حال فإننا وبدون دخول فى التفاصيل نستطيع أن نعتبر أن إطلاق إشارة البدء الحقيقية لحركة التأصيل الإسلامى للعلوم قد جاءت بعد ذلك بسنوات طويلة فى مقال ترجم بعنوان « أسلمة المعرفة » للدكتور إسماعيل الفاروقى (١٩٨٢) ، وإذا كان ذلك المقال قد سبقه عمل آخر للفاروقى قدم فى أحد المؤتمرات العلمية عام ١٩٧٧ وترجم بعنوان « صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية » (١٩٨٠) ، إلا أن المقال المشار إليه أولاً قد جاء حاوياً لبرنامج واضح ومتكامل للتأصيل الإسلامى لكل العلوم لأول مرة ، كما جاء متضمناً لمراحل وخطوات محددة تعتبر حتى اليوم بمثابة علامة بارزة على الطريق فتحت الأبواب أمام إسهامات متعددة انطلقت من نفس المنطلق ، بل وأطلقت جهوداً مؤسسية واعية ومنظمة لتحقيق أهداف هذا البرنامج بشكل جاد .

غير أن الترجمة العربية للاصطلاح الأصلي وهو Islamization of Knowledge إلى « أسلمة المعرفة » قد أثارت شيئاً من الجدل لدى البعض ممن رأوا أن المعرفة « محايدة » و « عالمية » ولا يمكن أن توصف بأنها مسلمة أو كافرة ، إضافة إلى أن البعض الآخر قد وجد شيئاً في دلالة الاشتقاق اللفظي على المضمون فاختر ترجمته « بإسلامية المعرفة » بدلا من ذلك .

وقد رأى آخرون الخروج بالكلية من الخلاف ولو بالعدول عن استخدام لفظ واحد (أسلمة ، إسلامية) إلى اصطلاح مركب فاتجهوا إلى استخدام اصطلاح « التأصيل الإسلامي للعلوم » ، ولكن هؤلاء أيضا لم يسلموا من النقد على أساس أن لفظ « التأصيل » يوحي برد شيء إلى أصله الذي كان موجودا من قبل في صورته الحالية أو في صورة مشابهة لها ، ولما كان من المسلم به أن العلوم الحديثة بالصورة التي نتعامل معها الآن نتاج حديث أسهمت الحضارة الغربية في بلورة مناهجه وفي التوصل إلى نتائجه بنصيب الأسد ، فقد رأى البعض أنه ليس تلك العلوم الحديثة « أصل » كان موجودا لدى المسلمين ولكنه اندثر ومهمتنا هي العودة إليه .

ومن هنا فإن الكثيرين قد بدأوا اليوم يميلون إلى استخدام اصطلاح جديد للدلالة على المقصود وهو اصطلاح « التوجيه الإسلامي للعلوم » ، الذي يتلافى الإيحاء بمعان قد يجد البعض غير مقبولة ، ويبدو أنه ليس هناك ما يحول دون استخدام هذا الاصطلاح في الوقت الحاضر على الأقل .

ولكن ما يهمنا أن نثبته هنا بوضوح هو أن معظم من يستخدمون هذه المصطلحات إنما يشيرون في الحقيقة إلى مفهوم « واحد » في جوهره ، وأن الخلاف بينها إنما هو جوهره خلاف لفظي ، وهذا أمر متوقع باعتبار أن حركة البحث عن الأصول الإسلامية لتوجيه العلوم الحديثه لازالت كما رأينا في بداياتها الأولى ، ومن المتوقع ألا ينقضي وقت طويل حتى يستقر استخدام هذه المصطلحات ، ولذلك فإن جهدنا ينبغي أن ينصب الآن على تحري المعنى أو « المفهوم » الذي يكمن وراء هذه المصطلحات جميعها بدلا من المناقشة الشكلية المنصبة على الألفاظ ، وسنكتفي باستخدام اصطلاح « التأصيل الإسلامي » للدلالة على المعنى الذي نتحدث عنه تلك المصطلحات جميعها .

تعريف التأصيل الاسلامي :

لقد قام الدكتور الفاروقي يرحمه الله بتعريف أسلمة المعرفة أو إسلامية المعرفة بأنها « إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام بها .. أي إعادة تحديد وترتيب المعلومات ، وإعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترباطها ، وإعادة تقويم النتائج ، وإعادة تصور الأهداف ، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن .. من إغناء وخدمة قضية الإسلام (الفاروقي ، ١٩٨٢ : ٥٤) وقد بين أن تحقيق تلك الأهداف يمكن أن يتم من خلال :

١ - فهم واستيعاب العلوم الحديثة فى أرقى حالات تطورها والتمكن منها ، وتحليل واقع تلك العلوم نقديا لتقدير جوانب القوة والضعف فيها من وجهة نظر الإسلام.

٢ - فهم واستيعاب اسهامات التراث المنطلق من فهم المسلمين للكتاب والسنة فى مختلف العصور ، وتقدير جوانب القوة والضعف فيه ، فى ضوء حاجة المسلمين فى الوقت الحاضر ، وفى ضوء متطلبات المعرفة الحديثة .

٣ - القيام بتلك القفزة الابتكارية الرائدة اللازمة لايجاد تركيبية تجمع بين معطيات التراث الإسلامى ونتائج العلوم العصرية بما يساعد على تحقيق غايات الإسلام العليا (الفاروقى ، ١٩٨٢ : ١٧ - ٢١) .

ولقد حاول محمد رفقى عيسى تحديد مفهوم أسلمة المعرفة فذكر أنها « .. اشتقاق الأسس الشرعية والاستفادة مما توصل إليه علماء الغرب من نتائج مادية تساهم فى عمار الأرض وقيام الانسان بوظيفته المرتضاة له دينا ، وتوجيه هذه النتائج فى سبيل تحقيق الغاية من هذا الوجود » (عيسى (١٩٨٦) : ص ص ٢٣ - ٢٤) .

أما د. عماد الدين خليل (١٩٩٠ : ص ص ٨ - ١١) فقد عرف أسلمة المعرفة أو إسلامية المعرفة بأنها تعنى « ممارسة النشاط المعرفى كشفا ، وتجميعا ، وتركيبا ، وتوصيلا ، ونشرا ، من زاوية التصور الإسلامى للكون والحياة والانسان » ، ثم بين أن مقصوده من النشاط المعرفى هو « ... تسليط العقل البشرى - أو بعبارة أدق القدرات العقلية البشرية - على الظواهر المادية والحيوية والروحية والانسانية فى مدى الكون والعالم والحياة » ، كما أوضح أن « المعرفة » إنما هى مجرد وجه آخر من وجوه حياة الانسان التى ينبغى أن توجه إسلاميا « ... وذلك من أجل أن تصبح الحياة البشرية بكافة أنشطتها وصيغها إسلامية التوجه ، إسلامية الممارسة ، إسلامية المفردات ...

إن إسلامية المعرفة هنا لاتعنى فقط الدعوة لتحقيق الوفاق بين معطيات العلوم الانسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق ، وإنما تعنى قبل هذا وبعده احتواء الأنشطة المعرفية الانسانية على المستويين النظرى والتطبيقي معا من أجل جعلها تتحقق فى دائرة القناعات الإيمانية وتتشكل وفق مطالبها وتصوراتها الشاملة..».

وقد فضل أحد الأقسام العلمية بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية استخدام تعبير « تأصيل العلوم إسلاميا » على تعبير أسلمة العلوم وعرفه بأنه « جعل جميع العلوم التى تدرس فى العالم عامة - وفى العالم العربى والإسلامى خاصة - منطلقة ومنبثقة من أصول الإسلام ومفاهيمه العقائدية المبنوثة فى القرآن والسنة والمحددة لمفاهيم : الألوهية والانسان والكون والحياة ، والعلاقة بين كل منها ، ورفض إقامة العلوم على أصول ومفاهيم تتعارض مع العقيدة الإسلامية ومقتضياتها » (مركز البحوث ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤) .

كما قامت اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامى بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بتعريف « التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية » على أنه :

« تأسيس تلك العلوم على ما يلائمها فى الشريعة الإسلامية من أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليها ، وبذلك تستمد العلوم الاجتماعية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة ولا تتعارض فى تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع الأحكام الشرعية ، ولا يعنى ذلك بطبيعة الحال أن تدخل العلوم الاجتماعية فى اطار العلوم الشرعية وإنما المهم ألا تتعارض معها . ولا تتعارض عملية التأصيل بهذا المفهوم العام مع أى تقدم علمى وتطور منهجى لا يناقض المنهج الإسلامى على أساس أن الإسلام دعا إلى العلم وحث عليه » .

وقد رأت اللجنة أن هذا يمكن تحقيقه من خلال العناصر التالية :

١ - وضع تصور إسلامى متكامل عن الانسان والمجتمع والثقافة بحيث يمثل الاطار الفكرى العام لدراسة القضايا والموضوعات المطروحة فى مجال العلوم الاجتماعية .

٢ - وضع منهج إسلامى متميز لتلك العلوم يطلق عليه المنهج الإسلامى للعلوم الاجتماعية ينبنى عليه قيام مدرسة متميزة فى العلوم الاجتماعية تسمى المدرسة الإسلامية فى العلوم الاجتماعية .

٣ - العودة إلى الأصول الإسلامية والتراث الإسلامى القويم عند دراسة القضايا التربوية والاجتماعية والنفسية للاستفادة من هذا التراث .

٤ - إبراز المبادئ والمسلمات والمفاهيم والمنطلقات التى تعبر عن التصور الإسلامى للعلوم الاجتماعية وتصحيح النظريات والمفاهيم الاجتماعية على ضوء تلك .

٥ - عرض نتائج البحوث الاجتماعية على القواعد الإسلامية والتصورات الصحيحة فما انسجم معها قبل وما تعارض معها رُفِضَ وما كان جديدا لا يناقض الحقائق والمسلمات الإسلامية قبل باعتباره اضافة سليمة إلى المعرفة .

أما بالنسبة للتأصيل الإسلامى لعلم النفس فقد تم تعريفه على أنه « اقامة هذا العلم على أساس التصور الإسلامى للانسان ، وعلى أساس مبادئ الإسلامى وحقائق الشريعة الإسلامية بحيث تصبح موضوعات هذا العلم وما يتضمنه من مفاهيم ونظريات متفقة مع مبادئ الإسلام - أو على الأقل - غير متعارضة معها » (محمد عثمان نجاتي، ١٩٨٩ ، ص ص ٦ - ٧) .

أما عن « التوجيه الإسلامى لعلم النفس » فإنه قد عُرِفَ (كمال مرسى : ١٩٩١ : ٢٥) على أن المقصود به « إيجاد وجهة علمية Scientific Paradigm لهذا العلم فى

البلاد الإسلامية ، مستمدة من منهج حياتها ، توجه علماء النفس المسلمين فى نظرتهم إلى الانسان ، وفى تفسير سلوكه ، وفى وضع برامج تنمية صحته النفسية ، ووقايته من الانحراف ، وعلاج انحرافاتة ، وفى اختيار موضوعات البحوث ، وتفسير نتائجها...» .

ولقد يكون من الممكن فى ضوء ماسبق أن نعرف « التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية » أو التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية إختصاراً بأنه يعنى « بلورة أبعاد التصور الإسلامى للانسان والمجتمع والكون ، واستخدام هذا التصور كأساس معرفى تنطلق منه العلوم الاجتماعية ليكون موجهاً لنظرياتها ومفسراً لحقائقها ومشاهداتها التى ثبتت صحتها بالتجربة ، أو الدليل العلمى المحقق » ، ويلاحظ أننا قد حاولنا فى هذا التعريف أن نوضح الصورة التى ينبغى أن تكون عليها العلاقة بين معطيات التصور الإسلامى من جانب ، وبين معطيات المشاهدة الحسية التجريبية من جانب آخر، على أساس أن التصور الإسلامى المنطلق من اجتهاد المسلمين فى فهم الوحي يمثل الاطار النظرى الأشمل (الذى يمكن أن يضم أطراً تصورية « تفصيلية » فى داخله بالطبع) الذى ينطلق منه التنظير لفهم الانسان والمجتمع (سواء فيما يتصل بأحوالهما فى هذه الحياة الدنيا مباشرة ، أو فى تأثر تلك الأحوال بما ينتظرهما فى الحياة الباقية) والذى يتم فى ضوئه تفسير الحقائق الامبيريقية أو الملاحظات والمشاهدات التى يتم التوصل إليها من خلال الدراسات الواقعية ، بما نعتقد أنه يعالج الازدواجية المنهجية التى أدت بهذه العلوم إلى الحال التى نجدها عليها الان ، وقد فصلنا القول فى هذه القضية فى غير هذا الموضع (ابراهيم رجب ، ١٩٩١) .

وفى ضوء التعريف السابق يمكن لنا أيضاً وبنفس القياس أن نعرف « التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية » بأنه « بلورة أبعاد التصور الإسلامى للطبيعة البشرية ، وللسنن النفسية والاجتماعية التى تحكم السلوك البشرى والتنظيمات المجتمعية ، وكذلك لأسباب المشكلات الفردية والاجتماعية ، واستخدام هذا التصور لتفسير الحقائق العلمية الجزئية التى تستند اليها ممارسة المهنة ، وكذا لتوجيه المبادئ والقيم المهنية المتضمنة فى نظريات الممارسة وأساليب التدخل المهني » .

وقد يقول قائل أنه إذا كانت الخدمة الاجتماعية تستند إلى قاعدة علمية مستمدة من علوم النفس والاجتماع والاقتصاد وغيرها من العلوم الاجتماعية ، وإذا كانت تلك العلوم إذا تم تأصيلها ستكون قد « بلورت » أبعاد التصور الإسلامى للطبيعة البشرية والسنن النفسية والاجتماعية ... الخ ، فكيف يتضمن تعريف التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية « بلورة » هذا التصور مرة أخرى ، وبطبيعة الحال فإن هذه الحجة تقوم على أن العلوم الاجتماعية قد بلورت تلك الأبعاد أو أنها ستبلورها فى المدى القريب

نسبياً ، ولكن خبرتنا كمهنيين قد دلّتنا على أن تناول العلوم النظرية للقضايا الواقعية عادة ما يتطلب وقتاً طويلاً لأن تلك العلوم لاتواجه الحاج الواقع على الوجه الذى تصادفه مهن المساعدة الانسانية ، مما يجعل من المحتم على تلك المهن أن تتخذ زمام المبادرة أحياناً لكى تقوم بما كان ينبغى أن يقوم به غيرها ممن تعتمد عليهم في قاعدتها العلمية ، حتى لا يطول انتظارها حال وقوفها على خط المواجهة الساخنة مع مشكلات الواقع ، ومن هنا فإن الخدمة الاجتماعية لاتملك فى هذه الأحيان إلا أن تبلور لنفسها من المعارف التى وان لم تكن درجة صدقها محققة أو محددة بالمقاييس الاحصائية إلا أنها كافية لتوجيه تدخلها المهني فى المواقف المحددة التى تواجهها يومياً وتنتظر اتخاذ قرار لأنها لاتملك رفاهية الانتظار - مع الاستفادة الكاملة بطبيعة الحال من أى شذرات نظرية تكون تلك العلوم قد توصلت إليها ، ثم إن تلك العلوم إذا توصلت فى النهاية إلى معارف متحققة من صدقها فإنها ستسارع بلا ريب فى الاستفادة منها .

المبحث الثانى : شروط التأصيل الإسلامى الصحيح

إن المتأمل لجميع التعريفات السابقة يجد أنها - رغم بعض الاختلافات فى الصياغة وفى درجة الإجمال أو التفصيل - تجتمع على معان رئيسية مشتركة يمكن لنا أن نعتبرها شروطاً للتأصيل الإسلامى الحق ، ويمكن لنا أن نطبقها علمياً فى جملتها باعتبارها معياراً للتمييز بين ما يندرج فى إطار جهود التأصيل الإسلامى أو التوجيه الإسلامى الصحيح وبين ما لا يندرج تحته من إسهامات ، أما ما يتجاوز تلك المتطلبات مما ورد فى التعريفات فلا يعدو فى الحقيقة أن يكون من نوع « الضوابط » التى يرى البعض ضرورة التأكيد عليها ومن نوع « التفضيلات » التى تبين الكيفية التى تتم بها عملية التأصيل ذاتها مما يمكن التجاوز عنه فى هذه المرحلة ، لنعود إليها عند الحديث عن التأصيل الإسلامى بالمعنى الشامل ، وفيما يلى نسوق الشروط المحددة المذكورة .

يتطلب التأصيل الإسلامى للعلوم أو التوجيه الإسلامى للعلوم توافر الشروط الثلاثة الآتية مجتمعة :

١ - الانطلاق من ادراك واضح لأبعاد « التصور الإسلامى » للانسان والمجتمع والكون المنبثق من الكتاب والسنة ، ولما يتضمنه تراث الإسلام مما يرتبط بالتخصص ، مع نظرة نقدية لإسهامات علماء المسلمين حول قضاياها .

٢ - استيعاب « العلوم الحديثة » فى أرقى صورها ، مع القدرة على نقدها والاستفادة منها ، وتجاوزها بشكل بناء كلما اقتضى الأمر ذلك .

٣ - ايجاد « تكامل حقيقى » بين معطيات التصور الإسلامى من جانب ، وبين إسهامات العلوم الحديثة من جانب آخر ، وليس مجرد الجمع أو التجاوز المكانى أو حتى المزج بينهما دون وحدة حقيقية .

تلك هى الشروط التى تجمع التعريفات التى عرضناها فيما سبق على ضرورة توافرها إذا كنا نتحدث عن تأصيل إسلامى أو توجيه إسلامى على أى وجه جاد ، وهى فى الوقت ذاته تعتبر كالمقياس أو المعيار الذى يمكن أن تقاس به الإسهامات فى هذا المجال .

ومن الواضح أن هذه الشروط أو المتطلبات الثلاثة ينبغى أن تتوافر « مجتمعة » لكى يصح أن نحكم على أى جهد أو إسهام بأنه ينتمى حقاً لما يعتبر من قبيل التأصيل الإسلامى للعلوم بمعناه الصحيح ، وبطبيعة الحال فإن توافر هذه الشروط النموذجية فى أى عمل واقعى محدد إنما هو امر غير متوقع ، فأى إسهام أو عمل بعينه قد يقترب أو يبتعد عن هذا النموذج بدرجات متفاوتة ، فقيمة « النموذج » لا تكمن فى طلب تحقيقه كاملاً فى الواقع ، وإنما قيمته فى توجيه الأعمال حتى تسير فى اتجاهه وتقترب منه بقدر الامكان وبشكل تراكمى ، ومن جهة أخرى فإن إبراز معالم النموذج يفيدنا من الناحية السلبية فى أنه يكون بمثابة جرس الانذار الذى ينبه إلى أن الجهود التى تسير فى غير اتجاهه (أو فى عكس الاتجاه) لن توصل إلى الهدف - بفرض صحة النموذج طبعاً .

المبحث الثالث : مداخل التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية

الواقع أن كل من يراجع الكتابات والأعمال التى يدرجها أصحابها فى عداد جهود التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية سيلاحظ أن بعضاً منها تتوفر فيه بالفعل تلك الشروط الثلاثة مجتمعة بما يحملنا على الظن أنها على الأقل تسير فى الاتجاه الصحيح - سواء نجحت فى ذلك أم لم تنجح ، كما أنه سيلاحظ أن بعض الجهود الأخرى قد يتوافر فيها شرط أو شرطان فقط من شروط التأصيل الحق ، وهنا فإنه لا يكون بوسعنا إلا أن نحكم على تلك المحاولات بأنها تفتقد الطريق الصحيح ، أو أنها تتوقف عند بعض مراحله - دون أى أحياء بالانتقاص من قيمتها فى ذاتها ، فالكثير من تلك الأعمال التى تفتقد شرطاً من شروط التأصيل الجيد بذل فيها جهد كبير ، وقد تكون لها منفعتها التى لا شك فيها ، ولكن هذا ليس هو ما يعنينا فى هذه الدراسة ، لأن اهتمامنا منصب أساساً على درجة متابعة تلك الأعمال لأهداف التأصيل ، والسير فى الطريق الصحيح أكثر منه على تحديد قيمة الأعمال فى ذاتها وبالنسبة لأهداف جانبية أخرى قد تكون لها قيمتها الكبيرة .

وببصيص تلك ، سواعد على الأعمال والكتابات التي تندرج عادة تحت مسمى التأصيل قد تبين لنا أن بعضها فقط كما ذكرنا يستحق هذه التسمية (لاستيفائه للشروط لثلاثة) ، كما تبين أن البعض الآخر يندرج في نطاق مايمكن أن نسميه بجهود أو مدخل « مادون التأصيل » أو « ما قبل التأصيل » أو « شبه التأصيل » وذلك لعدم استيفائها لشروط أو أكثر من تلك الشروط الثلاثة (مع وجود اعتبارات أخرى وأهداف جانبية قد تكون لها وجاهاتها يحاول أصحاب تلك الأعمال تحقيقها كما ذكرنا) .

ومن هنا فقد أمكن لنا أن نميز بوضوح بين المدخل المختلفة الآتية :

أولا : مدخل ما قبل التأصيل :

- (١) مدخل الملازمة الاجتماعية والثقافية .
- (٢) المدخل الدفاعي (أو الاعتذاري) .
- (٣) مدخل « الثقافة الإسلامية » .
- (٤) مدخل العلوم الاجتماعية « للمسلمين » .

ثانيا : مدخل التأصيل الإسلامي الصحيح :

- (١) المدخل الجزئي (القطاعي) .
- (٢) المدخل الشامل .

وفيما يلي نتناول كلا من هذه المداخل بشيء من التفصيل ، حيث نوضح موقف كل منها من حيث درجة الوفاء بشروط ومتطلبات التأصيل الإسلامي الصحيح ، كما نبين المسلمات التي يقوم عليها كل مدخل منها ، ثم نضرب بعض الأمثلة من الأعمال الواقعية التي تبنت كل مدخل من هذه المداخل الستة .

ولكن من الضروري أن نؤكد هنا أن أي محاولة لتصنيف الأعمال العلمية كمحاولتنا هذه إنما تتضمن بطبيعتها فرضا أو إسقاطا لنوع من الانتظام على مادة واقعية لم تنظم نفسها مسبقا وفقا لأنساقنا التصنيفية ، وبالتالي فإن أي تصنيف يحتمل دائما شيئا من التعسف إذ يحاول مثلا الفصل بين مدخلين « متقاربين » في مسلمائهما الأساسية ، أو يحاول الجمع بين مدخلين يوجد قدر من الاختلاف بين مسلمائهما ، وبالتالي فإن قيمة أي تصنيف إنما تكمن في إضفاء صورة « مفهومة » للواقع من خلال ضم متفرقاته في إطار عدد « محدود » من الفئات اقترابا من ذلك الواقع بقدر الامكان ، مع احتمالات قائمة دائما بوجود قدر من التداخل بين فئات التصنيف ، أو وجود محاولات تنبئ عن امكانية تصنيفها ضمن فئات ذلك النسق التصنيفي ، أو وجود

محاولات تتضمن عناصر من أحد المداخل مع عناصر من مدخل آخر ويمكن اعتبارها منتمة إلى فئات بينية بين فئات التصنيف .

المبحث الرابع : مداخل ما قبل التأصيل

لقد تبين لنا أننا نستطيع التمييز بين أربعة مداخل يمكن أن تندرج ضمن مداخل « ما قبل التأصيل » أو مداخل « ما دون التأصيل » الإسلامى الصحيح ، ولقد أوضحنا فيما سبق أن ما يجمع بين هذه المداخل هو افتقادها لشرط أو أكثر من شروط التأصيل الإسلامى الحق : ألا وهى الانطلاق من « التصور الإسلامى » للانسان والمجتمع والكون ، ثم استثمار إسهامات « العلوم الحديثة » فى أرقى صورها بعد استيعابها وفهم المسلمات التى بنيت عليها والقدرة على تجاوزها ، ثم إيجاد « تكامل حقيقى » بين معطيات التصور الإسلامى وإسهامات العلوم الحديثة على وجه يقدم فيه التصور الإسلامى الأطر والموجهات الكبرى للتنظير والممارسة ، وتقدم الإسهامات العلمية التفصيلات المحققة واقعياً ، مع امكان التنظير الجزئى المنطلق من تلك المشاهدات الواقعية فى نطاق الأطر الإسلامية العامة ، وفيما يلى نتناول كل مدخل من هذه المداخل بشئ من التفصيل .

ويلاحظ أن هذه المداخل تتفاوت تفاوتاً كبيراً من حيث حجم الاهتمام بكل منها من جانب ، ومن حيث درجة تداخل وغموض القضايا التى يثيرها كل منها من جانب آخر ، مع احتمال وجود بعض الإسهامات الواقعية التى تجمع بين خصائص أكثر من مدخل واحد فى الوقت ذاته .

أولاً : مدخل الملاءمة الاجتماعية والثقافية

يقوم هذا المدخل على التسليم ضمناً بصلاحية مناهج البحث العلمى التقليدية ، وسلامة النظريات والتعميمات التى تم التوصل إليها باستخدامه ، وصلاحية نظريات الممارسة فى جوهرها للتطبيق فى كل مكان - ولكن مع أخذ الظروف المحلية والعوامل الثقافية فى الاعتبار حتى تتلاءم نماذج العلم والتطبيق مع الواقع المادى والاجتماعى والثقافى فى المجتمع الذى تتم فيه البحوث أو الممارسة .

ويتراوح هذا المدخل من حيث المدى الذى يذهب إليه أصحابه من حيث حدود الملاءمة المسموح بها بين من يكتفون بمجرد تنقية الشوائب التى تتعارض مع الشريعة ، ومن يطالبون بإيجاد المواءمة الضرورية واللازمة بين العلوم أو المهن وبين النسيج الثقافى الذى تتم فيه البحوث والممارسة .

فعلي المستوى الأول فإننا نجد من يطالبون بتنقية العلوم والمراجع والكتابات العلمية والمهنية من « الشوائب » التي تتعارض مع الشريعة تعارضاً صارخاً ، وذلك على أساس اتخاذ إجراء سريع لاستبعاد ما هو ضار حتى ولم يكن في النية بذل جهود ايجابية أخرى ، وذلك لتجنب الظهور بمظهر انعدام الحساسية نحو قيم وثقافة المجتمع الذي يتم فيه البحث أو الممارسة .

فالجهد الذي تقتصر في جوهرها على التخلص مما يخالف وجهة النظر الإسلامية اذن تعتبر بمثابة « طوارئ » عاجلة تستبعد الضرر وإن لم تحقق الفائدة الايجابية ، ويمثل هذا الاتجاه ما جاء في تقرير لأحد الأقسام العلمية باحدى الجامعات الإسلامية عن جهوده في التأصيل الإسلامي حيث يتحدث عن « مراجعة مفردات المواد أكثر من مرة للتأكد من خلوها مما يتعارض مع وجهة النظر الإسلامية » (مركز البحوث : ٤٦) ، فلا يعقل مثلاً أن يقوم الأساتذة في مجتمع مسلم بتدريس آراء فرويد التي تنص على أن الدين هو نوع من المرض النفسى العصابى الجماعى العام فى البشر (O'Doherty : 15) .

كما أنه فى محيط الخدمة الاجتماعية لاتصح الدعوة إلى مثل ما جاء فى أحد مراجع خدمة الفرد حول الزعم بأن الاسلام لن يقف حائلاً دون إباحة التبني بمعناه القانونى المعروف فى الغرب لأن الاسلام لايقف « حائلاً دون الاصلاح ودون التطور الحديث بدليل أنه لم يقف من قبل حائلاً دون تنظيم النسل ودون سفور المرأة وخروجها للعمل » ، وذلك رغم أنه معروف للعامة والخاصة أن الإسلام قد حرم التبني تحريماً قاطعاً مع حث المسلمين بكل قوة على رعاية اليتامى بكل سبيل .

وكما أنه لابد من إعادة النظر فى مسألة إباحة المقابلات الفردية والزيارات المنزلية بين الأخصائى الاجتماعى والعميل فى حالة اختلاف الجنس لتعارض ذلك مع القواعد الإسلامية التى لاتبيح الاختلاط .

أما علي المستوى الثانى فإن عملية الملازمة تتخذ أبعاداً أعمق بكثير من مجرد تنقية الشوائب والمخالفات الصارخة للشريعة ، فنرى البعض يطالبون « بتوطين » العلوم الاجتماعية ومهن الممارسة الانسانية لكى تستجيب لواقع تلك المجتمعات ، فرأينا مثلاً من يدعو إلى بناء « علم نفس وطنى - إن جاز هذا المصطلح - متميزاً عن علم النفس الغربى فى توجهاته وقوانينه ومناهجه ... ولم تكن هذه الدعوى بدعة فقد سبقهم إليها علماء النفس فى اليابان والهند ورومانيا الذين أخذوا يدعون إلى علم نفس وطنى فى بلادهم » (كمال مرسى : ٤٣ - ٤٤) .

ويتوازى مع هذا المطلب فى محيط الخدمة الاجتماعية ظهور حركة قوية تنادى «بتكييف وتطوير المهنة حسب ظروف ومتطلبات المجتمع الذى تعمل فيه .. (حتى)

تتلاءم أكثر مع النسيج الثقافى الذى توجد فيه (عبدالفتاح عثمان وآخرون ، ١٩٨٤ : ٢٨٥) ، وهذا هو ما يعرف باتجاه « توطىن الخدمة الاجتماعية » ، والتوطىن بهذا المعنى مفهوم براجماتى واقعى « يتشابه مع عملية تكيف الكائن الحى مع بيئته » ، فالكائن الحى الذى لا يتلاءم مع بيئته مقضى عليه بالفناء » (عبداللطىم رضا ، ١٩٨٩ : ١٩٥ - ١٩٦) ، ويوضح صاحب هذا الرأى المنطق الذى اعتمده فى المناداة بخدمية توطىن الخدمة الاجتماعية على أساس الحماس الوطنى من جهة ، ومن جهة أخرى على أساس « اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الدول المتقدمة صناعيا وبين الدول النامية ... وهذا التباين فى النسيج الثقافى لابد وأن يفرض على الخدمة الاجتماعية الآتية من الخارج أن تتعرض لتغيير يجعلها منسجمة مع سائر مكونات النسيج الثقافى للمجتمع » .

ومثل هذا الموقف يرشح أصحاب هذا المدخل ليكونوا أقرب الناس لتفهم وتعزى فكرة التأصيل الإسلامى لأنها تعتبر الامتداد الطبيعى لموقفهم العلمى ، فماذا لو سلموا بأن ممارسة المهنة لابد أن تكون منسجمة مع « النسيج الثقافى » للمجتمع الذى تمارس فيه ، ولما كان الإسلام يمثل فى المجتمعات الإسلامية أقوى العناصر تأثيرا على « ثقافة » تلك المجتمعات (سواء رضينا بذلك أم لم نرض) بسبب « طبيعته المؤسسية » التى لها رؤيتها المحددة بالنسبة لكل النظم الاجتماعية فى المجتمع ، فلا مناص من التسليم بأن التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية فى الدول الإسلامية هو الطريق الوحيد الذى يشير إليه بوضوح اتجاه توطىن الخدمة الاجتماعية ذاته .

ولكننا نجد أن أصحاب هذا المدخل يتفاوتون فيما بينهم بشكل كبير من حيث موقفهم من قضية التأصيل الإسلامى للعلوم ولهن المساعدة الاجتماعية ، ففى محيط علم النفس فإننا نجد أن ذلك الفريق من المطالبين بعلم نفس وطنى (ويصنفون ضمن متابعى الأسلوب الغربى) « يلتزم بتوجيهات علم النفس الغربى ونظرياته وقوانينه ومبادئه كما هى فى بلادها ، ويسير منضبطا فى ركاب جمعيات علم النفس هناك ، ويدخل وراء علماء الغرب كل منحنى توجهوا إليه حتى ولو دخلوا جحر ضب لتبعهم فى ذلك (كما يقول مالك بدرى) (مرسى : ٤٦) .

وأما فى محيط الخدمة الاجتماعية فإننا نجد من يرى أن التأصيل الإسلامى يعتبر « نظرة إلى الوراء ... فرض الماضى على الواقع الحالى ... تتولد عنه حركة ارتداد - أى حركة إلى الخلف .. » (عبداللطىم رضا : ١٩٧) دون أن يدركوا أن الشرط الثانى من شروط التأصيل الصحيح يتطلب استيعاب العلوم الحديثة فى أرقى صورها وإيجاد

التكامل بينها وبين التصور الإسلامى ، مما يقوى لدينا الشعور بأن الفهم الصحيح لطبيعة عملية التأسيس الإسلامى لابد أن يستتبعه تعديل فى مواقف الكثيرين ممن نظروا فيها إلى جانب دون جانب .

ولقد غلا بعض قادة الرأى فى اعتراضهم على مبدأ التأسيس الإسلامى للعلوم (النظرية) وإن كان يسلم بإمكان الموازنة الثقافية فى حالة العلوم التطبيقية ، فهذا د. زكى نجيب محمود يقول مانصه « والمثل الذى أسوقه هنا هو تلك الدعوة التى تزداد كل يوم تضخما واتساعا وارتفاع صوت حتى ليوشك باطلها أن يقع موقع الحق فى نفوس سامعيها وهى الدعوة إلى أسلمة العلوم الانسانية .. وفى هذا القول خطأ ... فالحقيقة العلمية (للتغير) بتغير الأجناس والألوان والديانات والأعراف والتقاليد .. على أن ذلك لاينفى أن اختلاف الثقافات بين الأفراد والشعوب قد يؤدى إلى إختلاف فى تطبيق تلك العلوم » (١٩٨٧ : ١٣) ، والحق أن لصاحب هذا الرأى شبهة مبعثها توهم الحياد القيمى للعلوم النظرية وفقا للنموذج التقليدى « القديم » للعلم المنطلق من فلسفة وضعية منطقية عفا عليها الزمان ، وقد فصلنا القول حول هذه القضية فى غير هذا الموضع حيث يمكن الرجوع إليه تفصيلا (ابراهيم رجب ، ١٩٩١) .

وفى ضوء ما سبق فإن من الواضح أن الجهود التى تبذل فى إطار مدخل الملائمة الاجتماعية والثقافية يلاحظ عليها ما يلى :-

١ - أنها لاتعتبر بذاتها جهودا للتأسيس الإسلامى بمعناه المتكامل وذلك للأسباب الآتية:

أ - إن ما يبذل من جهود على مستوى « تنقية المخالفات الصارخة للشريعة » ليس إلا جهدا من النوع السلبي الذى لاينشئ شيئا ايجابيا جديدا فى اتجاه التأسيس الإسلامى للعلوم الاجتماعية بقدر مايزيح شيئا سلبيا من الطريق .

ب - إن ما يبذل من جهود « للملاءمة مع النسيج الثقافى » للمجتمع من خلال فكرة التوطين التى تقف عند حد مراعاة الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لاتسهم أيضا إسهاما ايجابيا كافيا فى التأسيس الإسلامى ، وذلك لانطلاقها من تصور قومى أو محلى لا من تصور إسلامى .

٢ - إن نفع تلك الجهود محدود وموقوت ، وأنه لابد من استكمال السير فى نفس الاتجاه إلى مداه الذى لابد أن ينتهى إلى التأسيس « الإسلامى » حتى يمكن أن يكون لتلك الجهود مردود ملائم فيما يتصل بصدق النظريات أو فاعلية الممارسات .

ثانيا : المدخل الدفاعي (الاعتذاري)

يقوم هذا المدخل على محاولة إثبات أن الإسلام ممثلا في القرآن الكريم والسنة المطهرة أو فيما انبثق عنهما من إسهامات السلف وغيرهم من علماء المسلمين المتقدمين قد كان له فضل السبق في التوصل إلى نظريات ومفاهيم لم يأت بها العلم الحديث إلا مؤخرا ، فنرى الباحثين يبذلون جهودا كبيرة لانتقاء الآيات أو الأحاديث النبوية التي تدعم بعض المفاهيم أو النظريات المألوقة في العلوم الاجتماعية الحديثة ، ويتصور أصحاب هذا المدخل أنهم بهذا « يدافعون » عن الإسلام ، ويثبتون صحة حقائقه ، ويبرهنون على تفوقه على إسهامات العلم الوضعي .

وقد كثر استخدام هذا المدخل بشكل خاص في علم النفس بسبب تعرض القرآن الكريم في آيات عديدة لأحوال النفس وأحوال القلب والعقل وماشابهها من مصطلحات تتصل بالحياة النفسية والروحية ، ولعل من المحاولات الواضحة في هذا الاتجاه ما قام به عزت الطويل للربط بين بعض الآيات الكريمة وبعض مفاهيم نظرية التحليل النفسي مسويا بين النفس اللوامة والأنا الأعلى ، وبين النفس الأمارة بالسوء وبين اللاشعور (وقد يقصد الهو) ، وبين النفس المطمئنة والشعور (وقد يقصد الأنا) (فؤاد أبوحطب ١٩٨٩ : ٤٣ - ٤٤) .

ويطلق الدكتور فؤاد أبوحطب على هذا المدخل « الاتجاه الاسقاطي » على أساس أن أصحابه يقرأون القرآن الكريم على نحو يتفق مع وجهتهم المعرفية ، كما أطلق عليه أيضا اتجاه « الترجمة الفورية » للمفاهيم النفسية في الإطار الإسلامي ، وهذا يتشابه من وجهه ويختلف من وجه آخر مع ماسماه د. مالك بدرى باتجاه « المسائرة » عند أولئك الذين « يكتبون أبحاثهم على أساس مبادئ علم النفس الحديث ونظرياته وممارساته ، ثم يبحثون بعد ذلك عن الآيات القرآنية والأحاديث التي لها أدنى صلة سطحية بموضوعاتهم فينشرونها في البحث هنا وهناك ثم يقدمونه على أنه تأصيل إسلامي لعلم النفس » (أبوحطب : ٤٥) ، فوجه الاتفاق بينهما يتمثل في الانطلاق من مفاهيم العلوم الحديثة وتدعيمها بأدلة شرعية ، ولكن وجه الاختلاف يكمن في أن أصحاب الاتجاه الدفاعي يغلب أن يكونوا من المتحمسين وجدانيا للإتجاه الإسلامي الراغبين بصفة أساسية في دعم موقف الإسلام ، أما أصحاب اتجاه المسائرة فهم أكثر اهتماما بالاستمرار في إطار التوجهات المألوقة للعلم الحديث .

ولو أننا حللنا المسلمات التي يقوم عليها هذا المدخل لوجدنا مايلي :

١ - يسلم أصحاب هذا المدخل « ضمنا » بصحة « نظريات » العلم الحديث ومطابقتها للواقع بما يتجاوز الزمان والمكان .

٢ - يسلم أصحاب هذا المدخل بأن اثبات تطابق الكتاب والسنة مع تلك النظريات يدعم مكانة الإسلام كدين ، ويثبت أنه لايتعارض مع العلم (لاحظ مثلاً ما أعلنه أحد من ثبتوا هذا المدخل : « ليس هناك تعارض اذن بين القرآن وعلم النفس فى نظرة كل منهما إلى النفس البشرية) (أبوحطب : ٤٤) .

٢ - عادة مايكون إثبات التطابق بين مفاهيم العلم الحديث والنصوص تطابقاً سطحياً لايتسم بالأصالة .

ومن الواضح أنه لايسعنا التسليم بالمقولة الأولى أصلاً ، وذلك على أساس ما هو معروف من أن النظريات العلمية وإن كانت قد تنطوى على بعض الحقائق أو التعميمات الامبيريقية التى تم التحقق من صدقها واقعياً ، إلا أنها تضم ما هو أكثر من ذلك بكثير مما لا يخرج عن كونه فروضاً وأطراً تفسيرية لم تخضع بعد للتحقق الواقعى ، بل أن بعض النظريات « العلمية » التى ذاع صيتها لاتضم إلا عدداً محدوداً للغاية مما يمكن اعتباره حقائق أو مشاهدات محققة فى حين أن معظم محتواها إنما هو مما « ابتكره » صاحب النظرية من تفسيرات من عنده ، مما يجعل « النظريات العلمية » بطبيعتها دائماً محل نظر دائم ، كما يجعلها معرضة باستمرار للتعديل والتبديل بل للطرح والاستبعاد فى حالات قليلة حيث يحل محلها ما هو أقدر منها على التفسير .

وبناء على ذلك فإن المقولة الثانية التى يسلم بها أصحاب هذا المدخل تنهاوى ، فمحاولات إثبات سبق الإسلام للتوصل إلى مفاهيم ونظريات ليست محققة ولاصحيحة أمر لايدعم مكانة الإسلام ولا يأتى بخير لأنه لا يقربنا من معرفة الحقيقة ، غاية الأمر أن أصحاب هذا المدخل قد هزهم الشعور بهزيمة العالم الإسلامى أمام الحضارة الغربية المتميزة بإسهاماتها العلمية والتكنولوجية ، وأنهم يحاولون محاولة يائسة للدفاع عن دينهم بطرق ليست منتجة مما يؤدى عادة إلى عكس هدفهم .

ويترتب على ما سبق نتيجتان :

(١) أن نشر البحوث المنطلقة من هذا المدخل قد يوحى للبعض أن هذا النهج يحقق أهداف التأصيل الإسلامى فى حين أن الأمر ليس كذلك .

(٢) أن صرف الجهود والطاقة فى هذا الاتجاه ليس مثمراً ، وأن الأولى بذل الجهود فى الطريق الصحيح للتأصيل الإسلامى حتى لو لم تكن ثمرتها قريبة المنال .

(٣) أن السير فى هذا الاتجاه بما يؤدى إليه من خلط وتشويش يصرف الباحثين من نوى الاخلاص (وان لم يكونوا من نوى التفهم لحقيقة التأصيل الإسلامى الصحيح) عن الإسهام فى جهود التأصيل الحق .

(٤) أن نشر تلك المحاولات قد يؤدي في بعض الحالات المتطرفة إلى إعطاء المعارضين للتأصيل الإسلامي على أسس أيديولوجية معينة أسلحة يهاجمون بها جهود التأصيل الصحيح ، ويمثل هذا بوضوح ما جاء في نقد أحدهم لمثل تلك الجهود إذ يقول « لم تتجاوز تلك المحاولات حقيقة بذل جهد لإيجاد تطابق بين قيم الخدمة الاجتماعية ... وبين القيم الغربية من جهة ، وبينها وبين الإسلام من جهة أخرى ، ولذلك هزمت دعاوى .. الأسلمة نفسها بنفسها » (مختار عجوية ، ١٩٨٩ : ١١٢) .

ثالثا : مدخل « الثقافة الإسلامية »

إذا كانت الجهود التي بذلت في إطار المدخل السابق تبدأ منطلقاً من المفاهيم والنظريات الحديثة بحثاً عما يدعمها من النصوص التي تثبت أن الإسلام قد سبق العلم الحديث في التوصل إليها ، فإن هذا المدخل على العكس من ذلك يقوم على عرض مفاهيم الإسلام وبسط موقفه من القضايا المتصلة بالتخصص استنباطاً من المصادر الشرعية بون اهتمام يذكر بإيجاد أي « تكامل حقيقي » مع ما جاءت به العلوم الحديثة في هذا الشأن ، وهم يتصورون أنهم بذلك يعظمون تخصصهم ويثرونه بإعطائه قاعدة شرعية ، وفي بعض الحالات المتطرفة قد يريدون أن يثبتوا أنه لا حاجة لتخصصهم بما جاءت به العلوم الحديثة لأن بإمكانهم الاعتماد على التراث الإسلامي وحده في هذا المجال .

فترى من ينطلق من هذا المدخل يعالج الموضوع بطريقة شبيهة بالدراسة الفقهية البحتة ، ويستند إلى مراجع العلوم الشرعية أساساً ، بنفس المنهج وطريقة التناول التي نجدها عند المتخصصين في مادة « الثقافة الإسلامية » التي تدرس في الجامعات العربية لتزويد الطلاب - كما يذكر أحد مراجعها - « بثقافة نافعة عن (الإسلام) تؤدي إلى ترسيخ مبادئه ، وإيمان بمثلّه ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، وإحباط المكائد التي تحاك ضده من أعدائه ، وبخاصة في المضمار الفكري والثقافي ... » (عمر عودة الخطيب : ١٩٨٦ : ٥) ، ويوضح مؤلف آخر أن كلمة الثقافة الإسلامية تطلق « على التراث الفكري الذي خلفته الحضارة الإسلامية في جميع جوانبه : الديني والفلسفي والتشريعي ... وهذا التراث قد انبثق من التصور الشامل الذي كونه الإسلام في المجتمع الإسلامي والذي يستمد حقيقة من القرآن الكريم ... » (محمد فاروق النبهان).

ويمثل هذا المدخل في علم النفس إسهام محمد رشاد خليل وغيره ممن كتبوا في إطار علم النفس الإسلامي (بمعنى آخر غير المعنى الشائع الذي « يهدف إلى دراسة النفس الانسانية دراسة مكتبية من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية واجتهادات علماء المسلمين على مر العصور ، لبيان موقف الشرع منها ووصفه لأحوالها وطبيعتها ... » (كمال مرسى : ٦٤) .

ويمثله فى نطاق على الاجتماع معظم ما جاء فى دراسة عن « الإسلام وعلم الاجتماع العائلى » للدكتور عبدالرؤف الجرداوى (١٩٨٨) الذى بدأ كتابه بإشارة توحى بمتابعته لدخل العلوم الاجتماعية « للمسلمين » (ص ص ١٠ - ١١) إلا أنه انتهى إلى إسهام شبيه بإسهامات مدخل الثقافة الإسلامية .

كما يمثله فى محيط الخدمة الاجتماعية ما قدمه د. لبيب السعيد (١٩٨٠) فى كتابه عن « العمل الاجتماعى : مدخل إليه ودراسة لأصوله الإسلامية » خصوصا ما جاء فى القسم الثانى منه تحت عنوان « أصول العمل الاجتماعى فى الإسلام » حيث يقوم المؤلف باستعراض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ومواقف السلف التى تصور موقف الإسلام وممارسة المسلمين فى جوانب ومجالات متعددة من مجالات ممارسة المهنة ، حيث عقد فصولا للحديث عن أصول خدمة الجماعة فى الإسلام ، وأصول الخدمة الاجتماعية فى مجالات الأسرة والطفولة ، والمجال الطبى من منظور الإسلام ، وقد بذل المؤلف جهدا كبيرا فى تجميع النصوص التى تلائم كل جانب من تلك الجوانب المختارة ، ولكن دون أى محاولة للربط بينها وبين الأطر المستمدة من نظريات الممارسة الحديثة .

وقد قدم د. على حسين زيدان دراسة موضوعها « دور الخدمة الاجتماعية فى العمل مع المنحرفين : منظور إسلامى » استقى فيها مادته من المصادر الشرعية عن قصد حيث قال « يحتوى الإسلام على تصور متكامل للتعامل مع ظاهرة الانحراف وصفا وتحليلا وتفسيرا وعلاجاً ... وقد حرص الباحث على أن يقتصر فى إعدادة لهذا (البحث) على المراجع الإسلامية حتى لا يقع أسيرا للفكر الوضعى .. » (١٩٩١ : ٣) .

وفى ورقة قدمت فى فترة باكورة من عمر حركة التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية حاول الدكتور الفاروق زكى يونس أيضا (١٩٨١) استخلاص مبادئ وتوجيهات الإسلام فيما يتصل بالرعاية الاجتماعية غطى فيها القضايا المتصلة بحقوق الفرد وحقوق القرابة والجوار ، وحقوق الأطفال ورعاية المسنين وغيرها .

وبصفة عامة فإن الجهود التى تبذل فى نطاق هذا المدخل وإن لم تتحقق لها شروط التأصيل الكاملة على الوجه الذى أوصحناه ، إلا أنها طالما كانت جهودا جادة ومنظمة، تتسم بالتعمق والبصيرة فإنها ولاشك تقدم مادة يمكن للجهود التأصيلية التالية أن تستفيد منها ، وبشرط ألا توحى تلك الكتابات بأنها تقدم نتاجا « مكتملا » من نوع التأصيل الإسلامى الصحيح ، لأن هذا إن حدث فإنه يجر جهود الباحثين الآخرين فى غير الاتجاه المطلوب من جهة ، كما أنه قد يؤدى من جهة أخرى إلى شعور غيرهم بأن عملية التأصيل قد بلغت مداها رغم أن الأمر ليس كذلك .

وإذن فإن الجهود التي تبذل لاستخلاص ما فى المصادر الشرعية من قواعد أو مبادئ عامة أو حقائق مقررة مما يتصل بالتخصص العلمى أو المهنى تعتبر « خطوة » على الطريق إلى التأصيل الإسلامى وإن لم تعتبر تأصيلا إسلاميا بالمعنى الشامل - فهذا يتطلب اضافة إلى ذلك استيعابا كافيا لإسهامات العلم الحديث وتكاملا بينهما بشكل حقيقى .

رابعا : مدخل العلوم الاجتماعية « عند المسلمين »

يقوم هذا المدخل على نوع من التسليم المعلن أو الضمنى بالمنهج العلمى التقليدى المستخدم فى الوقت الحاضر فى العلوم الاجتماعية ، والتسليم بصحة النتائج التى تم التوصل إليها باستخدامه ، ولكن مع الاقتناع بضرورة توجيه جهود خاصة لدراسة سلوك الفرد المسلم والمجتمع المسلم باعتبارها فئات متميزة بخصوصيتها من بين الفئات التى تتولى تلك العلوم دراستها ، بحيث ينشأ نتيجة لهذا فرع من فروع الدراسة فى علم النفس مثلاً ينصب على « السلوك الدينى للانسان المسلم » أو فرع لعلم الاجتماع ينصب على « دراسة المجتمعات الإسلامية » ، يطلق عليه فى الحالة الأولى « علم النفس الإسلامى » (بأحد المعانى التى يرد بها هذا الاصطلاح فى كتابات علم النفس) ، وفى الحالة الثانية « علم الاجتماع الإسلامى » (بأحد المعانى المستخدمة أيضا) ، وأما بالنسبة للمهن فإن هذا المدخل يتمثل فى تطبيق طرق ومنهجيات التدخل المهنى الحالية دون تعديل كبير ولكن لتحقيق أهداف المجتمع المسلم فى اطار ما أصبح يعرف « بالخدمة الاجتماعية الإسلامية » فى بعض الكتابات الحديثة.

فأما بالنسبة لعلم النفس قلعل أول من دعا إلى بناء « علم النفس الإسلامى » بهذا المضمون كان د. احمد فؤاد الأهوانى الذى أشار فى تقديمه لكتاب عن الدراسات النفسية عند علماء المسلمين فى عام ١٩٦٢ إلى أننا « إذا كنا أفسحنا المجال لدراسة الظواهر الدينية نفسانيا ، فلا غرابة أن نقول بوجود علم نفس إسلامى كما نقول بوجود علم نفس نصرانى .. لاختلاف خصائص كل دين من الأديان » (كمال مرسى : ٦ - ٧) .

وقد أشار د. فؤاد أبوحطب فى تحليله لهذا التوجه (ص ٤٦) إلى أننا نستطيع أن نستشف مما كتب فى هذا الاتجاه الدعوة « لبناء فرع من فروع علم النفس يهتم بالدين الإسلامى كما تهتم فروعه الأخرى بمجالات اهتمامها » ، كما أنه بعد أن قام بمراجعة بعض الكتابات التى سارت فى هذا الاتجاه قد بين أن بعضها يذكر صراحة « أنه لن يطمح فى أن يستتبط له منهجا جديدا ، إنما هو يستوحى لذلك ما انتهجه بعض أئمة

البحث الغربيين من مناهج » ، ومن هذا ترى أن القضية بالنسبة لأصحاب هذا التوجه لاتخرج عن فتح الباب لدراسة الخبرة الدينية للانسان المسلم باستخدام نفس مناهج الدارسة التقليدية فى علم النفس .

أما فى محيط علم الاجتماع فقد دعا الياس بايونس إلى ماسماه « بعلم اجتماع إسلامى » لسد الفراغ فى كتابات علم الاجتماع حول « المجتمعات الإسلامية أو .. منطقة الثقافة الإسلامية .. (حيث) أن الدراسة المنظمة للإسلام حقل مهمل إهمالا جسيما فى علم الاجتماع ، فلا تكاد تكون هناك دراسة اجتماعية للإسلام والمجتمعات الإسلامية ... اننا فى حاجة إلى علم اجتماع إسلامى من أجل فهم المعتقدات والمجتمعات الإسلامية » (بايونس ، ١٩٨٤ : ٤٢ - ٤٤) .

ويشير د. زكى اسماعيل إلى نفس الاتجاه بوضوح اذ يقرر أن « علم الاجتماع الإسلامى من حيث كونه علما يدرس الظواهر والنظم الاجتماعية دراسة وصفية تقريرية تعبر عما هو كائن من النظم ، (أما) من حيث هو إسلامى الاتجاه فإنه يدرس هذه النظم والعلاقات والتفاعلات الناشئة عن احتكاك المسلمين ببعضهم البعض وبغيرهم فى معاملاتهم وشعائهم ونسكهم ، أو دراسة نظمهم وعلاقاتهم الاجتماعيه مع غير المسلمين ... » (١٩٨٨ : ٢٤) ، ثم أنه يؤكد أن علم الاجتماع الإسلامى ليس علما معياريا يدرس ما ينبغى أن يكون ، ويشير إلى أنه إذا كان علم الاجتماع الدينى يدرس الظاهرة الدينية فى عمومها فإن علم الاجتماع الإسلامى يقتصر على « الظواهر الإسلامية » ، ويقرر أن علم الاجتماع الدينى وعلم الاجتماع الإسلامى كلاهما « لايهتم ببيان أثر اتباع القواعد الدينية ومزاياها » (ص٢٦) .

أما فى محيط الخدمة الاجتماعية فلعل أول من دعا لاستخدام اصطلاح « الخدمة الاجتماعية الإسلامية » بهذا المعنى المحدد هو د. محمد أحمد عبدالهادى فى كتابه بهذا العنوان (١٩٨٨) حيث يوضح فيه هدفه بغير التباس حيث تقول « أن مانقصده بالخدمة الاجتماعية الإسلامية ... هو استخدام طرق الخدمة الاجتماعية ذاتها بأنواتها وأساليبها وتكنيكها فى تحقيق أهداف الدين الإسلامى ، أى أنها مجال جديد من مجالات العمل بالخدمة الاجتماعية شأن العديد من المجالات الأخرى » (ص : ٣٣٥) ، فكأن الخدمة الاجتماعية الإسلامية بهذا المعنى تسلم بالأهداف التقليدية والوسائل التقليدية الحالية للمهنة ولكنها فقط « تخصص » الأهداف من حيث أنها توجهها إلى خدمة أهداف المجتمع المسلم ، وفى هذا خروج من الدائرة الضيقة لعلمنة الخدمة الاجتماعية التى سادت فى المجتمعات غير الإسلامية ردحا طويلا من الزمن إلى سعة الالتزام بأهداف المجتمعات الإسلامية .

ومن الواضح أن الجهود التي تبذل في نطاق مدخل العلوم الاجتماعية « عند المسلمين » وإن كانت تسد فراغا لايجمل بمجتمع مسلم أن يهمله على هذه الصورة ، إلا أنها في ذاتها لايمكن الاكتفاء بها كجهود تمثل « التأصيل الإسلامى » أو التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية بالمفهوم الصحيح . فلقد رأينا أن من كتبوا في إطار هذا المدخل إنما يبدأون بالتسليم عادة بما هو متعارف عليه من النواحي المنهجية أو النظرية في نطاق التخصص ولكنهم يطبقونها في دراسة (في حالة العلوم النظرية) أو اصلاح (في حالة المهن) المجتمع المسلم ، دون بذل جهود أو محاولات جادة لإعادة النظر لتجاوز تلك المنطلقات المنهجية أو النظرية التقليدية في إطار التصور الإسلامى الصحيح .

ولكننا نود أن نفرق هنا بين موقفين واضحين يمكن ملاحظتهما في الأعمال المنطلقة من هذا التوجه فيما يتصل بأسباب تسليم أصحابها بالمناهج والمنطلقات التقليدية في التخصص :

١ - فبعض الكتاب يسلّمون بالمناهج والمنطلقات التقليدية على أساس أنها منطلقات « علمية » صحيحة لابد من الالتزام بها ، وأنه لامجال لإعادة النظر فيها ولامشروعية لذلك ، ومن الواضح أنه يصعب تصنيف أصحاب هذا الموقف في عداد أصحاب اتجاه التأصيل الإسلامى الحق ، ويرجع السبب في إصدار ذلك الحكم إلى أن التناول التقليدى لهذه العلوم وإن انصب على مجتمع مسلم فإنه سيكون محكوما بالاتجاهات الفكرية المادية والامبيريقية المتطرفة المنطلقة من نظرة مختلفة للانسان والكون والحياة ورسالة العلم ومنطلقاته في منظورها التقليدى « القديم » ، فكيف يمكن والحال كذلك أن نأمل في انعتاق هؤلاء من اسار تلك التصورات التي لا تنظر للفرد المسلم أو المجتمع المسلم إلا كما تنظر إلى عينة مادية لاصلة لنا بها - إن هذا يذكرنا بموقف عالم النفس الشهير كارل يونج الذى دافع بشدة عن اهمية الدين في العلاج النفسى حتى قال أنه لم يصادف مريضا نفسيا إلا وجده ضعيف الدين ، وما وجد مريضا تم شفاؤه إلا بعد أن حسن دينه ، ولكنه من جهة أخرى كان يرى الأديان كلها شيئا واحداً ويقول أنه مجرد عالم نفس امبيريقى يسجل مايشاهده ، وكان ينظر إلى الدين على أنه مجرد « حقيقة نفسية » أما هو فإنه كان غنوصيا ويمكن أن يكون ملحدا (O'Doherty, 1978: 16).

ومما هو جدير بالذكر أن أصحاب هذا التوجه متقاربون في موقفهم إلى حد كبير مع أصحاب مدخل الملازمة الاجتماعية والثقافية من المنادين بتوطين العلوم والمهن والذين يتوقفون دون أخذ العوامل الروحية والدينية في الاعتبار ولنفس الأسباب .

٢ - ولكن البعض الآخر وإن طالبوا بدراسات منصبة على المجتمع المسلم أو بممارسات تحقق أهدافه فى إطار فرع أو مجال للعلم أو المهنة التى تخصصوا فيها فإنهم يدركون أهمية العوامل الروحية والدينية فى خصوصية تأثيرها على سلوك الفرد المسلم والمجتمع المسلم ، ويوجهون جهودهم الجادة لدراساتها فى حدود الممكن ، وهم بهذا يختلفون بشكل واضح عن أصحاب مدخل الملازمة الاجتماعية والثقافية المنادين بالتوطين الذين لا يذكرون حتى لفظ « إسلامى » ضمن اهتماماتهم، ويقتصرون على اهتمامات ذات طبيعة جغرافية وإقليمية ومحلية ، أو يراعون جوانب مادية واجتماعية ثقافية مختزلة (تستبعد أى إشارة إلى الإسلام) فقط .

ومن الواضح أن من الضرورى لأصحاب هذا التوجه أن يكونوا على وعى كامل بأن متابعة هذا المدخل على هذا التوجه لاتخرج عن كونها أحد الجوانب المفيدة وبشكل مرحلى نحو تحقيق أهداف التأصيل الإسلامى بمعناه الصحيح ، وأن يدركوا أنه بعد تحقيق جهود التأصيل الإسلامى الصحيح لدرجة كافية ، من النضج فإن ما يترتب على ذلك من وضوح الرؤية الإسلامية للظواهر النفسية والاجتماعية وللممارسات المنطلقة منها ستغطى وتتجاوز الاهتمامات المحدودة لهذا المدخل - مدخل العلوم الاجتماعية «للمسلمين» - بل أن المتوقع عندئذ أن التأصيل الإسلامى لتلك العلوم والمهن عندما يبلغ مداه فإنه لن يكون قادرا فقط على تفسير السلوك والعلاقات الاجتماعية للمسلمين وفى نطاق العالم الإسلامى فقط ، ولكنه سيتجاوز ذلك إلى تفسير الظواهر الانسانية فى كل المجتمعات التى خلقها الله سبحانه وتعالى .

المبحث الخامس : مداخل التأصيل الإسلامى الصحيح

رأينا فيما سبق أن المداخل التى تعرضنا لها الآن لانتحقق فيها شروط التأصيل الإسلامى الحق كاملة ، ومن هنا جاءت تسميتها بمداخل ما قبل التأصيل أو ما دون التأصيل ، بقصد التمييز بينها وبين المداخل التى تسير فى الاتجاه الصحيح للتأصيل الإسلامى على الوجه الذى تعكسه التعريفات التى قدمتها لهذا الموضوع ، والان فإن بوسعنا الانتقال لمناقشة مدخلين ينتميان إلى هذه الفئة الأخيرة من المداخل وهما المدخل الجزئى والمدخل الشامل .

أولا : مدخل التأصيل الجزئى

يقوم هذا المدخل على فهم صحيح لمتطلبات عملية التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية ، من استيعاب واستثمار لإسهامات العلم الحديث فى الاطار العام للتصور

الإسلامى الصحيح للانسان ومكانه من هذا الوجود ، مع إيجاد التكامل الحقيقى فيما بينهما ، ولكن كنتيجة للشعور بما يتطلبه التأصيل الشامل من وقت طويل وجهود مضمينة جماعية ومؤسسية، فإن المنادين بمتابعة هذا المدخل يفضلون تجزئ الموضوعات والقضايا والمجالات التى يتضمنها التخصص ، ثم بذل الجهود لتأصيل كل منها على حدة ، مع نوع من التوقع بأن هذا الجهد سيؤدى فى النهاية إلى ما يعادل التأصيل الشامل المطلوب .

ويمكن التمثيل لهذا المدخل بما جاء بتقرير أحد الأقسام العلمية حول منهجه فى التأصيل الإسلامى ، حيث ذكر ضمن ماذكر من أنشطة الربط بين الإسلام وعلم النفس الحديث موضحاً أن هذا الربط يمكن أن يتحقق عن طريق « أبحاث محددة .. يخدم كل منها موضوعاً معيناً يعمل على الربط بين المادة العلمية فى مجال علم النفس وبين الإسلام ... » (مركز البحوث : ٤٦) .

وقد حددت اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض مايزيد عن خمسين موضوعاً مقترحاً تقع فى نطاق اهتمامات علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والتربية يدعى للكتابة فيها الباحثون بأمل أن تنجلي هذه الجهود البحثية الفردية عن تصور عام وشامل .

وتعتبر محاولة جمال سلطان لتأصيل مفهوم « وقت الفراغ » (١٩٩٠) نموذجاً طيباً لتطبيق هذا المدخل ، فقد قام الباحث باستقصاء ونقد الإسهامات العلمية التى توصلت إليها الحضارة الغربية حول هذا المفهوم ، ثم انطلق من فهم واضح للتصور الإسلامى للانسان ليعيد صياغة هذا المفهوم من منطلق إسلامى بطريقة جادة ومتعمقة .

والحق أن هذا المدخل يلبي حاجة لدى أولئك الذين لا يرون فى الميدان حتى الآن جهوداً جماعية ومؤسسية كافية لتحقيق أهداف التأصيل الإسلامى بمفهومه الشامل ، ومن هنا فإنهم يفضلون فتح الأبواب أمام الإسهامات « الفردية » مادامت ملتزمة بالمفهوم الصحيح للتأصيل ، رغم الإدراك بأن هذه الجهود الفردية لابد بالضرورة أن تكون جزئية حتى تكون فى نطاق الإمكان بالنسبة للباحث الفرد .

ولكن النقد الذى يوجه أساساً إلى هذا المدخل إنما يدور فقط حول التساؤل عما إذا كان يمكن التوصل إلى تأصيل حقيقى للجزئيات قبل التوصل إلى تصور متكامل للأطر الكلية التى تحكمها ، أم أن هذا التناول الجزئى يغلب أن يؤدى إلى فقدان للإتجاه الصحيح بون أمل فى تصحيح المسار لعدم وجود تصور كلى شامل .

ومع ذلك فإن تجزئ المشكلات الكبرى قد يؤدى إلى إلقاء الأضواء على جوانب من تلك المشكلات تكون سبباً فى إنارة الطريق أمام المواجهة الشاملة للمشكلة ، ونقصد

بذلك أن من المحتمل أن تؤدي جهود التأسيس الجزئي إلى لفت الأنظار إلى القضايا ذات الطبيعة الشاملة التي تتبدى أمام كل باحث في موضوع جزئي من زاوية مختلفة ، مما يؤدي إلى إلقاء الضوء على المشكلة الصعبة فتيسر مواجهتها ، وهذا يبرر القول بأن مواجهتنا للقضايا الشديدة التعقيد والتداخل التي تتضمنها عملية التأسيس الإسلامي بالمعنى الصحيح ينبغي ألا تقتصر على مدخل واحد ، وأن استخدام المدخلين الجزئي والشامل بشكل مترامز أو متواز يمكن أن يكون له دوره الإيجابي على عملية التأسيس بأسرها .

ثانيا : مدخل التأسيس الشامل

رغم اتفاق هذا المدخل مع المدخل السابق من حيث وضوح الرؤية بالنسبة لما يعتبر تأسيسا إسلاميا حقيقيا ، إلا أنه يختلف عنه بالنسبة لقضية أساسية تتمثل بنقطة البدء وأسلوب العمل ، فهذا المدخل يقوم على ضرورة الوصول إلى وضوح بالنسبة للأساسيات قبل الدخول في الجزئيات والتفاصيل ، بمعنى أنه لا بد من بذل جهود كافية أولا لاستجلاء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون ، الذي سيكون بدوره أساسا للنظر في إسهامات العلم الحديث في جملتها أيضا ، بما يمهّد الطريق في خطوة تالية لإيجاد التكامل بينهما بطريقة شاملة ومنطقية .

ولما كان هذا المدخل يعتبر بمثابة النموذج الذي ينبغي السير فيه - منطقيا - لتحقيق التأسيس الشامل للعلوم الاجتماعية ، فلعل من المناسب أن نقدم هنا تصورا للخطوات أو المراحل التي يتضمنها سير العمل وفق هذا النموذج ، ولعل الخطوات التي وضعها الفاروقى لأسلمة المعرفة تعتبر نموذجا يحتذى في هذا المقام ، إلا أن نطاق اهتمام ذلك العمل كان يتضمن جميع العلوم الطبيعية منها والاجتماعية ، ولذلك فقد وجدنا من الأوفق أن نعتمد على توصيف لتلك الخطوات قدمه أحد الرواد في مجال التأسيس الإسلامي لعلم النفس يتميز بأنه ينطلق من نفس المنطلقات العامة لأسلمة المعرفة مع التطبيق على علم النفس .

لقد فصل د. محمد عثمان نجاتي (ص ص ٨ - ٢١) الخطوات التي ينبغي أن تمر بها عملية التأسيس الإسلامي في علم النفس انطلاقا من هذا المدخل الشامل بطريقة يمكن بقليل من التعديل أن تكون أساسا للتأسيس الإسلامي للعلوم الاجتماعية بصفة عامة ، وفيما يلي نعرض تلك الخطوات مع شيء من التصرف الذي يجعلها قابلة للتعميم على تلك العلوم :-

١ - التوصل إلى اتفاق على المسلمات المنبثقة من التصور الإسلامي الصحيح للكون والحياة والإنسان ، والتي تعتبر أصولا نهتدى بها في تحليلنا النقدي لموضوعات العلوم الاجتماعية لمعرفة ما يمكن قبوله منها وما لا يمكن قبوله .

٢ - التمكن من العلم المراد تأصيله تمكنا تاما ، بحيث نكون على معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم ، وتطوره التاريخي ، ومناهجه في البحث ، ونتائجه ونظرياته، والمشكلات التي لم تحسم فيه بعد .

٣ - التمكن من الأصول والمبادئ الإسلامية التي تتصل بموضوعات ذلك العلم اعتماداً على ما جاء في الكتاب والسنة حول تلك الموضوعات أو مما يرتبط بها .

٤ - المعرفة بإسهامات علماء المسلمين مما يتصل بموضوعات وقضايا ذلك العلم ، ونقد تلك الإسهامات في ضوء التحليل التاريخي الذي قد يكشف عن المصادر غير الإسلامية التي تأثر بها هؤلاء العلماء (مصادر يونانية - هندية - صوفية ... الخ) .

٥ - التحليل النقدي لإسهامات العلم الحديث في محيط التخصص في ضوء التصور الإسلامي الشامل المشار إليه في الخطوة الأولى ، وفي ضوء الأصول والمبادئ الإسلامية المحددة المتصلة بذلك العلم المشار إليها في الخطوة الثالثة ، فما اتفق مع ذلك التصور وتلك الأصول أبقى عليه ، وما لم يتفق أخضع للدراسة بهدف تعديله أو استبعاده ، وذلك في ضوء إدراك المسلمات التي استند إليها ذلك العلم في الوصول إلى تلك النتائج .

٦ - اجراء البحوث النظرية والميدانية والتجريبية في مجال التخصص في ضوء التوجه الإسلامي للاضافة إلى المعارف العلمية واثرائها من هذا المنطلق ، بما يضيف إلى الإسهامات العلمية الصحيحة ويملا الثغرات في الموضوعات التي لم تنجح إسهامات العلم التقليدية في تغطيتها على الوجه الصحيح .

٧ - التبادل العلمي بين المتخصصين في ذلك العلم ، وكذا بينهم وبين المتخصصين في العلوم الشرعية المرتبطة بموضوعه على أوسع نطاق ممكن ، ضمانا لتحقيق قدر ضروري من المعرفة المشتركة التي ينطلق منها البحث العلمي المستقبلي في هذا المجال . حتى تتحقق « وحدة المعرفة » على المستوى المؤسسي كما تحققت على المستوى البحثي .

٨ - إعادة صياغة موضوعات العلم من توجه إسلامي وإعادة كتابة المراجع والكتب الدراسية لتتنطق من المنظور الإسلامي .

والتأمل لهذه الخطوات يدرك أنها بالرغم من وضوحها وتسلسلها تثير عددا كبيرا من القضايا وتحتاج إلى جهود مضمينة وممارسة واقعية حتى نصل إلى وضوح أكبر فيما يتصل بتفصيلات أداء العمل على الوجه المطلوب .

فإذا نظرنا على سبيل المثال إلى الخطوة الأولى المتصلة بالاتفاق على المسلمات التي تعكس التصور الإسلامي الصحيح فإننا نجد القائمة التي قدمها د. نجاتي (٩ - ٢١)

تدور حول الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وحول وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ، وحول طبيعة الانسان المادية والروحية ، وحول خيرية ارادته ، وهى قائمة قد يتفق الباحثون معها وقد يختلفون ، سواء من حيث استيعابها لكل المسلمات الضرورية ، أو من حيث محتوى كل منها ، أو من حيث علاقتها ببعضها ، أو من حيث اعتبار بعضها فروضا تستحق الاختبار والتطور بدلا من اعتبارها مسلمات لا تقبل الاختبار ، وهذه القائمة تفتح الباب ولاشك أمام مزيد من الجهود وصولا إلى أرضية أوسع للاتفاق .

وينفس القياس فإن قضية تحديد الأصول الإسلامية التى تقابل موضوعات وقضايا كل علم من العلوم الاجتماعية أو مهنة من المساعدة الانسانية ليست بالبساطة التى تظهر بها لأول وهلة . فالباحث فى التراث الإسلامى عندما يقابل موضوعات تخصصه قد يكون محكوما أو على الأقل متأثرا فى تحديد نطاق بحثه بالمفاهيم والأطر التصورية المستمدة من تراث العلم الحديث ذاته دون أن يدري ، فالمرء لا يبحث عن شئ لا يعرف حدوده ولا يدري شيئا عن كنهه ، وإنما الأكثر احتمالا أن يسترشد بما هو مألوف لديه من حدود ومفاهيم ، مما يجره إلى ما يريد أن يتجنبه دون أن يدري .

أما عن النظرة النقدية لإسهامات العلم الحديث فإن النجاح فيها يتوقف على إدراك المسلمات والافتراضات التى تكمن وراء كل نظرية علمية أكثر من مجرد مراجعة قضايا النظرية فى ظاهرها ، فبعض الباحثين لا يثور شكهم إلا عند مصادفة عبارات أو قضايا أو تعميمات تتجافى ظاهرها مع التصور الإسلامى ، أما فيما وراء ذلك فإنهم يتصورون أن الأمر لا يستدعى مزيد تنقيب ، وكمثال على ذلك فإننا قد رأينا بعض المؤلفين يقررون مثلا أنه لافرق من الناحية العلمية أن ننظر إلى الصحة النفسية من منظور الاسلام أو من منظور علم النفس الحديث لأن الهدف فى الناحيتين واحد ألا وهو سعادة الانسان ، وقد فات هؤلاء أن معنى السعادة مختلف أشد الاختلاف بين المنظور الإسلامى كما أكد على ذلك بقوة غيرهم من الباحثين .

أما عن إجراء البحوث فى ضوء التوجه الإسلامى للإضافة إلى معرفتنا الحالية حول الانسان والمجتمع فأمر يحتاج إلى وضوح كامل فيما يتصل بالقضايا المنهجية التى يثيرها ، ولعل أخطر تلك القضايا يتصل بكيفية تحقيق مبدأ « وحدة المعرفة » تأسيسيا على مبدأ « وحدة الحقيقة » (الفاروقى : ١٩٨٦ : ٨٠ - ١١٧) أو الجمع بين معطيات الوحي من جهة والمشاهدات الامبيريقية من جهة أخرى ، فالنظام العلمى التقليدى قد فصل بين الاثنين فصلا تاما ، والمطلب الأساسى لأسلمة المعرفة هو الجمع بينهما ، وقد رأينا بعض الباحثين يمزجون بينهما بطرق لا تحقق التكامل الصحيح فيما شرحناه من مداخل ما قبل التأصيل ، ولكن الحل الصحيح لهذه القضية المنهجية

الجوهرية إنما يكمن فيما نظن فيما سميناه في موضوع آخر (رجب ، ١٩٩١) « بثورة التنظير في العلوم الاجتماعية » والتي تتمثل باختصار فيما يلي :-

أ - بدلا من اعتماد النظريات العلمية في نموذج العلم التقليدي أو على خيال الباحث أو على التخمين Conjecture في التوصل إلى أطر تفسيرية للحقائق والتعميمات الامبيريقية ، فإننا نعتمد في النظريات الملتزمة بالتوجه الإسلامي على أطر تفسيرية مستمدة من فهمنا للكتاب والسنة مع الاستفادة من إسهامات علماء المسلمين حول الموضوع .

ب - تستمد فروض البحوث الجارية من تلك النظريات الملتزمة بالتوجه الإسلامي ونختبرها في الواقع بمعناه الشامل ، مع مراعاة أن اختبار تلك الفروض في الواقع سيتطلب استخدام مناهج وأدوات أكثر ملاءمة للنظرة الانسانية الروحية الجديدة للانسان ككائن ذي وعى وذى إرادة يوجه حياته كفاعل وليس كمجرد كائن منفعل بالمؤثرات الخارجية .

ج - كلما فشلنا في رفض فروض البحث المستمدة من النظرية (بتعبير رجال الاحصاء) كلما ازدادت ثقتنا في النظرية المنطلقة من التوجه الإسلامي ، وكلما ثبت لنا خطأ الفروض فإننا نعود لنراجع صحة « فهمنا » للتراث الإسلامي الذي انطلقنا منه من جهة ، كما نراجع إجراءاتنا البحثية وطرقنا في القياس من جهة أخرى ، ثم نقوم بتعديل الموقف بحسب ما تكشف عنه المراجعة ، لكي نعاود الكرة من جديد بالصورة المألوفة لنا تماما في ثورة العلم الدائبة .

ومما سبق يتبين لنا بجلاء أن هذا المدخل الشامل تتوفر فيه جميع الشروط الواجب توافرها في أي جهد متكامل للتأصيل الإسلامي الصحيح كما يتبين لنا في الوقت ذاته أن هذا المدخل يتطلب في الواقع مالا يقل عن عملية إعادة نظر كاملة وإعادة بناء شاملة لكل علم من العلوم الاجتماعية ولكل مهنة من مهن المساعدة الانسانية ، ومن الواضح أن هذا يتطلب تكريس الجهد والوقت لسنوات وسنوات لفرق من الباحثين المنظمين ، المؤيدين بالاطارات المؤسسية المناسبة ، قبل أن تبدأ ثماره الطيبة في الظهور .

كما أن السير في هذا الطريق يتطلب توافر الباحثين المتضلعين في كل من العلوم الحديثة من جانب والعلوم الشرعية من جانب آخر ، وهؤلاء عملة نادرة حالت دون انتاجها قوى تاريخية ودولية واجتماعية عديدة لامجال لوصف أبعادها في هذا المقام ، وليس بالامكان توافر الأعداد المطلوبة من هؤلاء الباحثين إلا باستحداث برامج لإعادة تأهيل كل المتخصصين في الفروع الحديثة للعلوم الاجتماعية وبعض المتخصصين في العلوم الشرعية على الأقل على الوجه الاتي :-

١ - إذا تفهم كل مشتغل بالعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية فى الدول الإسلامية أنه لم يعد بإمكانه أن يعيش مطمئنا راضى الضمير إلى أنه يؤدي عمله كما ينبغي أو الزعم بأنه يؤدي واجبه كما يجب إلا إذا اختط لنفسه خطة (لاتعوقه عن أداء عمله اليومى) تضمن له أن يقوم باعداد نفسه (فى حدود فترة زمنية معقولة) للإلمام المنظم بمصادر وطرائق البحث فى العلوم الشرعية بطريقة تدريجية - مع الاستفادة مما يمكن أن توفره الجامعات والهيئات المهتمة بالقضية من برامج وأنشطة مساعدة على ذلك .

٢ - إذا أدرك بعض المشتغلين بالعلوم الشرعية على الأقل بأن واجبهم يحتم عليهم الإلمام بالقضايا والنظريات التى ينطلق منها اخوانهم المشتغلون بالعلوم الاجتماعية والذين يقومون بتخريج جيوش من الخريجين الذين يتولون قيادة مختلف الأنشطة فى مختلف جوانب الحياة رضينا بذلك أم لم نرض ، حتى يستطيعون تقديم المشورة المناسبة لهؤلاء الزملاء عند تعرضهم فى دراساتهم العلمية لقضايا الحياة والتنظيمات الاجتماعية التى تمس الحياة اليومية للمسلم فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

وبطبيعة الحال فإن أيسر شئ يستطيعه كل فريق هو أن يعرض عن الآخر وأن ينأى بجانبه ، مستشعرا لجوانب تفوقه وراضيا عن نفسه ، فتلك مقتضيات قانون القصور الذاتى لايمكن أن يؤدي إلى خير ، والخاسر الوحيد من وراء هذا التجافى وتلك القطيعة هو مجتمع المسلمين ، والأمر يتطلب تواضع كل من الفريقين لله سبحانه وتعالى ولاخوانه المسلمين ، والتعاون على البر والتقوى عسى أن يكتب الله التوفيق لكل من الفريقين فى خدمة المجتمع المسلم .

ولقد سار المعهد العالمى للفكر الإسلامى شوطا طيبا فى طريق خدمة هذا المنظور الشامل للتأصيل الإسلامى أو التوجيه الإسلامى للعلوم من خلال عدد متنوع من الأنشطة والأساليب يهمنى أن نشير إلى بعضها هنا مما يتصل بشكل مباشر بالعلوم الاجتماعية :

١ - الدراسات التى تمس قضايا المنهجية فى العلوم الاجتماعية .
٢ - اعداد مكانز تضم تصنيفات موضوعية (وأبجدية) لمفاهيم العلوم الاجتماعية المختلفة .

٣ - تكشف آيات القرآن الكريم التى تتصل بكل علم من العلوم الاجتماعية وتصنيفها موضوعيا بطريقة تفصيلية ، مع إيراد ما جاء بكتب التفسير حول تلك الآيات بما ييسر للباحثين استنباط التصور الإسلامى المنبثق عنها .

- ٤ - تكشف الأحاديث الشريفة المتصلة بكل علم من العلوم الاجتماعية مع شروحها .
- ٥ - مراجعة وتحليل إسهامات علماء المسلمين في كل علم من العلوم الاجتماعية مما يضع أمام الباحثين ثروة من الرؤى المنطلقة من التصور الإسلامي مع قراءة نقدية لها لبيان أى مؤثرات غير إسلامية قد تختلط بها .

ولاشك أن حصيلة تلك الجهود عند اكتمالها إنما تضع الأساس المتين الذى يستطيع الباحثون استثماره لبناء إسهاماتهم الأصلية لمحاولة ايجاد التكامل البناء بين ما نزل به وحى السماء مما يتصل مباشرة أو يوجه عموما الدراسات المتصلة بالانسان والمجتمع ، وبين ما هو ملائم من جهود بذلها البشر طوال قرون فى محاولات للفهم التفصيلى للسنن والقوانين التى تحكم حياة البشر .

ورغم أن المدخل الشامل هو بحكم طبيعته مدخل يتطلب عملا جماعيا منظما ومدعما تدعيما مؤسسيا مناسب ، فقد حاول البعض بذل جهود فردية للتأصيل الإسلامى المنطلق من هذا المنظور الشامل ، فقد بذل الدكتور فاروق الدسوقي (١٩٨٦) جهدا لإيجاد تكامل حقيقى منبثق من فهم واضح للتصور الإسلامى للانسان والمجتمع وبين معطيات علم الاجتماع الحديث ، وسواء اتفقنا مع ما توصل إليه الدكتور الدسوقي فيما يمكن اعتباره محاولة للتأصيل الإسلامى لعلم الاجتماع من المنظور الشامل أو لم نتفق معه فإن المرء لا يملك إلا احترام أصالة البحث وقوة تمكنه من ناحية العلوم الشرعية والعلوم الحديثة لدرجة مكنته بسهولة ويسر من تجاوز ما جاءت به العلوم الاجتماعية الحديثة حينما وجدت الحاجة لذلك .

كما ينبغى أن ننوه أيضا بجهد فردى آخر تقوم به باحثة مسلمة فى اتجاه التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية المنطلق من هذا المدخل الشامل (عفاف الدباغ ، ١٩٨٩) بدءا من محاولة استجلاء طبيعة الانسان الذى نتعامل معه فى محيط الخدمة الاجتماعية ، إلى فهم السنن النفسية والاجتماعية التى تحكم سلوكه ، والوصول إلى تصور إسلامى حول أسباب المشكلات الفردية والاجتماعية ، ومن ثم تحديد طرق التدخل الملائمة للخدمة الاجتماعية المنطلقة من المنظور الإسلامى فى ضوء هذا كله ، ورغم أن هذه محاولة شديدة الطموح فى ذاتها ، إلا أنها إذا أسفرت عن وضع بعض الخطوط على خريطة البحث المنطلقة من هذا المدخل الشامل لتكون عونا للباحثين الذين قد يتفقون أو يختلفون معها على بيئة ، فإنها تكون بذلك قد قدمت إسهاما جيدا ونافعاء ، وقد بدأ ظهور بعض نتائج هذا الجهد بالفعل فى مقال قدمته الباحثة حول « المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية » (١٩٩١) وذلك فى إطار عناصر التصور العام الذى توصلت إليه فى إطار المدخل الشامل الذى تبنته .

خاتمة

لقد حاولنا فى هذه الدراسة تحديد مفهوم التأسيس الإسلامى للعلوم الاجتماعية أو التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية وأيضاً لمهن المساعدة الانسانية ، وقد ركزنا اهتمامنا بالنسبة لتلك العلوم على علمى النفس والاجتماع ، وبالنسبة للمهن على مهنة الخدمة الاجتماعية ، ثم استخلصنا الشروط الواجب توافرها فى أى جهد للتأسيس الإسلامى الصحيح ، وطبقنا هذه الشروط للتوصل إلى المداخل المختلفة التى تعكسها الكتابات الحالية فى الميدان وانتهينا إلى تقسيم تلك المداخل إلى نوعين أولهما مداخل ما قبل التأسيس وثانيهما مداخل التأسيس الصحيح ، وتعرضنا أخيراً للمسلمات الأساسية التى يقوم عليها كل مدخل مع نظرة نقدية توضح مكانه من عملية التأسيس الإسلامى .

والمأمول أن تؤدي هذه المحاولة - وما تستثيره من مناقشات - إلى ازاحة بعض العقبات من طريق حركة التأسيس الإسلامى للعلوم الاجتماعية من جهة ، كما تؤدي إلى وضع بعض العلامات التى تشير إلى الطريق الصحيح إليها من جهة أخرى ، ذلك أنه إذا أمكن التوصل الى نوع من الاتفاق حول الطبيعة الأساسية لعملية التأسيس فى صورتها الصحيحة ، ثم أمكن التعرف على الموقع المحدد الذى يشغله كل مدخل من المداخل المذكورة بالنسبة لتلك العملية فلا شك أن هذا يعطى دفعة للحركة فى الاتجاه الصحيح .

لقد عانت حركة التأسيس الإسلامى للعلوم الاجتماعية فى السنوات الأخيرة من عمومية التناول ، وقد آن الأوان للبحث فى التأسيس وبدء المسيرة فى الطريق الطويل ، بدلا من التوقف عند المسميات أو التعامل مع التصورات غير الصحيحة للتأسيس الإسلامى .

اننا مطالبون جميعا اليوم ببذل أقصى الجهد ليس فقط لتغيير مناهجنا وممارساتنا وإنما لتغيير أنفسنا وتعلم ما ينبغى لنا أن نتعلمه حتى نستطيع الإسهام الجاد منطلقين فى هذا الطريق المبارك الذى يؤجر سالكه على نيته ، ويوفق حسب ظنه بالله وحسب توجهه ، فإن فى ذلك خدمة أوطاننا وخدمة ديننا ، وفيه لنا كأفراد فلاح الدنيا والآخرة.

ونحن اليوم بفضل الله نجد العون والمساندة من الجامعات الإسلامية ومن الهيئات العلمية التى بدأت تقدم لنا آيات القرآن مكشفة موضوعاتها ومفسرة معانيها ، ميسرة للبحث حتى عند من لم تسبق له دراسة العلوم الشرعية ، كما تقدم الأحاديث الشريفة

مبوبة ومفسرة كذلك ، ناهيك عن المراجعات النقدية للإسهامات الفذة لعلماء المسلمين وغيرهم مما يرتبط بكل تخصص على حدة ، وهذا يسقط حجج المحتجين وأعدار المعتذرين بقلة الحيلة ونقص الإعداد .

ولعل تلك الجامعات والهيئات العلمية من جهة أخرى إذ تدرك حاجة المتخصصين في العلوم الحديثة لبناء معرفتهم الشرعية بطريقة مبسطة ولكنها منظمة أن تبتكر لذلك من أساليب التعليم – الذاتى وغيره – ما يعين اخوانهم على تحقيق هذا الهدف النبيل دون أن يتطلب ذلك منهم إهمال أعمالهم أو إنفاق معظم وقتهم فى متابعة الدراسة الشرعية بالطرق والمراجع المعتادة عند المبتدئين .

قائمة المراجع

- ١ - إبراهيم عبدالرحمن رجب : « المنهج العلمى للبحث من وجهة إسلامية » ورقة مقدمة للندوة الأولى للتأصيل الإسلامى للخدمة الإجتماعية ، (المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، القاهرة ١٩٩١) .
- ٢ - اسماعيل الفاروقى : « صياغة العلوم الإجتماعية صياغة إسلامية » المسلم المعاصر ، والعدد ٢٠ - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ص ٣٥ - ٤١ .
- ٣ - اسماعيل الفاروقى : « أسلمة المعرفة » ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٢ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ص ٩ - ٢٣ .
- ٤ - اسماعيل الفاروقى : إسلامية المعرفة : المبادى العامة - خطة العمل - الانجازات ترجمة د. عبدالحميد أبوسليمان (واشنطن : المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٨٦) .
- ٥ - الفاروقى زكى يونس : « الرعاية الإجتماعية فى الإسلام » بحث قدم إلى المؤتمر الدولى لعلماء المسلمين : إسلام آباد - باكستان - ١٤٠١ - ١٩٨١ .
- ٦ - إلياس بايونس : « علم الإجتماع والواقع الإجتماعى المسلم » ، العلوم الطبيعية والإجتماعية من وجهة النظر الإسلامية : تحرير اسماعيل الفاروقى وعبدالله عمر نصيف (جدة : عكاظ ، ١٩٨٤) .
- ٧ - جمال سلطان : « إشكالية وقت الفراغ » ، المسلم المعاصر ، العدد ٥٥ - ٥٦ ، ١٤١٠ - ١٩٩٠ ص ص ١١ - ٣٠ .
- ٨ - زكى محمد اسماعيل : نحو علم اجتماع إسلامي « الاسكندرية : دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٨٨) .
- ٩ - زكى نجيب محمود ، « فى تحديث الثقافة العربية » ، جريدة الاهرام ، ٢١ - ٤ - ١٩٨٧ .
- ١٠ - عبدالحليم رضا عبدالعال : « قضايا متضاربة فى الخدمة الإجتماعية » ، الكتاب السنوي الأول فى الخدمة الإجتماعية ، اشراف د. عبدالمنعم شوقى (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٩) .

- ١١ - عبدالرؤف عبدالعزيز الجرداوى : الإسلام وعلم الاجتماع العائلي (الكويت : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ١٤٠٩ - ١٩٨٨) .
- ١٢ - عفاف إبراهيم الدباغ : « المنظور الإسلامى لممارسة الخدمة الاجتماعية » خطة بحث لنيل درجة الدكتوراة من المعهد العالمى للخدمة الاجتماعية بالرياض ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ .
- ١٣ - عفاف إبراهيم الدباغ : « المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية » ، بحث مقدم لندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية (المعهد العالمى للفكر الإسلامى - القاهرة أغسطس ١٩٩١) .
- ١٤ - على حسين زيدان : « دور الخدمة الاجتماعية فى العمل مع المنحرفين : منظور إسلامى » ، بحث مقدم لندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية (المعهد العالمى للفكر الإسلامى - القاهرة ، أغسطس ١٩٩١) .
- ١٥ - عماد الدين خليل : مدخل إلى إسلامية المعرفة (المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) .
- ١٦ - عمر عودة الخطيب : نخات فى الثقافة الإسلامية (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦) .
- ١٧ - فاروق أحمد الدسوقي : مقومات المجتمع المسلم (بيروت : المكتب الإسلامى ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦) .
- ١٨ - فؤاد عبدالله نويرة : الإسلام والخدمة الاجتماعية ، رسالة دكتوراة نشرتها وزارة الشئون الاجتماعية بمصر (١٩٥٨) ، ١٩٦١ .
- ١٩ - كمال إبراهيم مرسى : « محاضرات فى المدخل إلى التوجيه الإسلامى لعلم النفس » ، مذكرات غير منشورة ، ١٩٩١ .
- ٢٠ - لبيب السعيد : العمل الاجتماعى ، مدخل إليه ودراسة لأصوله الإسلامية (جدة : دار عكاظ ، ١٩٨٠) .
- ٢١ - محمد أحمد عبدالهادى : الخدمة الاجتماعية الإسلامية (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٨) .
- ٢٢ - محمد رفقى عيسى : « نحو أسلمة علم النفس » ، المسلم المعاصر ، العدد ٤٦ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ص ٣١ - ٥٦ .

٢٣ - محمد عثمان نجاتى : « منهج التأصيل الإسلامى لعلم النفس » ورقة مقدمة إلى ندوة التأصيل الإسلامى لعلم النفس ، التى نظمها المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة ١٩٨٩ .

٢٤ - محمد فاروق النبهان : مبادئ الثقافة الإسلامية (الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٩٧٤) .

٢٥ - مختار عجوبة : « المنطلقات النظرية لمداخل الخدمة الإجتماعية المعاصرة » ، المؤتمر العلمى السنوى الثالث لكلية الخدمة الإجتماعية بجامعة حلوان ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

٢٦ - مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : ندوة التأصيل الإسلامى للعلوم الإجتماعية (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - عمادة البحث العلمى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

E.F. O'Doherty, Religion and Psychology (New York : Alba House, 1978).

المنظور الإسلامى للطبيعة الإنسانية

عفاف بنت إبراهيم بن عبدالله الدباغ

مقدمة

تشكل المعرفة بالطبيعة الإنسانية أساساً حيويًا مهمًا ، تعتمد عليه مهن المساعدة الإنسانية The Helping Professions فى عمليات تقديم المساعدة . بل إنه من الحقائق المعروفة أن كل نظرية ، سياسية أو اقتصادية أو تربوية أو اجتماعية ، يكمن وراءها تصور معين للإنسان . فالنظر فى الإنسان ومحاولة الوصول إلى تصور له يطابق - بقدر الإمكان - حقيقته ، ينبغى كما يشير جعفر إدريس ، أن يسبق كل محاولة للنظر فى المبادئ الاقتصادية أو النظم الاجتماعية وأسس الرعاية الاجتماعية ؛ لأن معيار صلاحية هذه المبادئ والنظم هو مدى صلاحيتها للإنسان ، ولا يمكن أن نعرف مدى صلاحيتها له إلا إذا عرفنا أولاً ما هو الإنسان .^(١)

وإذا كانت الخدمة الاجتماعية هى : (الأنشطة المهنية التى تمارس لمساعدة الأفراد، والجماعات والمجتمعات المحلية على زيادة أو إستعادة قدراتهم فى الأداء الاجتماعى . ولتوفير الظروف الاجتماعية التى تساعد على تحقيق هذا الهدف)^(٢) ؛ يصبح تحديد تصور واضح عن الإنسان ، والتعرف على مكوناته وخصائصه ووظيفته فى هذه الحياة، والهدف من وجوده ، إلى غيره من المعارف والقيم المتعلقة بالإنسان ، أساساً ضرورياً وحيوياً يتحدد فى ضوءه الهدف من الأنشطة المهنية ، وأساليب ممارستها .

ولقد اهتم العلماء والمفكرون والفلاسفة منذ القدم بدراسة الإنسان ، فنشأت العلوم المختلفة لدراسته من جوانبه المتعددة ، فالعلوم الحيوية تدرس الإنسان من حيث هو كائن حى ، فتدرس أعضاء جسمه ووظائفها ؛ والعلوم الإنسانية ، مثل علم النفس ، تدرس خواص الإنسان وتكوينه النفسى وسلوكه .

وعلى الرغم من الجهود المتواصلة التى بذلها الباحثون فى تلك التخصصات ، إلا أن ما أحرزته هذه العلوم من تقدم يعتبر ضئيلاً جداً مقارنة بما أحرزته العلوم الطبيعية . ويرجع ذلك إلى الطبيعة المعقدة للإنسان ، وأنه كل لا يتجزأ ، بينما تلك العلوم لاتوصلنا إلى فهمه ككل ، كما يرجع إلى وجود مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية غير معروفة - كما أشار إلى ذلك الكسيس كاريل^(٣) - لم يستطع العلم الحديث التوصل إليها ، نظراً لأنه تحت تأثير المادية العلمية أصبح كل شئ لا يرى بالعين أو لايلمس باليدين مشكوكاً فيه ، بل إن هذه الأشياء (غير المنظورة أو غير الملموسة) أصبحت

مدعاة للسخرية بسبب صلتها المفترضة بالميتافيزيقا . فلا شئ علمى أو حقيقى إلا أن يدرك بالحواس أو يرد إلى أسباب فيزيائية (٤) .

وبناء على ذلك أصبح من غير الممكن الوصول إلى نتائج وحقائق ذات معنى عن الإنسان لما فيه من جوانب لا يمكن التحقق منها باستخدام ذلك المنهج . ونجد من المتخصصين من ينبه إلى ذلك أمثال إليزابيث سالمون E. Salomon الأخصائية الاجتماعية اليهودية - التى تنتقد سيطرة وهيمنة الفلسفة الوضعية على الخدمة الاجتماعية وتقول إنها تجعلنا ننظر إلى الإنسان ونقيمه بطريقة آلية ، وتقودنا إلى البحث عن المعلومات Knowledge لأنها موضوعية ، وإهمال القيم Values لأنها غير موضوعية (٥) .

كما أشار إلى ذلك بيرنارد كوفلين B. Coughlin - عندما كان عميدا لمدرسة الخدمات الاجتماعية بجامعة سانت لويس - وأكد على أهمية الأسس الدينية لفهم طبيعة الإنسان (٦) .

ومن هنا يصبح الاعتماد على الوحي كمصدر لمعرفة تلك الجوانب الغيبية للإنسان أمراً لا بد منه . لذلك فعملية تدبر القرآن الكريم ، وفهم السنة المطهرة من أهم الوسائل البحثية التى تعين فى فهم الخصائص الإنسانية .

ولذلك فإن المتخصصين المسلمين فى الخدمة الاجتماعية يجدون أنفسهم فى مأزق كبير عند محاولتهم تأصيل الخدمة الاجتماعية تأصيلاً إسلامياً ، حيث لم يتم بعد بلورة هذه الوجهة الإسلامية لعلم النفس . وعليه فإنه ليس أمامهم إلا الانتظار الذى قد يطول حتى يقوم رجال علم النفس بتلك المهمة الحيوية . أما إذا أثروا عدم الانتظار ، فليس أمامهم إلا أن يأخذوا بأفضل ما توصلت إليه المحاولات القائمة فى هذا الشأن ، والإسهام بالرأى فى تلك المحاولات بالقدر الذى يستطيعونه ، مهما كان ضئيلاً .

لذا فإن هذا البحث سيحاول الإسهام فى بلورة التصور الإسلامى للطبيعة الإنسانية فى الإطار الذى يمكن استخدامه لتفسير المشكلات الفردية والاجتماعية التى تأتى بها العملاء للأخصائى الاجتماعى ، والاعتماد على ذلك التصور كأساس يوجه التدخل المهنى فى الخدمة الاجتماعية .

ولتحقيق هذا الهدف ستستقى الباحثة - بقدر المستطاع المعلومات من المصادر التالية :-

- ١ - نتائج الدراسات العلمية الحديثة .
- ٢ - نتائج المحاولات الحديثة للتأصيل الإسلامى لعلم النفس .
- ٣ - القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وتراث السلف .

محاولة بذلك أن تصل إلى التكامل - الذى يتطلبه منهج التأصيل الإسلامى بمعناه الصحيح - بين مانستقرئه من المصادر الإسلامية وبين مايمكن الاستفادة به من نتائج العلوم الحديثة .

ويتناول البحث موضوع الطبيعة الإنسانية من خلال العناصر الآتية :-

أولا : ماهية الإنسان .

ثانيا : الإرادة الإنسانية .

ثالثا : الغاية من خلق الإنسان .

رابعا : الصفات الإنسانية .

أولا : ماهية الإنسان

يعلمنا الله - عز وجل - من خلال عدة آيات قرآنية ، أنه خلق آدم - أبا البشر - من طين ثم نفخ فيه من روحه . فى مثل قوله تعالى : (واذا قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (الحجر : ٢٩) وهذا يدل على ثنائية تكوين الإنسان ، التى كان يؤمن بها الفكر الإثنائى منذ القدم ، فنجد - كما يذكر مذكور - أن الفكر الشرقى القديم كان يدور فى جزئه الأعظم حول النفس فى أصلها ومعادها ووسائل تهذيبها وتطهيرها . وقدماء المصريين كانوا يؤمنون إيماناً جازماً بالخلود ، وأن الجسم يعود إلى التراب ، والنفس ترجع إلى الله لتثاب أو تعاقب^(٧).

وفى الثقافة اليونانية ظهر سقراط وأفلاطون الذى قال : « إن الإنسان هو النفس وأن الجسم آلة » ويذهب إلى أن الجسم يشغلها عن فعلها الذاتى (الفكر) ويجلب لها الهم بحاجاته وآلامه ، وأنه تقهره وتعمل على الخلاص منه^(٨) وهذا قريب مما قاله الغزالي فيما بعد .

ثم جاء أرسطو بأول دراسة منظمة مبوية فى كتابة عن « الروح » وكان لبحوثه أثر واضح على فلاسفة الإغريق وفلاسفة العرب ، أمثال « ابن سينا » ، « وابن رشد »^(٩). ويقول كارل يونج (C.Jung) أن البشرية كلها ظلت تؤمن أن الروح له وجود مستقل حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، حيث شيدت لنفسها اعتقادا جديدا يقوم على مبدأ « علم النفس بلا نفس » أو « علم الروح بلا روح » وذلك تحت تأثير « المادية العلمية » . ومنذ ذلك الحين أخذ الإيمان بأن للروح وجودا مستقلا يتراجع أمام القناعة بأن الوجود هو للأشياء المادية وحدها . حتى صار قادة الفكر والبحث فى أوربا ينظرون إلى العقل على أنه تابع للمادة والسببية المادية تبعية مطلقة^(١٠) .

ولذلك انتقل علم النفس إلى دراسة السلوك الخارجى ، حتى سماه البعض بعلم السلوك الذى يدرس السلوك الظاهرى ، وليس له أن يستنتج أن للإنسان شعورا أو عقلا لأن هذه أمور لا يمكن ملاحظتها (١١) .

وهذه « المادية العلمية » تمثل عند توماس برى النظرة القديمة للعلم . وعلماء النفس فى هذه النظرة القديمة يتفقون على أن الغرائز والانفعالات هى التى تقود الإنسان ، ولكنهم يختلفون بصدد تحديد الغريزة الأساسية . بعضهم مثل هوبز (Hobbes)، يزعمون أنها الخوف من الموت ، بينما يقول مالتوس (Malthus) أنها غريزة الجوع ، وفرويد (Freud) يقول أنها غريزة الجنس .

ثم ظهر المذهب السلوكى الذى أسسه جون واطسون (Watson) وهو لا يحاول أن يستمد العقل من المادة ، ولكنه يتساءل لماذا ينبغى على العلم أن يعترف بالعقل أصلا اذا لم يكن قط مصدرا لآى تفسير علمى . وتبعاً لذلك تؤكد السلوكية أن جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة . وعليه فإن لاشئ فى الإنسان يمكن أن يبقى بعد الموت، فإذا كان التفكير والإرادة نشاطين من أنشطة الدماغ فليس هناك سبب يجعلهم يفترضون ان هذين النشاطين يمكن أن يستمرا بعد فناء الدماغ . وبالرغم من وضوح تفسير العقل فى النظرة القديمة ، إلا أنه ما من أحد فى القرن التاسع عشر استطاع أن يحدد بالضبط كيفية انبثاق العقل من المادة . إلى أن جاءت الكشوف الجديدة فى القرن العشرين لتقدم نظرة جديدة ، بدأت بتشارلز شرنفون الذى يعتبر مؤسس فسيولوجيا الأعصاب الحديثة . ولقد خلاص إلى ما يلى :

« هكذا ظهر فرق جذرى بين الحياة والعقل . فالحياة هى مسألة كيمياء وفيزياء ، أما العقل فهو يستعصى على الكيمياء والفيزياء » (١٢) .

إلا أنه فى الآونة الأخيرة - وبفضل الله - ظهرت العديد من الكتابات حول موضوع طبيعة الإنسان ، من مفكرين مسلمين ، ومتخصصين فى علم النفس استخدموا فيها المصادر سابقة الذكر . ولقد صنف أبوحطب المحاولات التى بذلت من المتخصصين إلى ستة اتجاهات تناولها بالنقد وأوضح مميزات كل منها (١٣) . وسوف يستعين هذا البحث - بإذن الله - بهذه الكتابات بعد الاعتماد على المصادر الرئيسية (كما سبق الإشارة) ، لتوضيح النظرة الإسلامية لطبيعة الإنسان ومكوناته - بالقدر الذى يفيدنا - وذلك على النحو التالى :-

١ - حول النفس والروح :

يقول الراغب الأصفهاني فى ماهية الإنسان : « أنه مركب من جسم مدرك بالبصر ، ونفس مدركة بالبصيرة » (١٤) والنفس المفارقة للبدن بالموت - كما يقول ابن

تيمية - ليست جزءا من أجزاء البدن ولاصفة من صفاته . والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه ، وهي النفس التي تفارقه بالموت . قال تعالى : «الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » (الزمر : ٤٢) فقد سمي المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا . وسمى المعروج به إلى السماء روحا ونفسا . ولكن يسمى نفسا باعتبار تدبيره للبدن ، ويسمى روحاً باعتبار لطفه . (١٥) وهذا يوافق ما نقله ابن كثير عن السهيلي في تفسيره للآية الكريمة : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » (الإسراء : ٨٥) حيث قال : « إن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن إتصالها بالبدن فهي هي من وجه ، لامن كل وجه » (١٦) .

وفي هذا المعنى - كما ترى الباحثة - حسم معقول للأراء الكثيرة والمختلفة التي وردت في التفريق بين الروح والنفس . ولقد استعرض الرازي هذا الأراء بالتفصيل في تفسيره . (١٧)

ولقد أخذ بهذا المعنى من المحدثين محمد رشاد خليل ، بعد تأكيده على أن الإسلام يقرر وحدة الذات الانسانية التي تتكون من الروح والجسد معا ، وأن الإنسان يعمل ككل وهو مسئول ومحاسب ككل باعتبار هذه الوحدة ، إلا أن الإسلام يقرر في نفس الوقت إن الروح مخلوق مفارق ، يدخل في الجسم ويخرج منه ، ولها نشاط مستقل تماما عن الجسد وهي موجودة فيه ، وذلك بجوار نشاطها باعتبارها وحدة واحدة مع الجسد (١٨) . ويقول ابن القيم الذي يأخذ بترادف المعنى لكلمة نفس وروح ، أن الروح : « جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جنس نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جواهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء في الورد والنار في الفحم » . ويؤكد على صواب هذا القول حيث دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة (١٩) . ويستطرد محمد خليل فيقول ، إنه قد ظهر النشاط الخاص بالروح بصورة أجبرت كثيرا من الباحثين في الغرب على الاهتمام بها ، ورصدها بصورة تقطع بها باعتبارها حقيقة علمية (٢٠) .

ويقول عباس العقاد : « إن الروح في الكتاب المبين هو أقرب القوى إلى الحياة الباقية ، وأخفاها عن المدارك الحسية . وأنه الجانب الذي استأثر الله بعلمه واحتجب عن انبيائه ، لأنه سر الوجود المطلق ، لا قدرة للعقل الإنساني المحدود على الإحاطة به ووعيه إلا بما يناسبه من الإشارة والتقريب » (٢١) .

أما النفس فلقد وصفت في القرآن الكريم بثلاث صفات ، فهي أمانة بالسوء « إن النفس لأمانة بالسوء » (يوسف : ٥٣) ، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة « ولا أقسم

بالنفس اللوامة « (القيامة :٢) تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها ، وتلوم بين الفعل والترك ، إذا قوى الإيمان صارت مطمئنة « يا أيها النفس المطمئنة « (الفجر : ٢٧) ولهذا قال النبي ﷺ : « من سرته حسنته وساعته سيئته فهو مؤمن » (٢٢).

وفى العلاقة بين النفس والجسد ، يشبه الغزالي نفس الإنسان فى بدنه مثل ملك فى مدينته ، ولا يمكن للعبد ان يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا ، فان المنزل الأدنى لابد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى ، فالدنيا مزرعة الآخرة (٢٣) وواضح هنا إنه استخدم كلمة نفس قاصدا بها الروح والغزالي لا يجعل من علاقة النفس بالبدن أمرا موجبا لألم النفس وعذابها وشعورها بالغربة والسجن ، لأنه لا يغالى فى احتقار مادة الإنسان الجسدية . (٢٤) كما فعل ذلك أفلاطون ، فيما سبق الإشارة إليه .

٢ - حول العقل والقلب :

يشير الغزالي إلى وجود معانى مختلفة للعقل ، من جملتها معنيان :

أحدهما يراد به العلم بحقائق الأمور ، فيكون صفة العلم الذي محله القلب ، والثانى يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب . (٢٥) ويقول ابن تيمية إن اسم العقل عند المسلمين إنما هو صفة ، وهو الذى يسمى عرضا قائما بالعقل ، وعلى هذا دل القرآن الكريم فى قوله تعالى : (لعلكم تعقلون) ، (إن كنتم تعقلون) . ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلا ، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذى لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ، بل إنما يسمى به العلم الذى يعمل به والعمل بالعلم ، والعقل قائم بنفس الإنسان التى تعقل . وأما من البدن فهو متعلق بقلبه ، أما إذا أريد بلفظ القلب باطن الإنسان مطلقا ، فالعقل متعلق بدماغه أيضا ولهذا قيل أن العقل فى الدماغ (٢٦) . ومما يدعو للدهشة موافقة يونج على هذا المعنى حيث يقول : «نحن نحسب أن أفكارنا تقوم فى رؤوسنا ، ولكن عندما يتعلق الأمر بمشاعرنا نبدأ فى التردد ، يبدو أنها تقيم فى منطقة القلب » . كما يشير إلى مايقوله هنود البوابلو عن الأمريكيين من أنهم قوم مجانيين لأنهم يعتقدون بأن أفكارهم محلها رؤوسهم ، على حين ان الإنسان العاقل يعلم أنه إنما يفكر بقلبه (٢٧) .

والقلب عند الغزالي هو الروح الانسانى المتحمل لأمانة الله ، المتحلى بالمعرفة ، المركوز فيه العلم بالفطرة ، الناطق بالتوحيد بقوله بلى ، فهو أصل الأدمى ونهاية الكائنات فى عالم المعاد (٢٨) .

ويقول فى موضوع آخر ، إن الإنسان خلق من بدن وقلب ، وأن بالقلب حقيقة روحه التى هى محل معرفة الله (٢٩) .

ويشير ابن تيمية إلى أن صلاح القلب وحقه الذي خلق من أجله هو أن يعقل الأشياء ، لا أن يعلمها فقط ، فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلاً له ، بل غافلاً عنه ، والذي يعقل الشيء هو الذي يقيده ويضبطه ويعيه ويثبتته في قلبه . فيكون وقت الحاجة إليه غنياً فيطابق عمله قوله ، وباطنه ظاهره ، وذلك هو الذي أوتى الحكمة ، فإذا كان حق القلب أن يعلم الحق ، فإن الله هو الحق المبين (٢٠) .

وكأن هناك مستويين للعلم : علم غير عاقل . فالإنسان يمكن أن يعلم الشيء ولكن لا يعقله ، ولكن إذا عقله فهو بالضرورة علمه . ويصل الإنسان إلى مستوى - عقل الشيء - متى اتصل العلم بقلبه ، أي بوجوده فيندمج معه ، وحينئذ تصدر عن هذا الاندماج الإرادة المحركة للسلوك . ولقد قيل في العلاقة بين القلب والنفس : « أن النفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا ، والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى ، والقلب بين الداعيين ، يميل إلى هذا الداعي مرة ، وإلى هذا مرة ، وهذا هو موضع المحنة والابتلاء » (٢١)

فالقلب في محاولته السيطرة على الجوارح ، يتأثر بالنفس والهوى فإذا استطاع أن يتغلب على نفسه ، فإن هذا يدل على نجاح عملية الدمج بين العلم والوجدان ، وظهرت نتيجتها المرجوة على سلوكه ، أما إذا لم ينجح في التغلب على أهوائه ونفسه ، تكون عملية الدمج قد فشلت ونتج عن ذلك إرادة فاسدة وسلوك منحرف .

وانطلاقاً من أهمية المعرفة للإنسان والعقل بالمعنى المذكور سابقاً : عرف الأصفهاني الإنسان بأنه : « من عرف الحق فاعتقده ، والخير فعمله بحسب وسعه » وهذا هو الإنسان بالمعنى « الخاص » ، أما الإنسان بالمعنى « العام » فهو : « كل منتصب القامة مختص بقوة الفكر ، واستفادة العلم » فالإنسانية بالمعنى العام هي ماتوفر للإنسان من ماهية بحسب الخلقة ، أما الإنسانية بالمعنى « الخاص » فهي ما يكتسبه الإنسان بسعيه من اعتقاد الحق وعمل الخير . وهذا المعنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون تفاوتاً بعيداً ، وبحسب تحصيله تستحق الإنسانية .

ثانياً : الإرادة الإنسانية

لعله من أكثر القضايا التي أثارت الجدل هي قضية الإرادة لدى الإنسان ، ويعتبر فهمها على الوجه الصحيح ضرورة لتثبيت العقيدة وتنقيتها من أي شبهات . ومتى حدث هذا ، فستطمئن نفس الإنسان - بإذن ربها - وسيسلم الإنسان وجهه لله ويعبده ويستعين به ، ولا يتكل بل يتوكل عليه .

ويتميز الإنسان عن باقي الكائنات بكونه مكلفاً ومسئولاً ، والله سبحانه هيأه للقيام بهذا التكليف وتحمل المسؤولية ، فمنحه حرية الإرادة فهو يفعل الخير مختاراً فيثاب عليه ، ويفعل الشر مختاراً فيعاقب عليه . قال عز وجل : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (الزلزلة : ٧ ، ٨) ولقد خلق الله الإنسان مستعداً لأن يسعد نفسه بالخير أو يشقيها بالشر كما في قوله تعالى :

« وهديناه النجدين » (البلد : ١٠) ، واتفقت التفاسير فى معنى النجدين أنه طريق الخير والشر. وفى آية أخرى : « ونفس وماسواها ، فآلهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (الشمس ٧ - ١٠) ومعنى ألهمها : عرّفها . الفجور والتقوى هى المعصية والطاعة مطلقا . والمقصود أن الله سبحانه قد بين للنفس ماينبغى لها ان تأتى أو تذر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية (٢٢) . وقال سبحانه فى آية أخرى : « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » (الانسان : ٣) والمراد من هداية السبيل خلق الدلائل ، وخلق العقل الهادى ، وبعثة الأنبياء ، وإنزال الكتب ، والسبيل هو سبيل الخير والشر ، النجاة والهلاك . ومجاز قوله « إما شاكرا وإما كفورا » قول القائل : قد نصحت لك إن شئت فأقبل ، وإن شئت فاترك (٢٣) . وكما تدل هذه الآيات على « حرية إرادة الإنسان ، فإنها تشير أيضا إلى أن الخير هو فى طاعة الله ورسوله ، والشر هو فى معصية الله ورسوله . فلا شئ يحدد ما هو خير وما هو شر سوى هذا المبدأ . فلا نسبية فى القيم العامة والأخلاق ، ولا سيطرة للثقافة المجتمعية إلا فى حدود ماشرعه الله ، ولا اعتبار لمصالح الفرد أو المجتمع إلا فى هذه الحدود أيضا . فشرع الله يمثل الحق الذى فى ضوئه تصل إلى الحقيقة . وفى حديث للرسول ﷺ . إنه قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا ، يا رسول الله ومن أبى؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » (٢٤) .

ففى هذا الحديث دلالة قوية واضحة على إرادة الإنسان ومسئوليته وإلى موطن الخير .

فالإنسان إذاً ذو حرية واختيار ، ولكن هل يتعارض هذا مع الإيمان بأن الله عليم ما سيكون كله قبل أن يكون ؟ قاله سبحانه وتعالى علم أهل الجنة من أهل النار من قبل أن يعملوا الأعمال . كما ورد فى الصحيحين عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ ببقيع الفرقد فى جنازة . فقال : ما بينكم أحد إلا قد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة . فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على الكتاب ونندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة . وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ قوله تعالى : « فأما من أعطي واتقى وصدق بالحسنى فسيسرهُ ليسرهُ ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيسرهُ للعسر » (٢٥) وكما يوضح ابن تيمية فإن الله سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ما هى عليه ، وهو قد جعل للأشياء أسبابا تكون بها ، فيعلم انها تكون بتلك الأسباب . فهو يعلم مثلا أن هذا (شخص ما) ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب . فلو قال : إذا علم أن سيكون فلا حاجة إلى البذر ، كان جاهلا ضالا ؛ لابد من الأسباب التى علم الله أن هذه الأمور تكون بها . ولهذا أمر

الناس بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الأسباب . فليس فى الدنيا والآخرة شئ إلا بسبب ، والله خالق الأسباب والمسببات . وكذلك أمر الآخرة ، ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة ، بل هى سبب ، ولهذا قال النبى ﷺ : « إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ! قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » (٣٦) وقد قال تعالى : « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » فهذه باء السبب ، أى : بسبب أعمالكم ، والذي نفاه الرسول ﷺ باء المقابلة ، كما يقال : اشتريت هذا بهذا ، أى ليس العمل عوضا وثمنا كافيا فى دخول الجنة ، بل لابد من عفو الله وفضله ورحمته » (٣٧) .

ولقد ضل كثير من الناس فى هذا الموضع ، قسمهم ابن تيمية إلى فريقين : فريق آمنوا بالقدر ، وظنوا أن ذلك كافٍ فى حصول المقصود ، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة . وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر ، متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم ، وهؤلاء جهال ضلال . فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه ، ولأنهاهم عما نهاهم عنه بخلا به ، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم . وهو سبحانه غنى عن العالمين ، وجميع ما ينالون به الخيرات من قواهم وغير قواهم هى بفضله ، فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله ، وإن كان أوجب ذلك على نفسه . كما حرم على نفسه الظلم (٣٨) . وكل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، كما فى الحديث القدسى : « يا عبادي إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم أياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومئها الا نفسه » (٣٩)

فيما سبق تم توضيح بعض جوانب تلك القضية المهمة ، بشئ من التفصيل وذلك نظرا لأهميتها الخاصة بالنسبة للأخصائى الاجتماعى الذى يتعامل مع من لديهم مشكلات قد يكون من أسبابها وقوعهم فى الضلال المشار إليه سابقا - نتيجة جهلهم فإذا أعطى العذر للناس على جهلهم ، فلا نستطيع إعطاءه للأخصائى وهو فى موقع المسئولية . ولكن للأسف أن ما يعرفه الأخصائى حول مثل هذه القضايا - من الوجهة الإسلامية - يتساوى مع غيره . نظرا لما تفتقر إليه مناهج الإعداد المهنى لهذه الجوانب بل قد تكون بعض المعارف التى اكتسبها أثناء إعداده . سببا فى زيادة بعده عن المفاهيم الإسلامية . فما تعلمه حول هذا الموضوع يتمثل فى أفكار ومفاهيم النظريات الغربية ، التى وإن لم تتعرض لتقدير الله سبحانه لسلوك العباد ، فانها تفترض جبرا من أنواع أخرى مادية ، يمثل ذلك ما قاله فرويد مثلا من أن الإنسان تحكمه القوى البيولوجية ، فكل ما يقوم به وما يفكر فيه - بل وما يراه فى منامه أيضا - نتيجة تأثير قوى داخلية لا شعورية تسيطر عليه وبذلك فليس للإنسان - فى نظر فرويد - إرادة

حرية تذكر وكذلك الحال لدى سكرنر (ممثل النظرية السلوكية) الذي سلب الإنسان حرية إرادته ، فشبهه بالآلة فقال إنه : (A complex system behaving in lowful way) ، وهو يغير فرويد تماما فيما يراه من مسببات للسلوك ودوافعه حيث يرجعها إلى قوى خارجية بالبيئة المحيطة ^(٤١) . وعليه فإنه يرى إن الناس لا يملكون الحرية ، وانهم غير مسئولين عن أعمالهم ولا يجب أن نوجه إليهم اللوم عندما يفشلون ، أو نمدحهم عندما ينجحون . وهو يرى أن المهندس الاجتماعي (Social engineer) المتفهم لكل أسس التعلم ، يمكن أن يشكل الناس في أى صورة مرغوبة سواء للخير أو للشر ^(٤٢) والواقع انه يمكن أن نستخلص - من النظريتين - ما يفيدنا في الوجهة الإسلامية ، فلقد نجح فرويد - بلاشك - في تحذيرنا من قوة الدوافع البيولوجية التي تقابل في معظمها الشهوات - وخطورة تأثيرها على الإنسان (فيما سيأتى عرضه مفصلا) كما أن سكرنر نجح في توضيح أهمية البيئة ودورها في تعليم الإنسان وتكوين معارفه وإتجاهاته وقيمه . إلا أن كلا منهما قد فشل في الاعتراف بإرادة الإنسان ، التي يستطيع أن يستخدم بها معرفته في التحكم بشهواته . وإن فرويد وسكرنر يمثلان النظرة القديمة للعلم التي كان من نتائجها : « أن العقل البشرى لا يستطيع أن يختار بحرية لأن المادة لا تتصرف إلا بضرورة ميكانيكية » ^(٤٣) ولكن بعد أن أثبت العلم ان الإرادة البشرية غير مادية ، لم تعد هناك كما يقول اكس أسباب علمية وجبهة لإنكار حرية الإرادة . بل ان إنكار حرية الإرادة يجعل من العلم كله أمرا منافيا للعقل » ^(٤٤) .

تلك هي بعض النظريات الغربية التي يتعلمها الأخصائى الاجتماعى أثناء إعدادة المهنى . وكما هو واضح اختلافها وتعارضها ، فانه واضح أيضا بُعدها عن المفهوم الاسلامى ، وإن كان العلم الحديث قد أثبت حرية الإرادة لدى الإنسان ، إلا أنه لم يأخذ في اعتباره الإرادة الإلهية التي بها يتضح موقع الإرادة الإنسانية . قال تعالى : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » (التكوير : ٢٩) .

ثالثا : الغاية من خلق الإنسان

قد يغفل الكثير من الناس عن التأمل والتدبر في حقيقة الغاية من خلقهم في هذه الحياة الدنيا ، كما أرادها الخالق عزوجل ، وذلك نتيجة انشغالهم بأمور حياتهم اليومية، فتحتل الاهداف قصيرة المدى - الجزء الأكبر من اهتمامهم وتفكيرهم ، فينسبون أن مايسعون لتحقيقه ، لايمثل في واقع الأمر سوى وسائل لتحقيق الهدف البعيد ألا وهو العبودية لله عز وجل في هذه الحياة الدنيا لكي ينالوا نعيم الحياة الآخرة .

يصف يونج (المتوفى عام ١٩٦١م) المرحلة التي نعيشها بأنها أعظم ماتكون قلقا وتوترا عصبيا ، وانحرافا فى نظرتنا إلى الحياة . ويذكر أن العديد من الناس المثقفين جاعوه لا لأنهم كانوا يشكون من صعاب ، وإنما لأنهم لم يستطيعوا أن يجدوا معنى للحياة ، وكانوا يرهقون أنفسهم بأسئلة لايسع الفلسفة المعاصرة ولا الدين أن يجيبهم عليها ^(٤٥) . بينما يخالفه كوفلين ، إذا يقول أن هذه الاسئلة التى يتساعلها الإنسان دائما عن الهدف من حياته ، وعن معنى الحياة ، لن يجد لها إجابة باستخدام العقل وحده ، أو المعارف الامبيريقية . ولكن هى وظيفة الدين أن يجيب عليها . ^(٤٦) والواقع أن يونج يقصد بإشارته إلى الدين - الدين المسيحى المحرف - فهو يرى أن ما جاء به فى هذا الصدد لايقنع الكثير من الناس بل يزيد من حيرتهم .

ويذكر اريك فروم أنه خلال القرون الماضية - وحتى القرن السابع عشر والثامن عشر لم يكن الهدف من الحياة هو ممارسة أقصى مايمكن من المتع والملذات البدنية ، فقد كان المعلمون الكبار معنيين بسعى الإنسانية لتحقيق أعلى درجة من الحياة الطيبة، مع الاهتمام بالتمييز بين الرغبات (الاحتياجات) المستندة إلى مشاعر ذاتية والتى لاىؤدى إشباعها إلا إلى لذة وقتية ، ونوع آخر من الرغبات لها جذورها فى الطبيعة البشرية ، ويؤدى إشباعها إلى مزيد من النضج الإنسانى والحياة الطيبة (يقصد الدينية والروحية) .

وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، نادى الفلاسفة بنظرية إن الهدف من الحياة هو تحقيق كل رغبات الإنسان . ولقد ظهر هذا المفهوم بعد أن تحول معنى «الكسب» من «الكسب الروحى» إلى الكسب المادى والربح النقدى ، وذلك عندما تمكنت الطبقة الوسطى ليس فقط من تحطيم أغلالها السياسية ، وإنما حطمت أيضا كل روابط الحب وعلاقات التكافل واعتقدت أن حياة الإنسان من أجل نفسه فقط تعنى تعظيما لذاته وليس إنقاصا لها . فقد اعتبر هوبز أن السعادة هى التقدم المطرد دائما من شهوة لشهوة .

ثم ظهرت نظريات أخلاقية عديدة كان بعضها أشكالا أكثر تهذيبا لمذهب اللذة ، مثل كانت ، وماركس ، ولكن العصر الحالى يشهد - إلى حد كبير - عودة إلى أفكار وممارسات مذهب اللذة الراديكالى ^(٤٧) . فنجد فرويد مثلا يرى أن هناك هدفا مطلقا واحدا فى الحياة ، وهو التقليل من التوتر ^(٤٨) . أما يونج فيرى فى بقاء وتكاثر النوع والنمو الارتقائى المستمر أغراضا نهائية لحياة الإنسان وعلاقاته مع العالم الخارجى ^(٤٩) . بينما يرى ادلر أن الهدف النهائى للإنسان هو أن يكون متفوقا . وهو لايعنى بالتفوق الإميتاز الاجتماعى أو المنزلة المرموقة فى المجتمع ، إنما هو عمل من أجل بلوغ الكمال وأنه الدافع الأعظم إلى الأمام ^(٥٠) . وهو بهذا المعنى يتفق مع روجرز

الذي يرى في تحقيق الذات الهدف المطلق لحياة الإنسان (٥١) . وكذلك كورت جولد شتين الذي يرى في تحقيق الذات القوة الدافعة الرئيسية ، ويعنى بها أن الإنسان يحاول على الدوام تحقيق إمكاناته الكامنة . وهذه الوجدانية في الغرض هي التي تحدد حياة الإنسان اتجاهها وتمنحها وحدتها (٥٢) .

وماسلو الذي يعرف الإنسان بأنه « حيوان ذو رغبات متجددة » The human being is a wanting animal. يرى في إشباع هذه الحاجات ، والتي في قممتها تحقيق الذات مهمة الإنسان خلال حياته . (٥٣) أما أريك فروم فهو يؤكد على حاجة النوع الإنساني إلى إطار للتوجيه وموضوع للعبادة أي حاجته إلى دين . (٥٤) ويشير إلى خطورة فقدان مثل هذا الإطار وما قد يصيب الإنسان من ارتباك وعجز عن الفعل الهادف المنسق نظرا لأنه سيفتقد المعنى من وراء وجود الكون . ويقول :

« نحن في حاجة إلى موضوع نكرس من أجله كل حياتنا ، لجعل طاقاتنا تتكامل في اتجاه واحد ، ولكي نشبع حاجتنا لأن يكون لحياتنا معنى » (٥٥) .

يتضح من الأمثلة السابقة - وكما قال يونج - محدودية النظرة الحالية واقتصارها على الأهداف المادية التي - كما يظنون - تحقق سعادة الإنسان في هذه الدنيا . وهذا نتيجة لقطعهم الصلة بين الإنسان وخالقه ، ولاستبعادهم بالكلية الحياة الأخرى ، فإذا لم تكن هناك حياة أخرى ، ويموت الإنسان تموت نفسه وروحه بمعنى لاحياة للنفس بعد موت الجسد ، فإنه من الطبيعي أن يصبح هدف الإنسان هو تحقيق أقصى قدر ممكن من المتعة والسعادة في الحياة الدنيا .

ولذلك فالنظرة الإسلامية تغاير تماما المنظور الغربي ، فيما يروونه أهدافا هي (في أحسن صورها) وسائل للهدف الرئيس من المنظور الإسلامي الذي نوضحه فيما يلي :

يقول عز من قائل : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (الذاريات : ٥٦) لذلك نجد معظم علماء الإسلام المحدثين يتفقون على أن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله . ويقول ابن عاشور في تفسيره « ليعبدون » إن اللام لام العلة ، أي ما خلقتهم إلا لعله عبادتهم إياي . أي ما أرضى لوجودهم إلا أن يعترفوا لي بالتفرد بالالهية . أما معنى العبادة فهي إظهار الخضوع للمعبود واعتقاد أنه يملك نفع العابد وضره ملكا ذاتيا مستمرا ، فالمعبود إله للعابد (٥٦) .

ويقول الأصفهاني : « إن كل نوع أوجده الله تعالى في هذا العالم ، أو هدى بعض الخلق إلى إيجاده وصنعه ، فإنه أوجد لفعل يختص به ، ولولاه لما وجد ، وله غرض لأجله خُصَّ بما خُصَّ به » (٥٧) ولقد استخدم الأصفهاني كلمة « أوجد » لتنطبق على الكائنات التي خلقها الله ، والأشياء التي يصنعها الإنسان . فالمقصود أن لكل كائن ،

ولكل شئ مصنوع وظيفة وجد من أجل القيام بها فإن لم يقم بها انتفى الغرض من وجوده ، ويقسم الوظيفة أو الفعل الذي اختص به الإنسان إلى ثلاثة أمور هي :

١ - عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى : « واستعمركم فيها » (هود : ٩١) وذلك تحصيل مابه صلاح المعاش لنفسه ولغيره .

٢ - عبادته المذكورة في قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وذلك هو الامتثال للبارى عز وجل في أوامره ونواهيه .

٣ - وخلافته المذكورة في قوله تعالى : « ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون » (الأعراف : ١٢٩) وغيرها من الآيات ، وذلك هو الاقتداء بالبارى سبحانه على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة .

ولقد شرح الفرق بين هذه الأمور الثلاثة ، فعمارة الأرض المقصود بها القيام بما فيه تزجية أو تيسير لحياة الناس ، وصلاح معاشهم ، والإنسان لاسبيل إلى بقاءه في الدنيا إلا بما يسد جوعه ، ويستتر عورته ، ويقيه من الحر والبرد . فلم يكن له بد من تحصيل ذلك من الوجه المباح له . ومتى سعى العبد في ذلك على الوجه الذي يجب ، وكما يجب ، يكون سعيه عبادة وجهادا في سبيل الله .

وفي الفرق بين العبادة والمكارم ، يقول إن للعبادات فرائض معلومة وحدودا مرسومة، وتاركها يصير ظالما متعديا ، والمكارم (جمع مكرمة) بخلاف ذلك ، فهي تفضل على ما يجب . وتحرى العبادات من باب العدل وهو فعل ما يجب ، وتحرى المكارم من باب الفضل والنفل . فلن يستكمل الإنسان مكارم الشرع ما لم يقم بوظائف العبادات . ومكارم الشريعة هي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس ، والحلم ، والإحسان (٥٨) .

وبهذا نرى أن معنى العبادة يشمل الخلافة ، وعمارة الأرض.

ويقول الله تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم إلينا لا ترجعون » (المؤمنون : ١١٥) فلو لم يكن خلق البشر في هذه الحياة مرتبا عليه مجازاة الفاعلين على أفعالهم، لكان خالقه قد أتى في فعله بشئ عديم الفائدة فكان فيه حظ من العبث (٥٩) . لذلك لا يستوى المؤمن والكافر. فالإنسان الذي يقوم بالعبادة - التي من أجلها خلق - حق القيام قد استكمل الإنسانية ، ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية فصار حيوانا وبدون الحيوان . كما وصف الله - عز وجل - الكفار : « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » (الفرقان : ٤٤) .

فهل يمكن القول في ضوء ما سبق أن الأهداف التي تفترضها النظريات الغربية لوجود الإنسان على الأرض تمثل الجزء الأول من وظيفة الإنسان كما يصفها المنظور الإسلامي ، وهي عمارة الأرض ؟ لا اعتقد ذلك ، نظرا لأن هناك شروطا حتى لكيفية

السعى لتحصيل صلاح المعاش وهو الالتزام بما يبيحه الله والبعد عما يحرمه . مما لا يتحقق في وجهة النظر الغربية .

وهناك من ينظر للموضوع من زاوية أخرى ، مثل الميداني الذي اعتمد في تحديده للغاية من خلق الإنسان على الآية الكريمة الآتية : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » (الإنسان ٢ ، ٣) .

فالفائدة من خلق الإنسان بهذا التركيب العجيب من أخلاط مختلفة ، (من الصفات الجسدية والفكرية والنفسية) - ابتلاؤه أي امتحانه واختباره ، لذا كان لابد - لاستكمال شروط الامتحان الأمثل - من تزويده بوسائل المعرفة ، وأهم وسائل المعرفة التي ترتبط بها المسئوليات هي السمع والبصر . كما تدل الآية : « إنا هديناه السبيل » على أن الخالق أودع في الإنسان الطاقة الإدراكية التي يدرك بها سبيل هدايته ورشاده ، وسبيل ضلاله وفساده ، وأنزل له الشرائع التي تنير له الطريق ، حتى يكون على بينة من أمره ، ومن مصيره الذي يكتبه لنفسه بمسيرته في حياته . (٦٠)

وبهذا الشرح يتضح أن الابتلاء هو علة خلق الإنسان من أخلاط مختلفة (أمشاج) ، وليست علة الخلق في حد ذاته .

ويذكر ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ان قصر علة خلق الله الإنسان والجن على إرادته أن يعبدوه ، هو قصر قلب باعتبار مفعول « يعبدون » أي إلا ليعبدوني وحدي ، أي لا يشركوا غيري في العبادة ، فهو ردّ للإشراك ، وليس هو قصراً حقيقياً ، فإن حكم الله تعالى من أفعاله كثيرة لانهيئ بها ، وذكر بعضها لا يقتضي عدم وجود حكم أخرى . فلقد ذكر الله حكماً للخلق غير هذه كقوله « ولا يزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » (هود : ١١٩) (٦١) .

وبهذا نرى أنه مع صحة ما اتفق عليه العلماء المسلمون في هذا الشأن إلا أن القضية لم تغلق ، وإمكانية الإضافة واردة بمزيد من الدراسة والبحث .

رابعا : صفات الإنسان

تعبير طبيعة الإنسان في الاستعمال العام يعنى - بصورة رئيسية - صفات الإنسان النفسية والأخلاقية ؛ وعندما يستعمل علماء البيولوجيا هذا التعبير فإنهم يعنون بالإضافة لذلك البنية التشريحية والخصائص الوظيفية لجسم الإنسان، الموروثة منها والمكتسبة . وسواء كان تعبير « طبيعة الإنسان » محدودا بمعناه الأول أو بمعناه الثانى ، فلقد دارت حوله - ولا تزال - مناقشات فلسفية وعلمية أخذت في معظمها طابع الجدال القائم حول « الطبع » أو « التربية » (٦٢) .

ومن النظريات التي بقى أثرها لمدة طويلة ، نظرية أبوقراط وهي أن الإنسان هو نتاج بيئته ، حيث اتبع العديد من الفلاسفة هذه النظرية ، أمثال جون لوك (John Locke, 1690) الذي اشتهر قوله :

(At birth the mind is a blank tablet, no one is born within nate ideas) فلقد اعتقد أن الوليد مثل الصفحة البيضاء ، وأنه لا أحد يولد بأفكار داخلية ، ولكن كل أفكارنا تأتي نتيجة التجربة (٦٣) . واستمر هذا الاتجاه ، وقوى على يد جون دوى (John Dewey, 1922) الذي قال أن الخير والشر - أو الفضيلة والرذيلة - هي عادات تنمو من خلال تفاعل الكائن الإنسانى مع بيئته الاجتماعية . (٦٤) ثم ظهرت النظرية السلوكية على يد واطسون ومن بعده سكرت وفي الاتجاه المقابل نجد توماس هوبز، وهربرت سبنسر ، والداروينيين الاجتماعيين ، تمسكوا بفكرة أن الطبع - أو الوراثة - يحدد إلى حد كبير خصائص الأشخاص (٦٥) . كما نجد بعض الأفكار الدينية المتمثلة فى قول توماس ريد (Thomas Reid, 1788) « أن الله قد زود الإنسان بوعى (روح) يمدّه بمعلومات بديهية للتمييز بين الخطأ والصواب، فإذا ما اتبع الإنسان هذا الحس الاخلاقى سيتجنب الصراع بين المصلحة والواجب » (٦٦) .

واستمر الجدل فى تحليل صفات الإنسان ، حتى جاء فرويد ليؤكد على أهمية الأصول الطفلية على شخصية الإنسان ، بينما أكد يونج على الأصول العنصرية للشخصية الخاصة بالجنس البشرى بأسره (٦٧) . ثم ظهرت النظرية الاجتماعية النفسية الجديدة ، ومن أكبر مؤسسيها الفريد أدلر ، وكارين هورنى وارك فروم وهارى سليفان وهم يرون أن المتغيرات الاجتماعية لها دور أكبر من العوامل البيولوجية . إلا أن أحداً منهم لم يتبن موقفاً بينياً متطرفاً ، بل إنهم جميعاً يعترفون أن هناك شيئاً كالطبيعة البشرية يولد به الطفل ، فى الغالب على شكل استعدادات أو إمكانيات عامة . فيرى أدلر - على سبيل المثال - أن الكفاح فى سبيل التفوق والكمال فطرى . وجاء بمفهوم «الذات الخلاقة» واعتبرها هى المحرك الرئيس وإكسير الحياة ، والسبب الأول لكل ما هو إنسانى ، وهى تحتل مكاناً وسطاً بين المنبهات المؤثرة فى الشخص والاستجابات التى يستجيب بها لهذه المنبهات ، واعتبرها المبدأ الإيجابى النشط للحياة الانسانية ، وهى لا تختلف عن مفهوم الروح القديم . (٦٨)

أما مورفى فيرفض هذه الفكرة الشائعة التى تضع الوراثة فى مقابل البيئة ، ويرى أن الانسان ككائن بيولوجى يرتبط مع بيئته المادية والاجتماعية بعلاقة متبادلة ، وشخصيته هى نتاج لعملية ثنائية الأقطاب الأول فى داخل الجسم الثانى فى العالم الخارجى . كما إنه يعتقد ان هناك من الشواهد ما يبرر افتراض أن كل الشخصيات الإنسانية قادرة على القيام بالعمليات فوق العادية . ولكن هذه القوة تتزوى عادة بفعل عوامل مختلفة ، مثل الانشغال بالعلم الحسى المباشر ، أو الجو الاجتماعى . (٦٩)

هكذا نرى أن العديد من الفلاسفة وعلماء النفس قد اعترفوا - علناً أو ضمناً - بالدور الهائل الذى تلعبه مايسمونه العمليات البيولوجية القديمة غير الواعية . ومن الطبيعى ان يقفوا عند هذا الحد ، أو إلى حد الاعتراف الصريح بوجود الروح كما

سبق الإشارة إلى ما توصل إليه بنفيلد . فهم لا يستخدمون سوى المنهج الامبريقي الذي يعتمد على « الحس والتجريب كوسائل للمعرفة ، أو المنهج العقلى الجدلى . تاركين ما أوحى به الله عز وجل لرسله وما أنزل عليهم من رسالات .

والله عز وجل فى رسالته الخاتمة ، قد علمنا ما يحل هذا الإشكال الذي استعصى حله على جميع الفلاسفة والعلماء الذين لم يستعينوا بالوحي فلقد قال عز وجل فى محكم كتابه :-

« واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » (الاعراف : ١٧٢) . ولقد أجمع المفسرون على أن المقصود من الآية هو أن الله سبحانه قد فطر الناس على التوحيد (٧٠) . كما فى قوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . » (الروم : ٣٠) وكما ورد فى عدة احاديث منها : عن الرسول ﷺ أنه قال : « يقول الله إننى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم . » (٧١) فهذه الفطرة هى العنصر المشترك الدفين - غير الواعى - لدى جميع الناس منذ أقدم العصور . وهى التى لم يصل إلى معرفتها العلماء ، وفى نفس الوقت لم يقدروا على إنكارها ، فسموها يونج بالأصول العنصرية للجنس البشرى ، أو عمليات بيولوجية قديمة . وعندما لاحظ آثارها أدلر ، قال بالذات الخلاقة . ولقد أخفقوا بلاشك فى فهم المحتوى الصحيح للفطرة وهو - كما يقول ابن عاشور - ان الله خلق فى الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوجدانية ، وجعل فى فطرة حركة تفكير الإنسان التطلع إلى إدراك ذلك ، وتحصيل ادراكه اذا جرد نفسه من العوارض التى تدخل على فطرته فتفسدها . كما فى قول الرسول ﷺ : « مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء ، حتى تكونوا أنتم تجدعونها » (٧٢) . وهكذا يتضح أيضا دور البيئة فى إفساد الفطرة السليمة ، والانحراف بها إلى شتى السبل . فالوليد اذاً لا يولد كالصفحة البيضاء تماماً كما زعم أصحاب الاتجاه الأول . والخير والشر ليسا عادات تكتسب كما قال ديوى ، ولكن الله سبحانه يعلمنا أنه قد ألهم النفس - أى عرفها - عند تسويتها - فى المرحلة السابقة لاتصالها بالبدن - الفجور والتقوى أى المعصية والطاعة مطلقا . وذلك فى قوله تعالى : « ونفس وما سواها . فآلهمها فجورها وتقواها » (الشمس : ٧ - ٨) والمعنى كما يقول الطبرى : فبين الله لها (لنفس) ما ينبغى لها أن تأتى وتذر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية (٧٣) كما قال عز وجل فى آية أخرى : « وهديناه النجدين » واتفقت التفاسير على معنى النجدين أنه طريق الخير والشر . وبهذا يمكن اعتبار خاصية التمييز بين

الخير والشر فطرية لدى الإنسان ، بمعنى أن وجودها فى نفس الإنسان كان قبل أن تتصل بالبدن أى قبل أن يستكمل تكوينه كإنسان من نفس وبدن . وهذا يتفق مع ما جاءت به الأديان السماوية الصحيحة ، كما يظهر فى قول ريد سابق الذكر. وإذا كان العلم الحديث لم يغفل دور الوراثة فى تكوين شخصية الإنسان . إلا أنه من الواضح أن الوراثة يختلف معناها عن معنى الفطرة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

نخلص مما سبق أن صفات الإنسان الفطرية هى :-

١ - إدراك وحدانية الله عز وجل .

٢ - التمييز بين الخير والشر .

ولكن هل هذه فقط الصفات الفطرية كما جاءت فى القرآن الكريم ؟ وما موقع الصفات الأخرى التى وصف الله بها الإنسان ، فى مثل قوله : « إن الإنسان خلق هلوعا » وقوله : « خلق الإنسان من عجل » . قد يُظن أنها فطرية بالمعنى المشار إليه سابقا ، ولكنها غير ذلك . يذكر الرازى فى تفسيره قول القاضى فى هذا الشأن : « ليس المراد أن الإنسان مخلوق على هذا الوصف والدليل عليه أن الله تعالى ذمه عليه ، والله تعالى لا يذم فعله ، ولأنه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم فى ترك هذه الخصلة المذمومة ، ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها . » (٧٤) وعلى هذا الأساس فإنه ليس من المقبول اعتبار هذه الصفات فطرية ، مع أنه ليس من شك فى أنها من طبيعة الإنسان ، وهى حاصلة له نتيجة لطبيعة تكوينه من (نفس وبدن) ، ولكنه ليس مجبراً على السير وفقاً لها .

ويندرج تحت هذا النوع من الصفات الذى يمكن تسميته بالصفات التكوينية ، العديد من الصفات ، وهى ماسمى - بعض منها - فى علم النفس الحديث بالفرائز أو الدوافع . ولقد تناولها - من الوجبة الإسلامية - فريق من الكتاب الإسلاميين الذى يمثل - كما فى تصنيف أبوحطب - (٧٥) الاتجاه نحو بناء علم نفس قرأنى . ومعظم هؤلاء الكتاب قسموا الدوافع إلى قسمين مادية ، وروحية . وذلك انطلاقاً من الإيمان بأن الإنسان مكون من جسد (مادته التراب) وروح ذات أصل إلهى، كما فى قوله سبحانه : « الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. » ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون » (السجدة : ٧ ، ٩) فالدوافع المادية أو الفسيولوجية تمثل الجانب المادى الترابى (الجسم) وما يتعبها من دوافع فرعية تساعد فى تحقيق البقاء على الحياة ، مثل دافع التملك ، والعدوان . أما الدوافع التى تمثل الجانب الروحى ، فمنها الدافع إلى التدين ، والدوافع الأخلاقية . ثم وصفوا العلاقة بين الجانب المادى والجانب الروحى فى الإنسان بالصراع والتضارب

المستمرين نظرا لاختلاف طبيعة كل منها . وأوضحوا أن الإسلام حدد العلاقة المثلى بينهما فى عملية التوازن والاعتدال ، واتخاذ الجانب الوسط دون تطرف.

ومنهم من تنبه إلى عملية التفاعل بينهما فحاول أن يأخذها فى اعتباره أمثال محمد الأمين ، ومقداد يالجن^(٧٦) . فقسم الأخير الدوافع إلى ثلاثة أقسام : الأدبى والأخلاقى، ثم دافع الاستطلاع والمعرفة . والقسم الثانى منها يرجع إلى الطبيعة المادية للإنسان ، مثل : دافع التغذية ، والتناسل ، والحماية . أما القسم الثالث فيرجعه إلى خاصية الامتزاج بين الجانبين (الروحى والمادى) وهى ثلاثة أنواع :

١ - صفات إنسانية شيطانية

٢ - صفات إنسانية ملائكية .

٣ - صفات إنسانية خاصة يتميز بها الإنسان عن باقى الكائنات.

ويلاحظ على هؤلاء الكتاب ، إنهم نسبوا الدوافع الخيرة والأخلاقية الفاضلة إلى الأساس الروحى فى الإنسان ، ونسبوا الدوافع المادية التى يتفق فيها الإنسان مع الحيوان إلى الأساس المادى أو الجسمى فى الإنسان . فهل هذا يعنى أن الروح لا يصدر عنها إلا كل خير ؟ لأنها من أصل إلهى ؟ وإنها غير قابلة للتأثر بالجوانب الأخرى حتى تظل دائما طيبة خيرة ؟ وعليه فإن الصراع لن يهدأ أبداً بينها وبين الجسم ؟ إذا كان هذا المقصود ، فإنه يكون - فى أغلب الظن - نتيجة لوقوعهم فى الخطأ الذى نبه إليه جعفر إدريس وهو الفهم الخاطئ لروحية الإنسان والاعتقاد بأنها عنصر إلهى حل فى الإنسان . فقال الله عزوجل : « من روحى » لايعنى أن شيئا من ذاته تعالى خرج فحل فى الإنسان ؛ فإضافة الروح إلى الله تعالى ليست إضافة بعض إلى كل كما فى قولنا (يد الله) وإنما هى إضافة مملوك إلى مالكه كما فى قولنا : أرض الله وسماؤه .^(٧٧)

ويتتبع الآيات القرآنية التى وصف الله سبحانه - فيها الانسان ، وبدون محاولة لتصنيفها حسب تصنيف علم النفس للدوافع والانفعالات - وهذا ما قام به محمد نجاتى بنجاح^(٧٨) - سوف أعرض هذه الصفات التى سبق أن سميتها : صفات تكوينية لتمييزها عن الصفات الفطرية ، بشئ من الاختصار لبعضها ، ومن التفصيل لبعضها الآخر ، حسب ما أظن فيه فائدة عملية للأخصائى الاجتماعى وذلك على النحو التالى :-

١ - حب الشهوات ، وإثارة الحياة الدنيا :

- حب الشهوات :

قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والغيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسب المآب » (آل عمران : ١٤) .

أجمع المفسرون على أن فاعل التزيين هو الله عز وجل ، وليس الشيطان كما قال البعض ، فإله تعالى كما رغب في منافع الآخرة ، فقد خلق ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده ، وإباحتها للعبيد تزيين لها بمعنى جعلها مرغوبة للناس ولقد عدد تعالى من المشتبهات أموراً سبعة : أولها النساء وثانيها : حب الولد ، والله تعالى حكمة بالغة في إيجاد حب الزوجة والولد في قلب الإنسان . فانه لولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل ولأدى ذلك إلى انقطاع النسل (٧٩) .

وكما يقول ابن كثير فإن حب النساء والأولاد إذا كان مقصوداً منه الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما ورد في الأحاديث الصحيحة . أما إذا كان للتفاخر والزينة فإنه مذموم . كذلك حب المال من الذهب والفضة (وهو ثالث ورابع المشتبهات المذكورة في الآية الكريمة) إذا كان للفخر والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهو مذموم . وإذا كان للنفقة في القرابات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البر والطاعات فهو ممدوح محمود شريعاً . وخامس المشتبهات هو حب الخيل وهي إذا ربطها صاحبها للفخر فهي وزر عليه ، أما إذا قصد أن يجعلها معدة لسبيل الله والخدمة في أغراض حياته المشروعة فهو يثاب عليها وكذلك سادس وسابع المشتبهات وهي (الأنعام) والمقصود بها الإبل والبقر والغنم ، (والحرث) وهي الأرض المتخذة للزراعة . (وكل ذلك قد يمثل المال في الوقت الحاضر) . ثم قال تعالى (ذلك متاع الحياة الدنيا) أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة .

(والله عنده حسن المآب) أي حسن المرجع والثواب . (٨٠)

ولقد قال عمر بن الخطاب لما نزلت هذه الآية : « اللهم انا لانستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا ، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه » (٨١) .

- اشارة الحياة الدنيا : وهو لاشك مرتبط بحب الشهوات التي وصفها تعالى بأنها متاع الحياة الدنيا ، وقال عز وجل في سورة الأعلى : « بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقي » ويقول الطبري في تفسيره : بل تؤثرون أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة ، وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقي ، لأن الحياة الدنيا فانية والآخرة باقية لاتنفد ولا تفنى . (٨٢) وعن ابن مسعود انه قال : « إن الدنيا أحضرت ، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها ومهجتها ، وإن الآخرة لغيب لنا وزويت عنا ؛ فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل . » (٨٣)

وهناك العديد من الأحاديث النبوية التي تشير إلى حب الإنسان للمال والدنيا ، منها قوله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » (٨٤) .

كما أوضح ﷺ خاصيتين ملازمتين للإنسان حتى في كبره هما حب المال وحب الدنيا، حيث قال صلوات الله عليه : « يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان : حب المال ، وطول العمر » (٨٥).

كما أن هناك العديد من الآيات والأحاديث التي تحذرننا من فتنة النساء ، والمال والأولاد ، منها (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) (ألهاكم التكاثر) وآيات وأحاديث أخرى جاءت في ذم الدنيا والترغيب في الآخرة .

٢ - الهلع والجزع والبخل :-

قال عز وجل : « إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذي هم علي صلاتهم دائمون » (المعارج ١٩ - ٢٣) يرى الطبري أن المولى يقول : إن الإنسان « الكافر » خلق هلوعا ، والهلع شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر . (٨٦) والإنسان الهلوع هو كما فسّرت الآية إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل ومنعه الناس . وبينما خص الطبري « الكافر » في هذه الآية ، نجد الرازي يشير إلي بعض المفسرين الذي أخذوا بالمعنى على عمومه ، ودليلهم أن الله سبحانه استثنى المصلين (٨٧) . وكذلك ابن كثير يقول إن الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم . إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه . وهم المصلون . (٨٨)

كما ورد في الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : « شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع » (٨٩) وهذا يؤكد عمومية المعنى المقصود من كلمة الإنسان في الآية السابقة . وفي حديث آخر : « أتى النبي صلى الله عليه وسلم مال ، فأعطى قوما ومنع آخرين فبلغه أنهم عتبوا ، فقال إنى أعطى الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إلى من الذي أعطى ، أعطى أقواما لما في قلوبهم من الجزع والبلع ، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو بن تغلب ، فقال عمرو : ما أحب أن لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم » . ويقول ابن حجر في شرح الحديث أن الصفات المذكورة بخلق الله تعالى في الانسان. لا أن الإنسان يخلقها بفعله، وفيه أن الرزق في الدنيا ليس على قدر درجة المرزوق في الآخرة ، وأما في الدنيا فانما تقع العطية والمنع بحسب السياسة الدنيوية ، فكان عليه الصلاة والسلام يعطى من يخشى عليه الجزع والهلع لو منع ، ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقناعته بثواب الآخرة (٩٠) . وهذا مبدأ يفيد في وضع قواعد سياسة الرعاية الاجتماعية ، ومنح المساعدات المادية على وجه الخصوص . وفي الحديث أيضا ما يشير إلى أن البشر جبلوا على حب العطاء وبغض المنع والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في

عاقبته إلا من شاء الله . وهذا ينبهنا إلى اختيار الأساليب المناسبة عند منع المساعدة لبعض الناس .

وفى البخل والإمساك قال تعالى : « قل لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق . وكان الإنسان قتورا » (الاسراء : ١٠٠) يقول الطبري في تفسيره : قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي من الأموال - وعنى بالرحمة فى هذا الموضع المال - إذا لأمسكنكم أى لبخلتم فلم تجودوا بها على غيركم خشية الفاقة (الفقر) وكان الإنسان بخيلا ممسكا ^(٩١) وفى آية أخرى قال تعالى « أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا » (النساء : ٥٣) .

٣ - العَجَل :

قال تعالى : « خلق الانسان من عجل ساوريكم آياتي فلا تستعجلون » (الانبياء : ٣٧) يقول الطبري فى تفسيره : خلق الإنسان من عجل ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ، ساوريكم آياتى فلا تستعجلون أيها المستعجلون ربهم بالآيات ^(٩٢) وفى آية أخرى : « ويدعو الانسان بالشردعاءه بالخير . وكان الإنسان عجولا » (الإسراء : ١١) ويقول الطبري فى تفسيره : إن الإنسان يدعو على نفسه وولده وماله بالشردعاء فيقول اللهم أهلكه وألعه عند ضجره أو غضبه ، كدعائه بالخير أى كدعائه ربه بأن يهب له العافية ويرزقه السلامة فى نفسه وماله وولده ، فلو أستجيب له فى دعائه على نفسه وماله وولده بالشردعاء كما يستجاب له فى الخير هلك ، ولكن الله بفضله لا يستجيب له فى ذلك . وكان الإنسان عجولا بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه ^(٩٣) كما ورد أيضا فى حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول قد دعوت ربي فلم يستجب لى » ^(٩٤) .

يتضح مما سبق أن الاستعجال بالشردعاء مذموم ، والعجلة بصفة عامة من صفات الإنسان ، إلا أن الاستعجال بالخير مطلوب ، حيث نجد العديد من الأحاديث التى تفيد بذلك ، فالاستعجال بالصلاة فى أوقاتها ، والصدقة ، والحج ، والرجوع إلى الأهل بعد السفر ، والتعجل بدفن الميت ، والتعجيل بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ؛ كل ذلك مستحب ومطلوب ^(٩٥) .

٤ - الضعف :

قال تعالى : « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » (النساء : ٢٨) يقول الطبري فى تفسيره : يعنى جل ثناؤه بقوله يريد أن يخفف عنكم ، يريد الله أن ييسر عليكم بإذنه لكم فى نكاح الفتيات المؤمنات اذا لم تستطيعوا طولا لحره (وخلق الإنسان ضعيفا) يقول يسر ذلك عليكم إذا كنتم غير مستطيعي الطول للحرائر لأنكم

خلقتكم ضعفاء عجزاً عن ترك جماع النساء ، قليلى الصبر عنه ، فأذن لكم فى نكاح فتياتكم المؤمنات عند خوفكم العنت على أنفسكم ولم تجدوا طولا لحره ، لئلا تزنوا . (٩٦)

هذا وفى آية أخرى قال عز وجل : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . وإن يكن منكم ألف يغلبون ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » (الأنفال : ٦٦) ولقد قال تعالى فى الآية السابقة لهذه : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » فلقد كان هذا الأمر مشروطاً بكون العشرين قادرين على الصبر فى مقابلة المائتين . وقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً يدل على أن ذلك الشرط غير حاصل فى حق هؤلاء ، وأنه تعالى علم أن فيهم ضعفاء لا يقدرّون على ذلك فقد تخلصوا عن ذلك الخوف ، فصح أن يقال خفف الله عنكم (٩٧) وهذا فيه دلالة واضحة على مدى ما يمنحه الصبر لصاحبه من قوة وعزيمة وشجاعة .

٥ - الظلم والجهل :

قال تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » (الأحزاب : ٧٢) يقول الطبرى فى تفسيره : عن قتاده أنه قال : ظلوماً جهولاً : ظلوماً للأمانة جهولاً عن حقها . (٩٨) وقيل أن المراد الإنسان يظلم بالعصيان ويجهل ما عليه من العقاب . وقيل ظلوماً جهولاً أى من شأنه الظلم والجهل ، فلما أودع الأمانة بقى بعضهم على ما كان عليه وبعضهم ترك الظلم « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » . وترك الجهل « والراسخون فى العلم يقولون أماناً به » (٩٩) أى أن الإنسان إن لم يعمل جاهداً على ترك الظلم - بطاعة الله - وترك الجهل باتخاذ طريقاً إلى العلم ، فإنه سيظل على ما اتصف به من ظلم وجهل.

٦ - الكفر والجحد بالنعمة :

هناك عدة آيات تشير إلى اتصاف الإنسان بكفر النعمة التى ينعمها الله تعالى عليه . من هذه الآيات : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » (إبراهيم : ٣٤) وقوله تعالى : « وأنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور » (الشورى : ٤٨) وفسر الطبرى هذه الآية بقوله : فانا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة ، وهى الرحمة التى ذكرها جل ثناؤه ، فرح بها أى سرّ بما أعطيناه من الغنى ورزقناه من السعة وكثرة المال ، وإن تصبهم سيئة أى وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش بما قدمت أيديهم أى بما أسلفت من معصية الله ، عقوبة له على معصيته إياه ، جحد نعمة الله وأيس من الخير فإن الإنسان كفور ، أى جحود نعم ربه يعدد المصائب ويجحد النعم (١٠٠) كما يقول تعالى فى سورة هود : « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد

ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور « والحالة في الآية الأولى هي نفسها الحالة التي تم شرحها من سورة الشورى . أما الحالة الثانية فيقول تعالى ذكره - كما ورد في تفسير الطبري - ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه ورزقناه رخاء في عيشه ووسعنا عليه في رزقه ، وذلك بعد ضراء مسته أي بعد ضيق من العيش وعسره ليقولن ذهب الضيق عني وزالت الشدائد ، إنه لفخور أي إن الإنسان لفرح بالنعم ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا وينسى صروفها ونكد العوارض فيها ، (١٠١) وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « أريت النار ، فإذا أكثر أهلها الفساد يكفرن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان . لو أحسنت إلى أحدهن الدهر ثم رأيت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيراً قط » ويذكر ابن حجر في شرحه أن الطاعات كما تسمى إيماناً كذلك المعاصي تسمى كفراً ، لكن حيث يطلق عليها الكفر لا يراد الكفر المخرج من الملة » (١٠٢) .

وماسبق شرحه يفيد الأخصائي الاجتماعي في تفسير سلوك عملائه عند وقوعهم في المشكلات التي تتمثل - في كثير من الأحيان - في جحدهم للنعم عند حرمانهم من نعمة كان الله قد أنعمها عليهم ، أو في طغيانهم على غيرهم عند إنعام الله عليهم بعد ضيق .

٧ - الجدل :

قال تعالى : « ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً » (الكهف : ٥٤) يقول الطبري في تفسيره : وكان الإنسان أكثر شئ مراء وخصومة لا ينيب لحق ولا ينزجر لموعظة (١٠٣) كما جاء في الحديث أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ طرده وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لهم : ألا تصلون ؟ فقال علي فقلت : يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله ﷺ حين قال له ذلك ولم يرجع إليه شيئاً . ثم سمعه وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول : « وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً » (١٠٤) والجدال : هو الخصام ، ومنه قبيح وحسن وأحسن ، فما كان للفرائض فهو أحسن ، وما كان للمستحبات فهو حسن ، وما كان لغير ذلك فهو قبيح ، ويستفاد من الحديث أن الإنسان طبع على الدفاع عن نفسه بالقول والفعل ، وأنه ينبغي له أن يجاهد نفسه بأن يقبل النصيحة ولو كانت في غير واجب . كما يستفاد من الحديث أيضاً مشروعية التذكير للغافل خصوصاً القريب والصاحب ، لأن الغفلة من طبع البشر ، فينبغي على المرء أن يتفقد نفسه ومن يحبه بتذكير الخير والعون عليه . وفيه كذلك ان الاعتراض بآثر الحكمة لا يناسبه الجواب بآثر القدرة . حيث حرض النبي ﷺ علي وفاطمة باعتبار الكسب والقدرة الكاسية ، وأجاب علي باعتبار القضاء والقدر .

٨ - المكابدة :

قال تعالى : « لقد خلقنا الإنسان في كبد » (البلد : ٤) ويرجح الطبري - بعد تعديده للأقوال الكثيرة التي جاءت في معنى هذه الآية - قول من قال معنى ذلك انه اى الإنسان - خلق يكابد الامور ويعالجها ، فقوله في كبد معناه في شدة (١٠٥) كما يقول الرازي أن قوله « في كبد » يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف . وهذا يدعم القول الذى أخذ به من أنه ليس في الدنيا إلا الكد والمحنة كما أخذ بالمعنى الذى يشمل الشدة في كل الأمور ، منذ أن خلق الإنسان حتى « موته » فالمراد بالشدائد : (١) شدائد الدنيا (تارة في بطن الأم ، ثم زمان الأرضاع ، ثم إذا بلغ ففي الكد في تحصيل المعاش) (٢) شدائد التكليف (يكابد الشكر على السراء ، والصبر على الضراء ، ويكابد المحن في أداء العبادات) (٣) شدائد الآخرة (الموت ومساغة الملك وظلمة القبر ، ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار) (١٠٦) .

٩ - الإنسان خطاء :

عن النبي ﷺ أنه قال : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » (١٠٧) .

وهذا يدل على أن الانسان من طبعه الخطأ ، إلا أنه يجب أن يتوب والله يفرح بتوبة عبده ، أما إذا استمر في ارتكاب الخطأ مع علم به ، فهذا هو المذموم ، وهذا هو الفرق بين الإنسان الذى يسعى إلى رضا ربه ، وبين الإنسان الذى يصر على المعصية ، ولقد كان الرسول ﷺ يستغفر الله في اليوم مائة مرة (١٠٨) مما يدل على أهمية الاستغفار للفرد العادى ، وضرورته للفرد المذنب فالاستغفار والتوبة يمكن إذا استخدمتهما كأسلوب وقائى وإنشائى للإنسان في حالة السواء ، وكأسلوب علاجى للإنسان في حالة الانحراف . تلك هى معظم الصفات التى ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة المطهرة عن الإنسان ، وهى كما يلاحظ من الصفات المذمومة . فهل بهذه الصفات بالإضافة إلى الصفات الفطرية نكون قد استوفينا الإشارة إلى جميع صفات الإنسان ؟ الجواب بالنفى القاطع . فإذا كانت هناك صفات فطرية ، وهى التى أوجدها الله في نفس الإنسان وروحه قبل اتصالها بالبدن ، وصفات تكوينية نشأت نتيجة اتصال الروح بالبدن فهناك صفات إرادية يكتسبها الإنسان نتيجة سعيه إلى تحصيلها باختياره . ويتضح ذلك في الآيات التى ورد فيها استثناء فئة من الناس وصفهم الله بأنهم من المؤمنين ، الخاشعين ، المصلين ، إلى غيرها من الصفات التى تدل على إرادتهم واختيارهم بأن يكونوا على تلك الصفات . لذلك سميتها صفات إرادية ، وهنا العديد من الآيات التى تشير إلى وجود تلك الصفات ، كما تدل في ذات الوقت على السنن الإلهية الخاصة بالإنسان .

احتوت الدراسة على أربعة أبعاد هي : ماهية الإنسان ، والإرادة الإنسانية ، والغاية من خلق الإنسان ، والصفات الإنسانية . ولقد خلصت في البعد الأول إلى الأخذ بالمفهوم « الخاص » للإنسان كما ذكره الأصفهاني حيث قال أن الإنسان هو : « من عرف الحق فاعتقده ، والخير فعمله بحسب وسعه » ، فبهذا المعنى وحده تتحقق «إنسانيته» الإنسان . ويتحليل هذا التعريف نصل إلى خلاصة ماتوصلت إليه الأبعاد الأخرى للدراسة . فمعرفة الحق والخير - كما ورد في البعد الرابع - هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، أي إدراك وحدانية الله عز وجل ، والتمييز بين الخير والشر ، هي من الصفات الفطرية لدى الإنسان .

والخدمة الاجتماعية من المنظور الإسلامي عندما تأخذ بالتعريف السابق للإنسان ، تُدرك أنه يصف الإنسان في أفضل حالة يمكن أن يكون عليها ، وهي الحالة النموذجية التي تسعى المهنة لمساعدة الإنسان للوصول إليها ، من خلال عمليات المعرفة بالله وبآياته ، وعمليات التزكية ؛ ذلك أن معظم المشكلات التي يقع فيها الإنسان ترجع إما لجهله ووجود بعض الشبهات لديه ، أو لضعفه واستيلاء الشهوات عليه .

وبنظرة شاملة إلى ما جاء بالدراسة من مفاهيم استقرت من المصادر الإسلامية ، نجد أنه يمكن تلخيصها في مفهومين هما : العبادة ، والاستعانة . فإذا نظرنا إلى الإنسان من خلال هذين المفهومين المعجزين والواردين في خاتمة الكتاب « إياك نعبد وإياك نستعين » ، أمكننا الأخذ بتقسيم ابن تيمية للناس (١٠٩) .

حيث قسمهم باعتبار العبادة والاستعانة إلى أربعة أقسام هي :-

- ١ - قسم أعرض عن عبادة الله والاستعانة به .
- ٢ - قسم يشهد بربوبية الحق ، وافتقارهم إليه ويستعينون به لكن على أهوائهم وأذواقهم ، غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته . فيفعلون المعصية ظانين أنها طاعة أو يحتجون بالقدر .
- ٣ - قسم ينظر إلى جانب الأمر والنهي والطاعة شاهدين لإلهية الرب سبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ، ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة ، لأنهم يغلب عليهم الضعف والعجز ، لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه هي التي تقوى العبد وتيسر عليه الأمور .
- ٤ - قسم جمع بين العبادة والاستعانة فحققوا « إياك نعبد وإياك نستعين » ، فاستعانوا به على طاعته ، وشهدوا أنه إلههم الذي لا يجوز أن يعبد إلا إياه ، وأطاعوا رسوله . وهذا هو القسم المحمود .

ويشير هذا بوضوح إلى أن ممارسة الخدمة الاجتماعية لا يمكن أن تكون لها فاعليتها سواء في مساعدة الأفراد على مواجهة مشكلاتهم ، أو تنمية شخصياتهم ، أو في إصلاح النظم الاجتماعية ما لم تلتفت إلى هذه الأبعاد الروحية المتعلقة بنوعية صلة الإنسان بالله ربه وخالقه . وإن أى محاولة للاجتزاء والتوقف عند الأبعاد المؤثرة الأخرى (المادية والنفسية والاجتماعية مثلا) دون غيرها من الأبعاد الفعالة في تشكيل السلوك ، إنما هو أمر يتنافى مع النزاهة العلمية ، ولا يمكن أن يؤدي إلى تحقيق نتائج ذات قيمة. وهذا ما طالبت به فيسنتيا جوزيف (M. Vicentia Joseph) وبقوة بعد أن اتضح من بحثها الميداني اهتمام الأخصائيين الاجتماعيين بالجوانب الدينية والروحية لعملائهم وضرورة تركيزهم عليها (١١٠) .

المراجع

- ١ - جعفر شيخ إدريس ، « التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية » ، المسلم المعاصر ، العدد ١٢ ، ١٣٩٧ هـ ، ص ١٦ .
- 2 - Robert L. Barker, The Social Work Dictionary, Maryland : National Association of Social Workers, 1987, p. 154.
- ٣ - ألكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، تعريب شفيق أسعد فريد ، بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٨٦ م ، ص ١٧ .
- ٤ - ك.غ يونغ ، علم النفس التحليلي ، ترجمة نهاد خياطة ، ط ١ ، دمشق : دار الحوار ، ١٩٨٥ م ، ص ٢١٤ .
- 5 - Elizabeth L. Salomon, "Humanistic Values and Social Case Work," Social Casework, January, 1967, P.27.
- ٦ - Ibid .
- ٧ إبراهيم مذكور ، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ، مصر : دار المعارف ، ١٩٧٦ ، ج ١ ، ص ١٢٦ .
- ٨ - عبدالرحمن شاه ولي ، الكندي ، وآراؤه الفلسفية ، إسلام آباد : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ص ٣٧١ .
- ٩ - عبدالعزيز القوصي ، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨ م ، ص ص ٢٢ - ٢٣ .
- ١٠ - ك.غ. يونغ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٥ .
- ١١ - عبدالعزيز القوصي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦ .
- ١٢ - روبرت م . أغروس وجورج ن . ستانسيو ، العلم في منظوره الجديد ، ترجمة كمال خلايلي ، الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٦ .
- ١٣ - فؤاد أبوحطب ، نحو وجهة نظر إسلامية لعلم النفس ، ندوة علم النفس التي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٨٩ ، ص ص ٤٦ - ٥٨ .
- ١٤ - أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق أبو اليزيد العجمي ، ط ٢ ، المنصورة : دار الوفاء ، ١٩٨٧ م ، ص ٧٥ .

- ١٥ - أحمد بن تيمية ، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٦ ج ، ط ١ ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد ، الرياض : مطابع الرياض ، ١٣٨١ هـ ، ج ٩ ، ص ص ٢٧٢ ، ٢٨٩ .
- ١٦ - أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير ابن كثير ، ٤ ج ، ط ١ ، بيروت : دار الفكر ، ج ٣ ، ص ٦٢ .
- ١٧ - محمد الرازي فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، ١٦ م ، ط ٢ ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٥ م ، ١١ ، ص ص ٣٧ - ٥٣ .
- ١٨ - محمد رشاد خليل ، علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، الكويت : دار القلم ، ١٩٨٧ م ، ص ص ٦٥ - ٦٦ .
- ١٩ - ابن قيم الجوزية ، الروح ، تحقيق محمد اسكندر يلدا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٤٢ .
- ٢٠ - محمد رشاد خليل ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٧ .
- ٢١ - عباس محمود العقاد ، الإنسان في القرآن الكريم ، بيروت : المكتبة العصرية ، بدون تاريخ ، ص ٣٢ .
- ٢٢ - أخرجه الإمام أحمد بن حنبل (٤ ، ٣٩٨) .
- ٢٣ - أبوحامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٤ ج ، دمشق : مكتبة عبدالوكيل الدروبي ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥ .
- ٢٤ - عبدالكريم العثمان ، الدراسات النفسية عند المسلمين ، ط ٢ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٤٣ .
- ٢٥ - أبو حامد الغزالي ، مرجع سبق ذكره ، ج ٣ ، ص ٤ .
- ٢٦ - ابن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، م ٩ ، ص ص ٢٨٦ ، ٢٠٣ .
- ٢٧ - ك. يونغ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢٥ .
- ٢٨ - أبوحامد محمد بن محمد الغزالي ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، ط ٥ ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ص ١٦ - ١٧ .
- ٢٩ - أبوحامد محمد بن محمد الغزالي ، المنقذ من الضلال ، تقديم عبدالحليم محمود ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، بدون تاريخ ، ص ١٥٣ .
- ٣٠ - ابن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، ج ٩ ، ص ص ٣٠٧ - ٣١٢ .

- ٣١ - ابن رجب الحنبلي ، ابن القيم ، أبوحامد الغزالي ، تزكية النفوس وتربيتها ، تحقيق ماجد بن أبي الليل ، جمع وترتيب أحمد فريد ، بيروت : دار القلم ، بدون تاريخ ، ص ٦٩ .
- ٣٢ - أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٢٠ ج ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٩ هـ ، ج ٣٠ ، ص ١٣٤ .
- ٣٣ - محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، ج ٣٠ ، ص ٢٣٨ .
- ٣٤ - أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، ٤ م ، بيروت : دار الفكر ، بدون تاريخ ، ٤ م ، ج ٨ ، كتاب الاعتصام ، ص ١٣٩ .
- ٣٥ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ٤ م ، ط ٢ ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، ٤ م ، كتاب القدر ، ص ٢٠٣٩ .
- ٣٦ - أخرجه الامام أحمد بن حنبل (٢ ، ٢٥٦) .
- ٣٧ - ابن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، ٨ م ، ص ص ٦٥ - ٧٣ .
- ٣٨ - المرجع السابق ، ص ٧١ .
- ٣٩ - أبو الحسين مسلم ، مرجع سبق ذكره ، ٤ م ، كتاب البر ، ص ١٩٩٥ .
- 40 - Duane Schultz, Theories of Personality, Secand ed., Monterey, California : Brooks/cole, 1981, P. 46.
- 41 - Ibid, P. 285.
- ٤٢ - فاروق عبدالفتاح موسى ، أسس السلوك الإنساني ، الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٤٥ .
- ٤٣ - روبرت أغروس وجورج ستانسيو ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .
- ٤٤ - المرجع السابق ، ص ٤١ .
- ٤٥ - ك. يونغ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٤ .
- 46 - Bnard J. Coughlin, op., cit. p. 84 .
- ٤٧ - إريك فروم ، الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ترجمة سعد رهران ، الكويت : عالم المعرفة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ص ٢١ - ٢٣ .
- 48 - Duane Schultz, op. cit., P. 47.
- ٤٩ - ك. هول ، ج ، لندزي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٥ .

٥٠ - المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

51 - Duane Schultz, op. cit., P. 237.

٥٢ - ك. هول ، ج. لندزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩٢ .

53 - Abraham H. Maslow, Motivation and personality' New York: Harper & Row, Third ed., 1987. P.7.

٥٤ - اريك فروم ، الدين والتحليل النفسي ، ترجمة فؤاد كامل ، القاهرة : مكتبة غريب ، بدون تاريخ ، ص ٢٨ .

٥٥ - اريك فروم ، الإنسان بين الجوهر والمظهر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٧ .

٥٦ - محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ١٥م ، تونس : الدار التونسية ، ١٩٨٤م ، ج٢٧ ، ص ٢٥ .

٥٧ - الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٠ .

٥٨ - المرجع السابق ، ص ص ٩٠ - ٩٥ .

٥٩ - ابن عاشور ، مرجع سبق ذكره ، ج ١٨ ، ص ١٣٤ .

٦٠ - عبدالرحمن حسن حنيفة الميداني ، الأخلاق الإسلامية ، ٢م ، ط ٢ ، دمشق : دار القلم ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ١م ، ص ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

٦١ - ابن عاشور ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢٧ ، ص ص ٢٦ ، ٢٧ .

٦٢ - رينيه دوبو ، إنسانية الإنسان ، تعريب نبيل صبحي الطويل ، ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ١٣٠ .

63 - John Locke, " An Essay Concerning Human Understanding", World Philosophy Edited by Frank N. Magilland Staff, 1A N P. Mc Greal, 1969, P. 428.

64 - John Dewey, "Human Nature and Conduct," Ibid, P. 835.

٦٥ - رينيه دوبو ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣١ .

66 - Tomas Reid, " Essays on the Intellectual Powers of Man," World Philosophy, op., cit. P. 538.

٦٧ - ك. هول ، ج. لندزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٩ .

٦٨ - المرجع السابق ، ص ص ١٦٥ - ١٧٠ .

- ٦٩ - المرجع السابق ، ص ٦٥٧ ،
- ٧٠ - الطبري ، والرازي ، وابن كثير ، والقرطبي .
- ٧١ - صحيح مسلم ، مرجع سبق ذكره ، م ٤ ، كتاب الجنة ، ص ٢١٩٧ .
- ٧٢ - صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، كتاب القدر .
- ٧٣ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ، ج ٣٠ - ص ١٢٤ .
- ٧٤ - محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢٩ ، ص ١٢٨ .
- ٧٥ - فؤاد أبوحطب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٠ .
- ٧٦ - محمد تقي الأمين ، بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي ، ترجمة مقتدى حسن ياسين ، مراجعة عبدالحليم عويس ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٨٢ .
- يوسف مصطفى القاضي ومقداد يالجن ، علم النفس التربوي في الإسلام ، الرياض : دار المريخ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٧٧ - جعفر شيخ إدريس ، مرجع سابق ذكره ؛ ص ص ٧٩ - ٨٠ .
- ٧٨ - محمد عثمان نجاتي في كتابيه : القرآن وعلم النفس ، والحديث الشريف وعلم النفس . القاهرة ، بيروت : دار الشروق : ١٩٨٩م .
- ٧٩ - محمد الرازي فخر الدين : مرجع سبق ذكره ، م ٤ ، ص ص ٢١٠ ، ٩٦٧ .
- ٨٠ - ابن كثير ، مرجع سبق ذكره ، ص ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
- ٨١ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ م ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ ، م ١١ ، ص ٢٥٩ .
- ٨٢ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ، ج ٣٠ ، ص ١٠٠ .
- ٨٣ - محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، ج ٣٠ ، ص ١٤٩ .
- ٨٤ - البخاري ، مرجع سبق ذكره ، كتاب الرقاق ١٠ .
- ٨٥ - ابن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م ١١ ، ص ص ٢٣٩ - ٢٥٢ .
- ٨٦ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢٩ ص ٤٩ .
- ٨٧ - محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢٩ ، ص ١٢٨ .
- ٨٨ - ابن كثير ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢٩ ، ص ٤٢٨ .
- ٨٩ - أخرجه أبوداود ، باب جهاد ، ٢١ .
- ٩٠ - ابن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م ١٣ ، ص ٥١١ .

- ٩١ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ، ج٥ ، ص ١١٣ .
- ٩٢ - المرجع السابق ، ج ١٧ ، ص ٢١ .
- ٩٣ - المرجع السابق ، ج ١٥ ، ص ٣٧ .
- ٩٤ - أبو الحسين مسلم ، مرجع سبق ذكره ، م ٤ ، كتاب الدعاء ، ص ٢٠٩٥ .
- ٩٥ - البخاري ، ومسلم .
- ٩٦ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ، ج٥ ، ص ١٩ .
- ٩٧ - محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، ج٥ ، ص ٢٠١ .
- ٩٨ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢٢ ، ص ٤١ .
- ٩٩ - محمد الرازي فخرالدين ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢٥ ، ص ٢٣٦ .
- ١٠٠ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ج ٢٥ ، ص ٢٧ .
- ١٠١ - المرجع السابق ، ج١٢ ، ص ٦ .
- ١٠٢ - ابن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٨٣ .
- ١٠٣ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ، ج٥ ، ص ١٧٣ .
- ١٠٤ - ابن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م ١٣ ، ص ٣١٣ .
- ١٠٥ - الطبري ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢٠ ، ص ٢٦ .
- ١٠٦ - محمد الرازي فخرالدين ، مرجع سبق ذكره ، ج ٣١ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .
- ١٠٧ - أخرجه الترمذي - كتاب القيامة .
- ١٠٨ - أخرجه ابن حنبل ، الدرايم في كتاب الرقاق .
- ١٠٩ - ابن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٣٦ .

110 - M. Vicentia Joseph, "Religion and Social Work Practice".
 Social Case Work, September, 1988.

المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية الإسلامية

د. محمد سلامة غبارى

مقدمة

لقد ظهر اتجاه جديد بين الباحثين المسلمين يدعو إلى دراسة العلاقات والظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية من منظور إسلامى لتكون هذه الدراسات نواة لفرع أكثر تخصصاً يعرف باسم الاجتماع الإسلامى ، ويصبح الاختلاف الأساسى بينه وبين «علم الاجتماع الدينى» أن هذا الأخير يعالج الظواهر الدينية فى كافة المجتمعات وبدون التقيد بدين معين، بخلاف الاجتماع الإسلامى الذى يختص بدراسة العلاقات والظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية ، من وجهة النظر الإسلامية البحتة .

ومن نفس المنظور ظهر علم النفس الإسلامى حتى غطى هذا الاتجاه الكثير من العلوم المختلفة .. وحيث أن تلك العلوم تعتبر القاعدة العلمية للخدمة الاجتماعية التى تعتمد فى نموها وتطورها عليها .. فكان لابد لها أن تتطور بدورها ، ولذلك كان لابد أن تتأثر الخدمة الاجتماعية بالمنظور الإسلامى .

ومن هذا المنظور بدأت الخدمة الاجتماعية تقيم خدماتها فى المؤسسات التى تمارس فيها الخدمة الاجتماعية التقليدية ، واعترفت بقصورها ، وبدأت تبحث لنفسها عن أساليب علاجية جديدة تحررها من تلك الأساليب التقليدية المستوردة من المجتمعات الغربية التى تختلف فى عاداتها وقيمها واتجاهاتها عن مجتمعاتنا العربية اختلافاً كبيراً .

ولذلك اتجه الباحثون المسلمون إلى الدين بعد أن زادت المشكلات الاجتماعية وانهارت العلاقات الإنسانية فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بها البشرية : الفترة التى وصل فيها الفزع إلى غايته ، والقلق إلى أقصاه .. وظهر لها واضحاً إلى أى مدى تخبطت البشرية حين شردت عن الله وعن منهجه فى الحياة .

لقد تخبطت البشرية ما بين عبادة العقل ؛ وعبادة الجسم ، وعبادة المادة ، وعبادة الحتمية التاريخية ، والحتمية الاقتصادية ، والحتمية الاجتماعية .. إلى آخر هذه الآلهة المزعومة التى يعبدونها الناس فى هذا الجيل ليهربوا بها من عبادة الله !! .. فكانت الشقوة التى تفسد الأعصاب والنفوس ، وكان العذاب الذى يمس الأفراد والجماعات وكان الفزع الدائم من الدمار الرهيب .

وليس للبشرية علاج من هذه الشقوة المفسدة ، والعذاب المفزع إلا أن تعود إلى الله لتجد الأمن والرعاية فى حماه، وتجد التوجيه الراشد فى منهجه للحياة .

والعلاج الإسلامى هو المنهج الربانى المناسب للحياة بما فيه من وقاية وعلاج ، وهو الذى يقدم الأساليب العلاجية المناسبة الفعالة لكل المشكلات ، وفيه النجاة والخلص ، فهو المنهج الربانى لتقويم البشرية ، لترشد وتتوازن ، وتسلك طريقها المستقيم فى الحياة .

ولذلك كله اتجهت الخدمة الاجتماعية إلى ممارسة العلاج الإسلامى وتحمست لتطبيقه فى المؤسسات الاجتماعية لعلها تجد فيه أسلوب العمل المناسب وطريق العلاج الأمثل بعد أن ضاقت بها السبل ، وعجزت أساليبها العلاجية التقليدية عن علاج المشكلات الاجتماعية .

والدين الإسلامى يقول أنه من الممكن تبديل النفس البشرية وتغييرها جوهرياً بإمكانية إخراجها من الظلام إلى النور ، ومن حضيض الشهوات إلى ذروة الكمال الخلقى وذلك عن طريق المجاهدة والرياضة النفسية .

والإسلام لا يغفل أبداً واقع الطبيعة البشرية ، وما ركب فيها من تنوع الطاقات والاتجاهات والمستويات ، لذلك لا يلزم الناس بصورة مثالية معينة ، مصبوبة فى قالب لا تتعداه ، إنما هو يطلب من كل إنسان أن يبلغ حدود الكمال الممكن له هو حسب استعداداته وطاقته واتجاهاته . وكل ما يفرضه الدين الإسلامى هو المحاولة الدائمة لبلوغ ذلك الكمال الخاص فى حدود الإطار المثالى العام ، وهنا تظهر واقعية الإسلام فى علاج النفس البشرية .

والعلاج الإسلامى بأساليبه المختلفة ويمبادئه الأساسية التى يعرضها هذا البحث هو محاولة جادة للتأثير فى تلك النفس البشرية بهدف تغييرها : من نفس ضالة ومنحرفة إلى نفس مسلمة مؤمنة ، تؤدى واجبها فى الأرض ، متوكله على الله فى السماء ، تسعى للرزق بكل ما أوتيت من قوة تازكة النتيجة لله ، تسير مع الأقدار مؤمنة بأنه لن يصيبها إلا ما كتبه الله لها .

وهكذا يهتدى الأخصائى الاجتماعى بمنهج إسلامى واقعى نظيف ، يحسب حساب الإنسان بفرديته من حيث طاقاته وقدراته واستعداداته وصفاته ، ولذلك لا يكلفه بعمل المستحيل بل يطلب منه المحاولة الدائمة لبلوغ الكمال الذى يستطيعه هو ، وهو بفطرته يستطيع الكثير .. والإنسان فى نظر هذه الواقعية كائن ليس بالملاك ولا بالشيطان ، ولكنه قادر على الصعود إلى نظافة الملائكة ، وقادر على الهبوط إلى دنس الشيطان .

والطريق الواقعى لتنمية الإنسان ومعالجته ، هو رسم الصورة المتكاملة أمامه ، وتدريبه دائماً على الصعود إليها والدنو منها بكل أساليب العلاج الإسلامى ، وبكل جهد ممكن ومستطاع .

والأخصائي الاجتماعي الذي يمارس العلاج الإسلامي في المؤسسات الاجتماعية ،
يبلغ الوصول في النهاية إلى إعداد الإنسان الصالح الذي يستمد من القرآن منهج
حياته ، ومنهج سلوكه ، حيث يجد الوقاية ويجد العلاج .

وهو يعرف جيدا أنه طريق شاق وصعب ، لأنه طريق غير ممهد ، تحيط به ظروف
وعوامل غير مساعدة ، ويعترضه عقبات كبيرة ، متمثلة في ألوان التربية المعاصرة في
المجتمع ، التي ابتعدت كثيرا عن طريق الله ، وتاهت في معترك الحياة . ولكي ينجح
الأخصائي الاجتماعي في ممارسة العلاج الإسلامي بشقيه الذاتي والبيئي فلا بد له من
قاعدة رئيسية يركز عليها عند الممارسة والتطبيق ؛ هذه القاعدة - هي مجموعة
المبادئ الرئيسية للخدمة الاجتماعية الإسلامية ، وقد عرضها البحث بصورة مبسطة
سهلة موضحة ببعض الأمثلة التطبيقية التي تساعد الممارس على الاستفادة منها
وتطبيقها مع عملائه بمؤسسات الخدمة الاجتماعية بكل أنواعها . وتخصصاتها ،
وبخاصة مؤسسات رعاية الأحداث المنحرفين بصفة خاصة ومؤسسات رعاية الطفولة
بصفة عامة وكذلك جميع المؤسسات التي تعمل في شتى مجالات الخدمة الاجتماعية .

المبدأ الأول : مبدأ الشورى :

الشورى أصل من أصول الحياة فى الإسلام ، وهى أوسع مدى من دائرة الحكم . لأنها قاعدة حياة الأمة المسلمة ^(١) و « دائرة الشورى هى دائرة العلاقة بين المؤمنين جميعاً » \

وقد قال ابن تيمية « لا غنى لولى الأمر عن المشاورة ، فإن الله تعالى أمر بها نبيه فقال « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » ^(٢) وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » : وقد قيل : أن الله أمر بها نبيه ﷺ لتأليف قلوب الصحابة ، وليقتدى به من بعده ، وليستخرج منهم رأى فيما لم ينزل فيه وحى ، من أمر الحروب ، والأمور الجزئية ، غير ذلك ، فغيره ﷺ أولى بالمشورة » ^(٣) .

وقد أثنى الله على المؤمن بذلك فى قوله « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » ^(٤) .

والشريعة الإسلامية وإن كانت آياتها المحكمة سدى الإسلام فلحمته الشورى ، فيها صار الاجتهاد حقاً والإجماع دليلاً ، وهما جناحا التحضر السوى ، والكمال الاجتماعى ، والتقدم الإنسانى السليم . \

ولم لهذا المبدأ العظيم من أهمية فسنعرض بعض آراء المفسرين لآية (وشاورهم فى الأمر) لنخرج منها بمؤشرات ودلالات نسير على هديها ونمشى فى طريقها .

قال السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار (وشاورهم فى الأمر) أى الأمر العام الذى هو سياسة الأمة فى الحرب والسلام والخوف والامن وغير ذلك من مصالحهم الدنيوية أى دم على مشاورتهم وواظب عليها كما فعلت قبل الحرب فى غزوة (أحد) وإن أخطأوا الرأى فيها فإن الخير كل الخير فى تربيتهم على المشاورة بالعمل دون العمل برأى الرئيس وإن كان صواباً لما فى ذلك من النفع لهم . والمراد بالأمر الدنيوى الذى يقوم به الحكم عادة لا أمر الدين الذى مداره على الوحى دون الرأى . إذ لو كانت المسائل الدينية كالعقائد والعبادات والحلال والحرام مما يقرر بالمشاورة لكان الدين من وضع البشر . إنما هو وضع إلهى ليس لأحد فيه رأى لا فى عهد النبى ﷺ ولا بعده . وقال صاحب التفسير القاسمى : (وشاورهم فى الأمر) أى أمر الحرب وغيره توددا إليهم وتطيباً لنفوسهم واستظهاراً بأرائهم وتمهيداً لسنة المشاورة فى الأمة .

وقد ساق العلامة فخر الدين الرازى وجوهاً أخرى فى فائدة أمره تعالى له عليه الصلاة والسلام بـمشاورتهم منها : أنه ﷺ وإن كان أكمل الناس عقلاً إلا أن علوم

الخلق متناهية فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا فإنه ﷺ قال : (أنتم أعرف بأمور دنياكم) . ومنها أن الأمر بمشاورتهم لا لأجل أنه ﷺ محتاج إليهم ولكن لأجل أنه إذا شاورهم في الأمور اجتهد كل واحد منهم في استخراج ما عنده من الوجه الأصلى . فتصير الأرواح متطابقة متوافقة على تحصيل أصلح الوجوه . وتطابق الأرواح الطاهرة على الشئ الواحد مما يعين على حصوله وهذا هو السر عند الاجتماع والجماعة فى الصلوات .

وقال صاحب تفسير المراءى : (وشاورهم فى الأمر) أى أنهم إذا حذبهم أمر تشاوروا فيما بينهم ليقتلوه بحثاً وتمحيصاً ولا سيما الحروب ونحوها وقد كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى كثير من الأمور ولم يكن يشاورهم فى الأحكام لأنها منزلة من عند الله .

أما الصحابة فكانوا يتشاورون فيها ويستتبطون من الكتاب والسنة ، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة . فإن النبى ﷺ لم ينص عليها حتى انتهى أمرهم إلى تولية أبى بكر رضى الله عنه ، وتشاوروا فى قتال من ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ ، فاستقر رأى أبى بكر على القتال وكان فيه الخير كل الخير للإسلام والمسلمين .

وعن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهما قال لما أسروا الأسارى يعنى يوم بدر - قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر : ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله هم العم والعشيرة أرى أن نأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام . فقال رسول الله ﷺ ما ترى يا ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : لا والله ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن فلانا من فلان - قرابته - فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت (٥) .

كما كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى الأمر إذا حدث ، تطيباً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه ، كما شاورهم يوم بدر فى الذهاب إلى العير فقالوا يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعنا معك ولو سبرت بنا برك الغماد لسرنا معك . ولا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام ، (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) (المائدة ٢٤) ولكن نقول : اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون . وشاورهم أيضاً أين يكون المنزل ؟ حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم . وشاورهم فى أحد أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو ؟ فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج . وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلاث ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك عليه السعدان: سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، فترك ذلك .

ويقول العالم الشهير أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي في المشاورة والنصيحة اعلموا - أن المستشار وإن كان أفضل رأياً من المشير فإنه يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار بالسليط ضوءاً . فلا تقذفن في روعك أنك إذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأى غيرك فيمنعك ذلك عن المشاورة ، فإنك لا تريد الرأى للفخر به ، ولكن للانتفاع به ، وإن أردت الذكر كان أفخر لذكرك ، وأحسن عند ذوى الألباب لسياستك أن يقولوا : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه ، ولا يمنعك عزمك عن إنفاذ رأيك وظهور صوابه لك عن الاستشارة .

ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنة عزمة لا مشورة فيها . فحمله حس الأب وعلمه بوقعه في النفوس على الاستشارة فيه فقال لابنه يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ وهذا أحسن ما يرسم فى هذا الباب (٦) . ومن هنا يمكن القول أن الفعل شاور من المشورة يقتضى : أولاً : استشارة (مشكلة) ، وثانياً : مشير (صاحب رأى) ، وثالثاً : مستشير (صاحب مشكلة) ثلاثة أركان تتفاعل وتمتزج ليخرج منها الرأى السوى الناضج الذى يجنب الإنسان وكذا المجتمع والأمة الانحراف والهلاك ويهدهى إلى الأمن والرشاد .

وحيث أن الخدمة الاجتماعية تحرص على تدعيم الترابط والتضامن بين أبناء المجتمع وتحرص على بنائه وإنمائه ، فإن مبدأ الشورى يعد من أعظم المبادئ الإنسانية التى تعتمد عليها الخدمة الاجتماعية فى تحقيق أهدافها الإسلامية .

وعندما يمارس الأخصائى الاجتماعى مبدأ الشورى عندما يخطط لعلاج المشكلات الاجتماعية فإنه يجعل من نفسه الركن الأول من أركان المشاورة . وهو المشير صاحب الرأى والتفكير بعد أن يتم إعدادة إعداداً إسلامياً سليماً بحيث يصبح صالحاً لتقديم المشورة لمن يطلبها من العملاء ، بل فى أحيان كثيرة يتقدم هو بالمشورة حتى لو لم تطلب منه ، وذلك عندما يرى أن هناك أخطاراً محققة تهدد الفرد أو المجتمع وبذلك يصبح دوره كمشير معروضاً ومفروضاً فى آن واحد ما دام هدفه صالح الفرد وصالح المجتمع .

والأخصائى الاجتماعى الإسلامى لى ينجح فى أداء دوره كمشير لابد أن يكون واسع التفكير راجع التدبير ، أخلاقه كريمة وصفاته عظيمة ، حتى يستطيع أن يكسب ثقة عملائه مما يجعلهم يقبلون على طلب مشورته بما يحقق لهم العون والمساعدة المطلوبة .

وقد يكون العميل مشيراً فى أحيان كثيرة عندما يشركه الأخصائى الاجتماعى فى ذلك وعندما يطلب منه إبداء رأيه والاشتراك بتفكيره فى كثير من الأمور التى تسهل

نجاح عملية المساعدة ، وقد يكون للعميل رأى سليم وفكر ناضج ، يساعد الأخصائى فى استكمال الكثير من الجوانب التى كانت خافية عليه ، فهو الأدرى بجوانب المشكلة وهو الذى سيتحمل المسئولية الكبيرة فى علاجها .

وقد يكون هناك مستشارون آخرون يعملون جنباً بجنب مع العميل والأخصائى الاجتماعى مثل الخبراء والمختصين من أصحاب الرأى والمشورة مثل رجل الدين ورجل القانون أو المختص النفسى أو الطبيب ... الخ ممن يستعين بهم الأخصائى الاجتماعى فى دراسة المشكلة وعلاجها ، وليس عيباً أو نقصاً من الأخصائى الاجتماعى أن يستعين بغيره من زملاء المهنة ويستشيرهم برأيه وأفكارهم ما دامت تساعد على الوصول إلى العلاج السليم أما الركن الثانى من أركان المشاورة وهو المستشار ، فهو العميل الذى يعانى من مشكلات عاقت توافقه وعطلت تفكيره وأصبح عاجزاً عن مواجهتها بمفرده مما دعاه لطلب المشورة من الأخصائى الاجتماعى فهو القادر على التفكير السليم وإعطاء المشورة المناسبة لأن تفكيره محرر من الضغوط التى يعانى منها العميل الذى أصبح فى مسيس الحاجة لمن يقف بجانبه ويساعده على مواجهة تلك المشكلات وعلاجها .

وعندما يحضر العميل طالباً المشورة يقابله الأخصائى الاجتماعى بالاحترام والحب النابع من أخوه الإسلام الصادقة التى يستمد منها العميل مشاعر الأمن والطمأنينة وعندها يثق فى الأخصائى الاجتماعى الذى يضحى بوقته وجهده فى سبيل مساعدته غير منتظر منه جزاء أو شكورا ، وعندها يشعر العميل بأن الأخصائى الاجتماعى يقدم له المشورة الصادقة بدافع أخوة الإسلام المخلصة ، وحينئذ يثق فيه ويطمئن إليه ، فيحبه ويطيعه ، وعندها يسهل التأثير عليه وتغييره ، والأخصائى الاجتماعى هدفه التأثير والتغيير بما يساعد على البناء والإنماء بالنسبة للفرد والجماعة والمجتمع ، وبذلك يساهم بدوره فى بناء أمة إسلامية قوية حتى تستعيد مكانتها كخير أمة أخرجت للناس .

والركن الثالث من المشاورة هو الأمر المشار فيه وهو المشكلات التى يعمل فى مجالها الأخصائى الاجتماعى ، وهى مشكلات كثيرة ومتنوعة ، فقد تكون مشكلات ذاتية تتصل بذات العميل وشخصيته ، وقد تكون مشكلات بيئية تتصل ببيئة العميل وأسرته وقد تجمع بين كل منهما .

والأخصائى الاجتماعى يشترك معه العميل فى دراسة تلك المشكلات وتوضيح جوانبها المختلفة ، كما يشركه معه فى تشخيصها وعلاجها ، وبذلك تتفاعل أركان الشورى الثلاثة تفاعلاً إيجابياً بناءً من خلال مبدأ إسلامى عظيم . مارسه خير الأنبياء وخاتمهم .

والخدمة الاجتماعية عندما تمارس مبدأ الشورى كأحد المبادئ الإسلامية العظيمة التى تمارسها وصولاً إلى نجاح الأخصائى الاجتماعى فى ممارسة العلاج الإسلامى ، ولذلك تسعى من وراء ممارسته وتطبيقه إلى تحقيق الأهداف الإنسانية العظيمة التى حققها رسول الله ﷺ والتى يسعى الأخصائى الاجتماعى الإسلامى جاهداً إلى تحقيقها .

وكان النبى ﷺ يستشير المسلمين فى كثير من الأمور بهدف التآليف بين قلوبهم ونشر المودة والحب والجمع بينهم ، فتزداد ألفة الجماعة وتماسكها ، ويشعر كل فرد فيها بأن قوة الجماعة من قوته وعزها من عزه بعد أن أصبح يستشار فى أمورها ويشترك فى تقرير مصيرها .

ولذلك يشرك الأخصائى الاجتماعى عملاءه فى كل خطواته المهنية ويستشيرهم أحياناً كما يشير عليه أحياناً كثيرة ، وبذلك ينتشر الود والحب ويجمع الإسلام بين القلوب المتآلفة ، ويثق المستشير فيمن يشير عليه ، فيعم الترابط والتضامن ، وتقوى شبكة العلاقات الاجتماعية بعد أن أصبحت علاقات محبة وأخوة إسلامية وعندها يسهل حل المشكلات وتثمر عملية المساعدة وينجح العلاج الإسلامى .

والأخصائى الاجتماعى عندما يمارس مبدأ الشورى مع عملائه فإنه يسعى إلى الاشتراك فى تربيتهم تربية إسلامية فهو يشاركهم ويشاورهم فى أمور حياتهم ويستفيد من آرائهم وأفكارهم ويسترشد بها فى كثير من الأمور ، ويجعل من نفسه قدوة صالحة لهم حتى يخرجون من تفاعلهم معه عقلياً بنضج أفكارهم ونمو شخصياتهم وبذلك يصبح كل فرد منهم عضواً صالحاً فى مجتمعه قادراً على التوافق فيه بعد أن مارس العديد من الخبرات البناءة مع الأخصائى الاجتماعى بما يساعده ويعينه على أداء أدواره الاجتماعية بما يحقق توافقه فى المجتمع .

وإذا نظرنا إلى أهداف الشورى العقلية فقد كانت التقاء العقول وتجميع الآراء ، ورفع مستوى التفكير واستخراج رأى السليم أو تعديل رأى الخاطئ عن طريق تفاعله مع رأى السليم ، واستنباط أفكار جديدة أو آراء جديدة .

والأخصائى الاجتماعى يسعى لتحقيق تلك الأهداف عندما يقوم بممارسة مبدأ الشورى مع عملائه فيتفاعل عقله مع عقولهم ورأيه مع آرائهم ، فيرتفع مستوى تفكيرهم وتتعدل أفكارهم الخاطئة ويدربون على التفكير السليم من خلال البرامج والأنشطة التى يحتويها العلاج الإسلامى .

وأخيراً هناك الأهداف النفسية التى حققها رسول الله ﷺ من خلال مبدأ الشورى الذى مارسه بنفسه مع أصحابه وقواده وجنوده بل ومع عامة المسلمين حيث يهدف إلى

تنمية الشعور بالذات وتنمية الثقة بالنفس حتى يشعر كل فرد في المجتمع الإسلامي بالعزة والكرامة والأمن والطمأنينة ، وبذلك نمت شخصياتهم وأصبح كل منهم عضواً صالحاً في مجتمع صالح ، وصارت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

والأخصائي الاجتماعي الذي يمارس هذا المبدأ الإسلامي العظيم يهدف إلى تنمية ذات العميل وتقوية ثقته بنفسه بعد أن اهتزت تلك الثقة وضعفت تلك الذات وبعد أن صار يئن تحت وطأة الضغوط الداخلية النابعة من ذاته والمزلزلة لكيانه وبعد أن أصبح خائفاً مضطرباً ، ذليلاً مهاناً ، فلا عجب إذن أن تسعى المبادئ الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الشورى إلى المشاركة مع العلاج الإسلامي في علاج اضطرابات الشخصية مما يؤدي إلى تنمية الشعور بالذات والثقة بالنفس ، وعندها يتحول الخوف إلى الأمن ، والاضطراب إلى الطمأنينة ، والمهانة إلى العزة ، والذلة إلى الكرامة .

المبدأ الثاني : العلم :

العلم مبدأ آخر من المبادئ الإسلامية المهمة التي تحتاج إليها الخدمة الاجتماعية وهي تطبيق العلاج الإسلامي للمشكلات الاجتماعية ، والاختصاصي الاجتماعي لن يستطيع ممارسة الخدمة الاجتماعية الإسلامية إلا إذا اعتمد في ممارسته على المبادئ الإسلامية التي تساعد على فهم الإنسان واكتساب ثقته حتى يصبح قادرا على التأثير فيه وبالتالي يستطيع تغييره والعلاج الإسلامي بمبادئه الإسلامية هو القادر على هذا التغيير .

« إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان ، ولن يجد هذا الدين مستقر له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة والألباب الحصيفة . فطبيعة الإسلام تفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين ، وتهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين . ذلك لأن حقائق هذا الدين - من أصول وفروع - ليست طقوسا تنتقل بالوراثة ، أو تعاويز تشيع بالإيحاء ، وتنتشر بالإيهام .. إنها حقائق تستخرج من كتاب حكيم ، ومن سنة واعية ، وسبيل استخراجها لا يتوقف على القراءة المجردة ، بل لابد من أمة تتوفر فيها الأفهام الذكية ، والأساليب العالية ، والآداب الكريمة ، ولا شك أن مدارس مناهج الإسلام تخلق في أي أمة تعنى بها جوا من الفقه التشريعي القائم على الأوامر والنواهي - أي بالحقوق والواجبات - وجوا من الآداب الاجتماعية الدقيقة المتعلقة بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجوا من البحث الصحيح والاجتهاد المخلص لمد رواق الإسلام على ما تقدمه الأعصار من أقضية شتى وشئون متجددة» (٧).

لذلك أعز الله العلماء وأثرهم بكرامته وفضله ، قال رسول الله ﷺ « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » (مسلم) .

كما قال ﷺ « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » (الترمذي) .

وكذلك قوله ﷺ « طلب العلم قريضة على كل مسلم » (ابن ماجه) .

والعلم كمبدأ إسلامي مهم لم تظهر أهميته في أحاديث رسول الله ﷺ فقط ، بل تاکدت أهميته في آيات بينات من كتاب الله الكريم تأمر المسلمين بالعلم وتحضهم عليه ، منها قوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٨) (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (٩) (وقل رب زدني علما) (١٠) وقال الخبير العليم (وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون) (١١) (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه علي علم) (١٢) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) (١٣) ثم قال العزيز الحكيم (خلق الإنسان علمه البيان) (١٤).

وقد ذكر الإمام الغزالي في طلب العلم وفضيلة التعلم (١٥) قول الله تعالى : «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» (١٦) ، وأهل الذكر هم أهل العلم ، هم العلماء ... كما يرى الغزالي أن مهنة التعليم أشرف مهنة ، وأفضل صناعة يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة ، والتعليم في نظره هو : إفادة العلم ، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة (١٧).

والمراد بالعالم هو الصالح التقى ، العالم العامل بكتاب الله وسنة رسول الله ... وإننا نعتقد أن الإسلام دين علم ونور ، لا دين جهل وظلمة (١٨) والعلم الذي يقبل المسلم عليه ، ويستفتح أبوابه بقوة ، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ، ليس علما معينا محدود البداية والنهاية . فكل ما يوسع منادح النظر ، ويزيح السدود أمام العقل النهم إلى المزيد من العرفان ، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ، ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والإدراك . وكل ما يتيح له السيادة في العالم والتحكم في قواه ، والإفادة من ذخائره المكنونة ... ولا شك أن في طلبه ما تجب معرفته حق الله على الناس ، وحق الناس بعضهم على بعض . فإن هداية السلوك إلى الصالح العام كبيرة الأثر في تنظيم الجماعات وتوجيه السياسات (١٩) .

ولذلك يفرض هذا المبدأ علي الأخصائي الاجتماعي أن يكون عالما في أصول العلاج الإسلامي ومبادئه التي جاءت بها شريعة الإسلام ، وأن يكون محيطا بأمور الحلال والحرام ، وأن يكون على دراية تامة بمبادئ الأخلاق ، وأن يكون متفهما لأنظمة الإسلام ، وقواعد الشريعة حتى يصبح عالما حكيما يضع الأشياء في موضعها ، ويربى عملاءه على أصولها ومقتضاها ويسير في طريق التربية الإسلامية ويطبق العلاج الإسلامي على أسس متينة من تعاليم القرآن ، وهدى محمد ﷺ .

ولذلك فإن الأخصائي الاجتماعي الذي يمارس الخدمة الاجتماعية الإسلامية ويطبق مبادئها لابد أن يكون عالما عاملا بعلمه (٢٠) ، أي تطابق أفعاله أقواله ، وأن يكون علمه غزيراً ومتنوعاً فهو يدرس الكتاب والسنة ويدرس التاريخ الإسلامي والتاريخ الإنساني معا ، ليعرف الطبيعة البشرية على الواقع ، وليعرف سنن الله في خلقه ، كما يجب عليه دراسة علم النفس بشتى فروعها المختلفة لأنه يساعد على فهم الإنسان وغرائزه ، وميوله ، وتحليل عواطفه واتجاهاته ، بالإضافة إلى دراسة مختلف العلوم والمعارف الأخرى كقاعدة علمية ينطلق منها إلى فهم الإنسان ومشكلاته حتى يصبح قادراً على مواجهتها وعلاجها . إن هذه المعارف المختلفة ليست نافلة في حياته ، ولا توجيهاته ، بل هي زاد لابد منه لتصحيح فكره ، وضبط صلتته بالعالم ، حتى إذا قدم النصيح لعملائه يكون بوعى دقيق ، وحس بالغ ، وإدراك للهدف الذي تتطرق إليه . كما يجب على الأخصائي الاجتماعي أن يتعلم الشر والخير لا ليقي نفسه فحسب من الشرور ، بل ليقى غيره من

الناس كذلك . إن غزارة الثقافة وسعة الأفق وروعة الحصيلة العلمية من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الأخصائي الاجتماعي . ولا بد له من أن يكون عالماً في مهنته ، متبحراً في معرفتها متقناً لأساليبها الفنية ، متجماً بمواصفاتها الخلقية ، لأنها مهنة الأنبياء والرسل ، ولذلك تحتاج لمواصفات لا تتوافر بسهولة في كل إنسان .

إن الأخصائي الاجتماعي عندما يطبق مبدأ العلم كمبدأ مهم من مبادئ الخدمة الاجتماعية الإسلامية يعرف جيداً أن أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العقل ، والخامس نشره ، وهو يطبق قول القائل : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول .

والأخصائي الاجتماعي في كل ذلك لا يرجو إلا ربه ولا ينتظر من أحد جزاء أو شكوراً ، ولذلك لا يستحي أن يتعلم ما لا يعلمه ويستزيد مما يجهله ، ولا يستحي إذا سئل في شيء لا يعلمه أن يقول لا أعلم ، لأنه في ذلك يطبق قول علي عليه السلام ، « لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم .

المبدأ الثالث : المساواة

المساواة مبدأ مهم آخر من المبادئ الإسلامية التي تعتمد عليها الخدمة الاجتماعية الإسلامية وهي تسعى لممارسة العلاج الإسلامي للمشكلات الاجتماعية سواء كانت مشكلات فردية أو جماعية أو مجتمعية ، وهي نفس المبادئ التي اعتمد عليها الإسلام عندما عالج المشكلات الاجتماعية التي اعترضت ظهور الإسلام ، وبالرغم من صعوبتها وتعقدها وتعددتها إلا أن الإسلام نجح في القضاء عليها والتخلص منها بفضل تلك المبادئ الإنسانية .

لقد جاء الإسلام ليحقق العدالة الاجتماعية لكل الناس معتمداً في ذلك على تلك المبادئ الإسلامية وعلى رأسها مبدأ المساواة ، ولن تتحقق عدالة اجتماعية كاملة ، ولن يضمن لها التنفيذ والبقاء ، ما لم تستند إلى شعور نفسى قوى باستحقاق الفرد لها ، وبحاجة الجماعة إليها ، وعقيدة تؤدي إلى طاعة الله وإلى واقع إنساني أسمى . وما لم تستند كذلك إلى واقع مادي يهيئ للفرد أن يتمسك بها ويحتمل تكاليفها ويدافع عنها . ولن يستحقها الفرد بالتشريع قبل أن يستحقها بالشعور ، وبالقدرة العلمية على استدامة هذا الشعور . ولن تحافظ الجماعة على التشريع إن وجد ، إلا وهناك عقيدة تؤيده من الداخل وإمكانات عملية تؤيده من الخارج . وهذا ما نظر إليه الإسلام في توجيهاته وتشريعاته جميعاً .

ولما لمبدأ المساواة من أهمية بالغة في تحقيق العدالة الاجتماعية كاملة جاءت الشريعة الإسلامية من وقت نزولها بنصوص صريحة تقرر المساواة وتفرضها فرضاً ، فالقرآن يقرر المساواة ويفرضها على الناس جميعاً في قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢١) وبذلك يشير الله سبحانه وتعالى إلى أصل المساواة في الطبيعة البشرية بين الأفراد جميعاً ، ثم ينفي أن يكون اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل ومجموعات ، مبرراً للمفاضلة بين الأفراد ، بل ينظر إلى هذا الاختلاف على أنه سبب للتعارف واللقاء وليس للتخاصم والتنافر ، ويقرر سبباً واحداً للمفاضلة هو التقوى ، بعد أن كرم الطبيعة الإنسانية كلها في قوله تعالى : (ولقد كرمنا بني آدم) (٢٢) ولكنه سبحانه وتعالى فضل بعضهم على بعض بكثرة التقوى ، وكثرة التقوى ليست بحكم أحد من الناس وإنما بعلم الله ذاته وخبرته (٢٣) .

ورسول الله ﷺ يؤكد هذا المعنى في قوله « الناس سواسية كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ثم يؤكد هذا المعنى تأكيداً في قوله : « إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بأبائهم لأن الناس من آدم وأدم من تراب

وأكرمهم عند الله أتقاهم » ويلاحظ على هذه النصوص أنها فرضت المساواة بصفة مطلقة ، فلا قيود ولا استثناءات ؛ وأنها المساواة على الناس كافة أى على العالم كله فلا فضل لفرد على فرد ولا لجماعة على جماعة ، ولا لجنس على جنس ، ولا للون على لون ، ولا لسيد على مسود ولا لحاكم على محكوم (٢٤) .

وفد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية فى تقرير المساواة بأحد عشر قرناً ولم تأت تلك القوانين الوضعية بجديد حين قررت المساواة وإنما سارت فى أثر الشريعة الإسلامية واهتدت بهداها .

ولم تكن المساواة فى الإسلام كلاماً يقال أو شعاراً يرفع وإنما كان مبدأ يمارس وأول من مارسه والتزم بتطبيقه النبى ﷺ متأدياً بأوامر ربه الذى كان دائماً يذكر الناس بأنه بشر كسائر البشر ، وكان محمد ﷺ بذاته يكرر هذا المعنى وهو النبى العظيم الذى كان محبوباً من قومه مبجلاً ؛ ولكن خيف أن ينقلب ذلك الحب وهذا التبجيل إلى تأليه أو قدسية لا تكون إلا لله . فها هو ذا يقول لقومه : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ فإنما أنا عبد ؛ فقولوا عبد الله ورسوله » (٢٥). (البخارى) ويقول وقد خرج على جماعة فوقفوا تبجيلاً « من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » (٢٦) وفى موقف آخر قال لقومه « يامعشر قريش لا أغنى عنكم من الله شيئاً . يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً » (٢٧).

وحين أصابت محمد الإنسان لحظة حرص بشرى ؛ فانصرف عن الرجل الفقير الأعمى ابن أم مكتوم إلى الوليد بن المغيرة سيد قومه ، عاجلة العتاب الشديد الذى يشبه التائب ليرد للمساواة المطلقة معاييرها الكاملة .

ومبدأ المساواة أمام شريعة الله مقرر فى الإسلام بأجلى بيان ؛ أخذاً من المساواة العامة للمسلمين ؛ ومن نصوص أخص من ذلك قول رسول الله ﷺ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فىهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فىهم الوضيع أقاموا الحد ؛ وكان عليه الصلاة والسلام قد استشفع لديه فى عدم توقيع الحد فاستنكر ذلك وصاح بمحدثه « يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله » (٢٨) ؟ وعندما تجادل الصحابى المعروف أبو ذر الغفارى مع أحد الزنوج . واشتد به الغضب فقال له : « يا ابن السوداء » وسمع الرسول ﷺ هذه الكلمة النابية . فأنكرها أشد الإنكار وقال لأبى ذر : أعيرته بأمة ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية . ومما قال له : طف الصاع . طف الصاع . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » (٢٩) وقد ندم أبو ذر على فعلته . وأثرت كلمات الرسول ﷺ فى نفسه ؛ فالصق خده بالأرض وقال للأسود : « قم فطأ

على خدى « وبهذا التعليم البين الحاسم محا الإسلام من المجتمع كل نزعة إلى التفرقة العنصرية (٢٠) .

ولم يكتف الرسول ﷺ بممارسة هذا المبدأ مع أصحابه وأقاربه وأهل بيته بل امتد إلى ممارسته مع جلسائه من عامة المسلمين ، وعلمهم كيف يطبق هذا المبدأ على الجميع دون أن يفرق بين غنى أو فقير ولا قوى أو ضعيف ، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه سأل جليسا له وقد مر بهما رجل ما رأيك فى هذا ؟ فقال : هذا رجل من أشرف الناس ، هذا والله حرى إن خطب أن يزوج ، وإن شفع أن يشفع . وإن قال أن تسمع لقوله . فسكت رسول الله ﷺ ثم ما رأيك فى هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين . هذا والله حرى إن خطب ألا يزوج ، وإن شفع ألا يشفع وإن قال ألا يسمع لقوله . فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا (٢١) .

وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال : رأى سعد أن له فضلا على من دونه ، فقال رسول الله ﷺ : « هلى ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم (٢٢) » وقال : « ابغونى فى ضعفائكم ، إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم (٢٣) »

وهكذا يتبع الإسلام كل ناحية من حياة الناس الوجدانية والاجتماعية ، ليؤكد فيها معنى المساواة توكيدا ، وما كان فى حاجة كما قلنا لأن يتحدث عن المساواة لفظا وصورة ، بعد ما حققها معنى وروحا .. ولكنه يحرص على المساواة حرصا شديدا ، ويريدها إنسانية كاملة غير محدودة بعنصر ولا قبيلة ولا بيت ولا مركز .

والخدمة الاجتماعية عندما تمارس العلاج الإسلامى لمعالجة المشكلات الاجتماعية فإنها تلتزم بمبدأ المساواة وتمارسه مع كل الناس الذين يتعاملون مع الأخصائى الاجتماعى الذى ينظر إليهم جميعا على قدم المساواة ويتقبلهم جميعا كما خلقهم الله لا كما يجب أن يكونوا . فقد خلقهم سواسية كأسنان المشط . ولذلك يحترم كل واحد منهم كنفس بشرية وكقيمة إنسانية باعتبارها أثمن شئ فى الوجود ويهتم كثيرا باحترام كرامة الإنسان باعتباره مخلوقا آدميا له كرامته وفرديته التى تميزه عن غيره من الناس ، وليس معنى المساواة إلغاء الفروق الفردية بل لكل قدراته وصفاته الشخصية التى خلقه الله بها لتمييزه عن الآخرين .

ولذلك فإن مبدأ المساواة كمبدأ إسلامى مهم يلزم الأخصائى باحترام كل فرد من عملائه والاهتمام به وإبداء الرغبة الصادقة فى مساعدته والمحافظة على كرامته وقيمه الانسانية بغض النظر عن كونه أميرا أم خفيرا ، غنيا أم فقيرا ، سليما أم مريضا جميلا أم قبيحا . فكل ذلك ليس له تأثير على عملية المساعدة لأن الأخصائى الاجتماعى ليس له إلا هدف واحد وهو تقديم المساعدة المطلوبة للعملاء مهما كلفته من جهد ووقت ؛

وهو يقدم مساعدته لهم حسب احتياجاتهم لاحسب مراكزهم ومميزاتهم وهو لا ينتظر منهم جزاء ولا شكورا . واحترام الأخصائى الاجتماعى للعميل بهذه الصورة يشبع عنده عاطفة اعتبار الذات ويشعره بأنه إنسان له كرامته وله كيانه وقيمه وبذلك يتمكن الأخصائى من امتصاص مشاعر القلة والدونية التى يشعر بها العميل . حيث أن هذه المشاعر السلبية تعتبر من أهم العقبات التى تعترض جهود الخدمة الاجتماعية الإسلامية .

وتطبيق مبدأ المساواة الذى يفرض احترام العملاء والمحافظة على كرامتهم وقيمتهم الإنسانية ويوجب على الأخصائى الاجتماعى الاهتمام بهم وإبداء الرغبة الصادقة فى مساعدتهم ليس كلاما يقال ولكنه سلوك إسلامى يمارس يبدأ منذ أول لقاء مع العميل حيث يقابله الأخصائى الاجتماعى بالبشاشة والترحاب ويدعوه للجلوس فى المكان المعد لاستقباله . وبذلك يشعره بأن هناك من يحترمه ويقدره ، ثم ينصت إليه باهتمام بالغ مبدىا رغبة صادقة فى مساعدته ، بأذلا من أجله كل جهد ، مضحيا فى سبيله بكل وقت ، وعندها يشعر العميل بنوع آخر من المعاملة التى لم يألّفها من قبل ، ويبدأ فى تغيير نظرتة لنفسه ويشعر بذاته ويحس بكرامته وقيمه الإنسانية كبقية الناس بعد أن تمتع بحقه فى المساواة المطلقة دون قيود أو استثناءات ، وبذلك تتوطد العلاقة بينهما ويبدأ التعاون من خلال علاقة محبة أخوية إسلامية ، تؤدى إلى نجاح العلاج الإسلامى.

والأخصائى الاجتماعى الإسلامى الذى اتسع قلبه لحب كل عملائه ، وأحبهم حبا صادقا ، ووجه تلك المشاعر الصادقة إليهم مهما كانت عيوبهم أو نوعياتهم ، ما هو إلا بشر كبقية الناس ينفعول مثلهم ويثور ويغضب ، ويمل ويتعب ولكنه مختلف عنهم فى مطالب مبادئه الإسلامية التى يعد لها ويدرب على ممارستها والتى تجعله عندما ينفعول كبقية البشر حلما صابرا متحكما فى انفعالاته ومشاعرهم بحيث لا يظهر ضيقه أو تعب أو ملل لمن يقدم لهم المساعدة ، بل يقدر مشاعره السلبية فى المواقف الانفعالية المختلفة كالغضب والخوف والحزن والقلق ، فلا يتأثر بثورتهم ، ولا يضيق بإنفعالهم ولا يتحامل عليهم ، بل يقبلهم كعملاء يعانون من مشكلات ولا ينظر إليهم كعملاء مشكلين .

وعندما يلتزم الأخصائى بتطبيق مبدأ المساواة عندما يمارس العلاج الإسلامى فسيحترمه العملاء كما يحترمهم ، وسيحبونه كما يحبهم ، وعندئذ يثقون فيه ويقعون تحت تأثيره ، ويسهل بعد ذلك تغييرهم وعلاج مشكلاتهم ، وإنماء شخصياتهم ، وينفذون كل المسئوليات التى يفرضها عليهم العلاج الإسلامى بتعاون مثمر وروح طيبة وأخوة ومحبة صادقة ، متخذين من الأخصائى الاجتماعى الإسلامى القدوة الحسنة والمثال الطيب الصالح للتقليد والتقمص .

المبدأ الرابع : الحرية

مبدأ الحرية من أهم المبادئ الإسلامية التي جاءت بها الشريعة وقررتها في أروع مظاهرها ، فقررت الحرية الدينية ، والحرية السياسية ، والحرية المدنية ، وحرية الرأي والفكر ، وحرية الإرادة ، وكل هذه الحريات ما هي إلا مكونات للحرية الإنسانية التي هي كل لا يتجزأ ، وأى مساس بجانب منها عدوان علي شرف الإنسان وتعطيل لمسئوليته وليست الحرية منحة وعطاء يقصد بها الفوضى والتحلل، وإنما هي فرض مقرر أكدته الشريعة الإسلامية كما جاء في القرآن والسنة وكما سمعنا عنها في التراث الكبير لأئمة السلف الصالح الذين ناضلوا ودافعوا عن حرية الإنسان .

فحرية التفكير جاءت بها الشريعة الإسلامية لتحرر العقل من الأوهام وتخلصه من الانقياد الأعمى للعادات والتقاليد ، وتعيد إليه نشاطه وفاعليته حتى يصبح قادراً على أداء وظيفته ، فوظيفة العقل أن يفكر كما أن وظيفة العين أن تبصر، والشريعة الإسلامية تدعو إلى نبذ كل شئ لا يقبله العقل وتحث على التفكير الدائم في كل شئ وتؤمن بكل ما يؤمن به العقل، والإنسان الذي يعيش بعقل معطل التفكير كمن يسير على قدم واحدة ، أو كمن يعمل بأيدي مغلولة ، أو كمن يعيش بأعين مغمضة وكل ذلك ضد طبيعة الأشياء .

وتأكيداً لأهمية هذا المبدأ الإسلامي المهم نص القرآن الكريم في سور كثيرة علي استخدام العقل وتحرير الفكر . قال تعالى : (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ^(٢٤)) وقوله : (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادي ثم تفكروا ^(٢٥)) وقوله تعالى : (أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ^(٢٦)) وقوله تعالى : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) ^(٢٧) وقوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب) ^(٢٨) وقوله تعالى : (أفلا ينظرون إلي الإبل كيف خلقت ، والي السماء كيف رفعت ، والي الجبال كيف نصبت ، والي الأرض كيف سطحت) ^(٢٩) .

ومن كل تلك الآيات رأينا كيف أكد القرآن الكريم على ضرورة التفكير كوظيفة للعقل تساعد الإنسان على أن ينظر ويرى ويفكر ويتدبر ، لأن العقل هو الميزة الوحيدة التي ميز الله بها الإنسان على غيره من المخلوقات ، فإذا لم يفكر وإذا لم يحسن استغلال عقله ، فسيضل الطريق ، ويصبح تائها يتخبط ، ينساق وراء الخرافات والأوهام ويقلد غيره في عاداتهم وتقاليدهم دون وعي أو فهم ، بعد أن أصبح له عقل لا يفهم ، وعين لا تبصر ، وأذن لا تسمع ، وقلب لا يعقل ، وبذلك يتساوى بالأنعام بل يصبح أضل سبيلاً منها .

وقصة امتدء إبراهيم إلى الحق - فيما تلاه علينا كتاب الإسلام - بدأت بالحيرة والشك الذى هو مظهر لرشد العقل وحرية التفكير . ومن الشك طال تأمله فى الكون وإصراره على طلب الهدى والتماس اليقين (٤٠) .

أما الحرية الدينية « فهى أخطر صور الحرية الفكرية وأشدّها حساسية فإذا ضمنها الإسلام فقد بلغ الذروة فى ضمان حرية التفكير .. وحرية ممارسة الدين وشعائره هى أخطر صور إعلان الرأى ، فإذا ضمنها الإسلام فقد بلغ الذروة فى ضمان حرية الرأى والتعبير » (٤١) ، إن الشريعة الإسلامية هى أول شريعة أباحت الحرية الدينية وأقرتها ، وعملت على حماية هذه الحرية وصيانتها ، فلكل إنسان أن يعتنق من العقائد ما شاء وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته أو اعتناق غيرها أو يمنعه من إظهار عقيدته .

« والفكرة العامة عن تسامح الإسلام واحترامه لحرية الاعتقاد والتدين ، لا تكفى لبيان الأفق الرحب العالى الذى استشرف بالإنسانية إليه - فالحق أن الإسلام فى إقراره لحرية التدين ، يلزم أتباعه بهذا الإقرار ديناً وعقيدة وسلوكاً ، لا لمجرد التسامح أو المجاملة أو المسالمة » (٤٢).

إن الإيمان الصحيح المقبول يجىء وليد يقظة عقلية واقتناع قلبى أنه استبانة الإنسان العاقل للحق ، ثم اعتناقه عن رضا ورغبة . وقد عرض الإسلام نفسه على الناس فى دائرة هذا المعنى المحدد ، غير متجاوز له فى قليل ولا كثير ، حتى يوضح مبادئه ، ويمكن الآخرين من الوقوف عليها فإذا شاعوا دخلوها راشدين ، وإذا شاعوا تركوها وافرين (٤٣)، (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٤٤) .

وأول من مارس هذا المبدأ الإسلامى المهم هو الرسول ﷺ اتقاء لما قد يدفعه إليه الإيمان من أخذ الناس قسراً بالدين الحق ، وهو ما ياباه الإسلام نصاً وروحاً ، إلزاماً للإنسان بحمل الأمانة ، وتقديراً لأن العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد ، والإيمان لا يكون إيماناً حتى ، ينبع من القلب والضمير عن رضى خالص وطمأنينة صادقة . يقول سبحانه وتعالى : (لا إكراه فى الدين) (٤٥) . ويقول تعالى (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٤٦) وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) (٤٧) ويقول سبحانه وتعالى (ما على الرسول إلا البلاغ المبين) (٤٨) .

أما حرية الرأى والقول فقد أباحتها الشريعة الإسلامية وجعلتها حقاً لكل إنسان ، بل جعلت القول واجباً على الإنسان فى كل ما يمس الأخلاق والصالح العام والنظام العام وفى كل ما تعتبره الشريعة منكراً . وذلك فى قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة

يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (٤٩) وقوله تعالى : (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وكذلك قول الرسول ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك هو أضعف الإيمان » وقوله عليه الصلاة والسلام « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » وقوله ﷺ « الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله ، قال لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

وإذا كان لكل إنسان أن يقول ما يعتقد أنه الحق ويدافع بلسانه وقلمه عما يكتب أو يقال خارجاً عن حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة أو مخالفاً لنصوص الشريعة (٥٠) .

ومن حرية الرأى والقول ما أقرته الشريعة الإسلامية من حق الجدل فى الأمور الدينية وما يتصل بها من مسائل عملية ، حيث أن الجدل ظاهرة إنسانية تميز الإنسان عن غيره من الكائنات ، وحيث أن الإسلام هو دين الفطرة فقد قدر طبيعة الإنسان التى تختلف عن طبيعة الملائكة وبقية الكائنات ، فلم ينكر عليه الجدل وسمح له بأن يقول ما يشاء دون أن يكون شتاما ولا عيابا ولا قاذفا ولا كاذبا ، وأن يدعو لرأيه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادل بالتي هى أحسن وبهذا أمر نبي الإسلام : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (٥١) وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل لكتاب إلا بالتي هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (٥٢) .

أما الحرية المدنية « فيقصد بها كل التصرفات النابعة من شعور الإنسان بذاته وضرورة اعتراف الجماعة بشخصيته وأهليته المطلقة للتصرف وفق ما يريد » (٥٣) .

الشريعة الإسلامية أباحت هذه الحقوق بحيث يصبح الإنسان حراً فى حياته يعيش حيث يشاء ويسكن حيث يريد ، ويتنقل من مكان لآخر متى يشاء وأين يشاء ، حراً فى معاملاته وفى اختياره للمهنة التى يحبها ، يجمع المال ما يستطيع ويتصرف فيه كما يبرى ما دام كل ذلك فى صالحه وصالح المجتمع وليس فيه أذى له ولا لغيره ، وليس من حق أحد أن يقيد تلك الحرية أو يسلبها إلا إذا كان ظالماً لا يعرف حقوق الآخرين ولا يعرف أصول دينه .

والله عز وجل خلق الإنسان كامل المسئولية وشرع له التكاليف الدينية ورتب عليها المثوبة والعقوبة ، على أساس إرادته الحرة وامتلاكه المطلق للاتجاه ذات اليمين أو ذات اليسار .

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (٥٤) (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى) (٥٥) .

وهكذا نرى أن الشريعة الإسلامية حينما أباحت الحرية المدنية فإنها كانت تهدف إلى بناء الشخصيات الإسلامية التي تشعر بذاتها وقيمتها الإنسانية بعد أن تأخذ مكانتها بين الجماعات الإسلامية بحيث يشعر كل إنسان منهم بانتمائه إليها فيخلص لها ، ويتفانى في سبيل إنمائها وبنائها حتى تصبح خير أمة أخرجت للناس .

وأخيراً نصل إلى حرية الإرادة وهي ليست في الواقع إلا عنصراً جوهرياً من كل لا يتجزأ هو الحرية الكاملة للإنسان بمقتضى اضطراره بحمل الأمانة . ونحدد مفهوم الإرادة فنقول أنها لا تعنى مجرد الرغبة والميل ولا هي تقف عن التفكير والاتجاه إلى عمل ما ، إنما تكون الإرادة حين تنتقل النية إلى عمل ، ويستقر العزم عليه في تصميم مهما تكن العوائق والموانع . وإذا كانت الرغبة تمهيداً للإرادة ، وكان العزم من لوازمها ، فمن الضروري أن نتدبر استعمال القرآن لكل من الرغبة والعزم ، لعله يضيئ لنا سبيلنا إلى تدبر موقفه من الإرادة .

ويشهد التتبع الدقيق ، بأن الرغبة لم تأت إطلاقاً في القرآن الكريم مسندة أو مضافة إليه تعالى ، وإنما جاءت مادة « رغب » في كتابه المحكم ثمانى مرات ، كلها بلا استثناء للمخلوقين لا للخالق .

وكذلك الأمر في العزم ، لم يأت قط مضافاً أو مسنداً إلى الله ، ولا وصف سبحانه بأنه ذو عزم ، وإنما العزم في كتاب الله لعباده بصيغة الفعل أو بصيغة المصدر .

والعزم في القرآن يأتي بمعنى التصميم والنفاز : (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) (فإذا عزمتم فتوكل على الله) وهذا الاستقراء جدير بأن يلفتنا إلى ملحظ دقيق ، هو الفرق الجوهرى بين مفهوم الإرادة حين تكون من الخالق حكماً وقضاء ، ومفهوم الإرادة حين تكون من المخلوقين رغبة واختياراً وإدارة المخلوقين إدارة كسبية ، مصحوبة بعزم مسبق برغبة وتفكير ، وليست كذلك عزمًا . وإرادة الله حيث لا يجوز عليه تعالى أى عمل أو صفة كسبية ، على ما هو مقرر في علم التوحيد ... وإنما تفهم إرادة الله ، في القرآن كله على أنها حكم نافذ وقضاء مبرم ، وليست كإرادتنا عزمًا على أمر أو سعيًا وراء مراد نصمم على أنفاذه « (٥٦)

(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (٥٧) .

(إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٥٨) .

والخدمة الاجتماعية عندما تمارس العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية فإنها تعتمد اعتماداً كبيراً على تطبيق المبادئ الإسلامية وبخاصة مبدأ الحرية سواء كانت

حرية دينية أم حرية مدنية أم حرية التفكير أم حرية الرأي والقول أم حرية الإرادة ، فالحرية كل لا تتجزأ ، وحق لكل مسلم يجب أن يتمتع به ويمارسه وإذا صادفه بعض العقبات أو بعض المشكلات التي تعوق ممارسته لهذا الحق فإن الخدمة الاجتماعية تقف بجانبه وتساعدته حتى يحصل على حقوقه كاملة ويستفيد منها الاستفادة المرجوة ما دامت الخدمة الاجتماعية تسعى لإنماء الشخصية وبناءها عن طريق العلاج الإسلامى .

أن الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية يطبق مبادئه الإسلامية عند ما يطبق مبدأ الحرية فإنه يساعد العميل على ممارسة حقه فى حرية اتخاذ القرارات المناسبة لمصلحته ومصلحة المجتمع ويشاركه فى تحمل الجزء الأعظم من مسئولية توجيه حياته ، لأن العميل الذى يشترك فى اتخاذ القرارات التى تناسبه سوف يتحملها وينشط لتحقيقها ويجند كل طاقاته وقدراته لنجاح أى مسئولية قررها بنفسه وتحملها بدافع من نشاطه الذاتى ورغبته الشخصية ، وبذلك تظهر الرغبة فى طلب العلاج الإسلامى وتقوى العزيمة ويتم التعاون المشترك بين الأخصائى الاجتماعى والإسلامى والعميل بعد أن نشطت إرادته وتحررت .

والعلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية لن ينجح ويؤتى ثماره المطلوبة إلا بتعاون العميل بجدية وإيجابية دون أى ضغط أو إكراه ، لأنه مطالب باستغلال نشاطه الذاتى فى توجيه أمور حياته ومطالب بالاشتراك فى اتخاذ القرارات المناسبة التى يتقرر بها مصيره .

والأخصائى الاجتماعى عندما يطبق مبدأ الحرية وبمساعدة العملاء على ممارسته ، فإنه يعرف جيدا أن الشريعة الإسلامية أباحت هذا الحق للإنسان العاقل الناضج ذو الأهلية الذى يستطيع استغلال تلك الحرية لما فيه صالحه وصالح المجتمع ، وحتى العميل الناضج ذو الأهلية فإنه لا يمنح حقه فى ممارسة الحرية بصورة مطلقة بل تقيد تلك الحرية حتى تصبح حرية اجتماعية وليست حرية مطلقة وهذه القيود التى تقيد بنا حرية العملاء تتمثل أولا فى قيود المجتمع الإسلامى الذى يعيش فيه وتتمثل فى أخلاقياته وقوانينه وعاداته التى أقرتها الشريعة الإسلامية.

ولكى يطبق الأخصائى الاجتماعى الإسلامى مبدأ الحرية بما يساعد العميل على الاستفادة من ممارسته حرية تقرير مصيره بالصورة التى أباحتها الشريعة الإسلامية فلا بد أن يكون فى حالة نفسية حسنة تسمح له بالتفكير السليم فيما يتخذه من قرارات وما يتحمله من مسئوليات حتى ينجح العلاج الإسلامى فى تحقيق أهدافه ، والأخصائى الاجتماعى الإسلامى يعرف جيدا أن العميل عندما يلجأ إليه طالبا العون والمساعدة ما لجأ إليه إلا بعد أن أصبح عاجزا عن اتخاذ القرارات السليمة وغير قادر على تحمل المسئولية لأنه يقع تحت الضغوط الداخلية المتمثلة فيما يعانيه من مخاوف وقلق وتوترات نفسية ناتجة عن تلك الضغوط وكانت السبب فى تعطيل تفكيره وتقييد إرادته وشل عزيمته بحيث لم يعد يعرف ما يرغبه ، فكيف يمارس حقه فى الحرية وهو فى مثل هذه الحالة السيئة .

المبدأ الخامس : الإخاء

إن من يدرس الدين الإسلامى يتأكد تماماً أن قوة الإسلام وعظمته جاءت نتيجة حتمية لتطبيق مبادئه الإنسانية ، تلك المبادئ التى نادى بها الإسلام منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة ، وسبق المدنية الحديثة والأمم المتحضرة فى النداء بها ، وقد رأينا فى الصفحات السابقة كيف نادى الإسلام بمبدأ المساواة ومبدأ الحرية وكيف مارس الرسول ﷺ تلك المبادئ وطبقها بنفسه وكيف تبعه أصحابه واستمروا فى ممارستها ، وسنرى الآن فى الصفحات التالية مبدأ آخر من أهم المبادئ الإسلامية وهو مبدأ الإخاء الذى أكدته الشريعة الإسلامية حتى صارت روح الإسلام روح مساواة وحرية وإخاء .

إن الإسلام دين الإخاء كما كان دين الحرية والمساواة فالمسلم أخو المسلم ، يفرح لفرحه ، ويحزن لحزنه ويشاركه شعوره ، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويقول رسول الله ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وبذلك يحث الرسول ﷺ أتباعه وأصحابه ليضع كل منهم نفسه موضع غيره دائماً . ويعامله المعاملة الحسنة التى يحب أن يعامل بها ، وكان هو ﷺ أول من فعل ذلك وأول من طبق هذا المبدأ ، بل كان يؤكد قيمته حتى آخر حياته كما قال فى خطبة الوداع ، « أيها الناس ، إنما المؤمنون أخوة ، ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفسه . فلا ترجعن بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى - كتاب الله - أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لأدم وأدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى » .

وكما رأينا قبل ذلك كيف مارس الرسول ﷺ بنفسه المبادئ الأخرى وكيف ترجمها من قول إلى عمل ، سنرى الآن كيف مارس مبدأ الإخاء وذلك « عندما أخى بين المهاجرين والأنصار وحالف بينهم فى دار أنس بن مالك ، كما أخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف ، حتى قال سعد لعبد الرحمن ، خذ شطر مالى واختر إحدى زوجتي حتى أطلقها وتنكحها » فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى مالك وأهلك دلونى على السوق . وكما أخى بين سلمان الفارسى وأبى الدرداء وهذا كله فى الصحيح .. (٥٩) « كما كان الرسول ﷺ هو وعلى بن أبى طالب أخوين . وكان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين ، وكان أبو بكر وخارجة بن زيد أخوين وكان عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك الخزرجى أخوين . وتأخى كذلك كل واحد من المهاجرين - الذين كثر عددهم بيثرب ، بعد أن تلاحق إليها سائر من كان منيم بمكة فى أعقاب هجرة الرسول إياها - مع واحد من الأنصار إخاء جعل له الرسول حكم إخاء الدم والنسب . وبهذه المؤاخاة ازدادت وحدة المسلمين توكيدا » . (٦٠) .

وهكذا يعلن الإسلام الأخوة مبدأ وينادى بها فريضة ترتقى إلى درجة العقيدة وفى ذلك يقول الله تعالى فى كتابه (إنما المؤمنون أخوة) ويقول سبحانه وتعالى : (يا أيها

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ويعلم الرسول صلى الله عليه وسلم الأخوة بين البشر مع أركان العقيدة الإسلامية الصحيحة فكان يقول في دبر صلاته « اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا أشهد أنك الله وحدك لا شريك لك ، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا أشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة » .(٦١) وقال ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه »(٦٢) ولا يظلمه ، والذي نفسى بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

إن مبدأ الإخاء الذي مارسه الرسول الكريم ﷺ لم يؤاخ بين أحرار المسلمين فقط، بل « إنه عليه الصلاة والسلام شد عرا الأخوة بين الموالى والعبيد أيضا ، فقال ﷺ إخوانكم خولكم .(٦٣) جعلهم الله تحت أيديكم » وشدد كل التشديد على كل من يحاول تحقير أخيه المسلم ، فقال : « كل المسلم على المسلم حرام : ما له وعرضه ودمه ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم وقال ﷺ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » قال الله تعالى (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) الآية .(٦٤) وفي ذلك تأكيد من الله سبحانه وتعالى للأخوة الإسلامية الصادقة التي تمنع الغيبة بمعناها الذي حدده الرسول ﷺ بأنها « ذكرك أخاك بما يكره » قيل وإن كان في أخى ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته » .(٦٥) وزاد في التشديد والوعيد في هذا الأمر ، حتى قال عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل ليزنى فيتوب الله عليه . وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه » .

وفي سبيل تقوية الأخوة الإسلامية وتدعيمها « حرم الإسلام كل التحريم إثارة الحقد والبغضاء والصراع بين الناس وأوجب التدخل بكل طاقة ممكنة لوقف الخصومة وطرد شيطان العداوة وزرع الحب بدل البغض ، وإحلال الوثام بدل الخصام والسلام محل النزاع » (٦٦) ، يقول الله في كتابه الكريم : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ويقول سبحانه وتعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) ويقول : (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

ولذلك عدلت الخدمة الاجتماعية مسيرتها وعدلت أساليبها الفنية وعرفت مكانتها على الطريق السليم طريق الشريعة الإسلامية لأنه الطريق الوحيد المناسب للبناء والإنماء ، وفي سبيل هذا التعديل جعلت من المبادئ الإسلامية مبادئ لها ومن العلاج الإسلامى أسلوبا فنيا لممارستها بحيث تصبح الخدمة الاجتماعية الإسلامية قادرة على تحمل مسئولياتها في بناء المجتمعات وإنماء الشخصيات ، وهكذا تنجح في ممارسة أدوارها الإسلامية في بناء وإنماء المجتمع الإسلامى .

وكما مارس الأخصائى الاجتماعى المبادئ الإسلامية السابق ذكرها يمارس مبدأ الإخاء ويعتمد عليه فى بناء علاقة متينة قوية مع عملائه تساعد وتتمكنه من التأثير فيهم بحيث يصبح قادراً على تغييرهم ، وخصوصاً وأن العملاء الذين يلجأون إليه طالبين مساعدته ، أو الذين يتقدم هو لمساعدتهم حتى لو لم يطلبوا منه المساعدة ، مروا بخبرات سيئة مع الناس الذين تعاملوا معهم فلم يتذوقوا طعم الأخوة الإسلامية ولم يلمسوا قيمتها الإنسانية ولذلك أصبحوا مشحونين بشحنة كبيرة من المشاعر السلبية التى جعلتهم ينفرون من الناس وينظرون إليهم ك أعداء يكرهونهم لا كإخوان يحبونهم .

ولذلك يتقدم الأخصائى لمساعدتهم كإنسان يحبهم وأخ لهم فى الإسلام يتفانى فى سبيل مساعدتهم مضحياً بوقته وجهده لإسعادهم ، فيعاملهم المعاملة الطيبة التى لم يتعودوا عليها مع الآخرين ويحترم كرامتهم التى طغى عليها الآخرون ، ويقدر قيمتهم الإنسانية التى تحيي فيهم الشعور بالذات ، وتعيد إليهم الثقة فى الناس ، بعد أن وجدوا بجانبهم أخاً يشاركهم أفراحهم ، وأتراحهم ، ولا يبغى من وراء ذلك منفعة شخصية ولا ينتظر منهم جزاءً أو شكوراً ، لأنه يطبق المبادئ الإسلامية التى تجعله مثلاً طيباً وقدوة حسنة ، كما كان الرسول ﷺ مع أتباعه ممارساً لتلك المبادئ ومطبقاً لها ، ففقر بين القلوب المتنافرة ، ووحد بين النفوس المتحاربة وجعل منهم قوة متماسكة متعاونة تتكاتف للبناء وتتعاون للإنماء .

وعندما يمارس الأخصائى الاجتماعى مبدأ الإخاء ويثبت لعملائه قيمة الأخوة الإسلامية بالقول والفعل سيحترمه العملاء ويثقون فيه ويقعون تحت تأثيره وعندئذ تكون الفرصة المناسبة للتأثير عليهم وتغييرهم فيجعلهم قادرين على تعميم حبهم له وثقتهم فيه إلى بقية الناس الذين سيتعاملون معهم وعندها سينظرون إليهم نظرة جديدة ، ملؤها الحب والمودة الإخاء بحيث يصبح الجميع أخوة متحابين وأفراداً متعاونين فتقوى شبكة العلاقات فى نسيج المجتمع ، ويصبح كل فرد منهم متحمساً لتحمل مسئولياته وقادراً على أداء أدواره بنجاح وتوافق .

إن الأخوة الإسلامية كمبدأ إسلامى عظيم يستغله الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى ليشبع حاجة عملائه إلى التقدير من خلال تشجيعهم وتقديرهم أثناء تفاعلهم معه . وبعد مساعدتهم على النجاح فى تحمل المسئوليات التى يسندها إليهم مراعيّاً تدرجها ومناسبتها لقدراتهم وإمكانياتهم ، كما يستغل هذا المبدأ ليشبع حاجتهم إلى الانتماء عن طريق انتماهم للجماعات التى يكونها خصيصاً لذلك والتى يصمم لها الأنشطة المختلفة التى تساعد على تحقيق أهدافه . كما يستغل الأخصائى مبدأ الإخاء ليشبع من خلاله حاجة العملاء إلى الحب فكل منهم فى حاجة إلى أن يحب ويحب وذلك عن طريق حبه لهم وحبهم له بالإضافة إلى تبادل الحب بين أعضاء الجماعات المختلفة التى يكونها الأخصائى لإشباع تلك الحاجات .

المبدأ السادس : الحب

الحب هو الذى يبنى المجتمعات ، ويزرع الثقة ، ويدفع للعطاء ويجعل الناس يتعاطفون مع الآخرين ويحبونهم بعد أن يجعلهم يحسون بقيمتهم وقيمة الناس من حولهم، وإذا تحاب الناس وتآلفوا تكونت بينهم علاقة المحبة الأخوية ، علاقة الاحترام والحب والثقة ، تلك العلاقة التى يعتمد عليها العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية فى تغيير الناس والتأثير فيهم بهدف تعديل سلوكهم وإنماء شخصياتهم حتى يصبحوا أقوياء متضامنين وأخوة متحابين .

لذلك احتفى الإسلام بروابط الصداقة النقية ووشائج الحب الصادق ، وطالب بالحرص عليها لله وفى الله ، وجعله إحدى خصال ثلاث يدرك بها المسلم حلاوة الإيمان ولذلك ، قال ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » (٦٧) وهذا ثواب الله وأجره فى الآخرة للمتحابين » (٦٨) .

يقول الله تعالى فى الحديث القدسى : « المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى »

وقال ﷺ « إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ، قالوا يا رسول الله فخيرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، والله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٦٩) .

« ولذا يرى ابن تيمية أن من شروط الإيمان التحاب والتواد ، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، والمحبة والمودة التى بين المؤمنين إنما تكون تابعة لحبهم لله تعالى ، فإن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله . فالحب لله من كمال التوحيد ، والحب مع الله شرك ، قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله) ومن أحب الله أحبه الله ، ومن ود الله وده الله فعلم أن الله أحبهم وودهم بعد التوبة كما أحبوه وودوه . بل يدل كل من الكتاب والسنة على أن الله يحب التوابين ويفرح بتوبة التائبين » (٧٠) .

إن المجتمع المتحاب بروح الله الملتقى على شعائر الإسلام ، يعتمد فى بنائه على المحبة الصادقة والمودة المخلصة ، فهى أقوى الدعامات التى يرتفع عليها بنيانه ، وقد رأينا كيف كانت أواصر المحبة فى الله هى التى جمعت أبناء الإسلام أول مرة . وأقامت دولته ، ورفعت رايته ، وعليها اعتمد رسول الله فى تأسيس أمة قوية كانت خير أمة أخرجت للناس .

إن محبة المسلم الصادقة ومودته المخلصة لإخوانه فى الإسلام ما هى إلا دليل على محبة الله ومودته ، لأن الله إذا أحب عبداً من عباده جعله محبوباً من كل الناس ومحبا لهم .

« ومحبة الله هى الغاية القصوى وهى من الدرجات العلى وما عداها من الشوق والأنس والرضا تابع للمحبة ... قال الله تعالى : (والذين آمنوا أشد حبا لله) (٧١) وقال تعالى : (يحبهم ويحبونه) (٧٢) وفى الحديث الشريف « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من أهله وما له والناس أجمعين » .

وهذا هو الحب الذى أباحته الشريعة الإسلامية وأقرته كمبدأ مهم من المبادئ الإسلامية التى يعتمد عليها العلاج الإسلامى لمواجهة المشكلات الاجتماعية . حيث أن تلك المبادئ الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الحب هدفها البناء والنماء للأفراد والمجتمعات بما يحقق سعادة الدنيا والآخرة .

إن الشريعة الإسلامية عندما أقرت الحب كمبدأ إسلامى مهم إنما كانت تهدف إلى تدعيم العلاقات الإنسانية وتقوية أواصر المحبة والمودة بين كل الناس لينهض المجتمع الإسلامى ويرتفع بناؤه معتمداً فى ذلك على أسس متينة ودعامات قوية هى تلك المبادئ الإنسانية التى تهتم بالإنسان وقيمه . والتى جعلت هدفها الرئيسى إنماء وبناء شخصيته .

وحيث أن الخدمة الاجتماعية تسعى لتحقيق هذا الهدف فقد أمنت بتلك المبادئ الإسلامية واعترفت بقيمتها وأهميتها ، بل وجعلت تلك المبادئ مبادئ لها وصارت تمارسها وتطبقها ، وبذلك تنجح فى تحقيق أهدافها ، ولكى تنجح فى تحقيق أهدافها فقد جعلت أسلوبها فى العلاج أسلوباً استمدته من كتاب الله الكريم ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتجهت بكل إمكانياتها إلى ممارسة العلاج الإسلامى لحل المشكلات الاجتماعية التى تعوق إنماء وبناء الشخصية .

والخدمة الاجتماعية الإسلامية قد جندت كل إمكانياتها لتصبح قادرة ومؤثرة ، وأصبح لها باع طويل فى هذا التغيير حيث أن هدفها الأول هو تغيير الإنسان حتى يمكن بناؤه وإنماؤه ، ولن يتغير الإنسان إلا إذا كانت هناك وسيلة قوية فعالة مؤثرة تساعد على هذا التغيير، ووسيلة الخدمة الاجتماعية الإسلامية هى الحب .

وعندما مارس الرسول ﷺ مبدأ الحب لم يميز أحداً عن الآخر بل تساوا جميعاً أمامه ، فقيرهم كغنيهم ، ومريضهم كصحيحهم ، ورئيسهم كمرعوسهم لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى ، كما أخى بينهم جميعاً حتى صارت رابطة الأخوة فى الإسلام أقوى من أخوة الدم، وجعلهم جميعاً أحرار كرماء أعزاء ، وبذلك انتشر الحب

وملأ القلوب ، والتف الجميع حول الرسول المحبوب ، وتغير الناس من الجاهلية إلى الإسلام ، وخرجوا من الظلمات إلى النور ، وظهرت خير أمة أخرجت للناس ، لواؤهم الإسلام ، وشعارهم الحب والسلام ، وقدوتهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد كان يحب الجميع حباً خالصاً لله وفى الله وكانوا جميعاً يحبونه حباً خالصاً لله وفى الله حتى صارت رابطة الإيمان أقوى من رابطة النسب.

والخدمة الاجتماعية الإسلامية التى بدأت تمارس العلاج الإسلامى وتعتمد على تلك المبادئ الإسلامية فى ممارستها أخذت على عاتقها نشر هذا الحب والدعوة إليه اقتداء بالرسول ﷺ فقد كان الأخصائى الاجتماعى الأول الذى طبق هذه المبادئ واعتمد فى علاج المشكلات الاجتماعية جميعاً على مبدأ الحب حيث كان يعتبر هذا المبدأ دعامة قوية من دعائم العلاج الإسلامى .

والأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية ويطبق مبادئه الإسلامية يقتدى برسول الله ﷺ فيظهر مشاعر الحب الصادق والمودة الخالصة لعملائه الذين يحضرون إليه طالبين عونه ومساعدته ، فهو يقابلهم بالبشاشة والترحاب محترماً لهم ، محافظاً على كرامتهم مبدياً الرغبة الصادقة فى مساعدتهم وعندئذ يمتص مشاعرهم السلبية التى نتجت مما عانوه من ضغوط داخلية وخارجية وعندها يشعرون بالراحة والطمأنينة ويبدأون فى مبادلتهم مشاعر الحب والود وتنمو الثقة وتبدأ علاقة المحبة الأخوية فى الظهور ، ويحرص الأخصائى الاجتماعى على تقويتها وتدعيمها .

إن علاقة المحبة الأخوية التى نادى بها الإسلام ، هى التى يبينها الأخصائى الاجتماعى على المحبة والثقة والاحترام المتبادل ، لأنها ستكون وسيلته للتغيير ، وهى التى ستمده بالقدرة على التأثير .

وعندما تربط علاقة المحبة والمودة بين الأخصائى الاجتماعى والعميل سيثق فيه ويصبح واقعاً تحت تأثيره ، يطيعه إن أمر ويأخذ بمشورته ويقتنع بكلامه وعندئذ يصبح قابلاً للتغيير وعندها يبدأ الأخصائى الاجتماعى فى تغييره . إن كان سلبياً يعيد إليه إيجابيته ، وإن كان حزيناً يعيد إليه ابتسامته ، وإن كان يائساً يعيد إليه الأمل ، وإن كان خائفاً يعيد إليه الأمن وإن كان قلقاً متوتراً يعيد إليه الاستقرار والراحة النفسية .

المبدأ السابع : الإخلاص

« الإخلاص روح الدين ولباب العبادة وأساس أى داع إلى الله ... فإذا غاض هذا المعنى أو تضاعل لم يبق هناك ما يستحق الاحترام لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ... فى أعمال الحياة المعتادة قد يكون الإخلاص شرطاً لإتقانها وتجويدها وضمان ثمرتها . ولكن فى ميدان الدين لا يرتفع عمل أبداً ما لم تصحبه نية صالحة ، وما لم يقترن بإرادة وجه الله وحده ، والإخلاص فريضة على كل عابد ، وهو فى محرابه الخاص ، يتعامل مع ربه فحسب » (٧٣) .

« وقال سهل رحمه الله تعالى - الإخلاص هو أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى ، وقال إبراهيم بن أدهم الإخلاص هو صدق النية مع الله تعالى - وقال آخر الإخلاص فى العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضاً فى الدارين » (٧٤) .

ويقول الإمام الغزالي فى حقيقة الإخلاص « اعلم أن كل شئ يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفى عن شوبه وتخلص عنه سمي خالصاً ، ويسمى الفعل الصفى المخلص إخلاصاً (٧٥) قال الله تعالى : (بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين) (٧٦)

من هذه التعريفات يتضح لنا أن مبدأ الإخلاص يقصد به الإخلاص لله فى القول والإخلاص لله فى النية والإخلاص لله فى العمل .

والإخلاص فى القول والعمل هو من أسس الإيمان ، ومن مقتضيات الإسلام ، لا يقبل الله العمل إلا به ، جاء الأمر به جزماً وتأكيداً فى كتاب الله عز وجل ، وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام (٧٧) .

قال الله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (٧٨) .

وقال عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الشيخان - « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه - وفيما رواه أبو داود والنسائي : « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتغى به وجهه »

وبذلك تؤكد الشريعة الإسلامية على كل مسلم أن يحرر النية ويقصد بها وجه الله فى كل قول وفى كل عمل يقوم به ليكون عند الله من المقبولين وعند الناس من المحبوبين والمؤثرين ... وبذلك يصبح مبدأ الإخلاص من الدعائم الأساسية للعلاج الإسلامى الذى يهدف إلى إكتساب حب الناس والتأثير فيهم ليسهل تغييرهم وتعديل سلوكهم .

وممارسة العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية عندما تعتمد فى ممارستها على مبدأ الإخلاص فإنها تهدف إلى الإخلاص فى القول والعمل بنية خالصة لوجه الله حيث

أن الممارس الإسلامى لا ينتظر أجراً على عمله ولا ييغى جزاء أو شكورا وإنما يجد ويتعب ويضحى بجهده ووقته ابتغاء مرضاة الله وقاصدا وجهه عز وجل .

وروى عن الامام أحمد أنه قال أصول الإسلام ثلاثة أحاديث : حديث إنما الأعمال بالنيات ، وحديث عائشة من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد ، وحديث النعمان أن الحلال بين والحرام بين ، فإن الدين كله يرجع إلى فعل المأمورات وترك المحظورات والتوقف عن الشبهات وهذا كله تضمنه حديث النعمان ، وإنما يتم ذلك بأمرين أحدهما أن يكون العمل فى ظاهره على موافقة السنة وهو الذى تضمنه حديث عائشة ، والثانى أن يكون العمل فى باطنه يقصد به وجه الله وهو الذى تضمنه حديث عمر إنما الأعمال بالنيات ، فحديث عمر ميزان الأعمال الباطنة وحديث عائشة ميزان الأعمال الظاهرة ، وقال الفضيل فى قول الله (ليلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه وقال أن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا وصوابا قال والخالص إذا كان لله عز وجل والصواب إذا كان على السنة وقد دل على كلام الفضيل قوله تعالى : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ونخلص إلى أن العمل الصالح ما كان خالصا لله متابعا للرسول صلى الله عليه وسلم « (٧٩).

والطريقة التى يتحصل بها العبد على الإخلاص فى عمله ، هى كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة ، بحيث يغلب ذلك على القلب ، فعندها يتيسر الإخلاص . لأنه لا يرى أمامه إلا الله تعالى وما سواه فهو باطل ، فيخلص وتخلص أعماله ، فكم من أعمال يتعب فيها العبد ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا ، لأنه لا يرى طريق الآفة فيها .

فطريق الإخلاص شاق وصعب يحتاج إلى تنقية القلب ، وتطهير النفس ، ونقاء الضمير ، بحيث يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، والقليل من يتنبه لذلك وهو من وفقه الله تعالى ولذلك فإن تطبيق هذا المبدأ الإسلامى المهم يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها بحيث يصبح الإنسان شديد النقد والمراقبة لها ، وبذلك يصير من عباد الله المخلصين.

وهكذا نرى أن ممارسة مبدأ الإخلاص يؤدى إلى فضائل كثيرة منها : حسن العقيدة وحسن العمل وحسن النية وحسن الجزاء .

ولذلك اتخذت الخدمة الاجتماعية من العلاج الإسلامى منهجا لها ومن المبادئ الإسلامية مبادئ لها حيث أنها مبادئ إنسانية أوجدتها الشريعة الإسلامية لرفاهية المجتمعات وسعادة الإنسان إن المجتمعات الإسلامية اليوم أصبحت فى مسيس الحاجة

لتلك المبادئ بعد أن اضطربت المجتمعات وكثرت فيها المشكلات التي هددت سعادة الإنسان وأضعفت جوانب شخصيته سواء كانت نفسية أو عقلية أو جسمية أو اجتماعية حتى صار عاجزا عن التوافق في المجتمع بعد أن عجز عن أداء أدواره الاجتماعية .

ولهذا السبب ظهرت الخدمة الاجتماعية الإسلامية كنظام اجتماعي مستحدث يساعد النظم الأخرى ويساندها ، ويتساند تلك الأنظمة وظيفيا وتكاملها بنائيا يرتفع صرح المجتمع الإسلامي ويشتد بنيانه بعد أن انصهرت لبناته في بوتقة العلاج الإسلامي وتم إعادة تشكيلها عن طريق ممارسة المبادئ الإسلامية التي تنتج أمتن اللبنة وأقوى الشخصيات .

وفي سبيل هذا الهدف العظيم يمارس الأخصائي الاجتماعي الإسلامي مبدأ الإخلاص ويبدأ بتطبيقه على نفسه أو لا قبل أن يطبقه على الآخرين ، لأن فاقده الشيء لا يعطيه ، وعندما يبدأ بتطبيقه فإنه يروض نفسه على المجاهدة ، ويظهر قلبه بالإيمان ويخلص لله وحده في القول والنية والعمل وبذلك يكون مخلصا لله ، يعبد حقه العبادة ، فيلتزم بأوامره ويبتعد عن نواهيه ، فتسمو روحه وتصفو نفسه ويتسع قلبه لحب الناس ، فيحبهم ويحبونه ، ويحترمهم ويحترمونه ، ويثق بهم ويثقون به وتتكون العلاقة الأخوية الجياشة بالحب الصادق ، حب الإنسان المسلم لأخيه الإنسان ، ذلك الحب النقي المخلص الذي يبغى من وراءه وجه الله وحده ، وعندئذ يجب لمساعدته عندما يطلب المساعدة ويسارع لنجدته عندما تواجهه المشكلات ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه وهذا يكون الإخلاص لله والإخلاص لطاعته وعبادته .

وعندما يخلص الأخصائي الاجتماعي لربه ويحرص على مرضاته فسوف يخلص بالتالي لمجتمعه الإسلامي ، ويسعى جاهداً إلى إنمائه ، مضحيا بكل وقته وجهده في سبيل البناء والإنماء ، مستعينا بمبادئه الإسلامية لإنماء الشخصيات الإسلامية وتقويتها ، وبالعلاج الإسلامي في بناء المجتمعات وتغذية بنائها ، وعندما يعلو مجتمع المحبة الإسلامية ، وتتوثق رابطة العلاقة الأخوية ستنتج الخدمة الاجتماعية في تحقيق أهدافها .

وبعد أن يطبق الأخصائي الاجتماعي مبدأ الإخلاص على نفسه ينتقل إلى ممارسته وتطبيقه على عملائه بحيث يعلمهم الإخلاص عن طريق التقمص والامتصاص بعد أن يصبح القدوة الصالحة والمثال الطيب ، فيقتدون به ويتقمصون صفاته ، لأنه مخلص القول والنية والعمل ، والتعليم عن طريق الامتصاص والتقمص أكبر تأثيرا من أي أسلوب آخر .

إن العميل عندما يأتى للأخصائى الاجتماعى طالبا العون والمساعدة لا يأتى إليه إلا بعد أن تعقدت مشاكله وازدادت الضغوط المحيطة به داخليا وخارجيا وأصبح عاجزاً عن مواجهتها ، وكيف يواجهها وقد اضطربت شخصيته وتعطل تفكيره وساعت نفسيته ، إنه فى هذه الحالة يحتاج فعلا لمساعدة صادقة مخلصه تفتح أمامه طريق الأمل بعد أن ارتطم بجدران اليأس ، والأخصائى الاجتماعى المسلم هو القادر على تقديم تلك المساعدة المخلصة التى يسعد بأدائها دون أن ينتظر من ورائها جزاء أو شكورا ، لأنه يبغى وجه الله وحده ولا يبغى سواه فلا عجب إذن أن ضحى بكل وقته وجهده فى سبيل إسعاد الآخرين ؛ بل يؤثرهم على نفسه التى لا يتأخر فى التضحية بها هى الأخرى فى سبيل اكتساب رضا الله والفوز بمحبته .

المبدأ الثامن : العدل

« ... لقد اختلف أهل العلم فى تفسير العدل ، ف قيل : العدل لا إله إلا الله وقيل العدل الفرض ، وقيل العدل استواء العلانية والسريرة، وقيل العدل الإنصاف ، والأولى تفسير العدل بالمعنى اللغوى وهو التوسط بين طرفى الإفراط والتفريط ، فمعنى أمره سبحانه بالعدل أن يكون عباده فى الدين على حالة متوسطة ، ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم فى الدين ، ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشئ مما هو بالدين » (٨٠) .

« أما المفكرون فينظرون إلى العدل - باعتباره فضيلة يؤدى بها كل ذى حق حقه دون أن يظلم أو يظلم - نظرات مختلفة باختلاف مشاربهم ، وضروب ثقافتهم ، وصبغة بيئاتهم ، وألوان تربيتهم وطرائق سلوكهم فى الحياة فمن غلب عليه جانب من جوانب الحياة ، وصبغت بيئته بلون ذلك الجانب رأى أن العدل هو تحقيق المساواة فى هذا الجانب ، فالذى يسود بيئته ومجتمعه الذى يحيا بين أفراد الحياة المادية ، يرى أن هذه المادية هى مجال العدل الذى يصبح فى نظر هؤلاء الماديين عملية حسابية تقوم على أساسها النظم الاقتصادية التى تعطيك لتأخذ منك ، وتأخذ منك لتعطيك ، دون نظر إلى قيم أخرى وراء ذلك .

والذى يسود بيئته ومجتمعه جانب الفكر والروح يرى أن العدل فى هذا الجانب مقامه ومثواه ، فلا ينبغى أن تتغلب فكرة على فكرة ، ولا مذهب على مذهب ، بأمر خارج عن حقيقته ، ويجب أن تتاح لكل فكرة أو مذهب فرصة البيان الحر عن ذات نفسه حتى تعرف صلاحيته إن كان صالحاً للبقاء ، أو ينكشف زيفه فيذهب مع الزاهبين » (٨١) .

والذى تسيطر عليه سياسة الأمم وقيادة الشعوب يرى أن العدل فضيلة الولاة والحكام والقادة من أصحاب السلطان وحماة القانون ، لا يشاركهم فيها أحد غيرهم لأنهم رعاة الناس وقادتهم الذين يسوسونهم بسلطان القانون ، يردون الحق إلى أهله ويأخذون من القوى إلى الضعيف ، ومن القادر للعاجز ، فلا تظلم نفس شيئاً فى دائرة سلطانهم .

والذى تشغله الحياة الاجتماعية يرى أن العدل يقوم على تحديد علاقات عناصر المجتمع تحديداً يرفع التمييز بين الأفراد والجماعات ويحقق المساواة بينهم فى كل شأن من شئون المجتمع وهكذا . وهكذا حتى حبس كل فريق فضيلة العدل فى مجاله الخاص لا يراها إلا هناك » (٨٢) .

أما الإسلام فقد نظر إلى العدل نظرة عامة شاملة كان لها أكبر الأثر فى توجيهه التشريع العام الذى ينظم كافة العلاقات والمعاملات الإنسانية ، ولم تقف نظرة الإسلام

للعادل عند حياة الناس ، ولكنها اشتملت الكون كله ، انظر قول الله سبحانه وتعالى :
(وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) (٨٣) .

وقد نص القرآن على تكليف المؤمنين بأن يكونوا قائمين بالعدل بين الناس مع
صرف النظر عن جميع الاعتبارات التي تحد من سلطانه ، قال الله تعالى : (يا أيها
الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن
غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان
بما تعملون خبيراً) (٨٤) .

وقد كثرت في القرآن آيات الحث على العدل حتى جاء فيه (٨٥) : (ولا يجرمكم
شأن قوم علي ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) (٨٦)
وقال تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن
تحكموا بالعدل . إن الله نعماً يعظكم به ، إن الله كان سمياً بصيراً) (٨٧) .

وبالعدل والنظام قامت السماوات والأرض ، ومبدأ القرآن فيما يتعلق بالنظام
الاجتماعي دائر على محور إقامة العدل ، وحسن تدبير الشئون في سياسة الخلق .
«ومن هنا جعل الله العدل واسطة حبات العقد ، الذي كون به لرسوله منهج الدعوة
الإصلاحية ، التي حملها إياه ، إنقاذاً للبشرية من ظلمات الجهل والبغى والعدوان
(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت
لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا
وإليه المصير) (٨٨) .

وضع الله العدل هكذا ، وجعل إقراره بين الناس هو الهدف من بعث الرسل وإنزال
الشرائع والأحكام (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (٨٩) ولقد نرى في ذكر الحديد هنا ،
إحياء قويا واضحا ، إلى أن إقرار العدل فيما بين الناس ، واجب إلهي محتتم ، للقائمين
به أن يستعينوا عليه باستعمال القوة .

لقد جاء الإسلام بفكرة العدل وحقق وجودها كمبدأ تأسيسى منظم للفضيلة الخلقية
بمعنى العدالة المعروف منذ الأزل ، والمحقق لاتزان الكون وانسجامه بأوضح ما يكون
عليه الأتزان وبأدق ما يتم فيه الإنسجام (٩٠) قال سبحانه وتعالى : (فادع واستقم
كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) (٩١)
وقال تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) (٩٢) ، وتوسعا في إظهار معنى فكرة العدالة هذه
بأوضح الصور عمد الإسلام إلى قرن معنى العدل بالحث على عمل الخير المتضمن لكل

ما أمر الله به . والنهي عن الشر المتضمن لكل ما نهى الله عنه بالإضافة إلى المعاني السابقة التي تضمنها مبدأ العدل .

إن مبدأ العدل كما جاءت به الشريعة الإسلامية يأمر المسلمين جميعاً بالعدل المطلق حتى على النفس أو الوالدين أو الأقربين » وهم مطالبون بهذا العدل المطلق في العلاقات الفردية ، والعلاقات الدولية علي السواء ، وهم مطالبون به قضائياً وقانونياً وسياسياً واجتماعياً ، بغير تفرقة بين الأفراد أو الفئات أو الطبقات أو الأديان ، أو الأجناس أو الألوان أو اللغات ، أو الأغنياء أو الفقراء أو الأصدقاء أو الأعداء ، إنه العدل المطلق» (٩٣) .

ومن هنا كان العدل أصلاً من أعظم أصول التشريع في الإسلام ، بل هو أصل الأصول في الإسلام فإينما تحقق العدل كان التشريع الإسلامي معه » فالعدل في الإسلام هو الميزان الذي تعتمد عليه السياسة التشريعية في هذا الدين القيم ، تلك السياسة التي تقصد إلى تحقيق ما يصلح الحياة ويرقيها وينمي الشعور بحب الخير والحق في قلوب الأفراد والجماعات ، ويجعل من الأمة وحدة متعاونة على البر والتقوى ، متكافلة في مصالحها » (٩٤) .

هذا هو العدل كما جاء في القرآن ، أما في السنة الشريفة فقد مارسه الرسول ﷺ أحسن ما تكون الممارسة ، وبدأ بتطبيقه على نفسه وأهل بيته قبل أن يطبقه على أصحابه وأتباعه ، وقصة المرأة المخزومية خير دليل على عدله » عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب الرسول ﷺ فكلمه أسامة . فقال رسول الله ﷺ أتشفع في حد من حدود الله تعالى . ثم قام فقال : إنما أهلك الذين من قبلكم . أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . (متفق عليه) وفي رواية : « فتلون وجه رسول الله ، فقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟ فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله . قال : ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها » (٩٥) .

أما مع أهله وقومه فقد طبق عليهم مبدأ العدل عندما نزل عليه قول الله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٩٦) ناداهم بطنا بعد بطن ، فقال : يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً - يا بني عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئاً - يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً . يا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً . يا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً (٩٧) .

أن الرسول ﷺ مارس العدل وعلمه لأصحابه وأهل بيته كما مارسه وعلمه لأتباعه من المسلمين حتى يمارسوه بدورهم في جميع معاملاتهم .

قال النعمان بن بشير : أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت ربيعة ، لا أرضى حتى تشهد رسول الله ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت ربيعة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله ، فقال الرسول : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال النعمان : لا ، قال الرسول : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، فرجع أبي فرد عطيته (٩٨)

ولم يكتف الرسول ﷺ بتطبيق هذا المبدأ الإسلامي العظيم مع أهله وأصحابه ، وأتباعه من المسلمين فحسب بل تعداه إلى ممارسته مع أعدائه من اليهود . فقد وجد من خيار أصحابه قتيلا بين اليهود - هو عبد الله بن سهل الأنصاري - فلم يجر على اليهود في تقدير الدية ، ولم يزد على الحق والعدل ، بل طلب دية مائة ناقة ، كما كان العرب يفعلون ، في الوقت الذي كان أصحابه في حاجة إلى بغير واحد يتقون به (٩٩) .

ولقد استقى النبي العدل من التربية الإلهية والأخلاق القرآنية التي أعدته ليحمل مشعل الإنارة لظلمات الدنيا ، وصار مبدأ العدل من المبادئ الإسلامية التي صارت راسخة القواعد ، ثابتة الأصول تخدم الذات البشرية وترأف بها أنى كان وضعها بل حتي ولو كانت من غير أهل الإيمان .

وإذا كانت الأخلاق القرآنية والتربية الإلهية أعطت لمبدأ العدل كل هذا الاهتمام أليس هذا دليلا كافيا على قيمته الإنسانية ؟ إن المبادئ الإسلامية كلها بصفة عامة ومبدأ العدل بصفة خاصة تهدف إلى بناء الشخصية الإسلامية وإنمائها ، وبنموها ينمو المجتمع ويرتفع بناؤه .

والخدمة الاجتماعية الإسلامية تسعى لتحقيق نفس الهدف ولذلك جعلت من تلك المبادئ مبادئ لها ومن العلاج الإسلامي منهاجها لها - ولذلك تعد جيلا من الأخصائيين الاجتماعيين المؤمنين لممارسة العلاج الإسلامي للمشكلات الاجتماعية ، حتي يمارسوا الخدمة الاجتماعية الإسلامية عن اقتناع كامل وعقيدة قوية راسخة لأنها مهنة شاقة تحتاج إلى صبر ومثابرة . لأن الممارس لهذه المهنة السامية يعرف جيدا أنه لابد أن يكون مثالا صالحا وقدوة طيبة .

إن الأخصائي الاجتماعي الذي يمارس العلاج الإسلامي يبدأ بممارسة المبادئ الإسلامية وتطبيقها على نفسه أولا ثم بعد ذلك يطبقها على عملائه حتي يشعروا بأن هذه المبادئ ليست شعارات ترفع وليست كلاما يقال ولكنها أسلوب يمارس بحيث يصبح التأثير قويا والإقتناع كاملا وعندها يسهل التعديل ويتم التغيير وتنجح الأهداف المأمولة للعلاج الإسلامي .

وعندما يمارس مبدأ العدل بين العملاء جميعاً ويتقبلهم كما خلقهم الله لا كما يجب أن يكونوا بحيث لا يكون هناك تفرقة من أى نوع ، فكل العملاء متساوون فى إنسانيتهم التى يقدرها الأخصائى الاجتماعى كل التقدير لأن القيمة الإنسانية هى أثنى شئ فى الوجود وما وجد مبدأ العدل إلا للحفاظ عليها . ولذلك نرى الأخصائى الاجتماعى يحترم العملاء ويحافظ على كرامتهم عن طريق المعاملة العادلة ، فهو لا يتسرع فى أحكامه ولا يدين عملاؤه ، وإنما يدرس بدقة ويتأنى فى الدراسة حتى تأتى أحكامه عادلة .

وممارسة مبدأ العدل تتطلب فعل الخير والمسارة بتقديمه لمن يستحق سواء طلب من الأخصائى الاجتماعى أو تقدم به دون أن يطلب منه ما دام فى صالح الفرد وصالح المجتمع ، وعندما يمارس الأخصائى فعل الخير فإنه لا يبغى من ورائه سوى وجه الله سبحانه وتعالى ولا ينتظر غير ذلك جزاء ، ولذلك يقدمه لكل الناس دون تمييز لأحد على الآخر بعد أن استبعد كل ميوله الشخصية وأهوائه الذاتية وأصبح عادلاً منصفاً .

ولكى يكون الأخصائى الاجتماعى عادلاً منصفاً فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحاول تغييره عملاً يقول الرسول ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره ... الحديث » وهذا ما يجعل الأخصائى الاجتماعى - عندما يتقبل الناس كما خلقهم الله ويساوى بينهم - يرفض السلوك الخاطئ ويظهر رفضه واضحاً للعملاء ، وبعدها يبحث عن نوافعه وأسبابه تمهيداً لعلاجها .

وعندما يمارس الأخصائى مبدأ العدل فإنه يساعد العملاء على أن يظفر كل ذى حق بحقه ، ويؤدى كل إنسان واجباته بأمانة وعدل ، فلا يجوع إنسان ويتخم آخر ، ولا يترف فرد فى الأمة ويعيش غيره من إخوانه فى الإنسانية على الكفاف والشظف ، ولا يعان كسول على كسله ، ولا يهضم عامل من عمله . ويغبن كادح فى أجره ، ولا يحابى قريب لقربته ، أو صديق لصداقته ، بل يجب أن يتساوى الناس فى إتاحة الفرص للعمل ثم يجزى كل عامل على عمله وجهده ، وما يقدم للحياة من منفعة تعود عليه وعلى المجتمع .

كما يجب على الأخصائى الاجتماعى ألا يتحيز لفكرة على أخرى حتى لو كانت فكرته ، كما لا يتحيز لديانة على أخرى حتى لو كانت ضد ديانته ، ولا يتحيز لجنس على حساب الجنس الآخر . بل يجب عليه أن يكون منصفاً أمناً صادقاً ، يزن كل شئ بميزان العدل الذى لا يخطئ .

كما يجب أن يكون مؤمناً صادقاً بدون إفراط أو تفريط ، فلا يكون متشدداً متزمناً (فلا رهبانية فى الإسلام) ولا يكون متساهلاً ليناً بما يضعف إشراقه الروح ، بحيث

يكون لا صلباً فيكسر ولا ليناً فيعصر ، لأن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة إنسانية تتطلب تحقيق العدل بين جسمه وروحه ، فميزان العدل يبغي شخصية متزنة متكاملة .

كما يجب على الأخصائي الاجتماعي وهو يمارس مبدأ العدل أن يسعى إلى تدعيم العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الأفراد والجماعات برباط المحبة الأخوية فيسود التعاون والعدل والمساواة ، فلا يشعر فرد بأنه مغبون في نيل حقوقه لعقيدة ، أو لون ، أو مذهب ، أو فكرة ، ولا تشعر جماعة في الأمة بالظلم يقع عليها من أجل دين أو فكرة أو مذهب ، ولا يسمح لفرد أو جماعة أن يقصر في أداء واجباته نحو المجتمع الذي ينتمي إليه ، فالعدل أخذ وعطاء ويسر وعناء ، وإذا ساد العدل في أي مجتمع فستصبح تربته صالحة للنماء وستنمو فيه الحرية والإخاء والمساواة ، وعندها يصبح العدل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

المبدأ التاسع : مكارم الأخلاق

إذا حسنت الأخلاق ، وظهرت الأنواق ؛ وصلحت الأنفس ، وتعودت علي المبادئ الإسلامية الحقّة ، وصارت لها مبدأ وعقيدة تمارس بالقول والعمل ؛ كان أصحابها قدوة لمن يسمع قولهم ويطيع أمرهم .

وقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق ؛ فتلا قوله تعالى : (خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلین) (١٠٠) . ثم قال ﷺ « هو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » .

كما عرفه الحسن قائلًا : « حسن الخلق : بسط الوجه ، وبذل الندي ، وكشف الأذى » وقال علي رضي الله عنه : « حسن الخلق في ثلاث خصال : اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال » وقال الواسطي : « هو إرضاء الخلق في السراء والضراء .

لقد بلغ من أهمية هذا المبدأ الإسلامي العظيم أن الرسول ﷺ كان يقول في دعائه : « اللهم كما حسنت خلقي ، اللهم جنبني منكرات الأخلاق ، اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت » (١٠١) هذا هو دعاء الرسول ﷺ الذي اصطفاه ربه وكرمه ، وتعهد به في طفولته وشبابه إلى أن اختاره ليكون مبشرا ونذيرا ، فرباه أشرف تربية وأدبه أحسن تأقيبه . وقال فيه تعالى : (وإنك لعلي خلق عظيم) « وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم وقال إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » .. وفي حديث أبي ذر الذي رواه الترمذي وصححه ، « وخالق الناس بخلق حسن » وعن ابن عمر مرفوعا سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أفضل قال : أحسنهم خلقاً ورواه ابن ماجه ، قال الحسن البصري : حقيقة حسن الخلق ، بذل المعروف ، وكف الأذى واحتماله ، وطلاقة الوجه ، رواه الترمذي » (١٠٢)

« وللرسول ﷺ في هذا أحاديث كثيرة ، منها قوله :

« إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكنافاً ، الذين يآلفون ويؤلفون ، وقوله : « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم بالليل الظامي بالهواجر » وقوله : « من سعادة المرء حسن الخلق وقوله : أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق » وقوله : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعواهم ببسط الوجه وحسن الخلق » (١٠٣) .

وكما اهتمت الشريعة الإسلامية كل هذا الاهتمام بمبدأ مكارم الأخلاق فقد نهت عن سوء الخلق ونفردت منه ، وكما كان الرسول ﷺ شغوفا بمكارم الأخلاق فقد فهم من

بعض أحاديثه أن سوء الخلق يمحق الحسنات ، ويبطل الطاعات ، فقد قيل له : أن فلانة تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وهى سيئة الخلق ، تؤذى جيرانها بلسانها ، فقال لا خير فيها ، هى من أهل النار وقال : « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وقال إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم (١٠٤) .

ومن حسن الخلق أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وتكرم ضيفك ، وتكرم جارك ، وتقول خيراً أو تصمت ، وتصبر على الأذى ، قال ﷺ ، أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً . إن الشريعة الإسلامية نصت على الأخلاق الكريمة كحَبْداً من أهم المبادئ الإسلامية وأعطته كل هذا الاهتمام لأنها تدرك جيداً أن الأخلاق الكريمة عليها مدار الأمور كلها ، فإى أمر فى الحياة لا يصاحبه حسن الخلق سوف لا يكون مقبولاً ولا نافعا .. وإى عمل جاء مع الخلق الكريم كان موصلاً للغاية محققاً لأهدافه مقبولاً عند تطبيقه وتنفيذه .. وإى أمة توافر لها حسن الخلق فى أفرادها كانت أمة متماسكة مترتبة تسودها المحبة والوثام .. متفرغة للبناء والنماء والرخاء .

والخدمة الاجتماعية الإسلامية تهدف من وراء تطبيق المبادئ الإسلامية إلى تحقيق أهداف العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية عن طريق تقوية الشخصية وإنمائها وعندئذ يصبح الإنسان قادراً على أداء أدواره الاجتماعية وقادراً على التوافق فى المجتمع .

ومكارم الأخلاق من أهم المبادئ التى تساعد على تحقيق هذه الأهداف فعندما يقابل الأخصائى الاجتماعى العميل الذى يحضر إليه طالباً العون والمساعدة - بالبشاشة والترحاب فإنه يدخل السرور على نفسه ويشعره بالراحة والطمأنينة لأن الوجه البشوش المبتسم يساعد على ذلك ، وكذلك المقابلة التى تتصف بالترحاب والاهتمام تشعر العميل بصدق مشاعر المودة والمحبة التى هو فى مسيس الحاجة إليها بعد أن صارت المشكلة التى يعانى منها تسبب له الكثير من المشاعر السلبية والتى يحرص الأخصائى الاجتماعى كل الحرص على تخليصه منها وإمتصاصها .

ومن مكارم الأخلاق الصبر واحتمال الأذى ، ومهنة الخدمة الاجتماعية مهنة شاقة ومتعبة لمن يخلص لها ويمارسها بأمانة وصدق لانه سيبدل فيها كل جهده ويضحى فيها بكل وقته ويرهق فيها جسماً وصحياً ونفسياً فى بعض الأحيان ، لأنه سيقابل العديد من العملاء مختلفى الطباع والبيئات ، فمنهم من يعامله بجفاء ومنهم من يتناول عليه بسب أو أذى والأخصائى الاجتماعى محتمل لكل ذلك وصابر عليه لأنه يعرف دوافع سلوك العميل ويقدر ظروفه الصعبة ويقدر ما يعانى من ضغوط داخلية وضغوط خارجية قد يحتملها أحياناً وقد لا يحتملها أحياناً كثيرة وعندها تفلت أعصابه فتجعله يعامل الأخصائى بمثل هذه المعاملة السيئة.

والأخصائي الاجتماعي - الذي يمارس العلاج الإسلامي ويطبق مبادئه - من دم ولحم كبقية البشر ، وينفعل ويثور وقد يعاني من بعض الضغوط هو الآخر ولكن مبادئه الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الأخلاق الكريمة تتطلب منه الحلم والصبر وتحمل الأذى ولذلك نجده يتحكم في مشاعره ولا يقابل ثورة العملاء بثورته ولا يقابل ضيقهم وتذمرهم بضيقه وتذمره . بل نراه على العكس من ذلك بشوش الوجه هاشا في كلامه حلما في تصرفاته وعندئذ ينجح في امتصاص مشاعرهم السلبية ويخلصهم من ضيقهم وتوتراتهم فيشعرون بالراحة ويحسون الأمن والطمأنينة .

ولو لم يلتمس الأخصائي الاجتماعي لعملائه العذر ، ولو لم يقدر مشاعرهم لوجدناه يتحامل عليهم ويقسو عليهم في المعاملة وهذا يتنافى مع مبدأ مكارم الأخلاق الذي يتطلب منه اللين في المعاملة وكف الأذى عن الناس بصفة عامة وعن عملائه بصفة خاصة ، وذلك اقتداء برسول الله ﷺ الذي قال له ربه سبحانه وتعالى : (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

ولذلك عندما يمارس الأخصائي مبدأ مكارم الأخلاق تجده حريصاً على أن يكون لبقاً في كلامه ولينا في تعامله صادقاً في كل ما يقول ويفعل ، لا يعطى لأحد وعداً إلا إذا كان قادراً على تنفيذه ، ولا يتكلم كثيراً فخير الكلام ما قل ودل ، وخصوصاً وأن طبيعة عمله تتطلب منه أن يسمع أكثر مما يتكلم ، حتى يستطيع دراسة الموقف بعمق ووعي وبعداً ينجح في تشخيصه وعلاجه . وليس معنى قلة كلام الأخصائي الاجتماعي التقالبي والتكبر على عملائه ، بل المقصود من ذلك عدم الثرثرة وعدم التدخل فيما لا يعنيه ، لأن مكارم الأخلاق تتطلب منه العمل الكثير بدلاً من كثرة الكلام ، ولذلك نراه يتفانى في عمله ويضحى في سبيله بكل مرتخص وغال، وبالإضافة إلى أنه يعمل بما يعرف ، فهو يعمل بممارسة المبادئ الإسلامية ويعمل بممارسة أساليب العلاج الإسلامي الذاتية والبيئية ، فثمرة العلم هي العمل ، ولا فائدة من علم لا يستفاد منه ولا يعمل به .

وعندما يمارس الأخصائي الاجتماعي مبدأ مكارم الأخلاق فإنه يحب كل الناس ويتفانى في خدمتهم ويحب لهم ما يحبه لنفسه حبا لله وفي الله لا يبغى من ورائه جزاء أو شكورا ، وعندئذ ينجح في تكوين علاقة المحبة الأخوية التي يعتمد عليها العلاج الإسلامي في تغيير الأفراد وتعديل سلوكهم - وبخاصة مع العلماء الذين حرموا من الحب ولم يتنوقوا طعم المودة والحنان نتيجة الخبرات السيئة التي مروا بها مع من تعاملوا معهم في مراحل العمر المختلفة مما ترتب عليه الكثير من مشاعر الكراهية والعداء للناس والمجتمع .

المبدأ العاشر : التقوى

قال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ..) وقال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ..) وقال تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ..) وقال : (إن الله يحب المتقين) .

إن الله يأمرنا - في هذه الآيات - بتحصيل التقوى لأنها الصورة العملية الراشدة للعقيدة ، يدين بها الإنسان .

والتقوى كمبدأ إسلامي مهم ، حركة دافعة ناتجة على الفساد والظلم ، تفتح أمام الإنسان باب الترقى وتصعد به إلى مجالات الكمال ، وتغزو به مواطن العزة والسيادة . إنها ليست حركة ضعيفة باهتة ، ترضى بالضعف والذل والتواكل والخنوع ، هي مد زاحف ومواكبة لجادة لمعالي الأمور وعظائم الشئون ، لأن التقوى سلاح عزة ، وطريق فلاح ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله » وقال وهب بن منبه الإيمان عريان ولباسه التقوى ، وقال لقمان لابنه يا بني اتخذ تقوى الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة ، التقوى امتثال الأوامر واجتناب المناهي ، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة ، وقد قرن الله التقوى مع الصلاة في مواضع من كتابه ، وتكون التقوى في الظاهر والباطن ، ففي الظاهر تقوى العين غضبها عن الحرام وحفظها عما لا تؤمن عاقبته ، وتقوى اللسان حفظه عن فضول الكلام ، والمتقى ينظر في الكلام قبل النطق به ويترك ما لا فائدة فيه (١٠٥) .

والتقوى في الأصل - ومثلها الاتقاء - هي اتخاذ الوقاية وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره ، ومنه قوله تعالى : (فواقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً) . ولأن التقوى فيها معنى الوقاية قال الإمام على رضى الله عنه : « كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ » أى جعلناه وقاية لنا من العدو على الشدة ، وكذلك جاء في الحديث : « من عصى الله لم تقه من الله واقية » ، والتقوى في الشرع : جعل النفس في وقاية من عذاب الله تعالى وغضبه باتباع أوامره ولزوم طاعته وتجنب معصيته ، والأصل في التقوى أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يخشاه من ربه تقية ، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المحرمات .

« وليس الإيمان مجرد تصديق بوحداية الله وملائكته وكتبه ورسله والبعث فقط ، وإنما هو فوق ذلك التزام بأوامر الله ، وانتهاء عن حرمان الله ، وخوف من حدود الله وحرص على صون حرمان الناس وحمايتهم من الاعتداء عليها ، وليعلم الناس أن في اتقاء المحارم سعادة ما بعدها سعادة وقرب من الله إلى أبعد الحدود فمن اتقى المحارم كان أعبد الناس » (١٠٦) .

وموجبات التقوي ستة عشر (١٠٧)

الهدى ، لقوله تعالى : (هدى للمتقين)

والنصرة ، لقوله تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا) .

والولاية ، لقوله تعالى : (والله ولي المتقين) .

والمحبة ، لقوله تعالى : (إن الله يحب المتقين) .

ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات ، لقوله تعالى : (إن اتقوا الله يجعل لكم فرقانا
ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) .

والمخرج من الغم وجلب الرزق ، لقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب) .

وتيسير الأمور ، لقوله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)

وغفران الذنوب وإعظام الأجور ، لقوله تعالى : (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم
له أجرا) .

وقبول الأعمال ، لقوله تعالى : (إنما يتقبل الله من المتقين) .

والفلاح ، لقوله تعالى : (واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

والبشري ، لقوله تعالى : (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي
الآخرة) .

ودخول الجنة ، لقوله تعالى . (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) .

والنجاة من النار ، لقوله تعالى : (ثم ننجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا)
والفوز بحدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وكأسا دهاقا ، لقوله تعالى : (إن للمتقين
مفازا) ونفى السوء والحزن ، لقوله تعالى : (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون) .

ودرجات التقوى خمسة : أن يتقى العبد الكفر وذلك مقام الإسلام .

وأن يتقى المعاصي والحرمان وهو مقام التوبة .

وأن يتقى الشبهات وهو مقام الورع .

وأن يتقى المباحات وهو مقام الزهد .

وأن يتقى حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة .

كذلك فإن هذا المبدأ الإسلامى العظيم يحتاج إلى الصبر ، لأن المسلم التقى يحتاج
إلى جرعات وجرعات من الصبر الحازم ، والعزم الصارم ، حتى يتخطى العقبات
الكداء ، ويعبر جسور المشقات ، ليحظى بعد ذلك بالراحة الكبرى ، راحة الأنس بالله

والاحتماء به ، والحياة فى كنفه ، ولن تتم تلك الراحة الكبرى إلا على جسر من التعب وجرة كبيرة من الصبر .

وإذا نظرنا إلى أهداف الخدمة الاجتماعية لرأينا نفس المبادئ ونفس الأهداف ولذلك صححت مسيرتها وعدلت من أساليبها الفنية وعادت إلى أصولها لتظهر من جديد كخدمة اجتماعية إسلامية تمارس العلاج الإسلامى كما جاء فى القرآن وكما وضحته السنة النبوية الشريفة وكما ذكره السلف الصالح معتمدة فى تحقيق أهدافها العلاجية على تلك المجموعة السامية العظيمة من المبادئ الإسلامية التى صارت مبادئها ، تعتمد عليه كركيزة قوية راسخة تساعد على النجاح فى ممارسة العلاج الإسلامى لمواجهة المشكلات الاجتماعية .

ولذلك فإن الأخصائى الاجتماعى الإسلامى عندما يجعل من التقوى مبدأ أساسيا من مبادئه ويبدأ فى ممارسته فإنه يتطلع بأنظاره إلى الرسول الكريم ﷺ كأسوة عظيمة وقدوة صالحة يسير على منوالها ، فقد كان الرسول ﷺ أول من مارس العلاج الإسلامى وأول من طبق مبادئه وبذلك مهد الطريق ووضع عليه الأضواء الكاشفة ليسير فى نورها ويهتدى بها كل من يريد أن يعالج المشكلات الاجتماعية بشتى صورها وبجميع أنواعها ، فالعلاج الإسلامى كما تعلمناه من الرسول ﷺ كفى بمواجهة كل هذه المشكلات وقدير على علاجها .

والأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى عندما يطبق مبدأ التقوى فإنه يحرص على التزام بأوامر الله ويعمل على مرضاته فى كل سلوكه وتصرفاته وينتهى عن محرماته ويتعدى عن كل ما يغضبه ، ويظهر قلبه بالإيمان حتى يعرف الله بصفاته ، ويراقبه فى كل حال ويخاف منه ويرجوه ، ويرغب فيما عنده ، ويرهب مما لديه ، ويعتمد عليه فى كل الأمور .

وعندما يمارس العلاج الإسلامى ويطبق مبادئه مع عملائه الذين يأتون إليه طالبين عونه ومساعدته يحرص على صون حرمتهم وخصوصاً وأنه بحكم عمله سيطلع على الكثير من أسرارهم وسيعرف المكنون من صفاتهم وسماتهم الشخصية وسيأتمنوه على أنفسهم وبيوتهم ، ولذلك يلزمه مبدأ التقوى بالأمانة الكاملة حتى يثقوا به ويطمئنوا إليه ، ومن التقوى أيضاً أن يكون صادقا معهم كل الصدق ، فلا يقول الإصداق ، ولا يعد إلا بما هو قادر على تنفيذه ، وكما يمارس تقوى اللسان يمارس أيضاً تقوى العين فيغض بصره عن الحرام ويحفظه عما لا تؤمن عاقبته ، ولا يسعى إلى أى عمل إلا إذا تأكد من أنه يرضى الله كما يحب عملاءه حبا خالصا لله وفى الله ، وعندما يحبهم سيخلص فى مساعدتهم وسيضحى بكل جهده ووقته فى سبيل علاج مشكلاتهم وإسعادهم ، ولن يستطيع الأخصائى الاجتماعى الوصول إلى هذه الدرجة العظيمة من الإخلاص إلا إذا قوى إيمانه ، وازداد يقينه ؛ ورسخت خشيته من الله ، واشتدت مراقبته له .

ومن يطبق مبدأ التقوى لا بد أن يكون حليماً ، فيقبل الناس بعيوبهم ولا يضيق بهم مهما كان سلوكهم ، فيقدر مشاعرهم ويتعاطف معهم ، وعندما يعفو عن أخطائهم وهو قادر على الانتقام بما فى يده من سلطة ويصبر على مضايقاتهم ، ويتسامح عما يصدر منهم ، سيشعرون بمدى حبه الخالص ، ومدى حرصه على مساعدتهم وسعيه إلى إسعادهم ، عندها سيقتنعون به مثلاً طيباً يحتذى به ، وقدوة صالحة يتأثرون بها، فيطيعون أوامره وينفذون مشورته ويتبعون إرشاداته وتوجيهاته ويصبح قادراً على تغييرهم.

كما أن مبدأ التقوى يتطلب من الأخصائى الاجتماعى أن يكون صابراً ومزوداً بجرعة كبيرة من الصبر ، لأن مسئولية العلاج الإسلامى مسئولية كبيرة وممارسته عملية شاقة ومتعبة لأنها تهدف إلى تغيير الإنسان هو ليس بالأمر الهين اليسير ، ولن يستطيع الأخصائى الاجتماعى ممارسة الصبر وتحمل مشقته إلا إذا اتقى الله حق اتقائه وعمل بقول الرسول ﷺ : « من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله » وبتقوى الله يكمل إيمانه ويقينه ويثبت عملياً خوفه من الله ومراقبته ، ويصدق فعلاً فى حب الله وترك كل شئ من أجله حتى لا يراه حيث نهاه .

وصدق الله سبحانه وتعالى فى قوله : (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) .

المراجع

- (١) سيد قطب العدالة الاجتماعية فى الإسلام .
- (٢) سورة آل عمران : (١٥٩) .
- (٣) شيخ الإسلام ابن تيمية : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية .
- (٤) سورة الشورى . (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .
- (٥) الإمام الشوكانى - نيل الأوطار . مرجع ما سبق ذكره ص ٣٢٠ .
- (٦) أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى . سراج الملوك ص ١٢٢ .
- (٧) محمد الغزالى . خلق المسلم ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ ص ٣٦٤ .
- (٨) سورة الزمر : ٩ .
- (٩) سورة المجادلة : ١١ .
- (١٠) سورة طه : ١١٤ .
- (١١) سورة العنكبوت : ٤٣ .
- (١٢) سورة الأعراف : ٥٢ .
- (١٣) سورة العنكبوت : ٤٩ .
- (١٤) سورة الرحمن : ٣ .
- (١٥) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول ص ٩ .
- (١٦) سورة الأنبياء : ٧ .
- (١٧) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول : ص ١١ - ١٢ .
- (١٨) محمد عطية الإبراشى : التربية الإسلامية وفلاسفتها . مكتبة عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٥٠ .
- (١٩) محمد الغزالى ، خلق المسلم ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢٦٩ .
- (٢٠) الحافظ أبى بكر البغدادى . اقتضاء العلم والعمل . نقلا عن كنوز السنة رسائل أربع تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٩٦ .
- (٢١) سورة الحجرات : ١٣ .
- (٢٢) سورة الإسراء : ٧٠ .
- (٢٣) محمد البهى : الدين والدولة ؛ مرجع سابق ذكره ص ٢٧٣ .

- (٢٤) عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامى . مرجع سابق ذكره ص ٢٦ .
- (٢٥) البخارى .
- (٢٦) أبو داود والترمذى .
- (٢٧) متفق عليه .
- (٢٨) محمد فتحى عثمان : أصول الفكر السياسى الإسلامى ص ٢٦٧ .
- (٢٩) البخارى .
- (٣٠) محمد الغزالى : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص ١٩ .
- (٣١) البخارى .
- (٣٢) البخارى .
- (٣٣) أبو داود .
- (٣٤) سورة البقرة : ١٦٤ .
- (٣٥) سورة سبأ : ٤٦ .
- (٣٦) سورة الروم : ٨ .
- (٣٧) سورة يونس : ١٠١ .
- (٣٨) سورة الطارق : ٦ .
- (٣٩) سورة الغاشية : ١٧ .
- (٤٠) عائشة عبد الرحمن : مقال فى الإنسان ، دراسة قرآنية : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ، ٩٣ .
- (٤١) محمد فتحى عثمان ، من أصول الفكر السياسى الإسلامى - مرجع سابق ص ٢٣٣ .
- (٤٢) عائشة عبد الرحمن : مقال فى الإنسان . دراسة قرآنية ، مرجع سابق . ص ٧٧ .
- (٤٣) محمد الغزالى ، حقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .
- (٤٤) سورة الكهف : ٢٩ .
- (٤٥) سورة البقرة : ٢٥٦ .
- (٤٦) سورة يونس : ٩٩ .
- (٤٧) سورة الغاشية : ٨ .
- (٤٨) سورة النور : ٥٤ .
- (٤٩) سورة آل عمران : ١٠٤ .

- (٥٠) عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامى . مرجع سابق ص ٣٢ .
- (٥١) سورة النحل : ١٢٥ .
- (٥٢) سورة العنكبوت : ٤٦ .
- (٥٣) محمد الغزالى : حقوق الإنسان . مرجع سابق ص ١٠٦ .
- (٥٤) سورة البقرة : ٢٨٦ .
- (٥٥) سورة النجم : ٢٩ - ٤١ .
- (٥٦) عائشة عبد الرحمن : مقال فى الإنسان . مرجع سابق . ص ١٠٨ - ١١٠ .
- (٥٧) سورة يس : ٨٢ .
- (٥٨) سورة النحل : ٤٠ .
- (٥٩) محمود على قراعة : الأخلاق فى الإسلام ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ٦٣ ، ص ١٣٩ .
- (٦٠) محمد حسين هيكل : حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق ص ٢٢٣ .
- (٦١) رواه أحمد من حديث زيد بن أرقم .
- (٦٢) يسلمه : يتركه للحوادث من غير مساعدة .
- (٦٣) خولكم : حشمكم وخدمكم .
- (٦٤) محمد المثل الكامل : نفس المرجع ، ص ٣١٥ .
- (٦٥) بهته : نسبت إليه مالم يفعل .
- (٦٦) يوسف القرضاوى : الحل الإسلامى لفريضة وضرورة . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٦ .
- (٦٧) البخارى .
- (٦٨) كمال محمد عيسى : العقيدة الإسلامية : سفينة النجاة . دار الشروق ، بيروت ، ٨٠ ، ص ٤٩٨ .
- (٦٩) أبو داود .
- (٧٠) فتاوى ابن تيمية ، الجزء الثانى ص ٢٩٠ .
- (٧١) سورة البقرة : ١٦٥ .
- (٧٢) سورة المائدة : ٥٤ .
- (٧٣) مع الله : مرجع سابق ذكره ص ١١٣ .
- (٧٤) طب القلوب : مرجع سابق ذكره ص ١٨١ .

- (٧٥) مختصر إحياء علوم الدين : مرجع سابق ذكره ، ص ٢٦٩ .
- (٧٦) سورة النحل : ٦٦ .
- (٧٧) عبد الله علوان : تربية الأولاد في الإسلام دار السلام للطباعة والنشر بالقاهر ١٩٧٩ الجزء الثاني ص ٧٨١ .
- (٧٨) سورة البينة : ٥ .
- (٧٩) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة : مرجع سابق ذكره ، ص ٣١٩ .
- (٨٠) الشوكاني : فتح القدير ، الجزء الثالث ، مطبعة الحلبي بنصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ ص ١٨٨ .
- (٨١) محمد الصادق عرجون : الموسوعة في سماحة الإسلام ، المجلد الأول ، مؤسس سجل العرب - القاهرة ص ٢٦٥ .
- (٨٢) الموسوعة في سماحة الإسلام : نفس المرجع السابق ص ٢٦٦ .
- (٨٣) سورة الحجر : ٨٥ .
- (٨٤) سورة النساء : ١٣٥ .
- (٨٥) محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم ، الأجزاء العشرة الأولى ، دار الشريعة الطبعة السابعة ، ١٩٧٤ ، ٢٠٦ .
- (٨٦) سورة المائدة : ٨ .
- (٨٧) سورة النساء : ٥٨ .
- (٨٨) سورة الشورى : ١٥ .
- (٨٩) سورة الحديد : ٢٥ .
- (٩٠) مؤيد الكيلاني : كيف أنتشر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ص ٦٥ .
- (٩١) سورة النحل : ٩٠ .
- (٩٢) سورة الشورى : ١٤ ، ١٥ .
- (٩٣) الإسلام وحقوق الإنسان : مرجع سابق ذكره ص ٦١٧ .
- (٩٤) الموسوعة في سماحة الإسلام : مرجع سابق ذكره . ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .
- (٩٥) رياض الصالحين (باب تحريم الشفاعة في الحدود) ص ٧١ ، ٥٧٢ .
- (٩٦) سورة الشعراء : ٢١٤ .
- (٩٧) عبد الله الشرقاوي : فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدي لصحيح البخارى - مطبعة مصطفى الحلبي ، ١٣٣٩ هـ - ح ٢ ص ٢٥٠ .

- (٩٨) فتح المبدى . مرجع سابق ذكره ص ٣٢٩ .
- (٩٩) إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ ج ٢ .
- (١٠٠) سورة الأعراف : ١٩٩ .
- (١٠١) شرح الرزقاني على المواهب المدنية : الجزء الرابع ص ٢٤٤ .
- (١٠٢) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة ، مرجع سابق ذكره ص ٢٥٩ .
- (١٠٣) الشيخ علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندى : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بجيد آباد ، ١٣١٢ هـ ، ج ٢ ص ٣ .
- (١٠٤) إحياء علوم الدين ، الجزء الثالث ، ص ٤٣ .
- (١٠٥) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢٦٠ .
- (١٠٦) دراسات فى السنة النبوية الشريفة ، مرجع سابق ذكره ، ص ٣١١ .
- (١٠٧) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

الرعاية الاجتماعية فى الإسلام

د. مصطفى أحمد محمد حسن

مقدمة :

تعتبر الرعاية الاجتماعية بمثابة تلك النشاطات التى تقوم بها الدولة أو منظمات غير حكومية لتأدية خدمات لمواطنين يحتاجون إليها ، وتتميز الرعاية الاجتماعية الحكومية بالذات بأنها تؤدى فى ظل سياسة قوميه وخطة عامة بغرض توفير خدمات أساسيه للمواطنين كافة كالتزام من جانب الدول إزاء مواطنيها (١) .

ويمكن القول أن الرعاية الاجتماعية إحدى النظم الاجتماعية التى نشأت مع المجتمع الإنسانى وتطورت بتطوره ، وهى تؤدى وظائف لاغنى عنها لحياة الناس فى المجتمع شأنها فى ذلك شأن النظم الاجتماعية الأخرى ، وهى فى نفس الوقت ترتبط مع سائر النظم بشبكة من العلاقات التى تشكل معالم البناء الاجتماعى (٢) .

ومنذ ظهور الحضارات على وجه الأرض ظهرت أشكال من الرعاية الاجتماعية ارتبطت بنوعية هذه الحضارة وأسلوب الحياة فيها ، كما ازداد تطور الرعاية الاجتماعية بظهور الأديان السماوية ويعزى جلبت وسبكت نشوء الرعاية الاجتماعية تاريخيا إلى أن الأنظمة الاجتماعية وبصفه أساسية الاسرة والدين كانت تقوم بإمداد العون كوظيفه ثانويه لها (٣) .

ولما كان الدين الاسلامى خاتم الأديان فى خط التطور الذى جاءت به الديانات السماوية لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس لذلك قام على تأكيد قواعد العدالة والتعاون والاخاء والمساواة بين الناس ومصدرا لتهديب السلوك وتقويم الأخلاق وتحقيق خيرية المعادلة ، وإقامة قواعد الحق والعدل فى محيط الجماعة ومقاومة الفساد والفوضى والربط بين قلوب أفراد المجتمع الواحد برباط المحبة والتراحم والبر والتعاون والاحترام المتبادل ، وإلى هذا المعنى يشير الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول (المؤمن ألف مآلف ولاخير فمن لا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس) .

لذلك كان التعامل الإنسانى فى الإسلام يقوم على الأخوة والحب الأكيد والاحترام المتبادل دون النظر إلى فوارق اللون أو الجنس أو اللغة أو الحدود الجغرافية .

ولقد أقام الإسلام المجتمع الإسلامى على مجموعه من المقومات جعلت الرعاية الاجتماعية تطبيقا فعليا لكل معطيات الدين الإسلامى ، ويمكن أن نشير باختصار إلى هذه المقومات حتى يتبين لنا الارتباط بين الرعاية الاجتماعية والدين الإسلامى وأثر ذلك على المجتمع الإسلامى .

(١) الأخلاق والقيم العليا:

وهى فى الإسلام تنبثق عن العقيدة فلا تمليها المصلحه ولا تسيرها المنفعه فالإسلام دعا إلى الصدق والبر والعدل وأداء الواجب والحلم والحياء ورعاية الحوار وصدق

اللسان وكظم الغيظ وعمل المعروف وضيافته الفقراء واغاثة الملهوف وعيادة المريض والتصدق على المحتاجين .. الخ .

ومن النصوص الجامعة للقواعد الأخلاقية قول الله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال علي حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (آية ١٧٧ - البقرة) . وقول الله تعالى ﴿ لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف وإصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ (آية ١١٤ النساء) .

(٢) الأنظمة التي تنظم علاقات الأفراد :

وتشمل الأنظمة التجارية والاقتصادية والمعاملات وأنظمة الأسرة والقضاء والوصايا والميراث والنفقات وأنظمة الحكم والسياسة وغيرها .

(٣) تنفيذ هذه الأنظمة ومباشرة تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي :

قال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (آية ٦٥ النساء) .

(٤) العبادات والأعراف السلبية التي لاتتناقض مع العقيدة والتعاليم الإسلامية :

أبعاد الرعاية الاجتماعية في الإسلام

أولا : تتبع هذه الرعاية من تعاليم الدين الإسلامي والتي تقوم على القرآن والسنة وبالتالي فهي تقوم على مجموعة من التشريعات نذكر منها ^(٤)

١ - تشريع المساعدة وهو يشمل المدين والغارم واليتامى والقاتل الخطأ والمنقطع في بلد غير بلده يسمى ابن السبيل .

٢ - تشريع الجوار قال تعالى : ﴿ اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيما نكم ﴾ (آية ٢٦ النساء) .

٣ - تشريع الماعون ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾ (آية ٤ - ٧ الماعون) .

٤ - تشريع المشاركة وذلك عندما تحين المواسم الزراعية قال تعالى : ﴿ كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ﴾ (آية ١٤١ الانعام) .

٥ - تشريع الضيافة : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » قالوا ما جائزته يارسول الله قال يومه وليلته والضيافته ثلاثه أيام فيما كان وراء ذلك فهو صدقه . وفى رواية لمسلم « لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولاشيئ له يقربه به » رواه البخارى ومسلم .

٦ - تشريع الإعفاف : « وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم » (ايه ٣٢ النور) .

٧ - تشريعات الإسعاف فى حالات الجوع والعطش والمنهكه .

« أى رجل مات ضياعا بين أغنياء فقد برئت منهم ذمه الله ورسوله » .

٨ - تشريعات الطوارئ « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » (آية ٤١ التوبه) كما قال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام «من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » رواه مسلم .

٩ - تشريعات الإعانات العائليه كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد . فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا أتاه فى قسمه يومه فأعطى الأهل حظين وأعطى الأعزب حظا واحدا ، وكان عمرو رضى الله عنه يفرض لكل مولود عطاء يزداد إلى عطاء ابيه (مائة درهم) يزداد كلما نما الولد .

ثانيا : التشريعات المالية اللازمه لتنفيذ الرعاية الاجتماعية :

١ - تشريع الزكاه : وهى تؤخذ بنسبه محدوده من النقدين (الذهب والفضة) وعروض التجارة والزرع والثمار وكل ما يستتبت من الارض ، وتصرف لفئات معينة على انها فريضة من الله تؤخذ منهم ويحاربون عليها إذا امتنعوا عن أدائها (٥) قال تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّهم بها » (التوبة ١٠٣) .

والأصل أن الدولة هى التى تجبى الزكاة وتوصلها إلى المستحقين ولايجوز صرفها لغير أهل الاستحقاق وللدولة ان تنظم جبايتها وتوزيعها بما يكفل إيصالها إلى الفقراء وسائر المستحقين ، الزكاة ضمان اجتماعى عام للفقراء (٦) .

فعلى مستوى الدولة يمثل الضمان الاجتماعى الزكاة ، التى هى الركن الثالث فى الإسلام وتقرن دائما بالصلاة وتقرن دائما بالصلاة وهى تصرف لكل فرد يعيش فى المجتمع الإسلامى أيا كانت ديانتة وأيا كانت جنسيته حد الكفاية لا حد الكفاف بحيث إذا لم تسعفه ظروفه الخاصة كمرض او شيخوخه أو تعطل عن العمل من تحقيق هذا

المستوى اللائق للمعيشة والذي يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان تكفلت بذلك الدولة عن طريق مؤسسة الزكاة .

إن هذه الزكاة لم تكن مجرد منونة وقتية لسد حاجة عاجلة للفقير وتخفيف شئ من بؤسه ، ثم تركه بعد ذلك لأنياب الفقر والفاقة ، بل كان هدفها القضاء على الفقر ، وإعفاء الفقراء إعفاء دائما يستأصل شأفة العوز من حياتهم ، ويقدرهم على أن ينهضوا وحدهم بعبء المعيشة وذلك لأنها فريضة دورية دائمة الموارد ومهمتها أن تيسر للفقير قواما من عيش لا لقيمات أو دريهمات (٨) .

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير العاجز بل إعطاء فرصة العلم للقادر عليه ، فكثيرا ما أعطى الفقير ما يمكن أن تسميه برأس مال ليبدأ تجارة فينميها أو يشتري آلات لصناعة يعرفها (٩) .

وهنا يجب الإشارة أن الزكاة فرضت كأساس ضرورى لمعالجة خطر التمزق كأقل ما يجب أن يوجد فى صندوق الدولة للرعاية الاجتماعية الأولية وبذلك لم يغط بالزكاة كل صنوف الرعاية وكل ضروب الحاجة فى سبيل تقوية الأمة معنويا وماديا ، ووكل إلى الإحسان بعدها أن يتكفل بما زاد عن هذا القدر الضرورى فى سبيل المحافظة على كيان المجتمع وبقائه عزيز الجانب (١٠) .

وليست الزكاة إحسانا فرديا ، وقد بدأ ذلك واضحا فى مصارفها وفى التكليف بها فلم تعتبر إحسانا شخصا عند جمهور الفقهاء بل اعتبروها حقا ماليا كيفما كانت حال مالكة من الأهلية للتصرفات .

لذلك تعتبر الزكاة من الموارد المستمرة والدائمة لدعم الرعاية الاجتماعية طالما فى المجتمع أفرادا يعملون وينتجون ويتبقى فى حوزتهم حد النصاب .

٢ - تشريع الوقف : يقوم هذا التشريع تنفيذا لقول الرسول الكريم ، فى حديث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

لذلك أصبحت فى المجتمعات الإسلامية العديد من المؤسسات وقدمت الكثير من أشكال الرعاية الاجتماعية التى أوقفت عليها الأوقاف التى كانت تدر عليها الموارد المالية بصفة مستمرة ، لذلك ازدهرت الأوقاف الإسلامية فى كل مجتمع إسلامى حيث أوقفت هذه المؤسسات للقيام بالخدمات الصحية والتعليمية وسد حاجة العاجزين عن الكسب ومن يقصر دخلهم عن العمل عن حاجاتهم الواقعية، وتعريض الذين ضحوا فى سبيل المصلحة العامة والدفاع عن الأمة (١١) .

٣ - تشريع النفقة : حيث يقول الله تعالى ﴿ لينفق ذو سعة ﴾ (آية ٧ الطلاق) والنفقة فرض على المسلم القادر لصالح المحتاجين من ذوى قرباه لتوفير الاحتياجات الضرورية لهم .

٤ - تشريع الوصية : حيث يقول الله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا علي المتقين ﴾ (آية ١٨٠ البقرة).

٥ - تشريع الغنائم : حيث يقول الله تعالى : ﴿ واعلموا إنما غنمتم من شئ فإن لله خمسهُ وللرسول ولذی القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل ﴾ (آية ٤١ الأنفال) .

٦ - تشريع الركاز : والركاز هو كل ماعثر عليه فى باطن الأرض جامداً كان أم مائعا كالبتروىل .. الخ . وفى الركاز الخمس .

٧ - تشريع النذور : حيث يقول الله تعالى ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ ایه ٢٩ الحج .

٨ - تشريع الكفارات عن الذنوب والإيمان والظاهر ومخالفات الحج والصوم : قال تعالى ﴿ انا اعطيناك الكوثر ، فصلی لربك وانحر ﴾ آية (٢) الكوثر .

٩ - تشريع الأضاحي : حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « يا أيها الناس على أهل كل بيت فى كل عام أضحية » .

١٠ - تشريع صدقة الفطر : حيث فرض الرسول عليه الصلاة والسلام زكاة الفطر فى رمضان على كل مسلم .

١١ - تشريعات الخزانة العامة بالنسبة لمواردها العامة المتعددة فى الزكاة وخمس غنائم وركائز خراج الأرض وتركة من الإدارات له .

١٢ - تشريع الكفاية : إن الله فرض على أغنياء المسلمين من أموالهم بقدر الذى يسع فقراهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يضع أغنياءهم ، إلا وأن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما ...

ثالثا : مؤسسات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام :

من الخصائص التى تتميز بها الرعاية الاجتماعية فى الإسلام أنها تقوم فى كثير من أوجه نشاطاتها على الجهود التطوعية للأفراد وكذلك على تنفيذ الكثير من هذه الأنشطة من خلال الجمعيات والمؤسسات الأهلية والحكومية التى تجعل غايتها وهدفها مساعدة الناس وتخفيف الويلات والمصائب عنهم واغاثتهم وإزالة سرجهم أو تعليمهم وثقيفهم أو إنشاء المستشفيات أو المستوصفات الطبية لهم أو توفير أسباب الراحة واللهو البرى والرياضة أو تحقيق غايات الخير والبر والرحمة بالضعفاء أو الشيوخ أو الأراامل والمطلقات أو رعاية السجناء وهذه الجمعيات والمؤسسات تعتبر من أهم ما يعمل

على تعاون المجتمع وتضامنه وتكامله (١٢) حيث يقول الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ (الآية ٢٥ المائدة) .

لذلك زخرت المدن الإسلامية بالعديد من المؤسسات ذات الصفة الاجتماعية البحتة - كالحمامات والأسبلة والبيمارستانان - ومنها ما كان ذا صفة تجارية أو دينية ولكنه احتوى نشاطا اجتماعيا ملحوظا وأدى رسالة ذات صيغة اجتماعية واضحة كالفنادق والوكالات والجوامع والمدارس ومكاتب الايتام وغيرها ويبرز الطابع الاجتماعي لهذا النوع الأخير في إنه استهدف التقرب إلى الله تعالى بفعل الخير سواء بالعناية باليتيم والضعيف أو بالمسافر والتاجر أو بطالب العلم والمريض .. إلخ ولعل الظاهره الواضحة في التاريخ الإسلامى هي إن هذه المؤسسات الاجتماعية استطاعت البقاء والاستمرار طويلا دون أن تتوقف عن أداء رسالتها عقب وفاة مؤسسيها ذلك أنه من الملاحظ في كثير من حلقات التاريخ وعديد من بلاد العالم توقف المؤسسات الخيرية عن أداء رسالتها بعد فترة من الزمن بسبب وفاة مؤسسيها ونصب مواردنا وعدم توفر الامكانيات المادية التى تمكنها من الاستمرار في أداء الرسالة ، أما فى ظل الحضارة الإسلامية فإنه قبل ان تصادفنا هذه الظاهرة وذلك بفضل نظام الأوقاف الذى ازدهر مع ازدهار هذه الحضارة .

ذلك ان مؤسسى المنشأة - حاكما كان أو ثريا من الخيرين - كما يوقف على منشأته غالبا وقف يدر عليها مورداً ثابتاً يضمن لها البقاء ويكفل لها أداء رسالتها دون حاجة إلى طلب المعونة بين حين وآخر بما يحققه من خلال دخل ثابت منتظم تستعين به المؤسسة (١٢) . على قيامها بدورها بطريقة منظمة ومستمرة .

مما يدل على إن الرعاية الاجتماعية فى الإسلام تمتعت برعاية مؤسسية خلال التاريخ الإسلامى وكانت هذه المؤسسات تؤدي دورها بطريقة مستمرة ومنتظمة .

رابعا : نوعية المستفيدين من الرعاية الاجتماعية فى الإسلام :

تتصف الرعاية الاجتماعية فى الإسلام بأنها رعاية شاملة فهي لا تقتصر على رعاية الإنسان بل يمتد إلى رعاية الحيوان بل تمتد إلى النبات .

حيث نرى إن الإنسان فى كافة حالاته تقدم له الرعاية فى حاله قوته وحاله ضعفه ، فى حاله طفولته وشيخوخته ، وفى حاله فتوته وشبابه سواء كان ذكرا أو انثى ، طفلاً أو رجلاً مهما كان جنسه أو نوعه أو دينه أو لونه مع مراعاة وقوف الرعاية الاجتماعية بشكل واضح مع الفئات الأكثر احتياجا مثل الفقراء والمساكين والمرضى والمكفوفين والمقعدين والشيخوخ والمشردين واللقطاء واليتامى والأسرى .

كذلك يدخل فئه المستفيدين من الرعاية الاجتماعية فى الإسلام المدين والقاتل خطأ وابن السبيل والجار القريب والضيف علاوة على الأفراد الذين يتعرضون للكوارث والنكبات .

وهناك العديد من الحالات التى سوف نذكرها بالتفصيل عند الحديث عن مجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام .

علاوه على ذلك شملت الرعاية الاجتماعية فى الإسلام رعاية الحيوان وطلب الرفق به والتوصية بحسن معاملته ، حيث دعت الأحاديث الشريفة الى ذلك وتم تطبيق هذه الرعاية ، فهذا عمر بن الخطاب يداوى إبل الصدقة ولما قال له رجل من القوم يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك قال عمر وأى عبد هو أعبد منى « إنه من ولى أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيدته فى التضمنية وأداء الأمانة » (١٤) .

وقد أوقفت لرعاية الحيوان الأوقاف مثل توفير المياه لينتفع الدواب المارين والمترددون على الأسبله من الاستفادة منه وغيرها من الأوقاف التى أوقفت على الحيوانات .

ومن ذلك نرى أن الرعاية الاجتماعية فى الإسلام هى رعايه شامله لكل الاحياء خاصه الانسان فى كل حالاته والحيوانات والنبات ..

خامسا : دور الجهود الأهليه والحكومية فى تقديم الرعاية الاجتماعية :

تقوم الرعاية الاجتماعية فى الإسلام من خلال الجهود الأهليه وكذلك الجهود الحكومية حيث نرى أن فى القرآن الكريم والسنة المطهرة يدعو الله الناس إلى المسارعة فى الخيرات والأصل فى ذلك قول الله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله اليوم الآخر والملائكة والنبيين وأتى المال علي حبه ذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ﴾ (١٧٧ البقرة) .

كما تقوم الدولة بتقديم الرعاية الاجتماعية من خلال جمع الأموال المفروضة على المسلمين ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم ﴾ (آية ١٠٤ التوبة) .

والدولة هى التى تتولى جمع الزكاة وإنفاقها على مستحقيها علاوة على إقامة المؤسسات الاجتماعية لرعاية بعض أفرادها الذين لا يستطيعون العمل أو أعوزتهم الظروف القاسية إلى رعايه المجتمع لهم مثل رعاية الصغار واليتامى واللقطاء والمطلقات والمشردين والعجزة وغيرهم ممن سوف يتضح فى مجالات الرعاية الاجتماعية .

سادسا : التطوع والرعاية الاجتماعية فى الإسلام :

يعتبر التطوع للمشاركة فى أوجه مجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام بين الخصائص المعيزة لهذه الرعاية حيث يحض الإسلام على التطوع حيث يقول الله تعالى

﴿ فمن تطوع خيرا فهو خير له ﴾ (آية البقرة ١٨٤) . كما يقول سبحانه وتعالى ﴿ ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾ (آية البقرة ١٥٨) . كما يقول سبحانه وتعالى أيضا ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (آية ١٠٤ آل عمران) .

فالتطوعية بمعنى فعل الخيرات والدخول فى أنشطة إيجابية من جهة ثم الاحجام عن فعل الشرور والأعمال السلبية من جهة أخرى أمر كامل الوضوح فى صميم الإسلام « (١٥) .

وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ كتم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ (آية ١١٠ آل عمران) .

ولقد ربط الإسلام التطوع بالإيمان ويقدر مساهمة الانسان وعطائه وبذله ودرجة إيمانه عن أبى هريره رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » متفق عليه .

ولا يستصغر الإسلام العمل التطوعى مهما كان ويدعو إلى بذل الجهد الطواعى مهما كان تقدير الإنسان له ففى ذلك يقول رسول الله ﷺ « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » رواه مسلم .

واعتبر الإسلام أن كل عمل تطوعى يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى صدقه يأخذ عنها المسلم أجرا فى الآخرة وفى ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « كل معروف صدقة » رواه البخارى وعن أبى نر جندب بن جنادة رضى الله عنه قال « قلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال أنفسها عن أهلها وأكثر ثمنا قلت فإن لم أفعل قال تعين صانعا أو — ، قلت يا رسول الله أرأيت أن صنعت عن بعض العمل ؟ قال كف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك » متفق عليه .

ومن الواجبات اليومية التى لايجوز للمسلم أن ينساها او يهملها واجبه نحو خدمة المجتمع ومساعدة أفرادها على قضاء حوائجهم وتسهيل أمورهم ليكون له بذلك صدقة (١٦) .

روى الشيخان عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « على كل مسلم صدقة ، قالوا يا رسول الله فإن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا فإن لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فإن لم يفعل قال فليأمر بالمعروف قالوا فإن لم يفعل قال فيمسك عن الشر فإنه صدقة » متفق عليه .

هذا التطوع للعمل الاجتماعي يعتبر صدقة أو ضريبة اجتماعية مفروضة على كل مسلم في كل يوم بل صبح الحديث أنها واجبة على كل مفصل من مفاصله أو منسم من مناسمه مع اشراقه كل شمس وبهذا يصبح المسلم ينبوعاً يفيض الخير والسلام لمن حوله ومحوله .

فالإنسان المسلم لابد وأن يتطوع وأن يساهم في رعاية مجتمعه وأن يؤدي لمجتمعه الضريبة الاجتماعية المفروضة عليه ، وهي لاتسقط عن أي فرد في المجتمع الإسلامي سواء كان فقيراً أو غنياً ، فالغنى يبذل من ماله في سبيل الخير والفقير يبذل من وقته ليحث الأغنياء على فعل الخير ويأمر بالمعروف ماوسعه الجهد ويعمل إن استطاع في كل لحظة للإصلاح بين الناس . وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ (آية ١١٤ النساء) .

لذلك تقوم الرعاية الاجتماعية في الإسلام بدورها معتمدة على الجهود التطوعية في جزء كبير منها سواء كانتا هذه الجهود فردية أم جماعية ، مالية أم من خلال المشاركة بالجهد والعمل ولا يقتصر التطوع على مجال بعينه بل قد يكون فردياً صغير العائد أو جماعياً من خلال المشاركة في مجال من التنمية والرعاية الاجتماعية والتي قد تشمل الإنسان والحيوان من خلال فعل الخيرات لكل المخلوقات .

سابعا : الحسبة والرعاية الاجتماعية في الإسلام :

الحسبة واحدة من النظم الإسلامية الأساسية التي وضعتها الشريعة الإسلامية وانفردت بتطبيقها الأمة الإسلامية (١٧) .

ولقد لعبت الحسبة دوراً كبيراً في حياة المجتمع الإسلامي عبر العصور فقد وفر هذا النظام الحياة السليمة القويمة للمجتمع الإسلامي فبالى جانب نظم الرعاية الاجتماعية التي عاش في ظلها المسلم فقد وجد الفرد نظاماً آخر يرفع عنه الظلم ويحميه من الغش والتدليس من الناحية الاقتصادية ، كذلك نظاماً يرفع نوى النفوس المتردية وتوجيهها توجيهاً سليماً لها نحو جادة الصواب بدلاً من التخبط في دروب الكسب المحرم (١٨)

ولقد عرفت الحسبة بتعريفات متعددة ، فلقد عرفها الماوردي بأنها « أمر بالمعروف إذا ظهرت تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين الناس » (١٩) .

كما عرفها الامام ابن تيميه ، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من اختصاص الولاة والقضاة والديوان ونحوهم (٢٠) كما عرفها ابن خلدون بقوله « أما

الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين » (٢١) .

ومن المؤكد أن الحسبة تعدت أصولها المثالية وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى واجبات عرضيه يتفق والمصالح العامة للمسلمين .

وتحت هذه الوظيفة ينمو المجتمع الإسلامى ، وتطورت نظمه الاقتصادية وأوضاعه الاجتماعية واتسعت رقعته حتى أصبحت من أهم دعائم النظام الاقتصادى والاجتماعى فى الدول الإسلامية كما شهد بذلك المؤرخون (٢٢) نشأة الحسبة .

تضاربت أقوال المؤرخين فى نشأة الحسبة فالبعض يقول ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان أول محتسب إذ نهى عن الغش حين قال « من غشنا فليس منا » ، وورد فى صحيح مسلم « أن الرسول عليه الصلاة والسلام مر على صبرة طعام فأوصل يده بها فسالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام ، فقال أصابته السماء يارسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ، من غشنا فليس منا » .

وتلى ذلك قيام عمر بن الخطاب فى وضع نظام الحسبة بنفسه حيث كان يطوف الشوارع والأسواق ودرته معه فإن رأى غشاشا خفقه بها مهما كان شأنه (٢٣) .

ويرى المؤرخون المحدثون والمستشرقون أن لفظ المحتسب لم يظهر فى الخلافة الإسلامية إلا فى العصر العباسى وفى عهد الخليفة المهدي بالذات (٢٤) .

ومن استعراضنا لمفهوم الحسبة وتاريخها نرى أنها قامت منذ ظهور الإسلام بدور مراقبة ومتابعة تنفيذ أوامر الله وهدى ورسوله فيما يخص برعايه شئون الناس سواء كان ذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقد اتضح ذلك من خلال وظائف المحتسب التى ركزت على متابعة قيام النظم المختلفة فى المجتمع لدورها بحيث تناولت النظم الاجتماعية والاقتصادية والصحية والدينية فأعمال المحتسب كثيره تشمل نواحي ادبية ودينية وعمرانية وأخلاقية ولانجد فى الوقت الحاضر موظفا حكوميا أو دائرة رسمية بها سلطة شبيهة بالمحتسب فى بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة التى تركت هذا النظام الاجتماعى ، فإنه يشبه رئيس البلدية أو مدير الإعاشة أو مدير الشرطة القضائية أو مدير الشئون الاجتماعية وغير ذلك من الوظائف مع الفارق (٢٥) .

وظائف المحتسب :

وظيفة المحتسب فيما يتعلق بالمجال الدينى :

يمكن ذكر بعضها باختصار فى الاهتمام بالمساجد وعمارتها ونظافتها والمحافظة على الصلاة فى جماعة والتعاون مع الامام والمؤذن والواعظ وكل الامور التى تدعم القيم الدينية .

وظيفة المحتسب فيما يتعلق بالمجال الاقتصادي :

نشأت وظيفة المحتسب فى بداية أمرها متصلة بالجانب الدينى ثم بالمجال الاقتصادى خاصة الاشراف على المكاييل والموازين ثم ازدادت اختصاصته لزيادة المشاكل الناجمة عن الصناعات والسوق . وكثرة أهل السوق وأثرهم فى الحياة العامة فى توجيه الاخلاق العامة لذلك فأن وظيفة المحتسب أخذت تدريجيا تتعدى مسئولياتها إلى ضبط الاخلاق العامة والإشراف عليها (٢٦) .

كما أن للمحتسب أن يراعى الوفرة والتقصير والأمانة والخيانة والجودة والرداءة أما الوفرة فتنتطبق على الأطباء والمعلمين فمن واجبه أن يتأكد من وجود هؤلاء خدمة للمجتمع (٢٧) .

وظيفة المحتسب فيما يتعلق بالمجال الاجتماعى :

يمكن تحديد هذه الوظيفة فى النص الذى أورده العلامة ابن خلدون بقوله « يبحث عن المنكرات ويعزز ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة فى المدينة ، مثل المنبع من مضايقة فى الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار فى الحمل والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط يهدمها وإزالة مايتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلمين فى المكاتب وغيرها فى الإبلاغ فى ضربهم لصبيان المتعلمين (٢٨) .

وظيفة المحتسب فى المجال الصحى :

اهتمت الحسبة بمراقبة ومتابعة القواعد الصحية التى تهدف إلى المحافظة على سلامة السكان ونظافة المدن وخططها وشوارعها والقيم الحالية فيها فكان المحتسب بأمر بإزالة الطين من الأسواق والطرقات وشوارع المدينة إذا أكثر وإذا تراكمت الأتربة والأتربة ونحوها ، وكان المحتسب يعين من يقوم بتنظيف الشوارع ويرشها كل يوم ، وكذلك ينطبق على المرضى الذين يبيعون الأطعمة فى السوق فهو يرى أن المحافظة على الصحة العامة تقضى منعهم من ذلك (٢٩) .

ومن هذا العرض المختصر يرى المحتسب يعتبر بمثابة رقيب أو ممثل للسلطة التنفيذية فى الرقابة على مدى الالتزام على قيام الأفراد والمنظمات المختلفة فى المجال الدينى والاجتماعى والاقتصادى والصحى .

حق الفرد فى الرعاية الاجتماعية فى الإسلام

يراد بهذ الحق ان الفرد يجد ضمانا عاما من الدولة الإسلامية وهى تنظر إليه وتعرف مكانه وتحس بعجزه وحاجته وعجزه ، وأساس هذا الحق أن المجتمع الإسلامى

يقوم على أساس التعاون استجابة لأمر الله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ (آية ٢ المائدة) .

ولكن قبل أن تقدم الدولة الدعم والرعاية فهي تنتظر إلى أن هذا الحق يسبقه جملة تعليمات وحقوق جاءت بها الشريعة وهذه التنظيمات هي :

أولا : الاكتفاء الذاتي للأفراد :

الأصل أن الإنسان يكفى نفسه بنفسه بأن يعمل ويكتسب ولا يسأل الناس حيث يقول الله تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ (آية ١٠ الجمعة) وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» رواه مسلم .

وعن المقدم بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبي ﷺ « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » رواه البخارى .

فالإسلام يدعو الناس إلى العمل والاجتهاد والتعفف وذر السؤال من غير ضرورة ، حيث يقول الله تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ (آية ٦ هود) كما يقول الله تعالى : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ (آية ٢٧٢ البقرة) . وعن حكيم بن جزام رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغنى يغنيه الله » متفق عليه .

والإسلام لا يحبذ بل ينفر الناس من الكسل وطلب الإحسان والشفقة من الآخرين بل يدعو إلى العمل والاجتهاد فعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ « لاتلحنوا فى المسألة فوالله لايسألني أحد منكم شيئا فنخرج له سألته منى شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيها اعطيته » رواه مسلم .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « من تكفل لى أن لايسأل الناس شيئا واتكفل له بالجنة فقلت أنا فكان لايسأل أحد شيئا » رواه أبوداود بإسناد صحيح .

لذلك فإن سؤال الناس أو سؤال من يمثلهم وهى الدولة ، غير مرغوب فيه مادام الإنسان قادرا على العمل والاكتساب .

ثانيا : في حالة تقدم الفرد بطلب المساعدة :

عندما يتقدم الفرد بطلب للمساعدة لاحساسه باحتياجه الى المعونة فإن الدولة لاتقدم المساعدة والرعاية دون دراسة لموقف الفرد وحالته لتقرير احتياجه للمساعدة ويمكن أن تتخذ من موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من أبى بشر قبيصه بن البخارق عندما تقدم بطلب المساعدة صورة لدراسة الحالة والأسس التى يجب أن تقوم عليها والأسس التى عليها تتقرر المساعدة .

فعن أبى بشر قبيصه بن المخارق رضى الله عنه قال « تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ثم قال يا قبيصة إن المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة ، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش فما سواه من المسألة يا قبيصه سحت يأكلها صاحبها سحتا (رواه مسلم).

وتتطلب المساعدة لتقديم الخدمات الاجتماعية التأكد من المعلومات عن العميل حتى لا يبنى الحكم على أساس غير سليم ويتطلب الأمر دراسة جميع الجوانب المرتبطة بالموقف ، فعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له من النار متفق عليه . كذلك يتطلب دور الدولة السعى والبحث لدراسة الحالات التى تحتاج إلى المساعدة الأمر الذى يتطلب من ممثلى الدولة الإسلامية الإيجابية فى الدراسة والمساعدة والتقصى بالنسبة للحالات الاجتماعية لأفراد المجتمع فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقيمتان والثمرة والثمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يظن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس « متفق عليه .

ثالثا : مساعدة الفرد على الاستفادة من قدراته للتغلب على مشكلته :

روى أبوداود عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رجلا من الانصار أتى النبی ﷺ يسأله فقال : أما فى بيتك شئ ؟ قال : بلى ، حلس تلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء قال انتنى بهما فأتى بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا أخذهما بدرهم قال رسول الله ﷺ : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا أخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه . فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى وقال اشترى بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر

قدوما فائتتى به ، فائتاة به فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وبيع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل فجاء وقد اصاب عشرة دراهم فاشتري ثوبا وبيعها طعاما فقال رسول الله ﷺ : هذا خير لك من أن تجي المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، ان المسألة لاتصلح إلا لثلاث لذي فقر أو لذي غرم مفطع أو لذي دم موجه متفق عليه.

ومن هذه الحالة يمكن أن نخرج ببعض النقاط التي يقوم المنهج الإسلامى عليها فى تقديم المساعدة الذاتية :

١ - تقدم الفرد المتعطل الذى لديه فضل طاقة ولكن بلا عمل إلى الدولة أو إلى ولى الأمر بشكوى لتدبر له أمره .

٢ - وعندما تصل الشكوى إلى المسئول ، ينظر فى مشكلته وتوضع الحلول المناسبة لها وهو فى ضوء ذلك يضع الخطة السليمة بما يصون للفرد كرامته من خلال إنشاء مشروع استثماري يسلكه فى صف العاملين الذين يأكلون مما عملته أيديهم

٣ - الاستفادة من إمكانيات الفرد دون الاعتماد على الاحسان او التبرع من الحاضرين لتغطية نفقات المشروع ولكن الاعتماد على أن يكون المشروع من رأس مال الفرد نفسه حتى لو كان خرقة التى يتغطى بها وانا الذى يشرب به .

٤ - مساهمة الدولة ممثلة فى الرسول عليه الصلاة والسلام كذلك أفراد المجتمع المحلى طرفا فى المساعدة حين عرض على الناس السلعة ولم يتركه يعرضها هو فأعفاه من الإحراج مع ملاحظة أن الرسول لم يفرض السلعة ولم يحدد الثمن ليكون البيع والشراء حرا الأمر الذى جعل مساهمة الناس غير مقيدة بالحياء بل مشروعا خالصا من كل شبيهه .

٥ - عندما توفر للرجل قدرا من المال ثمن مناعة لم تتركه الدولة بلا ارشاد ضمانا لنجاح المشروع أرشده الرسول عليه الصلاة والسلام أن يشتري بالنصف طعاما لعياله تأمينا لظهره حتى اذا انطلق فى الأرض ساعيا كان زمنا ، وكذلك طلب الرسول عليه الصلاة والسلام ان يشتري بالنصف الثانى فأسا هى أداة للعمل المثمر الشريف .

٦ - حيث أثبت الرجل صلاحيته للمعونة ساعدته الدولة بخشبة الفأس وضعها الرسول عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة تقديرا له .

- ٧ - تحديد العمل المناسب والمكان الذي يمكن ان يمارس فيه هذا العمل وهو الاحتطاب حيث أن الرجل حديث عهد بالعمل في بيئة صحراوية .
- ٨ - وضع خطة لمتابعة العمل وإعطاء مهلة من الوقت لحداثه الرجل بالعمل وإعطاء مهلة خمسة عشر يوما حتى يتمرس بالتجربة في هذه الفترة .
- ٩ - في ضوء نتائج التجربة وضعت ميزانية للعامل تكفل سد حاجاته .
- ١٠ - تحريم السؤال تحريما قاطعا دون استثناء إلا في حالات محددة ونادرة .

رابعا : تهيئة الدولة سبل كسب العيش للأفراد :

إذا كان العمل مشروعاً في نظر الشرع والسؤال محظوراً والأصل هو السعي للكسب والاجتهاد في سبيل الرزق ، كان من المسلم به أن تقوم الدولة الإسلامية بتسهيل سبل العمل والكسب للأفراد ، وإيجاد العمل للمتعطلين وإيجاد المشاريع النافعة لتشغيل الأفراد وفي ذلك تقوم الدولة باقراض الأفراد من بيت المال ، وقد صرح بهذا الفقيه المعروف أبو يوسف صاحب أبي حنيفة فقال « إن صاحب الأرض الخراجية إذا عجز عن زراعة أرضه لفقره ، دفع إليه كفايته من بيت المال قرضاً ليعمل ويستغل أرضه (٣٠) .

خامساً : حق النفقة :

ينبغي على الدولة ان تهيئ لكل فرد من أفرادها مستوى معين من الحياة تضمن له الضروريات الأساسية للحياة بأي وسيلة مشروعة ولكن إذا لم يوجد عمل أو وجد وكان الفرد عاجزاً عنه وجب على الدولة ان تفرض النفقة على الأقارب الأغنياء حيث يقول الله تعالى ﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ (١٩ الذريات) .

وهذا الحق غير الزكاة الواردة في الآية الأخرى ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ (٢٤ ، ٢٥ الماعز) . قال عبدالله بن عمرو الشعبي والحسن ومجاهد « هو حق سوى الزكاة واجب في المال ، وقال أبو بكر الجصاصي : وفي المال حق سوى الزكاة باتفاق المسلمين منه ما يلزم من النفقة على والديه إذا كانا فقيرين وعلى نوى أرحامه وما يلزم من إطعام المضطر وحمل المنقطع به وما جرى ذلك من الحقوق اللازمة عندما يعرض من هذه الأحوال (٣١) وهذا التضامن بين أفراد العائلة وسائر الأقارب لا يقوم على فحص الرغبة في الإحسان بل يقدم على الوجوب والالزام .

سادساً : الزكاة

عندما لا يستطيع الفرد العمل والاكتساب أو لا يوجد ما يكسب به ومنه أو كان يعمل ولا يفي دخله لضروريات الحياة وإذا لم يوجد من أقاربه من يتفق عليه أمكن سد حاجته

من أموال الزكاة التى هى حق للفقير فى أموال الأغنياء والأصل أن الدولة هى التى تجبى الزكاة وتوصلها إلى المستحقين ولايجوز صرفها لغير أهل الاستحقاق وللدولة أن تنظم جبايتها وتوزيعها بما يكفل إيصالها إلى الفقراء وسائر المستحقين فالزكاة ضمان اجتماعى يضمن لكل فرد يعيش فى المجتمع الإسلامى أيا كانت ديانته وأيا كانت جنسيته حد الكفاية لأحد الكفاف بحيث إذا لم تسعفه ظروفه الخاصة كمرض أو شيخوخة أو تعطل عن العمل من تحقيق هذا المستوى اللائق للمعيشة والذى يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان . تكلفت بذلك الدولة عن طريق صندوق الزكاة (٢٢) .

سابعا : كفالة الدولة للأفراد من بيت المال :

إذا لم تف الاجراءات والتنظيمات والحقوق السابقة فى سد حاجة المحتاج تدخلت الدولة وقامت بكفالة المحتاج لتضع مبدأ التعاون الواجب على أفراد المجتمع الإسلامى موضع التنفيذ وقد نفذ الرسول ذلك فى حياته ، قال عليه الصلاة والسلام « أنا أولى بكل مسلم من نفسه من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أو ضياعا فالى وعلى » والمراد بالضياع الأسرة والذرية المعرضة للضياع لعدم الموارد وفقد العائل مما يدل على أن من لامال لهم ونوى الحاجة والمدينين يجدون مايسد حاجتهم من بيت المال .

وكفالة الدولة رعايتها الفقراء على المسلمين فقط بل تشمل غير المسلمين « الذميين » أيضا ماداموا فقراء يستحقون العون ، فقد روى أبو يوسف أن عمر بن الخطاب رأى شيخاً يهودياً كبيراً السن يسأل الناس فطلب من خازن بيت المال إعطائه وأشباهه مايفنيه عن السؤال « (٢٣) .

كذلك كتب خالد بن الوليد كتابا لأهل الحيرة جاء فيه « وجعلت لهم أى شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصرفون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار السلام » (٢٤) .

لذلك كان واجب الدولة كفالة الأفراد المحتاجين من بيت المال قدر حاجاتهم ويقول فى ذلك الامام ابن تيمية « والمحتاجون إذا لم تكفهم الزكاة أعطوا من بيت المال على وجه التقديم على غيرهم من وجوه الصرف على رأى (٢٥) .

ولقد كان لسيدنا عمر بن الخطاب منهاجاً فى ذلك حدد فيه حقوق الأفراد فى بيت المال فيقول « فالرجل وبلاؤه والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته .. وذلك فى عام الرمادة حيث عم القحط وانحبس المطر فلقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضع الطعام للمحتاجين وينادى مادية : من أحب ان يحضر طعاما فلياكل ومن أحب أن يأخذ مايكفيه وأهله فليأخذه (٢٦) .

ورعاية الدولة فى الإسلام لمواطنيها لانتوقف عند حدود امكانياتها المالى اذا عجزت الدولة عن الانفاق عليهم ، بل هناك حق يجب على المواطنين أن يطالبوا به إذا عجزت عن رعايتهم حتى تنتقل كفالتهم ورعايتهم إلى القادرين من أفراد المجتمع الإسلامى ، إذ المفروض أن صاحب الزائد عن حاجته عليه أن يقدمه لأخيه لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه أحمد بن حنبل فى مسنده لذلك فرض الإسلام على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا برعاية فقرائهم ويجبرهم على الأمر على ذلك إذا لم تقم الزكاة بهم ولا فى سائر أموال المسلمين بهم فيقدم لهم المأكل الضرورى والملبس والسكن .

مجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام :

فى هذا الجزء سوف نتناول باختصار بعض مظاهر ومجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام ، وذلك ليس بفرض السرد التاريخى لتلك المظاهر وهذه المجالات ولكن لبيان الأسس التى قامت عليها هذه المجالات إسلامياً وتميزها عن غيرها من مظاهر الرعاية فى الأديان الأخرى وكذلك إظهار علاقتها بالخدمة الاجتماعية على أساس أن هذه الرعاية تمثل الجذور أو البذرة الأولى للخدمة الاجتماعية والمجالات الممارسة فى الخدمة الاجتماعية لما احتوت عليه هذه المجالات من أسس علمية وتطبيق سليم خلال مرحلة طويلة من الزمن فى مؤسسات متعددة ومتنوعة .

مع التأكيد أن هذه الرعاية فى مجالاتها المختلفة شملت كل حياة الإنسان وكذلك امتدت إلى كافة أنحاء العالم الإسلامى من أصفهان إلى مراكش إلى الأندلس وقرطبة لفترة طويلة من الزمن استمرت ما يقرب من ألف عام .

وفى تناولنا لمجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام سوف يكون التأكيد بالدرجة الأولى على مايتصل برعاية الإنسان وخدمته أكثر من الرعاية المتخصصة مثل الرعاية الطبية أو التعليمية ولكن الاهتمام فى هذه الدراسة ينصب بالدرجة الأولى على أوجه الرعاية والخدمات التى تقدم للإنسان من خلال مجالات الرعاية الاجتماعية الإسلامية المختلفة .

أولاً : مجال الرعاية الاجتماعية للمرضى :

يحظى المرضى فى الإسلام برعاية اجتماعية كبيرة فلقد دعى الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين إلى التماس العلاج والتداوى فقد روى النسائى وابن ماجة والحاكم وصحة أنس وابن مسعود « أن النبى ﷺ قال : ان الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء فتداؤوا » كما روى عن جابر ان رسول الله ﷺ قال « لكل داء دواء فإذا أصاب دواء

الداء يرى باذن الله « رواة مسلم . كما حث الرسول عليه الصلاة والسلام على الاشتغال بالطب وإجافته حتى انه روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه قال «العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان » .

جاءت هذه الرعاية الطبية محصوية بإقامة مؤسسات لمداوة المرضى وعلاجهم وهي التي أطلق عليها اسم بيمارستانات ، البيمارستانات هي احدى المنشآت والعمائر كالمساجد والنكايات والقباب والمدارس التي كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء واهل الخير على العموم صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية وتخليدا لذكراهم ولم تكن مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على مداوة المرضى ، بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب ، واسم دور المرضى بيمارستانات وهو فارسي معرب لا أصل له في لغة القرآن (٣٧) .

ولايتوقف الاهتمام برعاية المريض اجتماعيا على المؤسسات الطبية فقط بل دعى الإسلام إلى مساهمة الأفراد في توفير الرعاية للمريض وجعل عيادة المريض سنة وحق من حقوق المسلم على أخيه المسلم وقد حث الإسلام على الاهتمام بهذا الحق والقيام به حتى يشعر المسلم عند مرضه بروح الأخوة من إخوانه تسرى عنه وتخفف من آلامه وتعويضه ما حرمه من القوة والصحة مما يبعث فيه الأمل في الله وفي رحمته وكرمه .

وتدل الأحاديث على أن عيادة المريض فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين.

ويلحق بعيادة المريض تعهده وتفقد احواله والتلطف به وربما كان ذلك في العادة سببا لعودة نشاطه وانتعاش قوته وسرعة شفاؤه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : حق المسلم على المسلم خمس رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس « متفق عليه . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناده مناديا ن طيب وطاب ممشاك وتبوأ من الجنة منزلا » رواه الترمذي .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ « عوبوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني » رواه البخاري .

ثانيا : مجال رعاية طلاب العلم

اهتم الإسلام بالعلم ودعى المسلمين إلى السعى الحثيث في طلب العلم كما أتاح الإسلام المناخ الفكري الحر الذي مكن طلاب العلم من البحث والدراسة والتقصي وأول

آية من آيات الذكر الحكيم نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام كانت ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ (العلق : ١) كذلك رفع الله سبحانه وتعالى من قدر العلماء ﴿ يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ (آية ١١ المجادلة) .

كذلك حث على الاستزادة من العلم ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (آية ٨٥ الإسراء) كذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » متفق عليه . كذلك في حديث آخر عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ قال : « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا « رواه مسلم . وعنه أيضا قال رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

وتنفيذاً لهذه التعاليم السامية ابتدع الإسلام خلال عصور طويلة نظاما يشجع على التعليم والكتاتيب وظل هذا النظام متبعاً في مصر إلى عهد قريب (٢٨) .

ولقد كان المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم ، واصبح كثير من المساجد مراكز هامة للحركة العلمية ، وانصرف فقراء المسلمين لطلب العلم في المسجد النبوي الشريف حيث نى الرسول ﷺ مكاناً مظللاً في شمال المسجد يأوى اليه فقراء المسلمين الذين حبسوا انفسهم لطلب العلم (٢٩) .

وعمرت المساجد الإسلامية بجلسات العلم وحلقات الدرس ورتب الخلفاء الرواتب والأرزاق للعلماء وطلاب العلم (٤٠) .

وفي الأزهر كان الخلفاء والسلاطين والأمراء يشجعون الطلاب من وطنين وأجانب فيقدمون اليهم المأكل والمسكن وكل ما يوفر عليهم وسائل الراحة من غير أجر (٤١) .

كذلك كانت تقدم الرعاية لطلاب العلم غير القادرين والمعتكفين . فلقد أدرك خلفاء المسلمين الأوائل حاجة المعتكفين إلى هذا الإنزواء فأنشأوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد .

ولم يكن هذا النشاط هو الشكل الوحيد من الرعاية الاجتماعية للطلاب في الأندلس ولكن كان هناك نوعا آخر من النشاط يربط بين الناحية العلمية والاجتماعية وهو نظام الرحلات ، فالرحلة سمة من سمات التعليم الإسلامى فى العصور الوسطى وتتخلص فى قيام الطلاب بالانتقال من مكان إلى آخر بحثاً عن مزيد من العلوم ومن أفضل المعلمين المنتشرين فى كافة البلاد العالم الإسلامى .

من ذلك نرى تعدد أنواع الرعاية الاجتماعية لطلاب العلم فى بلاد العالم الإسلامى خلال التاريخ الإسلامى مثل توفير الحياة الكريمة الأمانة للطلاب والحرص على توفير

المأكل والمأوى والمشرب والملبس وإقامة الاحتفالات فى المناسبات الدينية والعلمية وإيجاد جو من العلاقة الاجتماعية العلمية بين الطلاب والمدرسين وتنظيم الرحلات الاجتماعية العلمية مما يعبر عن شكل راق من أشكال الرعاية الاجتماعية للطلاب .

ثالثا : مجال رعاية الفئات الخاصة :

(أ) رعاية المسجونين :

المعروف فى اللغة أن السجن هو الحبس وقد روى عن أبى هريرة « أن الرسول عليه الصلاة والسلام حبس فى تهمة » والحبس معناه تعويق الشخص ومنعة من التصرف بنفسه ، وليس حجرة فى مكان ضيق وكان هذا الحبس الشرعى يتم فى أول الأمر فى بيت أو مسجد على أن يقوم الخصم أو وكيله بملازمة الشخص المحتجز ، ولهذا أسماه النبى ﷺ أسيرا ، واستمر الأمر على ذلك فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ لم يكن هناك محبس بعد لحبس الخصوم ولكن حدث عندما اتسعت الدولة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثرت الرعاية إن ظهرت الحاجة إلى مبنى قائم بذاته يستخدم سجنا - يحتجز فيه من يراد حبسه ولهذا الغرض اتبع الخليفة من صفوان بن أمية دارا بمكة بأربعة آلاف درهم ، ولم يلبث أن تطور الأمر فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، عندما ازداد خصوم الدولة وتعددت مشاكلها حتى قيل أنه أول من وضع السجن بمعناه المعروف وخصص الحراس لحراسة المسجونين (٤٢) .

ولقد عنى الإسلام برعاية السجن بتوفير الحياة الكريمة له داخل السكن وعدم التطرف فى ايذائه .

وانقسمت السجون فى العصور الإسلامية الأولى إلى صنفين رئيسيين هما :-

أولا : سجون الحقوق الدينية ويحبس فيها المحكومون بالديون المالية والتجارية ونحوها .

ثانيا : سجون الحقوق الجزائية ويحبس فيها المحكومون بجرائم الاعتداء على الأبدان والأعراض ونحوها .

ولكل صنف من أصحاب المسجونين معاملة خاصة تتناسب مع نوع حبس ولقد حرصت الشريعة على أن يمنع أصحاب الجرائم غير المتجانسة من الاختلاط ببعضهم مخافة انتقال العدوى .

كما حرص الإسلام على رعاية المسجونين صحيا ومعاملة تتناسب مع ظروفهم وحالهم فالمروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حبس ثمانية فى المسجد وكان عليلا فقال لأصحابه (أحسنوا أساره) كما أوكل إلى بعض أصحابه القيام على حفظ امرأتين

حبلتين من الزنى حتى تضعاً حملهما ، وكذلك كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يتفقد السجون ويشاهد من فيها من المسجونين ويفحص أحوالهم ، كذلك فإن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عماله يقول « انظروا من فى السجون وتعهدوا المرضى (٤٣) .

ولقد كان اهتمام المسلمين بصحة السجناء الشخصية ونظافة سجونهم وحرصهم على معالجة المرضى فى السجون من الامور الشائعة كذلك أقرد الأطباء لعلاجهم وتم تخصيص الأموال للانفاق على الأدوية والعلاج وغير ذلك من الاحتياجات الطبية والصحية (٤٤) .

وإذا كان الإسلام قد شجع على الاستفادة من جهود المساجين فى التعليم حتى لا يكونوا فريسة للجهل فإنه شجعهم على الاستفادة من جهود المساجين فى التعليم حتى لا يكونوا فريسة للجهل فإنه شجعهم أيضا على ذلك طاقاتهم فى تعليم غيرهم وجعل ذلك سبيلا إلى انقضاء مدة حبسهم والإفراج عنهم ، روى أن ناسا من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل الرسول عليه الصلاة والسلام لهم فداءهم أن يعلموا عشرة من أولاد المسلمين الكتابه ففعلوا فكان من تعليم منهم زيد بن ثابت (٤٥) .

ولم يتوقف التعليم بالسجون على الكتابه والقراءة فقط بل تعدى ذلك إلى تعليم المسجونين الحرف والصناعات مما يحتاجها أهل البلد وليس من ذلك تشغيل السجناء فى الأمور التافهة الخشنة احتقار له وإهانة لشخصه ، لقد اهتم المسلمون بتشغيل السجناء وبخاصه فى عصور الحضارة الذهبية أيام العباسيين فكان المحبوسون يكفون بالعمل فى السجون لصنع السلال ونسج التكم وغيرها من الأعمال الخفيفة التى تحتاج إلى حذق وخبرة وأناة ويعتبر هذا المبدأ أساس تأخذ به المؤسسات العقابية المعاصرة حيث يتم فيها تعلم السجناء حرفه تؤمن له دخلا بعد خروجه من الحبس حيث تعود أثمان السلع لحساب السجناء لا لحساب الدولة (٤٦) .

ومن الأمور التى تميزت بها الرعاية الاجتماعية للمساجين فى الإسلام التأكيد على العلاقات الأسرية وذلك بتمكين السجناء من وطء زوجته فى السجن إذا كان فيه موضع لا يطلع عليه أحد ولا يمنع وتحقيق الخلوة الشرعية ، واستدلوا على ذلك بأنه غير ممنوع من قضاء شهوة البطن وكذلك شهوة الفرج إذ لا موجب لسقوط حقه فى الوطء فالوطء من الحقوق الزوجية المشتركة والمقاصد الشرعية المعتبرة فضلا عما فى السماح به للسجين من المحافظة على صحته البدنية والنفسية بل أن منعه من ذلك قد يدفعه إلى الاستمنااء أو الشذوذ الجنسى وهما من المحرمات .

علاوة على ذلك هناك صور متعددة لدعم العلاقات الاجتماعية فى السجن مثل :-

أ - إتاحة الفرصة للسجناء للاتصال بعضهم ببعض .

- ب - حبس الأقارب مع بعضهم فلا يفرق في السجن بين الأقارب كالأخوين .
- ج - التقاء الزوجين المحبوسين ببعضهما .
- د - مساعدة المحبوس على توثيق صلته بأهله عن طريق إتاحة الفرصة لأقاربه وأصدقائه لزيارته .
- هـ - إتاحة الفرصة للمحبوس بمراسلة أهله وإطلاعه على وسائل الإعلام .
- و - خروج السجن لعيادة قريبه المريض وحضور جنازته .

ومن الأمور التي أعط منها الرعاية الاجتماعية للسجين أهمية كبيرة إعداد السجن للخروج من السجن وذلك لرفع الروح المعنوية للسجين قبل الإفراج عنه بتوجيهه إلى النظر إلى المستقبل وإلى الحياة الجديدة وذلك عن طريق الدعاء له وتبشيره بالمغفرة والرحمة استدلالاً ينهى الرسول ﷺ أصحابه عن سب المعاقب وقوله لهم (قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه) ولا يتوقف الأمر عند ذلك بل على الإسلام بمساعدة السجن على بدء حياة جديدة من خلال مساعدته عند خروجه من السجن عن طريق إعطائه كسوه ونفقه وإعانه على الوصول إلى أهله إن كان محتاجاً إلى جميع ذلك مما يساعد المفرج عنه على الشعور باهتمام المجتمع به واكتسابه ثقة في نفسه الأمر الذي يؤدي إلى سرعة اندماجه في الحياة العامة للمجتمع ولنا في تصرف الرسول عليه الصلاة والسلام مع ابنة حاتم عندما أفرج عنها من الحبس وأمر لها بكساء وأعطاها نفقة وأمر لها بظهر يحملها إلى أهلها .

وقد ذكر الفقهاء أنه يندب تسلية المحبوس ومواساته وتهنئته بخروجه من الحبس وإذا كان كذلك فبذل المال له مواساه ، وتشغيله مواساه ورعايته اجتماعياً مواساة والكف عن ذكر ماضيه الإجرامى مواساه (٤٧).

ب - رعاية المرضى العقليين (المجانين)

الأصل في الإنسان اتصافه بكمال الأهلية بأنواعها المختلفة سواء ما كان منها أهليه تكليف أو استحقاق أو وجوب أو أداء .. إلخ غير أن حكمة الله تعالى ورحمته بعباده اقتضت اختلاف النظرة إلى بعض الفئات فإما أن يكون الموقف منها هو الإعفاء المطلق من المسؤولية وهو مانجده بالنسبة للأمراض العقلية التي تفقد التحكم الإرادى بصعوبه دائمة أو منقطع وفي ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث - منها المجنون حتى يفيق ، أما بالتخفيف من المسؤولية وإيجاد الرخصة المبيحة أو المسقطة في بعض الأمور التي تجب على الآخرين تأصل التكلف وهو مانجده في بقيه المعوقين كل بحسب العائق ومداه وكل من هذا الإعفاء وذلك التخفيف مبعثه الرحمة لا الحرمان وعدم الاعتبار (٤٨) .

ولقد حرم الإسلام كل ما يخل بتكريم الإنسان الذي جعله الله مكرما في آدميته وكان ذلك في النص القرآني صريحا « لا يسخر قوما من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » وحرم الإسلام الشتمات والسخرية من هؤلاء الأفراد بل دعى إلى التعاون معهم والاهتمام بأمورهم .

جـ - رعاية المسنين :

أوجب الإسلام ضرورة رعاية المسنين والاهتمام بهم وفي ذلك الشأن يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ (٢٣ : ٢٤ الإسراء) .

كذلك دعا الرسول الكريم إلى العناية والاهتمام بكبار السن حيث تعددت الأحاديث التي تدعوا إلى الاهتمام برعاية المسنين وبذل الوقت والجهد لمساعدتهم فلقد روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله (أى قدر) له من يكرمه فى سنه » كذلك روى أبو داود والترمذى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قال على الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا » وروى أبوداود عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشبيه المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه وإكرام ذى السلطان المقسط » .

وجعل الإسلام رعاية كبار السن خاصة الوالدين تعادل الجهاد فى سبيل الله فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال اقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال أبايك على الهجرة والجهاد ابتغى الأجر من الله تعالى فقال « فهل من والدك أحد حى؟ قال نعم بل كلاهما قال فتبغى الأجر من الله تعالى ؟ قال نعم قال فارجع الى والدك وأحسن صحبتهما » متفق عليه .

ولقد أكد الإسلام على إنزال كبار السن المنازل اللائقة بهم فى كل الأمور فقد روى أبوداود عن ميمون بن أبى شبيب رحمه الله « أن عائشه رضى الله عنها مر بها سائل فأعطته كسرة (قطعه خبز) ومر بها رجل على ثبات وهيئه فأقعده فأكل فقيل لها فى ذلك ، فقال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام انزلوا الناس منازلهم » ، وفى رواية أمرنى رسول الله ﷺ أن تنزل الناس منازلهم .

ومن رعاية الإسلام للمسنين الأخذ برأيهم ومشورتهم فى الأمور الهامة وتقديمهم فى المجالس والبدء بهم فى الضيافة وتقديمهم فى صلاة الجماعة وفى التحدث إلى الناس

وفى التعامل . والتأكيد على عدم الاستخفاف بهم خاصة من الصغار فلقد روى عن أبى أمامه عن رسول الله ﷺ أنه قال « ثلاث لا يستخف بهم إلا متافق : الشيبه فى الإسلام، ونو العلم ، وإمام مقسط » .

ومعرفة حق المتقدمين فى السن ورعايتهم كان موضع التنفيذ فى المجتمع الإسلامى الأول حكاما وأفرادا وجماعات للمسلم وغير المسلم على السواء ويخدمونهم ويلتزمون برعايتهم والأخذ بأيديهم ولايحوجونهم الى العمل .

ولقد كان الحكام والولاة يفرضون للعجزة من المسنين رواتب من بيت المال إذا لم يكن هناك من يتفق عليهم فلقد أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه للشيخ اليهودى من بيت المال مايكفيه ويسد حاجته حينما رأى أنه ذلك الشيخ لا يستطيع العمل وليس له من يتكفل به ، ولقد سبق ذلك قيام عمر بن الخطاب بفرض رواتب للشيخ المسلمين .

وقد جاء فى كتاب خالد بن الوليد الى أهل الحيرة « وجعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل إذا أصابته آفة من الآفات إذ كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجره ودار الإسلام (٤٩) .

وهذا الرعاية تعبر ولاشك عن روعة الإسلام فى تقريره مسئولية الدولة والمجتمع نحو هذه الفئة من الناس .

رابعا : الرعاية الاجتماعيه للعمال :

العمل من أهم ما حث عليه الإسلام واعتبره من أهم وسائل الكسب ، قال تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة : ١٥) .

وقال رسول الله ﷺ : إن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد الباطل « ودعى إلى السعى والكد حيث يقول عليه الصلاة والسلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره فيبيعه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه . رواه البخارى .

وحث الإسلام على العمل والكسب يعنى انه لايريد من الناس أن يكونوا عالة متعطلين يسألون الناس أعطوهم أو منعوهم وهو الذى يجعل اليد العليا خير من اليد السفلى ويعتبر أن الإنسان إذا احترف السؤال زاده الله فقرا حيث يقول عليه الصلاة والسلام « وما فتح عبد باب مسأله إلا زاده الله بها فقراً » رواه البخارى .

كذلك روى ابن الجوزى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه إنه لقي قوما لايعملون فقال « ما أنتم قالوا متوكلون فقال كذبتم .. إنما المتوكل رجل ألقى حبه فى الأرض ثم

توكل على الله ، كما نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على الصدقات فكان يقول فيه قوله « يامعشر الفقراء استبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين » (٥٠).

لقد أدرك الإسلام منذ البداية أن مشكلة الفقر لن يحلها الإحسان الفردي ولن تتداركها الإجراءات الإصلاحية التي تستهدف تسكين الآلام أو تخفيف الحرمان بل لابد من حل جذري ومن هنا كانت نقطة البدايه في الاقتصاد الإسلامى فى البحث علي العمل واثقائه وزياده الإنتاج ورفع التنمية الاقتصادية إلى مرتبة العبادة ثم يأتى ما تقرره الدولة عن مؤسسة الزكاة وذلك إذا لم تمكنه ظروفه الخاصة من مرض أو شيخوخة أو تعطل عن العمل (٥١) .

ولقد شملت رعاية الإسلام للعمال نواح متعددة فبعد أن أكدت على أهمية العمل والسعى على اكتساب الحلال وكراهية السؤال اهتم الإسلام بحماية العامل وإعطائه الأجر المناسب لعمله والذي يكافئ جهده الذي يبذل قال تعالى ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ (١٩٥ آل عمران) كما طلب ألا يرهق العامل بالعمل حيث يقول الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (٢٨٦ البقرة) .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون » رواه مسلم .

كما دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى حماية العامل وراحته ويؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام « إن لنفسك عليك حقا » رواه البخارى .

كذلك اهتم الإسلام برعاية الظروف المعيشية للعامل وتوفير الظروف الملائمة له حيث نرى الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « ومن ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا أو ليس له زوجة فليتزوج أو ليس له دابة فليتخذ دابة » وذلك لتحقيق كفايه العامل واستقراره وليس معنى ذلك الزام صاحب العمل بتوفير كل هذه الأمور للعامل ولكن يجب على الدولة أن تضمن للعامل هذا الحق إذا كان أجر العامل لا يكفيه ولا تتوقف الرعاية الاجتماعية للعامل على وجوده على قيد الحياة فقط بل تمتد هذه الرعاية لتشمل أسرته بعد وفاته إذا كان العامل قد توفي ترك أسرته ليس لها مورد أو دخل حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « من ترك مالا فلورثته ومن ترك ضياعا (أى ورثه لا مال لهم) أو كلا (أى ذرية ضعيفة) . فليتأنتنى فأننا مولاه » رواه البخارى . فهي رعاية تشمل العالم حال حياته وصحته وعند شيخوخته فهي تضمن التأمين على العامل فى الضعف والعجز والشيخوخة وعند الوفاة وترك الورثة الفقراء .

الأمر الذى يدل ليس فقط على الاهتمام بصحة العامل وعلاجه حتى يشفى بل ومتابعة علاجه فتقدم العون المالى الذى يمكنه من النقاهة وعدم اللجوء إلى العمل مباشرة بعد خروجه من المستشفى مما قد يؤدى إلى انتكاسته وعودة المرض إليه ثانيا.

ولقد راعى الإسلام العامل وحماه من جشع صاحب العمل فقد قال رسول الله ﷺ « إياكم والقسامة قالوا وما القسامة ؟ قال الرجل يكون على طائفه من الناس فيأخذ من حظ هذا وحظ هذا » كذلك حماية العامل من ماطلة اصحاب العمل فى دفع الأجور ففى الحديث « مطل الغنى ظلم » رواه الشيخان .

ومن أشكال الرعاية الإسلامية للعمال مساعدة الشباب والفتيات على الزواج إذا كان ظروفهم المادية ضعيفه فلقد أوقفت الأوقاف الإسلامية لمساعدة الشباب والفتيات على الزواج من خلال منسجهم الإعانة المناسبة سواء كانت ماله أو عينية ، والتقاليد الإسلامية تدعوا إلى هذا منذ القدم ، ومن الأوقاف الإسلامية ما هو محبوس على تجهيز الفتيات من قدره لأهليهن على تجهيزهن (٥٢) .

وكان عمر بن عبدالعزيز فى كل يوم ينادى أين الفارقون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء .

ولذلك يمكن القول بأن عمر كان يعتبر الحاجه الى الزواج فى صف حاجة المدين المضطر المحتاج إلى أداء دينه وفى صف حاجة المسكين وحاجة اليتيم إن لم يكن يقدم عليهما (٥٣) الأمر الذى يدل على مدى الاهتمام برعاية العمال بعامة والشباب بخاصة والحرص على توفير سبل الحياة الكريمة الشريفة لهم بما لا يؤدي إلى الانحراف

المراجع

- أ - القرآن الكريم .
- ب - كتب السنة النبويه .
- ١ - عبدالحليم رضا عبدالعال : الخدمة الاجتماعية المعاصرة ، ١٩٩٠ ص : ١٦٥ .
- ٢ - الفاروق زكى يونس : الخدمة الاجتماعية والتغيير الاجتماعى ، الطبعة الثانية عالم الكتب ، ١٩٧٨ ، ص : ٧
- 3 - Neil Gelbert and Hary Specht Dimensions of Social Welfare Policy, N.Y, Prentice Hall, 1974, P.9.
- ٤ - محمود شلتوت : الإسلام والتكافل الاجتماعى، مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٥ - عبدالعزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام ، الطبعة الثالثة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ ، ص ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .
- ٦ - عبدالكريم زيدان : الفرد والدولة فى الشريعة الإسلامية ، الجماعة الإسلامية ، جامعة القاهرة ، كتاب إسلامى نوى رقم ١٤ ص : ٧٧
- ٧ - محمد شوقى الفنجري : الإسلام والتأمين ، الهيئة العامة للكتاب : ١٩٨٩ ، ص ص : ٢٥ - ٢٧ .
- ٨ - يوسف القرضاوى : فقه الزكاة ، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها فى ضوء القرآن والسنة ، الطبعة السادسة ، الجزء الأول ، مؤسسة الرسالة ١٩٨١ ص: ٨٧.
- ٩ - محمد شوقى الفنجري : المدخل إلى الاقتصاد الإسلامى ، دار النهضة المصرية ١٩٧٢ ص : ١٧ .
- ١٠ - محمد البهى : دور الإسلام فى حل مشاكل التجمعات الإسلامية المعاصرة ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٨ ص : ١٢٧ .
- ١١ - محمد البهى : المرجع السابق ص : ١٧١ .
- ١٢ - عبدالعزيز الخياط : مرجع سبق ذكره ص : ٢٤٤ .
- ١٣ - سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون : دراسات فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، منشورات دار السلاسل ، الكويت ص : ٨٩ .
- ١٤ - ابن الحوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ، مكتبة صبيح ، القاهرة ، ١٩٢٩ ص : ٦٢.

- ١٥ - عبد المنعم بدر : اللاتطوعيه وأزمة التنمية فى العالم العربى والإسلامى ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٣٤ ، ربيع الثانى ، جماد الثانى ١٤٠٣ ، مؤسسة المسلم المعاصر ، بيروت ص ١٢٤ .
- ١٦ - يوسف القرضاوى : الوقت حياة المسلم ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ، ٢٨ .
- ١٧ - فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، الدار السعودى للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥ ، ص : ١١٧ .
- ١٨ - رشاد عباس معتوق : نظام الحسبة فى القرآن حتى بمقر المأمون ونشأته وتطوره رسائل جامعية رقم ٨ ، تهامة للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ص ١٤٩ ، ١٥٠ .
- ١٩ - المارودى : الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، طبعة القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص: ٢٤٠ .
- ٢٠ - ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية ، دار الكاتب العربى ص : ١٤ .
- ٢١ - عبدالرحمن ابن خلدون : المقدمة الجزء الثانى ، تحقيق د. على عبدالواحد وافى ، القاهرة ، ١٩٥٨ ص : ٣٩٢ .
- ٢٢ - المقرئى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق د. زياد الشال ، ١٩٤٠ ص: ٢٠ .
- ٢٣ - يحيى احمد الكعكى : معالم النظام الاجتماعى فى الإسلام ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨١ ص: ٩٢ .
- ٢٤ - احمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضاره الإسلامية ، الجزء الخامس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣ ص : ٥٥ .
- ٢٥ - يحيى أحمد الكعكى : مرجع سبق ذكره ، ص : ٦٤ .
- ٢٦ - سهام أبوزيد : الحسبة فى مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ .
- ٢٧ - فتحية النبراوى : مرجع سبق ذكره ، ص : ١٣١ .
- ٢٨ - ابن خلدون : المقدمة جزء ٢ مرجع سبق ذكره ، ص : ٥٧٦ .
- ٢٩ - سهام مصطفى ابوزيد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠١ .
- ٣٠ - عبدالكريم زيدان : مرجع سباق ذكره ، ص : ٧٧ .

- ٣١ - عبدالعزيز الخياط : المرجع السابق ص : ٩١ .
- ٣٢ - محمد شوقي الفنجري : الإسلام والتأمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مرجع سابق ص : ٢٧ .
- ٣٣ - يعقوب ابراهيم : الخراج ، المطبعة والسلطة ومكتبها ، القاهرة ، ١٣٩٢ ، ص: ١٥٠ .
- ٣٤ - يعقوب ابراهيم : المرجع السابق ص : ١٤٤ .
- ٣٥ - ابن تيمية : السياسة الشرعية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٧ ، ص ٥٣ .
- ٣٦ - أمين سعد : الطبقات الكبرى ، الجزء الثالث تبين مطبعة مرسله ، ص : ٢١١
- ٣٧ - آدم ميتز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أى بمقر النهضه فى الإسلام ترجمه محمد عبدالهادى أبوزيده ، المجلد الثانى ، دار الكتاب العربى ص : ١٢٨ .
- ٣٨ - أحمد فؤاد الأهوانى : الترييه فى الإسلام ، دار المعارف ، ص : ٢٨ .
- ٣٩ - المقرئى : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثانى ، ص : ٤٢١ .
- ٤٠ - فتحية النبراوى : مرجع سبق ذكره ، ص : ١٨١ .
- ٤١ - المقرئى : مرجع سبق ذكره الجزء الثانى ، ص : ٣٦٢ .
- ٤٢ - سعيد عاشور وآخرون : مرجع سبق ذكره ، ص : ٣٠٩ .
- ٤٣ - أنور الرفاعى : الإسلام فى حضارته ونظمه ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٣ ، ص: ١٥٢ .
- ٤٤ - حسن أبوغده : أحكام السجن ومعاملة السجناء فى الإسلام ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار ، الكويت ، ١٩٨٧ ص ٢٧٧ .
- ٤٥ - ابن كثير : البداية والنهاية ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٧ ص ٢٥٦ .
- ٤٦ - أحمد مجدوب : معالم الأصالة فى النظام العقابى الإسلامى ، مقال منشور فى مجلة الوعى الإسلامى ، عدد يونيو ١٩٨٤ ، ص ٢١ .
- ٤٧ - حسن أبوغده : مرجع سبق ذكره ص : ٥٨٨ .
- ٤٨ - عبدالستار أبوغده : رعاية المعوقين فى الإسلام ، مقال منشور فى مجله المسلم المعاصر العدد ٣٤ ، جمادى الثانية ١٤٠٣ مصدرها ، مؤسسة المسلم المعاصر ، بيروت ص : ١١٤ .

- ٤٩ - يعقوب بن ابراهيم يوسف : مرجع سبق ذكره ، ص : ١٤٤ .
- ٥٠ - عبدالله ناجح علوان : تربيته الاولاد فى الإسلام ، دار السلام للطباعة والنشر
الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١ ، ص ١٣٢ .
- ٥١ - احمد شوقى الفنجري : الإسلام والضمان الاجتماعى ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٠ ، ص ٤١ .
- ٥٢ - ابن بطوطه : تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، الجزء الأول ،
دار التحرير ، القاهرة ، ص ٦٠ .
- ٥٣ - لييب العبد : دراسة اسلاميه فى العمل والعمال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٨٥ ص ص : ٦٧ - ٦٨ .

الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج :

دليل الملاحظة كنموذج للتعرف على شخصية الطفل المسلم

د. زين العابدين محمد علي رجب

مقدمة :

إن بناء الشخصية الإسلامية وخاصة في البداية أي في مرحلة الطفولة ليس مسألة - كما يتوقع البعض - وليدة الواقع ومسيرة البيئة وخاصة ونحن في زمان اختلطت فيه الثقافات والديانات واهتز في الكيان الإنساني تقوى الله ، دون أن تكون هناك أدوات ووسائل تساعد على تحقيق هذه الشخصية بل وترسى القواعد والأسس الإسلامية في جنباتها من مرحلة الطفولة حتى مرحلة الكهولة .

ولقد تعددت الوسائل الإسلامية لتحقيق ذلك سواء أكان ذلك عن طريق القدوة أو الملاحظة أو الموعظة أو العقاب أو هما معا جميعا ، يشكل تكامل يحقق بناء الكيان الإسلامي في الطفل منذ بداية حياته .

وتعتبر الملاحظة إحدى الوسائل الأساسية للتنشئة الاجتماعية للطفل لتنشئة إسلامية إيمانية ، بل من أهم الوسائل التي تساعدنا على التعرف على المدى الذي وصلت إليه الشخصية من إيمان وما تحتاجه إليه وما الذي يمكن أن نفعله لها ، وهذا ما دفعنا أن نستلهم التراث الإسلامي في الكتاب والسنة لكي نقيم على أسس ومنه أحد الأساليب ألا وهو أسلوب الملاحظة ، مقتنعين أن الكتاب فيه كل شيء وفقا لقول الله تعالى ﴿ انا انزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء ﴾ ^(١) محاول تكوين وأقامة دليل للملاحظة يمكن استخدامه كنموذج وكمقياس التعرف على شخصية الطفل المسلم ووضع إطار تصوري لدور الأخصائي الاجتماعي يوضح متى وكيف وأين ولماذا يستخدم هذا الدليل في مجال الطفولة .

أولا : الخدمة الاجتماعية الإسلامية والملاحظة :

تعتبر الخدمة الاجتماعية الإسلامية هي طوق النجاة ، الذي يمكن من خلاله وفي تصوري أن نحدد الشكل والمضمون السليم لعملنا كأخصائيين اجتماعيين ، وليس في هذا خلط كما يقول البعض بين الأعمال المهنية والدين .

فالدين الإسلامي كدين للمعاملة ، قد حدد كل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين البشر أجمع ويكفي أن نقرر في الجانب الاجتماعي ، أن الإسلام نظام التكامل الاجتماعي الذي لو عمل به ، لحققنا حياة سعيدة ليس لمجتمعنا ولكن للبشرية جمعاء ... وقد وضع أسس ووسائل يمكن من خلالها تحقيق كل أهداف الغاية الإسلامية ومن بينها وسيلة الملاحظة .

(١) الملاحظة :

تعريف الملاحظة :

تعرف الملاحظة بأنها " رصد مركز للوقائع بهدف معرفتها بشكل أفضل " (٢) وهناك نوعان من الملاحظة ، الأولى الملاحظة الحسية ، والثانية الملاحظة العلمية فالملاحظة الحسية هي سابقة على العلم يقوم بها الملاحظ دون تحضير سابق ، ودون خطة محددة ، ولكن يقوده في ملاحظاته فقط الحدس والخيال .

أما الملاحظة العلمية ، فهي ملاحظة منظمة سبق الأعداد لها وهي منظمة تسعى إلى كشف ورصد كافة أبعاد الظاهرة محل الدراسة (٣) .

لذا كلما كانت الأبعاد والجوانب لهذه الظاهرة محددة ، كلما أحاط الباحث نفسه بأكبر قدر ممكن من الضمانات ليطمئن إلى صدق النتائج التي يتوصل إليها . وهذا ما سوف نتبعه ، حيث نجعل الملاحظة ملاحظة علمية وفق برنامج محدد هو دليل يسمى دليل للملاحظة كنموذج محدد، يوضح أبعاد الشخصية الإسلامية للطفل ، يمكن أن يعطى نتائج أكثر تحديداً ووضوحاً وأكثر فاعلية .

أهمية الملاحظة :

يمكن تحديدها في الآتي : -

أ - أنها أسلوب يكشف لها عن كلمات الإنسان (وخاصة العميل) المسموعة وغير المسموعة ، وما وراء هذه الكلمات من دعان وما يختفى خلف هذه المعاني من دلالات ، بل وما وراء السلوك من أحاسيس (٤) .

ب - هناك اتفاق عام حولها بأنها من أهم الأسس الفنية والعملية التي تفيد كل من الأخصائيين الاجتماعيين والباحثين والمهنيين في التعرف على حقائق ومعلومات لها أهمية خاصة يريدون معرفتها .

ج - لا يمكن للباحث أو للمهني أو للمربي أو للمعلم أن يلاحظ بطريقة عرضية أو ارتجالية ، طالما أردنا أن نتحرك ونعمل بأسلوب علمي ، وإنما لابد وأن يعرف أياً منهما ، وبالتحديد ما الذي يركز انتباهه عليه وكيف يسجل ما يراه وما يسمعه وما يحسه بدقة تامة (٥) .

وهذا هو ما تعرف به الملاحظة .

د - تتميز الملاحظة عن غيرها من الأسس الفنية وأدوات جمع البيانات بأنها تستخدم لجمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي ، وكذلك يستخدمها الباحث في دراساته الكشفية والوضعية والتجريبية (٦) .

هـ - علي الرغم من قيام المتخصصين والمهنيين باستخدام هذا الأسلوب الفني المهارى فى المجالات المهنية المتنوعة ، إلا إن استخدامه هنا ، له أهميته حيث أنه يتم بناء تحضيراته النظرية وفق الأسس والقواعد الإسلامية الواضحة والمحددة تحديدا دقيقا وفق المنهج الربانى وإطاره يستخدم كدليل يسمى دليل الملاحظة وكنموذج من خلاله يتم التعرف على شخصية الطفل المسلم كما رسمها الإسلام فى كل من الكتاب والسنة .

٢ - الخدمة الاجتماعية والملاحظة :

تعتبر الملاحظة أحد الأساليب الفنية الأساسية للخدمة الاجتماعية بصفة عامة ولخدمة الفرد والجماعة بصفة خاصة ، حيث يعتمد عليها الاختصاصيون الاجتماعيون فى التعرف على سلوك الأفراد والجماعات والمجتمعات ، ومن خلالها يتم تحديد سلوكهم وتحديد أبعاد السلوك ومداه وقربه أو بعده من السلوك السوى أو اللاسوى ومن السلوك الايجابى أو السلبي .. ومن ثم التعرف على السلوك الذى يحتاج إلى تدعيم والسلوك الذى يحتاج إلى تعديل .

واذا كنت أرى أن الخدمة الاجتماعية هى " عملية إحداث تغيير اجتماعى مقصود للأفراد والجماعات والمجتمعات ، حتى يمكنهم القيام بمسئولياتهم على أكمل وجه ممكن" (٧) .

وأن عملية التغيير الحادثة والتى يجب أن يقوم بها الاختصاصى الاجتماعى لم تأت من فراغ ولكن جاءت نتيجة لملاحظة الاختصاصى الاجتماعى بأنهم لا يقومون بمسئولياتهم على أكمل وجه ممكن .. لذلك نجد أن الاختصاصى يستخدم حواسه المختلفة وخاصة حاسة البصر بشكل مقصود واراى لخدمة أغرض عمله وعمله من خلال المقابلات المهنية والأنشطة الفعلية ... وفيها يحاول الاختصاصى توظيف حواسه كالسمع والبصر واللمس والشم والتذوق ، حتى يمكن أن يقيم ملاحظاته وقيمها ويفسر ما تعرفت عليه هذه الحواس ، وكلما كان هناك نموذج للملاحظة واضح محدد لموضوع معين ، كلما كانت ملاحظاته أكثر إفادة وقيمة .

ولما كان من الأهمية عند القيام بعملية الملاحظة التفرقة بين التعبير الصادق والمصطنع وبين الواقع والخيال وبين السلوك الفعلى والمستتر وخاصة ونحن نلاحظ أوجه التناقض والاختلاف بين القول والفعل، وبين اتجاه الفرد وسلوكه ، لذلك سوف نعتمد على السلوك الفعلى فى رصدنا للوقائع المختلفة المتمثلة فى الأسس والقواعد الإسلامية فى إطار واحد محدد للتعرف على شخصية العميل الطفل الذى يتعامل معه الاختصاصى الاجتماعى فى دليل يسمى دليل الملاحظة.

ولما كانت الخدمة الاجتماعية ، وهى تتعامل مع الأفراد لا تنظر إلى زاوية واحدة من الشخصية ، بل تنظر الى جميع الزوايا والجوانب المختلفة من الشخصية وترى أبعادها وتفاعلها مع الجوانب الأخرى فى البنيان الشخصى وعند مواجهتها للواقع أو تفاعلها معه ، لذلك يكون استخدام الأخصائى الاجتماعى لأسلوب الملاحظة بفرض التعرف على كل من : -

(١) الجوانب المختلفة من الشخصية ، الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية .

(٢) حقيقة التفاعل بين الجوانب المختلفة من الشخصية .

(٣) الشخصية ككيان كلى تفاعلى .

(٤) اقتراب هذا الكيان الكلى من الشخصية .

(٥) اقتراب الشخصية من الكيان الاجتماعى الإسلامى .

الإسلام وأسلوب الملاحظة :

تعتبر الملاحظة أحد الأساليب فى الإسلام ، حيث أكدت عليها النصوص الدينية سواء فى الكتب أو السنة ، وقد جاء هذا التأكيد اما بشكل واضح مباشر أو بشكل استنباطى غير مباشر أى يمكن استنباطه من معنى الكلام ، لنقف كباحثين لتتعرف عليه ، حتى يمكننا استخدامه ، كما استخدمه المسلمون الأوائل فى بناء الإنسان المسلم أو فى التنشئة الاجتماعية للطفل أو فى تعديل سلوكه أو فى توجيه للصراط المستقيم .. ولقد مدنا الإسلام بالعديد من الآيات والأحاديث التى يمكن أن توجهنا إلى استخدام أسلوب الملاحظة ، للتعرف على شخصية الطفل المسلم ، وكيفية التعامل معه وكذلك قد حددت لنا الأعمار التى نحاسبها على عدم اتباعها الأسس والقواعد الإسلامية .

حيث نجد الله عز وجل يقول : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليهم .. ﴾ (٨) وهذا يعنى أن الراعى عليه أن يأمر أهله بالصلاة ولا يتم ذلك إلا إذا لاحظهم بأنهم لم يصلوا ، وكذلك اصطبر عليهم ، تعنى انه على الراعى ان يصطبر عليهم وهو يلاحظهم حتى يتأكد من أنهم يصلون ، أو لا يصلون حتى يواجههم .

كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام " علموا الصبى الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشر سنين " (٩).

وكيف يضربه والده على الصلاة ابن عشر سنين إلا إذا لاحظ انه لا يصلى ولذا أرشدنا الإسلام إلى استخدام أسلوب الملاحظة حتى نرى حدود الله تنفذ وأن القائم بها لا يقيمها بشكل سليم .

كما أن أسلوب الملاحظة في الإسلام لم يقتصر على جانب واحد ألا وهو الجانب الديني الإيماني من الشخصية والسلوك ، بل تعداه ليشمل جميع الجوانب الأخرى سواء في الشخصية الإسلامية أو في السلوك المجتمعي ، حتى يكون أساساً للإصلاح الشامل في الكيان الإسلامي الفردي والجماعي ، الديني والدنيوي ، ومن ثم في كيان الأمة الإسلامية جمعاء .

لذلك سوف نأخذ اتجاه الإسلام في ملاحظته لجوانب شخصية الطفل البالغ من العمر ما بين سن السابعة والرابعة عشر وبصفة خاصة من ١٠ - ١٤ سنة أو من عشر سنوات حتى قبل البلوغ أي أن الطفل في المرحلة الإعدادية حيث نرى أن هذا الطفل قد أمره الله باتباع قواعده طالما وصل إلى مرحلة التمييز والأمر ، وهي المرحلة التي يأمر الإسلام باتباع وتنفيذ حدود الله فيها وفيها نجد أن حدود الإسلام تشتمل على كل جوانب الشخصية وليس جنباً واحداً منها وهذه الجوانب هي : -

(١) ملاحظة التكوين الجسمي والصحي .

(٢) ملاحظة الإعداد النفسي الانفعالي .

(٣) ملاحظة الإعداد الاجتماعي التفاعلي .

(٤) ملاحظة التكوين العقلي المعرفي .

(٥) ملاحظة الإعداد الإيماني الأخلاقي .

وفي كل جانب من الجوانب السابقة ، نجد أن الإسلام قد أشار بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر على كيفية الإعداد والتكوين والتعديل والتغيير في هذه الجوانب مستخدماً أسلوب الملاحظة فيه ومحددًا المرحلة العمرية له .. ويتضح ذلك من خلال النصوص الدينية في الآيات والأحاديث على النحو التالي : -

(١) ملاحظة التكوين الجسمي والصحي :

حيث ركز على ذلك من خلال العديد من القواعد الصحية في كل من المأكول والمشروب والنام .

مارواه البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ (أي تحت نظره) ، وكانت يدي تطيش (تتحرك) في الصحفه (في وعاء الطعام) ، فقال لي رسول الله ﷺ " يا غلام سم الله ، وكل بيمينك وكل مما يليك " (١٠) .

حين رأى عليه الصلاة والسلام من يشرب الماء شرباً واحداً كشرب البعير (الجمال) فقال لئيم - كنا روى الترمذي " لا تشربوا شرباً واحداً كشرب البعير

ولكن اشربوا مثنى وثلاث ... وسموا اذا أنتم شربتم ، واحمذ إذا أنتم رفعتكم^(١١)
روى الامام أحمد والترمذى وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلا ، فتث لطعامه ، وثلاث لشرابه ، وثلاث لنفسه " ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه فى الشرب ، والشرب مثنى وثلاث ... والنهى عن التنفس فى الإناء والشرب قائما^(١٢) .

روى مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " .

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال قول الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ثم قال ألا أن القوة الرمي ، ألا أن القوة الرمي ، ألا أن القوة الرمي .

وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الولاة ما يلى : أما بعد فعلموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل .

وعن عقبة بن عامر قال ، قال رسول الله ﷺ : ارموا واركبوا وإن ترموا خير من أن تركبوا .

وكذلك تعويد الطفل على ممارسة الرياضة لتقوية الجانب الحركى وألعاب الفروسية تحقيقا لقول الله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾^(١٣) وكذلك ما رواه البخارى فى صحيحه " أن النبى ﷺ كان يمر على أصحابه فى الرمي فيشجعهم ويقول ليم ارموا وأنا معكم كلكم "^(١٤) كما روى الإمام أحمد وابن نعيم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه مرفوعا : " إياكم والتنع فإن عباد الله ليسوا بالمتنعين " ^(١٥) .

(٢) الإعداد النفسى الانفعالى :

مسئولية التنشئة الاجتماعية الإسلامية تتحدد فى خلق شخصية الطفل ، شخصية تتميز بالالتزام والهدوء ، وتحرك بالإقدام والجراءة ، والصراحة والشجاعة ، والشعور بالكمال والكرامة ^(١٦) .

وبالتالى أنت التنشئة الإسلامية وتوجيهياتها لكى تضع ركائز أساسية حتى تكون الشخصية مترنة منذ البداية أى فى مراحل تكوينها الأولى وتبعد الاهتزاز عن الكيان الإنسانى كله على أساس إيمانى سليم .. حيث قال الله تعالى : ﴿ إن الإنسان خلق

هلوعا إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم علي صلاتهم دائمون ﴿ ١٧ ﴾ من هذا المنطلق نجد أن التحرك نحو تنشئة الأولاد على حياة الاتزان والالتزام بالصلاة والتقوى هي البداية الحقيقية للإعداد النفسى السليم للطفل المسلم .

(٣) ملاحظة الإعداد الاجتماعى التعاملى :

يعتبر إعداد الإنسان المسلم فى جانبه الاجتماعى هو جوهر الإسلام ، نظرا لأن الإسلام هو دين معاملة فى المقام الأول تحريكا وتشريعا وتيسيرا لأمر المسلمين ولم يترك الإسلام تعامللا إلا وقد وضع له كيانا وحدودا ونصوصا وحسن معاملة .

وقد حدد الإسلام أسلوب التعامل الاجتماعى فى الجوانب الآتية:

- التقوى : ويتحدد فى عدم المساس بكرامة الناس أو الاضرار بهم .
- الأخوة : وهى معاملة المسلمين بعضهم لبعض كأخوة وهى واضحة فى قول الله تعالى : " إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " (١٨) وكذلك سورة الحجرات ١٠ والقصص ٢٥ .
- كما تاکدت هذه المعانى ، فيما أخرجه البخاري ومسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه " (١٩) .

- الرحمة : وهى تعنى الرأفة فى التعامل مع الآخرين ، وقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام مثل هذه المعانى من خلال ما رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام انه قال " لا تنزع الرحمة إلا من شقى " .

- الإيثار : وهو إحساس اجتماعى يترتب عليه تفضيل الإنسان غيره علي نفسه فى الخيرات والمصالح الشخصية النافعة وأكد الله سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم﴾ (٢٠)

- العفو : وهو يعنى التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المبتدى ظالما وجائرا بشرط أن يكون المعتدى قادرا على الانتقام ، حيث أوضح ذلك العلى القدير بقوله : ﴿ وأن تغفوا أقرب إلي التقوى ولا تسوا الفضل بينكم ﴾ (٢١) ، وكذلك ما جاء فى سورة الفرقان ٦٢ ، آل عمران ١٣٢ وفصلت ٢٤ .

(٤) التكوين العقلى المعرفى :

إن الاهتمام بهذا الجانب ، ودفع الأسرة والمؤسسات التعليمية للطفل لكى يتعلم وينمى قدراته العقلية له من الأهمية حتى نصل من خلاله إلى نضج العقول وإظهار

العبيريات ونجد أن هذا الجانب كان له التكوين الأول فنزلت الآيات الأولى تدل على ذلك دلالة لا جدال فيها حيث قال الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٢٢) وقد أكدت هذه المعاني وغيرها في هذا الجانب في كل من سورة الزمر ٩ ، طه ١١٤ ، المجادلة ١١ ، والقلم (١ ، ٢) وغيرها .

إن مسئولية الاهتمام بالجانب الفكري والتعليمي يجب أن تبدأ من الصغر، ويجب أن تكون إجبارية وهي تعتبر أمانة كبرى في عنق الآباء والمربين والمعلمين منذ نعومة أظافر الطفل ، الى أن يصل إلى سن الرشد يبدأ هو - الإنسان - بتحمل مسئوليته نحو ذلك ويستكمل جوانب حياته العلمية لأن الاهتمام بهذا الجانب يبدأ منذ البداية تركيز أذهان الأطفال على الفهم المستوعب والمعرفة المجردة والإدراك الناضج الصحيح ، والمسئولية هنا يجب أن توجه نحو إرتباط الطفل منذ بداية حياته بالإسلام ووعيه به دينا ودولة ، وبالقرآن الكريم نظاما وتشريعا وبالتاريخ الإسلامي عزا ومجدا ، وبالثقافة الإسلامية العامة روحا وفكرا والإرتباط الحركي بالدعوة الإسلامية اندفاعا وممارستنا (٢٣) .

٥) ملاحظة الجانب العقائدي (الإيمانى) :

وهي ملاحظة ارتباط الطفل المسلم بالله ربا ، وبمحمد رسولا ونبيا بالإسلام دينا وروحا . وذلك من خلال : -

ملاحظة الجانب الروحي .. والذي يلاحظ من خلال ذكر الله تعالى في بداية كل عمل أو عند تأدية أى حاجة ، وذكر رسول الله ﷺ عند سماعه اسمه والثناء عليه وتعامله بروح القرآن وآياته قراءة وتلاوتا وحفظا وشكراً لله وحمده له عند نجاحه فى عمله أو إتمام عمله أو تأدية حاجته .

ملاحظة الجانب الخاص مع العبادة وتطبيقها .. والذي نلاحظ فيه سلوك الطفل عند تأديته للعبادة من صلاة وصوم وذهاب إلى مجالس العبادة والعلم والفقه للتعبد والتفقه فى الدين وأحكام العبادات .

وملاحظة تأديته الأدعية الماثورة بما يتناسب مع سنه .. وهى فى المجالات العديدة وفى بداية كل حاجة ونهايتها ، ففى الصباح والمساء وعند النوم وعند الاستيقاظ ، وعند الشرب والشبع ودخول البيت والخروج منه فى السفر وكذلك المطر والتعرض للأخطار والمهالك ، وكذلك عند الأرق أو المرض أو الخوف .

وملاحظة الجانب الخاص بالأخلاق .. والمرتبط بالصدق فى القول والعمل . وكذلك الاخلاص والوفاء وحفظ الأمانة وتأديتها ، وحفظ اللسان وعفته من أى سباب أو شتائم أو ألفاظ قبيحة .

وقد قمت بتجسيد الأحاديث والآيات القرآنية وتحويلها إلى سلوك في محاولة للملاحظة في الدليل الهادف إلى التعرف على شخصية الطفل المسلم .

ثانيا : دليل الملاحظة (كنموذج) :

يمكن القول أن دليل الملاحظة (كنموذج) بعد إطارا من الأسس والقواعد الإسلامية التي من خلالها يتم التعرف على شخصية الطفل المسلم .

حيث أرى أن الملاحظة تفيد بعد تقنياتها وتحديد الأبعاد الأساسية التي يجب أن تلاحظ أو التي يمكن وضعها في نطاق الملاحظة والقياس .. في التعرف على شخصية الطفل المسلم .. مما يساعدنا ويمكننا من السيطرة على هذه الأبعاد وتحديداتها وكذلك توجيهها وفق الأسس والقواعد الإسلامية في حالة عدم تواجدها أو تواجدها بشكل غير إسلامي .

ولقد قمت بتحليل العناصر الأساسية للشخصية في ضوء التراث الإسلامي ... متمثلة في سلوك الطفل في محاولة لتحديدته وملاحظته ومن ثم تفسيره ، ومعرفة قبله أو بعده من السلوك الإسلامي في هذه المرحلة .

وكانت هذه المحاولات بهدف : -

مراعاة الدقة في الملاحظة والتسجيل والقياس .

ضرورة التحكم في الظروف التي يمكن أن تؤثر في عملية الملاحظة وخاصة في عنصرها البشري المتنل في الملاحظ .. مما يساعد بقدر الامكان على تجنب أي نوع من أنواع التحيز الشخصي في التقدير .

تحديد الأبعاد والجوانب التي تخضع للملاحظة حتى نرى مقدار ما يتكشف لنا من ملاحظات بناء على تجانس بناء الأبعاد الفرعية في كل جانب أي تجانس الملاحظات وتركيزها في جوانب وأبعاد متقاربة ومتلاصقة .

الوصول إلى الموضوعية .. اعتمدت على تحليل المصادر المعرفية الإسلامية في تصويره لأبعاده الشخصية ، مركزا على الاستعانة بالأحاديث المحمدية كقواعد وأسس مع الآيات القرآنية كإطار عام ، ونحن كمسلمون لا نستطيع أن نشك لحظة في الأسس الإسلامية وقوعدها ، حيث أنها تحدد لنا الأطر التي يجب أن نتحرك من خلالها والسلوك الذي يجب أن نفعله وكذلك لا نستطيع أن نشك في علميتها ، وسلامة قيمه .

كما أن القيام بإجراء الملاحظة يعني أننا يجب أن نحدد ما هو الشيء الذي يجب أن نلاحظه ونتعرف على أبعاده ونحدده بدقة ووضوح وموضوعية ونخرج من

خلال ذلك بإطار محدد لظاهرة أو موضوع أو كيان إجتماعى أو شخصية بوضوح للملاحظة .. وهنا نحدد شخصية الطفل فى الإطار الإسلامى أو شخصية الطفل المسلم .

١- الهدف من النموذج :

يتحدد هدف النموذج (الدليل) فى المقام الأول فى توجيه الأخصائى الإجتماعى الذى يعمل فى مجال الطفولة للتعرف على سلوك الطفل وتصرفاته وأفعاله والتى يمكن من خلالها فهم أبعاد هذا التكوين الشخصى للطفل ، ومداه وقربه أو بعده عن شخصية الطفل المسلم ، كما جاء فى الكتاب والسنة ،

أما بالنسبة للأهداف العملية الأخرى .. يمكن تحديدها فى الآتى : -

إن إقامة هذا الدليل يعبر عن محاولة تأصيل مجال من أهم مجالات العمل المهني ألا وهو مجال الطفولة ، فى المصادر المعرفية الإسلامية .

إنه يحدد لنا أبعاد شخصية الطفل المسلم وجوانبها وبتطبيقه يعرفنا مدى قرب شخصية الطفل من الشخصية الإسلامية أو بعده عنها .

يساعدنا بتحديد الأبعاد الإسلامية الناقصة فى شخصية طفلنا المسلم على العمل على معالجة هذا النقص أو جوانب الانحراف ، قبل أن تتوغل فيه فتحدث خللا فى الكيان الإنسانى الشخصى للطفل المسلم . وحتى لا تضيع كل الأبعاد فى زماننا هذا .

كما أن استخدام هذا النموذج لأطفال مدرسة أو مؤسسة يوضح لنا إلى أى مدى ترتبط هذه المدرسة أو المؤسسة بمناخها وبيئتها التى تحتويها مع الإطار الإسلامى وهذا ما نتعرف عليه من خلال قرب وبعد الأطفال فى كل منهم من هذا الدليل.

كما أن استخدام هذا الدليل لأطفال بيئة معينة ، يوجهنا إلى علاج البيئة كلها فى الجوانب الناقصة أو المنحرفة بدلا من العمل على التعامل الفردى مع كل طفل على حده .

كما يمكن إستخدام عناصر هذا النموذج وأبعاده فى تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سليمة وخاصة للأطفال الذكور .

وهذا النموذج وهذه الأهداف من وراء استخدامه توجهنا نحو الاهتمام بشخصية الطفل المسلم ، وكذلك إلى الاهتمام بالبيئة الأسرية أو المدرسية أو المؤسسة التى تكون هذه الشخصية ، حيث يعتمد تكوينها على هذه البيئة .

وكذلك يبين لنا استخدامه إلى أن دور الإخاء يتعدى تعامله مع الطفل وكذلك مع الأسرة والمدرسة والمؤسسة ، إلى التعامل في بعض الأحيان ، وإن كان في تصوري في الكثير من الأحيان ، مع البيئة كلها وخاصة لو استخدم التعامل مع البيئة المحلية يكون التأثير أقوى .

٢- بناء الدليل (النموذج) :

في إعتقادي ، أنه على الرغم من وجود مقومات الشخصية الإنسانية كاملة الأبعاد ، متكاملة الجوانب في الإسلام ، منذ نشأتها وكذلك في مرحلة طفولتها وشبابها ورجولتها ، كنحد الأطر في الدليل والذي أخذنا منها موضوع شخصية الطفل المسلم ، بناء على القواعد والأسس الإسلامية في الكتاب والسنة ، ووجود الأبنية الأساسية لهذه الشخصية في أبعادها الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية والإيمانية في نطاق العقيدة والعبادة والمعاملة والسلوك والأخلاق والفكر والمعرفة ، ومن ثم المطلوب عند بناء الدليل من وجهة نظري أن على وسائلنا المهنية وأساليبها أو آلياتنا المهنية العمل على التآصل لبناء نسيج إجتماعي إنساني على أسس إسلامية وقواعد إيمانية وكذلك العمل على تآصيل كيفية التفاعل والإنسجام والتلاحم والإنصهار مع الكيان الإسلامي في عقيدته وأسس وقواعده .

وعلى الرغم من إعتقادي بأن تكامل بناء الشخصية في الإسلام في مراحلها المتعددة ، قد حددها الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ صيغه الله ومن أحسن من الله صيغة ﴾ (٢٤) إلا أنه يبقى المطلوب منا هو محاولة تشكيل الكيان المهني في ضوء الأصول الإسلامية ، كما يبقى علينا أيضا أن نحاول تفريغ الشكل المهني من الموارد الفكرية المنقولة أو المنظورة والتي يجب أن يتم تمحيصها وتنقيتها من الأصول غير الإسلامية ، والتي يمكن بوجودها أن تشكل عائقا بل عوائق تقودنا إلى انهيار المجتمع الإسلامي ، إذا لم نتمكن من وضع الموارد في موقعها المناسب الصحيح الذي يتماشى مع الإسلام.

ولبناء دليل الملاحظة " كنموذج " لتتعرف على شخصية الطفل المسلم .. فقد اتبع الباحث عند من الخطوات ، المتتابعة ، سوف نقوم بإستعراضها على النحو التالي : -

تحديد الموضوع الرئيسي ، الذي يتم على أساسه بناء هذا الدليل ، ألا وهو ملاحظة شخصية الطفل المسلم .. بل والتأكد من قابلية النصوص والقواعد والأسس المحددة للملاحظة ، بإعتبارها سلوك يعبر عن كيان شخصية الطفل المسلم .

تم تحديد المرحلة العمرية التي من خلالها يتم تحديد الأبعاد الأساسية للشخصية وقد تم تحديد العمر من عشر سنوات حتى الرابعة عشر وهي المرحلة التي يكون أوامر الدين بدأت تنفذ ونجدها في سلوك الطفل قبل البلوغ .

على ضوء ذلك ، قام الباحث بإستعراض الإطار المعرفي الإسلامى فى أسسه وقواعده وأحكامه .

تم تحديد الأبعاد الأساسية للشخصية فى الجوانب الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية والإيمانية العقائدية ، وقد تم تحديد العبارات الخاصة والدالة فى كل جانب من الجوانب السابقة بناء على دراسة موضوع الشخصية فى الإسلام فى مرحلة الطفولة ، وفى العمر المحدد، وعلى الأسس والقواعد الإسلامية التى يجب أن تكون فى سلوك الطفل فى هذه المرحلة العمرية ، وقد تحقق من ذلك الصدق الموضوعى للنموذج .

تم عرض هذا النموذج - بعد صياغة عباراته ، والتحقق من الصدق الموضوعى بالرجوع إلى العديد من المراجع الإسلامية - على هيئة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس بكلية الخدمة الاجتماعية - عشرة من أعضاء هيئة التدريس - حتى يمكن أن أحقق الصدق الظاهرى لهذا النموذج أيضاً، وقد تم الإسترشاد بأرائهم وخاصة فى صياغة بعض العبارات أو حذف بعض العبارات .

قام الباحث بمراعاة مجموعة من الإعتبارات فى وضع الصورة النهائية للنموذج يمكن عرضها على النحو التالى : -

- أن تكون الأبعاد الأساسية معبره عن أبعاد الشخصية الإسلامية .

- أن تكون التقسيمات الفرعية - داخل كل بعد أساسى - شاملة ومعبره عن البعد الأساسى.

- روعى فى العبارات التعبير الدقيق الصادق - قدر الإمكان - عن الشئ وإرتباطها بالبعد إرتباطاً أساسياً ، كما أن محتواها لا يعبر إلا عن البعد نفسه .

- تم وضع بعض العبارات فى بعدها الأساسى ، على الرغم من وجودها فى أكثر من بعد وفي مقدمة بعض الأبعاد ، وذلك نظراً لإنتهاؤها إلى البعد الذى وضعت فيه فمثلاً : " سم الله وكل يمينك وكل مما يليك " وضعت سم الله فى البعد الإيمانى العقائدى وليس البعد الخاص مع القواعد الصحية المرتبطة بالجانب الجسمى " . وهكذا .

قام الباحث بصياغة النموذج كمقياس فى شكله النهائى ، ثم قام بوضع الأوزان على إعتبار أربع أوزان أساسية للملاحظة وهى " دائماً ، أحياناً ، نادراً ، لا .

نظام تصحيح النموذج (كمقياس) :

١- يتم تصحيح النموذج بناء على أربع مستويات متدرجة وهذه المستويات هي : -

دائما	٣	ثلاث درجات
أحيانا	٢	درجتان
نادرا	١	درجة واحدة
لا		

هناك بعض العبارات سالبة ، ويتم تصحيحها عكسيا ، أى أن :

دائما	صفر	
أحيانا	١	درجة واحدة
نادرا	٢	درجتان
لا	٣	ثلاث درجات

الأرقام السلبية :

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٩٥ ، ..

الأبعاد الأساسية للنموذج وتقسيماتها ويمكن إيضاها بهذا الشكل فى الجدول

الآتى :

م	الأبعاد	عدد العبارات	الأبعاد الفرعية	أرقام العبارات	عدد العبارات الفرعية
١	الجسمى	٣٠	(أ) القواعد الصحية الجسمية . (ب) سلامة الجسم وقوته .	١ - ٢٢ ٢٣ - ٣٠	٢٢ ٨
٢	النفسى	٢٢	(أ) الذات النفسية . (ب) بعض الظواهر النفسية .	٣١ - ٣٥ ٣٦ - ٥٢	٥ ١٧
٣	العقلى	١٢	(أ) اقباله على العلم وخاصة الدينى . (ب) وعيه بالاسلام فكريا	٥٣ - ٥٨ ٥٩ - ٦٤	٦ ٦
٤	الاجتماعى	٣٦	(أ) تعاملاته الاجتماعية (ب) تفاعلاته الاجتماعية (ج) مشاهره مع الآخرين	٦٥ - ٧١ ٧٢ - ٩٤ ٩٥ - ١٠٠	٧ ٢٣ ٦
٥	الايمانى	١٧	(أ) الجانب الروحى (ب) تطبيقه للعبادة (ج) الجانب الأخلاقى .	١٠١ - ١٠٤ ١٠٥ - ١٠٩ ١١٠ - ١١٧	٤ ٥ ٨

يتكون المقياس من ١١٧ عبارة ، تعبر عن شخصية الطفل المسلم ، ومدى اقترابه أو ابتعاده عن الأسس والقواعد الإسلامية في الكتاب والسنة ، وقد قسمت ووضعت في أبعاد تدل عليها ، وداخل كل بعد ، أبعاده الفرعية الدالة عليه .

ينبغي أن نوضح في هذا الشأن الدرجة النهائية على النموذج (المقياس) وهي التي يتم وضعها بناءً من ملاحظتنا للسلوك وتصرفات الطفل وفقاً للعبارات الموضوعة ، على أساس أن الدرجة الكلية للمقياس هي عبارة عن عدد العبارات \times الدرجة الكبرى للعبارة الواحدة ... أي

$$= 117 \times 3 = 351 .$$

أي أن لو استكملت ملاحظتنا تماماً لشخصية الطفل ورصدنا التزامه التام بالنهج الإسلامي يحصل على ٣٥١ درجة ، وهي تعبر عن الدرجة النهائية ، إلا أن حسابنا للدرجة الكلية لملاحظتنا وفقاً للمقياس .. تحسب على النحو التالي: -

$$\text{الدرجة الكلية :} = \frac{\text{درجة ملاحظة الأبعاد}}{\text{الدرجة النهائية للمقياس}} = \dots \%$$

$$\text{أو الدرجة الكلية :} = \frac{\text{درجة ملاحظة الأبعاد}}{351} = \dots \%$$

كما يمكن حساب كل بعد فرعي على حدة من خلال عباراته ونعطي مثالا لذلك :

$$\text{الدرجة الكلية للبعد الجسمي :} = \frac{\text{درجات ملاحظة البعد الجسمي}}{\text{الدرجة النهائية للبعد}} = \dots \%$$

$$\text{الدرجة الكلية للبعد الجسمي :} = \frac{\text{درجات ملاحظة البعد الجسمي}}{3 \times 30} = \dots \%$$

وهكذا يمكن حساب كل الأبعاد الفرعية بل الجوانب الفرعية للأبعاد .

نود أن نشير إلى أن هناك أبعاداً جزئية في بعض الأبعاد الفرعية بالنموذج يمكن توضيحها على النحو التالي : -

- ففي البعد الجسمي وفي بعده الفرعي أو الخاص بالقواعد الصحية الجسمية ، نجد أنها قسمت إلى ثلاثة أجزاء ، الأول خاص بالماكل (١ - ١٤) والثاني خاص بالمشرب من (١٥ - ١٨) ، والثالث خاص بالنوم من (١٩ - ٢٢) .

- وفي البعد النفسى وفى بعده الفرعى ب والخاص ببعض الظواهر النفسية نجد أنه يقسم إلى أربعة أجزاء وهى خاصة بكل من :-

ظاهرة الخجل من (٣٦ - ٤٠)

وظاهرة الخوف من (٤١ - ٤٣)

وظاهرة النقص من (٤٤ - ٤٩)

وظاهرة الغضب من (٥٠ - ٥٢)

وهذا التوضيح بغرض سهولة إستخدام بعض جوانب المقياس الفرعية بصفة خاصة.

وسوف نقوم بعرض النموذج بأبعاده الأساسية والفرعية على النحو التالى :

دليل الملاحظة (كنموذج) *
للتعرف على شخصية الطفل المسلم

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ		
		دائماً	أحياناً	نادراً
أ	ملاحظات خاصة باتباعه القواعد الصحية الجسمية			
١	يغسل يده قبل الأكل .			
٢	يأكل بهدوء .			
٣	يأكل مما يليه (أى من الطعام الذى أمامه مباشرة) .			
٤	لا يسبق غيره فى تناول الطعام .			
٥	يتناول الطعام بيمينه .			
٦	يمضغ الطعام جيداً .			
٧	لا يأكل متكئاً .			
٨	لا يأكل أكثر من حاجته .			
٩	لا يأكل الفاكهة وهى فجة .			
١٠	لا يأكل الخضار قبل غسله .			
١١	لا يعيب على طعام يقدم إليه .			
١٢	لا يستهزأ بالنعمة .			
١٣	يتحدث على الطعام (فهو شئ مستحب) .			
١٤	يغسل يده بعد الأكل .			
١٥	يشرب بهدوء .			
١٦	يشرب مثنى وثلاث (فى المرة الواحدة) .			
١٧	لا يتنفس فى الاناء .			
١٨	لا يشرب فوق حاجته .			

• لقياس مدى اتباع الطفل الأسس والقواعد الإسلامية .

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ			
		دائماً	أحياناً	نادراً	لا
١٩	ينام علي الجانب الأيمن .				
٢٠	ينام مبكراً .				
٢١	يستيقظ من النوم مبكراً .				
٢٢	لا ينام بعد الأكل مباشرة .				
	ب - ملاحظات خاصة بسلامة الجسم وقوته :				
٢٣	يحرص على ممارسة الرياضة .				
٢٤	يمارس حياة الجد .				
٢٥	يمارس أنشطة التسلق وانقفز والجري .				
٢٦	يمارس الرماية .				
٢٧	يمارس ألعاب الفروسية أو ركوب الخيل .				
٢٨	يمارس السباحة .				
٢٩	لا يدخن .				
٣٠	لا يتناول المسكرات أو المخدرات .				
ثانياً ملاحظات خاصة بالجانب النفسي					
	أ - ملاحظات خاصة بالذات النفسية :				
٣١	يثق في نفسه .				
٣٢	يحترم نفسه .				
٣٣	يشعر بحاجة للنجاح .				
٣٤	يعتمد على نفسه في القيام بواجباته .				
٣٥	لا يقبل الفشل ويصر على النجاح .				
	ب - ملاحظات خاصة ببعض الظواهر النفسية :				
٣٦	ينكمش على نفسه (ولا يتفاعل مع أقرانه) .				

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ		
		دائماً	أحياناً	نادراً
٣٧	ينطوى على نفسه (ولا يرغب فى التعامل مع الآخرين) .			
٣٨	يبتعد عن مواجهة الناس .			
٣٩	لا يرغب فى الدخول فى علاقات حتى مع أقرانه .			
٤٠	لا يبدى رأيه أمام الناس .			
٤١	يشعر بالجين من أى شئ .			
٤٢	يتردد فى إتخاذ أى موقف .			
٤٣	يهرب من تحمل المسئولية .			
٤٤	يتردد فى إتخاذ قرار بنفسه .			
٤٥	يقبل قرار أقرانه دون مناقشة .			
٤٦	لا يشارك أقرانه فى المناقشة .			
٤٧	يكثر من التحدث عن نفسه .			
٤٨	يلفت الأنظار إليه بأى وسيلة .			
٤٩	ليس له صاحب .			
٥٠	يغضب لاتفه الأسباب .			
٥١	يثور بما لا يتناسب مع الموقف .			
٥٢	لا يملك زمام نفسه عندما يغضب مع زملائه .			
ثالثاً	ملاحظات خاصة بالجانب العقلي			
٥٣	١ - ملاحظات خاصة بإقباله علي العلم وخاصة العلم الديني يحفظ القرآن .			
٥٤	يتعلم أحكام العبادات .			
٥٥	يقرأ الكتب الدينية .			
٥٦	يحفظ الأحاديث الدينية .			

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ			
		دائماً	أحياناً	نادراً	لا
٥٧	يتعلم تفسير الأحاديث الدينية .				
٥٨	يقدم بجرأة على العلم وخاصة العلم الدينى .				
٥٩	ب - ملاحظة وعيه بالإسلام فكراً يستشهد بالآيات القرآنية عند حديثه مع زملائه .				
٦٠	يستشهد بالأحاديث النبوية مع زملائه .				
٦١	يلجأ إليه زملاؤه لتفسير بعض الأحاديث الدينية .				
٦٢	يحتكم إليه زملاؤه فى بعض المواقف الدينية .				
٦٣	يستشهد بالتاريخ الإسلامى فى بعض المواقف .				
٦٤	يسرد قصص الرسول والأنبياء .				
	ملاحظات خاصة بالجانب الإجتماعي				
	أ - ملاحظات خاصة بتعاملاته الاجتماعية				
٦٥	يحسن معاملة والديه أو من يقوم مقامهما .				
٦٦	يحسن معاملة نوى الأرحام .				
٦٧	يحسن معاملة جاره .				
٦٨	يحسن معاملة معلمه . (يحترمه ويوقره) .				
٦٩	يحسن إختيار الرفيق والجليس الصالح .				
٧٠	يحترم الأكبر سناً ويوقره .				
٧١	يطيع الأكبر سناً .				

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ		
		دائماً	أحياناً	نادراً
	ب - ملاحظات خاصة بتفاعلاته الاجتماعية :			
٧٢	يلقى السلام .			
٧٣	يرد على التحية بأحسن منهما .			
	يحسن آداب المجلس من حيث :			
٧٤	يصافح من يلتقى به من بنى جنسه .			
٧٥	يجلس فى المكان الذى يخصص له .			
٧٦	لا يجلس بين اثنين إلا بعد إستأذانهم .			
٧٧	يستأذن قبل انصرافه من المجلس .			
	يراعى آداب الحديث عند التحدث مع الآخرين .			
٧٨	يتحدث باللغة العربية الفصحى (لأنها لغة القرآن) .			
٧٩	يتمهل فى الكلام أثناء الحديث .			
٨٠	يخاطب الآخرين على قدر الفهم .			
٨١	يصغى إلى المتحدث .			
٨٢	يقبل كمتحدث على الجلساء جميعاً .			
٨٣	بسيط فى حديثه .			
٨٤	مهذب فى سؤاله .			
٨٥	يحسن الوصول لما يريد فى رقة وأدب .			
٨٦	يمسح آثار الخطأ فى حديثه إذا صدر منه .			
٨٧	يحسن الاعتذار للآخرين .			
	يراعى آداب المزاح :			
٨٨	حسن المزاح .			

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ		
		دائماً	أحياناً	نادراً
٨٩	لا يكذب فى مزاحه			
٩٠	لا يجادل فى مزاحه (حتى وان كان صادقاً) .			
٩١	يحسن تهنئة الناس ببشاشة وسرور .			
٩٢	يقدم على زيارة المريض بحب وتعاطف .			
٩٣	يحمد الله عند العطاس والتثاؤب .			
٩٤	يرد على الآخرين عند العطاس برحمكم الله .			
	ج - ملاحظات خاصة بمشاعره النبيلة مع الآخرين .			
٩٥	أنانى فى تعامله مع الآخرين .			
٩٦	يحب للآخرين كما يحب لنفسه .			
٩٧	يعامل الآخرين بحب ورفق ومودة .			
	يتقبل القضاء والقدر .			
٩٨	لا يحزن إذا مرض .			
٩٩	لا يغضب إذا انفعل عليه أحد .			
١٠٠	لا يعترض عند وفاة أحد والديه أو عزيز عليه .			
	خامساً ملاحظات خاصة بالجانب العقائدي الإيماني			
	أ - ملاحظات خاصة بالجانب الروحي الإيماني :			
١٠١	يذكر اسم الله فى بداية أى عمل أو تأدية أى حاجة *			
١٠٢	يصلى على الرسول عند ذكر اسمه .			
١٠٣	لا يتحدث عند سماعه القرآن يتلى .			

* قبل الأكل والشرب والنوم أو المذاكرة .

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ		
		دائماً	أحياناً	نادراً
١٠٤	يحمد الله عند قضائه حاجة أو الإنتهاء من عمل .			
	ب - ملاحظات خاصة بجانب تطبيقه للعبادة :			
١٠٥	يؤدي الصلاة بانتظام في أوقاتها .			
١٠٦	يصوم في شهر رمضان .			
١٠٧	يذهب إلى مجالس العبادة .			
١٠٨	يذهب إلى مجالس العلم والفقہ .			
١٠٩	يؤدي الأدعية * .			
	ج - ملاحظات خاصة بالجانب الأخلاقي :			
١١٠	لا يكذب في أقواله .			
١١١	لا يخلف في وعوده .			
١١٢	يؤدي الأمانة إلى أصحابها .			
١١٣	لا يسرق (ولو كانت أشياء تافهة) .			
١١٤	لا يتلفظ بالسباب .			
١١٥	لا يتفوه بالشتائم .			
١١٦	يحترم من هم أكبر منه .			
١١٧	يعطف على من هم أصغر منه .			

ثالثاً : إطار تصوري لدور الأخصائي الإجتماعي في إستخدامه لدليل الملاحظة كنموذج ومقياس .

تعتبر الملاحظة من أهم المهارات الأساسية التي يجب أن يتميز بها الأخصائي الإجتماعي في عمله ، حيث أن مهارة الأخصائي الإجتماعي فيها تحدد في الشفافية الحسية في التعرف على سمات شخصية العميل بصرف النظر عن نوع العميل وسنه

* مثل الدعاء عند النوم والاستيقاظ والإفطار وفي حالة الأرق والحزن والهم والسفر ..

ومشكلته أو حاجته ، ومحاولة استنباط العلاقات بحسه المهني بما يمكنه من تحقيق عملية المساعدة بأحسن صورة ممكنة .

من هذا المنطلق يتوقع الكثير من المهنيين وربما الأخصائيين الاجتماعيين أن أسلوب الملاحظة بما فيه من مهارة يستخدمها الإخصائي الاجتماعي لا يستخدمه إلا لفهم أبعاد الشخصية وعلاقاتها بالموقف الاشكالي وغالبا ما تكون هذه الأبعاد قد رسمتها علوم النفس والاجتماع ... إلا أنه يجب أن نتنبه الأذهان أن استخدام أسلوب الملاحظة يختلف باختلاف الاتجاه الذي يتحرك به الأخصائي الاجتماعي وكذلك بالشئ الملاحظ ولذلك سوف نوضح هذا الدور من خلال إرتباطه بمجموعة من المتغيرات الأساسية التي تحركنا في استخدام أسلوب الملاحظة وبالتالي دليل للملاحظة .

ويمكن لنا إستعراض هذه المتغيرات بما فيها من تصور للأبوار على النحو التالي:-

(١) إرتباط دور الإخصائي الاجتماعي بمبادئ أساسية :

لكي يتحرك الإخصائي الاجتماعي في عمله ويقوم بدوره ، لابد أن يلتزم بمبادئ أساسية ، اتفقت عليها غالبية كتب الخدمة الاجتماعية دون شك أو تناقض بينهم ، ودون تفضيل احدهما على الآخر ، وهذه المبادئ هي الالتزام الديني في المقام الأول ثم الالتزام الأخلاقي ثم الالتزام المجتمعي . وفي تصوري أن الالتزام الأخلاقي ما هو الا ترجمة عملية للالتزام الديني إلا أن توضيحه والتركيز عليه هو عبارة عن الاعتراف بالكيان الاجتماعي وما انتجه من نسيج أخلاقي .. وأن الالتزام المجتمعي لابد وأن يضع الدين في مقامه الحقيقي ...

وبعود التزام الإخصائي الاجتماعي بمبدأ الالتزام الديني إلى إعتبار أساس ألا وهو " إن فلسفة الوجود الإنساني من المنطلق العقائدي هي الإيمان بالله وتوحيده والعمل على تحقيق سننه على الأرض ، لأن الإنسان ما هو إلا خليفة الله علي الأرض . وعليه أن يقوم في حياته ملتزما بما أنزله الله ، فيما يدعو إليه نبيه . ونود الإشارة إلى أنه بدون أن ننادي به لابد من تطبيق هذا المبدأ في عملنا مع جميع عملائنا وأفراد المجتمع، إلا أن التأكيد عليه يعنى أن هناك مؤثرات متعددة تدعونا إلى ذلك وهي : -

تزايد النزعات الفردية الذاتية ، مغريات الوجود الإنساني ، مما دفع بعض الناس، بل الكثير منهم نحو الابتعاد عن الإلتزام بالأسس والقواعد الدينية .

تزايد جهل الناس بالنواحي الدينية وذلك نظرا لانشغالهم بأمورهم الدنيوية وخاصة المادية وبالتالي تكوين النشأة بعيداً عن الإطار الإسلامى .

تفسير بعض الناس لبعض الجوانب الدينية بطريقة خاطئة أو غير سليمة نظرا لنقص الدعاة أو تزايد الناس أو عدم التركيز في الفهم أو عدم الرغبة في فهمها إلا بالشئ الذى يحقق بعض الأغراض الوقتية بما يجعل تنشئة الطفل تنشئة مهزوزة دينيا أو مضطربة في جانبها الدينى .

(٢) إرتباط دور الإخصائى الإجتماعى بمجال الطفولة :

يعمل الإخصائى الإجتماعى فى العديد من المجالات ومن بينها مجال الطفولة وتوجد العديد من المشكلات فى مجال الطفولة من بين هذه المشكلات اهتزاز الكيان الاجتماعى للطفل أو اهتزاز بنائه الشخصى نتيجة لتنشئته على أساس برامج وأساليب ومناهج وضعية وربما غربية ، زاد هذا الاهتزاز ، تداخل الثقافات الغربية بعرضها العديد من البرامج والأفلام ليست من قيمنا وديننا واطارنا الثقافى وتنوع المدارس وخاصة للأطفال بمناهجها الغربية والتي ربما يكون فيها جانب علمانى .. مما يخلق تناقضا بين الوجود الإجتماعى الذى يعيشه الطفل فى بيئته الإجتماعية وبين ما يتعلم ويسمعه من البرامج المدرسية أو الإعلامية ... وهنا تضطرب شخصية الطفل ويدخل فى العديد من المشكلات والانحرافات السلوكية .. ويتحرك الإخصائى الإجتماعى فى عمله معه .. لذلك لابد وأن يبدأ الإخصائى فى معرفة إلى أى مدى تقترب هــ الشخصية من كيانها الطبيعى القيمى أى إلى أى مدى تقترب من شخصية الطفل المسلم ... وهنا يتحدد دور الإخصائى الإجتماعى فى جانبين أساسيين :

إما أن يساعد الأبوين على فهم كيفية تحقيق ملاحظتهم للتعرف على شخص طفلهم ..

أو يقوم أثناء تواجده فى المدرسة بملء هذا الدليل أو النموذج وهنا يبدأ دور الإخصائى الاجتماعى فى إستخدام ملاحظته نحو العميل على التعرف على شخصية الطفل .

إلا أننا نوجه الأنظار إلى أن ملاحظات الإخصائى الإجتماعى فى هذا الشأن كثيره ... ويمكن له إقامة ملاحظاته وتسجيلها أولاً بأول وذلك من خلال :

أ - قيامه بنفسه أثناء تواجده مع الأطفال فى الجماعات المختلفة بالمدرسة وخاصة فى أنشطتها التى يمكن أن تستغرق ساعات أو أيام مثل الرحلات أو المعسكرات أو الأندية الصيفية حتى يكون مساعدته لأطفالنا مبنية على أساس إسلامى سليم من خلال ملاحظته والتعرف على الجوانب الناقصة فى شخصيته

ب - مساعدة الأبوين أو المعلمين عن طريق تعليمه (وهنا يقوم بدور الخبير) بملأ دليل الملاحظة .

ج - يمكن أن نستعين بأكثر من شخص يملء دليل الملاحظة ، وإن كان هذا يمكن أن يعطى انعكاساً خاطئاً لإختلاف الملاحظين ولذلك أرى أنه يمكن أن يملء دليل الملاحظة وفق ملاحظاته ويستعين بالأبوين أو من يقوم مقامهما وبالمعلمين والمربين ويقارن الملاحظات أو يأخذ متوسط درجة الملاحظة بين الملاحظين .

(٣) تنوع المؤسسات التي يعمل معها :

نجد أن هنالك العديد من المؤسسات التي يتاح فيها تعامل الإخصائي تعاملاً لصيقاً مع الأطلاق لفترات طويلة ، وعلى سبيل المثال كما قلنا المدرسة إلا أن هنالك مؤسسات أكثر من بينها مؤسسات الأحداث والمؤسسات الخاصة باليتيم ولو أضفنا الأندية والساحات الشعبية ... لوجدنا أن الإخصائي الاجتماعي يقضى وقتاً طويلاً ملاحظاً لسلوك أعضاء هذه المؤسسات خاصة مؤسسات الأحداث بالذات نظراً لانحراف سلوكهم ، فهم بدرجة أو بأخرى بعيدين عن النهج الإسلامى ، لذلك لابد وأن يحدد الإخصائي الاجتماعى إلى أى مدى يكون هذا البعد من خلال تواجده المتلاصق بهؤلاء الأحداث وعلى ضوء ملاحظاته يكون قياسه لأبعاد الشخصية الإسلامية فى الطفل ثم يبدأ فى بناء برامج العلاجية مستخدماً أسلوب القوة فى علاج الكثير من جوانب الانحراف .

(٤) تنوع الأهداف التي يسعى لتحقيقها :

هناك العديد من الأهداف التي يسعى الإخصائي الاجتماعى لتحقيقها ومنها الأهداف العلاجية والوقائية والانشائية ، ونجد أن دوره فى الاستخدام لدليل الملاحظة كمقياس .. يساعد على قيامه بالدور الوقائى حتى لا تتصرف شخصية الطفل عن الشخصية الإسلامية .. إلا أننا أرى أن وجود الدليل مع الإخصائي الاجتماعى يمكن أن يقوم بأهدافه الإنشائية ، بناء على برامج اجتماعية تتحرك فى الكثير من البرامج المهنية ، وتتحرك أدوار الإخصائي الاجتماعى نحو :

دفع الأفراد إلى إختيار برامج تلفزيونية لها الصبغة الدينية فى الكثير من الأوقات.

دفع أعضاء الجماعات المدرسية إلى إختيار رحلات فيها طابع إسلامى وفى حالة إختيارهم رحلات إلى مدن للترفيه ، يمكن أن يضع فى البرنامج زيادة بعض المتاحف الإسلامية أو الآثار الإسلامية داخل برنامج الرحلة .

عند قيام جماعات المدرسة أو المؤسسات أو الأندية أو الساحات الشعبية بعمل حفلات لابد وأن يوجههم الإخصائي إلى القيام بحفلات لها طابع إسلامى ويساعدهم على سرد القصص الإسلامية والسيرة النبوية وسيرة الأنبياء .

كما نود الإشارة إلى أن قيامه بدوره الإنشائي يمكن أن يتحدد بناء على استخدام الدليل ، لتحديد أي جانب يحتاجه إلى المساعدة نتيحة لبعده أكثر عن الكيان والنهج الإسلامي، مستثمرا برامجه المتنوعة وأنشطته المختلفة وأنواره المتعددة في تحقيق أهدافه العلاجية والوقائية والانشائية .

من خلال هذه العملية البسيطة يتضح لنا أن استخدام الأخصائي الاجتماعي لهذا النموذج كمقياس يفيد ليس فقط لمرحلة الطفولة في مجالها المدرسي ولكن لمرحلة الطفولة في مجالات ومؤسسات متنوعة وبأهداف عديدة أهمها المحافظة على شخصية الطفل المسلم .

الهوامش

- (١) سورة النحل ٨٩ .
- (٢) ج. ل. لوبيه ميل : مقدمة فى مناهج بحث العلوم الإجتماعية ، عرض علا مصطفى أنور : المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٦
- (٣) المرجع السابق ، ص ٦ .
- (٤) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد بالمجتمع المعاصر القاهرة : الأنجلو المصرية ، ج ٣ سنة ١٩٧٢ ، ص ٢٤٥ .
- (٥) ديوبولدن . ن فان دالين ، مناهج البحث الاجتماعى فى التربية وعلم النفس ، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، بدون ص ٤٩١ .
- (6) Selltiz, G,et.sl. Research Methods in Social Relation, Henrs Holt, 1961, p 404.
- (٧) عبد الفتاح عثمان : مقدمة فى الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٩ .
- (٨) سورة طه ١٣٢ .
- (٩) فتح البارى ، ج ١ ص ٥٠٣ .
- (١٠) الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى : رياض الصالحين: القاهرة دار التراث ط ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
- (١١) النووى الدمشقى : المرجع السابق ص ٢٨٢ .
- (١٢) فتح البارى : ج ٩ ، ص ٤٣٨ .
- (١٣) سورة الأنفال ، ٦٠ .
- (١٤) صحيح البخارى .
- (١٥) فتح البارى ص ٩٧ .
- (١٦) عبد الله صالح علوان : تربية الأولاد فى السلم " الجزء الأول والثانى بيروت - دار الطباعة للنشر والتوزيع ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- (١٧) سورة المعارج ١٩ - ٢٣ .
- (١٨) سورة آل عمران ١٠٣ .
- (١٩) صحيح البخارى ، ج ١ ص ٧٣ .

- (٢٠) سورة الحشر ١٠ .
- (٢١) سورة البقرة ٢٣٧ .
- (٢٢) سورة العلق ١ - ٥ .
- (٢٣) عبد الله علوان : مرجع سبق ذكره ص ٢٥٩ .

نحو مكنز إسلامي للخدمة الاجتماعية

أ. زينب عطيه محمد

المستوى الأول

أولا : النظرية
ثانيا : المنهج
ثالثا : التطبيق

المستوى الثاني

أولا : النظرية :

- أ - سنن الله في النفس والمجتمع .
- ب - الضوابط الشرعية .
- ج - مقاصد الخدمة الاجتماعية .
- د - موضوعات الخدمة الاجتماعية .

ثانيا : المنهج :

- أ - مبادئ الخدمة الاجتماعية .
- ب - طرق وأساليب الخدمة الاجتماعية .
- ج - أدوات الخدمة الاجتماعية .

ثالثا : التطبيق :

- أ - الخدمة الاجتماعية كمنه .
- ب - مجالات الرعاية الاجتماعية .

المستوى الثالث

أولا : النظرية :

- أ - سنن الله في الأنفس والمجتمع .
- ١ - سنن فطرية .
- ٢ - سنن ذات علاقة سببية .

ب - الضوابط الشرعية .

١ - عقيدة .

٢ - قيم أخلاقية .

٣ - أحكام تكليفية .

ج - مقاصد الخدمة الاجتماعية .

١ - جانب وقائي .

* سد خلة المجتمع (التكافل الاجتماعي) .

* سد زرائع الفساد (الرعاية الاجتماعية) .

٢ - جانب علاجي .

* الإصلاح الاجتماعي (علاج المشكلات الاجتماعية) .

* تفريج الكرب (علاج المشكلات الفردية) .

* إغاثة الملهوفين (نجده ضحايا الكوارث) .

٣ - جانب إنمائي .

* عمارة الوقت .

- تزكية النفس (الارتقاء الأخلاقي) .

- تهيئة الحياة الطيبة (الارتقاء الاجتماعي) .

د - موضوعات الخدمة الاجتماعية .

١ - الرعاية الاجتماعية .

٢ - التنمية الاجتماعية .

٣ - المشكلات الفردية الاجتماعية .

٤ - الإصلاح الاجتماعي .

ثانيا : المنهج :

أ - مبادئ الخدمة الاجتماعية .

١ - الرفق في المعاملة (التقبل) .

٢ - التدرج في تعديل السلوك .

٣ - مراعاة اختلاف البشر (الفروق الفردية) .

٤ - الستر والسرية .

٥ - المحاسبة والمراقبة (التقويم الذاتي) .

٦ - المجاهدة واستفراغ الوسع (المساعدة الذاتية) .

٧ - التعاون والمشاركة الايجابية .

٨ - لاضرر ولاضرار (المصلحة الشخصية في إطار المصلحة العامة) .

ب - طرق وأساليب الخدمة الاجتماعية .

- ١ - العمل مع الأفراد .
- ٢ - العمل مع الجماعات .
- ٣ - تنمية المجتمع المحلى .
- ٤ - التخطيط والسياسة الاجتماعية .
- ٥ - الإدارة فى الخدمة الاجتماعية .
- ٦ - البحوث فى الخدمة الاجتماعية .

ج - أدوات الخدمة الاجتماعية .

- ١ - المقابلة الفردية .
- ٢ - الزيارة المنزلية .
- ٣ - المقابلة الاجتماعية .
- ٤ - اجتماعات الجماعة .
- ٥ - تصميم البرامج .
- ٦ - التسجيل .

ثالثا : التطبيق :

أ - الخدمة الاجتماعية كمهنة .

- ١ - سمات شخصية (الأخصائى الاجتماعى) .
- ٢ - الإعداد العلمى .
- ٣ - التدريب الميدانى .
- ٤ - التنظيم المهنى .

ب - مجالات الرعاية الاجتماعية .

- ١ - المساعدات العامة .
- ٢ - رعاية الأسرة .
- ٣ - رعاية الطفولة .
- ٤ - رعاية الشباب .

- ٥ - رعاية المسنين .
- ٦ - رعاية المعوقين .
- ٧ - رعاية الأحداث .
- ٨ - رعاية المسجونين .
- ٩ - الرعاية الصحية الاجتماعية .
- ١٠ - الرعاية النفسية الاجتماعية الطبية .
- ١١ - الرعاية الطبية الاجتماعية .
- ١٢ - مجال مكافحة المخدرات وعلاج الإدمان .
- ١٣ - مجال التربية والتعليم .
- ١٤ - الرعاية العمالية .
- ١٥ - الرعاية الاجتماعية فى مجال القوات المسلحة .
- ١٦ - المجال الأمنى والشرطة .
- ١٧ - الكوارث والإغاثة والتجهيز .
- ١٨ - الإسكان والمواصلات .
- ١٩ - تنمية المجتمعات الريفية والصحراوية والحضرية .
- ٢٠ - التعاون الدولى والاقليمى .
- ٢١ - مجال الدعوة إلى الله .
- ٢٢ - رعاية معتنقى الإسلام حديثا .

المستوى الرابع

أمثلة من النظرية :

- أ - سنن الله فى الناس والمجتمع .
- ١ - سنن فطرية : أمثلة منها .
- العبودية لله وحده .
- الاستخلاف فى الأرض .
- البداية العامة (هداية النجدين) .

- أمانة الفطرة (الاختيار - الإرادة) .
- وحدة الإنسان (جسد - روح - وجدان - عقل) .
- الإنسان عرضه للأغيار (التغير النفسى والبدنى) .
- حب الشهوات (الغنى - الحس - الإنجاب - المال - الجاه) .
- الاختلاف بين البشر (الخلق - الخلق - الأرزاق - الآجال) .
- القابلية لتعديل السلوك (الاستعداد الفطرى) .
- التعارف والتكامل والتعاون (الإنسان كائن اجتماعى) .
- الإنسان عرضه للفناء (إخفاء مكان وزمان وكيفية الموت) .
- القضاء والقدر (الابتلاءات) .
- مداولة الأيام بين الناس (التغير الاجتماعى) .
- الرزق (ضمانه - تقديره - إخفاؤه - التفاوت فيه) .
- ٢ - سنن ذات علاقه سببيه .
- السلوك الإنسانى والأحداث الكونية .
- التغير النفسى والتغير الاجتماعى .

ب - الضوابط الشرعية .

١ - العقيدة .

- التوحيد .
- الإيمان بالله تعالى .
- الإيمان بالملائكة .
- الإيمان بالكتب المنزلة .
- الإيمان بالرسول .
- الإيمان باليوم الآخر .
- الإيمان بالقدر خيره وشره .

- الأسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - القيم الأخلاقية :

- بر الوالدين .

- صلة الرحم .

- التعاون على البر والتقوى .

- الإحسان .

- الخير والبر .

- المعروف .

- الإيثار والعطاء .

- نصرة المظلومين .

- إغاثة الملهوفين .

- تفريج الكرب .

- الستر للمسلم ورعاية الحرمات الخاصة .

- إصلاح ذات البين والإصلاح بين الأخوة .

- الإصلاح بين الناس .

- النصيحة .

- التنافس الحمود والمساعدة فى الخيرات .

- التواصى بالحق والصبر والرحمة .

- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

- كف الأذى عن الناس .

- الأمانة فى المعاملات .

- الصدق والأخلاص .

- الوفاء بالوعد .

- التسامح والعفو والحلم وكظم الغيظ .

- التواضع .

- العدل الاجتماعى والمساواة .

- ... الرضا بقضاء الله وقدره .
- المسئولية الفردية والاجتماعية .
- الشورى .
- تأكيد قيمة العمل .
- تأكيد قيمة الوقت .
- ٣ - أحكام تكليفية لها علاقة بالخدمة الاجتماعية .
- أ - فيما يتعلق بالسنن الفطرية .
- الميثاق الفطرى .
- غمارة الأرض والاصلاح .
- تجنب الإفساد فى الأرض .
- التكليف والمسئولية والجزاء (التكليف بالوسع - رفع الحرج) .
- التوازن فى إشباع الملكات .
- التحكم فى الانفعالات .
- الفلاح لمن زكى نفسه .
- الخيبة لمن دس نفسه .
- مشروعية التوبة (المحاسبة - المراقبة - المجاهدة)
- عقد الزواج بشروطه - الاتيان المشروع للزوجة .
- الإنجاب المشروع - تجنب أبناء السفاح .
- حفظ العائلة - القيام بمسئوليتها .
- حفظ النفس (من المكروه والانتحار والإدمان والضياع).
- حفظ المال (الكسب الحلال - الإنفاق فى الحلال
- الاعتدال فى الانفاق - مراعاة مصالح الآخرين أداء حق الآخرين فى المال - الشكر لله) .
- تسخير الكون للانسان لعمارتة .
- تسخير البشر بعضهم لبعض للتكامل والتعاون بينهم .

- تقسيم المعيشة بين الناس للابتلاء والرضا بالمقسوم .

- تداول الأيام بين الناس للابتلاء .

- تفاوت الدرجات بتفاوت المساعي .

- الرزق على قدر الهمة .

- الأخذ بالأسباب وربط الأسباب بالمسيبات .

- التوكل على الله والتسليم له وتفويض الأمر لله .

- فتنه الناس بعضهم لبعض للابتلاء .

- ابتلاء الشهوات (السراء والضراء - الرخاء والشدة) .

- ابتلاء الشبهات (الشك - الكفر - النفاق) .

ب - فيما يتعلق بالسنن ذات العلاقة السببية .

١ - السلوك الانساني والأحداث الكونية - المعاصي والكوارث .

الأحكام التكليفية - تقوى الله - انتشار الفساد والإهلاك بالذنوب

٢ - التغير النفسى والتغير الاجتماعى - الاستغناء والطغيان

- البسط والبغى فى الأرض .

- الترف والظلم .

- الانعام والاعراض .

الأحكام التكليفية - السراء والبطر .

- الشكر فى السراء - الضراء والقنوط .

- الصبر فى الضراء - التمتع والعتى ونسيان الذكر .

- اداء حق الله فى المال - الإعطاء والاكداء .

ج - أحكام لها علاقة بموضوعات الخدمة الاجتماعية .

١ - الرعاية الاجتماعية

فيما يتعلق برعاية الحقوق الانسانية .

- حقوق الوالدين :

البر والإحسان بينا - الطاعة - النفقة الإرث من الأبناء .

- حقوق الزوج :

القوامة

الطاعة

إحسان العشرة

الاستمتاع

قرار الزوجة فى البيت - السكن والمودة والرحمة

العدة والاحداد عند الوفاة - الإرث فى حالة وفاة الزوجة

- حقوق الزوجة :

الصداق

النفقة

الاستمتاع - عدم العزل

إحسان العشرة - المودة والرحمة

العدل بين الزوجات - الإرث فى وفاة الزوج

- حقوق المطلق :

العدة

الإمساك

عدم كتمان ما فى الأرحام

- حقوق المطلقة :

نفقة العدة - المتعة

التسريح بإحسان

عدم الإضرار ببا أو العضل

الخلع - الافتداء

- حقوق الحوامل والمرضعات :

الإنفاق عليهن .

مشروعية أخذ أجر على الإرضاع

السكنى المناسبة

استئجار مريض

- حق الجنين :

الحياة وتحريم الاجهاض

- حق الأيامي (العوانس والمطلقات والأرامل)

التزوج للعفة والإحصان والستر

- حق الطفل :

الحياة

الانبات الحسن

صلاح الأم

العدل بين الأبناء

الإنفاق عليهم - الولاية والرعاية

الإرث من الوالدين

- حق نوى القربى :

صلة الرحم

الإنفاق الواجب

الستر والمواساة

- حق اليتامى :

الولاية والكفالة .

الرفق والرحمة بهم .

- حق المساكين والفقراء : سد الخلة .

- حق السائل والمحروم : العدل الاجتماعي .

- حق القانع والمعتز : توفير حد الكفاية

- حق الجار :

الإحسان إليه

أمن البوائق

- حق أبناء السبيل : الإعانة والإيواء .

- حق الضيف : القرى والضيافة والإكرام .

- حق الغارمين : سداد ديونهم

- حق المشردين

الإيواء

إكرام المثلوى

- حق المسنن

الإكرام والرعاية

- حق المرضى

العلاج

العيادة

- حق المنبوذ

الإلتقاط

الكفالة والولاية

- حق الملهوفين

الإغاثة

- حق المظلومين

النصرة

- حق المستضعفين

الرعاية والولاية

- حق الخدم

الإحسان

الرفق

الإعانة على ماغلبهم

- حق ضحايا الحروب والكوارث

النجدة

الإيواء

العلاج

التأهيل

التهجير والتوطين والتعمير

- حق العامل

الأجر العادل الفوري

الراحة

عدم السخرة

- حق العمل

الإتقان

الإخلاص

- حق الصحبة

النصيحة

الإعانة

الأخوة

- حق المواطن

القرار في وطنه

- حق أهل الذمة

التسامح

الحماية نظير الجزية

- حق الناس

الإصلاح بينهم

كف الأذى عنهم

- حق الطريق

غض البصر - كف الأذى - إمالة الأذى عن الطريق - هداية

الأعمى - إعانة المظلوم - إرشاد السبيل - إعانة على الحمولة -

حسن الكلام - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

- حق الموتى

الفُسل

التكفين

الصلاة عليه

إكرامه بالدفن - مواراته التراب

سداد ديونه

إنفاذ وصيته

حق الحيوان

الرفق به

٢ - التنمية الاجتماعية

أحكام تكليفية لها علاقة بالتنمية الاجتماعية

- استباق الخيرات (المبادرة والتنافس المحمود)
 - تسخير الناس بعضهم لبعض (تحقيق التكافل الاجتماعى)
 - تكريم الانسان (توفير حد الكفاية للفرد)
 - التعاون على البر والتقوى (المشاركة الإيجابية)
 - الإيثار رغم الخصاصة (التطوعية والغيرية)
 - الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله
 - لا ضرر ولا ضرار (مراعاة مصالح الآخرين)
 - استغراغ الوسع (استثارة الطاقات المعطلة والموارد الكامنة)
 - نبذ الاسراف والتقتير - الاعتدال والقوام
 - نبذ التواكل والبطالة والكسل والعجز
 - الكد والك (تأكيد قيمة العمل وإتقانه والمثابرة عليه)
 - استثمار وعمارة الوقت (تأكيد قيمة الزمن تربويا واجتماعيا)
 - الأمر بالعُرف - العادة محكمة (العادات والتقاليد والأعراف - الدارسة - الترشييد - التحكيم)
- ٢ - المشكلات الفردية والاجتماعية :

أحكام تكليفية لها علاقة بالمشكلات

- النهى عن الأضرار بالذات (الانتحار - الإدمان - الضياع)
- النهى عن الأضرار بالغير (القتل - الايذاء - المكر السيئ)

- النهى عن التقصير فى حقوق نوى القربى (قطيعة الرحم)
- النهى عن عقوق الوالدين .
- النهى عن أكل الأموال بالباطل (الميسر - الربا - السرقة - السحت - النصب والاحتيال)
- النهى عن استغلال أموال اليتامى إلا بالتى هى أحسن - النهى عن دع اليتيم.
- النهى عن انتهاك حرمة الأعراض (الزنا - النظر للمحرمات - هتك الأعراض - قذف المحصنات الجنسية المثلية)
- النهى عن انتهاك حقوق الغير (الغيبه والنميمة - الاحتيال والطمع والجشع - السخرية - التجسس - الحقد والحسد) .
- النهى عن انتهاك حقوق المجتمع (الرشوة - الوساطة والشفاعة السيئة - استغلال النفوذ) .
- النهى عن الإفساد فى الأرض (الحرابة - شهادة الزور - تهريب وتجارة المخدرات)

٤ - الإصلاح الاجتماعى

أحكام تكليفية لها علاقة بالإصلاح الاجتماعى

- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- التعزيز (الدفاع الاجتماعى)
- الحدود
- التحكيم فى الخلافات الزوجية
- الإصلاح بين الناس (الإصلاح بين الاخوة - إصلاح ذات البين)
- الكفارات (جزاءات مادية وعينية)
- أساليب العلاج الفردى : مشروعية التوبة - التطهير النفسى - تزكية النفس - الصدقة تطهير وتزكية - الترغيب والترهيب - تقوية الإرادة بالمجاهدة بالصوم والصبر - ذكر الله (الصلاة وقراءة القرآن الدعاء - التسبيح والتحميد والاستغفار) .

د - أحكام تكليفية لها علاقة بمقاصد الخدمة الاجتماعية :

- سد ذرائع الحاجة :

التكافل الاجتماعى

- المال مال الله والانسان مستخلف فيه
 - إداله الثروة
 - الزكاة فريضة اجتماعية
 - نوافل الصدقات
 - الإنفاق الواجب
 - الإنفاق فى سبيل الله
 - إنفاق العفو
 - القرض الحسن
 - الحض على طعام المسكين
 - سد ذرائع الفساد : درء المفاسد
 - حماية الأعراض (تحريم الزنا - غض البصر - حفظ
الفرج - الحجاب - تضيق دائرة الاختلاط) .
 - حماية الأنساب (حفظ العائلة - تشجيع الزواج)
 - حماية النفس
 - حماية العقل
 - حماية الدين
 - هـ - أحكام تكليفية لها علاقة بمنهج الخدمة الاجتماعية
- ١ - المبادئ :

- الرفق والتيسير ورفع الحرج - المشقة تجلب التيسير
(التقبل)
- التدرج فى تعديل السلوك (آيات تحريم الخمر على مراحل
تدرجية)
- اختلاف البشر - كل ميسر لما خلق له - كل يعمل على
مشاكلته (الفروق الفردية)

- المحاسبة والمراقبة الذاتية (التقويم الذاتى)
- المجاهدة واستفراغ الوسع (بذل الجهد والمساعدة الذاتية)
- الستر ورعاية الحرمات الخاصة (السرية)
- لاضرر ولاضرار (المصلحة الشخصية فى إطار المصلحة العامة)
- التعاون والتنافس واستباق الخيرات (المشاركة الايجابية)

٢ - الطرق والأساليب :

- العمل مع الأفراد : الدين النصيحة (الأرشاد والتوجيه الاجتماعى)
- العمل مع الجماعات : التواصى والتناهى والأخوة الإسلامية (التفاعل الجماعى الموجه)
- تنمية المجتمع : الدعوة إلى الخير - التعاون على البر
- إدارة المؤسسات الاجتماعية : الولاية على النفس (الناقص الأهلية)
- تخطيط وسياسة اجتماعية : درء المفسد مقدم على جلب المنافع
- بحوث اجتماعية : حصر مصارف الزكاة فى ثمانية يقتضى البحث الاجتماعى «إنما الصدقات ...» إنما تفيد الحصر

٣ - الأدوات :

- المقابلة الشخصية : الستر ورفع الحرج
- الزيادة المنزلية : عيادة المريض - المواساة - تفقد الأحوال
- المقابلة الجماعية : التواصى والتناهى
- الاجتماعات : الشورى - الجدل بالتى هى أحسن
- تصميم البرامج : التعارف - استثمار الوقت - السير والنظر والاعتبار
- التسجيل : تأكيده « كتابة الدين »

و - أحكام تكليفية لها علاقة بالتطبيق :

- المهنيون :

أحكام تكليفية خاصة بهم

- مشروعية أخذ الأجر على الخدمة الاجتماعية

بتخصيص مصرف للعاملين عليها « انما الصدقات ...
والعاملين عليها ..

- التصدي لتحمل المسؤولية « اجعلنى على خزائن الأرض .. »

- المبادرة والنجدة « فاستبقوا الخيرات .. »

مدخل جديد فى علم الترويح من خلال النظرة الإسلامية

أ. يحيى بسيونى مصطفى

مفهوم علم الترويح

علم الترويح ، من أحدث العلوم الانسانية التى تهتم ببرامج شغل أوقات فراغ الانسان ، والنشاطات التى يقوم بها ، والنظريات التى تحدد أنواع وأشكال وأساليب هذه النشاطات ، حتى يتحقق للانسان التوازن المطلوب فى حياته ، ليواصل المهام العملية الجادة فى حياته ...

والمعروف أن المرء يعمل ويكدح وينتظر وقت الفراغ ليستمتع بنشاط مغاير ينعشه ، يسريه ، ويزيل عنه المشقة والتعب البدنى أو العقلى الذهنى أو النفسى ، فتتحقق له الراحة . والنشاط الترويحى هو الحالة التى تصاحب الانسان عند ممارسته لنشاط يحب لديه يأنس له ويستمتع به . وقد يكون هذا النشاط جسمياً أو عقلياً أو وجدانياً . وقد استخلص هذا العلم الحديث من عدة علوم انسانية وفنون مثل علم الاجتماع وفن الخدمة الاجتماعيه فى مجال خدمة الجماعة Group Work وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم الاتصال ، والنظريات التربوية ، وفنون الادب والدراما ، والتربية الرياضية ، وفنون الصياغة السينمائية والتليفزيونيه والاذاعة ، ويعتبر الترويح علماً ، وفناً وطريقة ..

أ - فمن حيث انه علم انه قائم على نظريات أسست بالتجريب والممارسات وتلافى الأخطاء حتى رسخت المبادئ والأسس التى يقوم عليها .

ب - ومن حيث أنه فن فذلك يرجع إلى ما يكتنف النشاطات الترويحية من عمليات إبداعية قد تكون فى معظم أحوالها جمالية وتكوينية ، وقد تعتمد على المهارات الفردية والجماعية ، وتخضع للنوق الشخصى أو الجماعى .

ج - ومن حيث أن الترويح عملية Process . فذلك لاعتماد الترويح على طرق محددة واضحة يظهر فيها المؤثر والمتأثر وموضوع الاثارة أو أدواتها ..

تعريف الترويح

اختلف المتخصصون فى تفسير معنى الترويح وتعددت تعريفاتهم فهناك من يربط بين الترويح والغرض الذى يؤديه ، ويعبر عن ذلك بأن الترويح هو التسرية عن النفس...^(١) .

وهناك آخرون يعرفون الترويح بأنه الرياضة أو النشاط البدنى (٢)

وهناك من يعتبرون الترويح (التعبير المضاد للعمل) على أساس أن الإنسان قليلا ما يجد فى عمله نوعا من الترويح .(٣)

وهناك من يعرف الترويح بأنه (التسلية أو التغير)

ومعظم هذه التعاريف وغيرها لها صفة العمومية ، ولاتعطينا المعنى الوافى الجامع المانع ، لأن الترويح فى حد ذاته ، هو إشباع حاجة من حاجات الانسان الأساسية ، وشأنه فى هذا كالحاجة إلى الطعام ، أو الحاجة إلى الأمن والطمأنينة .. إلى غير ذلك من حاجات الانسان ..

والواقع أن الترويح يشمل كل مايقوم به الانسان من نشاط لمجرد رغبته التلقائية الحرة .. على أن يكون هذا النشاط مقبولا ومفيدا واستجابة لدافع نفسى ، وليس للكسب المادى ..(٤)

وقد توصل الباحث لتعريف يشمل معظم التعريفات السابقة مستفيدا بالمعانى الاصطلاحية واللغوية ويوفق بين النظريات التى عرفت الترويح ويتلخص فى الاتى :-
(الترويح هو طريق للحياة الانسانية) يتحقق بأداء أنشطة بدنية أو عقلية أو فنية ، تغير نوع العنل ، وتتم وفق الرغبة التلقائية الحرة ، وتحقق النفع العام أو الشخصى ، فى اطار الضوابط الخلقية والاجتماعية المنبثقة من الدين والعرف . ،

أهمية الترويح فى حياة الانسان

يعتبر الانسان المؤثر الحقيقى لتوجيه الحضارات ، حيث وهبه الله نعمة قوة البدن ونعمة العقل والفكر ، وازضافة إلى القدرات الخاصة والمهارات وهو بهذا يعتبر المؤثر فى الحياة واتجاهاتها . فكرا وعملا وانتاجا وعلى هذا فالدراسات الانسانية تهتم بموضوع الانسان من كل جوانبه بدنه وأجهزته وأعضائه ، للتعرف على طبيعته ونظامها ووظائفها ومايعرى الجسم من علل أو قصور .. بقصد زيادة كفاءة هذا الجسم ووقايته .. وأيضا تهتم الدراسات الانسانية بالنفس الانسانية من حيث طبيعتها وخصائصها وتأثيرها ، وسلوكها ، وبواقعها ، والذكاء الموروث والمكتسب ومايطرأ عليها من أحوال أو جنوح .. بل أحداث التكيف المناسب مع البيئة والظروف والمجتمع لتحقيق الطمأنينة والاستقرار النفسى ، فيزيد عطاء الانسان للمجتمع بصفاء نفسه وأمنها وسلامها .

ويشمل اهتمام تلك الدراسات مجال تربية الانسان وتعليمه لاكساب الانسان مجموعة المعارف والمهارات والأساليب الجيائية ، ودراسة قدراته العامة وتنميتها والافادة منها ، والتوصل إلى القواعد والقوانين التي تعلم حسن انتظام الفرد مع المجتمع وادائه واجباته وأخذه حقوقه . وتمتد دراسة العلوم الانسانية إلى الاقتصاد والسياسة ، والاجتماع وعلوم الاتصال .. وكلها تسعى إلى دراسة الانسان وامكانية تحقيق أكبر نفع له ليتحقق بالتالي النفع الأعم على المجتمع ..

وتهتم هذه الدراسات بعامل الوقت لدى الانسان فتدرس مدده في العمل ، ومدد الفراغ ، والأنشطة المناسبة التي تشغل مدد الفراغ .. ولقد حظى موضوع الترويح باهتمام المفكرين منذ أوائل القرن العشرين حيث أن الإنسان يعيش في حياته بأذلا جهدا وطاقة في اداء عمل يعيش من ناتجه وتعارف الناس على أن هذا الوقت يسمى وقت العمل او الشغل وما تبقى بعد ذلك ، يسمى وقت الراحة والفراغ .. وقضاء الفراغ ضرورة حيوية لاتقل عن ضرورة انجاز الأعمال والانتاج حيث ان الاستمرار الالى في نشاط العمل يورث الملل والكلل وقد يؤدي إلى فتور الهمة واسترخاء العزيمة ، والترويح ضرورى للنفس لشعور الانسان بالرضا والسعادة والاستجمام فيتجدد النشاط وهذا يدفع إلى العمل من جديد ، ومع تعاقب اللونين من ألوان الحياة ، شغلها وراحتها ، ومع حسن استخدام تلك الألوان الحياتية يتحقق الانتاج الأوفر والسعادة والصحة واستدامه العمل ..

وللترويح قيمة علاجية لمن وقعوا فريسة للأمراض النفسية والاكتئاب ، بجانب القيمة الوقائية في حياة الناس ، وقد توصل علماء النفس إلى حقيقة أنه من الممكن دراسة شخصية الفرد وتحليلها وعلاج انحرافها عن طريق دراسة أنواع سلوكه وتصرفاته في أوقات فراغه ، أى عندما يكون حرا طليقا على سجيته بعيدا عن قيود العمل والتزاماته . وقياسا على ذلك من الممكن تقويم حضارة شعب معين عن طريق معرفة وسائله في استخدام وقت الترويح ..

ولاتوجد أساليب موحدة في الترويح لكل الشعوب على الأرض، حيث أن أساليب الترويح تختلف باختلاف الشعوب والأقوام ، وحيث ان لكل شعب شخصيته المتميزة . لذلك فانه من الخطأ أن تستهويننا بعض أساليب الترويح في المجتمع الأمريكى أو الأوروبى مثلا فننقلها بحذافيرها إلى بلادنا الإسلامية دون التفكير في مدى توافق تلك الاساليب الترويحية مع شعوبنا وتقاليدها وعاداتنا وثقافتنا ودون تحويل تلك الأساليب حتى تتفق مع واقعنا الإسلامى .

السياسة العامة الترويحية المفقودة فى العالم الإسلامى

من العجيب الغريب ان دول العالم الإسلامى لاتملك (سياسة عامة للترويح) داخل حكوماتها ، بل ترك أمر الترويح على أنه فضل زائد لاشأن للدول به .. اللهم إلا بعض الدول التى أقامت منشآت رياضية أو اجتماعية للشباب فقط.. وهذا أيضا قد تم بعيدا عن (سياسة عامة) مرسومة بالشكل الشمولى أدى لتتم خدمة قطاعات الشعوب وفئات أعمارهم وجنسهم .. واعتمدت الخطط الترويحية – إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير على ما يوجد من خدمات متقطعة غير ثابتة – على المستورد – المنقول بحذافيره من فكر غير إسلامى ومن مصادر غير إسلامية .

إن غياب (السياسة العامة الترويحية) عن المساحة الاجتماعية بشكل أمرا له خطورته ، وسياسة الارتجال والاجتهاد اللحظى الذى تقوم بشكل انفعالى بين عام وآخر تحت مسميات خدمة ورعاية الشباب أو انشاء مسرح الطفل أو بناء داراً للترفيه وانشاء حديقة عامة أو تكوين معسكر دائم للكشافة – كلها مشروعات لها فضلها وخدمتها ولكن غياب (السياسة العامة) الشاملة والتى تفى بحاجات القطاعات المختلفة تجعل إنشاء مثل هذه المشروعات – أمرا مقطوع الصلة بالخطة العامة للدول ، وتغفل أهمية الخدمة الترويحية وبنورها فى التنمية البشرية واسعار المواطنين (والسياسة العامة) فى مفهومها العام .. لاتعطى جانبا من الأهمية لنشاط دونه آخر ، ولا لفئة دونه أخرى ، ولكن الفصيل فى الأمر للآراء العلمية ولنتائج البحوث والدراسات واستطلاعات الرأى والتعرف العلمى على احتياج القطاعات والفئات وعلى مستوى المدن الكبرى والقرى وتتبع الانسان فى كل مكان .

وإذا كانت الدول عامة تحتاج إلى (سياسة عامة ترويحية) فإن دول (العالم الإسلامى) فى مسيس الحاجة إلى هذه السياسة العامة للأمور الآتية :-

(١) المجتمعات الإسلامية مستهدفة للتأثير على عقيدة شعوبها ، ثم لسحب مؤسساتها وتنظيماتها إلى النظم والمعسكرات الشرقية أو الغربية واتباع سياسات تبعد كل البعد عن الدين والإسلام .. ويستخدم هذا التأثير المجالات الثقافية والاجتماعية من خلال البرامج الترويحية التى تعمل بالتدريج على الايمان بفكرة الانسلاخ عن السلوك الإسلامى ، وفكرة حصر الدين فى الجانب التعبيرى فقط وجعله علاقة

شخصية بين الفرد وربه .. ثم الترويج للأفكار المادية والنظرية النفعية والدعوة غير المباشرة الى الصراحة الجنسية والإباحة ، والمبادئ الأخرى التى تضاد الإسلام فكراً واعتقاداً وسلوكاً .. وتلعب القصة والرواية والمسرحية والفيلم السينمائى والمسلسلة التليفزيونية اليومية واللوحات التشكيلية المرسومة والافغانى ذات - المضامين المتنوعة .. دوراً له خطورته فى التأثير ..

وهذا يتطلب من الدول الإسلامية ان تضع الأسس القوية الشاملة لرعاية أفرادها وجماعاتها حسب فئاتهم المختلفة .. وتكون (السياسة الترويجية العامة) بأسسها وخططها ومايتبع ذلك من نشاطات وبرامج وقاية ضد تيارات الغزو الفكرى .

(٢) لقد سيطر الإستعمار على كثير من دول العالم الإسلامى خلال حقبة طويلة من الزمن . وعمل المستعمرون على القضاء على اللغة العربية التى هى لغة دين الإسلام. كما عملوا على تسفية العادات والقيم التى تسود مجتمعات المسلمين وعلى تحطيم الشعور بالولاء للأفكار والثقافة بالتخلف مرة ووسموها بالرجعية مرات وأقاموا - هم وأتباعهم - الحرب الضارية الواضحة والمستترة على كل من ينادى بالعودة الى منابع الدين أو تجديد الفكر الإسلامى أو الدعوة إلى الحفاظ على الكيان الإسلامى .. وقد أدت هذه الحروب إلى انحراف كثير من الناس عن الأخلاقيات الإسلامية والتقاليد والعادات الإسلامية .

أما وقد تطهرت هذه الدول من رجس الاستعمار ، فقد أن لها أن تتجه نحو التقدم معتمدة على (سياسات عامة) وخطط بعيدة الان ، وقصيرة ومرحلية فى شتى مجالات الحياة ، هذه السياسات تركز أولاً وأخراً على التراث الإسلامى الأصيل ، والقيم الإسلامية المستمدة من توجيهات رب العالمين وسنة الرسول الخاتم .

(٣) بلاد العالم الإسلامى تمتاز بصيف طويل ، وعطلات دراسية كثيرة مع جهل الكثير من الناس بقيمة الاستفادة من أوقات الفراغ ، وعدم وجود (سياسة عامة) تضم توجيه الفتيان والفتيات لاستثمار تلك الثروة الهائلة من هذا الوقت الثمين فى ترويج يعود على الأفراد وعلى المجتمع بالنفع .. ولاشك لدى أن سوء استخدام هذه الثروة الطائلة من الوقت يؤدى إلى كثير من المشكلات الاجتماعية

والاقتصادية والخلقية ، وكل هذا يؤدي إلى تهديد كيان الأمة ، ومعروف قيمة الوقت والمحافظة عليه في التصورات الإسلامية (٥) .

إن غياب (السياسة الترويحية العامة) مع الجهل لأصول الاستمتاع بوقت الفراغ يؤدي بالناس إلى نوع من الكسل والجمود وفي هذا السلوك تخلف للأمة وتعطيل للمكاتب يجب أن تستثمر ومواهب يلزم أن تكتشف وتتطور ، وطاقات من الأهمية تفجيرها والاستفادة من ورائها وفي وجود السياسة العامة للترويح ستتم عمليات التوعية بقيمة ووقت الفراغ واستثماره وتوضيح مردوده على الاتزان النفسي وأثره على الأفراد والجماعات والمجتمع الأكبر .

أنواع النشاط الترويحي

قد يكون تقسيم النشاط الترويحي إلى أنواع مختلفه من الضرورات التي يتطلبها البحث العلمي ، إلا أن الهدف من التقسيم هو الذي ينبغي أن يحدد الطريقة التي نتبعها ومن ثم تتعدد الأقسام بتعدد الزوايا التي ينظر فيها إلى ذلك الهدف وتلك الأهداف .

فيمكن مثلا تقسيم النشاط الترويحي - من زاوية أنه نشاط إنساني : إلى نشاط فردي وجماعي ، كما يمكن أن يكون سلبيا أو ايجابيا ، تلقائيا أو موجه .

ويمكن من ناحية مراحل النمو : أن يقسم إلى ترويح خاص بالأطفال أو - بالفتيان أو الشباب أو الشيوخ والكهول ، ويمكن من ناحية الطابع البيئي ، أن ينقسم إلى ترويح ريفي أو حضري أو بدوي ، زراعي أو عمالي .. إلى غير ذلك من أقسام لا تقع تحت حصر ، ولكل منها قيمة تحليلية معينة ..

وفي هذا البحث المختصر يرى الباحث أن يكون التقسيم على أساس الغرض أو على أساس أنواع الخدمات والفوائد التي يمكن أن يحققها النشاط الترويحي للإنسان فقد يؤدي الترويح خدمات بدنية أو نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية ..

وعليه .. فإنه يمكن تقسيم النشاط الترويحي إلى أربعة أنواع رئيسية هي :

الترويح البدني أو الجسماني والترويح النفسي والترويح الاجتماعي والترويح الاقتصادي .

وهناك حقيقتان ينبغي أخذهما فى الاعتبار عند تقسيم أنواع النشاط الترويحى على أية صورة من صور التقسيم هى :-

أولا : أن كلا من تلك الأنواع لا يمكن أن يكون مستقلا بذاته دون أن تدخل فيه عناصر أخرى بشكل أو آخر ، فالترويح النفسى قد يحقق فوائد جسيمة أو اجتماعية أو اقتصادية .. ومن المؤكد ان النشاط الثقافى سيدخل ضمن النشاط الاجتماعى وأن النشاط الكشفى سيدخل ضمن النشاط البدنى أو الجسمى .

ثانيا : أن الطريقة التى اتبعت فى هذا التقسيم لاتمنع الاستعانة بالتقسيمات الأخرى التى سبق ذكرها باعتبارها تقسيمات فرعية يتضمنها كل نوع من الأنواع الأربعة وسوف يلجأ الباحث إلى هذه التقسيمات كلما دعت الضرورة إلى ذلك ...

(١) الترويح البدنى أو الجسمانى :

يعرف الانسان منذ العصور الأولى للتاريخ قيمة الحركة فى تنمية العضلات واكتساب القوة ، وقبل اكتشاف طاقات البترول والبخار واختراع الآلات التى خفضت عن الانسان المجهود البدنى فى شتى مجالات الحياة اليومية ، كان على الانسان ان يعتمد كثيرا على قوته البدنية وعضلاته مما ساعد على سلامة أعضائه وأجهزته البدنية .. وبظهور الطاقات المختلفة والسيارات والآلات - وبخولها فى حياة الانسان .. قل المجهود البدنى مع زيادة وقت الراحة والفراغ .. وأصبحت حياة الانسان مهددة بالخطر. لذا أصبح من مسلمات الأمور أن يحصل كل فرد على قدر من الترويح الجسمى أو البدنى الذى يتناسب مع سنه وحالته .. للوقاية أو العلاج .

ويينفى أن يخضع الترويح البدنى لتحقيق أهداف بعينها منها (١) مساعدة الجسم على النمو الطبيعى فى الأعمار المختلفة . (٢) تقوية كفاءة العضلات وأجهزة الجسم . (٣) تنمية التوفيق الحسى العصبى والحركى . (٤) بث الحيوية فى الجسم . (٥) الوقاية من الأمراض . (٦) تنمية القدرة على الدفاع عن النفس . (٧) استكمال تناسق الجسم وتجميل القوام وتحسين اللياقة .

(٢) الترويح النفسى .

وينطوى تحته كل نشاط ترويحى تبرز فيه العوامل النفسية بشكل واضح . ويكاد يكون لعب الأطفال الصغار تعبيرا نفسيا، وأما الكبار فيتمثل الترويح عندهم فى كثير

من أنواع التسلّيات البريئة الهادئة التي قد تحتاج إلى عنصر التفكير والذكاء أو تتمثل في ميل الإنسان إلى المرح والضحك والاستماع إلى النواذر والفكاهات أو الاسترواح باشباع حب الاستطلاع كما في ارتياد المتاحف والمعارض وقراءة القصص والمغامرات. والترويح النفسي إما أن يكون تلقائيا أو موجها . والنوع الأول يأخذ طابع اللعب الحر ، وإذا استخدمت القياسات والتسجيلات كانت له فائدة تشخيصية أو تحليلية .. ومن المعروف أن بعض اختبارات الذكاء ووسائل التحليل النفسي تعتمد على التداعي الطليق الحر للمعاني والأفكار التي تتوارد على ذهن الفرد حينما يكون في حالة استرخاء وهنوء . فإذا أحسنت طريقة استخدام التداعي الطليق في اللعب مع استخدام دراسة سلوك الفرد عن كتب كانت تلك وسيلة هامة من وسائل تفهم الشخصية .

أما الترويح النفسي الموجه فهو الذي يتدخل فيه الرائد بتوجيه مباشر أو غير مباشر ولهذا النوع وظائف هامة في الناحيتين الوقائية والعلاجية ..

(٣) الترويح الاجتماعي والثقافي :

أ - الاجتماعي : ويهدف إلى تدعيم العلاقات بين الأفراد والجماعات على أساس الصداقة والتعاون ويهدف أيضا إلى تشجيع التطوع للخدمات الاجتماعية بمختلف أنواعها . وبعد هذا النوع من أعظم أنواع الترويح شأننا وأكثرها دلالة على رقي المجتمع ونضوجه^(٦). حيث أن الترويح الاجتماعي ايجابي بطبعه وهو يتوقف على ما يبذله الأفراد من تضحية في سبيل خدمة المجتمع ، وقد تختلف تلك التضحية من فرد لآخر كما وكيفا وسواء كانت التضحية بالوقت أو الجهد أو المال أو به جميعا كما تختلف أيضا من ناحية الدوافع من دينية أو أخلاقية أو عنصرية أو غير ذلك .. ولكنها مهما اختلفت تنتهي دائما عند هدف واحد هو السعادة والشعور بالارتياح بعد الاحساس بإسعاد الآخرين أو التخفيف عنهم أو مساعدتهم ..

ويمتاز الترويح الاجتماعي باتساع ميادينه وتعدد ألوانه وفروعه وأساليبه كما يمتاز بالمرونة لخضوعه لعوامل تغير المجتمع وتطور وسائل الرعاية الاجتماعية .

ب - الثقافي : ويندرج تحت هذا النوع ، الترويح عن طريق ممارسة أو تذوق مختلف الفنون التشكيلية أو التعبيرية وموضوعات الثقافة المقروءة أو المسموعة أو

المرئية (كقراءة القصص والمقالات الأدبية وتأليفها أو ترجمتها وفرص الشعر ومشاهدة التلفزيون والسينما والفيديو والمسرحيات المختلفة والعروض الفنية) .. وماتقدمه وسائل الاعلام على مختلف صورها من مواد وبرامج ومسلسلات وبرامج دينية وندوات او الاسترواح عن طريق تلاوة القرآن الكريم أو سماعه أو زيارة المساجد والساحات الدينية .

ويدخل فى هذا النوع أيضا الهوايات العلمية فى الفلك والكيمياء والميكانيكا والكهرباء والالكترونيات وغير ذلك .

(٤) الترويج الاقتصادى :

ويتضمن هذا النوع كل نشاط ترويجى يؤدي إلى جلب منفعة اقتصادية بحيث لا يكون الكسب المادى هو الهدف كنا فى العمل الجدى اليومى .. ولكن الهدف أو استرواح الفرد من ممارسة هواية تدر نفعا ماديا ويعتبر الترويج هنا حلقة تربط الهواية بالاحتراف .. كم يحقق فكرة التكامل فى الحياة بين عناصر العمل والترويج ..

وتعد هوايات الفنون الجميلة والأشغال الفنية اليدوية أمثلة واضحة لهذا النوع من الترويج كذلك هواية صيد الأسماك وتربية الخيول والمناحل والدواجن والكتابات الفنية والأدبية التى يؤجر عليها صاحبها ..

وقد تتطور الهوايات لدى بعض الناس وتصبح عملا أساسيا نتيجة للنبوغ والتفوق الفنى وفى حياة المشهورين من الأدباء والفنانين أمثلة تدل على صدق هذه الدعوى .. وإذا تناول هذا اللون من الترويج سياسة منظمة كان له الأثر الملحوظ فى رفع مستوى معيشة الأفراد .

وقد تعتبر بعض نظريات الترويج الغربية أو الشرقية مجال مراهنات سباق الخيل أو لعب الميسر أو مراهنات سباق السيارات من أنواع الترويج الاقتصادى . إلا أننا ننكر هذا اللون لاعتبارات أن الربح المادى العائد يخضع لعوامل الصدفة ولادخل لهواية أو مهارة أو خدمة فنية مفيدة فيه .. والأهم من ذلك أن الميسر والمراهنات من الأرجاس المحرمة شرعا وهى تدفع بمقتربها إلى غياهب القلق النفسى والتوتر العصبى دون إعلاء قيمة أو استفادة عامة .. ويعتبر ذلك من أكل الأموال بالباطل .

وهناك عوامل فى تنظيم النشاط الترويحي وأسس تراعى عند وضع السياسة الترويحية من أهمها هدف مساعدة الأفراد والجماعات على اختيار مايناسبهم من نشاط. ومعاونتهم على تحصيل أكبر قدر من الفائدة وذلك بدراسة العوامل الذاتية والبيئية للفرد والجماعة من حيث السن والجنس ونوع العمل والثقافة والظروف والقدرات ..

العوامل التى تؤثر فى الترويج المعاصر

لم تتخلف حضارة قديمة من الحضارات عن الأخذ بأشكال تروحية مارسها الشعب فى مصر القديمة وبلاد الفرس والصين وعند الاغريق والرومان وفى العصور الوسطى وعند العرب قبل الإسلام وبعده ، وفى عصر النهضة فى أوروبا .. وفى العصر الحديث. ولاشك أن الشكل العام للممارسات الترويحية كان يتأثر بالثقافات والديانات والعادات والتقاليد التى كانت تسود كل مجتمع وتتمشى مع متطلبات النظام العام السائد وفى حدود الاطار الأخلاقى والقيمى لكل حضارة ..

وفى العصر الحديث : ومع بداية القرن العشرين تطورت الحياة وأنشطة الانسان وتطور معها الترويج ووسائله ومجالاته .. وظهر بالنشاط الرياضى فى المدارس وبدأت الأفكار التحررية فى الظهور وملأت نفوس الأوروبيين والأمريكيين بضرورة الاهتمام بالفروسية وحياة الجلاء والمصارعة والرقص والصيد .

ولقد قادت أوروبا حركة تطوير الترويج فى المانيا والسويد وانجلترا .. عقب الحرب العالمية الأولى . وأشرفت الدولة فى المانيا على نشاط الترويج فى عهد النازى اشرافا كاملا .. وانشأ (هتلر) حركة (القوة من السرور) ^(٧) حيث ينظم الشباب فى هذه الحركة التى نظمت لها برامج واسعة ومتنوعة - كما بدأت المانيا زيادة حركة (بيوت الشباب) .. وتابعت المسيرة انجلترا وظهرت فيها(حركة الكشاف) التى انتشرت فى العالم ، وتأكيد مشاركة طلاب الجامعة فى الأنشطة الترويحية كجزء هام لصقل شخصياتهم .. وبالمثل قامت حكومات السويد والدانمرك .. وتعتبر أمريكامن أعرف البلاد فى الأنشطة الترويحية المنظمة على المستوى الحكومى والأهلى . والاهتمام بنظريات الترويج ودراسة وأنواعه - وتدریس هذه العلوم فى الجامعات والمعاهد المتخصصة .

الآراء والفلسفات والأفكار التي تسود الترويج والاعلام :

الحياة الاجتماعية المعاصرة تقوم على نظريات وفلسفات وأفكار ومبادئ كثيرة ومتعددة . وأغلبها يقوم على أسس مادية بحتة ، وقد انطلق الناس ينسلخون من الدين وينفلتون من قيود الأخلاق انسياقا وراء تلك الآراء والنظريات والفلسفات التي نبتت في أوروبا أو في بلاد الشيوعية التي لاتعترف بالاديان .. وسادت هذه الفلسفات برامج الاعلام وغيرت فلسفته ، وصيغت المواد المقدمة في وسائله بصيغة هذه الآراء - والعقائد وبخاصة في مجال التليفزيون والسينما .

(١) نظرية العلمانية (أي اللادينية)

وهي تعنى عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد ، وتعنى أن العقيدة الدينية والهدى السماوى ومايتبع ذلك من طاعة الله والوقوف عن شرعه ، لايجب الالتزام به إلا في حياة الأفراد الشخصية أما ما عدا ذلك من شئون العالم في حياة الناس فانه يجب أن يعالج على اساس المادية البحتة ، ووفق رغبات البشر ووجهات نظرهم وميولهم .. وعلى هذا المبدأ أرسى الترويج والاعلام مراسيه وتم التحرير من السلطة الالهية والتشريعة .. وتأثرت حياة العالم الإسلامى ونقلت العلوم الاعلامية والترويجية كما هي منونة دون دراسة أو تمحيص ولازالت تدرس في كليات الجامعات الإسلامية بحذافيرها بعيدة عن التصور الإسلامى .

(٢) نظرية التفسير المادى للانسان :

وتتلخص هذه ما النظرية التي يطلق عليها (نظرية دارون في التطور) ... « انه لاشئ ثابت على وجه الأرض ولاقصد على الاطلاق من الخلقة وانه لا يوجد اله خالق بل الخالق هو الطبيعة ولم تقصد ان تخلق انسان ، وانما جاء الإنسان هكذا نتيجة عملية التطور البطيئة التي استغرقت ملايين السنين وان الانسان في نشأته الأولى لم يكن على صورته الحالية ، وانما كان اصله حيوانا لاينطق ولايعقل ويمشى على أربع ولم تكن لديه تصورات دينية ولا أخلاقية .. »

ومع هذه النظرية ولد التفسير المادى والاقتصادى للتاريخ .. وظهر الرأى الذي يقول ان الأفكار والمشاعر والعقائد ليست هي التي تحرك الناس أو ترسم سلوكهم العملى

فى حياتهم وانما هى تجنى لاحقة لكل وضع اجتماعى أو اقتصادى فهى ليست قوة موجهة ولا تثبت على حال وتأثر الترويج والاعلام بالتفسير المادى الذى واكب التفسير الحيوانى .. للانسان ، فليس سعى الانسان للحق والعدل الاذلين وانما يسعى للطعام بلا عقيدة ولا مبدأ ولا شعور .. وانما حيوان يعيش فى شهوة البهائم .

(٣) نظرية وآراء فرويد فى الجنس :

وسائل الترويج المعاصرة قد تقدم باستدراج الناس واستجلابهم إلى فكرة الانسلاخ عن الدين فى أسلوب ارضاء الاشهوة ويظهر هذا بوضوح فى الأعمال (الدرامية) اى أفلام السينما ومسلسلات التليفزيون وأفلام (التيسين) التى تحول الشرائط السينمائية إلى أفلام (فيديو) ويدعى صناع المواد الترويجية بأنهم يحققون مبدأ الحرية والتقدم والتحرر من القيود التى تحد من تصرفات الانسان الطبيعية ويرهق هؤلاء ان فى الصراحة الجنسية والاباحة الجنسية متنفس للنفس البشرية ..

ويرتبط موضوع الجنس والصراحة الجنسية بالعالم اليهودى (فرويد) الذى ولد بعد (دارون) وتأثر بفكره وآرائه فيما يتعلق بحيوانية الانسان وطلع (فرويد) على البشرية بتفسيره للسلوك البشرى على أساس حيوانية الانسان المطلقة دون نظر الى ميزة الانسانية أو رفعة الانسان وتفضيله . وذكر فى نظرياته وأرثه ان الجنس بمعناه الحيوانى وعن طريق الشهوة الجنسية ومشاعر الجسد هو الدافع والمحرك الأساسى للكيان البشرى وان الجنس هو كل شئ فى الانسان ، وهو المشاعر والأحاسيس .. ان السلوك البشرى أولاً وأخيراً نابع من الجنس .. والعلاقة القائمة بين الطفل وأمه وبين البنت وأبيها وغير ذلك كل علاقات قائمة على الجنس .

(٤) ظروف وفلسفات أخرى أثرت فى الاعلام والترويج :

لقد تأثرت برامج الاعلام وبخاصة البرامج الترويجية منها - فى ظل المدنية المعاصرة - بأفكار وآراء وظروف كثيرة لا يمكن للباحث فى هذا المجال أن يلم بها كلها ولكن يمكن التركيز على تلك الظروف والفلسفات التى أثرت فى تلك البرامج مثل :

(١) ميلاد الثورة الصناعية وتحول الناس من الاقطاعيات الى المدن وما صاحب ذلك من دخول المرأة ميدان العمل ومطالبتها بالمساواة مع الرجل فى الأجر والحقوق السياسية وما صاحب تلك الثورة من تداخل فى العادات والتقاليد ثم التحلل من الدين .

(٢) تحلل الأسرة وفقدانها لقيمة ترابط أعضائها مع ضعف سلطة الوالدين وسيطرة الانانية والوصولية والانتهازية والتفانى وانكار القيم الجماعية .

(٣) ظهور الفلسفة الطبيعية التي توهم الانسان بأنه نتيجة لعلاقات طبيعية ضرورية وثابتة وليس هناك آله يحكم كل صغيرة وكبيرة فى الكون .. والغايات الأخلاقية وهم من اختراع الانسان .

(٢) الفلسفة الاجتماعية : وهى فلسفة توحى بأن الانسان يكون كما يريد المجتمع خاضعاً للظروف الاقتصادية والسياسية والصناعية وتجاهل الفطرة البشرية وخضوع الانسان لغير الله .

(٥) الفلسفة العامة وهى تهتم بتجارب الانسان فى الحياة ، وتفسيره الذى يستخلصه منها . دون مراعاة لتوجيه من خارج أسرة أو طائفته المهنية أو حزبه أو جماعته وهى تطالب بنوبان الانسان فى المحتوى الذى ينتمى إليه .

مجالات الترويج المعاصرة

مجالات الترويج المعاصرة متنوعة وكثيرة ومتداخلة وهناك عدة وسائل يمكن اتخاذها أساساً لتقسيم الترويج والنشاطات الترويجية إلى مجالات مختلفة وانما متباينة لا يتسع هذا البحث الموجز لحصرها بالتفصيل . ويمكن تقسيم مجالات الترويج من حيث الرعاية والعناية : إلى خدمات ترويجية حكومية تنفق عليها الدول من موازنتها وخدمات تقوم بها هيئات ومؤسسات للخدمة العامة شبه حكومية . وهناك الترويج التجارى الذى يقوم به أفراد لامتع الناس لقاء ربح مالى .

ومن الممكن ان نقسم مجالات الترويج من زاوية النشاط الانسانى فنقول الأنشطة الفردية ومجال الأنشطة الجماعية ويمكن أن يتم التقسيم باعتبار مراحل النمو الى ترويج خاص بالأطفال وآخر للفتيان أو الفتيات وثالث للمسنين والشيوخ ومن حيث البيئة يمكن التقسيم إلى ترويج ريفى وحضرى وعمالى ومدرسى وأسرى .

والذى يهتم به من بين التقسيمات المختلفة تحديد مجال الترويج من حيث المواد الترويجية أو موضوعات الترويج وهو ما تأثر بالفلسفات والآراء والنظريات والملابسات والظروف التى ظهرت فى بلاد إسلامية وهى المجالات التى يعنى الباحث باستحداث مدخل إليها لاسلمتها وإعادةتها فى ثوب جديد كعلم وقن وطريقة تدرس المتخصصين فى مجال الترويج والاعلام من حيث الأسس النظرية والتطبيقات العملية .

ويمكن تقسيم هذه المجالات إلى :

الأدب وفنونه : والصياغات التى تعبر عن النفس والواقع والحياة والمشكلات ويشمل القصة والشعر والمقال والمحاضرة والمسرحية والتمثيلية الإذاعية والرواية المقروءة (السيناريو) للمصورات السينمائية والتلفزيونية ، كما يشمل الغناء والموسيقى والفنون الشعبية . والرياضة البدنية والأنشطة الخلوية .

وهناك تقسيم من حيث الأجهزة التي تقدم ألوانا من الترويح كمجال الاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح .

المبادئ العامة لإسلامية الترويح وتطبيقها

(١) موقف الإسلام من الترويح :

لا ينظر الإسلام إلى الدنيا على إنها تلك الضرورات الملحة التي يكدح الناس وراءها . ولكنها إلى جانب ذلك - مجال لاشباع النفس وشرح الصدر لكي يثار في النفس البشرية مشاعر الاحساس بالجمال - ولقد أودع الله في كل مخلوقاته جوانب الجمال . وجوانب الترويح حتى الأرض الخصبة قد أودعها الأمرين معا فهي تنبت الحبوب والخضر والفاكهة لغذاء الأجسام وهي تنبت الزهور والورود والأوراق الجميلة والسوق المختلفة الأشكال وما يشبع السرور والابتهاج في أرجاء القلب والوجدان من جمال وزينه قال تعالى :-

﴿ وأنزل لكم من السماء ماء ، فانبثا به حداثا ذات بهجة ﴾ (٨)

ولا يعتبر الإسلام الحياة جامدة كالحكة ولكن يرى المرفهات والمبهجات والترويح اضافات لاستغنى عنها الحياة في مسيرتها .

والإسلام فيما افترض على الناس من عبادات - يرضى حقيقة - ان لكل انسان طاقة يستطيع ان يؤدي في نطاقها مايكلف به من أعمال أحسن اداء ولكن إذا تواصلت جهوده ونفذت طاقته وأدركه الملل أو التعب فإنه ينفد السيطرة على أعصابه ويقل منه التفكير وتكثر عنده الأخطاء .. حتى يصل إلى درجة أن يصبح العمل الإضافي لاجدوى منه ، بل ربما ينقلب إلى ضرر .. ولذا فالإسلام لا يكلف الانسان ما لا يطيق .. يقول تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا لاتحمل علينا إصرا كما حملته علي الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين . ﴾ (٩) وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « إن المنبت لأرضاً قطع ولاظهر أبقي » (١٠) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليصل أحدكم نشاطه فإذا كل أو فتر فليرقد » (١١) وقال : « لاتشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم ، فشدد عليهم فتك بقاياهم في الصوامع والديارات ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » (١٢) .

وجاء في الأثر : « روحوا عن التلويح ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب تعمل ، وإذا ملت كلت ، فإذا كلت عميت » .. ولقد كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً رائعا لحياة الانسان المتوازن فكان حين يصلى يطيل الخشوع والقيام حتى تنوزم منه الأقدام

ولكنه مع أصحابه فى الحياة العامة يحب الطيبات ويمشى فى الأسواق ويهش ويبتسم ويداعب ويمزح ولايقول إلا حقاً، وكان يكره التجهم والحزن ومايدفع إليه من دين أو متاعب ويستعيز بالله من شره ويقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» (١٣) .

وإذا كان الإسلام فى واقعه ومنهاجه يتسع لكل حاجات البشر المتعددة ويضع للأفراد والمجتمع المبادئ العامة الرشيدة للتكيف فى هذه الدنيا والحياة ، فإنه بذلك يتداخل مع كل فروع المعرفة ومع أغلب نشاطات الانسان فى النواحي النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية ويمس كل زوايا الحياة وفى هذا تثبت لدعائم العقيدة فى نفوس الناس عن طريق الممارسات.. إذ الإسلام ليس طقوساً تعبدية وتكاليف تربط العبد بربه فحسب ولكنه دين ممارسة الحياة فى شتى مجالاتها وقد نظم الإسلام كل المجالات لينتظم الفرد والجماعة كل يعرف مسئوليته الكاملة وواجبه فى الأداء . ولايضع الإسلام قيوداً للعقل ولايحبس الفطرة فى سجن .. وممارسة الأنشطة الترويحية فى حدود أوامر الدين ونواهيه .. وهى أوامر ونواه لاتعارض العقل ولا الفطرة.

(٢) التزام الترويح بالرأى العام الفاضل :

المجتمع الإسلامى يسوده قول الرسول صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وقوله : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) . هذا المجتمع تسوده توجيهات رب العالمين من حيث الاستقامة والتعاون والتكافل ويسوده الرأى العام الفاضل والمستنير الذى يؤثر فى الفرد وفى الجماعة .. والرأى العام من أشد العناصر لاقامة المجتمع الصالح وإذا كانت أهميته الإعلامية والترويحية تأتى فى مقدمة أهميته الاجتماعية والاقتصادية ، فإن ذلك لشدة تأثيره وتغيير أنماط السلوك وتوحيدها نحو الاستفادة والهدى والحياء ..

أ - يقيم الإسلام المجتمع الفاضل الذى تتعاون فيه كل القوى بحيث لايطغى جانب على جانب وأول مظاهر هذا المجتمع هو سيادة الرأى العام الفاضل الذى تترعرع فى ظلاله الفضيلة وتختفى منه الرذيلة كنتيجة حتمية لتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفى هذا المناخ يتشجع صاحب الخير باعلان خيريته واحسانه واجادته للعمل لا للرياء والتظاهر ولكن للتذكير والاقتداء وأيضا ينطوى صاحب الشر على نفسه فلا يظهر استحياء من الله ومن الناس ومن نفسه .

ويتطبيق هذا المبدأ تلمس تهذيب الأفراد لأنه يعلن الكلمة الطيبة والفعل الطيب ويشيع في الناس الأحسن وموجبات التراحم والتعاقد والسلوك القويم « والقرآن الكريم يذكر ان الجماعة الإسلامية تعد خير أمة أخرجت للناس إذا تمسكت بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. » يقول تعالى :-

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١٤).

ب - الأخذ على يد الآثمين : تعتبر الأمة كلها آثمة اذا سكنت وتستر على الآثمين ولقد ذم القرآن بني اسرائيل لأنهم كانوا يتباهون عن منكر فعلوه « قال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل علي لسان داود وعيسي بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتباهون عن منكر فعلوه لبس ما كانوا يفعلون ﴾ (١٥) . وإذا ترك الآثمون من غير رادع فإنهم يهدمون المجتمع وإذا لم يأخذ الفضلاء على أيديهم سقطوا معا في الهاوية . قال صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى . (مثل المدهن في حدود الله ، مثل قوم استهموا في سفينة ، فصار بعضهم في أسفلها وبعضهم في أعلاها فكان الذي في أسفلها يمر بالماء على الذين في أعلاها فتأثروا به ، فاخذ قانساً فجعل ينقر أسفل السفينة فاتوه : فقالوا : مالك؟ قال تأذيتهم ولا بد لي من الماء . فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا بأنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » (١٦) .

ج - الحث على الحياء .. إذ الحياء يعطى صورة للمجتمع النظيف السليم ويدفع إلى السلوك والنوق الرفيع .. قال صلى الله عليه وسلم « الحياء والايمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » (١٧) والحياء مبدأ من مبادئ الترويح الإسلامي يعمل كقيد نفسي ضابط بضبطها باللياقة الاجتماعية .

د - عدم اشاعة الفحشاء .. حيث ان الإسلام يحرص على إظهار الفضائل وستر الجرائم فلا يكشف الرأي العام أستار المخازي أمام الناس ولا دقائق الهبوط الجنسي وقد تكون العقوبات علنية بقصد الردع في إقامة حدود الزنا والقتل والسرقة ولكن ملابسات الجريمة ووقائها يجب ان تكون بمنأى عن الرأي العام ويكون الاعلان عنها وقت تطبيق الحدود باقتضاب وذلك لان إعلان الجريمة يفسد الجو الخلقى ويظهر الشر مما قد يودي إلى الاغراء بتقليده يقول تعالى : ﴿ ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴾ (١٨) .

(٣) عنصر الايجابية :

واجب المؤمنين التضافر لايجاد المجتمع الفاضل والدعوة إلى ذلك والتفاعل مع الأحداث لإحقاق الحق وإبطال الباطل دون أن يتصف الفرد بالانعزالية أو الركون إلى الحياد والسلبية في معركة الخير والشر قال صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم أمة فيقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أحسنتم ، وإن أساءوا فتجنبوا الإساءة » (١٩) .

وبرامج الترويح في التصور الإسلامي لابد أن تلتزم هذا الإطار حتى يكون الإسلام شاملا لحياة الفرد الجادة والترفيهية .

(٤) حدود الترويح الإسلامي :

إن حدود الترويح الإسلامي شأنها حدود الجوانب الهامة في حياة الإنسان وكلها تدور في ذلك التشريع الإسلامي العام - وهو كما أسلف الباحث تشريع قائم على أساس تحقيق الخير للشر ، ودفع الحرج والعنت عنهم ، وإرادة اليسر بهم ويقوم على درء المفاسد وجلب المصالح للإنسان : جسمه وروحه وعقله ومصلحة الجماعة كلها ، أغنياء وفقراء حكاما ومحكومين ورجالا ونساء ومصلحة النوع الانساني كله بمختلف أجناسه وألوانه وفي شتى البيئات والأقطار وعلى مرالعصور والأجيال ..

لأن الإسلام جاء رحمة ألوية شاملة لعباد الله حيث قال خالقهم :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وقال رسوله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا رحمة مهداة » (٢٠) .

وكان من آثار هذه الرحمة أن وضع الله عن هذه الأمة الخاتمة كل العنت والتشديد وأوزار الاباحية والتحلل التي أدخلها الوثنيون والكتابيون على الحياة ، فحرموا الطيبات وأحلوا الخبائث . قال تعالى : « ورحمتي وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم » (٢١)

ومن ألزم الأمور أن تستند إلى الآيتين الكريمتين الآتيتين لتجعلهما أساسا لحدود الترويح الإسلامي ودستورا لبيان حلال الترويح وحرامه .. يقول تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها

ومابطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون . ﴿ ٢٢ ﴾ .

وعلى الترويح وتطبيقاته المعاصرة فى عالمنا الإسلامى يستقى برامجه ومواده من خلال التصورات الأمريكية أو الغربية أو من خلال الفكر الشرقى الملحد ، ويحاول أبناء العالم الإسلامى أن يوجدوا نوعا من التوفيق بين ما نلتئموا عليه من فكر ونظريات وبين ما يواجهونه من مشكلات ويضعون النظريات المستوردة كقضايا مسلمة شأنهم شأن زملائهم فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة والاعلام وشتى المعارف الانسانية . وهم حينما يجدون بعض فقرات ما علموه من قضايا فكرية يوافق الإسلام ، فلا بأس ، وإن عارضها ، يحاولون التقريب والتأويل والتحايل أو التبرير والتحريف ليطوعوا الإسلام لما منوا به وتعلموه .. وكأن هؤلاء قد نسوا أن كلمة الله هى العليا دائما وأنها هى التى ينبغى أن تعلوا وتتبع لأنها هى التى تهدى للفلاح ..

ولا يخضع الخالق لأهواء المخلوقين ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فىهن ﴾ (٢٣) .

ومن أول المبادئ التى أقرها الإسلام ، أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحل والإباحة ، طالما أنه لا يوجد نص صحيح وصريح من الشارع بتحريمه ، والترويح شأنه شأن المنافع المباحة الأخرى . وقد أوجد الله النعم للإنسان وسخرها له وما كان ليحرمه منها بتحريمها عليه . وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو . فاقبلوا من الله عافيته » (٢٤) .

كيفية تأثير تطبيق مبادئ الترويح على طرق البحث فى مجال الترويح

هناك أثر فعال لتطبيق المبادئ العامة الإسلامية على طريقة البحث فى مجال الترويح .. تتمثل فى الآتى :-

١ - أن التحليل والتحريم حق لله وحده .. وإن الباحث أو الفقيه عليه أن يلتزم ببيان حكم الله فيما أحل أو ما حرم من مواد الترويح ، باعتبار أن الباحث أو الفقيه ليس من مهمته التشريع للناس فيما يجوز لهم وما لا يجوز ، وقد كان الأئمة ومنهم ابن تيمية يرون أن السلف لم يطلقوا الحرام الأعلى ما علم تحريمه قطعا ، وكانوا يتورعون فى إطلاق كلمتى الحلال والحرام ..

٢ - رحابة الصدر والبعد عن التنطع والتزمت والتشدد .. باعتبار أن الرسول قد حارب هذه النزعة ، وذم المتنطعين وتوعدهم بالهلاك إذا يقول : « ألا هلك المتنطعون وكررها ثلاثا » (٢٥) . وأعلن عن رسالته فقال : « بعثت بالحنيفية

السمحة » (٢٦) والباحث العلمى يتخذ هنا الموضوعية والحيدة متأثرا بهذه المبدأ متخذاً الوسطية دون غلو أو تعد مادامت المواد الترويحية فى حدود تقوى الله والايمان به وعدم الاضرار بالناس .

٣ - الاستفادة من علل الأحكام ، فإن رحمة الله بعباده ان عمليات التحليل والتحرير جاءت لعلل معقولة راجحة المصلحة للبشر ، فلم يحلل سبحانه الا طيبا لو يحرم إلا خبيثا . وكل ما كان ضرره أكبر فهو حرام ، وما كان نفعه أعم وأشمل أكبر فهو حلال . يقول تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ﴾ (٢٧) .

٤ - مبدأ التعويض .. ويؤخذ فى الاعتبار ان الله تعالى حينما يضيق على عباده فى أمر من الأمور ، فإنه يوسعهم فى جانب آخر من جنسه ، لأن الله لا يريد بعباده الضيق ولا العسر ولا الارهاق يقول تعالى : ﴿ يريد الله ليسين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ﴾ (٢٨) .

ويبين ذلك ابن القيم حين قال إن الله حرم الربا وعوض عنه بالتجارة الرباحة، وحرم القمار وعوض عنه بالمسابقات الذفعة بالخيل والإبل والسهام ، وحرم الحرير وعوض بالملابس الفاخرة من الكتان والصوف والقطن وحرم الزنا وعوض بالزواج ، وحرم المسكرات وأعاض بالاشربة الطبية (٢٩) .

٥ - تحريم ما يؤدى إلى الحرام .. يتأثر البحث العلمى فى موضوع الترويج بمبدأ الإسلام إذا حرم شيئا ، فإن ما يقضى إلى هذا الشئ من وسائل تكون حراما وعلى الباحث ان يعمل على سن الذريعة الموصلة إليه . مثال ذلك أن الزنا محرم ، وعليه فإن كل مقدماته وبواعيه من تبرج وزينه وخلوة بأجنبى وخضوع بالقول أو اختلاط عابث أو صور عارية أو أدب مكشوف أو غناء فاحش يكون محرما ، ويقع الوزر على كل من شارك فيه بجهد فنى أو أدبى و من يشارك بالرؤية أو القراءة .. وكل من أعان على هذه الوسيلة .

٦ - التحايل على الحرام .. حرم الاسلام التحايل على ارتكاب المحرمات بالوسائل غير المشروعة الخادعة ونعى على اليهود ما صنعوه من استباحة ما حرم الله بالحيل .. ومن الحيل الآثمة تسمية الشئ الحرام بغير اسمه ، وتغيير صورته مع بقاء حقيقته فسميت الخمور باسم المشروبات الروحية والصور العارية

بالفن الحى والربا بسعر الفائدة وفى الحديث « ليستحلن طائفة من امتى الخمر يسمونها بغير اسمها » (٣٠) ، رواه احمد ، « يأتى على الناس زمان يستحلون الربا باسم البيع » (٣١) رواه البخارى .

٧ - قد يكون الترويح عبادة وقربه إلى الله بالنوايا الطيبة قد تتحول المباحات والعادات إلى طاعات لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لك امرئ ما نوى » فمن صاغ مسرحية أو قصة بقصد توجيه الأمة إلى فضيلة وكانت نيته خالصة لله ، فإن عمله يعتبر عبادة وقربة إلى الله .. وليست النوايا الطيبة وحدها تبرر الصياغات المحرمة سواء فى الدراما أو الأسلوب الأدبى .. ومبدأ (الميكافيلية) الذى يقول بأن الغاية تبرر الوسيلة مبدأ مرفوض على الساحة الإسلامية .

٨ - الحلال بين والحرام بين . . من الورع أن يتجنب المسلم الشبهات حتى لاتجره إلى الوقوع فى الحرام . وهو نوع من سد الذرائع ولون من ألوان التربية ، وأصل هذا المبدأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم «الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، لا يدري كثير من الناس : أمن الحلال هى أم من الحرام ؟ فمن تركها ، استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم ، ومن واقع شيئا منها يوشك أن يوقع الحرام ، كمن يرعى حول الحمى ، أوشك أن يواقعه ، ألا وان لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله محارمه » (٣٢) .

٩ - المساواة أمام الحرام بين الجميع . . فالسرقة حرام على المسلم وغير ذلك وكذلك بقية المحرمات والجزاء لازم على من ارتكب المحرم مهما كان نسبه أو مركزه أو عقيدته . والدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وأيم الله لو سرت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (٣٣)

١٠ - الضرورات تبيح المحظورات . . عند اضطرار المسلم لحفظ الحياة مثلا ، فانه قد يتعاطى المحذور خوف الهلاك أو فقد الحياة شرط أن يكون المضطر (غير باغ ولا عاد) ويكون هذا التعاطى بقدر ما يدفع الضرر فقط ، وهذا من تيسير الله ورحمته والتخفيف عن الانسان الضعيف . ولهذا قال الله تعالى بعد ان ذكر محرمات الطعام من الميتة والدم ولحم الخنزير : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه . إن الله غفور رحيم » (٣٤) .

النتائج المتوقعة لتطبيق المبادئ

وأفضل نتيجة متوقعة لتطبيق مبادئ الترويح المعدل على ضوء الإسلام أننا سنعد الانسان الصالح الأتقى الذى يعبد الله بما شرع من عبادات وبكل عمل وفكر وشعور

وبالنشاط الحيوى الذى يرضى به الله وأن يتوجه بكل عمل يقوم به إلى الله ، مستهديا فى كل الأعمال بهدى الله وبهذا يستعيد مكانته من القرب إلى الله حتى يستحق خلافة الأرض . ويمكن تلخيص مبرود التطبيق فى النقاط الآتية :

١ - تفجير طاقات الانسان كلها لترقية الحياة وتنميتها والاتجاه نحو القوة الكاملة قوة البدن والروح والتفوق العلمى والتقنى وكل ما يؤدى إلى القوة .

٢ - حدوث التوازن النفسى الذى هو من سمات الانسان الصالح والتوازن بين كافة العقل وطاقة الجسم وطاقة الروح ، أى بين ماديات الانسان ومعنوياته . وفى هذا القضاء على القلق والاضطراب .

٣ - الوصول بالانسان إلى الايجابية السوية الفعالة فى الحياة والتي تأخذ حياتها أساسا بمبدأ إقامة رأى العام الفاضل والمستتير فى إطار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٤ - إحياء المعانى الربانية من الايمان والتقوى لله والإخلاص له .

٥ - تثبيت دعائم الحق والخير والجمال فى نفوس الناس على ضوء الإيمان بعيدا عن المذاهب الفلسفية والفكرية الغربية عن روح الإسلام .

٦ - إبراز القدوة الحسنة من التاريخ ومن الحياة الواقعة المعاصرة .

٧ - الاعتزاز بالإسلام ورسالاته وعقيدته وشريعته وحضارته ونظمه الشاملة المتكاملة.

٨ - مقاومة البدع والخرافات والشوائب التى جلبتها الفرق والرجوع إلى نبع الإسلام الصافى .

٩ - احترام وقت الفراغ مثل وقت العمل .. والعمل على الاستفادة منه .

ولا يمكن تحقيق هذه النتائج إلا حين يكون الإسلام هو الموجه والقائد لمجال الترويج وغيره ، وأن يتجه الترويج فى هذا الإطار مع ما تتجه إليه الحياة كلها إلى الوجهة الإسلامية وإن تصبغ مجالات الحياة كلها من حيث التأسيس والعرض والإطار شكلا ومضمونا بالصبغة الإسلامية .

الثمار المتوقعة للثورة المعرفية الحالية للترويج المعاصر

والثمار المتوقعة للثورة المعرفية فى مجال الترويج يمكن تلخيصها فى الآتى :-

١ - تقدير قيمة الكلمة وقوتها فى التوجيه ، واستثمار الكلم الطيب الصادق فى مختلف صور الكلمة للهداية الانسانية والبشرية .

٢ - ستقوم دعوة كبرى لمجاهدة النفس وتصحيح مسارها وتعديل سلوكها وعدم اتباع هواها ، وتحكيم العقل والشرع وتنقية النفس من أوهان الاضطرابات وإرجاع التوازن إليها واعتدالها بعيدا عن العلل والتفكك .

٣ - والثمرة المرتقبة هي التوجيه لاستثمار أوقات الفراغ حيث ان قيمة الوقت في الإسلام لها أهميتها وأن عمر الانسان مسئولية كبرى سوف يسأل الفرد عنها.. كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع » عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن عمله ماذا عمل فيه « (٣٥) .

٤ - التوجيه بعدم السخرية واللمز .. وخاصة بعد استغلال عاهات الناس أو فقرهم أو جهلهم أو انتماء اتهم كوسيلة لصياغة (الدراما) التي تثير الضحك من هؤلاء ، وتوجيه السخرية إلى أصحاب التدنى الخلقى والمخالطين .

٥ - إبعاد الهم والحزن عن الناس .. لأن منهج الترويح الإسلامى يستقبل الحياة بالبشر والأمل والبشاشة ، وبكره لأفراده القنوط والتشاؤم والحزن والعبوس . وذلك لادراك الإسلام بأن الاستسلام إلى الكآبة والتقطيب مؤداه إلى الانهيار الشامل فى حياة الانسان واراדתه .. والمنهج الإسلامى بقدر ما تشيعه البهجة والبسمة والطلاقة والسرور من شرح الصدور وتنقية النفس من كدر التجهم والعبوس .

٦ - نتيجة ادراك منهج ومبادئ الترويح الإسلامى ما للقلق والهم والحزن من نتائج سيئة على الأفراد والجماعات وتحطيم نفوسهم مع إبدانهم فقد استمد الإسلام منهجه لمحاربة القلق والحزن من قصص الأنبياء وسير الصالحين كقصة يعقوب ويوسف . وغيرها للتسلية والتوجيه والاطمئنان .

الخطط المقترحة لتحريك المفهوم الجديد للترويح

١ - هناك حاجة ماسة وضرورية إلى البحوث الميدانية والعملية فى مدة الترويح وموضوعاتها على ضوء الإسلام ، ولايتسنى ذلك إلا بتدريس مادة الترويح فى كليات أصول الدين والشريعة والنوعية والإعلام والخدعة الاجتماعية ودار العلوم ومعاهد السينما والفنون المسرحية ، وتخصيص الأقسام العلمية فى هذه المعاهد بكافة بلاد العالم الإسلامى لإعداد الباحث فى هذا المجال وتأهيله فى الدراسات العليا لمواصلة البحث والدروس فى موضوعات ومجالات الترويح .

٢ - لاستغنى الحياة فى العالم أجمع والعالم الإسلامى عن الجانب الترويجى لحياة الناس ولا يمكن إن يقف العالم الإسلامى موقفاً سلبياً أو عاجزاً أمام متطلبات المسلمين من ترويج يناسب سلوكهم وعاداتهم الإسلامية ومقتضيات أوامر ونواهى دينهم ، ولا يستقيم الأمر إلا بإقامه عدة أكاديميات فى عواصم العالم الإسلامى حتى تتوفر فى المساحة الترويجية الإسلامية الأعداد المناسبة من مختلف المتخصصين .

٣ - دعوة الجامعات الإسلامية فى العالم واقسام الدراسات الدينية فى جامعات أوروبا وأمريكا والكتلة الشرقية إلى مؤتمر يتبناه المعهد العالمى للفكر الإسلامى ليعرض بطرق غير مباشرة منهاج الترويج من المتطور الإسلامى ومشاركة الجمعيات الدولية للترويج والمنتشرة فى أمريكا وأوروبا فى تقديم آرائهم حول النظرية ومطالبة هذه الجمعيات بمحاولة التطبيق .

٤ - مخاطبة دول العالم الإسلامى بضرورة رسم سياسة ترويجية متكاملة على النحو الذى عرضناه ، ومساعدة تلك الدول بتقديم المقترحات وإيفاد الخبراء .

٥ - مخاطبة أجهزة الاعلام فى شكل نشرات دورية توضح الدور الهائل الذى يتردى فيه العالم الإسلامى بانجراف وسائل اعلامه وأجهزته فى تيار الفكر غير الإسلامى الناتج من الاعتماد على البرامج المستوردة دون العناية بإنتاج محلى مبهر وقوى وقادر على المواجهة والصمود والتحدى ومتميز بجذب الإنتباه والإثارة ومتداخل مع حياة الناس اليومية .

٦ - الاستفادة من أصحاب الأموال المسلمين فى انتاج برامج ترويجية إعلامية ذات مستوى راق فى التأليف والاخراج والتنفيذ ، دون الاعتماد على المصادر التاريخية لانتاج اعمال إسلامية قبل انتاج أفلام معاصرة تغسل أوزار ما يقدم على الساحة العربية من اعمال هابطة .

٧ - توصية أجهزة التلفزيون الإسلامية والعربية بضرورة اختيار مراقبى البرامج والمسلسلات من بين نوى الدراسات الاجتماعية الإسلامية لمنع عرض الهابط والمؤثر سلباً فى عقائدنا وخاصة شبابنا وأطفالنا .

٨ - عقد اجتماعات مع وزارات الشباب والرياضة وعرض نماذج من الفكر الإسلامى فى مجال الترويج لمحاولة التطبيق ، وعقد دورات تدريب لقيادة الترويج على مستوى دول الخليج ودول الجامعة العربية والدول الإسلامية للاستفادة من المنهج المقترح .

٩ - التخطيط على مستوى العالم الإسلامى للانتاج الفنى والأدبى والرياضى ويشترك فى التخطيط مفكرون وعلماء وأدباء وأصحاب رؤس أموال ، مع الاستفادة من التجارب العالمية والخبرات السابقة .

١٠ - الالاح فى مخاطبة الحكومات التى تسمح بإقامة محلات الترويج السلبى والمحرم والتى تشيع فيها الفاحشة وتنتهك فيها الحرمات .

١١ - مخاطبة دور الانتاج العربى والعالمى عن طريق المنشورات والتوجيهات والخطابات الهادئة ، للارتقاء بالفنون التعبيرية والتشكيلية لكى يؤدى الفن رسالة فى الارتقاء بالانسان وقيمه العليا بعيدا عن التدنى وراء الغرائز وتلويث الأفكار .

١٢ - إقامة مهرجانات للمسرح والسينما والمسلسلات التليفزيونية ورصد جوائز مختلفة للذين اتبعوا المنهج الأخلاقى وحاربوا التحلل الأخلاقى والذين أقاموا من الفن الاعلامى وسيلة لهداية الناس ومساعدتهم فى أى عاصمة إسلامية أو عالمية .

الهوامش

- (١) تعريف G. ELYOT - Common Human Needs - P. 13
- (٢) تعريف جوث روستى - النشاط الترويحي وبرامجه ص ١٤.
- (٣) تعريف جورج باتلر - المرجع السابق .
- (٤) تعريف المجلس الأعلى للشباب والرياضة بالقاهرة فى المؤتمر الأول للتربية الاجتماعية فى مايو سنة ١٩٦١ م.
- (٥) يتناول الباحث موضوع الوقت وحياة المسلم فى غير هذا الموقع من البحث .
- (٦) محمد على حافظ وآخرون : الترويح وخدمة الجماعة ، ص ٤٥ .
- (٧) محمد عادل خطاب : النشاط الترويحي وبرامجه ، ص ٥٥ .
- (٨) النحل : ٦٠ .
- (٩) البقرة : ٢٨٦ .
- (١٠) رواه البخارى .
- (١١) رواه مسلم .
- (١٢) رواه مسلم .
- (١٣) رواه أبو داود .
- (١٤) آل عمران : ١١ .
- (١٥) المائدة : ٧٨ - ٧٩ .
- (١٦) الطبرانى .
- (١٧) الحام والطبرانى .
- (١٨) النور : ١٩ .
- (١٩) رواه الترمذى .
- (٢٠) رواه الحاكم .
- (٢١) الأعراف : ١٥٦ .
- (٢٢) الأعراف : ٣٢ - ٣٣ .
- (٢٣) المؤمنون : ٧١ .
- (٢٤) رواه الحاكم .

- (٢٥) رواه مسلم وأحمد وأبو داود .
- (٢٦) رواه أحمد .
- (٢٧) البقرة : ٢١٩ .
- (٢٨) النساء : ٢٦ - ٢٨ .
- (٢٩) ابن القيم : روضة المحبين .
- (٣٠) اغاثة اللفان ج ١ ، ص ٢٥٢ - ابن القيم .
- (٣١) البخارى .
- (٣٢) رواه الترمذى .
- (٣٣) رواه البخارى .
- (٣٤) البقرة : ١٧٣ .
- (٣٥) رواه الترمذى .

مجالات الخدمة الاجتماعية في المنظور الإسلامي

- المنظور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية .
- العلاج الاسلامي للحالات الفردية .
- الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامي .
- الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية .
- المدخل الوقائي للخدمة الاجتماعية في رعاية الطفل إسلامياً .
- تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتقى الإسلام حديثاً .
- المعاونة المهنية من الخدمة الاجتماعية لإحدى مؤسسات العمل : دراسة حالة .
- دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين منظور إسلامي .

المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية

عفاف بنت ابراهيم بن عبد الله الدباغ

تحاول الخدمة الاجتماعية فى الأونه الأخيره أن توجه الهدف من أنشطتها الى مشكلات الفرد الاجتماعيه ، ذات الصلة بتفاعله مع الآخرين فى المواقف المختلفة ، حتى يمكن الفصل بينها وبين المهن الأخرى التى تهتم بمشكلات الفرد ذات الصبغة الذاتية ، إلا أن الهدف القائم لمعظم الأنشطة المهنية - فى المجتمعات الغربية وغيرها - مازال يركز على أحداث تغيير فى الشخصية والسلوك . ولذلك يحتفظ مفهوم المشكلات الفردية بأهميته البالغه فى ممارسة الخدمة الاجتماعية حتى وقتنا الحاضر .

وعلى الرغم من تعدد وأختلاف المشكلات التى يتعين على الأخصائى الاجتماعى أن يتعامل معها ، وتداخل العوامل المسببة لها ، إلا أنه من الضرورى أن تعتمد ممارسة المهنة على قاعدة معرفية أساسيه واحدة لفهم الدوافع والعلاقات الانسانية ، ومن ثم تفسير المشكلات بناء على ذلك .

ولاشك أن المشكلات الفردية تؤثر وتتأثر بالمشكلات الاجتماعية ، بل قد تعتبر جزءاً منها ، إلا أن وضع تصور نظرى يفسرها كوحدة واحدة ، يعتبر عملاً شاقاً ومعقداً، لم تنجح العلوم الإنسانية حتى الآن فى الوصول إليه . وعليه يصبح النظر إلى تفسير كل منها على حده ، أمراً مقبولاً ، خاصة ونحن فى أولى مراحل التأسيس الإسلامى للخدمة الاجتماعية.

ويهدف هذا البحث إلى الإسهام فى الكشف عن بعض الأسس الإسلامية التى يمكن تفسير المشكلات الفردية فى ضوءها . محاولاً - بقدر المستطاع - الالتزام بمنهج التأسيس الإسلامى الذى يعمل على استخلاص الأصول الإسلاميه من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وتراث السلف ، مع الاستفادة من أفضل ما توصلت إليه العلوم الانسانية.

ويلاحظ أن البحث قد توجه نحو التركيز على العوامل التى يمكن أن يعتبرها القارئ ذاتيه خاصة بالفرد صاحب المشكلة ، إلا أن هذا التوجه لم يكن مخططاً له . ولكنه جاء نتيجة تلاقئه تظهر طبيعة المعلومات المتوافره فى المصادر الإسلامية ونوعيتها .

المنظور الغربي للمشكلات الفردية

تعريف المشكلة :

تتعدد تعريفات " المشكلة " تبعا لتتوع وجهات النظر العلمية ، فمن وجهة النظر النفسية ، عرف أحمد عزت راجع ، المشكلة بأنها كل " موقف غير معهود لا تكفى لحله الخبرات السابقة والسلوك المألوف " (١) . وعرفها أحمد زكى بدوى من وجهة النظر الاجتماعية .. بقوله : : إنها ظاهرة تتكون من عدة أحداث أو وقائع متشابهة وممتزجة بعضها ببعض لفترة من الوقت ويكتنفها الغموض والبس ، تواجه الفرد أو الجماعة ويصعب حلها قبل معرفة أسبابها والظروف المحيطة بها وتحليلها للوصول إلى إتخاذ قرار بشأنها (٢) . ويفرق رايت ميلز (Wright Mills) بين المشكلات الشخصية (Personal Troubles) والقضايا العامة (Public Issues) قائلا أن المشكلات تظهر فى شخصية الفرد وفى علاقاته المباشرة مع الآخرين ، فهى تتعلق بنفسه وبالحياة الاجتماعية المحدودة التى يدركها هو شخصيا ، وهى أمر خاص يجعل الفرد يشعر بتهديد موجه للقيم التى يعتز بها (٣) . كما تصف هيلين نورثن (Helen Northen) المشكلات التى يتقدم بها العملاء إلى الأخصائى الاجتماعى ، طالبين المساعدة فى حلها ، بأنها : أوضاع أو مواقف محيرة ، أو صعوبة أو غير مرغوب فيها . وهى تمتد الأخصائى بنقطة البداية فى عملية تقدير حاجات العميل (٤) .

هذا ويربط كثير من علماء النفس والتربية المشكلات الشخصية بالحاجات الإنسانية، وبمقدرة الشخص على التوافق ، فقد وصف جيمس كولمان (James C. Coleman) الحياة بأنها عمليات توافق مستمرة ، يكافح فيها الناس لمقابلة حاجاتهم، وبقاء علاقات منسجمة مع بيئاتهم ، وعندما يتعامل الفرد بفاعلية مع مشكلاته يوصف بأنه فى حالة توافق جيد ، حيث يتكيف بنجاح مع الضغوط الداخلية والخارجية الموضوعة عليه : أما حين تكون المشكلة أكبر منه ، ويظهر عليه القلق ، وعدم الكفاءة ، وعدم السعادة ، أو أعراض أخرى أخطر من تلك ، فيوصف بأنه فى حالة سوء توافق (٥).

تفسير المشكلات الفردية فى مداخل ممارسة الخدمة الاجتماعية :-

لقد استمدت الخدمة الاجتماعية تفسيرها للمشكلات الفردية من النظريات النفسية والاجتماعية المتوافرة ، ولذلك نجد العديد من مداخل الممارسة قد اختلفت مواقفها من ذلك باختلاف توجهها النظرى . ويمكن تصنيف هذه التوجهات حسب منطلقاتها الأساسية إلى ثلاث فئات ، فئة تفسر المشكلات على أساس ترجيح العوامل الفردية ، وأخرى ترجح العوامل الاجتماعية ، وثالثة تجمع بين الاثنين فى إطار تكاملى .

وفيما يلي تعريف موجز بكل فئة وأمثلة لها .

الفئة الأولى : وهى التى أخذت بالتفسير الفردى ، ومنها :-

١- مدخل التحليل النفسى (Psychoanalytic Approach) .

اعتمد فى تفسيره للمشكلات الفردية على مفاهيم نظرية فرويد المعروفة والمكونات الشعورية واللاشعورية . وهذا المدخل يرجع ما يقابل الناس من صعوبات أو مشكلات إلى ما يحدث من إعاقة ونكوص فى عمليات النمو ، عندما لا تبنى مكونات الشخصية (الأنا الدنيا - الأنا - الأنا العليا) البناء السليم فينتج صراع بين هذه المكونات وتظهر الحيل الدفاعية اللاشعورية - مثل الإسقاط والتحويل - بحيث تتحكم فى الأداء الوظيفى للفرد (٥) .

٢ - مدخل سيكولوجية الذات (Ego - PsychoLogy) .

ينظر إلى المشكلة التى تواجه الفرد على أنها مشكلة نفسية - اجتماعية ، فالإنسان يمثل المنطقة التى ترتبط بالواقع ، وتتوقف قوة الذات على مدى إدراكها لهذا الواقع الذى يمثل الجوانب الاجتماعية للفرد والبيئة التى يعيش فيها . لذلك يتم فهم الإنسان ومشكلته فى ضوء تفاعل العوامل البيئية الخارجية بالعوامل الذاتية (٧) .

غير أن المقارنة بين هذا المدخل والمداخل التى ركزت على العوامل البيئية ، تظهر تركيز هذا المدخل على العوامل النفسية وإرجاعه القصور الذى يحدث فى الأداء الوظيفى للفرد عند تفاعله مع البيئة إلى وظائف الذات (الإدراك - الإحساس - التفكير - التنفيذ) وهى التى تعمل على توازن شخصية العميل .

٣ - المدخل الوظيفى أو النظرية الوظيفية (Functional Theory) .

ترجع السبب فى حدوث المشكلة إلى عطل أضعف فى إرادة الإنسان أثناء موقف معين ، يرجع غالبا إلى التجارب السلبية فى علاقات الفرد المبكرة ، خاصة علاقاته الحيوية مثل علاقاته بوالديه ، مما يجعل إرادته ترفض عملية الانفصال الضرورية للنمو، ولذلك ينظر إلى المشكلة على أنها أزمة نمو ، فالإنسان منذ تجربة الانفصال الأولى (Birth Trauma) يمر بتجارب مؤلمة من الانفصال والاتصال ، والبداية والنهاية فهو يدخل فى علاقات متكررة مع الآخرين يتصل بهم ثم يفصل عنهم . وانطلاقا من هذه القاعدة جاءت النظرية بمفاهيم منها : الإرادة المضادة (Counterwill) والصراع (Conflict) والمقاومة (Resistance) التى تراها حيوية وضرورية لنمو الإنسان (٨)

٤ - المدخل الوجودى (Existential Approach)

والمدخل المعرفى (Cognitive Approach)

تقع النظرية الوجودية تحت التصنيف المعرفى ، لذلك نجد هذا المدخل يتفق إلى حد كبير مع المدخل المعرفى فى تفسيره للمشكلات ، فالمدخل الوجودى يحلل المشكله فى ضوء المعتقدات والقيم التى يعتنقها الفرد ، وهدفه فى الحياة ونظرتة إلى نفسه (٩) . والمدخل المعرفى يفسر المشكلة فى ضوء الأهداف التى توجه الفرد ، ومدى إدراكه للحقيقة وأسلوبه فى الحياة (١٠) .

الفئة الثانية : وهي التى أخذت بالتفسير الاجتماعى والبيئى ومنها :-

١ - المدخل السلوكى (Behavioral Approach)

ولقد أطلق سيبورين (Siporin) على هذا المدخل اسم " المدخل السلوكى الاجتماعى" (Sociobehavioral Approach) نظرا لأنه يعتمد على نظريات التعلم وتعديل السلوك ونظريات التنشئة الاجتماعية (١١) . ويربط هذا المدخل وجود المشكلة الفردية بأحد أو بعض أو كل العوامل التالية :-

(أ) عدم قدرة المثيرات القائمة على إحداث الاستجابة المطلوبة .

(ب) وجود مثيرات من شأنها إحداث استجابات مشكلة.

(ج) وجود نقص فى الأدلة التى تساعد على التمييز .

(د) تدعيم نتائج السلوك المشكل .

(هـ) عدم كفاية تدعيم السلوك السوى.

(و) وجود وقائع عقابية تكف السلوك السوى (١٢) .

٢ - مدخل الإمدادات الاجتماعية (Social Provision Approach)

ينظر هذا المدخل إلى الفرد بصفته مواطنا له احتياجات يجب إشباعها من قبل النظم الاجتماعية المختلفه ، ولذلك يركز على الحقوق الاجتماعية والمساواة . ويرجع أسباب المشكلات التى يعانى منها الناس إلى سوء الأداء الوظيفى للبناء الاجتماعى والنظم الاجتماعية ، خاصة نظام الرعاية الاجتماعية والمتمثل فى عدم توفير الموارد الكافية وعدم إعطاء فرص متكافئة للمعيشة على مستوى مناسب . ولقد وصف هذا المدخل بأنه حركة اجتماعية ضد الفقر ، وقدم لوتز (Lutz) هذا المدخل كنموذج

للمساعدة فى خدمة الفرد ، بينما قدمه بابل روثمان (Papell Rothman) باسم نموذج الأهداف الاجتماعية فى خدمة الجماعة . وهو منظور تقليدى فى حركة تنظيم المجتمع ، للإبقاء على التكيف الفعال بين مصادر الرعاية الاجتماعية وبين احتياجاتها (١٢).

٣ - المدخل الإيكولوجى (Ecological - Systems Approach) .

يعتمد هذا المدخل على مزيج من نظرية الأنساق الاجتماعية ، ونظرية الأنساق العامة ، والنظريات الإيكولوجية الإنسانية وهو ينظر للمشكلات على أنها تظهر نتيجة للعمليات الانتقالية التى تحدث للفرد أثناء حياته ، وعمليات التفاعل بين الأفراد ، كما ترجع إلى بعض القضايا البيئية (١٤) .

الفئة الثالثة : هى التى أخذت بالاتجاه التكاملى ومن أهمها وأكثرها انتشارا : المدخل النفسى الاجتماعى (Psychosocial) . وهو يميل إلى إرجاع المشكلة إلى تفاعل العديد من العوامل المادية ، والجسمية ، والبيولوجية ، والشخصية ؛ مع العوامل البيئية المختلفة . ولذلك تسعى الممارسة القائمة على هذا الاتجاه إلى فهم متكامل للفرد فى مواقفه النفسية الاجتماعية كى تستطيع تقديم أفضل مساعدة له لاستغلال طاقاته بطريقة مرضية (١٥) .

وعلى الرغم من وجود أكثر من اثنين وعشرين مدخا أو نظاما فكريا - كما يسميها تيرنر (Turner) - لممارسة الخدمة الاجتماعية تختلف فيما بينها بدرجات متباينة ، فإن هناك إدراكا متزايدا واتفاقا على أهمية التركيز على الموقف النفسى الاجتماعى للعميل (Psychosocial Situation) أكثر من التركيز على الوظائف الداخلية له (Inner - Functioning) ، وأهمية فهم الموقف الحالى للعميل ؛ بدلا من الرجوع إلى تفاصيل مطولة لماضيه . كذلك فإن الاتفاق يفوق الاختلاف فيما يختص بأهمية العناصر المميزة لبيئة العميل وتداخلها (١٦) .

أنواع المشكلات الفردية :

تصنف بيرلمان (Perlman) ، أهم المشكلات التى تواجه عملاء الخدمة الاجتماعية والمتعلقة بأدائهم لأنوارهم إلى :

١ - ضعف الوسائل المادية للموسسة أو عجزها ، وضعف فى القدرات الشخصية يحد من أداء الدور ، وضعف فى المعلومات والاستخدامات .

٢ - اضطراب الشخصية ، والضعف العقلى .

٣ - التناقضات التي توجد في الدور ، وتشمل التعارض بين عدة أدوار ، والتعارض بين توقعات الفرد والآخرين ، أو بين الاحتياجات الشخصية ومتطلبات الدور: أو التعارض الناتج عن غموض تعريفات الدور وتناقضها .

كما صنف ريد (Reid) المشكلات التي يتعامل معها الأخصائي الاجتماعي كما يلي :- صراعات بين الأشخاص ، وعدم الرضا في العلاقات الاجتماعية ، ومشكلات مع المؤسسات الرسمية ، وصعوبات في أداء الدور ، ومشكلات خاصة بالقرارات ، ورد فعل للضغوط الانفعالية ، ونقص الموارد ، ومشكلات نفسية أو اجتماعية أو سلوكية أخرى مما لم ترد في الأنواع السابقة . والتعريف المأخوذ به هنا للمشكلات هو : أنها رغبات غير مشبعة (١٧).

يلاحظ مما سبق أن المنظور الغربي وإن كان قد أرجع حدوث المشكلات الفردية إلى العديد من العوامل ، إلا أنه أكد على العلاقة الطردية بين المشكلات والنقص في إشباع الحاجات الإنسانية ؛ ولذلك لابد من عرض مفهوم الحاجات الإنسانية في النظريات الغربية ، ثم محاولة اكتشاف التصور الإسلامي لهذه الحاجات حتى يكون مدخلا لتفسير المشكلات الفردية من المنظور الإسلامي .

الحاجات الإنسانية في العلوم الاجتماعية :

مفهوم الحاجة (Need) :

اختلفت تعريفات الحاجة باختلاف العلوم المعرفه لها . ففي علم النفس نظر إلى الحاجة على أنها مفهوم فرضي ، أي حالة مجردة أو فرضية ، ولكنه يرتبط بالعمليات الفسيولوجية الكامنة في الدماغ . ويرى موراي أن الحاجات إما أن تستثار داخليا ، أو أن تأخذ في التحرك نتيجة لتبنيه خارجي . وفي أي من الحالتين تؤدي الحاجة إلى نشاط من جانب الكائن ، يستمر حتى يتغير موقف الكائن - البيئة بحيث تقل الحاجة . فالحاجة مفهوم دافعي يماثل الاصطلاحات الأخرى كالدافع أو الرغبة أو الباعث أو المحرك (١٨) .

وفي مجال السياسة الاجتماعية ظهر مفهوم الحاجات الأساسية (Basic Needs) وقسمت الحاجات الإنسانية الأساسية إلى نوعين : الأول : الحاجات المادية (Material Needs) الضرورية لبقاء الإنسان على قيد الحياة مثل : الطعام ، المسكن ، اللبس ، سهولة التوصل للماء ، الصحة والأحوال المفضية إليها . والثاني : الحاجات غير المادية : (Non Material) مثل : التعليم ، الحقوق الإنسانية الأساسية بمعناها الواسع الذي يشمل مثلا الحق في العمل ، والحق في الاشتراك في إصدار القرارات السياسية والمشاركة في الحياة الثقافية القومية (١٩).

ويعتبر تعريف الحاجة من المشكلات التي تتحدى البحوث في هذا المجال والتي لم تحل إلى الآن . والحقيقة الهامة التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند محاولة تعريف الحاجات هي أنها - أي الحاجات - عبارة عن أبنية نظرية (Theoretical Constructs) ولذلك فإنه لا يمكن إثبات وجودها بالطرق الفيزيائية المباشرة (٢٠) . والحكم على شخص ما انه في حاجة إلى أشياء ضرورية لن يكون حكما قائما على حقيقة موضوعية ، ولكنه سيكون وجهة نظر ، لأن هناك متسعا للاختلافات حول القيم التي بنى عليها هذا الحكم (٢١) .

تحديد الحاجات :

اختلف أصحاب نظريات الشخصية في وضع تصور لتحديد الحاجات التي يمكن من خلالها دراسة السلوك . فممنهم من أخذ بتنوع الدافعية وتعددتها لدى الإنسان ، ومنهم من أخذ بعدد قليل من التصورات الدافعية .

ويعتبر موراى من ممثلى الفريق الأول حيث توصل نتيجة لدراساته إلى قائمة تتكون من عشرين حاجة ، ميز بينها على عدة أسس ، منها التفرقة بين الحاجات الأولية التي ترجع إلى إشبعات بدنية (مثل الحاجة إلى الطعام ، الهواء ، الجنس ، الرضاغة) . الحاجات الثانوية ذات الأصل النفسى (مثل الحاجة إلى الإنجاز ، والتقدير ، والسيطرة) . وهو يرى أن الحاجات لاتعدل منعزلة عن بعضها ولكن في تفاعل وتأثير متبادل ، ولقد بذل محاولات جادة لكى يصف ذلك التفاعل الجارى بين محددات السلوك ، فأقام الحجة على أن الحاجات تعمل دائما في خدمة بعض القيم ، أو يهدف تمهيد السبيل للوصول إلى حالة نهائية . وبذلك فإن القيمة يجب أن تكون جزءاً من تحليل الدوافع (٢٢) .

أما الفريق الثانى فمن أشهر ممثليه جولد شتين الذى يرى أن تحقيق الذات هو الدافع الوحيد لدى الكائن العضوى ، وما يبدو أنه تحركات مختلفة كالجوع والجنس والإنجاز ؛ ليس إلا مظاهر لغرض أسمى للحياة ، وهو تحقيق المرء لذاته . فعندما يكون الشخص جائعا فإنه يحقق ذاته بتناول الطعام . ويحتل إشباع أى حاجة نوعية المقام الأول عندما تكون شرطا لتحقيق الذات للكائن العضوى بأسره (٢٣) .

نظرية ماسلو : (Maslow Theory)

اشتهرت نظرية ماسلو فى الدافعية الإنسانية ؛ واتفقت العديد من الآراء على أنها يجب أن تكون الأساس للبحوث والمناقشات . فالنظام الهرمى الذى وضعه ماسلو يمثل نقطة انطلاق هامة ومثمرة لعملية التنظير للعلاقة بين الحاجات الإنسانية وبين السياسة والمشكلات الإنسانية . وقول باى (Bay) أنه على الرغم من عدم وجود إثبات علمى

كاف لصدق هذا النظام إلا أنه لا توجد أي نظرية بديلة فى الحاجات الإنسانية أفضل من نظريته (٢٤) .

لذلك يفضل تناولها بقليل من التفصيل فيما يلي :-

يقرر ماسلو أن الحاجات الإنسانية تنتظم فى تسلسل هرمى تبعا لأولويتها . وأطلق اسم الحاجات الدنيا على الحاجات الأكثر إلحاحا ولها الأولوية ، وهى منظمة حسب قوتها كما يلي :

الحاجات الفسيولوجية أولا ، ثم الحاجات المتعلقة بالأمن ، تليها الحاجات المتعلقة بالانتماء والحب ، ثم الحاجات المتعلقة بالقيمة والتقدير . وظهور أى حاجة للفرد يتوقف على إشباع الحاجة السابقة لها، لذلك فإن الإنسان الذى فى حاجة إلى الطعام والأمن والحب والتقدير ، سوف يسعى إلى الحصول على الطعام بقوة أكبر من سعيه إلى إشباع الحاجات الأخرى .

أما الحاجات العليا فهى الحاجات المتعلقة بتحقيق الذات ، فإذا أشبعت لدى الإنسان الحاجات الدنيا ، ولو بدرجة جزئية ، عندها فقط يمر بتجربة الحاجات العليا (تحقيق الذات) ، حيث لا يكون قلقا على حياته وعلى بقائه .

ويمكن إعطاء أمثلة من كل نوع : فالحاجات الفسيولوجية مثل الحاجة للتخلص من الجوع والعطش ، والحاجة للنوم ، والحاجة للجنس ، والحاجة للتخلص من الألم . ومن الأمثلة على حاجات الأمن : الحاجة للحماية ، والبعد عن الأخطار ، والاطمئنان على المستقبل .

أما حاجات الحب والانتماء فمن أمثلتها الحاجة للأصدقاء ، والأسرة ، والانتماء لجماعة . ومن الأمثلة على حاجات القيمة والتقدير : الحاجة للاحترام ، والإعجاب ، والحاجة للشعور بالإعجاب بالنفس وبقيمتها ، والحاجة للشعور بالرضى عن الذات .

أما الحاجات العليا وهى حاجات تحقيق الذات ، فمن أمثلتها الحاجة لتحقيق الطاقات الشخصية، وتطوير الطموح والقدرات ، والقيام بالعمل الذى يناسب الشخص، والحاجة إلى إنماء وتوسعة الاحتياجات العليا عن طريق اكتشاف الحقائق ، وإيجاد النظام ، وإظهار العدالة .

هذا ولم يضع ماسلو الحاجة إلى المعرفة والفهم فى مكان محدد من التسلسل الهرمى للحاجات ، إلا أنه يؤكد أن الرغبة للمعرفة والفهم هى دوافع حقيقية نابعة من الحاجات الأساسية . فالإنسان العادى لا يستطيع أن يأخذ موقفا سلبيا تجاه العالم الذى يعيش فيه . كما أنه لا يأخذ الأمور على علاتها ولكنه يستفسر ويطلب بمعرفة الأسباب . ولقد صنف ماسلو الحاجات المعرفية فى تسلسل هرمى أيضا . فتعتبر -

مثلا - الحاجة إلى معرفة العالم أساسية بشكل أقوى من الحاجة إلى تريبب الأحداث في إطار . ومن أمثلة الحاجات المعرفية : الحاجة إلى التحليل ، الحاجة إلى إجراء تجارب ، وهي تظهر واضحة لدى الأطفال خاصة ، كذلك الحاجة إلى تفسير للأحداث وليس معرفتها فقط ، والحاجة إلى إيجاد معنى للحياة (٢٥).

ولم يذكر ماسلو أن هذه هي كل الحاجات الإنسانية ، لكنه أكد أن كل إنسان لديه هذه الحاجات . كما أنه أشار إلى أنه في حالة كَوْن الحاجات العليا في مرحلة من مراحل عمر الإنسان نشيطه للغاية ، ثم تبعها حرمان من إشباع الحاجات الدنيا ، فإنه ليس من الضروري أن تُطفأ أو تُخمد الحاجات العليا . ومثل على ذلك بشخصية غاندى الذى كان يحرم نفسه من الطعام فى سبيل أهداف سامية ، لأن الحاجات العليا أصبحت أكثر أهمية لديه ، إلا أنه يقول إن الشخص الذى عاش حياته ولم يكن لديه قط طعام يكفيه - أى عاش فى حرمان مستمر - لن تنشط عنده الحاجات العليا أبدا (٢٦).

ولقد وجه أنصار علم النفس التحليلي وعلم النفس السلوكي النقد إلى ماسلو ، كما وجهوه إلى علم النفس الإنسانى بصفة عامة ، فوصف السلوكيون مفاهيم نظرية ماسلو بأنها غامضة وميتافيزيقية ، وعارضوا قوله بأن الحاجات الأساسية هي حاجات غريزية عالمية . كما قال البعض أن نظريته تعتبر حيوية (Vitalist) وغانية (Teleological) خاصة فيما يتعلق بمفهوم تحقيق الذات ، وأنها محملة بالقيم . وهناك من يدافع عن نظرية ماسلو أمثال ميس (Mace) ، وتايلور (Taylor) ، فيعرف ميس الحاجة بأنها عمليات غرضية ، تهدف إلى توجيه السلوك إلى النهاية التى تقود إليها دينامية الاتزان. وهو يحل مشكلة الفرق بين القيمة والحقيقة بقوله أن هذا الفرق يتضائل جدا حتى يصبح خير الإنسان يتمثل فى إشباع حاجاته . وإذا اعترف ماسلو بأن نظريته محملة بالقيم ولا يوجد غضاضة فى ذلك ، نجده يطالب بأن تؤخذ - وبجدية - إمكانية تعامل العلم مع القيم بل إمكانية اكتشاف القيم بواسطة العلم ، إلا أن روس (Ross) يرى أن العلم الذى يصفه ماسلو ليس له علاقة بالقيم ، وأن أى اهتمام بالقيم غير علمي ، أما العلوم ذات الطبيعة فإنها درست القيم باعتبارها حقائق . وعندما هاجم تايلور وجهة النظر التى تقول أن التفسير الغائى لا يمكن ادراكه بالحواس Non - Epirical وأنه ميتافيزيقى ، علق روس قائلا أنه حتى لو كان التفسير الغائى مقبولا ، فإن هذا لا ينقذ نظرية ماسلو ، حيث أن المشكلة الأساسية - من وجهة نظره - لازالت قائمة والمتعلقة فى التساؤل الذى لم يجب عنه ، والخاص بكيفية تحديد الهدف أو نموذج السواء أو المعيار الذى نقيس عليه إشباع حاجات الإنسان (أى كيف نقرر إن كان على مستوى راقى أو دون ذلك) .

أما عن التسلسل الهرمي للحاجات فقد لقي التأييد من العديد من المختصين حيث أثبتت التجارب العملية أولوية الحاجات الدنيا مثل الجوع والعطش والحاجة إلى الأمن عن بقية الحاجات (٢٧) . وعندما سئل ماسلو عن السبب الذي جعل من الوصول إلى تحقيق الذات أمرا نادرا جدا بين الناس حيث تقل نسبته عن ١ / ٠ ، أجاب بأن الحاجة إلى تحقيق الذات تقع في أعلى درجات السلم الهرمي لذلك فهي أضعفها ، كما أن ما يحدث أثناء التنشئة الاجتماعية من نقص في إشباع الفسيولوجية والحاجة إلى الأمن والتقدير يجعل من تحقيق الذات أمرا صعبا للغاية، بالإضافة إلى أن تحقيق الذات يحتاج إلى كثير من الشجاعة ، ولا يكفي إشباع الحاجات الدنيا جميعها لكي ينشط تحقيق الذات ، بل يحتاج الأمر إلى بذل جهد وضبط للنفس ، ونظام ، وعمل شاق بل قد يكون الأمر مؤلما في بعض الأحيان . لذلك فمن الأيسر على الإنسان أن يتخذ الموقف الأسهل الذي لا يحتاج فيه إلى بذل جهد ، ويضمن له الأمن والسلامة بعيدا عن أى تحديات ، فالشخص المحقق لذاته يختبر نفسه باستمرار ويتحداها ، ولديه الشجاعة الكافية التي تجعله يسلك بطريقة بعيدة عن الروتين الذي يعبده ويضمن نتائجها (٢٨) .

هذا أهم ما يمكن ذكره عن المفهوم الغربي للحاجات الإنسانية وفيما يلي محاولة للنظر إليها من المنظور الإسلامي ، يسبقها إشارة إلى موقف المختصين المسلمين في علم النفس والتربية تجاه هذه القضية .

الحاجات الإنسانية من المنظور الإسلامي

كتب العديد من المختصين المسلمين في علم النفس والتربية في قضية الحاجات والدوافع من المنظور الإسلامي ، ولقد اتسمت طبيعة كتاباتهم بالسمات التالية :-

- ١- الأخذ بمفهوم الحاجة وفقا للتعريفات الواردة بالنظريات الغربية .
- ٢- الالتزام بالتصنيف المعتاد عند أصحاب النظريات الغربية للحاجات (حاجات جسمية ، نفسية ، اجتماعية) مع تفسيرها والتدليل عليها من القرآن والسنة .
- ٣- إضافة ما أسماه الحاجات الروحية ، وهنا نجد أن بعضهم قد أفرد لها وميزها عن الحاجات النفسية (أمثال يالجن) ، والبعض الآخر ضمها للحاجات النفسية (أمثال نجاتي) ، وآخرون ضموا للحاجات الاجتماعية (أمثال محمد عوده وكمال إبراهيم) .

وقد عبر أصحاب الاتجاهين الآخرين عن تلك الحاجات الروحية بالحاجة إلى الدين ، أو الدافع إلى التدين والدوافع الأخلاقية .

٤- الالتزام بالمصطلحات الغربية على الرغم من اختلاف مضمونها في بعض الأحوال عن المضمون المقصود من وجهة النظر الإسلامية (مثال على ذلك مصطلح تحقيق الذات) . كما قد يختلف بعضها الآخر في معناه اللغوي ، مثل مصطلح " صراع " الذي يستخدم كثيرا ، فهو يعنى - كما جاء بالقرآن الكريم - أن يصارع طرف الطرف الآخر بهدف أن يصصره ، فيفنيه (٢٩) .

ونظرا لأن الأخذ بمفهوم الحاجة كما جاءت به النظريات الغربية ، والمحدد في المتطلبات الضرورية للحفاظ على سلامة حياة الإنسان ونموه في الحياة الدنيا ، لا يتضمن الإشارة إلى ضوابط الإشباع ، بل تحدث عن الإشباع مطلقا ، كما لو كان خيرا كله ، فإنه يبتعد بهذا عن المنظور الإسلامى ، لذلك فلعلة من الأفضل وضع تعريف للحاجة يمثل النظرة الإسلامية ، ويمكن أن يكون كما يلي :-

الحاجة :- هى " كل ماتستقيم به مصالح الإنسان فى الدنيا والآخرة " . والإنسان وفقا لهذا التصور يكون فى حاجة إلى كل مايجلب له المصلحة ، وإلى كل مايدفع عنه المفسدة فى الدنيا والآخرة . وتقدير المصالح هذا يتم فى ضوء التوجيه الالهي ، ولا يترك للعقل الانسانى حرية تقديره منفردا . وهى بهذا تختلف عن الأهواء والرغبات ؛ فقد يرغب الإنسان فى شىء يجلب إليه لذة مؤقتة - حتى لو كانت مستمرة طوال عمره - دون أن يكون فى هذا مصلحته الحقيقية ، سواء أدرك ذلك أم لم يدركه . ومصلحة الإنسان الحقيقية - فى التصور الإسلامى - هى فى نعيم الدنيا والآخرة ، وليس الدنيا وحدها . لذلك فإن المصلحة الأخروية الدائمة تصبح الهدف الصحيح الذى يجب أن يسعى إليه الإنسان من تحقيق مصالحه أو رغباته الدنيوية . وكما يقول الشاطبى : «إن المصالح المجتلبة شرعا والمفاسد المستدفة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى ، لا من حيث أهواء النفوس فى جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية » (٣٠) . أى أن مجرد كونها مصلحة فى نظر الشخص لا يعتبر ، والمعتبر هو أن تكون بحيث تقوم بها الحياة الدنيا للأخرى .

وبذلك نرى أن تضمين المفهوم الإسلامى للحاجة لبعد الإيمان بالآخرة ووجوب طاعة الله عز وجل - قد منح المفهوم ضابطاً واضحاً وبيناً لإشباع الحاجات . وهو بذلك لايسمح بحدوث أى اختلافات حول القيم التى يبنى عليها الحكم فى كون حاجة ماضورية أم لا ، لأن القيم الإسلامية ثابتة لاخلاف عليها ، على عكس القيم فى الثقافات الأجنبية غير الإسلامية التى تختلف من مجتمع إلى آخر . كما أنه يحدد لنا نموذج السواء ، أو المعيار المثالى الذى نقيس عليه مدى سلامة ورقى الأسلوب المتبع لإشباع الحاجات والذى تساعل عنه روس ، حيث لم تتمكن النظريات الغربية من

الوصول إليه ، والله جل قدره ، عليم ورحيم بعباده ، لذلك حدد فى شريعته هذا النموذج السوى وأرشد إلى كيفية الأخذ به على يد رسله ، (فلا حجة لنا بعد الرسل) . كذلك فإن ربط الحاجة الإنسانية بالمصلحة الشرعية يجعل لها محتوى موضوعيا يمكن تحديده وإثباته من القرآن والسنة . وبذلك لا تصبح هناك قيمة للرأى المذكور سابقا والقاتل بأنها أبنية نظرية لا يمكن إثبات وجودها بالطرق الفيزيائية .

تحديد الحاجات من المنظور الإسلامى :

بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم ، يتضح لنا أن هناك حاجة أساسية ومهيمنة على جميع الحاجات - لأنها ضامنة لإشباعها جميعا - ألا وهى الافتقار إلى الله عز وجل : قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (فاطر : ١٥) ويفسر ابن كثير قوله تعالى ﴿ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ أى أنتم محتاجون إليه فى جميع الحركات والسكنات (٣١) .

كما يفسر الرازى قوله تعالى " إلى الله " إعلام بأنه لا افتقار إلا إليه ولا اتكال إلا عليه ، وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا إليه ، وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار إلى غيره . كما أن المعنى المقصود بقوله تعالى " والله هو الغنى الحميد " هو : فلستم أنتم فقراء والله مثلكم من الفقر بل هو غنى على الإطلاق ، ولستم أنتم لما افتقرتم إليه ترككم غير مقضى الحاجات بل قضى فى الدنيا حوائجكم ، وإن أمتم يقضى فى الآخرة حوائجكم فهو حميد (٣٢) . فالإنسان فى حاجة إلى الله ، لأنه تعالى هو الذى خلق وسخر مافى السموات مافى الأرض لإشباع حاجات الإنسان الدنيوية ، وهو فى حاجة إلى شكر الله (بعبادته) حتى تقضى احتياجاته فى الدنيا وأيضا فى الآخرة .

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التى توضح فضل الله على عباده ، وحاجتهم إليه ، من أمثلة هذه الآيات :

﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور أنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾ (الملك : ١٥ ، ١٦) كما قال عز وجل ﴿ قل أرى أنتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتىكم بماء معين ﴾ . (الملك : ٢٠) كما قال فى سورة النحل : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ﴾ كما قال تعالى " والله جعل لكم من بيوتكم سكنا " (النحل : ٨٠) والآيات من ٥ - ١٦ من سورة النحل أيضا توضح فضل الله وتسخيرها للسموات والأرض من أجل الإنسان ومن أجل قضاء حاجاته الدنيوية . ثم قال عز من قائل ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ كما قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم : ﴿ قال أفأرى أنتم تعبدون . أنتم وآبائكم الأقدمون ، فإنهم عدولى إلا

رب العالمين . الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحييني. (الشعراء : ٧٥ - ٨١) . إذن فالله خالق الإنسان وخالق كل شيء ، مقدر الحاجات علي الناس لعلمه ، ورازقهم بما يشبعها برحمته ، حتى أصبحت كل الحاجات إليه وحده وكل التوجه إليه وحده سواء أعطى أو منع بحكمته، فإن أعطى مايشبع الحاجات ، فلا يجوز إشباعها إلا وفقا لأمره وإن منع فلا راد لقضائه ، وتكون استجابة الإنسان القبول لحكم الله واليقين بما عنده .

ويمكن تحديد الحاجات الإنسانية بالنظر إلى مقاصد الشريعة الإسلامية كما صنفها الشاطبي في المواقف ، وذلك على الوجه التالي :-

الحاجات الأساسية من منظور المصالح المقصودة من التشريع :

قسمت المصالح المقصودة من التشريع باعتبار أثارها في قوام أمر الأمة . إلى ثلاثة أقسام : ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية . والمصالح الضرورية هي التي تكون الأمة بمجموعها وأحاديها في ضرورة إلى تحصيلها بحيث لا يستقيم النظام بإخلالها . وليس المقصود باختلال نظام الأمة . هلاكها واضمحلالها - لأن هذا قد سلمت منه أعرق الأمم الوثنية واليمجية - ولكن المقصود أن تصير أحوال الأمة شبيهة بأحوال الأنعام بحيث لا تكون على الحالة التي أرادها الشارع منها .

وقد مثل الغزالي والشاطبي هذا القسم الضروري بما يلي :-

حفظ الدين - حفظ النفس - حفظ العقل - حفظ المال - حفظ النسل (٣٢) .

وبالنظر إلى هذه الضروريات على أنها تمثل الحاجات الأساسية للإنسان ، وذلك باعتبار الحالة التي يريدتها الله للإنسان وهي : أن يعرف الحق ويعتقده ، ويعرف الخير ويعمل به حسب وسعه ، فيحقق بذلك إنسانيته بعبوديته لله ، على عكس حالة الإنسان الذي انسلخ من إنسانيته لعدم قيامه بعبادة الله ، فصار حيوانا أو بون الحيوان كما وصف الله تعالى الكفار ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ (الفرقان : ٤٤) .

فعلي هذا الأساس يصبح ترتيب الحاجات الإنسانية كما يلي :

أولا : الحاجة إلى حفظ الدين :

والدين هو عقيدة وشريعة ، والحفاظ عليه يقتضى الحفاظ على كل منهما . وحفظ العقيدة هو حفظ فطرة الإنسان السليمة (التوحيد) من أن يدخل عليها ما يفسدها وحفظ تصوراته من الفساد أو دخول الشك والريبة بها ، وحفظ الشريعة أي حفظ إرادة الإنسان وتوجهاته وأعماله من الفساد والانحراف عما شرعه الله .

ثانيا : الحاجة إلى حفظ النفس :
أى حفظها عن التلف قبل وقوعه (٢٤) . ويتضمن هذا توفير الأمن على الحياة وهو
من أعظم حاجات الكائن الحى .

ثالثا : الحاجة إلى حفظ العقل :
أى حفظه من أن يدخل عليه خلل ، لأن دخول الخلل على العقل مؤد إلى فساد عظيم
من عدم انضباط التصرف . فالإنسان فى حاجة إلى أن يبقى عقله فى حالة صحية
جيدة (الصحة العقلية) لى يستطيع أن يقوم بمهام التكليف .

رابعا : الحاجة إلى حفظ المال :
والمقصود بالمال هو مايقع عليه الملك ، ويستوى فى ذلك الطعام أو الشراب واللباس
وجميع الممتلكات التى لا غنى عنها لبقاء الإنسان على قيد الحياة (٢٥) .

خامسا : الحاجة إلى حفظ النسل :
والنسل هو حفظ أفراد النوع ، فلو تعطل يؤول تعطيله إلى اضمحلال النوع
وانتقاصه (٢٦) . هذه هى الحاجات الأساسية أو الضرورية التى لا تستقيم مصالح
الإنسان فى الدنيا والآخرة إلا بإشباعها .
أما مستويات الإشباع فيمكن تقسيمها كما يلى :-

المستوى الأول :
هو حفظها من العدم ، فلو عدم الدين عدم ترتب الجزاء المرتجى (وهو الفوز بالجنة
والنجاة من النار) ، ولو عدمت النفس ، عدم من يتدين . ولو عدم العقل ، إرتفع التدين
(لأن العقل من شروط التكليف) ، ولو عدم المال لعدم العيش ، ولو عدم النسل لم يكن
هناك بقاء .

المستوى الثانى :
ويتمثل فى حفظ استمرار إشباع الحاجات الضرورية دون حرج أو مشقة ؛ بحيث
يؤدى إلى انتظام المصالح على وجه حسن . ولهذا قد تتفرع من الحاجات الضرورية
الخمس حاجات أخرى مكملة لها ، فتحسن من مستوى الإشباع .

المستوى الثالث :
ويتمثل فى حفظ استمرار إشباع الحاجات الضرورية بأحسن صورة ممكنة ، أى
فى أعلى المستويات . وغالبا مايجتاج الإنسان إلى أنواع أخرى من الحاجات متفرعة
من الحاجات الضرورية الخمسة ، ومتمة لها ، وهذا المستوى يقابل المصالح

التحسينية التي تقع موقع التحسين والتيسير للمزايا ، ورعاية أحسن المناهج فى العادات والمعاملات .

هذا والآيات من ٣٥ إلى ٤٠ من سورة إبراهيم ، تشير إلى أهم الحاجات التى طلب سيدنا إبراهيم من الله عز وجل إشباعه له ولأهله ، وهى لا تخرج عن الحاجات السابقة الذكر ، فالحفاظ على الدين يتمثل فى طلب سيدنا إبراهيم العصمة من الشرك أى التوحيد وذلك فى قوله تعالى : ﴿ واجتنبى وبني أن نعبد الأصنام ﴾ . وطلبه أن يوفقه الله للأعمال الصالحة أهمها الصلاة فى قوله تعالى : ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ﴾ . وكذلك فى طلبه أن تتقبل عبادته وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ . والحفاظ على النفس يتمثل فى طلبه الأمن ، كما جاء فى قوله تعالى ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ . حيث ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد هنا جعل أهلها آمنين . والحفاظ على المال يتمثل فى طلبه الرزق فى قوله تعالى : ﴿ وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ . أما الحفاظ على النسل فيتضح فى دعائه لبنيه وذريته .

ويذكر الرازى فى تفسيره لقوله تعالى : " وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " أنه يدل على أن المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لأداء العبادات وإقامة الطاعات ، فإن إبراهيم عليه السلام بين أنه إنما طلب تيسير المنافع على أولاده لأجل أن يتفرغوا لإقامة الصلوات وأداء الواجبات (٣٧) . ومن هنا يتضح السبب من تقديم الحاجة إلى صيانة الإنسان من الشرك عن الحاجة إلى الطعام ، حيث إشباع الحاجة إلى الطعام وغيرها من الضروريات المعيشية ، هى وسيلة لتحقيق الهدف الذى من أجله خلق الإنسان ، وهو عبادة الله . كما أن التوحيد وعدم الشرك هو الأساس الذى تقوم عليه سائر العبادات والطاعات والأعمال الصالحة المقبولة ، فلن ينفع الإنسان أن يبقى على حياته بتوفر وسائل العيش ، إذا لم يكن موحدًا بالله ، لأن ذلك سيجعل نهايته النار فى الحياة الأخرى . قاله يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك به . وبهذا نرى أن هذا الترتيب للحاجات يدعم مفهوم الحاجة ، كما سبق ذكره من المنظور الإسلامى .

يتضح من كل ما سبق، أن المنظور الغربى يغفل تماما البعد المتعلق بصلة الإنسان بخالقه والإيمان باليوم الآخر فى تفسيره للمشكلات الفردية وتناوله للحاجات الإنسانية.

كما أنه من هذا المنظور يتصور أن بيئة الإنسان - مهما بلغت من كفاية - لن يمكنها إشباع كافة حاجاته ورغباته بصورة تشعره بالرضى والسعادة ، نظرا لتنوع هذه الحاجات وتغيرها وتجدها بين لحظة وأخرى (٣٨) . ولا شك أن هذا الرأى - من المنظور الإسلامى على الأقل - قد جانب الصواب ، فتصور الرضى والسعادة بأنها لا تتحقق إلا إذا أشبعت حاجات الإنسان المادية والاجتماعية ، تصور غير صحيح ، وهو

التصور الدنيوي البحت الذي يأخذ به من لا يؤمن بالآخرة وبالثواب والعقاب ، أما من يؤمن بها فإنه يرى في عدم إشباع حاجاته - لأي سبب كان - ابتلاء إذا صبر عليه سيلقى خيرا في الدنيا والآخرة ، فإن الله عز وجل - إن أراد - يهد قلب المؤمن لليقين فديطمئن ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر . فكان خيرا له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له * (٢٩) فالمؤمن يصبر على الضراء وقلبه يملأه الرضى واليقين بثواب الله له في الآخرة .

هذا وعلى الرغم من إشارة بعضهم إلى أهمية القيم ووجوب أخذها في الاعتبار عند تحليل الحاجات ، مثل موراي الذي أكد على أن الحاجات تعمل في خدمة القيم ، وماسلو الذي دلل على ذلك ؛ إلا أن الأهداف في النهاية هي أهداف دنيوية فقط مهما كانت محملة بالقيم ، فالحياة الأخرى لم تدخل في اعتبارهم أصلا وكأن حياة الإنسان في هذه الدنيا هي نهاية المطاف وأنه خلق عبثا .

كما أن قول ماسلو بأن الإنسان الذي عاش حياته في حرمان مستمر ولم تشبع لديه الحاجة إلى الطعام ، لن تنتشط لديه الحاجات العليا وبالتالي تحقيق الذات ، قول لا يتفق مع المنظور الإسلامي ، فالمعروف عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم أنهم كانوا يجوعون كثيرا . (نتيجة نقص الموارد) . كما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : " ماشيع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من خبز بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض " (٤٠) .

ويشير محمد عودة ، وكمال ابراهيم - إلى هذه الفئة من المسلمين الأوائل أنهم كانوا يجدون تحقيق نواتهم في الالتزام بما فرضه الله من عبادات ومعاملات ، ويجدون فيها في التوبة والاستغفار بالليل والنهار ، ويجدون فيها في الحمد والشكر في السراء ، والصبر والاحتساب في الضراء . فتحقيق الذات عند المؤمن يكون في بقاء نفسه على مستوى حسن من الإحساس الدائم بالله ، والمصاحبة المستمرة له ، والشعور بالمسئولية الكبيرة والواجب العظيم والأمانة السامية التي يحملها الإنسان في الحياة (٤١) .

إذا فتحقيق الذات عند المؤمن هو تحقيق العبودية لله عز وجل . وبذلك يظهر الفرق بين المنظور الغربي والمنظور الإسلامي لمضمون تحقيق الذات . وبينما يضع ماسلو الحاجة إلى تحقيق الذات في أعلى درجة للحاجات الإنسانية ، يضع المنظور الإسلامي الحاجة إلى حفظ الدين - الذي يتمثل فيه تحقيق ذات المؤمن أو العبودية لله - في أول درجات سلم الحاجات .

كما اتضح أن إشباع الحاجة إلى حفظ الدين تعتبر الهدف من إشباع الحاجات المادية الأخرى التي تحافظ على بقاء الإنسان ؛ لذلك يمكن اعتبارها وظائف غائية (Consummatory Functions) واعتبار إشباع الحاجات المادية الأخرى وظائف وسيلية (Instrumental Functions) وذلك على غرار التصنيف الذي وضعه بارسونز (Parsons) لوظائف النظم الاجتماعية التي تعمل على بقائها واستمرارها^(٤٢) . فإذا تصورنا الإنسان كنسق له وظائف غائية وأخرى وسيلية ، تنشأ المشكلات المختلفة باختلاف نوعية الخل ودرجته . فإذا كان هناك خلل في الوظائف الغائية ، أى فى إشباع الحاجة إلى حفظ الدين ، إما بفساد فى التصور (أى فى الاعتقاد) أو بفساد الأعمال (السلوك المنحرف عن الشريعة) أو بكليها ، وذلك مع صحة وسلامة الوظائف الوسييلية المتمثلة في إشباع الحاجات المتصلة بالبقاء . سينتج هناك مشكلات ، قد تكون واضحة وملموسة ، وذلك فى حالة كون الفساد فى الأعمال ؛ أو غير ملموسة ، أو غير مدركة فى حالة كون الفساد فى الاعتقاد . وهنا يظهر مرة أخرى الفرق بين النظرة الإسلامية للمشكلات والنظريات الغربية التى لاتعتبر هناك مشكلة فى مثل هذه الحالة حيث الحاجات المادية المشبعة بطريقة سليمة لم تدفع الإنسان إلى الخروج عن السواء أو تعدى القوانين المجتمعية ، أما سلامة الاعتقاد وصحة تصور الإنسان للخالق وعلاقته به ، لاتدخل أصلا ضمن الوظائف الغائية للنسق الإنسانى من المنظور الغربى . لذلك لا يرونها مشكلة ، فسلامة الاعتقاد أو فساده ، لا تهم مادام الإنسان قادرا على التوافق مع بيئة الاجتماعية . أما المنظور الإسلامى فيراها مشكلة عظيمة ، وذلك لأنه يأخذ فى اعتباره الحياة الأخرى ، فإذا فسدت عقيدة الإنسان بالكفر بالله أو الشرك به فإن عاقبته النار . فمهما تمتع فى حياته الدنيا فإنها فانية والحياة الأخرى هى الباقية . يقول عز من قائل :

﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ (آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧) وفى آية أخرى يتضح بجلاء أهمية صحة الاعتقاد وسلامة الوظائف الغائية ، حيث تعقد مقارنة بين مجموعة من الناس ووظائفهم الغائية سليمة بجانبها (اعتقاد - سلوك) وبين مجموعة أخرى ووظائفهم الوسييلية سليمة ولديهم خلل فى وظائفهم الغائية خاصة الجانب الإعتقادى .

قال تعالى :

﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ (محمد : ١٢) .

فالإيمان والعمل الصالح يمثلان الوظائف الغائية السليمة لدى المجموعة الأولى ، والكفر يمثل فساد الوظائف الغائية لدى المجموعة الثانية كما يمثل تمتعهم بالمال والمشرب في الحياة الدنيا بسلامة الوظائف الوسيلىة .

أما إذا كان الخلل فى الوظائف الوسيلىة ، أى يكون هناك نقص فى إشباع الحاجات المادية والنفسية الضرورية ، مع سلامة الوظائف الغائية بجانبها ، فلا شك أن الإنسان سيكون معرضا لمشكلات ، مثل : الفقر ، الشعور بالظلم الاجتماعى ، قد يتعرض للمرض ، الجهل ، وهو قد يستطيع أن يتغلب على هذه المشكلات بفضل الله عن طريق قوة الوظائف الغائية أى قوة الإيمان بالله والتوكل عليه وطاعته وعدم الوقوع فى المعاصى . ومن الأمثلة على ذلك ما جاء فى قصص الأنبياء عن ابتلاء الله تعالى لهم ، وكيف صبروا على ذلك وتوجهوا لله عز وجل يدعونه رغبة ورهبة وكانوا له خاشعين ،

فأستجاب لهم ربهم ونجاهم ، وأعطى لكل طلبه فى الدنيا قبل الآخرة .. (الأنبياء : ٨٣ - ٩٠) كما يقول تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإنا ترجعون ﴾ (الأنبياء : ٢٥) ، ﴿ ونبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ (محمد : ٢١) .

وتظهر من هذه الآيات أهمية مجاهدة النفس والصبر حتى ينال الإنسان رضى الله فيستطيع بفضل الله أن يتغلب على مشكلاته . ويتفاوت الناس فى مدى استطاعتهم التغلب على مشكلاتهم نظرا لتفاوتهم فى المقدرة على جهاد النفس والصبر المتوقفة على قوة إيمانهم بالله وتوكلهم عليه والتزامهم بطاعته أى على مستوى إشباعهم الحاجة لحفظ الدين (الوظائف الغائية) ، فقد يكون الفساد تاما فلا يشكل لدى صاحبه مشكلة لأنه لا يشعر بإزعاج بل يتمتع بحياته الدنيوية ، أو ربما لا يكون الفساد تاما بحيث يشكل لديه نوعا من القلق والشك وعدم الإطمئنان بما وجد عليه نفسه من كفر أو شرك . وتؤكد النتائج التى جاءت بها الدراسة التى قام بها سوليفان على أشخاص مسلمين يمرون بأزمات ويشعرون بتوتر نتيجة عدم استطاعتهم تحمل أعبائهم ، أن السبب فى ذلك يرجع إلى العديد من العوامل التى أهمها تفسيرهم الخاطيء لأحداث الحياة وللودائع التى يمنحها الله لهم (الثروة ، القوة ، العقل) باعتقادهم أنها إنجازات بشرية . كما أنهم يوجهون اعتمادهم وخضوعهم إلى الوجهة الخاطئة (الشرك) . وتقرر الدراسة أيضا أن الشخص الذى يعانى من الاضطراب العصبى أو الاختلال العقلى هو شخص إما أنه قد أنكر الإيمان بالله ، أو أن توجهه لعبادة الله والإيمان به تتخلله تناقضات ، ومعتقدات خاطئة (٤٢) .

وبهذا نرى أنه لكى نحدد أبعاد المشكلة الفردية ونتوصل إلى مسبباتها ، لابد من التعرف على مدى قوة إيمان الفرد بالله عز وجل وصحة اعتقاداته وتوجهاته ، والقلب

كما جاء في الكتابات الإسلامية هو محل معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به . لذا فمن خلال دراسة أحوال القلوب نستطيع أن نكون خلفية معرفية تمكننا من تقدير موقف الفرد من حيث معرفته بالله واستعانتة به .

فما هي أحوال القلوب ؟

لقد أوجزها الرسول صلى الله عليه وسلم ، في الحديث الذي صرح عن حذيفة رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج مزهر ، فذلك قلب المؤمن . وقلب أغلف فذلك قلب الكافر . وقلب منكوس ، فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمى . وقلب تمده مدتان : مدة إيمان ، ومدة نفاق ، فهو لما غلب عليه منهما " (٤٤) وفيما يلي شرح لهذا الحديث :

أولا : حالة قلب المؤمن :

هو قلب أجرد أى متجرد عما سوى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلوات الله عليه ، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق ، وفيه سراج يزهر وهو مصباح الإيمان (٤٥) .

والإيمان هو اعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان . وعن الشافعى أنه قال : الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص . يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٤٦) . ولقد حدد ابن تيمية أصول الإيمان وقواعد الدين فى :

محبة الله ورسوله ، والتوكل على الله ، وإخلاص الدين لله ، والصبر على حكمه ، والشكر له ، والخوف منه والرجاء له ، وما يتبع ذلك . وقسم الناس بالنسبة إلى قيامهم بهذه الأعمال على ثلاث درجات هى :-

١ - ظالم لنفسه : العاصى بترك مأمور أو فعل محظور .

٢ - المقتصد : المؤدى الواجبات والتارك المحرمات .

٣ - السابق بالخيرات : المنتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب والتارك للمحرم والمكروه (٤٧) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار . " ويذكر ابن حجر فى شرح هذا الحديث عن الشيخ محى الدين أنه قال : معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات ، وتحمل المشاق فى الدين ، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا ، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك الرسول . كما قال البيضاوى : المراد بالحب هنا الحب العقلى الذى هو إيثار ما يقتضى العقل السليم

رجحانه ، وإن كان على خلاف هوى النفس ؛ كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه ، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله . فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص أجل ، والعقل يقتضى رجحان ذلك ، تمرن على الإثمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ، ويلتذ بذلك التلذذ عقليا ، إذ الالتذاذ العقلى إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك (٤٨) .

ويقول الغزالي أن المحبة هى علامة المعرفة ، فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها . من المحبوبات (٤٩) كما يقول ابن تيمية أنه كلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية (طاعة وتقوى) ، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه (٥٠) .

هذا ويذكر الرازى ماقاله الواحدى فى تفسير قوله تعالى :

﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ﴾ إن كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان أزيد إيمانا ، لأنه عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين . (٥١) ولقد جاء فى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم ما يفيد أنه أعلم الناس بالله عز وجل وأتقاهم . (٥٢) وبهذا يتضح أن هناك علاقة طردية بين معرفة الإنسان لله عز وجل وبين إيمانه وتقواه .

كما يمكننا أن نحدد مدى قوة أو ضعف إيمان الفرد بدقة أكبر إذا ما استطعنا الاستفادة من مفهوم شعب الإيمان . حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة . فأفضلها قول لا إله إلا الله . وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان . (٥٣)

يقول ابن حجر أن معنى الشعبة القطعة ، ولكن المراد هنا الخصلة . ولقد قسم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شعب الإيمان إلى :

- فرائض أى أعمالا مفروضة - شرائع أى عقائد دينية - حدود أى منهيات ممنوعة - سنن أى مندوبات .

كما قسمها القاضى عياض إلى :

- أعمال القلب الذى فيه المعتقدات والنيات ، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة - أعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال - أعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة (٥٤).

ولقد ذكر جميع الخصال بالتفصيل .

فإذا أمكن الاستفادة من هذه التقسيمات بالإضافة إلى تقسيم ابن تيمية للناس - سابق الذكر - فى تصميم أداة أو أكثر لقياس مدى التزام العميل المسلم بشعب

الإيمان وتحديد مواطن الضعف والقوة لديه ، وتحديد ماينقصه من معرفة بالله أو ما هو غافل عنه . فإن ذلك نون شك سيساعد على التشخيص السليم لما يعانيه من مشكلات أو أزمات .

والجدير بالذكر أن هناك من قام بالفعل بتصميم مقياس لمستوى التدين يمكن الاستفادة منه وتطويره ليناسب عمل الأخصائي الاجتماعى (٥٥) .

ثانيا : - حالة قلب الكافر :

وهو قلب أغلف لأنه داخل فى غلافه وغشائه ، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان (٥٦). وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ . (البقرة: ٦، ٧) الختم هو الطبع ، قال ابن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر عنها مخلص (٥٧) .

هذا كما جاء فى العديد من آيات القرآن الكريم أوصاف لقلوب الكفار حددها القرطبي فى تفسيره بعشرة أوصاف هى : الختم ، والطبع ، والضيق ، والمرض ، والرین ، والموت ، والقساوة ، والإنصراف ، والحمية ، والإنكار . (٥٨)

والكفر كما سبق الإشارة يمثل فساد الوظائف الغائية لدى الإنسان لذلك فهو أعظم المشكلات ولا سبيل لحلها سوى التحول من حالة الكفر إلى حالة الإيمان بتوفيقه . من الله عز وجل .

ثالثاً : حالة قلب المنافق :

وهو القلب المنكوس أى المكبوب ، وهذا أشر القلوب وأخبثها فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالى أصحابه ، والحق باطلاً يماذى أهله (٥٩) .

قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ . (البقرة : ٨ - ١٠) .

ولقد أجمع المفسرون أن هذه الآيات جاءت فى وصف المنافقين والمنافق هو من يقول بلسانه أنه مؤمن وضميره يخالف ذلك (٦٠) وتأويل المرض الذى وصف الله أنه فى قلوب المنافقين هو الشك فى اعتقادات قلوبهم وأديانهم وما هم عليه فى أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر نبوته وما جاء به (٦١) .

ولقد وُصف قلب الكافر والمنافق بالموت لأنه لا يعرف ربه ، ولا يعبد به بأمره ، وبما يحب الله ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته وإرادته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه،

لعدم مبالاته إذا فاز بشهواته رضى ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله ، فهو إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وكذلك منعه وإعطاؤه . وهو على عكس قلب المؤمن الذى سلم من كل ذلك وأخلص عبادته وعمله لله (٦٢) .

رابعاً : قلب له مدتان :

وهو القلب الذى لم يتمكن فيه الإيمان ، ولم يزهر فيه سراج ليدفع شبهات الباطل ، وشهوات الغى ، بل فيه مدة من الإيمان وهو كونه يشهد لله بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، وأنه من أمة التابعين لظاهر شريعته ؛ وفيه مدة من خلافه ، وهى ظلمات الجهل ، وغيم الشبهات ، وهوى الشهوات الذى أطفأ مصباح بصيرته (٦٣) . ومدة النفاق المذكورة فى الحديث يقصد بها نفاق العمل ؛ فكما ذكر ابن كثير أن النفاق أنواع : " اعتقادي " وهو الذى يخلد صاحبه فى النار وعملى وهو أكبر الذنوب . (٦٤) وكما جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " . فهذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم ، والتحذير له من أن يعتاد هذه الخصال ، فتقضى به إلى النفاق ، لا إن من بدرت منه هذه الخصال أو فعل شيئاً من ذلك من غير اعتياد أنه منافق ويدل عليه التعبير بإذا ، فإنها تدل على تكرار الفعل (٦٥) .

ولقد وصف هذا النوع من القلوب بالمرض لأنه قلب له حياة وبه علة ، فله مدتان بحد هذه مرة وبهذه أخرى فهو ممتحن داعيين ، داع يدعو إلى الله ورسوله والدار الآخرة ، وداع يدعو إلى العاجلة . فما يلقيه الشيطان فى الأسماع والأذهان من الألفاظ ، وفى القلوب من الشبه والشكوك والظنون والتخيلات الباطلة ، فتنة للقلب الميت والقلب المريض ، وقوة للقلب الحى السليم ، لأنه يرد ذلك ويكرهه ويبغضه ، ويعلم أن الحق فى خلافه ، فيخبت للحق قلبه ويطمئن وينقاد ، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان من سوء الاعتقاد ، فيزداد إيماناً بالحق ومحبة له ؛ وكفراً بالباطل وكراهة له (٦٦) .

وهكذا يظهر دور الشيطان فى إبقاء القلب الميت على حالته ، وإبقاء المريض على مرضه أو زيادته سوءاً ، فتزداد المشكلات حدة وإزماناً .

هذا ولعل دور الشيطان كأحد العناصر المسببة للمشكلات من أبرز الفروق بين التفسير الإسلامى والتفسير الغربى . ونحن نجد الشخص المسلم العادى يضعه فى اعتباره دائماً ويرجع حدوث العديد من المشكلات إليه . لذلك فإنه من المفيد الإشارة بإيجاز شديد الى دور الشيطان فى حدوث المشكلات وتعقيدها :-

أولاً : موقع الشيطان من الإنسان :

قال الله تعالى : ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ . (يوسف : ٥) وفى آية أخرى يوضح الله عز وجل الموقع الذى يجب أن يتخذه الإنسان من الشيطان : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ (فاطر : ٦) . كما جاء فى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم : " أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم " (٦٧) وفى حديث آخر : " كل بنى آدم يطعن الشيطان من جنبه بأصبعه حين يولد " (٦٨) .

ثانياً : يتحدد دور الشيطان في أهم الأعمال التالية :

- ١ - التزيين والاغواء والاستهواء (٦٩) .
- ٢ - الوعد ، والتسويل ، والتخويف (٧٠) .
- ٣ - النزاع بين الناس وإيقاع العداوة بينهم والحزن (٧١) .
- ٤ - مس الإنسان بالنصب والعذاب (٧٢) .
- ٥ - إيقاع النسيان لذكر الله بالإنسان (٧٣) .
- ٦ - تعليم الناس السحر (٧٤) .

ويقول عز وجل : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴾ (النساء: ٨٣) كما يقول تعالى : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (النحل : ٩٩) . فإله بفضلله يمن على المؤمنين المتوكلين عليه بدفع الشيطان عنهم . إلا أن هذا لايدل على أنه لا يتعرض لهم أبداً ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (الأعراف : ١ ، ٢) . فطائف من الشيطان هنا مس المتقين ، إلا أن الله بفضلله جعلهم يتذكرونه فيبصرون ، ويذهب ذلك الطائف . ولقد تفضل الله عليهم بذلك لأنهم متقون . فلا بد للإنسان المؤمن المتوكل على الله أن يحافظ على هذه النعمة ويتقى الله حتى ينال فضل الله فى دفع الشيطان عنه ، ويفلق هذا الباب من أبواب دخول المشكلات .

ولقد فصل الغزالي مداخل الشيطان إلى القلب ، بطريقة توضح كيفية قيام الشيطان بدوره مع الإنسان بشكل يفيد فى تفسير المشكلات الفردية . فلقد مثل القلب بالحصن ، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن عن طريق أبوابه ومداخله . التى تتمثل فى صفات العبد وهى كثيرة ، نشير إلى أهمها :-

الغضب ، والشهوة ، والحسد والحرص ، والشبع من الطعام ، وحب التزين من الاثاث والثياب والدار ، والطمع فى الناس ، والعجلة وترك التثبت من الأمور ، وحب الاموال من العروض والعقار وغيره ، والبخل وخوف الفقر (٧٥) .

فالشيطان يدخل إلى قلب الإنسان من خلال صفاته هذه الذى طبع عليها ويستخدم أساليبه فى التزيين والاستهواء ، والتخويف والتسويل ، حتى يوقع الإنسان فى معصية الله عز وجل فيتجاوز حدود الله ويأخذ الشئ من حيث حذر الله عليه . وبذلك تحدث المشكلات .

ولكن الشيطان ليس هو العدو الوحيد للإنسان ، فهناك النفس المذمومة فإنها تأمر بكل سوء ، هذا من طبيعتها ، فما تخلص أحد من شرها إلا بتوفيق الله . قال تعالى على لسان نبيه يوسف : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾ (يوسف : ٥٢) وفى حديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه استعاذ بالله من شرور الأنفس ومن سيئات الأعمال . فالشر كامن فى النفس ، وهو يوجب سيئات الأعمال ، فإذا خلى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه الله وأعانه نجا من ذلك كله . والنفس الأماراة بالسوء هذه ، جعل الشيطان قرينها ، فهو يعدها ، ويمنيها ، ويقذف فيها بالباطل ، ويأمرها بالسوء ويزينه لها (٧٦) .

نتهى مما سبق إلى أن المشكلات الفردية غالباً ما ترجع إلى أحد أو بعض العوامل التالية :-

- ١ - الفساد التام فى الاعتقاد الذى أساسه عدم التوحيد بالله سبحانه ، وعدم الإيمان باليوم الآخر . (موت القلب) .
- ٢ - أنواع من الفساد فى الاعتقاد وفى الإرادة (مرض القلب : مرض شبهه ، ومرض شهوة) .
- ٣ - النفس الأماراة بالسوء .
- ٤ - الشيطان .

وهذا لايعنى أن الإنسان المؤمن التقى لاتعرض له المشكلات ، فكما سبق الذكر أن النسق الإنسانى إذا كان سليماً تماماً فى وظائفه الغائية ، وأصابه خلل فى وظائفه الوسيلية ، فلا شك أن هذا الخلل ينتج عنه مشكلات . فالرسول صلوات الله عليه ذو القلب السليم ، الذى تغلب على نفسه ، وتغلب على شيطانه فجعله مسلماً كما ورد فى الحديث الشريف (٧٧) . كان يتعرض للعديد من المشكلات مثل : أذية المشركين له ، ونقص فى الموارد المادية ، والمرض ؛ إلا أنه بفضل الله عليه كان يواجهها بقوة وثبات . وإذا كان هذا حال الرسول صلى الله عليه وسلم الذى اصطفاه الله على العالمين ، فإن حال الصحابة والصالحين كان قريباً من حال الرسول صلى الله عليه وسلم بدرجة أو بأخرى . ولعل الموقف الذى تعرض له الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر عندما كانا مختبئين فى غار ثور هرباً من المشركين ، وشعور أبو بكر بالجزع ، فطمأنه

الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " يا آبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " (٧٨). ولقد قال تعالى فى ذلك ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ (التوبة : ٤٠) . يوضح هذا الموقف قوة وسكينة الرسول صلى الله عليه وسلم أمام جزع وحزن أبى بكر ، فالاستجابة للموقف والمشكلة الواحدة اختلفت لا اختلاف ثبات قلب كل منهما .

والنظر إلى المشكلات الفردية من المنظور الإسلامى لابد أن يعتمد على قاعدتين أساسيتين هما :-

١ - أن الله تعالى هو مالك الضر والنفع ، وأنه المتصرف فى خلقه بما يشاء لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه . يقول عز وجل ﴿ وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شئ قدير . وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ (الأنعام : ١٧ ، ١٨) .

٢ - قول الله عز وجل : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ . (النساء : ٧٩) يقول الطبرى فى شرح هذه الآية : ما يصيبك يا محمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك ، وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك يعنى بذنب استوجبتها بما اكتسبته نفسك (٧٩) أى بذنبك وأنا الذى قدرتها عليك (٨٠) وعن قتادة : ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك عقوبة يا ابن آدم بذنبك . وذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا يصيب رجلاً خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر (٨١) .

وأخيراً يجب ألا يُظن أن المنظور الإسلامى فى تفسيره للمشكلات الفردية لا يأخذ فى اعتباره البيئة الاجتماعية التى ينشأ فيها الفرد ، فلا شك أن للعوامل البيئية والتى أهمها التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعى ، دوراً بالغ الخطورة ، والقول بأن الفرد هو نتاج بيئته قول صحيح إلى حد كبير من وجهة النظر الإسلامية . فلقد جاء فى الحديث الشريف : " مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء ، حتى تكونوا أنتم تجدعونها " (٨٢) فقلب الإنسان عند ولادته قلب سليم مهياً لتوحيد الله عز وجل فإذا ما نشأ فى بيئة تحافظ على الفطرة السليمة وتنمىها بتعليمه العلم النافع وتربيته على الأخلاق الحميدة والعادات الحسنة التى منها تعود على التحكم فى شهواته ورغباته لكى يتغلب على نفسه اللوامة ويكسب معركته مع الشيطان ، فإنه يمكن أن يكون بذلك عبداً صالحاً ، يقوم بما كلفه الله ، ويلجأ إلى الله عند تعرضه للمشكلات مع أخذه بالأسباب . أما إذا نشأ فى بيئة لم تحافظ على صفاء قلبه وسلامته ، وانحرفت به فى أى اتجاه آخر غير الإسلام لله وتوحيده ، فإن قلبه سيمرض أو يموت غالباً ، وعندما يتعرض للمشكلات سوف يلجأ لغير الله . وقد يشاء الله غير ذلك، فيهدى قلبه للإيمان ، والله يفعل ما يشاء.

المراجع

- ١ - احمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، ط ٧ . القاهرة : دار الكتاب العربى . ١٩٦٨ م ، ص ٢٨٩ .
- ٢ - أحمد زكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٧م ، ص ٣٢٧ .
- 3 - Allen Pincus and Anne Minahan , Social Work Practice ; Model & Method, 12th, Printing Itasa , Illinois: F . E . Peacock Publishers, Inc., 1980, p . 13.
- 4 - Hellen Northen, " Assessment in Direct Practice " Encyclopedia of Social Work, 18th ed. Maryland : National Association of Social Workers , 1987, Vol. 1, p. 172.
- 5 - James W. Cogeman and Donald R. Cressey, Social Problems, 3rd Ed. New York : Harper & Row Pubishers, Inc ., 1987, p. 337.
- 6 - Max Siporin, Introduction to Social Work Practice , New York : Macmillan Publishing Co , Inc ., 1976, p. 143.
- 7 - Sidney L. Wasserman, " Ego Psychology " Social Work Treatment, Ed . By Francis J. Turner . New York , Macmillan Publishing Co ., Inc. 1974, p. 50.
- 8 - Shankar A. Yelaja, " Functinal Theory for Social Work Practice " , Social Work Treatment, 3rd Ed., By Francis J. Turner, New York : Macmillan Pubgishing Co., 1986, p.p.55 - 56
- 9 - Max Siporin, op. cit., p.144.
- 10 - Harild D. Werner, "Cognitive Theory", Social Work Treatment, 3rd Ed., op. cit., p. 115.
- 11 - Max Siporin, op. cit., p. 145.
- ١٢ - عبد العزيز فهمى ابراهيم النوحى ، نظريات خدمة الفرد ، ط ٢ . بدون دار للنشر ، ١٩٨٣ م ، ص ص ٥٩ - ٦١

- 13 - Max Siporin, op. cit., p. p. 139 - 141 .
- 14 - Caryl B. Germain, " Introduction : Ecology and Social Work" , Social Work Practice : People and Environments, Ed. By Caryl B. Germain, New York : Columbia University Press, 1979. p. 18 .
- 15 - Francis J. Turner, " Psychosocial Theory" , Social Work Treatment, 3rd ,Ed. , op. cit., p. 486 .
- 16 - Francis J. Turner, " A Multitheory Perspective for Practice", Social Work Treatment, 3rd ,Ed. op. cit., p. p. 646 - 647 .
- 17 - Hellen Northen, op. cit., p. 173 .
- ١٨ - ك . هول ، ج . لندزى ، نظريات الشخصية ، ترجمة : فرج أحمد فرج وقدرى محمود حنفى ولطفى محمد فطيم . بدون دار للنشر ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٣١ ، ص ٣٠١ .
- 19 - Micheal Mann, Macmillan Student Encyclopedia of Sociology London : Macmillan Press, 1983 , p. 259 .
- 20 - Katrin Lederer, " Introduction " , Human Needs, Ed. By Katrin Lederer. Cambridge, Massachusetts : Oelgeschlager, Gunn & Hain, Publishers, Inc., 1980, p. 3 .
- 21 - Micheal Mann. op. cit., p. 258 .
- ٢٢ ، ٢٣ - ك . هول ، ج . لندزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٣١ - ٢٣٧ ، ص ٢٩٨ ، ٢٤٦ .
- 24 - Ross Fitzgerald, " Abraham Maslow's Hierarchy of Needs An Exposition and Evaluation", Human Needs and Politics. Ed. By Ross Fitzgerald , New York : Pergamon Press, 1977 , p. 51 .
- 25 - Nicholas S. Dicaprio, Personality Theories , Philadelphia : W. B. Saunders Company, 1974, p. p. 236 - 244.
- 26 & 27 - Pross Fitzgerald, op., cit., p. p. 37 - 38 , p. p. 39 - 44 .
- 28 - Duane Schultz, Theories of Personality, Socond Ed. Monterey, California : Brooks/ Cole Publishing Company , 1981 , p. 253 .

- ٢٩ - محمد عمارة ، " منهج في التعامل مع المصطلحات " ، الجزائر : ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي ، ١٩٨٩ م ، ص ٩ .
- ٣٠ - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، ٢ ج . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، بدون سنة النشر ، ج ٢ ، ص ٣٧ .
- ٣١ - أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير ابن كثير ، ٤ ج ، ط ١ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ج ٣ ، ص ٥٥٢ .
- ٣٢ - محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر ، تفسير الفخر الرازي ، ١٦ م ، ط ٣ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، م ١٣ ، ج ٢٦ ، ص ١٢ .
- ٣٣ - محمد الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية . تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٨ م ص ص ٧٨ - ٨٠ .
- ٣٤ - محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .
- ٣٥ - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١٧ .
- ٣٦ - محمد الطاهر بن عاشور ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١ .
- ٣٧ - محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، م ١٠ ، ج ١٩ ، ص ١٤٠ .
- ٣٨ - عبد الفتاح عثمان ، خدمة الفرد والمجتمع المعاصر ، ط ٦ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧ م ، ص ١٦ .
- ٣٩ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، ٤ م ، ط ٢ . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، م ٤ ، كتاب الزهد ، باب ١٢ .
- ٤٠ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، المرجع السابق ، م ٤ كتاب الزهد .
- ٤١ - محمد عودة محمد ، كمال إبراهيم مرسى ، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والاسلام ، ط ٢ . الكويت : دار القلم ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ١٠٨ .
- 42 - Fred M. Cox, "Introduction", Strategies of Community Organization, Ed. By Fred M. Cox, and others, Itasca, ILLnois: F. E. Peacock Publishers, Inc., 1987, p. 192 .
- ٤٣ - جون أ ، سوليفان ، " وجهة النظر الإسلامية بالنسبة للأشخاص المعرضين للآزمة " ، المسلم المعاصر ، العدد ٢١ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ص ١٢٨ - ١٣٠ .

- ٤٤ ، ٤٥ - محمد السفاريني الحنبلي ، شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، ٢ ج ، ط ٢ ، بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٣٩١ هـ ، ج ١ ، ص ٥٤٦ .
- ٤٧ - أحمد بن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٦ ج ، ط ١ ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد . الرياض : مطابع الرياض ، ١٣٨١ هـ ، ج ١٠ ، ص ٦ - ٧ .
- ٤٦ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٣ م . بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩ هـ م ١ ، ص ٤٦ - ٤٧ .
- ٤٧ - أحمد بن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٦ ج ، ط ١ ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد . الرياض : مطابع الرياض ، ١٣٨١ هـ ، ج ١٠ ، ص ٦ - ٧ .
- ٤٨ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٦٠ - ٦١ .
- ٤٩ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٤ ج . دمشق : مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٤ .
- ٥٠ - أحمد بن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، م ١٠ ، ص ١٩٣ .
- ٥١ - محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، م ٨ ، ص ١٢٢ .
- ٥٢ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٧٠ .
- ٥٣ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، كتاب الإيمان .
- ٥٤ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٤٧ ، ص ٥٢ .
- ٥٥ - صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف الصنيع ، " العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامي " ، رسالة دكتوراة ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم النفس ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٥٦ - محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤٦ .
- ٥٧ - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٣٠ ج ، بيروت : دار المعرفة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، م ١ ص ٨٧ .
- ٥٨ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠ ج ط ٢ . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ١٨٦ .
- ٥٩ - محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤٧ .

- ٦٠ - محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٦٤ .
- ٦١ - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ص ٩٤ ،
- ٦٢ - محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٤٢ - ٥٤٤ .
- ٦٣ - محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤٧ .
- ٦٤ - أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٤٨ .
- ٦٥ - أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ، شرح السنة ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش ، ٦ ج . بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٩٧١ م ، ج ١ ، ص ٧٦ .
- ٦٦ - محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٤٤ - ٥٤٥ .
- ٦٧ - أحمد بن علي بن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م ١٣ ، كتاب الأحكام ، ص ١٥٩ .
- ٦٨ - أحمد بن علي بن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م ٦ ، كتاب بدء الخلق ، ص ٢٢٧ .
- ٦٩ - القرآن الكريم : (الحجر : ٢٩) ، (النساء : ٦٠) ، (الأنفال : ٤٨) .
- ٧٠ - القرآن الكريم : (النساء : ١٢٠) ، (البقرة : ٢٦٨) ، (محمد : ٢٥) ، (آل عمران : ١٧٥)
- ٧١ - القرآن الكريم : (الاسراء : ٥٢) ، (يوسف : ١٠٠) ، (المائدة : ٩١) ، (المجادلة : ١٠)
- ٧٢ - القرآن الكريم : (ص : ٤١) ، (الأعراف : ٢٠١) .
- ٧٣ - القرآن الكريم : (يوسف : ٤٢) ، (المجادلة : ١٩) .
- ٧٤ - القرآن الكريم : (البقرة : ١٠٢) .
- ٧٥ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ص ٢٧ - ٣١ .
- ٧٦ - ابن رجب الحنبلي ، ابن القيم ، أبو حامد الغزالي ، تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف ، تحقيق ماجد بن أبي الليل ، جمع وترتيب أحمد فريد . بيروت : دار القلم ، بدون تاريخ ، ص ص ٧٣ - ٧٤ .
- ٧٧ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، مرجع سبق ذكره ، م ٤ ، كتاب المنافقين ، باب ١٦ .

- ٧٨ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، م ٨ ، كتاب التفسير ، ص ٣٢٥ .
- ٧٩ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، مرجع سبق ذكره ، م ٤ ، ج ٥ ص ١١١ .
- ٨٠ - أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ .
- ٨١ - أبو جعفر محمد بن جرير بن الطبري ، مرجع سبق ذكره ، م ٤ ، ج ٥ ، ص ١١١ .
- ٨٢ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، م ١١ ، ص ٤٩٣ .

العلاج الإسلامى للحالات الفردية

د. محمد سلامة غباري

مقدمة

التربية الإسلامية هي تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا متكاملًا من جميع نواحيه المختلفة ، من الناحية الجسمية والعقلية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادئ التي جاء بها الإسلام وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها (١) .

من هذا التعريف للتربية الإسلامية وغيره من التعريفات الأخرى ، نرى أن الإسلام يقدم لنا منهجا تربويا متكاملًا تجد فيه الانسانية علاجًا شافيًا لمشكلاتها ، ينتشلها من طريق البؤس والتهيه والشقاء ، وينتقل بها إلى طريق العزة والكرامة والمحبة والهناء ، فهو يهدف إلى تربية النشء على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده ، وهو الذي يربى الإنسان على أن يحكم شرعية الله في جميع أعماله وتصرفاته ، ثم لا يجد حرجًا فيما حكم الله ورسوله ، بل ينقاد مطيعًا لأمر الله ورسوله . قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

ولما كان الإسلام هو المنهج الرباني المتكامل المواتي لفطرة الإنسان ، والذي أنزله الله لتربية وتنمية الشخصية الانسانية حتى تصبح شخصية متزنة كاملة ، لتصبح خير نموذج على الأرض ، يحقق العدالة الالهية في المجتمع الإسلامى ، وذلك عن طريق التربية الإسلامية التي تغرس في الإنسان العزة والكرامة ، بل الاستماتة في سبيلها . مهما أحاطت به الشدائد ، أو أبعدته عنها المغريات (والله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (٣) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يسعى لتطبيق العلاج الإسلامى مع عملائه فإنه يهدف إلى تعديل شخصياتهم وتنميتها عن طريق إكسابهم خبرات جديدة من خلال التربية الإسلامية تساعدهم على تعديل سلوكهم وتقويم إنحرافهم ، وانتشالهم من الهوان والضياع بعد أن ضيعتهم فلسفات التربية الغربية التى كان من نتيجتها ما نسمعه من جرائم الأحداث وتعاطيهم المخدرات ومن تدخين جماعى فى معسكرات الأطفال فى بعض دول أوروبا ومقاطعات أمريكا ، ومن جرائم جنسية يندى لها الجبين .

لقد عقدت مقارنات مفيدة بين خصائص التربية الغربية وأهدافها وأساليبها ، وبين ما اتسمت به التربية الإسلامية من خصائص وأساليب وأهداف ، فاتضح أن التربية الإسلامية هي الطريق الوحيد للخلاص من هذا الضياع ، وهي المنقذ للطفولة الضائعة والبشرية المتردية .

والخدمة الاجتماعية عندما خذلتها وسائل العلاج التقليدية بأساليبها المستوردة من المجتمعات الغربية ، بدأت تبحث لنفسها عن أساليب مؤثرة بالعلاج الإسلامى ، الذى يعتمد على التربية الإسلامية ، فهى الوسيلة الوحيدة القادرة على إعادة التوازن إلى المجتمع الذى اضطرب واهتز . ولذلك اتجهت الخدمة الاجتماعية للعلاج الإسلامى لتنمى فكر الانسان ، وتنظم سلوكه وتعده ، وتحرك فى نفسه الأحاسيس والمشاعر ، وتغرس العواطف الجديرة بأن تدفعه إلى السلوك الذى نظمت الشريعة الإسلامية قواعده وضوابطه ، وعن طريقه تصل إلى تنمية شخصية الانسان من جميع جوانبها فى إنسجام وتكامل .

والخدمة الاجتماعية عندما تطبق العلاج الإسلامى لعلاج المشكلات الاجتماعية ، فأنها بذلك تستبدل العلاج الاجتماعى الغربى الذى لايناسب مجتمعاتنا الإسلامية ، بالعلاج الإسلامى الشرقى النابع من الدين الإسلامى معتمدة فى ذلك على مصدرين هامين هما القرآن والسنة وهما مصدر الدين الإسلامى نفسه .

وحاولت الخدمة الاجتماعية أن تصنف أساليب العلاج الإسلامى إلى مجموعة أساليب علاجية مناسبة لشخصية الانسان بمكوناتها البنائية والوظيفية ، نجملها فيما يلى :

١ - العلاج الإسلامى بتنمية العقيدة الدينية .

٢ - العلاج الإسلامى بتنمية القيم الخلقية .

٣ - العلاج الإسلامى بالتنمية العقلية .

٤ - العلاج الإسلامى بتنمية العلاقات والقيم الاجتماعية .

٥ - العلاج الإسلامى بالتنمية النفسية .

٦ - العلاج الإسلامى بالتنمية الجسمية .

وفى الصفحات التالية يوضح الباحث بالتفصيل كل نوع من هذه الأنواع بأساليبه الفرعية المختلفة .

العلاج الإسلامى بتنمية العقيدة الدينية

يقصد بتنمية العقيدة التسامى بروح الانسان إلى الأفق الأعلى من خلال القرآن والتوحيد والفقه والتفسير والسيرة النبوية والثقافة الإسلامية حتى تربي الأجيال على الإسلام ، وعلى تحقيق العبودية لله جل جلاله بكل مافى هذه الغاية من معنى ومدلول ، وبكل ماتؤدى إليه من نتائج فى الحياة ، والعقيدة ، والعقل ، والتفكير .. والعبودية لله هى التلقى من الله وحده فى أمر الدنيا والاخرة .. ثم هى الصلة الدائمة بالله فى هذا كله . وهذه الصلة فى الحقيقة هى المنهج الإسلامى كله ، تتفرغ منه جميع التفريعات وتعود فى النهاية كلها إليه والعبودية لله والصلة الدائمة به تتم عن طريق العبادة .. والعبادة لا تقتصر على اللحظات القصيرة التى تشغلها مناسك التعبد ، وما كان هذا

هو القصد من الآية الكريمة « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (٤) ، وإلا فما قيمة لحظات عابرة في صفحة النفس وفي صفحة الكون ، لا تترك لها أثراً وتضيع في الفضاء ؟ وإنما قيمتها أن تكون منهجاً حياً ، يشمل كل الحياة قيمتها أن تكون خطة سلوك وخطة عمل وخطة فكر وخطة شعور ، قائمة كلها على منهج واضح ، يتبين فيه - في كل لحظة - ما ينبغي وما لا ينبغي أن يكون (٥) .

وفيما يلي أساليب تنمية العقيدة الإسلامية .

العلاج الإسلامى بالقرآن الكريم :

العلاج بالقرآن غايته القريبة إتقان تلاوته ، وحسن فهمه ، وتطبيق تعاليمه ، وهذا فيه العبودية والطاعة لله ، والاهتداء بكلامه ، والخوف منه وتنفيذ أوامره ، والخشوع له . ويقول الإمام الفخر الرازى (٦) « اعلم أن القرآن شفاء . من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمية ، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة ، والعادات المذمومة .. وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف مافيه من المفاست والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة ، فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض . فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحية » . ويجب أن نوضح هنا أنه ليس معنى أن القرآن شفاء لهذه الأمراض أن قراءته على المريض أو تعليق المكتوب من الآيات عليه ، وما أشبه ذلك شفاء أيضاً كما يفهم ذلك بعض الجاهل وإنما معنى الشفاء أنه جاء فيه من المبادئ التى تكفى لوقاية الإنسان من تلك الأمراض إذا إلتزم بها الناس ظاهراً وباطناً (٧) .

أى أن دروس القرآن لو حققت غاياتها لكانت من أفضل الوسائل لتحقيق الهدف الاسمى (٨) للعلاج الإسلامى .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى بالقرآن على عملائه يستطيع أن يحبب إليهم دراسة القرآن ، ويساعدهم على فهمه ، عن طريق الأنشطة والبرامج الدينية التى يستعين فيها بمن يختارهم من رجال الدين المتخصصين المفقهين القادرين على أداء هذه المهمة الجليلة ، على أن يراعى فى هذه الأنشطة مناسبتها لأعمارهم ومستوياتهم العقلية ، بحيث يتم ذلك بصورة سهلة مبسطة وبطريقة جذابة شيقة ، حيث أن العلاج بالقرآن أنسب أساليب العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية ، وبذلك يهتدى العملاء إلى الطريق المستقيم ، فيعبدون الله ويطيعونه ، ويهتدون بكلامه ، ويخافون منه ، ويخشعون له ، وينفذون أوامره ، وبعد ذلك يتم علاج مشكلاتهم ويقوم سلوكهم ، ويعتدل تفكيرهم عندما يسمعون قوله تعالى « ولاتقربوا الفواحش مظهر منها

ومابطنه (٩) « وسيعرفون أن ارتكاب الفواحش ، وهى الجرائم الاجتماعية » .. من شأنه أن يثير الاضطراب ، ويزيد الحقد فى العلاقات بين الأفراد ، والاضطراب والحقد فى العلاقات الاجتماعية من أشد العوامل فتكا فى تقويض المجتمع » (١٠) .

٢ - العلاج الإسلامى باتباع الرسول ﷺ :

أما تنمية العقيدة باتباع الرسول ﷺ فهى التى تعلم الأطفال القيام بالعبادات والمعاملات وكل شئون الحياة : على هدى هذا الرسول الذى أرسله ربه ليطاع بإذن الله . فدروس الحديث والسيرة ، غايتها اتباع الرسول ﷺ لأنه مبين للقرآن ولتفاصيل شريعة الله عز وجل .

لقد كان رسول الله ﷺ أقدر الناس على تربية العواطف الربانية والاعتماد عليها عند الضرورة ، فقد كان بشخصه وشماله وسلوكه وتعامله مع الناس ، ترجمه عملية بشرية حية لحقائق القرن وتعاليمه وأدابه وتشريعاته ، ولذلك بعثه الله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوى الإسلامى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (١١) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى على عملاء المؤسسات الاجتماعية يحاول تخييرهم وعلاجهم من خلال أنشطة دينية تحتوى على دروس الحديث والسيرة النبوية التى يعدها لهم مستعينا فى ذلك بعالم مسلم يساعده فى تصميم وتنفيذ تلك الأنشطة والبرامج الدينية التى تمكن الأحداث من فهم السيرة النبوية ودراسة وفهم الأحاديث سواء كان ذلك من خلال قصة أو تمثيلية تعد خصيصا لذلك ، أو من خلال زيارات للمساجد فى مواعيد الصلاة والدروس الدينية وبذلك يتيح لهم الفرصة لاستماع لتلك الدروس والأحاديث وهو معهم يشجعهم ويعاونهم ويبسط لهم بعض المعانى التى يصعب عليهم فهمها ، وبذلك يدعم حب الرسول فى قلوبهم فيهتمون به ويتبعون تربيته بعد أن أحبوا الله واهتدوا بقرآنه .

٣ - العلاج الإسلامى بدروس التوحيد :

بعد أن يحقق العلاج الإسلامى باتباع الرسول أهدافه ، يأتى دور تنمية العقيدة الإسلامية عن طريق دروس التوحيد ، وهى تبدأ من توضيح الهدف الأسمى للتربية الإسلامية ، أى من توضيح معنى الألوهية والربوبية ، ومعنى عبودية الإنسان لله وحده ، وما هى الصفات الإلهية التى لايجوز إسنادها لغير الله .

ومن خلال دروس التوحيد تنمى العقيدة الإسلامية التى تتغلغل إلى أعماق الحدث «وترتبط كل الارتباط بكيانه وتكون مقوما ضروريا بطبيعته .. وليس فى مقدوره أن يتفصل بفكره ووجوده عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة بالنفس ، وعندئذ يستشعر المرء فى نفسه من الخضوع والاذعان لأوامرها والوقوع تحت تأثيرها بمقدار مايتجلى

نه من حقيقتها وماينكشف له من معانيها ، وأيضا بمقدار ماينطبع عنها في ذهنه من آثار ، ومايكون لها في وجدانه من انفصال ، ثم مايقول لها في قلبه في قداسة ، واعتبار (١٢) .

ولكى تنجح دروس التوحيد في تنمية العقيدة الإسلامية لعملاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية فلا بد أولا أن يستخدم الأخصائى الاجتماعى كل قدراته وأساليبه المهنية في تكوين الرغبة فى الاعتقاد ، والامتناع بكل جانب من جوانب العقيدة ، لأن العملاء لن يؤثر فيهم ذكر أدلة الاعتقاد قبل أن تتكون الرغبة لديهم . الرغبة فى الاعتقاد والامتناع الكامل بكل جوانبه .

ذلك أن من لايرغب أولا فى الاعتقاد لايعتقد ولو ذكرت له جميع الأدلة العقلية والعملية ، ولهذا لما تكلم الله تعالى عن هؤلاء الذين لايريئون أن يؤمنوا إلا لعدم وجود الأدلة وإنما لعدم رغبتهم فى الإيمان (١٣) فقال تعالى « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ماكانوا ليؤمنوا » (١٤) كما قال سبحانه وتعالى « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها » (١٥) .

والعقيدة الإسلامية هى اخلاص العبودية لله وحده ، فهى تعرف الانسان بكل مقاصد العبادة والسلوك فى الحياة ، وتعرفه بما يجب أن يحذره من كل مظاهر الشرك وعقائده .

هذا الجانب الإعتقادى من دروس الدين الإسلامى ، هو أهم وأول مايجب الإهتمام به ، على أن تكون ثمراته ، ونتائج فهمه مطبقة على جميع جوانب الحياة ، فيعرف العميل أنه يتعلم القرآن ويعظمه لأنه كلام الله ، ووسيلة لمناجاته ومعرفته والخضوع له وتحقيق أوامره .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لتقويم السلوك المنحرف عن طريق تنمية العقيدة الدينية يستعين بأهل الخبرة والمتفهمين فى الدين ، ليقدموا للعملاء ، دروس التوحيد اللازمة لتنمية إيمانهم والأخصائى دائما معهم فى جميع هذه الأنشطة الدينية حتى يشجعهم على استمرار الاستفادة منها ويبسط لهم مايصعب عليهم فهمه وبذلك يستفيدون من هذه الفرص التى تساعد على تنمية شخصياتهم وتقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم .

٤ - العلاج الإسلامى عن طريق دروس الفقه :

أما دروس الفقه فى أسلوب آخر من أساليب تنمية العقيدة الدينية ، فهى التى تبنى السلوك الإسلامى الفردى والاجتماعى ، بما تقدمه للعملاء من قواعد تفصيلية ، مستقاة من القرآن والسنة ، لبيان أساليب العبادة والسلوك التى يرضاها الله فى جميع شئون

الحياة ، وليبان نظم العلاقات الإجتماعية ، كما يأمرنا الله أن نحققها في كل اتصالاتنا بالآخرين ، فيجب ربطها دائما بهدفها الأسمى ، طاعة الله ، والأهتمام بهدى رسوله ، وتحقيق الخضوع بالعبودية لله ، كما يريد الله .

ولكى تحقق دروس الفقه أهدافها العلاجية المطلوبة ، فإن الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لعلاج المشكلات الاجتماعية فإنه يختار لهم من يقدم لهم دروس الفقه ويوضحها ويبسطها لهم ويوصلها إليهم بطريقة محببة حتى يستفيدون منها أحسن إستفادة ممكنة ، وعندما يختار أحد المتخصصين فى دروس الفقه فإنه يخطط ويرسم معه أحسن البرامج وأنسب الأنشطة الدينية التى توصل لهم المطلوب من دروس الفقه بصورة سهلة مبسطة .

والخدمة الاجتماعية عندما تطبق العلاج الإسلامى مع عملائها فإنها تسعى إلى هدفين متكاملين فى أن واحد : أحدهما على المدى القريب وهو علاج المشكلات الاجتماعية ، والهدف الثانى على المدى الأبعد وهو بناء الجيل المسلم الذى يبنى حياته على تحقيق عبادة الله وهو الهدف الأسمى للتربية الإسلامية .

والأخصائى الاجتماعى عندما يطبق العلاج الإسلامى على عملاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية فإنه يتعاون معهم فى وضع الأنشطة والبرامج المختلفة التى تساعدكم فى ذلك .

والتنمية الخلقية هى التدريب على السلوك الرشيد ، وتكوين الخلق الحميد ، وهى المصباح الكاشف لمسالك الرشيد والقى ؛ وهى المعيار الذى توزن به نوايا الغاملين وبواعثهم ، وهى التوجيه المستمر لأعمال الانسان على طريق الاستقامة .

والتنمية الخلقية كما جاءت فى الإسلام لها هدفان أحدهما على المدى القريب والآخر على المدى البعيد .

أما الهدف القريب فهو تكوين الانسان الخير الذى حدده الرسول ﷺ شخصيته بأنه يصبح « مفاتيح للخير مغاليق للشر » (١٦) يتميز بالانفتاح للخير عن حب للخير والاسراع إليه عن رغبة فيه والاجتناب للمعاصى عن كره لهما ، لا إتباعا للعادة ولاخوفا من عقاب القوانين أو تغيير المجتمع ، يحبون الفضيلة ويؤثرون مصلحة غيرهم على أنفسهم كما جاء فى قوله تعالى : « يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (١٧) ثم إلى جانب هذه الصفات الخيرة النيرة يتسابقون فى عمل الخيرات « أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » (١٨) .

أما الغاية البعيدة للتنمية الخلقية كما أرادها الإسلام فهي الوصول بالإنسانية إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وقد أكد الرسول ﷺ صراحة أن حسن الأخلاق طريق سعادة الإنسان وسوء الأخلاق طريق شقائه . فقال ﷺ : « من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق » (١٩) .

تلك حقيقة واضحة إذا أمعنا النظر في حكمة الأخلاق الإسلامية والقيم التي تحملها ، وكذلك تجدها واضحة وصريحة في كثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية ، لما لها من قيم صحية واقتصادية وإنسانية وإبداعية ومادية ومعنوية واجتماعية . الأمر الذي يجعلني أقول بكل تأكيد بأنه لا يمكن تحقيق السعادة بدون اتخاذ هذه الأخلاق طريقاً ومنهجاً في الحياة الفردية والاجتماعية معاً (٢٠) .

ويعطى الإسلام لماذا كانت الأخلاق الحسنة طريق السعادة والأخلاق السيئة طريق الشقاوة بأن مبادئ الأخلاق الحسنة تحمل في طياتها أسباب السعادة وسوء الأخلاق تحمل أسباب الشقاوة فمن أسباب السعادة ، وجود الصحة الكاملة من الناحية النفسية والجسمية ، وانعدام هذه الصحة يؤدي إلى التلعاس والشقاوة والإسلام قد قرر ذلك ، وبين العلاقة بين الانحراف الأخلاقي والأمراض النفسية ثم بين الأمراض الجسمية بشكل واضح ومبرح فقال الرسول ﷺ : « من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه » (٢١) .

ولذلك فإن العلاج الإسلامى الشافى لكل هذه الأمراض جاء واضحاً صريحاً في القرآن الكريم بمبادئه العظيمة التي لاشفاء بدونها فقال سبحانه وتعالى : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » (٢٢) .

إن روح الإسلام هي الأخلاق الفاضلة الكاملة التي تستدعى من المسلم أن يخاف الله في السر والعلانية ، في ظل عمل يفكر فيه ، أو يقدم عليه ، ويتقى الله حق تقاته ، ويفكر دائماً في النواحي الإنسانية ، والأغراض النبيلة الإسلامية ويتتقى كل عمل يفكر فيه ، أو يقدم عليه ، ويتقى الله حق تقاته ، ويفكر دائماً في النواحي الإنسانية ، والأغراض النبيلة الإسلامية ويتتقى كل عمل إرضاء لله ، ويدعو إلى الخير ، ويستنكر كل شر ، ويعين أخاه المسلم ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ولايتعاون على الإثم والعدوان ، ويخلص في أفعاله وأقواله الإخلاص كله (٢٣) . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (٢٤) .

وهكذا نرى أن الإسلام يوجب علينا تنمية الخلق ، وحسن السلوك ، وتهذيب الإرادة ، وتمييز الغث من الثمين ، والحسن من القبيح ، واختيار الفضيلة وتجنب الرذيلة ، حتى يربى رجالاً كريماً الأخلاق ؛ أقوياء العزيمة ، مهذبين في أقوالهم وأفعالهم ، نبلاء في تصرفاتهم وخلقهم ، صفاتهم الحكمة والفضيلة ، والأدب والإخلاص والطهارة .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لعلاج الانحرافات الخلقية للعملاء الذين انحرفت أخلاقهم ، وفسدت طباعهم . يحاول إصلاح مافسد ، وتقويم ما انحرف عن طريق التنمية الخلقية التى تسعى إلى تثبيت القيم الأخلاقية الأصلية التى توارثتها الأمة الإسلامية جيلاً بعد جيل ، مهتديه بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذى بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ، وإزالة ما تراكم عليها من رواسب عصور التخلف ، ومادخل عليها من تقليد الأمم الأخرى ؛ قديماً وحديثاً ، فالسماء والايثار ، والحياء ، والصبر على المكاره والثبات فى الشدائد والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وير الوالدين ، وصلة الأرحام ، والاحسان إلى الجار وإكرام الضعيف ، الملهوف . والصدق فى القول والأمانة فى العمل والعدل فى الحكم ، الشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وخفض الجناح ، وعزة النفس ، والقصد والاعتدال فى كل شئ .. إلى غير ذلك من فضائلنا العظيمة الأصلية التى يجب أن تسود وتبقى وتعمق جذورها وتمتد فروعها (٢٥)

ويرى المؤلف أن التنمية الأخلاقية كأهم أسلوب من أساليب العلاج الإسلامى يمكن تحقيقها عن طريق عدة أساليب فرعية يوضحها كما يلى :-

١ - التنمية الخلقية بتكون العادة :

يتكون الخلق بالممارسة والاعتياد وبكثرة تكرار الفعل والمواظبة عليه . ولعل ذلك من الملاحظ عند هؤلاء الذين عرفوا الخلق بأنه (عادة الإرادة) فعندما يراد تحويل الإنسان من خلق ذميم إلى خلق آخر حميد ، أو يراد تكوين خلق معين له لم يكن موجوداً من قبل ، يحمل الانسان على تكرار هذا العمل وفعله باستمرار ، مع استعمال وسائل الإغراء والترغيب ، التى من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد والإقبال على ممارسته برغبة صادقة وميل أكيد وإستخدام وسائل التنفير من ضده ، بحيث تصير نفرتة والمداومة على هذا الفعل الحميد ، يصبح إتيانه وممارسته عادة لازمة ، وطبعاً دائماً ، أى يصير خلقاً له (٢٦) .

ويصدر عنه تلقائياً من غير أن يسبقه تفكير وتقدير بحيث يكون انطباعاً من إنطباعات النفس وحالاتها ، وتحملها على الفعل من غير حاجة إلى تأمل أو روية (٢٧) .

وقد بدأ الإسلام - وهو ينشأ فى الجاهلية ، بإزالة العادات السيئة التى وجدها سائدة فى البيئة العربية . واتخذ لذلك إحدى وسيلتين : إما القطع الحاسم الفاصل . وإما التدرج البطئ ، حسب نوع العادة التى يعالجها ، وطريقة تمكثها من النفس (٢٨) .

فالقطع الحاسم استخدمه الإسلام بالنسبة للعادات التى تتصل بالعقيدة والارتباط المباشر بالله مثل الشرك بكل عاداته ، لأنه لايمكن أن يستقيم إيمان وشرك ، وعبادة لله

وعبادة لغيره من الكائنات ، وكذلك بالنسبة لوأد البنات أو بعض العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولز وكبر .. الخ من مثل هذه الأمور التي تشبه الأورام الخبيثة التي لا علاج إلا بالحسم والبت من أول لحظة ، بضرية قاطعة حاسمة .

أما وسيلة التدرج البطيء فقد استخدمها الإسلام مع بعض العادات الاجتماعية التي لم تكن عادات فردية بقدر ما كانت عادات منتشرة في المجتمع ومن أمثلتها : الخمر والزنا والميسر والرق والربا .. الخ وكلها عادات لا يمكن منعها دفعة واحدة ولا تستطيع أى نفس أن تحسم موقفها منها فى لحظة .

أما بذر العادات الصالحة ، فله كذلك عدة طرق وعدة مراحل ، فمثلاً بالنسبة للعادات النفسية كالصدق والوفاء ، والمحبة والعطف ، والبذل والإيثار ، فقد لجأ الإسلام فى ذلك أولاً إلى إثارة الوجدان وإنشاء الرغبة فى العمل ، ثم يحول الرغبة إلى عمل واقعى ذى صورة محددة واضحة السمات ، فيلتقى الظاهر والباطن ويتطابقان ويتكافآن : رغبة وسلوكاً ، ثم يحول الرغبة والعمل من مسألة فردية الى رباط اجتماعى (٢٩) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى فى علاج المشكلات الاجتماعية لعملاء الخدمة الاجتماعية ، يسعى جاهداً لتنمية أخلاقهم عن طريق مساعدتهم على ممارسة الفضائل الأخلاقية بصفة مستمرة ، بعد أن يستثير مشاعرهم ويحرك وجدانهم ويوجد الرغبة لديهم ثم يحول هذه الرغبة إلى عمل يمارسونه فعلاً عن طريق أنشطة وبرامج يصممها خصيصاً لذلك .

٢ - التنمية الخلقية عن طريق القدوة الحسنة :

إن القدوة الحسنة تعتبر من الأساليب الهامة للتنمية الخلقية التى تهدف إلى إزالة الخلق السيئ (٣٠) ويرى الامام الغزالى أن تغيير الخلق ممكن ويقول ذلك تعليقاً على قوله عليه الصلاة والسلام : « حسنوا أخلاقكم » لو لم يكن ممكناً لما أمرنا الرسول ﷺ به ، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواظ ، والترغيب والترهيب ، فإن الأفعال نتائج الأخلاق .

والتنمية الخلقية بالقدوة الحسنة هى التى غرست أخلاق الإسلام فى النفوس عندما اقتدوا برسول ﷺ « وكم فشل فلاسفة ومفكرون تخيلوا مناهج للتربية وخططوا مدناً فاضله ، فبقيت مناهجهم ومدنهم خيالاً هائماً ، وتصوراً عقلياً لم يتحول إلى واقع أبداً

يتحول إلى واقع أبدا .. وحين أنزل الله كتابه لم يرد أن يكون نظرية تحفظ ، وإنما أراد أن يكون سلوكا يترجم في واقع الحياة فاختار من بين الناس محمدا ﷺ ليكون السراج المنير والمثل الأعلى والقوة العظمى للإنسانية كلها (٢١) .

لقد اختار الله الرسول ﷺ من علم كما قال سبحانه : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٢٢) واختاره بعد أن رباه وأدبه .. « أدبني ربي وأحسن تأديبي » (٢٣) ، ولذلك كانت حياته مشرقة مضيئة لا يخفى منها شئ حتى يكون الاقتداء به على أتم وجه وأكمله . « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٢٤) .

إن أسلوب التنمية الخلقية بالقوة الحسنة كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامي هو الذي عالج أمة كادت تموت فأحيها رسول الله ﷺ بروح القرآن فإذا هي تبعث من جديد تنقض غبار الزمن وتصنع الحياة والأحياء على خير وأجمل طريق وأروع مسلك ، وصدق قوله في رسوله الحبيب « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٢٥) .

« لقد زكاهم هذا الرسول وطره أخلاقهم وسلوكهم وعقائدهم ورفعهم من الوهدة الهابطة والضياغ القاتل إلى القمة العالية ، فإذا الأمة الأمية رائدة وقائدة تفيض حكمة نابغة من الكتاب الخالد .. الذي بعثها وأحيها وقد كانوا من قبل في ضلال مبين » (٢٦) .

هذا العلاج الإسلامي الذي تحاول الخدمة الاجتماعية تطبيقه في علاج المشكلات الاجتماعية لعملاء الخدمة الاجتماعية بهدف تعديل سلوكهم وتقويم انحرافهم عن طريق التنمية الخلقية بتكوين العادات الخلقية الصالحة تارة بالقوة الحسنة وتارة بالعادة لا يستطيع تطبيقه إلا الأخصائي الاجتماعي الذي يعرف الآثار والأسس التربوية للقوة الحسنة وعندئذ يعرف جيدا أن حياة الأخصائي الاجتماعي المسلم - الذي يطبق العلاج الإسلامي لحل مشكلات المجتمع - هي حياة الداعية إلى الله بحيث يكون قدوة أمام عملائه « فيتحلى بأفضل الأخلاق ، يستلهمها من القرآن ومن سيرة الرسول ﷺ ويصبر على تطبيقها والتحلى بها .

٣ - التنمية الخلقية بالترغيب والترهيب :

إن الترغيب والترهيب كأحد أساليب التنمية الخلقية قد لجأت إليه كل الأديان السماوية في دعوتها ، فرغبت بالثواب بالجنة ، ورهبت وخوفت من العقاب بالنار والخوف من العقاب المؤجل ، والطمع في الثواب المؤجل ، أرقى من الخوف والطمع في الأشياء العاجلة لأنه يعتمد على مبادئ عقلية وفضائل نفسية وخصائص إنسانية ، فالعقل لا يبيع الحاضر بالغائب ، والمصلحة العاجلة بالمصلحة الآجلة إلا إذا فكر في

عواقب الأمور ، وكانت له عقيدة ثابتة فى العاقبة ، وكانت ثقته بما عند الله أشد من ثقته بما فى يده وكان له من قوة الضمير ، وضبط النفس ما يدفع عنه منتظر المغريات^(٣٧) ، لذلك لاتجد خلقا حميدا إلا وحث عليه القرآن ، ولاتلقى خلقا سيئا إلا ونهى عنه .. وفى كل ذلك يبني قاعدته الكبرى التى قام عليها كل أوامره ونواهيه ، ألا وهى الايمان بالله واليوم الآخر .. وبين الجنات والخلود ، والأمان والرضا ، والسلام والنعيم ، والتعاسة فى الآخرة . والنار الموقدة ، والعذاب والهوان ، والشقاء فى الدنيا ، وبين هذا وذاك يضرب القرآن على أوتار القلب المشدود من هنا بالخوف ومن هناك بالرجاء ، فتصدر عنها أنغاما متناسقة ليس فيها نفمة نشاز، إنما هو الأحكام فى كل تصرف ، والارتباط بكل خير ، والابتعاد عن كل شر^(٣٨) .

إن التنمية الخلقية عن طريق الترغيب والترهيب ، قد تنجح فى تعديل الأخلاق الفاسدة وتغييرها ، إلا أنها تعتبر أضعف أنواع التربية أو أبعدها عن القيم الانسانية ، وفى الوقت نفسه هى أضعف أنواع العلاج أثراً ، وأسرعها تقلباً ، وأقلها ثباتاً .

ولذلك فإن هذا الأسلوب العلاجى لا يستخدم إلا بعد محاولات متكررة بشتى الأساليب الأخرى ، وعندئذ يصبح هذا الأسلوب مناسباً لتلك الفئة التى لم تستجب لأساليب التنمية الخلقية الأخرى ، لأن هناك « درجات متفاوتة لدرجات من الناس ! فمن الناس من تكفية الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ، ويعدل عما هو مقدم عليه من إنحراف ، ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح ، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ ، ومنهم من لابد من تقرب العصا منه حتى يراها على مقربه منه ، ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكى يستقيم»^(٣٩).

والإسلام يتبع جميع وسائل التربية ، فلا يترك منفذاً فى النفس لا يصل إليه إنه يستخدم القدوة والموعظة ، والترغيب والثواب .. ولكنه كذلك يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلى التنفيذ .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لعلاج مشكلات عملاء الخدمة الإجتماعية ، قد يلجأ أحيانا إلى هذا الأسلوب كمحاولة أخيرة لتقويم الإنحراف وتربية الأخلاق ، وخاصة وأن هناك صنف منهم لا ينصلح حالة إلا عن طريق الرغبة حيناً والرغبة أحيانا أخرى ، وأنه لابد من إصلاحه من استعمال وسائل الترغيب والترهيب .

والأخصائى الاجتماعى عندما يطبق هذه الأساليب العلاجية المختلفة لعلاج عملائه فإنه يطبقها بما يناسب فرديتهم الخاصة ، وذلك بعد دراسة صفاتهم الشخصية، ويعرف قدراتهم وإمكانياتهم ومدى استعدادهم وطرق التربية التى شربوا عليها وعندئذ

يختار الأسلوب العلاجي المناسب لكل فرد منهم ، فليس من الضروري أن يطبق كل أساليب التنمية الخلقية على الجميع ، وليس من الضروري أن يطبق كل أساليب العلاج الإسلامي عليهم ، بل يختار منها ما يراه مناسباً للتأثير في كل فرد على حده حتى ينجح في تغييرهم ويتمكن من تعديل سلوكهم ، ويصل إلى تقويم إنحرافهم ، ثم يعمل على تكوين العادات الأخلاقية الصالحة .

٤ - التنمية الأخلاقية بالأضداد:

إن طريق تنمية الأخلاق وتهذيبها عن طريق المضادات الخلقية ، هو أحد أساليب العلاج الإسلامي لكثير من الانحرافات والمفاسد الخلقية . وقد نجح هذا الأسلوب في علاج الأجسام عندما تعالج الحرارة بالبرودة ، والبرودة بالحرارة .. الخ . فإن الأخلاق تنمى وتهذب أيضاً بالأضداد ، وقد أشار إلى هذا الأسلوب العلاجي الإمام الغزالي عندما قال : « وكما أن العلة المغيرة لإعتدال البدن والموجبة للمرض لاتعالج إلا بضدها : فإن كانت من حرارة فبالبرودة ، وإن كانت من برودة فبالحرارة ، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب ، علاجها بضدها : فيعالج مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخل بالتسخي ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض البشر بالكف عن المشتبهى تكلفا ، وكما أنه لا بد من احتمال مرارة الدواء ، وشدة الصبر عن المشتبهيات لعلاج الأبدان المريضة ، فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر ومداومة مرض القلب بل أولى ، لأن مرض البدن يخلص المرء منه ، بخلاف مرض القلب فإنه يدوم ، وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ، ويختلف ذلك بالشدة والضعف ، والدوام وعدمه ، وبالكثرة والقلة ، ولا بد من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد ، فكذلك النقائص التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار » (٤٠) .

فالمدين مدينا ما بقى عليه درهم .. ومحبته الشئ تلزمه العبودية له .. فاجعل محبتك خالصة لمن تلزمك عبوديته .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي مع عملاء الخدمة الاجتماعية عن طريق تنمية الأخلاق وتهذيبها بأسلوب المضادات الخلقية ، فإنه يسعى إلى تعديل سلوكهم وتقويم أخلاقهم ، ورد إنحرافاتهم عن طريق هذا الأسلوب .

وهكذا يعالج الأخصائي مفاسد الأخلاق بأضدادها ، فالعميل الجبان الخائف يعالج بتعريضه لمواقف تتطلب الشجاعة ، والعميل الكاذب يعالج بالصدق ، والعميل الذي

يشعر بالاضطهاد والظلم فى حاجة إلى الأمن والطمأنينة من خلال علاقة المحبة الصادقة التى تكونت بينه وبين الأخصائى الاجتماعى ومن خلال المحبة التى يساعده الأخصائى الاجتماعى على تكوينها مع زملائه ورؤسائه بالمؤسسة ، وذلك يستبدل الخوف بالأمن ، والكراهية بالحب ، والسلبية بالإيجابية ، والشر بالخير ، والاحاد بالإيمان ، وعندئذ تتغير أخلاقه وتهذب ويصبح العميل ، المنحرف حسن الطباع ، طيب الأخلاق ، ويعود إلى فطرته السليمة التى خلقه الله فيها ، وينجح العلاج الإسلامى فى الأخذ بيد العملاء وتوجيههم إلى الطريق المستقيم ، طريق الهدى والحب والإيمان .

العلاج الإسلامى بالتنمية العقلية

التنمية العقلية أسلوب آخر من أساليب العلاج الإسلامى ، « حيث أن العقل البشرى طاقة من أكبر طاقاته ، ونعمة من أكبر نعم الله عليه ، (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (٤١) (والفؤاد) يستخدم فى القرآن بمعنى العقل أو القوة الواعية فى الإنسان أو القوة المدركة على وجه العموم (٤٢) ولذلك كرم الله الإنسان بهذا العقل وما أودعه فيه من قدرات كثيرة منها القدرة على التعلم تثقيفاً لهذا العقل وتسديداً لتفكيره وأحكامه ، ولهذا جاء الإسلام يحض على النظر العقلى والتفكير حتى جعل التفكير والتعلم فريضتين إسلاميتين (٤٣) ولذلك كان الدين الإسلامى دين علم ونور ، لادين جهالة وظلمة فأول آية نزل بها الوحي فيها أمر للرسول بالقراءة وتكرير لذلك الأمر ، وتنويه بشأن العلم والتعليم الذى تم إسناده إلى الله :

« اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » (٤٤) والإسلام دين الفطرة الذى يحترم الطاقات البشرية كلها .. ومن ثم فهو يحترم الطاقة ويشجعها ، وينميها لتتجه فى طريق الخير .. ويبدأ الإسلام التنمية العقلية بتحديد مجال النظر العقلى ، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التى لا سبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها ، وهو يعطى الإنسان نصيبه من هذه الغيبيات بالقدر الذى يلبي ميله للمجهول ، ولكنه يكل أمر ذلك إلى الروح ، فهى القادرة على ذلك ، المزودة بوسائل الوصول ، أما العقل فوسيلته إلى الله وإلى معرفة الحق ، هى تدبر الظاهر للحس والمدرک بالعقل ، ومن ثم يحدد الإسلام مجاله بهذا النطاق ، ولا يتركه يغرق فى التيه الذى غرقت فيه الفلسفة واللاهوتيات .. ثم بعد ذلك يأخذ فى تدريب الطاقة العقلية على طريق الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة ، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين . الوسيلة الأولى هى وضع المنهج الصحيح للنظر العقلى . والوسيلة الثانية هى تدبر نواميس الكون ونأمل ما فيها من دقة وارتباط (٤٥) .

وبعد أن أعطى الإسلام كل هذا الاهتمام للتنمية العقلية ، اهتم أيضاً بتثقيف هذا العقل ، وتسديد تفكيره عن طريق العلم ، والعلم فى نظر الرسول ﷺ قوام الدنيا وقوام الدين حيث قال: « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » كما دعا الرسول إلى التعليم وأوجبه فقال : « علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » ولم يقف عند الدعوة إلى نشر التعليم فحسب ، بل دعا إلى الاستمرار فى طلب العلم والتعلم ، والبحث والاطلاع فقال : « لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل » ، ولذلك صار طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال تعالى : « وهو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (٤٦) .

واهتمام العلاج الإسلامى هذا الاهتمام الكبير ، بالتنمية العقلية يرجع إلى قول كثير من العلماء بأن العامل المؤثر فى تكوين العقيدة هو العقل فما دام الارتباط بين العقل والعقيدة قائماً على أوثق وجه ، كان لابد من إرجاع العقيدة فى تكوينها وتكيفه وأوجه التأثير إلى عامل العقل (٣٧) . والعقيدة الدينية لشدة فاعليتها وقوة سلطانها على الأفراد والجماعات ، احتلت المكانة الأولى فى دائرة النفوذ بين غيرها من العقائد ، خاصة إذا كانت راسخة ثابتة تقوم على إدراك واضح وعلم يقين ثابت .

واهتمام العلاج الإسلامى بالتنمية العقلية ، يرجع لما لها من تأثير كبير فى تكوين شخصية الفرد وذلك عن طريق العناية بقيادته الفكرية (العقل)، وصيانتها من كل ما يلحق بها ، أو يؤثر فيها تأثيراً ولو طفيفاً فى قدرتها على التمييز بين الحق والباطل فى المعتقدات ، والخطأ والصواب ، أو الضار النافع ، فى التصرفات ، قولية كانت أو فعلية .

ولهذا كله لجأت الخدمة الاجتماعية إلى العلاج الإسلامى لعلاج المشكلات الاجتماعية ، متبعة فى ذلك كل أساليبه المختلفة ومنها التنمية العقلية ، حيث أن هؤلاء العملاء ، قد اضطرب تفكيرهم ، وعجزت عقولهم عن التمييز بين الحق والباطل فى المعتقدات ، والخطأ والصواب ، ولذلك انحرفوا ، وعندئذ ظهرت الحاجة الملحة إلى تنمية عقولهم والعناية بها وصيانتها حتى يستقيم تفكيرها .

ولذلك يحاول الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى مساعدة هؤلاء العملاء على الاستفادة من الفرص التعليمية ، إن كانت موجودة بأكبر قدر ممكن ، أو يحثهم على استكمال تعليمهم إن كانوا توقفوا عن التعليم مستعينا فى اقناعهم بعلاقة الحب والمودة التى كونها معهم ، كما أنه يستطيع تنظيم بعض البرامج والأنشطة لمحو

أمية الأميين منهم والاستعانة ببعض الخبرات التي تعينه في ذلك ، لأنه عن طريق التعليم يساعدهم على اكتساب الخبرات الكثيرة التي تساعد على علاج المشكلات . ولكي يحقق الأخصائي الاجتماعي الهدف من التنمية العقلية في علاج عملائه فإنه يمارس معهم عمليات تعليمية وتربوية .

وأساليب الأخصائي الاجتماعي لتعليم هؤلاء العملاء يمكن حصرها فيما يلي : (٤٨)

١ - أسلوب التنبيه :

« التنبيه هو الأسلوب الذي يمارسه الأخصائي الاجتماعي لإيجاد الدافع للتعلم ، فوجود الدافع شرط أساسي لتحرير طاقة العميل وتوجيهها وجهة خاصة ، ويتم التنبيه بوسائل مختلفة أهمها : توضيح فوائد التعلم ثم توضيح إخطار عدم التعلم ، ثم إتاحة فرصة التعلم ، ويتم هذه العمليات تصريحاً أو تلميحاً ، حسب درجة نضج العميل ودرجة فاعليته .

٢ - أسلوب التوضيح :

أسلوب التوضيح يعقب أسلوب التنبيه ، حيث يتطلع العميل إلى الخبرة والمعرفة تلقائياً ، سواء كانت خبرة خاصة بالمؤسسة أو بالأخصائي الاجتماعي ، أو بالموقف أو بجوانب عامة مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية ، وللتوضيح ثلاث مناطق رئيسية هي : تزويد العميل بمعلومات جديدة ، كتعريف الحدث طريقة استخراج كعب العمل أو تفسير لأسباب موقف معين ، أو كتوضيح أسباب حرمان الحدث من الخروج من المؤسسة أو تصحيح معلومات خاطئة لدى العميل ، أو كتصحيح معلومات الحدث وتفهييمه بأن إخلاء سبيله ليس رهناً بقضاء مدة العقوبة ، بل بتحسين سلوكه حسب تقرير المؤسسة أو كتوضيح ما يغض عليه من أساليب التنبيه السابقة التي قد يصعب على الحدث فهمها وتكون سبباً في مقاومة عملية التعلم .

٣ - أسلوب الإقناع :

الإقناع هو تأثير عقل على آخر ، وهذا الأسلوب يمارسه الأخصائي الاجتماعي عندما تلقى الخبرة المعرفية مقاومة من العميل ، مع مراعاة أن يكون هذا التأثير معتمداً على المنطق والواقعية وحسن التقدير ، وهذا الأسلوب يتطلب من الأخصائي الاجتماعي رحابة الصدر واللياقة عند مناقشة العميل في المعتقدات الخاطئة ونواحي عدم صوابها ، كما أنه يمارس مع العميل الذي يتمتع بقدر مناسب من الذكاء وتكامل الشخصية .

٤ - أسلوب التدعيم :

إن استجابة العميل لأساليب التوضيح والامتناع يتحدد بناء على ما يعقبها من تثبيت والمقصود بالتدعيم هو مكافأة الفعل أو الثواب الذي يعقب الاستجابة .

٥ - أسلوب التعميم :

والتعميم هو العملية النفسية المسئولة عن نقل ما اكتسبه العميل من عادات جديدة في موقف معين إلى غيره من المواقف المتشابهة ، والأخصائي الاجتماعي لا يهدف إلى إكساب العميل عادات معينة فحسب بل إلى انتقال أثر السلوك إلى العديد من المواقف سواء واجهته أو واجهت آخرين من المحيطين به (٤٩).

العلاج الإسلامي بتنمية العلاقات والقيم الاجتماعية

والإسلام كما اهتم بالتنمية الخلقية والعقلية والدينية ، اهتم أيضاً بالتربية الاجتماعية إهتماماً كبيراً ، كما لها من أثر كبير على كل من الفرد والمجتمع ، وقد أوضح لنا الإسلام مجموعة من الأساليب العلاجية التي عن طريقها يتم العلاج بالتربية الاجتماعية نوردتها فيما يلي :-

١ - تنمية القيم والعلاقات الاجتماعية بالحب :

ونبنى العلاج الإسلامي على أساس عواطف إجتماعية أهمها المحبة كاحتياج أساسي لكل إنسان ، لا بد من إشباعه وبذلك يصبح الإنسان على استعداد لمحبة الآخرين ، وإذا لم يشبع هذا الاحتياج الهام فسيشعر بكرهية الآخرين ، والضيق منهم والتبرم والسخط عليهم ، وعندئذ يصير عدوانياً يصب عدوانه على المجتمع بصفة عامة ، وعلى نفسه في أحيان كثيرة ، فيعوج سلوكه ويصبح إنساناً منحرفاً .

ولذلك اهتم العلاج الإسلامي بأشباع تلك العاطفة السامية ، التي إن صلحت صلح كل شيء وإن طلحت فسد كل شيء ، فبدأ بالتأكيد على محبة الوالدين ، لما لها من أثر على الصحة النفسية للفرد ، ثم أضافت عليه ينبوعاً لا ينضب من ينبوع العاطفة الصادقة ، وهو محبة الله الذي أنعم علينا ، والذي يرحمنا في المحن ، عندما تلجأ إليه وندعوه فيكشف السوء .

وعلى أساس محبة الله يحب المؤمن كل من يشاركه الولاء لله ومحبة الله وطاعته ، والانقياد لشريعته ، والاعتزاز بالسيرة تحت لوائه ، وهذا ما يسمى بالحب في الله .

وقد جعل رسول الله ﷺ محبة قوم ثبتت نصرتهم لله ورسوله من علامات الإيمان ، وبغضهم من علامات النفاق .

عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق . من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » (٥٠) . كما جعل مصير الانسان يوم القيامة مرتبطا بمصير من يحبهم ويتعلق بهم ، ويرتبط بهم برباط إجتماعى فى الدنيا ويعمل بعملهم ويبدل من أجلهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم لعنا نحبهم ؟ قال هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » ثم قرأ « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٥١) . رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ « متى الساعة » ؟ قال وما أعددت لها ؟ قال : لا شئ إلا إني أحب الله ورسوله » قال : أنت مع خير من أحببت » رواه البخارى وسلم (٥٢) .

إن الحب فى الإسلام يستمد وجوده من الحب الإلهى ، فإذا تحققت منه لذة فهى وسيلة لغاية مرادة لله ، وليست اللذة من أجل اللذة ، إنما هى ثمرة لاتباع أمر الله ، كما أنه إذا بغض شيئاً ، فانما يبغضه بأمر الله ، لأن فيه إسراف أو إفساد أو خيانة أو إثم أو اعتداد أو ظلم ، فالبغض ما يبغضه الله ويهوى عن فعله ، كما ورد فى كتابه الكريم . والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى مع العملاء عن طريق الحب ، فإنه يبدأ بنفسه أولاً ، فعمله معهم وتأثيره فيهم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحبه لهم وحبهم له ، فهو يحبهم فى الله ولذلك يشقى ويتعب من أجلهم ، ويبذل الجهد ويضحى بالوقت فى سبيل علاج مشكلاتهم وهو لا ينتظر من وراء ذلك جزاء أو شكورا ، فجزاءه على الله وجزاءه من الله وحبه فى الله والله .

وعندما ينجح الأخصائى الاجتماعى فى اكتساب حبهم ، فسيصبح القدوة الحسنة أمامهم ، فيتعلمون منه الحب ، ويبدأون بحبه ثم يحبون بعضهم البعض ثم ينتشر الحب حتى يشمل كل الناس ويعم المجتمع ، وعندئذ تصفوا قلوبهم وتطهر نفوسهم ويقوم انحراقهم ويتعدل سلوكهم وتعالج مشكلاتهم .

٢ - تنمية العلاقات والقيم والاجتماعية بالتعاون :

من القدر أن الحياة فى أى جماعة من الجماعات لا تقوم دون أن يتحقق تعاون بين أفرادها ، وهذا التعاون لابد من أن ينظم وتوضع له الروابط والضوابط التى تجعل عمله عملاً نافعاً مثمراً ، وتقيمه على أسس من العدل والمحبة والإخاء (٥٣) .

وقال الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » فإله يأمر

بالتعاون على البر وعمل الخير ومعاونة المعوزين والعاجزين والمساكين ، كما يأمر بالتعاون على التقوى والعمل الصالح وينهى عن التعاون على الإثم والشر والعدوان .

وقال سبحانه وتعالى « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

فمن تمسك بالإيمان وفعل الخير ، والتزم بالحق ، والصبر ، نجح في حياته وعمله . ولن تهلك أمة يتواصى أفرادها بالإيمان ، ويتناهون عن الباطل . وكثيراً ما سقطت الأمم لأن أبنائها كانوا لا يجدون من يرشدهم إلى الطريق المستقيم وينهاهم عن الشرور التي يرتكبونها ، والآثام التي يعترفونها . وقد صرح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

إن الفطرة البشرية قد جعلت تحقيق الخيرات لا يمكن أن يستقل به إنسان ، ينفرد بنفسه ويكون في معزل عن الناس ، فلقد كان من مقتضيات الطبيعة البشرية ، والفطرة الانسانية أن يتعاون الناس على تحقيق خيراتهم مجتمعين ، كل يقوم بما يختص به من فروعها ونواحيها ، لذلك كان من المحتم بل ومن أوجب الواجبات على الناس أن يحب بعضهم بعضاً ، ويدون تلك المحبة ينفروا عقد المجتمع وتذهب كثير من الخيرات . (٥٢)

وقد ربط الله واجب الإيمان في النفس والجماعة بأسس من واقع الإنسان وهو : أن للإنسان جانبين من جوانب شخصية إحداهما انفرادية بها يخاطب وبها يكلف ، وبها يتصرف في شئونه الخاصة في دائرة أحكام الله وارشاده ، وبها يسأل عن نفسه أين وضعها ؟ وعن عمله ماذا قصد به ، وعن ماله فيم أنفق وعن عمره فيما أفناه ؟

والأخصائي الاجتماعي الذي يعالج العملاء عن طريق التعاون ، فإنه يبدأ بتدريبهم على ممارسة التعاون فيما بينهم عن طريق بعض الألعاب الرياضية التي تتطلب روح الفريق ، والتي لابد أن يتعاون فيه العضو مع بقية أعضاء الفريق ، وعندئذ يعرف قيمة التعاون بالممارسة ، ثم يدربه على التعاون عن طريق تحمل بعض المسؤوليات الجماعية مثل مسئولية الإعداد لرحلة بعقد تقسيم المسؤوليات ومعرفة كل عضو لمسئولياته التي تكمل المسئولية الجماعية ، أو توزيع مسئوليات الاشتراك في حفلة والإعداد لها ، وفي كل ذلك يوضح لهم الأخصائي الاجتماعي قيمة التعاون وأثاره الايجابية ونتائجه الطيبة على الفرد والجماعة . وبعد ذلك يتدرج معهم الأخصائي في اسناده بعض المسئوليات إليهم خارج المؤسسة على أن تكون مكمله المسئوليات أخرى في مكان آخر وعندئذ يعرف العميل قيمة التعاون خارج المؤسسة ، كما عرفها داخل المؤسسة ، وبالتالي يعرف قيمة التعاون بالنسبة للمجتمع ككل . وبعد ذلك نجده يقلع عن السلوك المنحرف

ويبتعد عنه ، ويتجه إلى البناء بدلا من الهدم ، والتماء بدلا من الضياع ، والايجابية بدلا من السلبية ، ويصبح إنسانا صالحا متعاوناً في حقوقه وواجباته ، ويصير لبنة من لبنات بناء المجتمع .

٣ - تنمية القيم الاجتماعية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فالأمر بالمعروف وسيلة إصلاح الأفراد والجماعات والمجتمع ، كما أن النهي عن المنكر وسيلة يستطيع بها من أتى منكراً أن يجد من ينهاه عنه ، ويرشده إلى الصواب ، ويأمره بالمعروف ، فيعتدل ويفيق إلى الحق ، وهو أسلوب رائع جميل فيه المحبة للناس ، وفيه المحبة للفضائل ، وفيه الكراهية للردائل ، ومنع الناس من أذائهم . وقد ورد الحديث الشريف « من رأى منكم منكراً فليغيره » وهذا الأسلوب لو أهمله المسلمون لعمهم البلاء ، ولفسد المجتمع فقد قال الرسول ﷺ « ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم ، إلا عمهم الله بعذاب محتضر » . وهذا الأسلوب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يشترك في أدائه الأفراد في المجتمع في المجال الفردي ، والهيئة الحاكمة في المجال الجماعي .

وقال الرسول ﷺ « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (٥٤) .

وقال الله سبحانه وتعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (٥٥) فالله أمر بالدعوة إلى الإسلام وفعل الخير من صدقه ، وإيثار ، وتعاون ، وترايط وتضامن ، وأمر بالمعروف وهو ما استحسنته الشرع : كالتواصي بالحق والرحمة والإحسان والصبر ، ونهي عن المنكر ، وهو ما استنبجته الشرع : كالظلم ، وعدم إخراج الزكاة ، وكالخيانة والغدر والكذب .

٤ - تنمية القيم الاجتماعية بتطبيق الحدود الشرعية :

المرحلة الاجتماعية الأخيرة في ضبط السلوك وعلاج المشكلات هي الحدود الشرعية ، فمن الناس من لا ينفع معه وازع العقل ولا وازع الضمير ، ولا وازع الترهيب ولا وازع الكفارات والمحاسبة الشخصية على الأخطاء المستورة ، وكان سلوكه معوجاً حتى احتاج إلى من ينهاه عن المنكر ويأمره بالمعروف ، فلم يرتدع وأصبح مصدر عدوان على نفسه وعلى المجتمع ، فلا بد هنا من حدود وقائية وعلاجية تشرع لإكراهه بالقوة إلى اتخاذ المسالك الحسنة فيقام عليه الحد ، وأسلوب الحدود الشرعية هو أسلوب الحاكم وحده ، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فأعطى الله السلطان تنفيذ حدود الله وقد قال تعالى « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون » (٥٦) فمن قتل يقتل ، ومن سرق يقطع يده ، ومن كان متزوجاً وزنى يرحم ، ومن شرب

الخير يجلد .. وهكذا باقى الحدود ، فالحدود تطهير للشخص مما ارتكب من الذنب ، وحفظ للمجتمع من الفساد والرديلة ، إذ أن الحدود جواير ، أى تجبر ما حصل من الإنسان ، وتكون واعية للاعتبار بها ، أى زواج للناس ، فمن فضل الله أنها جواير لمن يرتكبها ، وزواج لمن يفكر الاتيان بها ، وبذلك يحفظ المجتمع من الفساد والإفساد ، وهكذا يصبح الفرد رقيبا على نفسه وعلى المجتمع ، ويصبح المجتمع رقيبا على الأفراد (٥٧) .

أما أسلوب تنمية العلاقة والقيم الاجتماعية عن طريق الحب ، فالأخصائى الاجتماعى يعتمد فى عمله كله على العلاقة الطيبة التى يكونها بينه وبين هؤلاء العملاء ، وهى علاقة حب صادق ، ومودة خالصة والتى يلمسها العلماء ويحسون بها بل وعيشونها ، وعندئذ يعممون الحب على الآخرين الذين يتعاملون معهم . بعد أن افقدوا الحب وحرموا من المودة ، وكان ذلك من أسباب مشكلاتهم ، ثم يتدرج هذا الحب إلى أن يصل إلى أعظم درجاته وهى المحبة الصادقة لكل الناس ، تقربا إلى الله واكتسابا لمحبه .

أما تنمية القيم الاجتماعية عن طريقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن الأخصائى يمارس هذا الأسلوب معهم ، ويستغله ليعيد العملاء إلى فطرتهم الطاهرة ، ويصونها عن التدنس ، وارتكاب الأخطاء ، والتى تقيهم من الانحراف ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بأن الأخصائى الاجتماعى يستغل هذا الأسلوب ، ليغرس فى قلوب العملاء معانى الإيمان بشتى الطرق وفى مختلف المناسبات ، فهو يلفت أنظارهم إلى كل ظاهرة من ظواهر الكون ، الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته وبعد ذلك يوجه سلوكهم بأداب الاسلام .

أما عن تنمية القيم الاجتماعية عن طريق الحدود الشرعية فإن الأخصائى الاجتماعى ما هو إلا ممثل للمجتمع ، يطبق دابه ، ويرتبط بقيمه ، ويرجع إلى أمر الله ، ويحكم شريعته فى تنظيم المجتمع ، حيث أن ذلك يعتبر من أهم مصادر الروابط والأهداف الاجتماعية ، لأنه يهدف إلى تربية الأفراد وتأديبهم بطلب مرضاة الله ، فإذا انحرف الفرد عن هذا الهدف ، أدانة المجتمع ، وأصبح من حق الأخصائى الاجتماعى أن يتخذ معه شتى الأساليب التربوية كمحاولة أخيرة للتأثير فيه أو تغييره ، وإذا لم تجد معه كل هذه الأساليب أصبح من حق الأخصائى الاجتماعى تسليمه للسلطة التى تنفذ أوامر الله ، لتطبق عليه أى نوع من أنواع الحدود الشرعية ، حتى يعود الأفراد إلى خطيرة الإيمان والتوبة والندم ، ويرجعون إلى العمل بمقتضى الشريعة وأدائها .

العلاج الإسلامى بالتنمية النفسية

من نظر فى تعاليم الدين الإسلامى وتأمل مقاصده ، ليدرك أنه يرمى إلى غرض واحد هو توفير الكمال النفسى للإنسان ، وتيسير أسباب السعادة له فى دنياه وآخرته متمثلاً فى تنظيم سلوكه وضبطه (٥٨) .

إن الإسلام يقدم بتعاليمه الكاملة السليمة أفضل العون للنفوس ، وما العبادات فى الإسلام إلا وسائل ربانية لتربية النفس وتنظيم طاقاتها ، وهو إذا يحصنها بهذه العبادات لا يقتل حيوياتها ولا يضعف منها أبداً حتى تلك الغرائز الجنسية الشهوية ، لا يقف منها موقف العداء ، وإنما يعمل على تنظيمها ، فتتحول بذلك إلى طاقة بناء للحياة .

إن القرآن أسلوباً رائعاً للتنمية النفسية ، فهو يربى المرء على الإيمان بوحداية الله وباليوم الآخر . ويقول « محمد اقبال » فى كتابه إعادة بناء الفكر الإسلامى « ما يأتى به الدين من علم والإيمان به هو تجربة نفسية تخضع للممارسة الداخلية للإنسان ، أى تخضع لجهاد النفس ، وترويضها ، فكما جاهد الإنسان شهوات نفسه ، ووقف فى سبيل هواها ، كلما زاد ادراكه وضوحاً وعمقاً للطريق السوى فى الحياة ، وكلما زاد إيمانه قوة بالله وبرسالته . ونهاية هذه التجربة النفسية يتجلى فى الصفاء النفسى (٥٩)

إن أسلوب القرآن فى تنمية النفس ، يفرض الاقناع العقلى مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات النفسية ، فهو بذلك يربى العقل والعاطفة معاً ، متمشياً مع نظرة الإنسان فى البساطة وعدم التكلف ، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة .

يبدأ القرآن من المحسوس والمشهود المسلم به : كالطر ، والرياح ، والنبات ، والرعد ، والبرق . ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله ، وعظمته وقدرته ، وسائر صفات الله - مع اتخاذ أسلوب الاستفهام أحياناً ، إما للتقريع وإما للتنبيه وإما للتحبيب والتذكير بالجميل .. أو نحو ذلك . مما يثير فى النفس الانفعالات الربانية : كالخضوع ، والشكر ، ومحبة الله ، والخشوع له ، ثم تأتى العبادات والسلوك المثالى تطبيقاً عملياً للأخلاق الربانية (٦٠).

إن الدين الإسلامى يعتمد فى إصلاحه على تهذيب النفس الانسانية ويكرس جهوداً ضخمة للتغلغل فى أعماقها وغرس التعاليم فى جوهرها ، فالنفس الانسانية هى موضوع عمله ومحور نشاطه ، لأن الإسلام دين الفطرة ، قال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٦١) .

والنفس المنحرفة تثير الفوضى في حكم النظم وتستطيع النفاذ منه إلى أغراضها الدنيئة ، والنفس الكريمة ، ترقع الفتوق ، وتحسن التصرف في الأمور ، وتسير وسط الزوابع والأعاصير (٦٣) .

والعلاج الإسلامى لكى يصل إلى تحقيق أهدافه فى التنمية النفسية « فإنها تنطلق من محركين أساسيين ، محرك ترغيب ، ومحرك ترهيب ، فالنفس تنزع بفطرتها إلى الهوى ، وتميل إلى الشهوة ، وتركن إلى تحقيق ذلك ركونا عظيما » .

والتنمية النفسية كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامى يمكن تحقيقها بالأساليب التالية :

(١) تنمية الإرادة :

لقد أوضح الإسلام المنهج العلمى لتنمية الإرادة (٦٤) ، وتدريبها على الالتزام بموقف الحكمة والهدى والثبات أمام تيار الهوى كما يلى :

أ - تنمية الإرادة بالتحكم فى المشاعر (كظم الغيظ والحد من الغضب) .

وهنا يطالبنا الشرع الحكيم فى أشد حالات الغضب ، ما دمنا متمتعين بوعينا وإدراكنا ، أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ، ويحاسبنا على الأسلوب القولى والفعلى الذى نختاره فى التعبير عن شعورنا .

وبالمثل نستطيع أن نتصرف فى مواقف الغضب لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقاومة حركتها الطبيعية فى بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة ؛ وتحويل خط سيرها على النمط الذى رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه ، فلنستمع إلى شئ من إرشاداته الحكيمة التى يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهى إرشادات تبرهن على مالصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق ، لمدى هذه القوى النفسية فى حدودها الطبيعية وفيما وراء تلك الحدود ، وفى اللحظة التى يدفعنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة تنتفس بها عن غضبنا ، لا يأمرنا الرسول الكريم بأن نسكت ونحبس أنفاسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئا ، ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الانفعال وهى « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام المرجل الذى يغلى فى الصدر ، وتخفيف الضغط الذى كان يولد فيه الانفجار .

فإذا ما دعتنا حدة الغضب إلى شئ أكثر من القول ، وانبعثت فينا نزعة قوية إلى البطش باليد أو غير ذلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوى يساير هذه الحركة الطبيعية أيضا فى مبدئها ، ولكنه لا يلبث أن يحول مجراها برفق بعيدا عن هدفها ، ولنستمع إليه ﷺ حين يقول « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقع ، ليذهب عنه الغضب ، وإلا فليضجع » (٦٥) .

وللغضب أنواع متعددة من العلاج : (٦٦)

أولهما : كظم الغيظ الذى يرد الغضب ويسكنه فانه أعظم وسيلة لردده وأعظم علاج لدفعه ، قال الرسول ﷺ « إذا غضبت فاسكت » وقال ﷺ « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا » وقال الله تعالى فى معرض المدح لهم « والكاظمين الغيظ » .

ثانيهما : هو الحلم عند الغضب ، وقد أجمع العلماء على أن أفضل الأحلام ، الحلم عند الغضب ، والصبر عند الجزع . وقال الرسول ﷺ « إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحكم ، ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه » وقال الرسول ﷺ : « ابتغوا الرفعة عند الله » قالوا وما هى يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم على من جهل عليك « وعلى ذلك يكون الحلم أفضل من الكظم مثوبة وأين أهل الدرجات من أهل المثوبات .

ثالثهما : هو العفو والصفح ، وهى درجة لا يقدر عليها إلا من اتصفوا بالإيمان واليقين ويتضح عظيم درجتها من قوله تعالى « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، وقال « وإن تعفوا أقرب للتقوى » وقال « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » .

رابعهما : وإذا لم يستطع الانسان أن يكظم غيظة أو يحلم أو يعفو ويصفح فعليه أن يتبع الأساليب الأخرى التى أشار بها الرسول ﷺ وهى تغير الوضع أو القيام للوضوء فقد قال الرسول ﷺ « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء ، فانما الغضب من النار » .

(ب) تنبيه الإرادة بممارسة الحب :

الحب والكره حالتان نفسيتان وليدة أسباب يبدو لنا بعضها ويخفى عنا البعض الآخر ، فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الأرواح أو تنافرهما ، أو إلى تقارب الأزواق والآراء أو تباعدها أو إلى غير ذلك من البواعث ، وأما ما كان منهما من صنع الله مقلب القلوب وكذلك ما يتبعها من الآثار الجبلية التى لا تنكر قررة عين ، وإشراق جبين ، وانفساح صدر ، وراحة ونعيم فى لقاء من تحب ومناجاته . وأضداد ذلك فى لقاء من تبغض . إلى هنا يقف عمل الفطرة التى رفعت عنها الأقلام ، ولكننا فى غالب الأمر نضيف إليها آثارا من صنعنا ، إذ نفرق فى المعاملة بين من نحب ومن نبغض ، ولا تسوى بينهما فى الحكم ، بل نكيل لهما بكيلين ونزن بميزانين ، فنحاسب من نحب ، ونغضى عن هفواته ، ونتحامل على من نكره ، ونغضى على حسناته . وهذا هو الحوار الذى نهانا الله عنه ، إذ يقول عز شأنه « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (٦٧) ويقول « ولا يجرمنكم شأن قوم علي ألا تعدلوا » (٦٨) هكذا يحملنا الإسلام مسئولية عملنا ،

وعافانا من كسبنا ، فلم يكلفنا اقتلاع عاطفة الرضا ونازعة السخط من أنفسنا ولا كف آثارهما الجبلية ، ولكن كف آثارهما الاختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا في ذلك الأسوة الحسنة بصاحب الخلق العظيم فقد كان الرسول ﷺ يعد حق العدل بين زوجاته ثم يقول « اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك » (٦٩)

ج - تنمية الإرادة بالصبر والتفيس عن المشاعر :

ترى الناس إذا أصابهم مايكرهون أندفعوا في هلع هالع ، وجزع خالع اعتذروا بشدة الصدمة الأولى وبعجزهم عن الصبر والتحمل ، كلا أنها حجة داحضة والله الحجة البالغة ، فإن للحن أثراً طبيعياً لاجتراح فيه ، وإنما السبيل على قول الهجر ، وفعل المنكر الذي تبرأ منه الفطرة .

ها هنا أيضا تجد في مشكاة الشريعة من الأضواء الباهرة ، ما يكشف لنا حدود مسئولياتنا ، وما وراء تلك الحدود ، ففي أمر الصحيح الذي يرويه البخاري أن النبي ﷺ دخل على ابنه ابراهيم وهو يعالج سكرات الموت ، فلما رآه رق له قلبه ، وجعلت عيناه تذرفان الدموع ، فقال له عبدالرحمن بن عوف : وأنت يارسول الله !! فقال يا ابن عوف إنها رحمة ، ثم قال « انها العين تدمع . والقلب يحزن ولانقول إلا مايرضى ربنا وإنتا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون » هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية والنفسية التي ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال التي تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها محض علمنا ، واقعة تحت مسئوليتنا (٧٠).

وهكذا نتعلم من الرسول ﷺ الصبر عند الشدائد، والصبر يأتي بتنمية الإرادة وتدريبها وتكرار هذه التدريب في كثير من المواقف حتى يصبح الصبر عادة للإنسان وصفة من صفاته ، ولن يتحقق ذلك إلا بتنمية الإرادة .

كما تعلمنا من الرسول ﷺ كيف نعبر عن مشاعرنا ، وكيف تنفس عن مشاعرنا وخاصة السلبية منها مثل الحزن ، فالتعبير عنها وتنفيسها فيه راحة للنفس ، وتنمية للإرادة ، وقد وصفه الرسول ﷺ بأنه خير ، خير للإنسان ، وخير للمجتمع الذي يحيط به ، ولكن يصاحب هذا التنفيس للتحكم في أقوالنا وأفعالنا المصاحبة لهذه المواقف المحزنة حتى لانفعل ما يغضب الله أو نتلفظ بما لايرضيه ، وأي تنمية للإرادة بعد ذلك إن الشريعة الباهرة وضحت لنا مسئولياتنا وحدود سلوكنا في مثل هذه المواقف بما يؤدي إلى تنمية الإرادة .

ان الله سبحانه وتعالى لا يطلب منا أن نكتب غرائزنا ، ونغير من تكوينها ، ولكنه يعلمنا كيف نوجهها ، ونضبط سلطانها ، وننظم آثارها العملية حتى لانصبح عبدا لغرائزنا ، وصفاقا أمام مشتبهياتها ورغباتها ، وبدلا من ذلك علمنا كيف نغير اتجاهها ونحوه إلى مسار آخر إن استطعنا ، أو نوقف سيرها في الظروف التي تتطلب ذلك .

د- تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز أو وقف سيرها :

فقد علمنا القرآن الكريم كيف يكون موقفنا أمام الحاج رغباتنا الجامحة ، فطورا يأتنا لنا أن نشبع رغباتنا بأسلوب آخر نستبدل فيه الحلال بالحرام ، والطيب بالخبث ، وطورا يوجهنا نحو معالي الأمور وأسمائها شائنا وأرفعها قدرا ، وهذه هي رتبة الصفوة الخاصة ، ولكنه لا يأمرنا بترك التشهى والتمنى اطلاقا ، ولكنه يرسم لنا أهداف هذا التمنى ، فلنستمع له حين يقول ، ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض (٧١) ثم يقول : « واسألوا الله من فضله » (٧٢) . وهذا نفسه هو الأدب الذى أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه إذ قال : « ولاتمدن عينيك إلي ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه . ورزق ربك خير وأبقى » .

هـ) تنمية الإرادة بالإيحاء :

كثيراً ما ينصح رجال التربية باستخدام الإيحاء عامة والإيحاء الذاتى خاصة فى تنمية الإرادة ، ويعرفه بعضهم « بأنه فكرة أو تنبيه عقلى ينادى المشاعر أكثر مما ينادى العقول » (٧٣) .

ويعرفون الإيحاء الذاتى بأنه « هو إيحاء نوجهه إلى أنفسنا » (٧٤) ويشترطون لتأثير الإيحاء فى أى ميدان من الميادين بوجود رغبة فى عمل ما قبل الإيحاء ، كما يجب أن تكون الرغبات والعادات الشعورية مهياة لقبول تلك الأفكار الموحى بها ، كذلك يجب ألا تتعارض تلك الإيحاءات الجديدة مع الإيحاءات الأخرى العميقة التى ثبت الامتناع بها قبل الإيحاء الجديد (٧٥) .

والشرط الأخير الهام لتأثير الإيحاء أو ذاك يمكن تحقيق الرغبات به عملياً (٧٦) .

أما تنمية الإرادة بالإيحاء كما جاءت فى التربية الإسلامية ، فإنها تشبه الوسائل الإيحائية لدى علماء النفس غير أن نظرة الإسلام تختلف من حيث المصادر التى يستوحى الإنسان منها الإنسان الشعور بقوة الإرادة ، فإن علماء النفس إذا كانوا ينصحون بصفة عامة بالإيحاء الذاتى ، فإن الإسلام ينصح بهذا الإيحاء على أساس استمداده من القوة الروحية مثل الاستعانة بالله وبقوته ، ولهذا قال الرسول لابن عباس عندما كان صغيراً « يا غلام إني معلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك » (٧٧) .

وعن مصادر الإيحاء الذاتى بالقوة الاعتزاز بالإيمان بالله يقول تعالى « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب . والعمل الصالح يرفعه . والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يورث » (٧٨) .

وإن من حق المؤمن أن يعتز بإيمانه بالله وياتباعه الطريق السوى طريق الهدى والصالح وهو طريق الإسلام « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (٧٩) . ولهذا أمر الإسلام أن يكون المؤمن قويا لأن المؤمن القوى أحب إلى الله وخير من المؤمن الضعيف فقال الرسول ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » (٨٠) . ولهذا كان الرسول ﷺ يستعيز من الضعف والعجز أو الشعور بالضعف والعجز وكان يقول « اللهم أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل » (٨١) .

و - تنمية الإرادة بالزهد في متع الدنيا :

إن الزهد في متع الدنيا والتقليل من العادات الضارة في المأكل والمشرب والملبس مثل الإفراط والشره والطمع والحرص على جمع المال يجعل الإرادة الإنسانية تخضع لصوت العلم والعقل والأخلاق لا الغرائز والدوافع الفطرية وهذا يقتضى تدريبها أو إخضاعها لهذه الأمور ، وتربيتها بالسير في ضوء الحكمة والأخلاق ، لابد الإرادة إذا أصبحت حرة بدون قيد أو شرط قد تستقيم ، وقد تنحرف ولاضمان للاستقامة المستمرة ما لم تتدرب على التقيد بالقيود الفعلية والعملية والأخلاقية .

فإن لم يدرب الإنسان إرادته على مغالبة تلك الدوافع البيولوجية والسيكولوجية سيكون مغلوباً على أمره ، ولا يمكن أن يكون صاحب خلق ، لأن كثيراً من مبادئ الأخلاق لا تكون إلا عن ذلك الطريق أى بمخالفة الدوافع الطبيعية (٨٢) .

ز - تنمية الإرادة بالتأمل والتفكير :

إن الإرادة تقوى بالتأمل والتفكير وذلك عن طريق أعمال الفكر بالإرادة مدة معينة فى كل ساعة أو فى كل يوم فى موضوعات معينة ، لأن التفكير والتأمل المركز على ذلك النحو يقوى الإرادة من ناحيتين :

١ - العمل العقلى كالعمل العضوى فيما يتفق فيه من بذل الجهد وتوجيهه إلى موضوعات معينة بإرادة ، فكلاهما رياضة بالنسبة للإرادة ، ولهذا نجد بعض علماء النفس ينصحون بذلك لتقوية الإرادة (٨٣) .

٢ - إن الإرادة تقوى إزاء عمل أو أعمال يرى الإنسان وضوح الحق فيها وزوال الشك منها ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جاذبية للإرادة ، ودافعة إلى العمل بموجبها ، وتوجيه التفكير والتأمل إلى الموضوعات وسيلة لجلاء الحقائق فيها ، وإدراك ما يترتب عليها .

ولهذا نجد الإسلام يدعونا باستمرار إلى التأمل والتفكير فى الموضوعات المختلفة وفى المناظر المثيرة والمدهشة فى الكون وفى المبادئ التى جاء بها فيقول تعالى مثلاً :
قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة، (٨٤).

ويبين الله أن من يتفكر فى دلائل الله وآياته يهتدى إلى الحق فقال : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذا النار » (٨٥) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج العملاء عن طريق تنمية الإرادة كأسلوب هام من أساليب التنمية النفسية ، يعرف جيداً أن هذه الفئة من الناس أحاطت بهم الضغوط البيئية القاسية ، والتى ترتب عليها الكثير من الضغوط الداخلية النفسية ، والمؤلة التى جعلتهم يندفعون وراء أهواء الشيطان وأهوانهم وميولهم الشخصية فينحرفون ويرتكبون شتى أنواع السلوك المنحرف أو تواجهه الكثير من المشكلات ، مما يجعلهم فى مسيس الحاجة إلى من يقف بجانبهم ويساعدهم ويحررهم من تلك الضغوط المؤلة سواء كانت بيئية أو نفسية ، وهنا يظهر دور الأخصائى الاجتماعى الذى يحاول تقوية إرادتهم وتربيتها عن طريق مساعدتهم أولاً على التحكم فى مشاعرهم ، وخاصة السلبية منها مثل كظم الغيظ والحد من الغضب .

ولكن الأخصائى الاجتماعى يحاول مساعدة العملاء فى إفراغ هذه الشحنات الأنفعالية بصورة إيجابية بدلاً من إفراغها بصورتها السلبية ، فهو يعلمهم أولاً كيف يواجهون الشيطان ووساوسه عن طريق الوصفة النبوية الشريفة ، وهى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، ثم بعد ذلك يتيح لهم الفرص التى تسمح لهم بالحركة والنشاط الذى يغير من وضعهم الذى كانوا فيه عند ثورة الغضب ، ثم يطلب منهم الوضوء ، لأن الماء يطفى نار الغضب وثورته كما قال الرسول ﷺ ، ثم يخطط فهم بعض البرامج والأنشطة المختلفة التى تمتص هذه المشاعر ، وتنفس تلك الأنفعالات .

فعل الرسول ﷺ عندما توفى ولده إبراهيم فقد أدمعت عيانه وأحس بمشاعر الحزن والألم على فراقه ولكنه تحكم فى هذه المشاعر السلبية وأفرغ تلك المشاعر بتعبيرات لفظية ، ولكن بما يرضى الله ولا يغضبه والتربية الإسلامية لاتمنعنا من التألم والتعبير عن المشاعر وفى نفس الوقت تعلمنا كيف نتحكم فيها وتغير من نتائجها بما يعود على نفس الراحة والطمأنينة ونون انحراف ونون أى معصية لله .

ثم يلجأ الأخصائى الاجتماعى لتنمية إرادة العملاء بالأسلوب الثانى ، وهو الحب وذلك عندما ينشط إرادتهم بالعلم الذى يمنحها القدرة على العمل ، فيعلمهم كيف يتحاب، وكيف يتساوون جميعاً فى الحقوق والواجبات جاعلاً من نفسه القدوة الحسنة

والمثال الطيب الذى يتعلمون منه ويقلدونه ، فهو يحبهم جميعا كما خلقهم الله ، لا كما يجب أن يكونوا .

وليس معنى ذلك أنه يحب ولا يكره ولا يتفعل ، فهو كبقية البشر يحب ويكره ، يسعد ويشقى ، يرضى ويغضب ولكن الصورة التى يتحكم فيها فى مشاعره وانفعالاته ، لأن العلاج الإسلامى علمه كيف يتحكم فى تلك المشاعر ، وليس معنى ذلك أنه يكبت المشاعر الإنسانية ويمنعها ، ولكن يتحكم فيها ويعبر عنها بالانفعالات والكلمات التى لا تؤذى أحداً ولا تغضب الله وفى نفس الوقت لديه القدرة على استغلال النتائج وتطويعها لصالح العلاج .

وعندما يظهر الأخصائى الاجتماعى بهذه الصورة أمام هؤلاء العملاء المنحرفين ، سيتعلمون منه الحب ، ويتأثرون بارادته القوية ، فتقوى إرادتهم ويصبحون قادرين على التحكم فى مشاعر البغض والكراهية حتى لا تنصرف بالسلوك المنحرف ، بل يعرفون كيف يوجهونها الوجهة التى تعود عليها بالفائدة ، وهذا ما يسمى بتغيير الاتجاه وهو الأسلوب الثالث من أساليب تنمية الإرادة ، أما بعض الفرائز التى لا يمكن إشباعها عن طريق تحويل الاتجاه ، ولا يمكن التحكم فيها فإن الأخصائى الاجتماعى يساعدهم على وقف سيرها ، ومنعهما عن طريق تربية النفس ومجاهدتها بألوان العبادات المختلفة مثل الصوم والصلاة والزكاة .

كما يمكن للأخصائى الاجتماعى تقوية الإرادة وتربيتها عن طريق الإيحاء الذى يستمد من القوة الروحية مثل الاستعانة بالله وقوته والإيمان به والاعتزاز بقدرته وقته ، باتباعه الطريق السوى ، طريق الهدى والصلاح ، وهو طريق الإسلام ، وكثيراً ما ينجح الإيحاء فى المواقف التى لا يصلح فيها التصريح والتوجيه المباشر ، وعندما يحاول الأخصائى تطبيق الإيحاء فى تقوية إرادة العملاء ، فإنه يساعدهم على أن يتخيلوا بعقولهم ما يريدون عمله ويعبروا عنه تعبيراً دقيقاً ، ثم يساعدهم على أن يذكروا بدقة وعناية فى العقبات والأسباب التى تمنع تحقيق ما يريدون ، وماهى المشاعر التى تحول دون السير فى خطوات العلاج المناسبة ، ثم يساعد كلا منهم على أن يستشعر فى نفسه القوة والقدرة ، على ممارسة تلك الأساليب العلاجية ، وعندئذ تقوى إرادته ويصبح على استعداد لممارسة الأساليب العلاجية التى يقترحها عليه الأخصائى الاجتماعى ، وبذلك يتم تقويم الانحراف وتعديل السلوك وعلاج المشكلات .

أما أسلوب الترك والمنع والزهد فيما ترغبه النفس وتهواه ، فهو أسلوب آخر من أساليب تنمية الإرادة وتقويتها .

ولذلك فإن الأخصائى يقف بجانبه يشجعه ويوجهه ، يساعده ويعينه ، مستعيناً بالحب والمودة والثقة فى مساعدته على رياضة النفس ومجاهدتها عن طريق كفها ومنعها عما تحبه وتشتهيه ، ويدربه على ذلك بالصبر والتدريب إلى أن يصبح قادراً على الاستغناء عن كثير من ملذاته ، متحكماً فى كثير من غرائزه وشهواته ، ويستعين الأخصائى الاجتماعى فى ذلك بممارسة العبادات المختلفة مثل الصوم والزكاة والصلاة.

وعندما تقوى الإرادة تنضج الشخصية وتنمو ، ونمو الشخصية ونضجها هو هدف العلاج الإسلامى ، حيث الشخصية الناضجة قادرة على مقاومة الانحراف والابتعاد عن السلوك المنحرف ، وتصبح شخصية متوافقة تلتزم بأداب التربية الإسلامية .

وهناك أسلوب آخر لتقوية الإرادة وتربيتها ، وهو التأمل والتفكير فى الموضوعات المختلفة ، لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك ما يترتب عليها من خير وشر ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جاذبية للإرادة ، ودافعه إلى العمل بموجبها .

وبهذا الأسلوب الإسلامى فى تنمية الإرادة يستطيع الأخصائى الاجتماعى مساعدة العملاء وتنمية نفوسهم بما يساعد على تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم ويصبحون قادرين على أداء أدوارهم الاجتماعية فى المجتمع كأفراد أسوياء بعد أن عرفوا مكانهم على الطريق المستقيم الذى وجهتم إليه التربية الإسلامية .

وهناك أسلوب آخر لتقوية الإرادة وتربيتها وهو التأمل والتفكير فى الموضوعات المختلفة ، لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك ما يترتب عليها من خير وشر ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكبر جاذبية للإرادة ، ودافعه إلى العمل بموجبها .

وبهذا الأسلوب الإسلامى فى تنمية الإرادة يستطيع الأخصائى الاجتماعى مساعدة العملاء ، وتنمية شخصياتهم ، وتنمية نفوسهم بما يساعد على تقويم انحرافهم ، وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم ويصبحون قادرين على أداء أدوارهم الاجتماعية فى المجتمع كأفراد أسوياء بعد أن عرفوا مكانهم على الطريق المستقيم الذى وجهتهم إليه التربية الإسلامية .

٢ - تنمية الضمير :

الضمير هو صوت ينبعث من أعماق الصدور ، أمراً بالخير أو ناهياً عن الشر ، وإن لم ترج مثوبة ، أو تخش عقوبة .

وخلاصة ما يمكن استخلاصه من تعريفات للضمير هو الرأى المختار الذى يأخذ من كل من الآراء المتقدمة بطرف وي طرح منها ما كان مثاراً وكان مثاراً للنقد والاعتراض وذلك هو القول بأن الضمير قوة فطرية فى كل إنسان ، وإن كان للتنمية العقلية والأدبية

دخلا فى نموها وتحقيق كمالها ولعل هذا ما أراده الإمام الغزالى عندما سماه أولا (نورا إلهيا) مما يمكن تفسيره بأنه قوة فطرية وثانياً (معرفة) مما يبيح لنا القول بزمته قابل كذلك للتأثير فى نموه وكمال حقيقته بعوامل التربية (٨٦) .

ان التربية القرآنية اهتمت بقيمة الضمير وتهذيب الشعور الأخلاقى ، ومن أمثلة هذه التربية قوله فى التنفير عن الغيبة « ولا تجسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » (٨٧) وبذلك صور هذه الجريمة فى أبشع صورة تتقزز منها النفوس ، وفى النهى عن الكبر والعجب والخيلاء « ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » (٨٨) .

ومن التحذير فى التسرع على الآخرين قوله تعالى « فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين » (٨٩) .

فانظروا كيف حذرنا مقدما من عمل ماقد يترتب عليه تأنيب الضمير ووخزه ثم انظر كيف نفرنا القرآن من جريمة الزنا « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا » (٩٠) وفى الحث على غض البصر وطهارة الذيل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم » (٩١) هذه قطرات من بحر ، وفى القرآن الكريم أكثر من ألف موضع يدعو فيها إلى الفضيلة لما فيها من طهر وسمو ، وينهى فيها عن الرذيلة لما فيها من فحش وسقوط ، بغض النظر عن كل اعتبار آخر غير الاعتبار الأخلاقى ، هذا هو تقدير الأعمال بقيمتها الذاتية وذلك كله ايقاظا لضمائرنا وانارة السبيل أمام أحكامنا الأدبية .

فى كل هذه الأمثلة رأينا القرآن يزود محكمة الضمير بالمصاييح التى تبرز أمامها كل عمل من أعمالنا ، وتصور ما فى طبيعته من حسن وجمال ، أو تشويه ودمامة ، أو خير وشر ثم رأيناها يعرض علينا عمل هذه المحكمة فى تحضير قضايها ، وفى أصول أحكامها (٩٢) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى فى علاج المشكلات الاجتماعية يعرف جيدا أن القانون الأخلاقى قد طبع فى النفس الانسانية منذ نشأتها «ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها » (٩٣) غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فىنا ناقص وغير كاف وذلك لأن هناك مؤثرات كثيرة قد تكون بيئية أو وراثية ، أو مصالح مباشرة أو عادة من العادات المؤثرة ، وكلها تلقى أنواعا من الظلال على نور البصيرة الفطرى ، كما أن الضمير فى بعض الأحيان ، قد يتأثر بدرجة كبيرة بتلك المؤثرات المختلفة ، وعندئذ يقوم الأخصائى الاجتماعى بمحاولة ايقاظ تلك الضمائر ، وإزالة الغشاوة عن النور الفطرى الذى أودعه الله فى الناس جميعا ، وبذلك يظهر النور الفطرى وينتشر ، ويملا جوانب النفس .

هكذا يستطيع الأخصائى الاجتماعى تقويم علاج مشكلات عملائه ، وتعديل سلوكه بعد أن أيقظ الضمير النائم ، وأثار البصيرة المظلمة وأصبح للإرادة قوة وفعالية تحفزها للعمل . والأخصائى الاجتماعى يستعين فى ذلك بشتى أساليب التربية الإسلامية لتحقيق هذا الهدف ، وليس معنى ذلك أن الأخصائى يسعى إلى الأخلاق المثالية ويطلب الوصول إلى الكمال حيث أن الكمال لله وحده ، ولكنه يسعى إلى الأخلاق الحقيقية التى تضع الضمير الإنسانى فى وضع متوسط بين المثالى والواقعى ، وتجعله يدمج بينهما ، النفس ، قوى الإرادة ، متزن الضمير .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى عن طريق التنمية فإنه يسترشد بالتربية القرآنية فى تنمية الضمير وتدريب الإرادة وتقويتها ، وذلك عن طريق العبادات المختلفة مثل تنمية الإرادة بالصوم والصلاة والزكاة .. الخ من بقية العبادات .

فمثلا تنمية الإرادة بالصوم الذى يمكن التعبير عنه بهذه الكلمات (أذق بنفسك ألم الجوع والعطش بامتناعك عن الشرب والطعام خلال ساعات محدودة ، إنه أولا ، وقبل كل شئ ، نوع من التدريب المفروض على الإرادة الإنسانية ، حتى تحصل منها على قدر من الانتظام والثبات فى خضوعها للإرادة الإلهية . ولما كانت ارادتنا سيدة نفسها ، من حيث سيطرتها على البدن ، ولكنها نائبة الرئيس إن صح هذا التعبير - أمام الخالق - فإن مهمتها أن توفق بين هذين الأمرين ، باتباع أحدهما للآخر ﷺ وخيرها يكمن فى التزام بدور الوسيط الذى يعرف قدر نفسه . وشرها فى ان تقلب هذا النظام الأسمى ، فتتردى إلى أسفل ، وتكون مستترقة للشهوات .

وهكذا تلتقى نائبة الرئيس (أى الإرادة) بمناسبة عمل أحد أمرين متعارضين ، فى كل يوم مرتين ﷺ أحدهما بأن تكف ﷺ والآخر بأن تعمل فإذا ما حرصت ارادتنا على القيام بتنفيذ هذين الأمرين فى مجالها الخاص ، ومن أن تعيد نفس التدريب خلال الشهر ؟ فياله من ترويض لتلك الإرادة !! » (٩٤) .

أما إيقاظ الضمير وتنميته فيستطيع الأخصائى الاجتماعى تحقيقه بتعليم الصلاة وتعويدهم عليها ، ووجوده معهم باستمرار أثناءها وخاصة بالمسجد ، ثم يقوم بتوضيح أهدافها وفوائدها ، حتى يتوجه إلى الله بفكر خالص .

وعندما يتعلم العميل الصلاة ويخلص فى أدائها ، سيستيقظ ضميره ، وتقوى إرادته ، وينجح الأخصائى الاجتماعى فى تقويم إنحرافه وتعديل سلوكه وعلاج مشكلاته .

٣ - رياضة النفس ومجاهدتها :

رياضة النفس ومجاهدتها هى محاولة السيطرة عليها والتحكم فيها « بقطمها عن العادات المألوفة ، والشهوات المرنولة ، واللذات المحرمة ، وتدريبها على مخالفة ماتهواه

فى كل وقت وحين ، فاذا انهمكت النفس فى الشهوات وحب احكام لجامها بالتقوى والخوف من الله واذا توقفت عن القيام بالطاعات ساق الإنسان نفسه بسياج الخوف ، فخالف هواها ومنع عنها حظوظها ، (٩٥) .

ورياضة النفس ومجاهدتها تتم بالمراقبة والمحاسبة ، لأن الانسان عندما يعلم أن الله يراقبه ويطلع على سره وجهره ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد عندئذ يحاسب نفسه ويضبط جنوحها ويلتزم طريق الحق فيعتدل السلوك ويقدم الانحراف .

والنفسى اذا تركت بونما تهذيب وتربية وتأديب ، انحرفت عن الاستقامة ، وسارت فى طريق الغواية ، واندفعت إلى النقائص ، وابتعدت من السواء .

هذه الحالة السيئة للنفس البشرية ، وما يترتب عليها من شحنات المشاعر السلبية التى ظهرت فى صورة القلق والاضطراب ، والرعب والفرع ، والحقد والحسد والعدوان ، من الأعراض التى يعانىها العملاء ، وتجعلهم فى ميسس الحاجة إلى العون والعلاج ، وعندئذ يقوم الأخصائى الإجتماعى بتطبيق مراحل الرياضة النفسية كما يلى :-

أ - تفريغ الطاقة النفسية :

من وسائل الإسلام فى تربية الانسان وفى علاجه كذلك ، تفريغ الشحنات المتجمعة فى نفسه وجسمه أولاً بأول ، وعدم اختزانها إلا ريثما تتجمع للانطلاق ، وبذلك يقى النفس من كثير من أنواع الانحراف المعروفة فى علم النفس .

وهذه العملية هى التى يسميها علم النفس بالإفراغ الوجدانى أو التنفيس الوجدانى لتلك المشاعر والأحاسيس - التى تمثل ضغوطاً داخلية على نفس الانسان وتجعله يعانى من التوتر والقلق ، ذلك التوتر الذى يدفعه إلى الانحراف أو ارتكاب السلوك المنحرف - أو الوقوع فى المشكلات من أساليب تفريغ الطاقة ولكن بطريقة سلبية .

ولذلك يحرص الإسلام على افراغ النفس من سلبياتها وتحليتها بأضدادها وبذلك يملأ فراغ النفس بما يدعمها ويطهرها وينقيها ﷻ فيستبدل الخوف أمناً ، والكراهية حبا ، وتتبدل النفس الأمارة بنفس لوامة ، تتقبل كل تعديل ، وتسعى لكل تغيير يعود عليها بالنجاح والفلاح ، وعندئذ تبدأ النفس فى الرياضة والمجاهدة .

والعلاج الإسلامى يفرغ هذه الطاقة ، ويطلق شحنتها بطريقة إيجابية يحقق فيها الإنسان كيانه ، ويحسن بذاته .

والأخصائى الإجتماعى يحاول اتباع نفس الأسلوب مع الأحداث المنحرفين ، فهم غالباً ما يعانون من مشاعر الكراهية لأنفسهم والمجتمع ، فتدفع بهم تلك المشاعر إلى

الانتقام من المجتمع بارتكاب أساليب السلوك المنحرف التي يسعى الأخصائي الإجتماعي إلى علاجها ولذلك يعمل على تفريغ تلك الطاقة ، وتخليّة النفس من مشاعر الكراهية ، بتوجيهها للشيطان تارة ، ولاعداء الإسلام تارة أخرى ، ولكل سلوك منحرف أو صفات مذمومة أو أخلاق سيئة وبذلك يتحررون من ضغوطها ويستريحون من توتراتها ويستبدلون بها بألوان أخرى من المشاعر الايجابية التي تدعم كيانها وتبني نفوسهم فلا تنحرف ولا يصيبها الاضطراب .

وعلى هذا النحو ذاته يفرغ الاسلام الطاقة الحيوية في الجهاد والزرع والانتاج والتعمير تفريغا بنائيا إنشائيا ، يهدم الباطل ويزيل ما يخلفه من أنقاض ، ويبني في مكانه الحق والعدل ويعالج بذلك بناء النفس فلا تنحرف ولا يصيبها اضطراب (٩٦) .

والأخصائي الإجتماعي الذي يستخدم العلاج الإسلامي لعلاج عملاء الخدمة الاجتماعية فإنه يسير على نفس النهج ويهتدي بتربية الإسلام ، ويعمل على افراغ الطاقة والتنفيس عن المشاعر السلبية منها والايجابية ، حتى لا تسبب ضغوطا نفسية ، وتوترات واضطرابات تدفع العميل إلى افراغها في ألوان السلوك المنحرف الذي يهيأ له .

ب - شحن الفراغ النفسي :

كما يفرغ الإسلام طاقة الجسم والنفس كلما تجمعت ، ولا يحترنها دون ضرورة ، فإنه في الوقت ذاته يكره الفراغ ، فالفراغ مفسد لا فـس ، إفساد الطاقة المختزنة بلا ضرورة ، وأول مفسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية ، لملء الفراغ ، ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الانسان لملء الفراغ (٩٧) والإسلام حريص على تحلية النفس بالأوصاف الحمودة كالمحبة ، والشفقة ، والرحمة ، والتسامح ، والايثار ، والاخلاص والصدق في مجاهدة النفس .

وكما إهتم العلاج الإسلامي بملء الفراغ الذاتي للانسان فقد اهتم أيضا بملء الفراغ البيئي ، لأن كلا منهما يتم ويكمل الآخر ، ولذلك أوضح لنا بعض أساليب ملء الفراغ عن طريق العبادة وذكر الله في القلب ، وغفوة الظهرية في الهاجرة ، السمر البري مع الأهل والأصحاب ، وزيارة الأقارب والمعارف والأصدقاء ، والدعابة اللطيفة النظيفة ... إلى آخر أنواع الترويح .

ولكن المهم ألا يوجد في حياة الإنسان فراغ لا يشغله شيء ، أو فراغ يشغله الشر والفساد والتفاهة ، وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلين وأعيادها ومواسمها وطرائق حياتها ، لم يترك ذلك فراغا يتحير المسلمون في ملئه أو يملأونه ، دون شعور منهم فيما لايفيد، بل جعل لهم في الحال عادات أخرى وأعياد ومواسم وطرائق حياة ، تملأ الفراغ .

وتلك من أنجح الوسائل فى تنمية النفس وعلاجها ، وخاصة حين تمنع النفس - لتقويمها - من شئ من رغائبها فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هذه الرغبة هى إيجاد نشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها ، أو لرغبة سواها فالنفس من الداخل كلها وثيقة الاتصال (٩٨) .

وتحلية النفس بالتوقى ومخافة الله ومحاسبتها وضبط جنوحها وإلزامها بطريق الحق وحفظها عن الآفات والنقائص، بعد تخليتها من عيوبها ليست بالعملية السهلة على الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى تقويم انحراف عملائه ، لأنها عملية متصلة بعيوبهم وذنوبهم وسلوكهم الانحرافى والتي غالبا ماتكون مخجلة ومؤلة ، وكثيرا ماقابلها المجتمع بالعقاب أو التائب والتوبيخ ، ولذلك يظهر العميل كثيرا من ألوان المقاومة لعملية التحلية والتحلية « وعندئذ يبذل الأخصائى الاجتماعى مزيدا من الجهد إلى أن ينجح فى تكوين علاقة المحبة والمودة والاحترام المتبادل ، التى تكسبه ثقة العميل كاملة ، فينجح الأخصائى فى تحطيم كل ألون المقاومة ويبدأ فى عملية التغيير ، فيشعر بالزمن والطمأنينة بدلا من الخوف والقلق وهنا ينتهز الأخصائى الاجتماعى الفرصة ليشحن فراغ النفس بعد تحليتها بمفاهيم إيجابية جديدة ، ومبادئ سامية قوية ، وعندئذ تتغير حال النفس وتتطبع بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة ، وتسلك طريقا أكثر أمنا وأعظم أملا وأكثر سعادة .

ج - التوبة :

التوبة هى الأسلوب الثالث من أساليب الرياضة النفسية بعد عملية افراغ الطاقة وعملية ملء الفراغ ، حيث يصبح الإنسان فى حالة نفسية جيدة تجعله قابلا للتعديل والتغيير ، ومن هنا يبدأ العلاج الإسلامى عن طريق التوبة .

فهى أسلوب علاجى مضمون يغفر به الله ذنوب من أساء ، وهى أسلوب وقائى مضمون يمنع الإنسان من العودة إلى الذنوب ، وهى رصيد مفتوح لمن يخطئ فيستغفر الله ، فيغفر له ، لأن الله يغفر الذنوب جميعا ، لأن الله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وقد ورد فى الحديث الشريف « التائب حبيب الرحمن ، التائب من الذنب كمن لا ذنب له » والنبي ﷺ كان يستغفر فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة .

وجاء فى معنى الحديث الشريف « من لزم الاستغفار يجعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب »

ومن ذلك نرى أن التوبة هى الباب المفتوح للعاصين ، كما أنها الدرع الواقى للمؤمنين الصالحين ، وقد ورد ما معناه لو لم تذبوا ، وتستغفروا لذهب الله بكم ، ولأتى بغيركم يذنبون ويستغفر الله لهم .

د - الرياضة النفسية بالأضداد :

الرياضة النفسية هي مجاهدة للنفس المريضة بأضدادها وذلك بالرياضة النفس الشحيحة على الاتفاق ، واكره النفس الشهوانية على التعفف ، ودفع النفس الأنانية إلى البذل والتضحية ، وحث النفس المختالة المزهوة على التواضع واستنهاض النفس الكسولة إلى العمل ، وبمعالجة الضدد بالضدد تصل النفس إلى الوسط العدل ، وهو صراط الحكمة وهو حظ الناصحين من البشر .

ولاتتم المجاهدة إلا بالمراقبة ، والمراقبة هي أن يعلم الإنسان أن ربه يطلع على سره وجهره ، وأنه يصل إلى تمام المراقبة إلا بعد المحاسبة ، والمحاسبة عملية ضبط لجنوح النفس والتزام طريق الحق ، وحفظها عن الآفات والنقائص .. (٩٩) .

والأخصائي الإجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي مع العملاء ، يساعدهم على فطام أنفسهم عن كل سلوك منحرف ، وذلك عن طريق التربية الإسلامية في تعالجهم بالأضداد كما سبق ذكره ، وتعلمهم تقوى الله والخوف من عقابه ، ويقوى في نفوسهم الإيمان الذي يجعلهم يوقنون بأن الله مطلع على سرهم وجهرهم ، وعندئذ يعرفون طريق الحق ويصلون إلى درجة المحاسبة . وعندها يتم ضبط جنوح النفس ، ويتم علاج السلوك المنحرف ، عن طريق رياضة النفس ومجاهدتها .

ويصدق فيها قول الحق سبحانه وتعالى :

« يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية ، فإدخلي في عبادي وإدخلي جنتي » .

ولكى ينجح الأخصائي الإجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي في علاج الصلاة عن طريق الرياضة النفسية ، فلا بد أن يعلمهم خصال أربعة (١٠٠) .

١ - معرفة الله تعالى :

ومعرفة الله لا تقتصر على القول والامتناع والاعتقاد فحسب ، بل الإيمان قولاً وفعلاً أن لا إله إلا الله وهذا هو ذروة التوحيد .

٢ - معرفة عدو الله إبليس :

وتصدق معرفة الإنسان لعدو الله وعدوه إبليس بمحاربته في الظاهر والباطن ، ومخالفة كل خاطر شيطاني ، يهجم على النفس ، والتعوذ الدائم من وسوسة الشيطان وتهويله وأباطيله « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » (١٠١) .

٣ - معرفة النفس الأمانة بالسوء :

لقد تعلمنا من القرآن الكريم أن النفس أمانة بالسوء فى قوله تعالى «وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء» (١٠٢) وكل نفس لها أمانى تود تحقيقها ، وشهوات لاتشبع منها ، وأمال فى الدنيا لاتنتهى والعلاء المنحرفون قد أطاعوا أنفسهم الأمانة بالسوء ولم يستطيعوا مجاهدتها، لأنهم مازالوا يعانون من شتى الضغوط الداخلية والخارجية وينقصهم النضج وفى حاجة إلى التربية الإسلامية ، وعندما لم يجدوها ضلوا وانحرفوا .

ولهذا فإن الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يحاول إعادة تربيتهم واستكمال تنميتهم عن طريق التربية الإسلامية التى لم يتعلموها ولم يسمعو عنها من قبل ، والتربية الإسلامية قادرة على إصلاح مافسد ، وقادرة على تعليمهم كيف يجاهدون أنفسهم وكيف يعرفون أنها أمانة بالسوء وعندئذ يخالفونها فى كل ماتهوى ويجاهدونها بالتقوى والخوف من الله ، بعد أن عرفوا الله حق المعرفة ، وعرفوا عدو الله وعدوهم ابليس الذى زين لهم انحرافهم ، عرفوا النفس بدوافعها وشهواتها ، وعندئذ اتجهوا إلى رياضتها ومجاهدتها .

٤ - معرفة العمل لله تعالى :

إن الدين الإسلامى دين يقوم على علاقة متينة بين الإنسان وربّه خالق الأكوان ، وهو دين يطالبنا بالأعمال الصالحة التى يرضاها الله ، كما يطالبنا أن نوجه كل سلوكنا وغرائزنا وحياتنا ، توجيهها يحقق الآداب والتشريعات الإلهية تحقيقاً عملياً .

ذلك أن الكائن البشرى مكون من روح وجسد والإسلام أقام توازناً بين الروح والجسد ، بين الواقع البشرى الاجتماعى ، والأهداف والتشريعات الإلهية فى وقت معاً . لذلك كان لأعمال الإنسان المكانة الأولى فى نجاته من عقاب الله يوم الحساب (١٠٣) ولذلك اهتم الإسلام بالعمل لأنه مجاهدة للنفس وجهاد أكبر فى سبيل الله « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١٠٤) ، كما قال سبحانه وتعالى « ولكل درجات مما عملوا » (١٠٥) ، « إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً » (١٠٦) « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (١٠٧) ولقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة للعمل والجهاد تطبيقاً لمبادئ الإسلام وتحقيقاً لأحكامه .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج عملاء الخدمة الاجتماعية يعلمهم كيف يوجهون سلوكهم وأعمالهم وغرائزهم ، توجيهها يحقق الآداب الإلهية تحقيقاً عملياً ، ويؤكد لهم قيمة الأعمال الصالحة وما لها من مكانة فى حق

الانسان من عقاب الله ، حيث أن العمل الانساني هو عمل لخير الدنيا والاخرة ، ويحثهم على أن يعمل كل منهم الآخره كأنه يموت غدا ، كما يعمل كل منهم لدنياه كأنه يعيش أبداً ، وعندئذ يهجرون السلوك المنحرف ، ويتوبون عن الاثم والمعصية وتعالج مشكلاتهم ويقبلون على عمل الخير ، ويكون عملهم خالصا لله تعالى .

ولذلك يجب أن تكون الرياضة النفسية نابعة من المعرفة : معرفة الله تعالى ومعرفة عدوه إبليس ؛ ومعرفة النفس الأمارة بالسوء ، ومعرفة للعمل لله تعالى ، وهو الجهاد الأكبر في سبيله .

وإذا استطاع الأخصائي الاجتماعي تعليم العملاء وخاصة الأحداث المنحرفين تلك الصفات الطيبة ، فسينجح في تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، ولكي ينجح في ذلك ، فلا بد أن يكون القدوة الحسنة أمامهم لأن ما ينشر به الأحداث يتقمصونه من القدوة الحسنة ، أكثر تأثيرا وثباتا مما يسمعونه بالقول ، ولا بد من تدعيم القول بالفعل ، بذلك بعينهم على رياضة النفس ومجاهدتها .

العلاج الإسلامي بالتنمية البدنية

إن التربية الإسلامية لاتنسى تقوية البدن وتنميته حتي توجه هذه الطاقات والقدرات نحو خير الانسان وخير المجتمع ، وذلك استكمال للتنمية العقلية التي أولتها اهتماما كبيرا ، حتي تربي الإنسان المؤمن الناضج ، العقل السليم التفكير ، ولكن هل يصح العقل إذا اعتل الجسد ؟ بالطبع لن يحدث ذلك لأن العقل السليم في الجسم السليم .

وقد عنت الشريعة الاسلامية بكل مايكفل للانسان قوة الجسم وقوة الروح ففرضت العبادات وفرضت التذكر والتدبير في ملكوت السموات والأرض ، وفرضت النظر والاعتبار بسنن الله في الكائنات ، وكان في ذلك كله تصفية الروح من أخلاق الهلع والجزع واليأس ، والجبن ، والشح ، وما إلى ذلك من الأخلاق الرديئة التي تؤدي بعزة النفس وسعادتها ، وجمال الروح وحلاوتها ، وكان فيه غرس الأخلاق الفاضلة من الصبر والمصابرة ، ورباطة الجأش والتعاون وقوة الإيمان ، والتي تدفع بالإنسان إلى عمل الخير والركون إلى جانب التقوى .

ولم تكن عناية الشريعة الإسلامية بما يحفظ على الإنسان قوة بدنه ، بأقل من عنايتها بما يحفظ عليه قوة روحه ، فقد أمرت بنظافة الجسم واعتدال المأكل والمشرب ، وطيب المسكن والهواء ، وأمرت بالعلاج عند المرض ، وبالوقاية للمرض (١٠٨) .

ثم لم تخل الارشادات الواردة في أقوال الرسول ﷺ عن لفت الأنظار إلى أنواع الرياضة البدنية ، وقد صح أن النبي ﷺ بأشر بعض تلك الأنواع بنفسه .

ومن الأنواع التى لفت الرسول ﷺ إليها الأنظار ما يلى :

أولا : الرياضة بالرمي : وبه فسر النبى ﷺ القوة المأمور بأعدادها فى قول تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» (١٠٩) وقال ﷺ « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » وكرر النبى عبارته للترغيب فى تعليم الرمي .

ثانيا : الرياضة بالسباحة : وقد روى أيضا أنه ﷺ قال « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي » فالكتابة طريق العلم والمعرفة ، والسباحة طريق الصحة والعافية ، والرمية طريق القوة والنصر على الأعداء .

ثالثا : الرياضة بالعدو (الجري) والمصارعة : كما أوصى ﷺ بالرمي والسباحة فقد ورد أن النبى ﷺ كما يرى أصحابه يتسابقون على الأقدام (الجري) ويقرهم عليه ، وقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته ، ثم سابقنى فسبقنى ، فقال هذه بتلك ، وروى أن النبى ﷺ صارع رجلا معروفا بالشدة فصرعه النبى ﷺ ، فقال عاودنى فى أخرى فصرعه النبى ﷺ فى الثانية ، فقال عاودنى ، فصرعه النبى ﷺ فى الثالثة : فقال الرجل : ما أقول لأهلى ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت ، فماذا أقول فى الثالثة ؟ فقال النبى ﷺ ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ، فنغرمك ﷺ خذ غنمك وأنصرف » .

رابعا : رياضة المبارزة : عن أبى هريرة أنه قال : « بينما الحبشة يلعبون عند النبى ﷺ بحرابهم ، دخل عمر ، فأهوى إلى الحصباء ، فحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ « دعهم يا عمر » وقد قال العلماء : (اللعب بالحراب ، فيه تدريب للشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو) .

خامسا : الرياضة بركوب الخيل : وقد نوه القرآن بالخيل وذكر رباطها فى إعداد القوة للجهاد « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (١١٠) .

وصح أن النبى ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق ، وأنه كان يسابق على ناقته العضباء وكانت لاتسبق .

وإذا كان وضع الرياضة البدنية فى نظر الإسلام بهذه المكانة ، وقد نظمت فى عهدنا الحاضر هذا التنظيم الذى نشاهده ، حتى سهل على الانسان أن ينتفع بها وهو فى بيته ، فجدير بالإنسان أن يحرص عليها لنفسه ولأبنائه ، وأن يقوموا بها فى وقتها فينعموا بقوة الجسم ، وقوة الروح ، وبذلك يأخذون إلى السعادة طريقا وإلى الخير سبيلا ، فالتربية البدنية مكملة لأساليب التربية الأخرى .

وعندما يحاول الأخصائى الاجتماعى تطبيق العلاج الإسلامى على الأحداث المنحرفين ، فإنه يمارس معهم أساليب التربية الإسلامية المتعددة ، ومنها التربية البدنية.

ولذلك يهتم الأخصائى الاجتماعى بالتنمية الجسمية للعملاء ، ويساعد على الاستمتاع بالرياضة البدنية لما لها من أثر عظيم فى تقوية الجسم ومناعته ، كما أن الرياضة الروحية ، أثر عظيم فى قوة الروح وعزيمتها .

وكما يستعين الأخصائى الاجتماعى بالخبراء والمختصين فى تنمية العقيدة الدينية والصحية والنفسية ، فإنه يستعين أيضا بالخبراء والمختصين فى التنمية البدنية حتى يدرب العملاء على أنواع الرياضة المختلفة ، بما يناسب أعمارهم وميولهم واستعدادهم ، وبذلك يشغل فراغهم فى أنشطة نافعة ومفيدة يصممها خصيصا لتحقيق أهدافه العلاجية ، وعن طريقها يعلم العملاء الكثير من العادات الطيبة والاتجاهات الصالحة ، ويث فيهم القيم المختلفة .

وأخيرا نقول أن الخدمة الاجتماعية بأساليبها العلاجية التقليدية المستوردة من الغرب ، لم تؤت بالنتائج المطلوبة فى علاج المشكلات الإجتماعية وخاصة مشكلات الطفولة ، ولذلك اتجهت إلى التربية الإسلامية وأمنت بأنها طريق الخلاص وسبيل النجاة لكل مشكلات المجتمع ، كما أنها تشتمل على الوقاية والعلاج لما تعانيه الإنسانية اليوم من ضياع الطفولة .

وكما فشلت التربية الحديثة فى تربية الأجيال ، وفشلت الخدمة الإجتماعية بأساليبها الغربية المستوردة فى علاج مشكلاتهم ، ولم تجد بدا من البحث عن بديل عنها .

وقد وجدت الخدمة الاجتماعية أن العلاج الإسلامى هو البديل الوحيد ، والدواء الناجح ، والبلسم الشافى لجميع أنواع المشكلات التى يعانى منها المجتمع والعلاج الإسلامى يقدم لنا منهجا تربويا متكاملا وأسلوبا علاجيا صالحا لعلاج كل مشكلات الخدمة الاجتماعية ، لذلك فأمنت به ، وسارت فى طريقه ، واهتدت بهديه ، واقتنعت بتأثيره ، شمرت عن ساعديها ، وقامت تحاول تطبيقه ، وتلك هى المحاولة الأولى لتطبيقه فى علاج الأحداث المنحرفين (١١) .

ثانيا : العلاج البيئى الإسلامى

اهتم العلاج الإسلامى أيضا ببيئته الإنسان ، سواء كانت بيئة داخلية متمثلة فى الأسرة أو بيئة خارجية متمثلة فى كل الجوانب البيئية المحيطة بالإنسان وأسرته ، والتى يمكن التأثير فيها والإستعانة بها بما يساعد على نجاح أساليب العلاج الإسلامى البيئى

والعلاج الإسلامى البيئى يمكن عرضه كما يلي :

١ - البيئة الخارجية :

إن الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى المؤسسات الاجتماعية مع عملائه ، يهتدى بعلاج « المنهج القرآنى الذى لم يغفل أثر البيئة وما تتركه فى النفس

من انطباعات وانفعالات ، إنها المدرسة الحقيقية التي يأخذ عنها الانسان عاداته وتقاليده ، وأن البيئة الفاسدة تدعو إلى الفساد وتجبر إلى الهلاك ، وأن الانسان - لضعفه - يندر أن يقاوم عوامل الفتنة والاغراء ، ومن الصعب تكليفه بالإعتدال » (١١٢)

ولذلك أراد المنهج القرآنى ، وهو يربى خير أمة أخرجت للناس . أن توجد البيئة المناسبة لإخراج هذه الأمة وأن ييسر لها الطريق ، ويذل لها عقباته ، ولم يفرض عليها ما فرض من حدود إلا بعد أن أصلح لها ماحولها وسد عليها أبواب الشهوات . وهذه البيئة التي أنشأها القرآن والتي تمثلت فى المجتمع الإسلامى الأول هى الهواء النقى الذى يستنشقه المسلم فيه عبير الحياة فيحس بالنشوة والارتياح ، فهو حيثما سار وأينما نظر لا يجد إلا دوافع الطهر وبواعى العفة .

ولانجاة للإنسان إلا إذا عاد لمنهج القرآن ، وخلق البيئة الصالحة التى تنبت فيه الأخلاق الكريمة (١١٣) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يعرف جيدا أن البيئة هى السبب الرئيسى فى انحراف الأحداث وهى المؤثر الرئيسى فى علاجهم ، ولذلك فهو يحاول تعديل البيئة المحيطة بهؤلاء الأحداث حتى تصبح بيئة نظيفة خالية من المؤثرات التى تسبب الانحراف سواء كانت بيئة داخلية مثل الأسرة أو بيئة خارجية مثل المجتمع والعمل والمدرسة والمؤسسة .. الخ من المؤثرات البيئية ، وكذلك كل المشكلات التى يعانى منها العملاء لاتحلو من تلك المؤثرات.

والمؤلف يرى تصنيف ألوان العلاج البيئى الإسلامى - الذى يصلح ممارسته فى علاج عملاء الخدمة الاجتماعية - كما يلى :

أولا : البيئة الخارجية :

١ - العلاج الإسلامى عن طريق المسجد :

كان المسجد أول مؤسسة أنشأها رسول الله ﷺ فى تنظيمات المجتمع الجديد بعد الهجرة ، تعمل فى بناء الحياة الإسلامية المطهرة على أسس التوجيه السماوى رابطا عن طريقها دنيا الناس بأخرتهم ، فأصبح المسجد مركز الإشعاع الذى يزود الأفراد بالمفاهيم الصحيحة لحقائق الحياة ، فيعرفون الحلال والحرام ، والحق والواجب ، والمباح والمحظورات ، وما يستحسن وما يستهجن ، ثم أنه مركز التدريب على تحقيق معانى الإسلام فتتلاقى فيه الجماعة من الناس فتتعارف قلوبهم ، وأجسامهم ، وتتقارب مستوياتهم إذ يجد الضعيف نفسه بجانب القوى ، والحاكم بجانب المحكوم ، والفقير

على قدم المساواة مع الغنى فلا يلبثون أن تمتلئ نفوسهم بشعور الوحدة التي تفتت الفوارق ، حتى يستيقنوا أنهم كتلة متضامنة كل جزء منها لخدمة الكل وبذلك تتلاشي من نفوسهم أية مكانات أو اختلافات أو فوارق كانت موجودة ومؤثرة خارج المسجد .

والمسلم الذي يرتبط قلبه بالمسجد يعتبره نقطة الإنطلاق الأولى في طريق الحياة الأبدية ، منها يبدأ سعيه إلى الآخرة وهو مطمئن لأنه سار في الطريق الذي لا يضل سالكوه .

لهذا كله يستعين الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى مع العملاء بالمسجد كوسيلة علاجية هامة من وسائل العلاج البيئى الإسلامى ، حيث أنه من أعظم لمؤثرات التنموية فى نفوس العملاء ، ففيه يرون الراشدين مجتمعين على الله ، فينمو نى نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم ، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية ، وفيه يسمعون الخطب والدروس العملية ، فيبدأون بوعى العقيدة الإسلامية ، وفهم هدفهم من الحياة ، بما أعده الله لهم فى الدنيا والآخرة ، وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه ، فيجمعون بين نمو الفكرى والحضارى والنمو الروحى وهو الارتباط بخالقهم .

وفيه يتعلمون الحديث والفقه ، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية ، كما زاد الله أن ينظمها للانسان ، ومن هداية الله وسنة رسوله ﷺ (١١٤) .

وعندئذ يتعودون على المسجد ، ويستشعرون بنور الإيمان يملأ قلوبهم ، فتصفوا خووسهم ، وتستيقظ ضمائرهم ، ويتعلمون طاعة الله وتحقيق شريعته وعدالته ورحمته -ين البشر .

وهكذا نربى العملاء فى المسجد فى ظل مجتمع إسلامى رباه القرآن وهذبه لإسلام ، فيعرف طريقه المستقيم ، ويتحرر من وسوسة الشيطان الرجيم ويرتبط بطاعة الرحمن الرحيم ، الغفور الكريم وعندئذ يتعدل سلوكهم وتعالج مشكلاتهم ، ويصبح كل منهم قادرا على أداء وظائفه الاجتماعية بما يرضى الله ويرضى رسوله ﷺ .

والأخصائى الاجتماعى الذى يعالج عملاء الخدمة الاجتماعية بالعلاج الإسلامى عن طريق المسجد يحرص دائما على مصاحبتهم في كل أوقات الصلاة إلى المسجد وخاصة يوم الجمعة وفى المناسبات الدينية المختلفة ، ويشرح لهم باستمرار ما يصعب عليهم فهمه ، ويعمل على توعيتهم التوعية الدينية السليمة التى تحببهم فى المسجد وتربطهم به ، فيستقيم تفكيرهم ، ويقوى ضميرهم ، وتنشط ارادتهم فيسهل تقويم انحرافهم ، وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم .

٢ - العلاج الإسلامى البيئى عن طريق المدرسة :

إن الوظيفة الأساسية للمدرسة فى نظر الإسلام هى تحقيق التربية الإسلامية بأسسها العقيدية والتشريعية وبأهدافها ، وعلى رأسها هدف عبادة الله وتوحيده والخضوع لأوامره وشريعته أو تنمية كل مواهب النشئ وقدراته على الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، أى صون هذه الفطرة من الزلل والانحراف ، حذرا مما حذرنا من رسول الله ﷺ عندما قال « كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وأراد بذلك أن يحذر المربين من انحراف الناشئ عن فطرته^(١١٥) ، مما يساعد على المحافظة على سلامة فطرتهم وتزكيتها وحفظها من الانحراف ، وذلك عن طريق خطة علاجية تتطلبها التربية الإسلامية يتطبع بطباعها ، ويتصف بأهم صفاتها ومميزاتها ويحقق أهدافها ، ويبنى على أسسها وتصوراتها الفكرية عن الكون والحياة والإنسان على أن يكون فى ترتبه وموضوعاته موافقا للفطرة الإنسانية ، يعمل على حفظها وحمايتها من الانحراف ، وأن يكون محققا لهدف التربية الإسلامية الأساسى وهو إخلاص الطاعة لله وعبادته ولجميع أهدافها الفرعية التى ترمى إلى تقويم الحياة وتوجيهها لتحقيق هذا الهدف فى جميع جوانب الثقافة والتربية ، التى وضع خطة لعلاجها لتعهدا والنهوض بيها ، كالجانب العقلى والجانب الجسمى ، والجانب النفسى والجانب الاجتماعى ، على أن يراعى فى تطبيق العلاج وأنشطته وأمثلته ونصوصه حاجات المجتمع الواقعية والمعاشية ومنطلقاته الإسلامية المثالية كالإعتزاز بالامة الإسلامية والولاء لها وذلك بتحقيق الولاء لله ، والطاعة لرسوله الذى أرسله الله ليطاع بأذن الله ، ومراعاة الاختصاصات التى تحتاجها الأمة الإسلامية فى كل بقعة بحسب ظروفها الطبيعية التى يسرها الله ، على أن يكون منهاجا واقعيا ممكن التطبيق ، وأن يكون مرنا فى أسلوبه يمكن تكييفه مع مختلف الظروف حتى يصبح فعالا ، يعطى نتائج التنمية ويترك أثاره فى نفوس الأجيال ، بما يمتاز به من أساليب علاجية سليمة بعيدة الأثر ، ونشاطات إسلامية عظيمة الأثر ، سهلة المنال والتطبيق ، وأن يكون جزء منه مناسبا للمرحلة التى يوضع لها من مراحل أعمارها العملاء .

الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج عملائه من التلاميذ ، فإنه يعرف أن الكثير منهم مقيدون فى مدارس مختلفة ولكنهم تعثروا فيها ، ولذلك من واجبه تجاههم هو المساعدة على الانتظام بالمدرسة ، حتى تصبح المدرسة المكان المناسب للاستفادة من الخبرة التعليمية ، وحتى تصبح بيئة محبة للتلاميذ ، وعندئذ يحضرون إليها ، وهم فى شوق إليها ومحبة لها.

ومن الممكن أيضا أن يخطط الأخصائى الاجتماعى لبعض الندوات والمحاضرات الدينية بالمدرسة يدعو إليها بعض المتخصصين من رجال الدين ، بحيث تختار

موضوعاتها وتوجه لتحقيق أهداف الخطة العلاجية التي يسعى الأخصائي الاجتماعي لتحقيقها .

كما يستطيع الأخصائي الاجتماعي أن يتفق مع مدرس اللغة العربية على بعض الأنشطة والبرامج الثقافية التي تخدم أهداف العلاج الإسلامي مثل تنظيم زيارات للمكتبة المدرسية ، بمرافقة مدرس اللغة العربية أو مدرس التربية الدينية الذي يساعدهم على اختيار الكتب والموضوعات المناسبة للعلاج الإسلامي ويقوم بتفسير وتوضيح ما يصعب عليهم ، ولأمانع من اختيار بعض التمثيليات الدينية والتدريب عليها وممارستها على أن ترسم الأنوار لكل حدث بما يناسب نوعية المشكلة ونوعية خطتها العلاجية ، أو يختار لهم مجموعة من القصص التي تصلح للتربية الدينية بعدها الأخصائي ، ويختارها بالاشتراك مع مدرس اللغة العربية أو مدرس التربية الدينية حيث أن القصة تعتبر من الأساليب التربوية الهامة المؤثرة في نجاح العلاج الإسلامي

كما يستطيع الأخصائي الاجتماعي استغلال مسجد المدرسة ليعود الأحداث على ممارسة العبادات المختلفة مثل الصلاة في المسجد مع جماعة من الطلاب ، مع توضيح مميزاتها الدينية ، ويرشدهم إلى كيفية الاستفادة منها في تكوين بعض العادات والقيم الصالحة .

كما يوضح لهم الأخصائي الاجتماعي كيف يستعد العميل لدخول المسجد عن طريق الوضوء الحسن ويعرفهم الحكمة العظيمة من وراء الوضوء ، لأن الكثير منهم يظن الوضوء نظافة صحية فقط ، ويغفل عن أنها نظافة روحية أيضا ، فغسل اليدين تنظيف لها من الأوساخ ، وتنظيف لها من الذنوب التي إرتكبتها ، وتذكير لصاحبها بعدم ارتكابها مرة ثانية .

٣ - العلاج الاسلامي البيئي عن طريق العمل :

إن الأخصائي الاجتماعي الذي يمارس العلاج الإسلامي مع عملائه عندما يحاول الاستفادة من المدرسة كبيئة خارجية في تعديل السلوك ، فإنه يقابل بعض أحداث العملاء الذين لا يذهبون إلى المدرسة بعد أن فشلوا فيها ، وبالتالي التحقوا ببعض الأعمال ، سواء كانت هذه الأعمال تناسبهم أو لا تناسبهم ، عندئذ يصبح من دور الأخصائي الاجتماعي أولا تعديل بيئة العمل ، بما يناسب قدرات وميول واتجاهات هؤلاء العملاء ، بحيث يتم وضع كل واحد منهم في العمل الذي يناسبه ، ثم يساعدهم على الحصول على الأجر المناسب ، ويشجعهم ويحثهم على الأمانة والإخلاص والأداء الطيب للعمل ، ويذكرهم باستمرار بقول الرسول ﷺ « الدين المعاملة » ويطالبهم بتنفيذ تعاليم التربية الإسلامية التي تقول « من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل » .

أما الفئة التى لاتجيد أى عمل وفشلت أيضا فى المدرسة ، فالأخصائى يحاول تدريبهم مهتيا فى ورش المؤسسة أو فى الورش الخارجية على الأعمال والمهن التى يميلون إليها والتى تتناسب مع قدراتهم ومهاراتهم ، ويقف بجانبهم فى كل ذلك موجه ومشجعا ومساعدة ومعينا ، إلى أن يتقن كل منهم الحرفة المناسبة ، وعندئذ يصبحون قادرين على الاعتماد على أنفسهم فى الانفاق والمعيشة ، وبذلك يجنبهم أهم عامل من عوامل الانحراف .

كما يحرص الأخصائى الاجتماعى أيضا على أن يحصلوا على وقت كاف للراحة بالإضافة إلى الحصول على الأغذية المناسبة ، كما يساعدهم على الاستمتاع بوقت الفراغ بالطريقة المفيدة ، وبذلك يخلق أمامهم أبواب الانحراف بابا بعد الآخر ، إلى أن يصل فى النهاية إلى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم وعلاج مشكلاتهم ويصبح كل منهم انسانا صالحا ، يتمتع بشخصية ناضجة ، كما يريده له العلاج الإسلامى أن يكون .

والعلاج الإسلامى عندما يسعى إلى إعداد الإنسان الصالح ، لا يترك الناس خيارى يتخبطون ، كل منهم يرسم الصورة على هواه ، وإنما يحدد لهم مواصفات هذا الإنسان فى دقة ووضوح ويتضح أمامهم المنهج الإسلامى الذى يصلون به إلى تحقيق تلك الغاية ، ومواصفات هذا الانسان تتجمع فى كلمة واحدة وهى التقوى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (١١٦) والانسان التقى هو الذى يعبد الله ويهتدى إليه « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (١١٧) ولكن العبادة ليست مقصورة على المناسك التعبدية المحدودة ، وإنما هى شاملة وواسعة جدا ، بحيث تشمل دقائق الحياة وتفصيلاتها ، وتشمل كل عمل وكل فكرة وكل شعور : وهى التوجه بكل نشاط حيوى إلى الله ومراعاة ما يرضى الله فى هذا النشاط ، وما يغضبه ، وتوقي غضبه ويعمل على رضاه ، وبذلك يصل العلاج الإسلامى بالإنسان إلى انسان تقى يعبد الله ويهتدى بهداه « فأما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١١٨) بحيث يستمد هذا الإنسان من هذا الهدى منهج حياته ومنهج شعوره ومنهج سلوكه ، ولايتلقى من مصدر سواه (١١٩).

٤ - العلاج الإسلامى البيئى باستغلال امكانيات المؤسسة :

المؤسسة هى المكان الذى تم اعداده لعلاج عملاء الخدمة الاجتماعية والتى يمارس فيه الأخصائى الاجتماعى عمله ، مستعينا بشتى الامكانيات والوسائل التى تساعد على تحقيق أهداف وفلسفة المؤسسة .

والمؤسسة كاحدى عناصر البيئة الخارجية يستغلها الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى ، فعن طريقها يستطيع تصميم وتنفيذ الكثير من الأنشطة والبرامج المختلفة التى تحقق له أهداف الخطة العلاجية .

وهذه الأنشطة والبرامج تتكون من أنشطة ثقافية مثل المكتبة التي يحرص الأخصائي على تدعيمها بالعديد من الكتب الدينية المبسطة التي تتناسب مع أعمار وثقافة العملاء ومستوى تفكيرهم مثل قصص الأنبياء والرسول ، حيث أن القصة من أنجح الأساليب التي تستخدم في التربية الإسلامية ، حيث أنها تتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها وخاصة وأن القصة القرآنية جاءت لعلاجها لواقع البشر ، وعلاج الواقع البشري ، لا يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ في طبيعته ، ثم يوصف الجانب الواقعي المتسامي الذي يمثله الرسول المؤمنون ، الذي تنتهي به القصة بعد الصبر والمكابرة والجهاد والذي ينتهي عنده علاج النقص البشري ، علاجاً ينهض بالهمم ، ويدفع النفس للسمو والتأمل بما فيه من محاورات فكرية ينتصر فيها الحق ، ويصبح مرموقاً محفوفاً بالحوادث والنتائج التي تثبت صحته وعظمته في النفس وأثره في المجتمع .

وعلى نفس المنوال يستغل الأخصائي الاجتماعي بقية ألوان الأنشطة الثقافية ، سواء كانت ندوات دينية أو محاضرات قيمة التركيز فيها على التربية الإسلامية ، بضرب الأمثال أو عن طريق الموعظة التي تربي عند العملاء الأخلاق السامية والعواطف الربانية ، كما يمكن تحقيق نفس الأهداف عن طريق الحفلات والمسابقات الدينية وبرامج الاذاعة الموجودة بالمؤسسة أو التمثيليات التي تصمم بصورة خاصة تتناسب مع أهداف العلاج الإسلامي . وبذلك يجعل الأخصائي الاجتماعي من المؤسسة بيئة صالحة لتحقيق أهداف خطة العلاج .

أما النشاط الاجتماعي داخل المؤسسة ، فمن الممكن استغلاله أيضاً في العلاج الإسلامي عن طريق الرحلات إلى الأماكن الدينية أو الأماكن التي يرى فيها العملاء عظمة الله وقدرته .

كما أن النشاط الاجتماعي يشتمل أيضاً التزاور في المناسبات ، وحضور الاجتماعات الدينية ، والقيام ببعض الحفلات فيها حتى يشعر الأحداث فيها بالبهجة والسرور عن طريق البرامج المخططة خصيصاً لذلك ، وبما لا يجعل أيام بقائهم بالمؤسسة تمر عبثاً ولهواً ، وإنما جعلها أيام فرح وشكر ، عبادة « وقد حدد الإسلام أيام الأعياد والمناسبات الدينية ومظاهرها - ولم يجعل من حق الناس أن يبتكروا لهم أعياد يخلصون عليها صبغة دينية ويحيون لياليها وأيامها ، بعبارات يلتزمون بها من تلقاء أنفسهم على أنها من وجوه القربى إلى الله - وبذلك يكون العيد في الإسلام وصفاً إلهياً لا يملك الإنسان فيه حق التغيير والتبديل .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يحاول الاستفادة من احياء هذه المناسبات والذكريات بالصورة التى تربي فى نفوس الأحداث عقيدة وعبادة وقوة وأهتداء ، وبذلك يقوى إيمانهم ، ويشعل جذوته فتلتهب الجوارح ، وتبذل الأنفس ، وتصبح التربية الإسلامية ماثلة فى كل شئ ، فى أقوالهم إذا انطقوا ، وفى حركاتهم إذا تحركوا ، وفى سكوتهم إذا سكتوا ، وفى جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، والسرية والعلنية والدنيوية والأخوية أساسها هذا النور المبين الذى جاء به محمد عن ربه فكان دستور الحياة ، وينبوع العزة والقوة والسعادة ، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويشر المؤمنين الذى يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، (١٢٠) .

أما الأنشطة الرياضية : التى تصمم وتنفذ ليمارسها العملاء داخل المؤسسة أو خارجها فإنه يراعى مناسبتها لخطة العلاج الإسلامى بحيث تربي فيهم روح التعاون والمحبة وتكسبهم الكثير من المهارات والخبرات التى تصنع منهم الرجال الأقوياء والأسوياء وعن طريق تلك الأنشطة الرياضية يستطيع الأخصائى الاجتماعى امتصاص الطاقات الزائدة لديهم ، وافراغ مشاعر العدوان التى تضغط عليهم بحيث تتم بطريقة ايجابية تعود عليهم بالفوائد الكثيرة ، بدلا من افراغها بطريقة سلبية عن طريق الانحراف والضياغ .

وهكذا تصبح المؤسسة مكانا صالحا وبيئة مناسبة لتطبيق العلاج الإسلامى مع العملاء ، وبذلك ينجح الأخصائى الاجتماعى فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم بعد أن غيرت التربية الإسلامية فى كثير من طباعهم وصفاتهم ، فقد بدلت خوفهم أمنا وكراهيتهم حبا ، وانحرفهم استقامة ، بعد أن وضعوا أقدامهم على الطريق المستقيم ، فامتلات قلوبهم بالايمان وظهرت العبادات نفوسهم ، أنار القرآن صدورهم .

٥ - أساليب أخرى للعلاج الإسلامى البيئى :

ومن المؤثرات البيئية الأخرى التى يتم الأخصائى الاجتماعى باستغلالها فى العلاج الإسلامى هم الأصدقاء ، حيث أن لهم تأثيراً مزدوج على العملاء ، فهم يتأثرون بهم فى القول مرة وفى المحاكاة مرة أخرى ، وشر بلاء ينزل بالإنسان أن يكون له صديق سوء ، يسلم له زمامه ، ويكون قدوته وامامه .

كما أن الأخصائى الاجتماعى يدرك جيداً أن شغل أوقات الفراغ بصورة ايجابية وبطريقة مخططة يساعد كثيراً فى علاج العملاء وفى تعديل سلوكهم وكذلك يخطط وينفذ معهما الكثير من الأنشطة المناسبة لشغل وقت الفراغ ، وكل الأنشطة السابق ذكرها تصلح لتحقيق هذا الهدف ، لأن الأحداث المنحرفين لو وجدوا من البداية مايشغل فراغهم ويستغله بصورة ايجابية ، ماتعرضوا للانحراف ، لأن السلوك المنحرف للأحداث المنحرفين ، ما هو إلا شغل لوقت الفراغ بطريقة سلبية .

وهكذا تصبح البيئة الخارجية بكل مكوناتها المختلفة بيئة صالحة ومناسبة لممارسة العلاج الإسلامى البيئى للعملاء وينجح الأخصائى الاجتماعى عندئذ فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم وعلاج مشكلاتهم .

وبعد ذلك يأتى دور العلاج الإسلامى للبيئة الداخلية وهى الأسرة .

ثانيا : البيئة الداخلية (والأسرة) :

« الأسرة التنظيم الاجتماعى الذى يقام عليه نظام الأمة كلها ، وهى المحضن الرئيسى للأجيال الناشئة ، والخلية الأولى فى البناء الاجتماعى . وكذلك نرى أن كتاب الله الخالد يفيض شرحاً وتفصيلاً ، وهداية فى كل شأن له علاقة بالأسرة ، ويتقِيمها على الوضوح الكامل حتى لا يدع مكاناً فيها للتصدع ، ولا يترك ثغرة يمكن أن ينفذ منها أحداً لهدم هذا الأساس .

ومثل هذا الإسهاب فى بيان أمور الأسرة دليل على أهمية هذا الكيان الأسرى ووضعه فى المكان اللائق به ، وذلك أنه أساس البناء كله ، فإذا ما تطرق إليه الخلل والوهن هدى البناء وضاعت معالمه » (١٢١) .

والأسرة المسلمة هى التى تحافظ على تحقيق شرع الله وموصفاته فى شئونها وعلاقاتها الزوجية ، وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذى يبنى حياته على تحقيق عبادة الله ، أى على تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية ، وبذلك ينشأ الطفل ويتربى فى بيت أقيم على تقوى الله ورغبة فى إقامة حدود الله ، وتحكيم شريعته ، فيتعلم ، بل يقتدى ويمتص عادات أبويه بالتقليد ، ويقتنع بعقيدة الإسلام حين يصبح واعياً .

والأسرة المسلمة هى التى توفر لأبنائها كل احتياجاتهم وتشبعها لهم وتحقق لهم السكون النفسى والطمأنينة ، وقال تعالى « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل لها زوجها ليسكن إليها » (١٢٢) وقال سبحانه وتعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١٢٣) فإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسى المتبادل ، فحينئذ يتربى الناشئ فى جو سعيد ، يهيئه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة ، بعيداً عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية ، التى تضعف شخصيته وتجعله سهل الاستهواء ، وعندئذ يتعرض للانحراف والضياع .

كما تتحمل الأسرة إشباع الحاجه إلى الحب والحنان والرحمة والعطف على الأبناء لأن هذا كله من أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسى والاجتماعى ، نموا قوياً ، وإذا لم تتحقق المحبة للأطفال بالشكل الكافى المترن ، نشأ الطفل منحرفاً فى مجتمعه ، لا يحسن التأليف مع الآخرين ، ولا يستطيع التعاون معهم أو تقديم الخدمات والتضحيات .

كما اعتبر الإسلام الأسرة مسئولة عن فطرة الطفل ، واعتبر كل انحراف يصيبها مصدره الأول الأبوان ، ومن يقوم مقامهما من المربي ، ذلك أن الطفل يولد صافى السريرة سليم الفطرة ، وفى هذا المعنى يقول الرسول ﷺ فيما رواه عنه أبوهريرة « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ثم يقول أبوهريرة رضى الله عنه « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل خلق الله ، ذلك الدين القيم » .

ولذلك تهتم الخدمة الاجتماعية بالأسرة اهتماما كبيرا ، وتعتبرها المؤثر الأول فى انحراف الأحداث ، بل فى كل المشكلات التى يعانى منها العملاء فى علاجها لهم على الأسرة ، وتحاول تدعيمها بشتى الأساليب العلاجية والوقائية والانمائية ، والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى عملاء الخدمة الاجتماعية فانه يكون على صلة وثيقة بأسرهم ، ويكتسب ثقتهم ويكون معهم علاقة مهنية قوية قوامها الثقة والحب والمودة ، وتنظم معهم زيارات منزلية ليزكروهم بواجبهم نحو تعويد الطفل على تذكر عظمة الله ونعمه ، والاستدلال على توحيده من آثار قدرته ، وتفسير مظاهر الكون من بر وبحر وليل ونهار وزلازل وأعاصير ونحو ذلك ، تفسيرا يحقق هذا الغرض .

وذلك يستكمل الأخصائى الاجتماعى علاج انحرافهم وينجح فى تقويم سلوكهم ، كما أنه بعد الأسرة لاستقبالهم بعد أن يتم علاجهم بالمؤسسة ، محاولا استكمال مقومات الأسرة ويكون على صلة دائمة بهم حتى يتابع باستمرار نتيجة الخطة العلاجية وحتى يجعل من الأسرة عنصرا هاما من عناصر تدعيم الخطة العلاجية . وقد يتفق الأخصائى الاجتماعى مع والد العميل على خطة علاجية معينة مثل اصطحابه معه دائما الى المسجد للصلاة فى جماعة واصطحابه معه دائما فى المناسبات الدينية المتعددة شارحا له ما يصعب عليه فهمه أو يصطحبه معه الى محاضرة أو ندوة دينية ، وبذلك يستكمل العلاج الإسلامى للحدث بما تقوم به الأسرة من دورها فى الخطة العلاجية وتتحمس إلى تربية أبنائها التربية الإسلامية التى فيها الوقاية والعلاج للسلوك المنحرف ، وفيها طريق الخلاص والهداية لهم .

اخاتمة

إن المنهج الإسلامى هو المنهج المناسب للحياة بما فيه من علاج ووقاية وانماء بصورة كافية لعلاج كل المشكلات الاجتماعية ، ولذلك اتجهت إليه الخدمة الاجتماعية وتحمست لممارسة العلاج الإسلامى وتطبيقه فى المؤسسات الاجتماعية لعلها تجد فيه أسلوب العمل المناسب وطريقة العلاج الأمثل بعد أن ضاقت لها السبل وعجزت أساليبها التقليدية من علاج المشكلات الاجتماعية .

والدين ليس علاجاً لتلك المشكلات فحسب ، بل هو العامل الحاسم فى تطور المجتمعات ، ونهضة الحضارات على مر العصور وهو جوهر التقدم الذى يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل بين المجتمعات ، وهو الباعث الأساسى للتغير الاجتماعى .

وفى هذا المعنى يقول « توبسى » ان نمو الحضارة للتوقف فى حالات الاخفاق ، ويعقب الاخفاق حالة تفكك اجتماعى .. والملاحظ أن خلال فترة تفكك الحضارة ، أن الثقافة لم تعد تنمو ككل ، وانما بشكل غير منسق وقد تؤدي الى تطورات فى الفن والاقتصاد والدين . والسبيل الوحيد للخلاص فى هذه المرحلة هو تغيير الشكل على أساس دينى ، على انتشار اتجاه دينى جديد لن يؤدي إلى اتعاظ الحضارة المحتضرة فحسب ولكنه قد يمهد السبيل لظهور أسلوب جديد ناجح من أساليب الحياة .

وقد وقفنا من قبل رأى « دور كايم » الذى يؤكد أن الدين يمثل ضرورة اجتماعية هى ايجاد التماسك الاجتماعى والحفاظ على المجتمع .

ولذلك اهتم المؤلف بالعلاج الإسلامى ومبادئه الأساسية كأنسب وسيلة علاجية تمارس فى المؤسسات الاجتماعية .

الهوامش

- (١) مقدار يالجن « التربية الأخلاقية الإسلامية » ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣ ص ٥٤ .
- (٢) سورة النساء : ٦٥ .
- (٣) سورة المنافقون : ٨ .
- (٤) سورة الذاريات : ٥٦ .
- (٥) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .
- (٦) تفسير الفخر الرازي ، ٢٤٢١ .
- (٧) د. مقدار بالجن ، التربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة ١٩٧٣ ، ص ١١١ .
- (٨) عبدالرحمن الحلاوي ، أصول التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١١٥ .
- (٩) سورة الأنعام آية (١٥١) القاهرة ، مكتب وهبه ، ١٩٧٩ .
- (١٠) د. محمد البهي ، نحو القرآن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، ص ١١٣ .
- (١١) سورة الأحزاب ، آية (٢١) .
- (١٢) دكتور : محمد بيسار ، العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ .
- (١٣) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٩١ .
- (١٤) سورة الأنعام : ١١١ .
- (١٥) سورة الأنعام : ٢٥ .
- (١٦) المقاصد الحسنة ص ١٢٩ رواه ابن ماجه والطياليس .
- (١٧) سورة الحشر : ٩ (١٨) سورة المؤمنون : ٦١ .
- (١٨) منتخب كنز العمال في هامش سند الإمام أحمد ١٢٢١ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩ .
- (١٩) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، مقدار بالجن ، مصدر سابق ص ٢٠٧ ، ٣٥١ .
- (٢٠) منتخب كنز العمال في هامش مسند الإمام أحمد ٥٨/١ .

- (٢١) سورة الإسراء : ٨٢ .
- (٢٢) سورة آل عمران : ١٠٢ .
- (٢٣) سورة البقرة : ١١٢ .
- (٢٤) يوسف القرضاوى : الحل الإسلامى لفريضة وضرورة ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧ ، ص ٤٠٧ .
- (٢٥) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .
- (٢٦) العقيدة والأخلاق مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .
- (٢٧) منهج التربية . مصدر سابق ، ص ٢٤٧ .
- (٢٨) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٥٠ .
- (٢٩) زكى مبارك ، « الأخلاق عند الغزالى » ، المكتبة الرحمانية بمصر ، بدون ، ص ١٦٥ .
- (٣٠) د. عبدالفتاح عاشور ، « منهج القرآن فى تربية المجتمع » مكتبة الخانجى بمصر ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٥ .
- (٣١) الأنعام : ١٢٤ .
- (٣٢) رواه ابن السمعانى فى أدب الإسلام عن ابن مسعود رضى الله عنه .
- (٣٣) سورة الأحزاب : ٢١ .
- (٣٤) سورة الجمعة : ٢ .
- (٣٥) منهج القرآن فى تربية المجتمع ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .
- (٣٦) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .
- (٣٧) منهج القرآن فى تربية المجتمع نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .
- (٣٨) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٣٦ .
- (٣٩) احياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ص ٦٤ ، ٦٥ .
- (٤٠) سورة الملك : ٢ .
- (٤١) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٨٢ .
- (٤٢) الحل الإسلامى لضرورة وفريضة ، مصدر سابق ، ص ٥١ .
- (٤٣) سورة العلق : ١ - ٥ .
- (٤٤) منهج التربية الإسلامية ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

- (٤٥) سورة الجمعة : ٢ .
- (٤٦) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، ص ٥٦ .
- (٤٧) عبدالفتاح عثمان « خدمة الفرد فى المجتمع النامى » ، ص ٣٧٩ .
- (٤٨) المرجع السابق ، ص ٢٨١ .
- (٤٩) يحيى بن أشرق النوى « أيا من الصالحين » الشمرلى بمصر ، بدون ناشر ، ج ٣ ص ٨٧ .
- (٥٠) سورة يونس (٦٢) .
- (٥١) « الترغيب والترهيب » ج ٣ ، ص ٢٦٢ .
- (٥٢) العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .
- (٥٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .
- (٥٤) روح الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٢٥٤ .
- (٥٥) سورة البقرة (١١٩) .
- (٥٦) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق . ص ٢٠٤ .
- (٥٧) المرجع السابق ، ص ٨ .
- (٥٨) نحو القرآن ، مصدر سابق ، ص ١٤٩ .
- (٥٩) التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢١ .
- (٦٠) سورة الروم (٢٠) .
- (٦١) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .
- (٦٢) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ، مصدر سابق ، ص ٤٥ - ٥٠ .
- (٦٣) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ، ص ٥٠ .
- (٦٤) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ .
- (٦٥) سورة الأنعام (١٥٣) .
- (٦٦) سورة المائدة (٨) .
- (٦٧) دراسات إسلامية . مصدر سابق ص ٢٧ .
- (٦٨) المرجع السابق ، ص ٤٨ .
- (٦٩) سورة النساء : آية ٢٢ .

- (٧٠) سورة النساء آية ٣٢ .
- (٧١) كيف تمارس الإيحاء الذاتى ، ص ١٧ .
- (٧٢) نفس المصدر ، ص ١٩ .
- (٧٣) نفس المصدر ، ص ٣٠ .
- (٧٤) نفس المصدر ، ص ٦١ .
- (٧٥) مسند الإمام أحمد : ٢٩٢ .
- (٧٦) سورة فاطر : ١ .
- (٧٧) سورة المنافقون . ٨ .
- (٧٨) صحيح مسلم ٢٠٥٢/٤ كتاب القدر باب فى الأمر بالقوة .
- (٧٩) الجامع الصغير ٦١/١ .
- (٨٠) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٦٣٣ .
- (٨١) الفلسفة العملية للحياة ، ص ١٨٢ .
- (٨٢) سورة سبأ : ٤٦ .
- (٨٣) سورة البقرة : ١٦٤ .
- (٨٤) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ .
- (٨٥) سورة الحجرات : ١٢ .
- (٨٦) سورة الاسراء : ٢٧ .
- (٨٧) سورة الحجرات : ٦ .
- (٨٨) سورة الاسراء : ٢٢ .
- (٨٩) سورة النور : ٣٠ .
- (٩٠) سورة الشمس .
- (٩١) الدستور الأخلاقى ، مصدر سابق ، ص ٦٣٨ .
- (٩٢) عبدالقادر الجيلانى « الغنية » ، ص ١٨٣ .
- (٩٣) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٥٣ .
- (٩٤) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٥٢ .
- (٩٥) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٠٢ .
- (٩٦) حسن محمد الشرقاوى ، مصدر سابق ، ص ٢٥٢ .

- (٩٧) حسن محمد الشرقاوى ، نفس المصدر ، ص ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
- (٩٨) سورة فاطر : ٦
- (٩٩) سورة يوسف : ٥٣ .
- (١٠٠) عبدالرحمن النحلاوى ، مرجع سابق ، ص ٢١٦ .
- (١٠١) سورة التوبة : ١٥٥ .
- (١٠٢) سورة الأحقاف : ١٩ .
- (١٠٣) سورة الكهف : ٣٠ .
- (١٠٤) سورة الزلزلة : ٧ - ٨ .
- (١٠٥) محمود شلتوت « توجيهات الإسلام » مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ .
- (١٠٦) سورة الأنفال : ٦٠ .
- (١٠٧) سورة الأنفال : ٦٠ .
- (١٠٨) انظر : العلاج الإسلامى لانحراف الأحداث للمؤلف، مرجع سابق ذكره .
- (١٠٩) عبدالفتاح عاشور « منهج القرآن فى تربية المجتمع » ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٩ ، ص ٢٦٦ .
- (١١٠) عبدالفتاح عاشور « منهج القرآن فى تربية المجتمع » ، مصدر سابق ، ص ٢٧١ .
- (١١١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، نفس المصدر ، ص ١٢١ .
- (١١٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، مصدر سابق ، ص ١٣٤ .
- (١١٣) سورة الحجرات ١٣ .
- (١١٤) سورة الذاريات : ٦ .
- (١١٥) سورة البقرة : ٢٨ .
- (١١٦) منهج التربية الإسلامية : مصدر سابق ، ص ١٥ .
- (١١٧) سورة الإسراء : ٩ .
- (١١٨) منهج القرآن فى تربية المجتمع ، مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .
- (١١٩) سورة الأعراف : ١٨٩ .
- (١٢٠) سورة الروم : ٢١ .

الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامي

د. أحمد يوسف بشير

تمهيد :

- شغلت البيئة كل البشر عبر جميع عصور التاريخ ، فكانت الطبيعة مصدر خوف وفرع حيناً ومهبط الوحي حيناً آخر، ولكنها فى جميع الأحوال دفعت الإنسان للتأمل فى الكون خارج ذاته، وحاول أن يترجم تأملاته إلى أنظمة عقائدية أو فكرية أعطته التوازن مرة ودفعته إلى الصراع مرات .. وسوف تظل البيئة بوجه عام مسرح الخلق الإنسانى وملقى ما يسطره التاريخ من صفحات تعكس نضال الإنسان معها من أجل استخدام أفضل لها ، ويتبارى البشر فى إكتشاف أسرارها وبناء التكنولوجيا من موادها ، وهنا يتدرج الإنسان من أعلى سلم التقدم إلى أسفله من خلال مجتمعات يحكم مكانها فى هذا السلم مبلغ ما استطاعت أن تطوع جانباً أو آخر من الطبيعة لخدمة مصالحها (١١) (ص : ١) حيث أن الإنسان - منذ بدء الخليقة - وهو يسيطر قصة كفاحه المستمر مع الطبيعة سعياً لفهمها ، والتعرف على أسرارها ، واستهدافاً للسيطرة عليها وتسخيرها لخدمته ورفاهيته ، وما التاريخ البشرى إلا سجل حافل بمنجزات الإنسان فى هذا المضمار كما أن مراحله المختلفة - بدءاً بالعصر الحجرى القديم وانتهاء بعصر الفضاء - ليست إلا قفزات واسعة استطاع الإنسان قطعها على طريق التوافق مع البيئة من حوله ، أو التعرف على أسرارها ، أو السيطرة عليها .. (١١ ص : ٥) .

فالبيئة تمثل بالنسبة للإنسان ذلك الإطار الذى يستمد منه مقومات حياته ، وعوامل قوته وأسباب نموه الفكرى والمادى والأخلاقى والاجتماعى والروحى والإنسانى ، بما وهبه الله من خصائص بيولوجية تميزه عن باقى المخلوقات ، يعيش باستمرار فى مستوى طاقة احتمال بيئته ، بينما باقى المخلوقات تعيش دون مستوى طاقة احتمال بيئاتها .

ولقد أدى التقدم الهائل الذى أحرزه الإنسان فى مجالات العلم والتكنولوجيا إلى إحداث إخلال ، بل تدهور فى مكونات البيئة بحيث أصبح خطر العيش فوق طاقة احتمال البيئة متوقفاً ، بل لعله واقعاً فى بعض المجالات وفى بعض الأقطار إذ بدأنا نعيش ونسمع عن "مشكلة الغذاء" ، "مشكلة السكان" و "مشكلة التلوث" وهى مشكلات ناجمة فى المقام الأول عن النشاطات البشرية فى البيئة (٢) (ص : ٥٠) ومن هنا تنبه الإنسان أخيراً إلى ما أدى إليه تعامله غير الرشيد وغير العقلانى مع النظم البيئية التى يعيش فيها ويتعامل معها ، وأصبحت قضايا البيئة ومشكلاتها هى الشغل الشاغل للدول المتقدمة والدول النامية على حد سواء ، وتحقق المسئولون من أن تلك المشاكل قد أصبحت تهدد حياة الإنسان على هذا الكوكب، ومن أنه إذا لم يتكاتف بنو البشر - لا

فرق في ذلك بين مجتمعات متقدمة أو متخلفة - لإيجاد الحلول المناسبة وتلمس سبل الوقاية من هذه المشكلات فإنها سوف تتحول إلى كوارث محققة تهدد حياة الإنسان وغيره من الكائنات الحية على كوكب الأرض .

ويلخص البعض هذه القضية بقوله : إن الإنسان بدأ حياته على الأرض وهو يحاول أن يحمي نفسه من غوائل الطبيعة وانتهى به الأمر بعد آلاف السنين ، وهو يحاول أن يحمي الطبيعة من نفسه (٣ ص : ١٩) .

وينطلق البحث الراهن - استناداً إلى ما سبق من اعتقاد مؤداه :

إن الإنسان يعتبر المسؤل الأول والأساسي ، عما تتعرض له البيئة من إختلال وتدهور نتيجة لتدخله غير العقلاني في النظم البيئية ، كما أنه وفي ذات الوقت المتضرر الأول مما يحدث في البيئة من مشكلات ، أي أن الإنسان هو المتسبب في مشكلات البيئة وهو أول الكائنات تأثراً بها ، ومن هنا تبرز مسؤولية الإنسان تجاه البيئة ، وأهمية إيجاد علاقات متوازنة بين الإنسان والبيئة أساسها المصلحة المتبادلة ، وأهمية إيجاد علاقات متوازنة بين الإنسان والبيئة أساسها المصلحة المتبادلة التي تتيح للإنسان إستمرار العيش المريح والبيئة إستمرار التوازن وتدفق العطاء ، وهو ما يعرف بالتعايش الإيجابي مع البيئة .

ومن هنا كان هذا البحث الذي يستهدف التعرف على طبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة في التصور الإسلامي ، وما إذا كان الإسلام قد رسم حدوداً وأطراً معينة ينبغي أن تنتظم فيه علاقة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها تحقيقاً لرسالة الإنسان في التصور الإسلامي ، وتأكيداً لأهمية البيئة ، بإعتبارها مسرح تحقيق هذه الرسالة .

هذا ويستند البحث الراهن إلى عدة اعتبارات ينبغي التأكيد عليها، والتي تشكل مبررات وبواعث اختيار هذا الموضوع على النحو التالي :

أ - ما تشهده الأونة الحالية من اهتمام كبير من جانب العلماء والمخططين والسياسيين ورجال الإقتصاد وعلماء الإجتماع والنفس والتربية والخدمة الإجتماعية والبيولوجيين والفيزيائيين وغيرهم بالبيئة ومشكلاتها والتغيرات التي تطرأ عليها وأساليب التعامل معها والأضرار التي تلحق بها نتيجة مبالغة الإنسان والمجتمع ، أو محاولة الكشف عما لحق بالبيئة من أضرار وأذى قد يصعب علاجها أو تلافيتها نتيجة لسوء الإستغلال وسوء الفهم .

ب- أن المشكلة البيئية ، مهما تعددت مجالاتها ومهما كانت درجة خطورتها فهي مشكلة سلوكية في المقام الأول ، ومن ثم إذا ما أردنا مواجهة مشكلات البيئة ، فإن الأمر يستلزم بداءة تعديل سلوكي للإنسان المتعامل مع البيئة والمتفاعل معها، بحيث يتبنى قيماً بيئية إيجابية وسلوكيات تستهدف، حماية البيئة والمحافظة عليها .

ج- واستناداً إلى النقطة السابقة تأتي أهمية دور الخدمة الاجتماعية باعتبارها مهنة إنسانية تتعامل مع الإنسان وسلوكه في تعامله مع البيئة .

د- أن جهل الإنسان بتواميس الكون التي سنّها الله من ناحية وجهله برسائله في الحياة التي من أجل تحقيقها خلقه ، ومكنه في الأرض من ناحية أخرى ، وسعيه المستمر - في ضوء هذا الجهل - وراء المتعة الدنيوية التي تتميز بالأنانية من ناحية ثالثة كل ذلك أدى إلى ما أصبح العلماء يحذرون منه من مشكلات وأخطار بيئية ، ومن هنا كان التأكيد على إبراز وتوضيح هذه الأمور من الأهمية بمكان فيما يتعلق بالجهود المبذولة لحماية البيئة والمحافظة عليها .

هـ- أنه إذا كانت التربية البيئية تحتل أهمية كبرى ضمن وسائل وأساليب مواجهة المشكلات البيئية والوقاية منها، فإن الباحث يعتقد أن القيم الدينية والتأكيد عليها يلعب دوراً هاماً في نجاح التربية البيئية وتحقيق أهدافها ، في ضوء هذه الاعتبارات عند الباحث إلى تناول علاقة الإنسان بالبيئة من منظور إسلامي كموضوع لهذا البحث ، ولذا سوف نعالج من خلال العناصر التالية : -

المفاهيم الأساسية .

الخدمة الاجتماعية والإهتمام بالتربية البيئية .

مهمة الإنسان في البيئة ، كما حددها الإسلام .

مكانة الإنسان المتميزة في البيئة .

مكونات المنهج الإسلامي في رعاية البيئة .

أولاً: تحديد المفاهيم الأساسية

(١) مفهوم البيئة

- البيئة لفظة شائعة الإستخدام ، يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدميها ومن هنا تعددت تعريفات البيئة يتعدد هذه العلاقات ، فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى ، والمدرسة بيئة والحي بيئة والقطر بيئة والكرة الأرضية بيئة والكون كله بيئة .. وهكذا ، كما يمكن النظر إلى البيئة من خلال النشاطات البشرية المختلفة ، فنقول البيئة الزراعية والبيئة الصناعية ، والبيئة الثقافية الخ (٢ ، ص ١٢) .

- وبصفة عامة يعرف البعض البيئة بأنها : " مجموع الظروف والعوامل الخارجية التي تعيش فيها الكائنات الحية ، وتتأثر في العمليات الحيوية التي تقوم بها " .

(٤ ، ص : ١) ومن الملاحظ أن هذا التعريف يركز على البيئة الطبيعية ، بينما أهمل العوامل الإجتماعية والعلاقة المتبادلة بين الكائن الحى وبيئته .

- ويتسع تعريف آخر ليشمل هذه الجوانب حيث ينظر للبيئة على أنها : " الإطار الذى يعيش فيه الإنسان ، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بنى البشر " (٥ ص ك ٣٧٢) .

- ويوضع هذا التعريف أن البيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته ، وربما يؤكد التعريف على أن البيئة تشتمل علاقة الإنسان بالاتصال والتى تنظمها المؤسسات الإجتماعية والعادات والتقاليد والأخلاق والقيم والأديان ، فالبيئة وفقا لهذا التعريف كل متكامل يشمل اطارها الكرة الأرضية ، وما يؤثر فيها من المكونات الأخرى للكون ومحتويات هذا الاطار ليست جامدة بل أنها دائمة التفاعل مؤثرة ومتأثرة والإنسان واحد من مكونات البيئة يتفاعل مع مكوناتها بما فيها من يمثل بنى جنسه .

- ولقد حدد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة (البشرية والذى انعقد فى أكتوبر سنة ١٩٧٢م بمدينة أستهولم ، مفهومًا شاملاً للبيئة ، بحيث أصبحت تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعية (ماء وهواء وتربة ومعادن ومصادر للطاقة ونباتات وحيوانات) بل هى "رصيد الموارد المادية والإجتماعية المتاحة فى وقت ما ، وفى مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته " (٢ ، ص : ٢٥) .

ويتبنى هذا البحث تعريفاً شاملاً للبيئة يتسق وأغراض البحث وموضوعه إذ ينظر إلى البيئة على أنها : " ذلك الوسط الذى يعيش فيه الإنسان بما يتضمنه من إمكانات وموارد طبيعية وإجتماعية يتفاعل معها الإنسان مؤثراً ، ومتأثراً بغرض إشباع احتياجاته وإستمرار حياته والبيئة ، بهذا المعنى هى كل ما يحيط بالإنسان فى هذا الكون سوى الإنسان نفسه .

(٢) مفهوم تلوث البيئة

- المعنى اللغوي : جاء فى المعاجم : لَوَّثَ الأمر أى لَبَسَهُ ، وَلَوَّثَ التبن بالقت أى خلطه ، وتلوث بالطين ، وتلوث بغلان رجاء متعة ، أى لاذ به وتلبس بصحبته ، ولوث الماء أى كدَّره ، ويقال التاثت عليه الأمور أى التبست ، والتاث فى عمله أى أبطأ والتاث بالدم أى تلطخ به وفلان به لوثه أى به جنون (٦ ، ص : ٦٧) وتستنتج من هذا أن التلوث له معنيان فى اللغة معنى مادي : وهو إختلاط أى شئ غريب عن مكونات المادة بالمادة مما يؤثر عليها ويفسدها كتلوث الماء والتلوث بالتلوث بالطين . وأما التلوث المعنوى فهو يعنى ذلك التغير الذى ينتاب النفس ،

فيكدرها أو يكون تغييراً من أجل غرض ما ، التلوث بنوعية المادى والمعنوى يعنى فساد الشئ سواء كان هذا الشئ كائناً حياً كالإنسان أو الحيوان أو جسماً غير حى كالهواء والماء والتربة وغيرها (٧ ، ص : ١١) .

- المعنى الإصطلاحي لتلوث البيئة : " هو كل تغير كمى أو كيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية لا تقدر الأنظمة البيئية على إستيعابه دون أن يختل توازنها، أو هو وجود أية مادة أو طاقة فى غير مكانها وزمانها وكميتها المناسبة (١ ، ص : ١٤٩ - ١٥٠) . ووفقاً لهذا التعريف ، فإن أى تغير كمى أو كيفى فى مكونات البيئة إذا كانت النظم البيئية تستطيع أن تستوعبه دون أن يختل توازنها لا يعتبر تلوثاً ، وعلى ذلك فالإنسان فى عصر ما قبل الثورة الصناعية لم يتعرض لمشكلة التلوث لأن كل مخلفات نشاطاته كانت مما تستطيع البورات الطبيعية للأنظمة البيئية أن تستوعبه وتجربه فى سلاسل تحولاتها . ولذلك حظيت هذه المشكلة بالدراسة والاهتمام لأن أثارها الضارة شملت الإنسان نفسه وممتلكاته كما أخلت بالكثير من الأنظمة البيئية السائدة والخطورة التلوث فلقد طفى على كل قضايا البيئة ومشكلاتها وإرتبط بكل حديث عنها حتى رسخ فى أذهان كثيرة أن التلوث هو المشكلة الوحيدة للبيئة ، ومع أن الواقع يؤكد غير ذلك ، إذ أن هنالك العديد من المشكلات البيئية الأخرى كنقص الطاقة ومشكلة الغذاء واستنزاف المصادر الطبيعية ... الخ .

(٣) التربية البيئية :

- تعددت الآراء فى معنى التربية البيئية ومدلولها بتعدد مدلول العملية التربوية وأهدافها من جهة ، ومدلول البيئة من جهة أخرى ومن تعريفات التربية البيئية أنها : "عملية تعليم المجتمع كيفية حماية نفسه من الأمراض والمشاكل البيئية " .

- كما يعرفها البعض بأنها " عملية تغير أفكار وأحاسيس وسلوك الناس فيما يتعلق بصحتهم وبيئتهم " (٨ ، ص ص : ٢٥ : ٢٧) .

- ويرى آخرون أن التربية البيئية هى العملية الأساسية التى تعنى بإعداد المواطنين الواعين بالبيئة البيوفيزيائية (البيولوجية - الطبيعية) وما يرتبط بها من مشكلات ، وبحيث يتكون لديهم المعرفة والمهارة والرغبة والالتزام بالعمل على حل المشكلات الراهنة والمستقبلية (٩ ، ص ١٢٠) .

- ويمكن القول من خلال إعادة النظر فى هذه التعريفات أنها تقصر التربية البيئية - وفقاً للمفهوم الجزئى للبيئة - على تناول البيئة من جوانبها البيولوجية والفزيائية ، فى حين أن المفهوم الشامل للبيئة ، يتضمن بالإضافة إلى ذلك - كما

سبق أن أشرنا - الجوانب الإقتصادية والإجتماعية والثقافية ويبرز ما يوجد بين هذه العوامل المختلفة من ترابط، ولذلك يمكن تعريف التربية البيئية في إطار المفهوم الشامل للبيئة على أنها :

" عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدرجات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان ، وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان وحفاظا على حياته الكريمة ، ورفع مستويات معيشته " (١ ، ص : ٢٢٤) . ومن هذا التعريف يتضح أن التربية البيئية هي عملية إعداد الإنسان للتفاعل الناجح مع بيئته بما تشمله من موارد مختلفة وتتطلب هذه العملية العمل على تنمية جوانب معينة لدى الإنسان منها توضيح المفاهيم وتعميق المبادئ اللازمة لفهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان وثقافته من ناحية وبين الوسط البيوفيزيقي من حوله من ناحية أخرى ، كما تتطلب أيضا تنمية المهارات التي تمكن الإنسان من المساهمة في حل ما قد تتعرض له بيئته من مشكلات وما يتهدها من أخطار والمساهمة في تطوير ظروف هذه البيئة ، وتستلزم التربية البيئية أيضا تكوين الاتجاهات والقيم التي تحكم سلوك الإنسان إزاء بيئته وأثاره ميوله وإهتماماته نحو البيئة وإكتسابه أوجه التقدير لأهمية العمل على صيانتها والمحافظة عليها ، وفي تصور الباحث فإن ذلك لن يتأتى إلا إذا إرتكزت عملية التربية البيئية على القيم الدينية وإستشارتها في نفس الإنسان بحيث تصبح هذه القيم هي الموجهه لتصرفات الإنسان وسلوكه حيال البيئة التي يعيش فيها .

ثانيا - الخدمة الإجتماعية والتربية البيئية

- سبق أن أوضحنا أن مهنة الخدمة الإجتماعية تعد من بين المهن التي تعطى إهتماما واسعا للبيئة - في الوقت الحالي - وموقف الإنسان منها وتأثيره بها وتأثيره فيها ، وتسعى إلى الإسهام في مواجهة ما يترتب على ذلك من مشكلات ملحة مثل التلوث وإستنزاف المصادر الطبيعية وإختلال قوانين التوازن الطبيعي بين الأنظمة الأيكولوجية المختلفة ، وكذلك تبصير الإنسان بحقوقه البيئية وواجباته إزاءها ، وإعداد المواطن البيئي الصالح ، فلم تعد الخدمة الإجتماعية كمهنة تقصر إهتمامها على الجوانب العلاجية على مستوى الفرد أو الجماعة فقط ، وإنما تطورت المهنة ، وأخذت تبلور لنفسها أساليباً وأواراً جديدة ، حيث أصبحت تركز تدخلها المهني على محاولة أحداث تغييرات مرغوبة في الأفراد أو في العلاقات الإجتماعية بين الأفراد والجماعات ، أو في المجتمعات المحلية والنظم الإجتماعية (١٠ ، ص : ٩) ، ومن هنا تؤمن الخدمة الإجتماعية بأهمية البيئة في حياة الإنسان ، سواء نظرنا إلى البيئة بمفهومها الضيق في الخدمة الإجتماعية (البيئة الإجتماعية التي يعيش فيها الإنسان ويتفاعل معها) أو بمفهومها

الواسع والشامل (حيث تتضمن كل ما هو خارج عن كيان الإنسان ذاته ، أى كل ما يحيط بالإنسان من موجودات حية وغير حية) . وتأتي أهمية الخدمة الاجتماعية كمهنة تتعامل مع الإنسان والبيئة من عدة جوانب :

أولها : أن الخدمة الاجتماعية كما يصفها (فديريكو) هي أكثر مهن الرعاية الاجتماعية تعاملًا مع المواطنين بنظرة شمولية متكاملة ، إذ أنها تتعامل مع مجال حياة الإنسان كليًا ومحاولة في نفس الوقت إستخدام موارد المجتمع وإمكانياته لإشباع احتياجاته (١١ ، ص : ٢٣٠) ويؤكد آخرون على أهمية الخدمة الاجتماعية للمجتمع حيث يصفونها بأنها الضمير الاجتماعى للأمة (١٢ ، ص : ٢) .

ثانيها : اعتماد الخدمة الاجتماعية كمهنة على نظرية الإتساق الاجتماعية كنظرية قاعدية ، حيث أنها تحقق التكامل المعرفى للمحنة بجانب توحيد نظرتها وتحليلها للوحدات الاجتماعية التى تتفاعل معها ، كما أن هذه النظرية تحقق رغبة الخدمة الاجتماعية التى تتفاعل معها ، كما أن هذه النظرية تحقق رغبة الخدمة الاجتماعية فى النظر إلى الفرد (الإنسان) متفاعلاً ومتكاملاً مع بيئته (١٣ ، ص : ٦١ - ٦٦) ومن هنا تأتى أهمية النظر إلى البيئة عند التعامل مع الإنسان كفرد أو كعضو فى جماعة أو كمواطن فى مجتمع محلى أو قومى .

ثالثها : إن الخدمة الاجتماعية تهدف ضمن ما تهدف إليه إلى إحداث تغييرات مرغوب فيها فى الإنسان وذلك بقصد إيجاد تكيف متبادل بين الأفراد وبيئاتهم الاجتماعية بمكوناتها الاجتماعية والطبيعية لحل المشكلات المختلفة والوقاية منها وهى فى ذلك تنظر إلى الإنسان باعتباره المكون الأساسى للبيئة وأهم عناصرها .

رابعها : أن للخدمة الاجتماعية دورها الهام فى التربية البيئية من خلال العمل فى المجالات والمؤسسات المختلفة وتؤكد على أن التربية البيئية عملية مستمرة من المهد إلى اللحد ، وتستهدف تعريف الإنسان بحقوقه البيئية ، وتوضيح أساليب حمايتها والمساهمة فى خلق رأى عام مستنير نحو البيئة ، وإستثارة الإنسان للمشاركة فى حماية البيئة ومواجهه مشكلاتها ، وهى فى سبيل ذلك تؤمن بأهمية الجوانب التالية :

الإسهام فى إحداث تغيير حقيقى فى سلوك الناس تجاه بيئتهم ، بحيث يودى ذلك إلى إيجاد الشخصية المنضبطة ذاتها والتى تتصرف فى البيئة بروح المسئولية .

مساعدة الناس على إدراك المشكلات البيئية المختلفة وخطورتها وأسبابها ودورهم فى إحداث هذه المشكلات ، وكيفية الوقاية منها ومواجهتها .

- # مساعدة الناس على تبني مشروعات وبرامج تستهدف حماية البيئة وتحسينها .
- # النظر إلى الفقر على أنه نوع من تدهور البيئة ، وبالتالي فإن حماية البيئة في المجتمعات النامية والأحياء المتخلفة يتطلب تحقيق التنمية كشرط لازم لذلك .
- # أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي لا تقيده بيئته ، ومن ثم فهو يستطيع أن يغير فيها ولا ينبغي له أن يحميها فقط، بل عليه أيضا أن يعمل على تحسينها.
- # دراسة المشكلات البيئية دراسة شاملة متكاملة لبحث العلاقات المتبادلة بينها ودور الإنسان في خلقها وكيفية التخطيط لمواجهتها .
- # إن المشكلات البيئية ليست قاصرة على مشكلات الاستخدام الضار أو غير الرشيد للموارد الطبيعية أو مشكلات التلوث ، بل تمتد لتشمل العديد من مشكلات التخلف مثل نقص السكن ، وسوء ظروف الصحة العامة وسوء التغذية ، وقصور أساليب الإدارة والإنتاج ، وبعبارة أخرى تشمل جميع المشكلات الناجمة عن الفقر والتخلف .

ثالثا مهمة الإنسان في البيئة كما حددها الإسلام

- خلق الله الكون بما فيه ومن فيه - كم يقرر القرآن الكريم - قبل أن يخلق الإنسان فالإنسان هو الحلقة الأخيرة في سلسلة المخلوقات في هذا الكون الرحب الفسيح ، وفي ذلك إشارة إلى أمرين من الأهمية يمكن إبرازهما ، الأمر الأول : أن هذا الكون كله مخلوق للإنسان ليؤدي مهمته المقدسة في هذه الحياة : ففي الحديث القدسي : " يا ابن آدم خلقت الكون من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تنشغل بما هو لك عمن أنت له " . (٤) (ص : ٤٦) ، والأمر الثاني : أن الإنسان هو سيد هذا الكون وأرقى المخلوقات مرتبة ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (سورة الإسراء : ٧٠) .

- ويوضح القرآن الكريم كيف أن الكون كله خلق قبل خلق الإنسان في قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوي إلى السماء فسوهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم ﴾ (سورة البقرة : ٢٩) ، ففي هذا دلالة على أنه تعالى إبتدأ أولاً بخلق الأرض سبعا وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك (١٥ ص : ٤٨) ثم يعقب القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (سورة

البقرة : ٤٠) ، ولا شك أن المراد بالخليفة هنا ، كما أجمع العلماء ليس آدم - فحسب ، وإنما المراد هو جنس الإنسان كله (١٥ ، ص : ٤٩) .

- وهكذا خلق الله الكون ، ثم خلق الإنسان من أجل مهمة أوضحها القرآن في كونه خليفة لله في هذه الأرض ، تلك هي وظيفة الإنسان وهذه الخلافة تعنى أول ما تعنى تعمير الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها والعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الانتفاع الإيجابى بكل ما خلقه الله . ويتجلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (سورة هود : ٦١) ، ومعنى استعمركم أى طلب منكم عمارتها وذلك لا يتأت إلا بأمرين : أولهما أن تبقى الصالح على صلاحه ولا تفسده وأن تصلح الفاسد وتزيد إصلاحه (١٦ ص : ١٥) .

- ويحدد القرآن الكريم - إلى جانب هذه الوظيفة ، الغاية التي خلق الإنسان من أجلها فى قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨) ، فعبادة الله إذاً هي الغاية التي يجب أن تكون هدف الإنسان فى حياته - نحن إذاً أمام وظيفة للإنسان يؤديها فى هذا الكون (البيئة) بوحى من خالقه وغاية نهائية يرمى إلى تحقيقها من خلال (وأشد ، أدائه لهذه الوظيفة ، ولا شك أن الوظيفة مرتبطة بالغاية ارتباطاً وثيقاً ولا تتفصل عنها ، كما سيتضح فيما بعد .

العلاقة بين الوظيفة والغاية :

- إن وظيفة الإنسان تقوم - كما أوضحنا - على تحقيق مبدأ الإستخلاف الذي يقوم على أن الإنسان هو خليفة الله فى هذا العالم (البيئة) بعث لتطويره وإعمارهِ وتذليل صعابه والإستجابة لتحدياته من أجل تسوية أرضية كى تكون أكثر ملائمة لحياة مطمئنة تعلو على الضرورات بعد أن تحرر منه وتكون أكثر قدرة للتوجه إلى خالقها جل وعلا ، أن فمسألة الإستخلاف هذه تتكرر أكثر من مرة فى القرآن الكريم : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (سورة فاطر : ٣٩) ، وغير ذلك من الآيات (١٧) .

- على أن مبدأ الإستخلاف هذا يبدو خلال هذه الآيات مرتبطاً بمتصل ، يتمثل أحد طرفيه فى العمل الجاد والتعمير والإبلاغ ومجانية الإفساد فى الأرض ، ويتمثل

الطرف الآخر فى تلقى القديم والتعاليم والشرائع عن الله والالتزام الجاد بها خلال ممارسة الجهد البشرى فى البيئة بمفهومها الشامل فى إطار قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (سورة الذاريات : ٥٦) .

- ونود أن تؤكد على أن العلاقة بين هذين الطرفين علاقة أساسية متبادلة (ذات ... إتجاهين) بحيث أن إفتقاد أى منهما فى مسيرة الإنسان فى الكون سيؤول إلى الخراب والضياع فى الدنيا والآخرة معا .

- وفى هذا الإطار فالإنسان مطالب بتعمير الدنيا وإحيائها كى ينعم الجميع بخبراتها وتسخير طاقاتها وإمكاناتها التى خلقها الله له لخدمته وخدمة الأجيال التى تعقبه وفى هذا المعنى ورد الحديث الشريف : " إن الدنيا حلوة خضرة ، وأن الله مُستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون " (١٨) وهو فى سعيه نحو هذا الهدف لابد أن يلتزم بمنهج الله الذى أنزله اليه ليضبط حركته فى الكون كما أراد له خالق الكون -

ولكن يقوم الإنسان بأعباء قضية الإستخلاف فإن ذلك يستلزم عدة أمور نوضحها فيما يلى :

١- الخبرة والعلم : أى أن يكون للإنسان الخبرة والعلم الكافى بما يمكنه من أداء هذه المهمة المقدسة ، ولقد أنعم الله على الإنسان بما يحتاج إليه فى هذا السبيل، فمنحه القدرة على التعليم والإنتفاع بكل ما تقع عليه حين منحه المعرفة التامة لخصائص الأشياء وأسمائها :

﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ (سورة البقرة : ٣١ - ٣٣) .

- وتوضح الآية الكريمة أن الإنسان لم يبدأ من فراغ، بل خلقه عالماً مزوداً بالقدرات التى تمكنه من القيام بواجبات الإستخلاف فى الأرض وعمارة الحياة ، حيث كانت بداية المعرفة الإنسانية بهذا الكون ذلك العلم الوهبى لأبينا آدم عليه السلام ويفسر العلماء تعبير " الأسماء كلها " الوارد فى الآيات السابقة بأنها : (١٩ ص : ٣٢) ، أسماء كل الكائنات الحية والجمادات التى خلقها الله تعالى وألهم أبانا آدم معرفة نواتها وخواصها وصفاتها فى شمول يقتضية لفظ . كلها . أى المعرفة اللازمة لحياته على الأرض والقيام بواجبات الإستخلاف فيها وعبادة الله كما أمر، وبالطبع - فلقد علم آدم بنيه ما تعلمه من علم لله، وورث بنوه ذلك العلم جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة بأن القدرة على التعلم واكتساب المعرفة هى ميزة أساسية فى الإنسان وضرورة من ضرورات وجوده ، ومن هنا كان طلب العلم فريضه على كل مسلم ومسلمة .

- وبالإضافة إلى هذا العلم الوهبي ، فقد أوكل الله تعالى الناس على ما وهبهم من قدرات على إكتساب المعرفة عن طريق النظر والتدبر في أشياء ومكونات هذا الكون وإستقراء سنن الله فيه ونواميسه ، وحتى هذا العلم الكسبي المؤسس على النظر والتأمل والتفكر والإستنتاج أو الذى يتم التوصل إليه إستجابة لإلحاح الحاجة ، لم يخل في أحيان كثيرة عن ومضة من ومضات الإلهام الربانى من قبل ذلك الذى حدث لإبنى آدم قابيل وهابيل حين اعتدى الأول على الثانى وقتله ثم حار في أمر جثته ماذا يصنع بها ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي ﴾ (سورة المائدة : ٢١) .

٢- تسخير المخلوقات للإنسان :

- ولتتم خلافة الإنسان عن الله في الأرض كان لابد أن تخضع له المخلوقات الأخرى ليتم انتفاعه بها كما ينبغي، وتلك نعمة أخرى أسبغها الله عليه إذ سخرنا له وأسس قيادها لنفعه، ومن اليسير أن ندرك أن تسخير هذه المخلوقات للإنسان يتم بأحد سبيلين :

أ- أولها : القوانين التى خلق الله العالم عليها وجعلها بحيث تسد حاجات الإنسان المتباينة دون أن يكون له يد فى تسخيرها أو تسييرها أو قدرة على تغيير مجراها وقد عبر عنها القرآن الكريم فى أكثر من موضع مثل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَاسْخَرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِينَ وَسَخَرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (سورة إبراهيم ٢٢ - ٢٣) ، وغيرها من الآيات التى تشير إلى هذا المعنى (٢٠) .

ب- والطريق الثانى لتسخير المخلوقات الأخرى للإنسان هو القدرة على التعلم التى وهب الله الإنسان إياها وبواسطتها يستطيع أن يخضع هذه المخلوقات لإرادته ويوجهها الوجهة التى تصلح من شأنه وتسد من حاجته، وقد عبر القرآن الكريم عنها بمثل قوله تعالى : -

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ يُسْرِحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشُقُّ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوُوفٌ رَّحِيمٌ ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة النحل ٥ - ٨) (٢١) .

- ولما كان النوع الثانى من التسخير - والذى للإنسان يد فى بعض نواحيه - مبنيا على النوع الأول ومعتمداً عليه - إذ لولا خلق الله العالم وما فيه لما كان هناك

مكان للإنسان ولا مجال لإستعمال قدراته - كان من الحق أن يكون كلاهما من فضل الله على النوع الإنسانى وهو ما تجده فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (سورة لقمان : ٣٠) ، وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الجاثية : ١٣) .

- وهكذا يتبين من العرض السابق أن الله خلق الإنسان من أجل وظيفة يؤديها فى هذا الكون وهى القيام بأعباء الإستخلاف فى الأرض ، كما أراد الله ولقد وهبه الله - كما بينا - كل ما يمكنه من القيام بهذه المهمة .

- ونأتى إلى الغاية من وجود هذا الإنسان فى الكون والهدف من أداء هذه الوظيفة تلك الغاية وذلك الهدف الذى يتمثل فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات : ٥٦) فعبادة الله إذاً هى الغاية التى يجب أن تكون هدف الإنسان فى حياته ، ولكن ما معنى هذه العبادة ؟

معنى العبادة فى الإسلام :

- إننا نعرف أن الإسلام لا يقر الإنقطاع الكلى عن العلم بإسم الدين وعبادة الله ، لان ذلك لا يحقق المهمة الأولى للإنسان فى الأرض وهى خلافته لله عز وجل كما بينا ، أن تعاليم الإسلام تأبى أن تحدد العبادة المطلوبة منا بما هو شائع من أن العبادات شئ والمعاملات شئ آخر، وهو ما يفهمه البعض من كتب الفقه الإسلامى عندما تفصل فى تبويبها بين العبادات والمعاملات ، وتأبى كذلك تعاليم الإسلام أن تحدد العبادة بأنها الصلة بين الإنسان وربه فحسب بغض النظر عن نوع الصلة التى تكون بينه وبين بنى جنسه ، وغيرهم من مخلوقات الله فى هذا الكون .

- وإذا كان ذلك كذلك .. فما المعنى المقصود بالعبادة ؟

إن العبادة التى يتطلبها الإسلام من أتباعه هى السير فى الطريق التى تؤدي إلى تحقيق خلافتهم عن الله فى الأرض، ومن لوازم هذا - بعد الإيمان بالله وأداء العبادات المشروعة والمقررة - الضرب فى الأرض والتعاون مع الغير وأداء الواجب والمحافظة على حقوق الآخرين وإستخدام ما سخر الله له فيما يرضى الله تعالى، والالتزام بأن يكون عضواً فاعلاً ونافعاً فى هذا الكون ومصلحاً إليه لا مقصداً فيه ، وهكذا يتضح لنا ذلك الارتباط الوثيق بين الوظيفة والغاية.

الوظيفة : هى تحقق مبدأ الإستخلاف القائم على النظر فى الكون والكشف عن أسرارهِ والتعريف على نواميس الله فيه، لتطبيق تلك الكشوف والقوانين فى استثمار

ثروات الأرض وإحكام السيطرة عليها ... وكل هذه الأمور هي من واجبات الإستخلاف، ولا تتوقف هذه الجهود عند هذا الحد فحسب وإنما ينبغي أن يكون ذلك كله طريقاً للإنسان للتعرف على خالقه وإعجازه في خلقه وهما من واجبات العبودية لله.

الغاية : تلك العبودية التي تمثل الضمان الوحيد لعدم إستخدام معطيات الجيد الإنساني والعلم والتقليدية في غير طاعة الله فضلاً عن سوء توظيفها في العديد من صور الفساد والإفساد المنتشرة في عالمنا اليوم .

- ومن هنا فإن الإنسان وفقاً للتصور الإسلامى لا يرى فى الكون عدواً له من الواجب أن يقهره ويقف فى وجهه ويتحداه ، وإنما يرى فيه خلقاً سخره الله له ينسجم معه بالطاعة ، كما ينسجم بتفهم السنن الإلهية التى تحكمه ويتوافق مع ظروفه بالالتزام بالحق ، كما يتوافق بتفهم القوانين التى تحكم تلك الظروف ويرضى بكل مجريات الأمور فيه بعد استنفاد طاقته وأقصى جهده لا رضاء المقهور ، ولكن رضاء المستسلم لله الذى يؤمن بأن أمور الكون ، وما فيه كلها بيد الخالق (١٩ ، ص : ٧٢) .

- ومن هنا فإن كل جهد للإنسان فى هذا الكون ينسجم مع الغاية التى من أجلها خلق يصبح جهداً مأموراً به شرعاً فى التصور الإسلامى ، والعكس صحيح فإن كل جهد لا ينسجم مع هذه الغاية يصبح لوثاً من ألوان الفساد والإفساد الذى يحاربه الإسلام ويؤثر من يقوم به .

ويرتبط بذلك أمران أساسيان هما :

أ- أن عبودية الإنسان لله : وهى جوهر الدين ومحور التدين وأولى عقائد الإسلام والمدخل إلى رحابه - هذه العقيدة الدينية العظمى على أهميتها هذه نجد أن الإسلام قد اعتبرها الحق الذى استوجبه الله سبحانه وتعالى على الإنسان لقاء إنعامه عليه بضرورات الحياة المادية والمعنوية ، فلقاء النعم المادية ولقاء نعمة " الأمن " استحق الله سبحانه وتعالى من الإنسان أن يفرد بالالوهية والعبادة قال تعالى : ﴿ لا يلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (سورة قريش) .

ب - الأمر الثانى : أن صلاح أمر " الدين " بهذا المعنى موقوف على صلاح أمر " الدنيا " ويستحيل أن يصلح أمر الدين إلا اذا صلح أمر الدنيا ، أى إلا اذا تمتع الإنسان بهذه الضرورات التى أوجبها الإسلام (٢٢ ص : ١٦) .

ويعبر الإمام الغزالي عن هذه الحقيقة الإسلامية عندما يقول : إن نظام الدين لا يعمل إلا بنظام الدنيا ، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل اليهما إلا بصحة

الأبدان وبقاء الحياة وسلامتها قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن ، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية ، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة متى ينفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتاها إلى سعادة الآخرة ، فأنن إن نظام الدنيا أعنى مقادير الحاجة شرط لنظام الدين (٢٣ ص : ١٢٥) .

رابعا : مكانة الإنسان المتميزة في البيئة

من أجل أداء الوظيفة الأساسية للإنسان - التي سبق الإشارة إليها - ومن أجل تحقيق الغاية التي خلق من أجلها كان لابد وأن يكون للإنسان موقفاً متميزاً بين غيره من عالم الأحياء الذين يشاركونه الحياة على كوكب الأرض ، فالإنسان في الواقع كائن حي يشترك مع الأحياء الأخرى بمجموعة الخصائص التي تعرف بمظاهر الحياة ، والإنسان يصنف ضمن العالم الحيواني لأنه يشترك مع الحيوانات بخصائصها الأساسية ، من حيث نمط بناء الجسم والأسلوب الذي تتم فيه النشاطات الحيوية ، إلا أن الله تعالى وهب الإنسان من الخصائص البيولوجية التي جعلت منه سيد الخلائق ، والتي يمكن أن نجعلها فيما يلي : (٢ ، ص ص : ١٢٩ - ١٣٢) .

١- انتصاب القامة : حيث أثر انتصاب قامة الإنسان في تكيفات عديدة في الهيكل والعضلات وتوزيع الأحشاء الداخلية ، ولعل من أبرز هذه التكيفات : المشي على قدمين وترك اليدين حرتين ليستعملان إستعمالات مفيدة ودقيقة ، ولعل الإنسان مدين إلى "القبضة الدقيقة" في اختراع الكتابة التي هي مجموعة من الأساليب يقوم بها الكلام المنطوق بطريقة رمزية تجعل من الممكن توفير الاتصال البعيد المدى على مدونات دقيقة وتوفير نظم التعليم والبحث ، وهذه كلها وظائف حيوية للثقافة الإنسانية ، والإنسان أيضاً مدين للتكوين الخاص ليداه الذي مكّنه من الوصول إلى عصر الحضارة العلمية والتكنولوجية ، التي هي سبيل الإنسان إلى فهم البيئة وتسخير القوى والطاقات الموجودة فيها لمصلحته .

٢- طول مدة إستكمال النمو بعد الولادة : إن هذه الميزة تجعل مدة الرعاية التي يحاط بها الإنسان كبيرة بالمقارنة بالرئيسيات الأخرى ، مما يساعد على أن يبدأ حياته وقد أخذ خبرات متعددة فالإنسان يحتضن صغيره حتى سن الحادية والعشرين ، مؤدباً ومعلماً وهي فترة تعادل ثلث حياته في المتوسط يتعرض فيها وبعدها لعملية تعلم مستمرة يتزود خلالها بأساليب الحياة الملائمة للبيئة التي يعيش فيها .

٣- تعقيد الدماغ : ونمو جهاز صوتي راق مكن الإنسان من النطق بلغة واضحة بيّنه ، كان لها الأثر في نشوء الثقافة الإنسانية ، التي جعلت من الصعب فصل

الإنسان البيولوجى " عن الإنسان الثقافى ، حيث أنهما متداخلان بشكل كبير، ومن هنا يرفض الكثيرون القول بأن الإنسان حيوان ناطق لأن الإنسان قادر على تحقيق درجة عالية من تمايز السلوك على أساس سيكولوجى ، يتجاوز كثيراً حدود التنظيم البيولوجى الصارمة التى نجدها فى بعض المجتمعات الحيوانية المنظمة كمجتمعات النمل والنحل - هذا هو الإنسان كائن حى فريد متميز بين أحياء البيئة المتعددة والمتنوعة لا يرقى إلى إمكاناته وقدراته أى منها، فهو غير مقيد فى بيئة واحدة بل يعيش فى كل البيئات ويغير فيها حتى تناسبه ولا يتغير من أجلها ، كما تفعل الحيوانات المتكيفة مع ظروف بيئتها .

- وإلى جانب هذه المميزات والخصائص البيولوجية ، فإن الله قد ميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية بعدة مميزات أخرى ، نذكر منها : -

أ- إن الله تعالى عندما خلقه نفخ فيه من روحه ، فهو الكائن الوحيد من بين الكائنات الحية الذى إختص بهذه الخصوصية ، قال تعالى : ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾ (سورة السجدة : ٦ - ٩) وهكذا فإن روح الله التى نفخت فيه تفضله عن سائر المخلوقات وتهيبه علاقته فريدة بخالقه أنه كائن قادر على السلوك العقلى والحكم على الأشياء والتقرير الإرادى والإختيار الأخلاقى .

ب- إن الإنسان هو كائن مكلف : وهى خاصية ينفرد بها الإنسان بين سائر المخلوقات والكائنات الحية قال تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (سورة الأحزاب : ٧٢) ، والأمانة كما يرى علماء التفسير هى أمانة التكليف ، حسب منهج الله تعالى : افعل ولا تفعل (٢٤ ، ص ٣٢) .

ج- أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يصنع الحضارة من بين المخلوقات جميعاً بما وهبه الله من خصائص وإمكانات تميزه عن غيره من المخلوقات ، هذه الخصائص جسمية كانت أو ذهنية مكنت له من التوصل إلى إكتشاف فوائد كثيرة فى أشياء متعددة مما كان حوله وتحت بصره كالنار وبعض المعادن، ومكنته من إبتكار أشياء أعانتها على تيسير حياته كالأسلحة والفخار ، وهذه الأشياء نفسها شحذت ذهنه ، وأطلقت عقله ، فمضى يستزيد من الأكتشافات والمبتكرات زماناً بعد زمان (٢٥ ص : ٣١) .

تفاعل الإنسان مع البيئة :

وتأسيساً على ما سبق ، يمكن لنا أن نقرر أن التفاعل بين الإنسان ، قدم ظهور الجنس البشرى على كوكب الأرض ، منذ أن هبط آدم ليلتقى بحواء على الأرض -

لتبدأ مسيرة الجنس البشرى على هذا الكوكب ، وتبدأ في نفس الوقت رسالة هذا الجنس كما أرادها الخالق .

وكما سبق أن أشرنا فلقد شاعت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يجعل من الأرض محورا للحياة الإنسانية في هذا النسق الكونى العظيم فغمرها بجميع ما يحتاج إليه الإنسان من نبات وحيوان وثروات طبيعية وطاقة ، وأدار الحياة على الكرة الأرضية في تناسق بديع وتوازن محكم لا تكاد تجد له شبيه في هذا الكون ، فتجسدت المعجزة الإلهية الكبرى في تجدد الحياة في دورات متتابعة متكاملة مكنت الإنسان من الاستفادة من الثروات الطبيعية الهائلة والتمتع بما في الأرض من مياه وغابات ومعادن وغيرها من المكونات الحية أو غير الحية، ومن تطوير حضارات متقدمة أثرت الحياة البشرية وأتاحت لها فرصة الإرتقاء بالجهد الإنسانى لتحقيق التنمية والتقدم المضطرب والرفاة للملايين من سكان هذا العالم ، وتحقيق التقارب الذى نعيشه بين أجزاء الكرة الأرضية بفضل التقدم الذى أحرزه الإنسان في وسائل الإتصال والمواصلات الحديثة (٢٦ ص ٨) .

وإذا نظرنا إلى علاقة الإنسان بالبيئة وتطور هذه العلاقة منذ بدء الخليقة ، لوجدنا أنها مرت بمراحل تروى على شكل قمة تعكس هذا التطور وندرة ظهور المشكلات البيئية وتعلدها ، كما تعكس تحول الإنسان في موقفه من البيئة المحيطة .

ويمكن استعراض تاريخ علاقة الإنسان بالبيئة والمراحل التى مرت بها هذه العلاقة بإيجاز على النحو التالى : (٢٧٨ ، ص ٢٠) .

(١) مرحلة الصيد والجمع : حيث كان الإنسان يعيش وحشياً معتمداً بالغابات يعيش على أغصانها وثمارها أول الأمر ، إذ أنه تميز في هذه المرحلة بالعجز والضعف عن حماية نفسه ، فلجأ إلى أمن الأشجار في الغابات ، وكان يجمع طعامه من ثمار النباتات أو أوراقه ، وكذلك يجمع ما يحتاجه للملبس والمسكن من ألياف الأعشاب على البيئة خيئاً وضعيفاً لا يجاوز أثر غيره من أكلات العشب أو الحيوانات التى تجمع العسل (رحيق الأشجار) أو بيض الشجر ، وكان الإنسان في هذه المرحلة مشغول بحماية نفسه من غوائل البيئة التى تهدده ليل نهار في صورة أمطار وعواصف وتلوج وحيوانات متوحشة الخ .

- ثم تحول الإنسان بعد ذلك بمرور الوقت وتطور الحياة البشرية إلى مرحلة أخرى يعبر عنه بمرحلة " الصيد والقنص " ويشير حسين مؤنس إلى هذه المرحلة ، حين يقرر قائلا : (٢٧ : ٧٠ - ٧٢) .

" ولا سبب لم يكشف النقاب عنها حتى اليوم بارح الإنسان الغابات والأشجار ونزل إلى البطاح وهام على وجهه فيها ، طالباً قوته بالصيد وجمع الثمار فإذا جن الليل لجأ إلى النيران والكهوف يحتوى بها ، وأنقضت دهور متطاولة وهو على هذه الحالة " .

والذى يهمنى التأكيد عليه فى هذا الصدد أن أثر الإنسان فى البيئة أصبح فى هذه المرحلة يجاوز أثر أكلات العشب التى تميزت به المرحلة السابقة ، وانتقل إلى أثر أكلات اللحوم ، وهكذا تقدم الإنسان خطوة إلى الأمام فى مجال علاقته بالبيئة وتفاعله معها وتأثيره فيها والبدء فى إحكام سيطرته على بعض إجراءاتها وعناصرها، حيث تعلم الإنسان فى هذه المرحلة أساسيات التخطيط للقنص والصيد ، لانه جهد يحتاج إلى العمل المشترك لجماعة متعاونة واستحدث الإنسان تكنولوجيا الصيد ، وطور أدواته من مصيد وفخاخ ورماح وأهم من ذلك كله أن الإنسان اكتشف فى هذه المرحلة النار وبها أصبحت له قدرة على التأثير البيئى تزيد بكثير عن قوته العظيمة .

(٢) مرحلة إستئناس الحيوان والرعى :

وفى هذه المرحلة تحول إطار العلاقات البيئية للإنسان تحولاً بالغاً ، حين حول الإنسان أنواعاً من الحيوانات من الحياة البرية إلى حياة الإعتماد على الإنسان وجعل من هذه الحيوانات قطعاناً متكاثفة العدد ومتكاثفة الأثر البيئى على الكساء النباتى ، وتعلم الإنسان حياة الرحلة الموسمية من المرباع إلى المصايف ، سعياً وراء التحولات الموسمية فى الكساء النباتى ، وتميزت هذه المرحلة بإتساع مدى تأثير الإنسان فى البيئة من حوله .

(٣) مرحلة الزراعة والإستقرار :

حيث إستكمل الإنسان - فى هذه المرحلة - سيادته على الأحوال والمكونات البيئية وبدأ يتحول من جمع الطعام إلى إنتاجه ، واستطاع أن يبدل الكساء النباتى البرى بألوان وأنماط من الكساء النباتى يزرعها ويفلحها وهو يستعمل مياه الأنهار وضبطها بما ينشئه من سدود وما يشقه من قنوات وترع لرى الأرض التى استزرعها ، وهو يبنى القرى التى يعيش فيها حيث تتكاثف الجماعة الإنسانية ، واستحدث الإنسان آلات الحرث والرى والحصاد واستخدام الحيوان فى عمله ، أى أنه استخدم مصادر القوة والطاقة البيولوجية ، بالإضافة إلى قوة عضلاته .

- ومما سبق نلاحظ أن الإنسان فى مرحلة الزراعة، أصبحت له آثار بيئية هائلة، وأنه أحدث تغيرات بيئية بارزة المعالم ، ولكننا نتبين أنه لم ينشئ فى عمله مواداً كيميائية

غريبة علي النظم البيئية ، وهذا يعني أن مخلفات العمل والحياة الإنسانية والنشاط البشرى ، كانت مما تستطيع الدورات الطبيعية ان تستوعبه وتجريه فى سلاسل تحولاتها بفعل الكائنات الأرضية التى تتم عمليات التحلل الطبيعى .

(٤) عصر الصناعة :

ثم يجئ عصر الصناعة وما اتصل به من عمران تميزت به حياة الحضر الصناعى عن حياة الريف الزراعى ، وأصبح فى إمكان الإنسان أن يعيش فى بيئة من صنعه بما يبنى من مساكن ، ويهيئ لها من وسائل التدفئة والتبريد والإضاءة ، وطوع الإنسان مصادر القوة والطاقة التى جعلت بين يديه من آلات الهائلة ما جعل الآثار البيئية إمتداداً على مساحة من الأرض وفى البحار والهواء وعلى جميع مكونات البيئة .

- ويجدر بنا أن نؤكد فى هذا الصدد على عدة أمور لها أهميتها فى مجال علاقة الإنسان بالبيئة فى هذه المرحلة : -

أ- أن الإنسان تمكن فى هذه المرحلة من استغلال مصادر حفرة للوقود هى الفحم والبتروىل ، وبذلك أصبح يحرق مواداً كربونية أكثر بكثير من قدرة النظم البيئية على الإستيعاب ونتج عن ذلك تزايد مضطرد من أكاسيد الكربون فى الهواء الجوى (تغير كى فى البيئة) .

ب- أن الصناعة أصبحت قادرة على إنشاء مركبات كيميائية طارئة على النظم البيئية غريبة عليها ، أى أن التحولات الطبيعية فى دورات المواد البيئية غير قادرة على استيعابها ، إذ أن النظم البيئية لا تشتمل على كائنات قادرة على تحليلها وإرجاعها إلى عناصرها الأولى كما تفعل بالمركبات العضوية الطبيعية .

ج- أن الإنسان أصبح يعتمد فى مجال توليد انطاقة على مصادر مفرية غير متجددة بالإضافة إلى المصادر المتجددة ، مما ينتج عنه خطر استنزاف هذه المصادر غير المتجددة للنظام البيئى (٢٨) .

- ومع تطور الحياة الإنسانية والتقدم العلمى والتكنولوجى الذى يحرزه الإنسان يوماً بعد يوم ازداد تأثير الإنسان على البيئة ، وتحكمه فيها ، وأصبح الإنسان يمثل فى نظر العلماء والمهتمين بالبيئة - مشكلة البيئة .

ولقد ترتب على تطور العلاقة بين الإنسان والبيئة العديد من المشكلات التى يمكن أن يميز أهمها على النحو التالى : -

١- النمو الانفجارى فى عدد السكان وما يترتب عليه من صعوبة توفير الغذاء ومتطلبات الحياة الأخرى فضلاً عن الأثر الذى يحدثها هذا العدد الهائل من السكان فى النظم البيئية .

٢- الثورة العلمية والتكنولوجية ، وتسارع التغيرات التي أحدثتها وتحديثها هذه الثورة فى البيئة وضخامتها وشمولية بعض أثرها ، حيث برزت قضيتان أو مشكلتان على جانب كبير من الخطورة هما : تلوث البيئة ، واستنزاف المصادر والموارد الطبيعية ، وهما قضيتان أبسط ما يمكن أن يقال عنهما أنهما تهددان حياة الأجيال القادمة .

٣- اختلال التوازن الطبيعى فى البيئة حيث تعرضت الأنظمة البيئية ولازالت تتعرض لتغييرات من صنع الإنسان لم تقدر فى الكثير من الأحيان على استيعابها فى سلاسلها ودوراتها الطبيعية ، كما أدى الى ارباكها أو تدهورها.

خامسا : مكونات المنهج الإسلامى فى رعاية البيئة

إن الله وهبنا الكون بكل مظاهر جماله وأنماط بنيانه لا لنلهو به ونعبث بل لنعيشه فى سلام ووثاق ، تلك حقيقة ينبغى أن تقرها بداءة ذلك لأنه إذا كان الإنسان - كما أشرنا - هو ذلك الكائن الحى الذى شاعت القدرة الإلهية أن تكونه وترفعه فوجد كثيراً من الكائنات الأخرى فسخرت له الوجود كله حتى يمكنه تحقيق خلافته لله على هذا الكوكب الأرضى ، فإنها قد حملته مسؤولية حمايته ورعايته ، ومن هنا كان على الإنسان العاقل الرشيد أن يقابل النعم بالشكر والعرفان لا بالجحود والنكران أو التمرد والعصيان ، إن الشريعة الإسلامية هى أعظم نظام للحياة وأنسب شرائع العالم حتى آخر يوم فى الدنيا ، إنها الشريعة التى نفت فوقية الظواهر الطبيعية ، فلم يعد لها قصر يودى بالإنسان إلى السجود لها ، كما كان يحدث فى عهود غابرة ثم هى أيضا دعت إلى معايشة هذه الظواهر الطبيعية والمكونات البيئية فى سلام وحسن جوار ونبذ كل صنوف العداء لعناصر البيئة أو إضاعة التناغم والانسجام الذى أودعه الله فى كل جزئية فيها .

إنها علاقة ألفة ومحبة واحترام وتواد تلك التى نظمها الإسلام بين الإنسان وما تحتويه بيئته من موجودات حية وغير حية ، إن الإسلام تتسع دائرته لتشمل كل نواحي الحياة فلا تجد خيراً أو سعادة إلا وقد وجه لها ودفع للأخذ بأسبابها ولا تجد فساداً إلا وقد نهى عنه وحذر منه ولعل دعوته إلى حسن تعامل الإنسان مع بيئته لواحدة من شمولية هذا الدين الحنيف .

ويمكن أن نجمل الجوانب الأساسية التى تشكل منهج الإسلام فى رعاية البيئة على النحو التالى :

تتصور أن هذا المنهج الذى يضبط علاقة الإنسان بالبيئة يتكون هيكله من ثلاثة أجزاء رئيسية هى : الأسس والأهداف والمنهج أو الإجراءات . وهذه الإجراءات فى الواقع مبنية على مجموعة من المعتقدات الإسلامية التى تحدد المنهج الإسلامى الذى يرمى الى تحقيق الأهداف الإسلامية فيما يتعلق بعلاقة الإنسان بالبيئة ويمكن أن نوضح النقاط الثلاث على النحو التالى :

أولا - الأسس (المعتقدات) :

وتقوم على أمرين أساسيين يشكلان حدود وضوابط علاقة الإنسان بالبيئة وهما : -

أ- الإيمان بنظام إسلامى فى السلوك والتصرف حيال البيئة .

ب- الإيمان بنظام إلهى فى الثواب والعقاب فى ضوء الالتزام بالسلوك الإسلامى من عدمه .

وهذا يعنى أن الإنسان مطالب (وفقا للتصور الإسلامى) بأن يقيم علاقته بالبيئة التى يعيش فيها ملتزما بألوان من السلوكيات والتصرفات التى رسمها المنهج الإسلامى المتمثل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، والتى تحكم هذه العلاقة وتضبط مسارها ، وإن هذا الالتزام بالنظام الإسلامى فى السلوك لن يتأثر إلا بعد الإيمان بنظام إلهى فى الثواب والعقاب ، والثواب لمن التزم بالسلوك الإسلامى نحو البيئة والعقاب لمن خالف هذا السلوك .

وفى ضوء هذا الفهم يمكن لنا أن نحدد الأسس التى يستند إليها التصور الإسلامى فى هذا الصدد فى النقاط التالية :

(١) تبصير الإنسان بنواميس الكون ومكوناته :

أ - التوازن الطبيعى للكون :

يوجب الإسلام على الإنسان أن ينظر ويتأمل ويتدبر فى نواميس الكون من حوله وتتجلى أهمية ذلك التوجيه إذا ما علمنا أن البيئة الطبيعية (الكون) تتميز بتوازن دقيق محكم يبين عناصرها المختلفة ، فلو أن ظرفا ما أدى إلى إحداث تغيير من نوع ما فى أحد هذه العناصر ، فإنه بعد فترة قليلة قد تؤدي بعض الظروف الطبيعية الأخرى إلى تلاقى آثار هذا التغيير ليعود النظام البيئى إلى صورة أخرى من صور التوازن ، ومن الأمثلة على ذلك أن النار إذا دمرت جزءا من إحدى الغابات ، فإنه بعد عدة أعوام قليلة تعود هذه الأرض التى احترقت أشجارها إلى طبيعتها الأولى تنمو بها الحشائش والأعشاب ثم سرعان ما تكتسى بالأشجار الباسقة مرة أخرى (٣ ص : ١٨) وهكذا فلقد خلق الله هذا الكون بمكوناته بمقدار وميزان وترتيب وحساب دقيق ،

بحيث يتلائم كل شئ مع مكانه وزمانه وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه فلا يعطل وظيفته أو يعوق سيرها لما خلقت له وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل ينتظم به سير الوجود كله بما فى ذلك الإنسان نفسه .

والأمثلة على ذلك كثيرة نعرض هنا لبعض منها : -

- فالماء مثلاً : باعتباره مكون من مكونات البيئة غير الحية خلقه الله بقدر وأنزله بقدر بحيث لا يقل عن حاجة الكائنات الحية فيكون الجذب والقحط والهلاك ، ولا يزيد عنها فيكون الفرق والضرر ولا تطفئ المحيطات على اليابسة ولا الملح على العذب وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ (سورة المؤمنون : ١٨) .

- والشمس : باعتبارها احد مكونات الكون أحسن الله خلقها لتؤدي وظيفتها فى امداد الحياة بالطاقة الضوئية والحرارية ولكنه خلقها بحيث تجرى إلى غايتها فى مدار محدود لا تصطدم بكوكب آخر ولا تقترب من الأرض قريباً يحرق أحياءها ولا تبعد عنها بعداً يحرمنها الحرارة اللازمة للحياة فيها . وإلى ذلك يشير القرآن الكريم ليبصر الإنسان بهذه الحقيقة فى قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (سورة يس : ٣٨ - ٤٠) .

وفى هذا الصدد يقول احد علماء الطبيعة : تدور الكرة الأرضية حول محورها مرة فى كل ٢٤ ساعة أو بمعدل نحو ألف ميل فى الساعة ، ولو افترضنا أنها تدور بمعدل مائة ميل فقط فى الساعة فماذا سيحدث عندئذ يكون نهارنا وليلنا أطول مما هو عليه الآن عشر مرات ، وفى هذه الحالة قد تحرق شمس الصيف الحارة نباتاتنا فى كل نهار وفى الليل قد يتجمد كل منبت فى الأرض (٢٩ ص ص : ٤١ - ٤٢) .

* سبحانه خلق فقدر : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ تَقْدِيرًا ﴾ (سورة الفرقان : ٢) ﴿ فَالْقُورْانُ الْإِنْشَاحُ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (سورة الأنعام : ٩٦) .

وهكذا فإن الإسلام يوجب على الإنسان أن تتناغم حركته فى الكون مع قانون التوازن بحيث تؤدي تصرفاته إلى الحفاظ على التوازن البيئى لا الإخلال به .

ب- الالتفات إلى مكونات البيئة :

حيث نجد فى القرآن الكريم العديد من الآيات التى تلفت نظر الإنسان إلى هذه المكونات حية كانت أو غير حية : فإلى الماء وأهميته كعنصر من عناصر البيئة يشير

القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأنبياء : ٣٠)
ولقد ورد ذكر الماء في القرآن الكريم ثلاثة وستين موضعاً وقد جاء فيها بمعان مختلفة .

- وإلى الأرض : يلفت نظر الإنسان في عدة مواقع : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا
وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ (سورة البقرة : ٢٢) ، وقوله : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (سورة الحج : ٥)

- وإلى الأنواع المختلفة من النباتات يشير القرآن الكريم في العديد من آياته :
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ، وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثُلُهُ وَالزَّيْتُونَ
وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة الإنعام : ١٤١) .

- وإلى الفضاء الكوني بما يحويه من مكونات وعناصر يشير قوله تعالى :
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابَ ،
مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يونس : ٦) .

- وإلى عالم الحيوان يشير القرآن الكريم بقوله :
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمٌّ أَثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ
شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (سورة الإنعام : ١٣٨) .
وغير ذلك كثير من آيات القرآن الكريم التي تلفت نظر الإنسان إلى ما يحيط به من
مكونات بيئية وتدعوه إلى أعمال فكره فيها واستثمارها في تحقيق أعباء الخلافة
وعماراة الأرض .

(٢) الإيمان بأن أي سلوك يصدر عن الإنسان لابد وأن يكون لصالح البيئة ومدعماً
لها ومضيفاً إليها ، وأن أي سلوك ضار بالبيئة هو سلوك مرفوض إسلامياً
يستحق به عقاب الله عز وجل يوم القيامة .

(٣) وفي المقابل فإن الإنسان في الإسلام غير مطالب بأن يقف مكتوف الأيدي أمام
النظم البيئية ومكوناتها وإنما هو مطالب شرعاً بأن يعمل ويتخذ الأسباب في
استثمار هذا المكونات لصالح البشرية ومن أجل حياة كريمة لبنى البشر على
هذا الكوكب .

ثانياً - الأهداف

وتتمثل في هدفين أساسيين بينهما إرتباط وثيق وهما : -

(١) تحقيق المنفعة الدينية والأخلاقية .

(٢) تحقيق المنفعة الدنيوية .

فالمنفعة الدينية والأخلاقية إنما تحقق بتحقيق الغاية التي من أجلها خلق الإنسان في هذا الكون وهي تحقيق مبدأ العبودية لخالق هذا الكون سعياً لكسب رضوانه وثوابه ، ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين خفاء....﴾ (سورة البينة : ٥) .

وأما المنفعة الدنيوية فهي تحقيق التنمية والتقدم في إطار التصور الإسلامي الذي يعتمد على ركيزتين أساسيتين ينبغي أن يتنبه لهما الإنسان المسلم في سعيه لتحقيق التنمية المرجوة وهما: -

أ- الإعداد الذاتي : ويتجلى في قوله تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (سورة الأنفال : ٦٠) .

فالآية تحث على الإعداد بكافة جوانبه ومجالاته إقتصادياً وإجتماعياً وبيئياً وسياسياً ونفسياً وعسكرياً وأخلاقياً وعلمياً ، مع التأكيد على الأخذ بأسباب العلم الحديث ، وابتكار الوسائل والأساليب التي تختزل آثارها الضارة بالبيئة (٣٠ ص : ٢٠٢) ولا شك أن سلامة البيئة يعد من العناصر الضرورية لتوفير مقومات الحياة المطلوبة شرعاً، والإهتمام بالبيئة بالوسائل الوقائية والعلاجية يعد خطوة ضرورية في سبيل تحقيق هذا الإعداد .

ب- التغيير الذاتي : والذي يتمثل بوضوح في قوله تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الرعد : ١١) .

والذي يوضح حد التغيير الإيجابي ، وقوله تعالى : ﴿.. ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها علي قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الأنفال : ٥٣) . على أنه ينبغي أن تلتفت النظر إلى أن التغيير المطروح في القرآن الكريم يمتد إلى كافة المساحات ، وسائر المكونات النفسية والجسمية والروحية والعقيدة والبيئية ، وكل العلاقات الداخلية والخارجة مع الذات أو مع الآخرين أو مع البيئة المحيطة والتي تمكن الإنسان المسلم من مواجهة حركة الحياة (٣٠ ص : ٢٠٢) .

ثالثاً - المنهج أو الإجراءات لتحقيق هذه الأهداف :

ويمكن القول أن المنهج الإسلامي في رعاية البيئة والحفاظ عليها يقوم على عدة مفاهيم أساسية :

١- مفهوم الاعتدال :

ونعني به الاعتدال والتوسط في تعامل الإنسان مع مكونات البيئة ، فلقد أجمع علماء العالم وفلاسفته على أن الإنسان يعد من أكبر عوامل اضطراب التوازن الطبيعي

فى هذا الكون ، ذلك التوازن المحكم الذى وهبه الله لكوننا الأرضى الذى شاء سبحانه أن يكون توازناً مضبوطاً بقوانين وأسس دقيقة فهو القائل : ﴿ وَأُنَبِّتُ فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ (سورة الحجر : ١٩) إلا أن الإنسان عاقلاً كان أو جاهلاً ، يتدخل فى دولاى البيئة بما يفسد عليها نظامها المحكم الدقيق ، وهو ينسى أو يتناسى أنه هو نفسه الضحية فى نهاية المطاف ، ولقد صور القرآن الكريم هذا الموقف وتنبأ به فى قوله تعالى : ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليزيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ (سورة الروم : ٤١) .

ومن هنا أمر الإسلام بالتوسط والإعتدال فى كل تصرفات الإنسان ، بل أن الإسلام هو دين الوسطية والإعتدال : قال تعالى : ﴿ وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (سورة الأعراف : ٣١) . فالإسلام لا يقر وقوف الإنسان مكتوف الأيدى إزاء النظم البيئية المحيطة به فإن ذلك يتنافى مع مهمة الخلافة ، وكذلك فهو لا يقر استنزاف هذه النظم والجور عليها بما يؤثر على التوازن البيئى ، وإنما على الإنسان أن يتعامل مع هذه النظم بما يمكنه من تطوير حياته ، وأن يضع نصب عينه أن يكون عنصراً فاعلاً فى المحافظة على التوازن البيئى ، لا أن يكون مسرفاً يعطى لنفسه كل شهوانها ، دون ضابط من عدل أو احترام لحقوق الناس وفق منهج الله .

وهكذا نهى الإسلام عن الإسراف " ولا تسرفوا " الذى يعنى الإفراط ومجاوزة الحد ووضع الشئ فى غير موضعه ، وسبق أن أوضحنا أن من أخطر نتائج عدم الاعتدال فى علاقة الإنسان بالبيئة هو تدمير التوازن البيئى ذلك التوازن الذى يعتبر أحد النواميس التى سنّها الخالق لإستمرار الوجود واستمرار الحياة على كوكب الأرض ، وأجمعت كل الدراسات التى دارت حول تلوث البيئة أن هناك علاقة وثيقة بين إسراف الإنسان فى تناوله المكونات البيئية وبين التلوث ، كما أن الإسراف يقضى إلى مشاكل بيئية أخرى متعددة لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده بل يمتد ليشمل باقى الأحياء التى تشاركنا الحياة على الأرض ، وخير وسيلة لتجنب الآثار البيئية الناجمة عن الإسراف واستنزاف الموارد الطبيعية دون فائدة أو دون ادراك لخطورة ذلك تكون بإتباع النهج السليم الذى سنته الشريعة الإسلامية ألا وهو القصد والإعتدال ، والذى أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ (سورة البقرة : ١٤٣) . وأشار إليه قول الإمام الشاطبى : (٢٢ ص : ٦٥) .

الشريعة جارية فى التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل ، الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه ، الداخلى تحت كسب العبد من غير مشقة ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضى من جميع المكلفين غاية الاعتدال .

(٢) مفهوم المسؤولية الجماعية :

بمعنى مسؤولية الجماعة البشرية في الحفاظ على البيئة ، ذلك لأن الضرر الناجم عن سوء التعامل مع مكونات البيئة لا يصيب المتسببين في هذا الضرر فحسب ، وإنما يصيب الآخرين الذين تقاعسوا عن القيام بدورهم في المحافظة على البيئة ومنع هذه التصرفات ، ولذلك أوجب الإسلام على أهل الخير أن يمنعوا أهل الفساد عن الإفساد ففي الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : " مثل القائم على حدود الله (الإنسان المستقيم) والواقع فيها (المنحرف أو الفاسد) كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء ، مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجو ونجوا جميعاً " (٣١ ص : ٢٩) .

ولقد روى الإمام مالك في الموطأ عن بى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا ضرر ولا ضرار " ، وقال " من ضارَّ لله به " (٣١ ص : ٢٨) .

وهناك قاعدتان يجعلهما كل مسلم أساساً في الحكم على كل ما يصدر عنه من قول أو فعل : الأولى هي " درء المفاسد " أى دفع الفساد ودفعه ومنعه حتى لا يقع بالبلاد والعباد فيؤذيهم ، ومنع الشرور والمحافظة على الفرد والمجتمع والبيئة من كل ما يعود عليهم من ضرر حيث لا ضرر بالنفس ولا ضرار بالغير .

أما القاعدة الثانية فهي " جلب المصالح " وبذل كل الجهود التي من شأنها أن تحقق منفعة للفرد والمجتمع ، على أن القاعدة الأولى مقدمة على الثانية ، ومن هنا تأتي أهمية مسؤولية الإنسان بل والجماعة المسلمة أمام خلقها لا عن الأمتناع عن الأضرار بالبيئة والإفساد فيها فحسب ، بل يتعدى الأمر ذلك إلى ضرورة منع الغير من الإضرار والإفساد بالنظم البيئية وذلك تحت قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففي الآية : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (سورة آل عمران : ١١٠) .

(٣) تقديم الجانب الوقائي على الجانب العلاجي :

اهتم الإسلام بإرساء الأسس والقواعد التي تنظم علاقة الإنسان بالبيئة والتي تجعل منه عضواً نافعا لا مفسداً فيها ، بأن يتفادى كل ما يمكن أن يحدث في البيئة من المشكلات قبل وقوعها خاصة إذا علمنا ان الإنسان في الواقع هو المشكلة الرئيسية للبيئة كما يقرر علماء البيئة ، وإن المشكلة البيئية هي مشكلة سلوكية في المقام الأول

ومن هنا اهتم الإسلام بضبط سلوك الإنسان وتصرفاته إزاء مكونات البيئة وعناصرها بما يجنبه الوقوع فى المشكلات التى يمكن أن تترتب على سوء تصرفه فيها .

ويمكن أن تذكر هنا بعض الأمثلة فى هذا الصدد :

أ- فى مجال الإهتمام بالنظافة العامة والصحة :

هناك العديد من التعاليم الدينية التى تنظم هذا الأمر ، فلقد نهى الإسلام عن قضاء الحاجة فى الطريق العام أو حتى فى الظل الذى به يستظلون وكذلك شواطئ الترع والأنهار والقنوات : ففى الحديث : " اتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد وقارعة الطريق ، والظل " (٢٣) وقد أطلق الحديث على هذه السلوكيات " ملاعن " لأنها تسبب لعن الناس لمن يفعلها ، وقد ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تسبب الأمراض الوبائية والمتوطنة وتساعد على انتشارها .

كما حث الإسلام على النظافة وأكد على أن " الطهور شطر الإيمان " وفى القرآن ﴿ وثيابك فطهر ﴾ (سورة المدثر : ٤) ، وقوله : ﴿ أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢) " ونهى الرسول ﷺ عن التبول فى الماء سواء كان راكداً أو جارياً (٢٣ : ص ٢٤) .

ولقد أمر الإسلام فى الوضوء للصلوات الخمس بغسل الوجه واليدين والأرجل ومسح الرأس والأذن ، كما طلب منا السواك والمضمضة والاستنشاق حفظاً للفم والأنف والأسنان ، ففى الحديث " لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " (رواه الشيخان) كذلك أمر الإسلام بغسل اليدين قبل وبعد تناول الطعام ففى الحديث : " بركة الطعام الوضوء قبله وبعده " (رواه أحمد الترمذى) .

وأمر بنظافة البيوت والشوارع ، وأوصى بالإمتناع عن إلقاء القاذورات فى الشوارع والطرق ففى الحديث : " نظفوا بيوتكم ولا تشبهوا باليهود التى تجمع الأكباء فى دورها " (رواه مسلم والترمذى) والأكباء أى القاذورات ، ويأمرنا بنظافة الشوارع ، وإمالة الأذى عن طريق الناس ففى الحديث : " من سقى الله ورفع حجراً أو عظماً أو شجراً من طريق الناس مشى وقد زحزح نفسه عن النار " (رواه مسلم والنسائى) .

ويقول أيضاً : " من أذى المسلمين فى طريقهم وجبت عليه لعنتهم " (رواه مسلم) وغير ذلك من التعاليم والتوجيهات الإسلامية ، ويكفى أن تعلم أنه ورد فى القرآن الكريم الفاظ التطهر والتطهير والطهارة فى أكثر من ثلاثين آية ، لإيجاب طهارة النفس المؤمنة والبيئة الإنسانية فى الظاهر والباطن .

ب- وفي مجال انتاج الغذاء والوقاية من المجاعات ونقص الغذاء : وهو من المشكلات البيئية فإن الإسلام أعلى شأن الزراعة وجعلها من أصول المكاسب ، ففي الحديث : " ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة " (رواه البخارى) وهو حديث يدعو صراحة إلى الاهتمام بالزراعة ويبين الغاية منها بالنفع للإنسان والحيوان ويرغب فيها .

كما نهى الإسلام عن ترك الأرض بغير زراعة وتبويرها : ففي الحديث : من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ، فإن أبى فليمسك أرضه " وفي الحديث أيضاً " من أعمار أرضاً ليست لأحد فهو بها أحق " (رواه البخارى) ، وشجع الإسلام على استصلاح الأرض " وكذلك جاء فى الحديث : " من أحيا أرضاً مواتاً فهي له " .

وأكثر من هذا بلغت عناية الإسلام بالزراعة والغرس وتعمير الأرض ، ان ينبهنا إلى ذلك حتى ولو بدت علامات القيامة ، ففي الحديث : " اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها " ، والأحاديث فى شأن رعاية النبات الأخضر والإبقاء على الأشجار والعناية بالنخيل عديدة ويضيق المقام عن سردها وتقصيها .

ج- وفي مجال المحافظة على مكونات البيئة وعناصرها : فقد عنى الإسلام بذلك عناية بالغة ، فلقد أمر بالرحمة والأشفاق على الحيوانات بإعتبارها أحد العناصر الحية فى البيئة ، ففي الحديث : " بينما رجل يمشى بطريق أشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ثم أمسكه بقبمه ، حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم لأجراً قال فى كل كبد رطبة أجر " وسمى الحيوان كبداً رطبة ، إشارة إلى جسده كله ، فهو رطب ما دام حياً ، فإذا مات جف .

وهكذا كلما أمعنت النظر فى نصوص الشريعة الإسلامية رأينا كيف ينهى الإسلام الإنسان عين العبث بالبيئة المحيطة به أو افسادها وكيف يحثه على المحافظة على مكوناتها ، بل ينهى عن الإفساد فى البيئة ، حتى فى أشد الحالات وأحلك اللحظات خلال المعارك والجهاد ضد الأعداء فيقول : الرسول صلى الله عليه وسلم أمراً جنده - والمجاهدين معه : " لا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً ولا تحرقوا نخيلاً ولا زرعاً " (رواه أحمد) وفى وصية أبى بكر الصديق لأسامة بن زيد حين وجهه إلى الشام يقول : " لا تخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تمسكوا ، ولا تقتلوا طفلاً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل ، وإذا

مررتم يقوم فرغوا لأنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم من أجله . (٢٢٣ - ٢٢٤) .

إنها لوصية فذة تحمل كل معانى القيم التى أراد أبو بكر الصديق من أسامة ابن زيد وصحبه الإلتزام بها وأنها فى فقرة منه " لا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بغيراً إلا للأكل " - تنم عن وعى بيئى عميق وهى فى ذلك بمثابة درس فى التربية البيئية جاء فى زمن لم تكن البيئة تشكو من تدخل الإنسان الجائر فى أنظمتها ، انه درس يجب أن يبقى فى ذهن وفكر كل من يخطط لبرامج التربية البيئية على أى مستوى .

كما أن دائرة الرحمة شملت أيضاً المحافظة على ما خلق الله من جمال فى المخلوقات كالحوانات ، فلقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن وشم الحيوان أو قطع بعض أجزائه ، فإذا به يرى حماراً ذات يوم وقد وشم وجهه فقال لعن الله من وشمه (رواه مسلم) .

أن الإسلام حين ينهى عن العبث بجماليات الحياة ووفق البيئة ، فإنه يفرض بذلك قاعدة جلية تُستمد منها التشريعات والقوانين ، ألا وهى الدعوة للعناية بالمخلوقات وكافة الموجودات التى خلقها الله فى البيئة خاصة إذا كانت لا تؤدى إلى إيذاء الإنسان وإيقاع الضرر به ، ثم تعويد الإنسان لأن يكون عنصر خير وعامل أصلاح فى بيئته المحيطة به ، وتعميقاً لهذه القاعدة الجلية يلفت الرسول نظرنا بقوله " عذبت امرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض " (رواه مسلم) .

وهكذا نهى الإسلام عن الإفساد فى البيئة ويحض على المحافظة على عناصرها ومكوناتها وبالنظر إلى البيئة على أنها نعمة الله للإنسان وعليه أن يحصل على رزقه ويمارس علاقاته دون إتلاف أو إفساد مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ (سورة البقرة : ٦٠) .

وما التلوث الذى نراه ونلمسه ونعيشه فى مكونات البيئة ماء كانت أم هواء أم تربة إلا مظهراً من مظاهر الإفساد فى الأرض الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾ ، (سورة البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٥) .

خاتمة :

وهكذا حاولنا فى الصفحات السابقة أن تلقى الأضواء على كيفية معالجة الإسلام وتنظيمه لعلاقة الإنسان بالبيئة على اعتبار أنها الوسط أو الإطار الذى يعيش فيه الفرد

(الإنسان) ليستمد مده مقومات حياته ويمارس فيه علاقاته ، ورأينا كيف أن الإنسان من المنظور الإسلامى إنما خلق المهمة وغاية أما المهمة فهي خلافة الله فى أرضه ، والخليفة مؤتمن على ما استخلف فيه ، والغاية هي تحقق العبودية لله تعالى ، بما يعنى ذلك من الإلتزام بالمنهج الذى وضعه الخالق للإنسان فى هذه الحياة .

وفى ضوء هذه المهمة والغاية .. تأتى علاقة الإنسان بالبيئة والنظم البيئية التى تمثل مكونات هذا الكون بما فيها من عناصر حية أو غير حية وتبين لنا أن – الإنسان يأتى على رأس قائمة هذه المكونات فهو الكائن المسيطر والمتحكم والمؤثر فى بقية المكونات ، ومن هنا كانت خطورة وضع الإنسان فى البيئة إلى الدرجة التى أصبح علماء البيئة والمهتمين بقضاياها يطلقون على الإنسان أنه (مشكلة البيئة) ومن هنا أيضا تأتى أهمية التعرف على منهج الإسلام فى رعاية البيئة وضبط تصرفات الإنسان وفقا لمقتضيات المنهج الإلهى الذى يشكل قوامه القرآن الكريم والسنة المشرفة .

وإذا كان العلماء والمفكرون والعاملون فى شئون البيئة يختلفون فيما بينهم فيما يتعلق بالأجراءات التى ينبغى اتخاذها لحماية البيئة ورعايتها والمحافظة عليها ، فهناك من يرى حماية البيئة عن طريق تكنولوجيات جديدة . وآخرون يركزون على التنظيمات التشريعية والقوانين الصارمة ، وهناك من يؤكد على تعديل أنظمة الإدارة البيئية وزيادة الإعتمادات المالية اللازمة لاجداث الاصلاحات المناسبة فى البيئة وبناء أنماط بديلة من التنمية تعتبر حماية البيئة ورعايتها بعداً أساسيا من أبعادها ، إلا أن الجميع يتفقون على أن الاهتمام ببرامج التربية البيئية يعد حجر الزاوية فى هذا المجال . ومن هنا تأتى أهمية دراسة المنهج الإسلامى فى رعاية البيئة على اعتبار أن ذلك يشكل جانباً أساسياً فى برامج التربية البيئية ينبغى التركيز عليه جنباً إلى جانب مع المحتويات الأخرى لهذه البرامج .

الهوامش

- (١) السيد عبد العاطى السيد " الإيكولوجيا الإجتماعية " دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ .
- (٢) رشيد الحمد - محمد سعيد صبارينى : " البيئة ومشكلاتها " سلسلة عالم المعرفة العدد (٢٢) ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أكتوبر ١٩٨٩ .
- (٣) أحمد مدحت اسلام : " التلوث مشكلة العصر " سلسلة عالم المعرفة ، العدد (١٥٢) يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت ، أغسطس ، ١٩٩٠ .
- (٤) على كامل فرج " البيئة والنظام البيئي " دليل الشاب فى رعاية البيئة ، المجلس الأعلى للشباب والرياضة ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- (٥) محمود سامى عبد السلام " مشاكل تلوث الهواء فى بعض البلدان العربية " فى " الإنسان .. البيئة .. التنمية " مؤتمر الخرطوم فبراير ١٩٧٥ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٥ .
- (٦) " مختار الصحاح " الطبعة الثامنة ، وزارة المعارف العمومية ، القاهرة ١٩١٩ .
- (٧) محمد عبد القادر الفقى " القرآن الكريم وتلوث البيئة " ، مكتبة المنار الإسلامية الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٨٥ .
- (٨) فيولا الببلاوى : " التربية البيئية ومقوماتها السلوكية " مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- (٩) William Stapp; "The Concept of Environmental Education" in The Journal of Environmental Education, Vol.1, 1969.
- (١٠) إبراهيم عبد الرحمن رجب وآخرون : " نماذج ونظريات تنظيم المجتمع " سلسلة قراءات فى تنظيم المجتمع ، الكتاب الثانى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٣ .
- (١١) Ronald C. Federic; " The Social Welfare Institution; An Introduction " (Lexington : DC. Health and Company, Third edition 1980) .

Dean H. Hepworth & J. Ann Larsen , Direct Social Work(١٢)
Practice: Theory and Skills" , (III, : The Dorsey Press, 1982)

Beulah Roberts Comptan & Burt Galaway; " Social Work(١٣)
Processes" (III : Dorsy Press 1975).

(١٤) محمد متولى الشعراوى " الطريق الى الله " ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة
١٤٠٠ هـ .

(١٥) محمد على الصابونى " مختصر تفسير ابن كثير " ج المجلد الأول ، المكتبة
الفيصلية مكة المكرمة ، بدون تاريخ .

(١٦) أحمد زين " حوار مع الشيخ الشعراوى " المختار الإسلامى للطباعة والنشر
والتوزيع ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٧ .

(١٧) ومن الآيات التي تؤكد علي معنى الإستخلاف قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيهَا
آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة الأنعام : ١٦٥) .

- ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ
لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ (سورة الأعراف : ٦٩) .

- ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة يونس ١٤) .

- ﴿ وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى الْبَشَرِ ﴾ (سورة النمل : ٦٢)

- ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة
النور : ٥٥) .

(١٨) رواه مسلم والنسائي :

(١٩) زغلول راغب النجار : " قضية التخلف العلمى والتقنى فى العلم الإسلامى
المعاصر ، " سلسلة كتاب الأمة ، تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشنون
الدينية بدولة قطر ، ط ١ ، الكتاب رقم (٢٠) ، اكتوبر ١٩٨٨ .

(٢٠) انظر ايضا قوله تعالى :

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ
الزَّعْتِ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخْلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ،

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴿ (سورة النحل : ١٠ - ١٢) .

- ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض ، وأنا علي ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين ﴿ (سورة المؤمنون : ١٨ - ٢٠) .
- ﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقي في الأرض رواسي أن تמיד بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبثا فيها من كل زوج كريم ﴿ (سورة لقمان : ١٠) .

(٢١) أنظر أيضا قوله تعالى :

- ﴿ وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وتري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴿ (سورة النحل : ١٤) .
- ﴿ والله جعل لكم من يوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعاً إلي حين ، والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴿ (سورة النحل : ٨٠ - ٨١) .

- ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴿ (سورة يس : ٧١ - ٧٣) .

- ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴿ ، (سورة الملك : ١٥) ، وغير ذلك من الآيات التي تذخر بها سور القرآن الكريم ولا يتسع المقام لحصرها . .

(٢٢) محمد عمارة : " الإسلام وحقوق الإنسان " سلسلة عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت مايو ١٩٨٥ ،

- (٢٣) أبو حامد الغزالي " الإقتصاد في الاعتقاد " مطبعة صبيح ، القاهرة بدون تاريخ .
- (٢٤) جلال العشري " الإنسان في الإسلام " مجلة الفيصل ، دار الفيصل الثقافية السعودية ، العدد (٥٩) السنة الخامسة ، مارس ١٩٨٢ .
- (٢٥) حسين مؤنس " الحضارة " سلسلة عالم المعرفة ، العدد (١) ، الكويت ، يناير ١٩٧٨ .

(٢٦) اللجنة العالمية للبيئة والتنمية " مستقبلنا المشترك " ترجمة محمد كامل عرف ، سلسلة عالم المعرفة ، الكتاب رقم (١٤٢) ، الكويت ، ١٩٨٩ ج .

راجع أيضا فى هذا العدد كل من : - رشيد الحمد - محمد سعيد صبارينى " البيئة ومشكلاتها " ، مرجع سبق ذكره ، ص ص : ١٣٤ - ١٣٨ .

- محمد عبد الفتاح القصاص : " الإنسان والبيئة " من منشورات اليونسكو بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ص : ٥١٥ - ٥١٧ .

(٢٧) حسين مؤنس " الحضارة " سلسلة عالم المعرفة ، الكتاب رقم (١) الكويت ، ١٩٧٨ .

(٢٨) حيث تصنف المصادر الطبيعية فى البيئة إلى ثلاثة انواع من الموارد هى :

أ- موارد دائمة : وهى المصادر التى لا تنضب ، مهما استهلك منها الإنسان وستظل متوفرة (حسب التوقعات العلمية) دائما وهذه الموارد من قبيل الشمس والهواء والماء .

ب- موارد متجددة : وهى المصادر الطبيعية التى تمتلك القدرة على التجدد باستمرار وتمثلها : النباتات وصور الحياة الأخرى وكذلك التربة .

ج - الموارد غير المتجددة : هى مصادر طبيعية لا تتجدد أو تجدد ببطء حيث توجد بكميات محدودة فى البيئة من شأنها ان تختفى ، ان أجلا أو عاجلا ، مثل الفحم الحجرى ، البترول ، الغاز الطبيعى ، والخامات المعدنية .

(٢٩) يوسف القرضاوى " وجود الله " مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

(٣٠) أحمد يوسف محمد بشير " القيم الدينية كمتغير للتخطيط لتنمية المجتمع المحلى " (رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الخدمة الإجتماعية ، جامعة حلوان) القاهرة ، ١٩٨٨ .

(٣١) وهبة الأصيلى : " حفظ الصحة وسلامة البيئة " ، مجلة الوعي الإسلامى تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، العدد (٢٧٩) ، نوفمبر ، ١٩٨٧ .

(٣٢) محمد عبد القادر الفقى : " الإسراف وتأثيره على البيئة واستنزاف مواردها " مجلة منار الإسلام ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة ، أبو ظبى ، العدد (٨) السنة (١٨) مارس ، ١٩٨٩ .

(٣٣) رواه أبو داود وأحمد ومسلم .

انظر : السيد سابق " فقه السنة " العبادات " المجلد الأول ، دار التراث العربى ، بدون تاريخ ، ص : ٢٤ .

الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية

د. محمد أحمد عبد الهادي

تلعب المهن دوراً هاماً في حياة المجتمعات الحديثة ، وعلي قدر ما تؤديه المهنة من أنوار ووظائف في المجتمع على قدر ما تكون مكانتها ومكانة العاملين بها ولا يقتصر الأمر على المهن التي تتعامل مع أشياء مادية محسوسة ، كالهندسة والطب والتجارة وغيرها ، بل يمتد ذلك إلى مهن جديدة أصبحت المجتمعات الحديثة لا تستغني عنها كالتربية ، والخدمة الاجتماعية ، ومهنة الخدمة الاجتماعية تستمد وجودها واستمرارها في أي مجتمع من تبنيتها للقضايا والمشكلات الاجتماعية التي تهم المجتمع ولم تعد أدوار الخدمة الاجتماعية قاصرة على المجالات التقليدية على الرغم من أهميتها كإعارة الأحداث والمعوقين والسنين ، بل بدأت تهتم بمجالات السياسة وحماية البيئة ، كما أنها تهتم بما يمكن أن يؤثر على مستقبل عملها المهني في المجتمع ، حيث تناول بعض الكتابات الآن تلك العوامل التي ستشكل مستقبل مهنة الخدمة الاجتماعية بتحديد ثلاث عوامل هي الدين والسياسة والاقتصاد ، وأن غياب المهنة عن فهم تلك العوامل والتعامل معها سيؤثر بشكل واضح على دور المهنة في المجتمع .

ولقد شكل الدين أحد الدعائم الرئيسية التي قامت عليها مهنة الخدمة الاجتماعية في الخارج وما زال يؤثر ويتأثر بممارسة الخدمة الاجتماعية هناك وسيتمدد في المستقبل بشكل أكثر وضوحاً على الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية ، ولذلك فليس غريباً علينا أن تهتم دراسات الخدمة الاجتماعية بالدين الإسلامي وتعمل على الاستفادة منه وإفادة المجتمع الإسلامي بما يمكن أن تقدمه مساهمة منها في حل مشكلاته وإشباع احتياجاته .

ويمكن القول بشئ كبير من الثقة بأن جذور الخدمة الاجتماعية لن تضرب في المجتمعات العربية والإسلامية طالما أنها بعيدة عن الدين الإسلامي ، ولن ترتفع مكانتها وتحل كثيراً من مشكلاتها المهنية التي تعوق العمل المهني ذاته فكراً وعملاً إلا بالارتباط بالاسلام ، فإذا كانت الخدمة الاجتماعية في الغرب تهتم بالدين والسياسة والاقتصاد ، فإن الإهتمام بالاسلام يكفي لأن فيه الاقتصاد والسياسة والعلاقات الاجتماعية التي ينظمها ويضع ضوابطها الاسلام الدين الشامل والكامل .

وإذا كانت الدعوة إلى الاسلام مسئولية كل مسلم فإن المسئولية تتضاعف أمام المهنيين بصفه خاصه ، نظراً للدور المنوط بهم والمكانة الاجتماعية التي يحظون بها على اختلاف مستوياتهم ، ومهنة الخدمة الاجتماعية كأحدى المهن الموجودة على المساحة في المجتمع المصري الآن يمكن أن تكون لها مساهماتها الايجابية في مجال الدعوة الإسلامية وهذا هو هدف هذه الدراسة الذي يتبلور في الدور الذي يمكن أن تقوم به الخدمة الاجتماعية في مساعدة الدعوة الإسلامية ، وستتناول في هذه الدراسة موقف

مهنة الخدمة الإجتماعية من الدين ، كما هو موجود فى ادبيات المهنة ، ثم نعرض لطبيعة العمل الإجتماعى المسيحى فى مصر نظرا لانتنا نراه أكثر اهتماما وقربا واستفاده من مهنة الخدمة الإجتماعية فى ذلك والمهارات التى يمكن أن تفيد الداعية وجهاز الدعوة الإسلامية .

أولاً : الخدمة الإجتماعية والدين : -

لم يعد هناك خلاف على أن الخدمة الإجتماعية قد تأثرت بالدين منذ نشأتها الأولى، كما أن هناك الكثير من الكتاب المعاصرين الذين كتبوا عن دور الدين فى الخدمة الإجتماعية بشكل غير مباشر مثل توى Towe ١٩٦٥، بيرلمان Perlman ١٩٥٧ - ١٩٧٩ ، فريد لاندر Friedlander ١٩٥٨ وهناك من ربط بين دور الدين فى الخدمة الإجتماعية بشكل مباشر وفعال على المستوى النظرى والتطبيقى منهم سبنسر Spencer ١٩٥٦ كينيث لوكاس Kenneth Lucas ١٩٦٠ وسالمون Salomon ١٩٦٧ وكوهين Coughlin ١٩٧٠ .

وتشير م . فنسيا جوزيف (١) M. Vincentie Joseph إلى أن الدوريات الرئيسية فى الخدمة الإجتماعية والتى تناولت الدين والخدمة الإجتماعية ، والتى ترى بضرورة عزل الدين عن الخدمة الإجتماعية كانت قليلة بينما هناك العديد من المقالات التى تناولت دور الكنيسة فى الخدمات الإجتماعية - علاقة الكنيسة بالولاية - متطلبات التمويل ودور المؤسسات الدينية - برامج الابراشية على مستوى المجتمع المحلى (شيرارد sherrad موراي Murray وكوهين Coughlin ١٩٦٥، وست هوز Westhu- es ١٩٧١ ، وتيكر Teicher ١٩٧٢، وجوزيف Joseph وكونراد Conrad ١٩٨٠، ونتنج Netting ١٩٨٢ ، وكان هناك مقالات تركز على الجذور الرئيسية للخدمة الإجتماعية والتوافق بين الدين والخدمة الإجتماعية (سبنسر spencer ١٩٥٧ ، ستروب Stroup ١٩٦٢) ولقد تعاملت بعض الكتب مع هذه النقطة (كيث لوكاس Keith Lucas ١٩٦٢ ونير Niebuhr ١٩٣٢ .

وإذا كان الدين يمثل حجر الزاوية بالنسبة للخدمة الإجتماعية مؤثرا فى قيم ومبادئ المهنة بالنسبة لماضى المهنة وتاريخ نشأتها ، فإن حاضر المهنة يظهر سيدة الإتجاهات الدينية المسيحية واليهودية على الكثير من الأنشطة والممارسات بل على الكثير من مدارس وكليات الخدمة الاجتماعية الأمريكية كمدارس الخدمة الاجتماعية الكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية (٢) .

ولقد لعبت المنظمات الدينية (المسيحية) دورا رئيسيا فى نشأة الخدمة الإجتماعية فى دول العالم الثالث أيضا حيث كانت نشأة مدرسة الخدمة الإجتماعية فى جامعة نيودلهى بالهند عن طريق جمعية الشابات المسيحيات TWCA وأنشئت مدرسة الخدمة الإجتماعية فى زيمبابوى Zimbabwe فى افريقيا عن طريق الجزويت ، كما أنشئت العديد من مدارس الخدمة الإجتماعية فى دول أمريكا اللاتينية عن طريق الجامعات الكاثوليكية (٢) .

وهناك من يرى بأن مستقبل الخدمة الإجتماعية مرهون بثلاث قوى حاسمة ومؤثرة وهي الدين والسياسة والإقتصاد وأن على الخدمة الإجتماعية أن تعد نفسها لمواجهة ما قد تحدثه تلك القوى فى المجتمع (٤) .

ومن حيث مستقبل العلاقة بين الخدمة الإجتماعية والدين فإن الأمر لم يعد يقف عند حدود المشاركة المهنية التى يتيحها خريجوا مدارس الخدمة الإجتماعية الكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية أو ذات الإتجاه غير المعلن الذى تمتلكه كليات ومدارس الخدمة الإجتماعية التى ترجع أصول نشأتها الى الكنيسة كما فى الهند وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بل تعدى هذه الدور ليشمل الحركة فى المجتمع المسيحى كله أو دفعها الى المسيحية .

ولقد كان أحد التغيرات الرئيسية التى ظهرت حد ثا فى النسق الدينى الأمريكى وفى انجلترا والذى يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عند ممارسة الخدمة الإجتماعية هو ذلك التحول الذى طرأ على وظيفة المنظمات الإجتماعية فى المجتمع حيث أدركت بأن لها وظائف أخرى فى تلك التى كانت تؤديها، فمعظم الكنائس قد توسعت فى أنشطتها لتشمل ممارسات ذات توجه اشتراكى وبدأت فى الاهتمام بالرعاية الإجتماعية والعمل مع المجتمع وأدركت معظم الكنائس مسئوليتها فى أن يكون لها نشاط دائم ومستمر وفعال مع الناس فى حياتهم اليومية ولم يقتصر نشاط الكنيسة على ما كانت تقوم به ايام الأحد ، ولقد بدأت يتنامى ظهور الطبقة المتوسطة واهتمامها بقضايا العمل المجتمعى من خلال الكنيسة وعلى نطاق المجتمع ككل وبحيث لا يقتصر على الواجبات التى كان يقوم بها الكاهن فى حدود أبرشيته ، ولقد شجع هذا الاتجاه رجل الدين المسيحى للسير فى هذا الاتجاه ، ولقد كان أحد الدوافع المشجعة لهم أيضا تلك القضايا الساخنة التى طرحت فى المجتمع الأمريكى خلال الستينات فيما يتصل بحركة الفقراء والتفرقة العنصرية مما حفز الكنيسة على أن يكون لها دور اجتماعى وسياسى فى المجتمع .

على أن هناك اتجاهات تعارض ربط الدين بالخدمة الإجتماعية فى الممارسات المهنية (٥) . ويبدى أصحاب هذا الاتجاه تخوفهم الشديد من سيطرة الاتجاه الأصولى.

Fundamentalism على الخدمة الاجتماعية ذلك لأن رجال الدين يرون بأنهم اقدر على إصلاح الفرد وحل مشاكله من أى مهني آخر ، كما أنهم رجال الدين (الأصوليون) يرفضون القاعدة العلمية التي تستند إليها الخدمة الاجتماعية في ممارساتها والتي تكونت عن طريق الممارسة المهنية الطويلة إضافة إلى الاستفادة من التطور الذي حدث في علم النفس وفي علم الاجتماع والإحصاء وغيرها من العلوم الانسانية.

ويبدو أن هذا التخوف له ما يبرره بالنسبة " للأصولية المسيحية " أو ما تسمى "بالعصمة" ذلك لوجود التعارض الواضح والتناقض البين بين الجوانب الدينية والجوانب العلمية وكما هو معروف تاريخيا فإن الكنيسة كانت تحارب أصحاب النظريات العلمية وتقوم بإعدامهم أو سجنهم لأنهم تابوا بنظريات علمية تخالف تعاليم الكنيسة بينما الإسلام لا يتعارض مع العلم ، بل هو يشجع عليه ويحث المسلمين جميعاً عليه ويعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولقد أجرى موريس بوكاي* دراسة أمتدت لأكثر من ثلاثين عاما تعلم خلالها اللغة العربية لتمكنه في هذه الدراسة من المقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة التوراه والانجيل والقرآن ، ليعرف مدى اتفاق أو تعارض تلك الكتب مع الحقائق التي كشف عنها العلم حديثا ، وتوصل من خلال هذه الدراسة - وهو مسيحي - إلى أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد فيه حقيقة واحدة تختلف مع ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات ونظريات على الرغم من كثرة الحقائق العلمية التي أشار إليها على عكس التوراة والإنجيل إذ وجد فيها الكثير مما يتناقض مع العلم الحديث (٦).

ولقد أصبح لزاما علينا في أى مجتمع إسلامي ان نفكر ونعمل في اتجاه ربط الخدمة الاجتماعية تأصيلا إسلاميا بالثورة المتكاملة التي يطمح فيها رواد هذا الاتجاه ، بل تستخدم الأساليب العلمية والمهارات الفنية المتاحة حاليا لخدمة قضايا المجتمع الإسلامي مع تجنب بعض مزالق التطبيق التي تطبق في المجتمعات الغربية والتي تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه ومما يسهل لنا هذا السبيل أن الخدمة الاجتماعية مهنة بالعقيدة ، وأن الدين بصفة عامة كان من ركائزها الأساسية وأن القيم الرئيسية بها لا تتناقض مع القيم الإسلامية ، بل إن سلامة التطبيق في المجتمع الاسلامي سيدفع بهذه المهنة قدما إلى الامام وسيزيد من رصيدها المعرفي والقيمي ، كما أن مشكلات العالم الإسلامي لا يمكن لها أن تنتظر طويلا حتى نفرغ من التأصيل الإسلامي بشكل كامل .

ولعل هذا الاتجاه الذي يتبناه الكاتب هو الذي دفعه الى أن يتصور بأن الخدمة الاجتماعية ، يمكن أن يكون لها دور واضح ومؤثر في مجال الدعوة الإسلامية والتي تقوم على أسس اجتماعية صحيحة لا تكفى فيها بالوعظ والإرشاد بالرغم من أهميته

- بل تتعدى الدعوة ذلك بأن تشاهد الخدمة الإجتماعية لداعية فى دراسة المجتمع دراسة علمية لمعرفة ظروفه ومشكلاته وتيسر له اكتساب بعض المهارات التى تقيده فى التعامل مع المجتمع بطريقة صحيحة لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية .

ولقد سبقنا إلى ذلك فى الوقت الحاضر أصحاب الديانة المسيحية فى مجال الدعوة لدينهم ، ويمكن للداعية المسلم أن يستفيد من أساليبهم خاصة فى ربطهم العمل الدينى بمحورين أساسيين هما العمل الإجتماعى والعمل السياسى واهتمامهم بمجالات التعليم والتثقيف إضافة إلى مجال تدريب القيادات التى تتحمل مسئولية الدعوة على المستوى الفردى أو الجماعى .

ثانياً : الدعوة الإسلامية والمسئولية المهنية للخدمة الإجتماعية :

إن مسئولية الدعوة إلى الله مسئولية كل مسلم بصفة عامة والرسول عليه الصلاة والسلام يقول " بلغوا عني ولو آيه " وهي رسالة موجهة إلى كل المسلمين ولكن تلك المسئولية لا تتساوى بين الناس بل تتفاوت بحسب امكانات وقدرات كل منهم ، ولقد أدت ظروف التطور الاجتماعى وتعقد النظم والعلاقات إلى ضرورة أن يتخصص بعض المسلمين فى هذا الاتجاه على أن تتوفر فيهم مقومات معينة ويكون لديهم علم كاف بالفقه فى أمور الدين وأحكامه وبالوسائل التى تساعدهم على نشرها بين المسلمين وتوعيتهم بذلك ، إلا أن الملاحظ لاسلوب الدعوة يجدها قاصرة بصفة عامة على المسلمين ، ودعوة المسلم للعمل بالاسلام تختلف عن دعوة غير المسلم ، كما أن الكثير من الدعاة يعتمدون على أسلوب واحد وهو الخطابة كوسيلة لنقل تعاليم الدين إلى الناس تمكنهم من ذلك خطبة الجمعة ، وعلى الرغم من أهمية هذه الوسيلة وعمومها بالنسبة لكل الدعاة والمسلمين إلا أن النجاح فيها مرهون بتوافر مقومات ومواهب خاصة اذا توفرت لدى الداعية كانت هى الأساس فى نجاح دعوته وإقبال الناس عليه .

ويتفاوت الدعاة فى ذلك تفاوتاً كبيراً ، واكتفاء الدعاة بالخطابة كوسيلة وحيدة للدعوة يفرغ الدعوة من مضمونها ويجعلها مجرد خطبة تلقى فى وقت محدد ينتهى أثرها مهما كانت بليغة بآنتهاء الموقف وينصرف الناس إلى شئونهم ومشاغلكم وربما يشغل البعض شيئاً مما قيل ولكنهم يظل الأمر على ما هو عليه من اهتمام بالشكل من جانب الناس أكثر من اهتمامهم بالجواهر أو بطريقة تعديل السلوك وكيفيةها .

ونحن نحاول هنا أن نتعرف على المقومات الأساسية التى يجب ان تتوفر لدى الداعية بحيث تعينه على أداء واجبه بشكل أفضل وتستطيع الخدمة الاجتماعية كمهنة أن تساهم فى ذلك بطريقة مباشرة وغير مباشرة .

وإذا كنا نعرف أن مسئولية الدعوة هي مسئولية كل مسلم فإن المسئولية تزداد بازدياد درجة التعليم وارتفاع المكانة الاجتماعية للمسلم بين قومه ولذلك فيجب ألا يكل المهنيون ذلك الأمر إلى الدعاة الموظفين ويقتصر أداؤهم لعملهم المهني فقط، فربما يكون تأثير الطبيب أو المهندس المسلم أكبر على المسلمين الذين يتعاملون معه بل قد يمتد إلى دعوة غير المسلم إلى الإسلام .

ويستطيع كل مهني أن يدعو إلى الإسلام حسب جهده وطاقته مباشرة وغير مباشرة شرط أن يكون حريصاً في سلوكه على القواعد والأصول الإسلامية فإن تصرفه كمسلم حقيقي يراعى الله على عمله ويحرص على ما ينفع الناس ولا يكذب أو يغش ويحرص على تأدية الشعائر في أوقاتها ويستهل عمله باسم الله ، كان ذلك خطوه أساسية وضرورية لإقناع الناس ودعوتهم ، بعد ذلك يعمل المهني عقله في كيفية توضيح الإسلام لمن يتعامل معهم ويكون ذلك حسب مقتضيات الموقف ، وليس معنى ذلك أن يترك الطبيب عمله ويدعو الناس للإسلام ومعروف سبقاً أن الدراسة في كلية الطب لا تحقق التخصص في هذا المجال ، وإذا توفر ذلك لبعض الأشخاص بحكم سعة اطلاعهم واستعدادهم الشخصي لذلك فإنه يمكن أن يؤدي دوره كطبيب ناجح وداعية ناجح ولكن ذلك لا يكون إلا استثناء .

وإذا أعمل المهني تفكيره في هذا الاتجاه يستطيع أن يصل إلى ما لا يصل إليه غيره يستوى في ذلك كافة التخصصات المهنية من طبيب إلى مهندس أو مدرس أو أخصائي اجتماعي كل حسب طاقته وجهده وإمكاناته أي حسب ما هو ميسر له كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إعملوا فكل ميسر لما خلق له " (الحديث) والأخصائي الاجتماعي إذا كان إعدادة العلمي والديني يسمح له بالعمل كداعية فإن ذلك من أنجح مجالات العمل بالنسبة إليه ، وأما إذا كان لا يملك تجاه هذا المجال إلا الاتجاه والنية فقط فإن هذا يكفي لأن يطرق هذا المجال ولكن من زوايا متعددة وتحت هدف مهني واضح هو مساعدة الدعوة الإسلامية على تحقيق أهدافها كمجال جديد من مجالات العمل الاجتماعي المهني للخدمة الاجتماعية .

دور الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية

أ- في دراسة المجتمع والتعرف عليه :

يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يقدم خدماته المهنية بشكل مباشر للجهاز القائم بعملية الدعوة الإسلامية أو للداعية وذلك بحكم تخصصه المهني في مجال الخدمة الاجتماعية والتي تقوم على الدراسة العملية للظواهر والمشكلات الاجتماعية بغرض المساعدة في حلها ، والداعية الذي يعمل مع المجتمع الإسلامي أو غيره يحتاج إلى فهم

ودراسة هذا المجتمع دراسة علمية قليلة ليحدد كيف سيتحرك معه والأسلوب المناسب له، والأخصائي الإجتماعى قد يقوم هو بهذه الدراسة والتحليل ويعاون الداعية علي فهمها والاستفادة منها وقد يعطى خبراته المهنية هذه للدعاة ويدربهم عليها ليقوموا هم بها عند الضرورة وعند عدم توافر أخصائي اجتماعى يعمل معهم ، إضافة الى القيام بتدريبهم علي بعض المهارات فى العمل الدعوى .

ودراسة المجتمع سواء قام بها الأخصائي الإجتماعى أو الداعية بعد تدريبه ، تهدف الى التعرف على طبيعة المجتمع الذى سيعمل معه الداعية هل هو مجتمع ريفى أو حضرى أو يجمع بينهما وطبيعة العلاقات الإجتماعية القائمة والقوى الإجتماعية المسيطرة وعادات المجتمع وتقاليده واتجاهاته السياسية والنظم الاقتصادية السائدة فيه والمنظمات الإجتماعية والرسمية الموجودة والخدمات القائمة وطبيعتها أهليه أو حكومية والحالة التعليمية وحجم القوى الإجتماعية كالشباب وبورهم ومنظماتهم واهتماماتهم ومشكلاتهم والقوى الإجتماعية ذات النفوذ واهتماماتهم وعلاقاتهم وأساليب عملهم العلنى والمستتر وطبيعة بناء القوى الموجود فى المجتمع ومراكز الثقل المؤثرة فى الحياة الإجتماعية بصفة عامة ، وتحديد أوزان بالنسبة لحجم وبور وتأثير كل قوه من هذه القوى .

والجانب الآخر الذى تهتم به فى دراسة المجتمع دراسة علمية هو مشكلات المجتمع الذى يعمل فيه الداعية ومعرفة طبيعتها هل هى مشكلات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ومدى أهمية كل مشكلة بالنسبة لغيرها وعدد الذين يتأثرون بهذه المشكلات والجهود التى بذلت لحلها والقوى التى شاركت فى الحل ونتائجه وأسباب الفشل فى علاجها ومعرفة اهم تلك المشكلات وترتيب المشكلات حسب اهميتها وخطورتها وحجمها والامكانيات اللازمة لها والامكانيات المتاحة والتى يمكن اتاحتها ومصدرها .

إضافة إلى ذلك يجب معرفة امكانيات المجتمع الذاتية المتاحة سواء قوى بشرية أو مادية اقتصادية أو أجهزة وخدمات قائمة ومدى فاعلية كل من هذه النظم ومعرفة معوقات تلك الأجهزة وكيفية تطوير أدائها والاستفادة منها وأثر ذلك على تنمية المجتمع والنهوض به ، ومن الامكانيات البشرية التى يجب معرفتها ومعرفة امكانياتها هي قيادات العمل الاجتماعى والسياسى فى المجتمع الذين يتولون مراكز رسمية حكومية أو أهليه.

ب- فى العمل مع المنظمات واليئات الإسلامية :

- هناك مؤسسات ومنظمات محلية ودولية غرضها الأساسى هو الدعوة الإسلامية ويقوم العمل فى الكثير منها على أكتاف قيادات متحمسة ذات اهتمامات وطموحات عامة فى الدعوة الإسلامية ولكنها تصطدم فى التنفيذ بالكثير من المشاكل والمعوقات

الإدارية التي قد تكون داخل المنظمة التي يقوبونها أو خارجها وقد تستنزف تلك المشكلات طاقات المنظمة وتبدها وقد تهتم بعض قيادات تلك المنظمات بالاستفادة من خبرات أخرى وغالبا ما تكون إدارية ولكنها تغفل الجانب الاجتماعي المهني المتمثل في الخدمة الاجتماعية ، رغم أنها تعمل في مجال العمل الاجتماعي الديني كالجمعيات الخيرية الإسلامية ، ومن المنظمات الدولية التي بدأت تأخذ بورا هاما في حياة المجتمعات الإسلامية رابطة العالم الإسلامي ومقرها الدائم مكة المكرمة وهي تهتم بأنشطة اجتماعية لها أهميتها في حياة الشعوب الإسلامية سواء بالنسبة لأفغانستان أو المتضررين من الجفاف في إفريقيا كما تهتم بالكثير من الأقليات المسلمة في بلدان أوروبا وأمريكا .

ويمكن أن يساعد الأخصائي الاجتماعي منظمات الدعوة الإسلامية في الآتي :-

١- الاهتمام بالتطوع والمتطوعين حيث يقوم المتطوعون في تلك المنظمات بالدور الأساسي في تنفيذ برامج المنظمة وتمويل مشروعاتها والخدمة الاجتماعية يمكن أن تفيد في هذا المجال بشكل واضح حيث أنها قامت في الأساس على الجهود التطوعية وتهتم طريقة تنظيم المجتمع بهذه الظاهرة وتعمل على تنشيطها ويمكن أن يتم في هذا المجال ما يأتي :-

- الدعوة لزيادة عدد المتطوعين باستخدام الأساليب الملائمة لكل فئة والنوعيات اللازمة والمؤثرة في عملية الدعوة الإسلامية كالتركيز على الشباب والمهنيين كالأطباء والمهندسين والاجتماعيين وغيرهم .

- تنظيم عملية التطوع وما يرتبط بها من عمل مقابلات وسجلات وتوزيعهم حسب قدراتهم واهتماماتهم وامكانياتهم .

- تدريب المتطوعين على العمل الذي سيوكل إليهم حتى يتم بالكفاءة المطلوبة .

- متابعتهم للمساعدة في حل المشكلات التي تؤثر على أدائهم لعملهم لضمان استمرار عطائهم التطوعي للمنظمة .

٢- الاهتمام بأساليب العمل التي تتم في تقديم المساعدات الاجتماعية وفي أنشطة المنظمة كافة بحيث تستفيد من أساليب العمل العلمي بطرق الخدمة الاجتماعية كخدمة الفرد في تقديم المساعدات الفردية وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع في العمل مع الجماعات والمجتمعات المحلية .

٣- هناك منظمات إسلامية كثيرة هدفها تقديم المساعدات للمسلمين كالمساعدات الاقتصادية والخدمات الطبية وغيرها ونجاحها في هذا المجال يجعلها تهمل عملية الدعوة الإسلامية ، ويجب ألا تغفل أهمية الجانب الاقتصادي والاجتماعي في

الدعوة ولكن يجب أن يكونا وسيلة إلى الدعوة الإسلامية وليس هدفًا في حد ذاتهما، والأخصائي الاجتماعي يمكن أن يساعد في عملية الاستفادة من تلك الخدمات وتوجيه القائمين عليها لتحقيق أهداف الدعوة ، وكما هو معروف أن حركة التنصير " منذ نشأتها تهتم بتقديم خدمات صحية وتعليمية في معظم المجتمعات ومازال هذا هو الاتجاه الغالب في أفريقيا وآسيا ، ففي أندونيسيا وهي دولة مسلمة نسبة المسلمين فيها ٩٠ ٪ من السكان تهتم المؤسسات التنصيرية بشئون التعليم فعلى سبيل المثال تقوم مؤسسة " مونتفورت فازر " ببناء المدارس ذات المناهج التنصيرية التي يدرس بها أكثر من أربعة آلاف طالب وطالبة ويعمل فيها بعض الرهبان الأمريكيين والقساوسة الأوروبيين ورجال التعليم بالإضافة إلى تظل تلك المنظمات في مجال الصحة والعلاج وكفالة الأيتام وتنشئة الأطفال كما تهتم بأعمال الطباعة والنشر وتوزيع المؤلفات التنصيرية عشرات الصحف والدوريات (٧) .

٤- الاهتمام بالتنسيق والتكامل بين المنظمات الإسلامية ويجب أن يساعد الأخصائي الاجتماعي الداعية أو الهيئة التي يعمل معها على ذلك ، والخدمة الاجتماعية تهتم بالتنسيق بين الهيئات الاجتماعية ولقد كانت عملية التنسيق بين المجالس والهيئات الاجتماعية التي بدأت في صورة جمعيات تنظيم الإحسان في عام ١٨٦٩ في لندن ثم في الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك - هي الأساس الذي قامت عليه طريقة تنظيم المجتمع كطريقة عملية في الخدمة الاجتماعية .

والملاحظ على الكثير من الجماعات الإسلامية أنه إن لم يكن فيها صراع أو خلاف فإنه ليس بينها أي نوع من التنسيق أو التكامل ، فكل يعمل بطريقته .

ولذلك يجب أن يعي الداعية أهمية التكامل والتنسيق بين هيئات ومنظمات الدعوة الإسلامية على كافة مستوياتها المحلية والدولية ، وأن يعمل الأخصائي الاجتماعي على إيجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف .

٥- الاهتمام بالمسجد باعتباره مركز الإشعاع الديني وتدعيم نشاطه الثقافي الاجتماعي ودراسة العوامل التي تؤثر على سلبية بعض المسلمين في أداء الشعائر فيه وربط المساجد بالمجتمع المحلي وبمشكلاته وقضاياها بشكل عملي والاهتمام بمجال رعاية الشباب عن طريقه والاهتمام بالزكاة وتنميتها واستثمار مواردها بالشكل الذي يعود على المجتمع بالفائدة وهي مصدر تمويل كبير إذا أحسن الدعوة إليها وتوعية المسلمين بقيمتها، وهناك تجارب بدأت منذ الستينات في تقديم المسجد لبعض الخدمات الاجتماعية والصحية في صورة عيادات متنوعة ومراكز للتدريب المهني ودور للحضانة وغير ذلك وهي تجربة جيدة حبذا لو أضيف إلى العمل بها الجانب المهني المتمثل في الأخصائي الاجتماعي .

كما يجب أن تتولى الخدمة الاجتماعية والداعية الاسلامى موضوع الكتابات وهى مكاتب تحفيظ القرآن - وذلك بتطوير بعض جوانبها على ألا يؤثر ذلك على جوهر عمليتها ، ويمكن فى ذلك استخدام بعض الأساليب التى تجذب الأطفال وتروح عنهم فى نفس الوقت كبعض الأنشطة الرياضية البسيطة وبعض الرحلات والاهتمام بالجوانب الاجتماعية كوسيلة للمساعدة فى تحقيق اهداف تلك المراكز ، ويجب هنا أن يعي الداعية أهمية مثل هذه المراكز فى تكوين العقيدة الإسلامية وأن يدرس باهتمام ما تقوم به الكنيسة فى مدارس الأحد وأنشطة الديرة كمراكز تعليمية وثقافية بجانب الأنشطة الدينية .

ج - فى العمل مع قيادات الدعوة الإسلامية :

لما كانت القيادة هى القدرة على التأثير فى الآخرين وتوجيههم نحو هدف معين فإن القائد يكتسب أهميته خاصة فى مجال الدعوة لأن الدعوة فى جوهرها هى تغيير فى الاتجاهات والسلوك نحو هدف محدد هو أن يصبح الإسلام عقيدة ومنهاج سلوك فى حياة الأفراد والمجتمعات ، ويتوقف نجاح الدعوة وانتشارها فى معظم الأحوال على وجود الداعية المؤثر الذى يتوافر فيه مقومات القيادة والمهارات اللازمة لها ، ولهذا نلمس فروقا واضحة ، بين داعية وآخر .

ولا شك أن الداعية يجب أن تتوفر فيه سمات خاصة طبيعية لا تتوفر لدى الكثيرين مثل الذكاء وحب الناس والقدرة على الابتكار وبعد النظر والقدرة على التأثير فى الآخرين والطاقة على الصبر والاحتمال والإصرار على تحقيق الهدف والقدرة على الإقناع وقبل كل ذلك الإيمان بما يدعو إليه وإخلاص النية لله سبحانه وتعالى فى دعوته وبجانب تلك الصفات الطبيعية هناك صفات مكتسبة يجب أن يعمل القائد على أن يدعم بها قدرته وهى العلم بما يدعو إليه والتفقه فيه واكتساب ثقافة واسعة حول موضوع الدعوة والإلمام بقدر الإمكان ببعض جوانب العلوم التى تخدم الدعوة وأساليبها ، وذلك بجانب المهارة فى الدعوة واستخدام الوسائل المناسبة لتحقيق اهدافها .

والمهارة فى الدعوة يمكن أن تتضمن مجموعة من المهارات الفرعية وهى تحتاج إلى المعرفة بها والتدريب عليها والأخصائى الاجتماعى يمكن أن يساعد بشكل واضح على تكوين وتنمية تلك المهارات لدى الداعية ، وهناك بعض الاعتبارات العامة التى يجب أن تراعى منها :-

١- يجب فى البداية أن يساعد الأخصائى الاجتماعى الداعية على تفهم امكاناته الذاتية والدور الملائم له فى الدعوة، والأساليب التى تساعد على تحقيق ذلك فالعمل الدعوى عمل متكامل فمثلا هناك من هو أقدر على الخطبة والتأثير بالكلمة المسموعة

على الناس وهناك من يتفوق فى الحوار والمناقشة وهناك من له تأثير بالكلمة المكتوبة أو البحث العلمى وهناك من يقود الناس فى مشروع معين يحقق فائدة ويحل مشكلة لهم وهناك من يستطيع أن يجمع أكثر من جانب من هذه الجوانب ، ومن المفيد أن يكون لدى الهيئة التى تتولى عملية الدعوة بيانات كافية عن كل الذين يرغبون فى العمل الدعوى وتوجيه كل داعية للمكان الذى يناسبه ومتابعته وتدعيمه ، حسب الظروف التى تواجهه .

٢- يجب ان يعطى الداعية اهتماماً كافياً بالواقع السياسى الذى يحيط به ويحيط بالمجتمع الذى يدعو فيها للإسلام وأن يبتعد عن المواقف التى قد تضر أو تعوق حركة الدعوة الإسلامية ، وكلما كانت حركة الداعية تتم من خلال انساق شرعية حكومية كلما كان ذلك أفضل كجمعية مشهورة ، والدعوة فى جوهرها عملية تربية وتغيير فى الاتجاهات وتحتاج إلى صبر وحكمة حتى تؤتى ثمارها والتعجيل فى الوصول الى النتائج يجهض الحركة ، بل إن القوى المعادية للدعوة الإسلامية ، قد تدفع جماعات الدعوة إلى مواقف صدامية بينه وبين السلطة أو بينها وبين أقلية معينة كالمسيحيين مثلاً فيما يسمى بالفتنة الطائفية ، أو قد تدفع الجماعات الإسلامية الى التناحر والخلاف العقائدى بينها حتى تتبدد طاقات هذه الجماعات وتستنزفها بعيداً عن أهدافها ، ولذلك يجب أن يكون الدعاة على وعى بمثل هذه الأمور وتنصرف جهودهم الى التنمية والبناء والتغيير الاجتماعى الذى يحقق أهداف الدعوة الإسلامية والفتنة السياسية لدى الداعية تجعله يحدد هدفه بشكل يتلائم مع طبيعة الظروف السياسية ويضع الخطط الكفيلة بتحقيقها والأولويات التى تتفق مع امكاناته والتى لا تضر بحركة الدعوة بناء على فهمه لهذا الواقع فقد يؤجل بعض الاهداف حتى يفوت الفرصة على خصومه ويجب الا يستدرج لبعض المواقف التى تؤخذ عليه ، فاستمرار الدعوة رغم بطلانها افضل من سرعتها التى تجهضها ، وبالطبع لا يعنى ذلك استخدام الداعية للأساليب الرديئة التى يستخدمها السياسيون من مداينة ومناورة وخداع فإن ذلك لا يتفق مع طبيعة العمل الإسلامى وجوهر الدعوة الإسلامية .

مهارات الداعية :

يمكن تقسيم المهارات التى يجب أن يتسلح بها الداعية إلى مهارتين رئيسيتين هما مهارات معرفية ومهارات قيادية وسلوكية سنتكلم فيهما بشئ من التفصيل :-

١- المهارات المعرفية :

يحتاج الداعية إلى معرفة وفهم ووعي بما يدعو إليه وهي الأساس في الدعوة فالدعوة تحتاج إلى أسلحة ثلاثة أول هذه الأسلحة ولاريب هو سلاح الإيمان فبدونه يبطل كل سلاح وتفشل كل ذخيرة ، وليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وثاني تلك الأسلحة هو الاخلاق ، وهي من لوازم الايمان الحق وثماره ، واكمل المؤمنين ايماننا أحسنهم خلقا ، وثالث هذه الأسلحة هو العلم و الثقافة فهذه هي العدة الفكرية للداعية بجوار العدة الروحية الأخلاقية والدعوة عطاء وانفاق ، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة كيف يعطى غيره ، وفاقد الشيء لا يعطيه ومن لم يملك النصاب كيف يزكى (٨) .

ونحن لا نقصد بالمهارات المعرفية المعرفة في ذاتها ، بل ان المعرفة هي الأساس الذي تقوم عليه رسالة الدعوة ولا بد أن تتكون لديه هذه المعرفة من مصادرها الصحيحة وهي القرآن والسنة وأن يكون حافظا للقرآن الكريم أو اجزاء منه ملما بتفسير ما يحفظ اضافة الى الفقه الاسلامي وأحكامه والتمكن في الحديث والسيرة النبوية وغير ذلك مما يعتبر اساس ثقافة الداعية والذي يحتاج إلى المتخصصين فيه والرجوع إلى المراجع التي تناولت موضوع الدعوة بشئ من التخصص والعمق (٩) .

والمعرفة الإسلامية بشمولها وتكاملها بالنسبة للداعية ليست موضوع بحثنا ولكن النقطة التي نوليها أهمية بالنسبة للمهارات المعرفية هي مايتأتى :-

- المهارة في نقل المعرفة :

فليس كل إنسان لديه معرفة معينة بقاير على نقلها للآخرين ، فهو كصاحب رسالة يجب ان يعرف الأساليب المناسبة لنقلها سواء من جانبه هو أو من جانب المستهدف بالرسالة ، فمن جانبه هو يجب أن يعرف كما قلنا مكاناته والجانب الذي يتميز فيه أكثر من غيره ومدى استعدادده وتمكنه من الفكرة التي سيدعو إليها ومن جانب المستهدف فيجب معرفة إذا ما كان جماعة أو أفراد والأسلوب المناسب لذلك والوقت الملائم لهم واللغة والأداة المناسبة لهم ، وألا يغالى في استخدام العبارات البليغة إلا في موضعها وان يستخدم قدر الإمكان بعض الوسائل الحسية التي تفيد في الموضوع الذي يدعو اليه، فعلى سبيل المثال كان الشهيد حسن البنا في بداية تأسيس الإخوان المسلمين في الاسماعيلية قد اختار أكثر المقاهى ازدحاما في الحى الوطنى من المدينة حتى إذا امتلأ في المساء نادى على الزبائن ليستمعوا له فحدثهم حديثا إسلاميا شائقا في دقائق معدودة ، وهكذا حتى ذاع صيته في الناس وازدحموا في المقهى كل يوم لسماعه، ورحب صاحب المقهى بذلك فأعد له منصه يلقي من فوقها موعظته اليومية

حتى جاء يوم فأطال الحديث ، وتناول قطعة من الجمر المشتعل المعد لتدخين " النرجيلة " قذف بها على الناس فانزعجوا وتفرقوا فإذا به يذكرهم بعذاب الآخرة ومسئولية الإنسان عما قدمت يداه فى دنياه حدثهم ساعتين فكأن على رؤوسهم الطير ، ثم انصرف وتركهم ساهمين واجمين إلا سته منهم تبعوه فى طريقه لبيته ، وقالوا مسئوليتنا فى رقبته ، فقد ايقظت فىنا شعورا لن يخمد من بعد ، ولسنا كما ترى فى مثل علمك ، كانت هذه المجموعة الأولى التى سمت نفسها الاخوان المسلمون التى أصلحت بأيديها مصلى خربا مهجور ليكون مقرها للتعلم والعبادة ولم يمضى وقت كبير حتى كانت منطقة البغايا فى المدينة قد اشترت (وكان البغاء وقتئذ مصرح به رسميا) وهدمت وقامت مكانها دار الاخوان مزودة بمدرسة ومشغل للسيدات وتابت الخاطئات وتزوجن جميعا .. (١٠) .

ومن هذا المثال يمكن أن نستخلص بعض الحقائق أهمها ، ان الحديث بدأ بالتدريج وكان يأخذ فى بدايته دقائق قليلة - على عكس ما نشاهده من إطالة مملة عند البعض الذى يتصدى للدعوة دون مهارة ووعى - ثم بدأ فى الوقت طالما أن المستمعين متشوقون للسمع ، وأنه استخدام شيئا حسيا كالجمرات وكان وقع استخدامها أفضل مما لو كان الحديث عن النار وجهنم حديثا لغويا فقط ، والنقطة الأهم من كل هذا هو تحويل الفكرة إلى واقع ، فتمثل فى خدمات وحل مشكلات اجتماعية خطيرة كانت تعصف بالمجتمع بأسلوب سهل وبسيط وبهذا يدخل الإسلام فى حياة الناس وواقعهم ولذا يحسن أن تكون الدعوة من خلال منظمة يتكامل فيها العمل الدعوى من خطابه وكتابه ومحاضرات مع نشاط اجتماعى وطبى واقتصادى ، أما إذا كان العمل الدعوى عملا فرديا ولا توجد المؤسسة لذلك فيحسن أن يكون الهدف منه هو هذا الشكل التنظيمى المؤسسى والشرعى كما حدث وتطورت فكرة الاخوان المسلمين على يد حسن البنا عليه رحمة الله كما أشرنا ، على انه قد تعجز امكانات الفرد عن ذلك ويكتفى بنشاطه الفردى فى الدعوة القائمة على الكلمة وانتعاش فيجب هنا أن يكون واعيا لاستخداماته من أدوات ووسائل ولكل مقام مقال فما يصلح فى الخطبة التأثيرية لا يصلح للخطبة التعبدية وأسلوب الخطبة يختلف عن المحاضرة ولجميع ذلك آداب ومتطلبات يجب أن يعيها الداعية . (١١)

- المهارة فى الحصول على المعرفة وذلك عن طريق التدريب على القراءة السريعة ومماومة الاتصال بالأفكار الحديثة والقضايا التى تشغل المجتمع ، وجميع البيانات والمعلومات وتكوين رؤية استراتيجية ومعرفة حركة القوى المناهضة للإسلام على المستوى المحلى والدولى والتعرف على أساليبهم وقراءة ما يكتبون ما يصلون إليه فى مؤتمراتهم وتكوين لجان بحث ودراسة والاتصال والتنسيق بمركز البحوث العلمية

وتكوين مكتبة علمية لأهم المراجع والكتب العلمية التي تفيد في مجال الدعوة والاستفادة مما يصل إليه العلم في التخصصات المختلفة بما يفيد قضية الدعوة الإسلامية على اختلاف مستوياتها .

٢- المهارات السلوكية والقيادية :

الدعوة لا تنتقل بالكلمة أو بالقول دون العمل فالعمل مكمل أساسي للدعوة بل ان العمل وهو السلوك الذي يسلكه الفرد في حياته مع الآخرين قد يعنى عن الكلمة ويقول صلى الله عليه وسلم " ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل " ولذلك يمكن أن نتناول المهارات السلوكية من خلال مجموعة من المهارات الضرورية لها مثل :-

أ- المهارة في التعامل مع الأفراد :

ويمكن للأخصائي الاجتماعي أن يفيد الداعية في فهمه لبعض دوافع السلوك وأهمية العلاقات الاجتماعية في الدعوة وفي اكتساب القدرة على الاستماع للآخرين ومساعدتهم على حل مشكلاتهم ، ودراسة بعض الحالات التي تفيد في هذا الاتجاه فتزويد الداعية ببعض الاسس العلمية التي تفيد في فهم سلوك ودوافع الافراد واتجاهاتهم وميولهم وكيفية التأثير عليهم والطرف المختلفة في ذلك تفيد الداعية فائدة كبيرة فالتأثير الفردي يكون أقوى وأكثر من التأثير في جماعة كبيرة مؤقتة كحضور ندوة أو محاضرة أو خطبة رغم أهمية ذلك .

- المساعدة في التعرف على الحالات التي تحتاج إلى المساعدة اقتصادية كانت أم جماعية أو نفسية ، وهناك ما يسمى في العمل المسيحي بالافتقاد " والافتقاد يعنى معرفة الحالات التي تحتاج إلى من يجلس معه ساعة أو ساعتين في اليوم يخفف فيه وحدته أو المريض الذي لا يجد من يرعاه صحيا لوحده وشيخوخته وهنا يكلف الشباب المسيحي بأداء مثل هذه الأعمال بطريقة سرية وبالطبع يتم الاختيار بدقة لمن يقوم بهذه المهام الشباب والشابات .

- مساعدة الداعية على أساليب التعامل مع نوعيات معينة من الأفراد ذوي التأثير أو من لديهم قدرات قيادية لتدريبهم على العمل الدعوى ممن لديهم استعداد لذلك لأن التعامل مع الناس لدعوتهم إلى الخير يحتاج الى تدريب على مواجهة الناس والحديث اليهم وكلما كان ذلك وفق برنامج مدروس كلما كان ذلك أفضل .

- الاستفادة من بعض أساليب العمل المسيحي الفردي كنسلوب معاشة الأسر خاصة في افريقيا * .

ب- الاهتمام بإعداد قيادات جديدة للدعوة :

تهتم الخدمة الاجتماعية اهتماما بالغاً بظاهرة القيادة الطبيعية " بقصد إنماء هذا النوع من القيادات بزيادة أعدادهم والاكتشاف المبكر لهم وتدريبهم لصقل مهارتهم في هذا الاتجاه ، ولأن الدعوة تقوم على القيادات الطبيعية المؤهلة لهذا النوع من النشاط فيمكن للخدمة الاجتماعية أن توفر البرامج التدريبية لهؤلاء الدعاة على مستويات مختلفة، وظاهرة أعداد الكوادر تعطىها المسيحية أهمية بالغة وسنذكر على سبيل المثال أحد البرامج المنقذه في اندونيسيا لعلها تفيد في هذا المجال (١٢) .

١- اسم المشروع : مركز التدريب النصراني في قرية تشيكيمبار ، سوكابومي - جاوا الغربية ومدينة ماجالينكا .

٢- أهداف المشروع : تزويد الكوادر بالمهارات المهنية والزراعية والفنية والصناعة يستعملونها كوسائل للاتصالات المباشرة مع عامة الناس كل حسب طبيعة أعمالهم .

- الإشراف على الكوادر التي تعمل بالمجتمعات المحلية مع إيجاد علاقة قوية بالمجتمع المحلي لنشر المفاهيم المسيحية والإيحاء لهذا المجتمع بأن المسيحية دين طيب بدليل تلك الخدمات الإنسانية التي يؤديها للناس .

- الإيحاء للحكومة النظامية بأن النصاري يخدمونهم في تطوير الوطن بدليل تلك الخدمات التي يقدمونها للناس .

- تأليف قلوب الكوادر من مختلف المحافظات وتبادل الأفكار والخبرات بينهم .

٣- خطوات المشروع :

- إعداد أرض مساحتها ٥٠ فدان لتلك الأغراض .

- تقسيم الأرض بعد استقطاع مبان للسكن والإدارة ودار للضيافة والمستودع وغيرها إلى أقسام لزراعة الأرز - القرنتفل والبن والذرة والفول والبرتقال والأناس إضافة إلى جزء لتربية الماشية والدواجن .

٤- التدريبات وتشمل :

العلوم الاقتصادية - العلوم البيئية والصحية والتربوية والإدارية والأعداد النفسى إضافة إلى العلوم المهنية المختلفة وعلوم الإسكان وجميع هذه العلوم تدرس نظرياً وعملياً بحيث يتصلون مباشرة بالناس خلال فترات التدريب .

وتتم خطوات التدريب كما يلي :-

- النزول إلى الناس والعمل معهم بشكل مباشر .

- أن يكون التأثير فى الناس عن طريق القدوة الحسنة .
- مدة العمل ثلاث سنوات الزامية بعد التخرج إلا اذا تزوج الشاب أو تزوجت الفتاة من أهالى المنطقة .
- لابد من إعداد البديل قبل ترك المنطقة بعد انقضاء الفترة المطلوبة وان يكون البديل من أبناء المنطقة وذلك حتى لا يكون هناك فراغ .
- ومن المبادئ العامة التى يلتزمون بها عند العمل ما يأتى :-
- عدم الصراع مع بعضهم البعض (الكاثوليك والبروتستانت) .
- تجنب الصدام بينهم وبين المسلمين (لشعورهم بأنهم أقلية) .
- تجنب الصدام بينهم وبين الحكومة النظامية (لحاجتهم إلى الجماعة) .
- الاهتمام بالأمور التالية :-

* البناء الداخلى والاعتماد الذاتى .

* مشاركة الحكومة النظامية فى البناء والتعمير .

* دراسة العلوم الأخرى المساعدة بجانب دراسة الإنجيل ونشره .

* تنشيط بناء الكوادر وتوزيعهم إلى جميع أنحاء اندونيسيا للعمل والاتصال المباشر بالناس ومتابعة شئون ودارسة احتياجاتهم وحل مشكلاتهم وما يمكن تقديمه من المساعدات .

ويمكن فى إطار الاهتمام بالقيادات وتدريبها أن تولى الخدمة الاجتماعية عن طريق الأخصائى الاجتماعى تزويد الراعية بالمهارات التالية :-

١- المهارة فى المقابلة .

وذلك حتى يجرى الدعية مقبلاته مع الأفراد الذين يدعوهم مباشرة إلى السلام أو يستفيد من جهودهم فى الدعوة أو يساعدهم فى حل مشكلاتهم لأن للمقابلة أصولاً علمية وفنية حتى يمكن أن تحقق الغرض منها كمدة المقابلة والأسئلة التى توجه وطريقاتها والمناطق التى توجه إليها الأسئلة وملاحظة استجابات الشخص الذى يتم مقابلته والاستماع إليه والوقت المناسب لتوجيه الأسئلة وبداية المقابلة ونوع الأسئلة وملخص المقابلة .. كل ذلك موضوعات يمكن للأخصائى أن يساعد الداعية فيها بشكل مؤثر وفعال .

٢- المهارة فى عقد الاجتماع .

قد يكون الداعى هو الذى يدير الاجتماع مع جماعة من الناس أو مجموعة قيادات أو غير ذلك وهو هنا يحتاج إلى مهارة فى إدارة الاجتماع يمكن للأخصائى الاجتماعى

ان يساعد فيها ويدون فى ذلك مثلا الوقت المناسب للاجتماع والإعداد له من حيث الموضوع والمادة التى ستناقش فيه والمكان الذى سيعقد فيه وكيفية تسجيل مما يدور فى الاجتماع وتوجيه الأسئلة ومعرفة ديناميات الأعضاء واتجاهاتهم ومدى التفاعل الايجابى أو السلبي بينهم ومواقف كل منهم وكيفية التدخل لتذويب الحساسيات والمقاومة من البعض وتحديد المسئوليات والواجبات وإتاحة الفرصة لكل عضو بالمشاركة الايجابية فى المناقشة والمسئولية وغير ذلك من الأمور الهامة التى لا غنى عنها للداعية حتى تثمر تلك الاجتماعات وتوجه بشكل ايجابى للدعوة .

٣- المهارة فى العمل من خلال فريق

حيث يشيع فى مجتمعاتنا الاتجاه إلى العمل الفردى بين القيادات بصفة عامة وهذا لأسلوب يودى إلى تفتيت القوى وعدم تكاملها وربما إلى الصراع الذى يصل إلى هدم ما بينه الآخرون ومبما قلت سلبيات هذا العمل الفردى فإنه يحرم الداعية من جهود عناصر مختلفة لها تأثير ربما يكون أقوى من تأثير الداعية كفرد ويجمع الكثير من القدرات والخبرات فى اتجاه الدعوة مما يكون له تأثير أكبر ولذلك فدور الأخصائى الاجتماعى هنا هو تدريب الداعية على اكتساب خصائص العمل الجماعى وعدم التركيز على الذات خاصة ان الداعية يجب ان تكون نيته خالصة لوجه الله تعالى وبالتالي فهو ليس يحرص على الظهور وإسناد الأعمال إليه ، وهذا العمل الفريقى يسد ثغرة كبيرة فى مجال العمل الاجتماعى لو أحسن استخدامه وتنظيمه حيث يتم الاستفادة من كافة المهنيين كالطبيب والمهندس والمحامى ورجل الاعلام والقيادات الحكومية والشعبية كل فى موقعه وحسب ما تسمح به قدراته فى خدمة الدعوة .

٤- المهارة فى عقد المؤتمرات

لا غنى للدعوة عن عقد المؤتمرات الإعلامية أو العلمية حسب الحاجة لكل منهما ولكن عقد المؤتمر يحتاج إلى مهارة عالية فى الإعداد والتنظيم والتنفيذ والمتابعة حتى يحقق الغرض منه ، وتلعب المؤتمرات أهمية كبيرة فى تعبئة رأى العام تجاه قضية معينة وتوجيه النظر إليها ، كما تلعب المؤتمرات العملية بالذات دورا مؤثرا ويشكل أعظم وله صفة الاستفادة المستمرة من نتائجه، ويكفى أن نشير إلى أحد المؤتمرات الحديث الذى عقد فى الثمانينات فى مدينة كلوراو بالولايات المتحدة الامريكية وسمى بمؤتمر الألف مليون دولار وهى قيمة ما جمع من تبرعات رصدت لعملية تنصير المجتمعات الإسلامية ، واقتصر الحضور فيه على العلماء من نوى التخصصات المختلفة وقدم فيه أربعون بحثا علميا تناولت كافة القضايا المتعلقة بتنصير تلك المجتمعات (١٣) .

والأخصائي الاجتماعي يمكن أن يسعد الدعاة في اكتسابهم المهارات اللازمة لنجاح مثل هذه المؤتمرات في الإعداد والتجهيز لها قبل موعدها بوقت كاف واختيار الموضوع ونوعية المشاركين فيه والوقت المناسب له والمكان الملائم وتشكيل أمانة المؤتمر واللجان اللازمة والأبحاث المقدمة والجلسات العامة الافتتاحية والخاتمة والتمويل والإعلام وكل ما يلزم لإنجاح المؤتمر ..

الهوامش

1-M.Vencentia Joseph: The Religious and Sipiirtnal Aspects of Clinical Practice : A Neglected Dimension of Social Work Social Thought, Wenner, 1987, pp.12 - 23)

(٢) انظر للبحث : الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ٩ - ١٤ ، ١٩٨٨ ، الفصل الاول ، ص ٩ - ٤٤ .

3- See : Midgley, J. Professional Imperialism: Social Work in the Third world (London: Heinemon)1981.

4- Betty J. Peccard: An Introduction to Social Work (the Dorsey Press Hoolwood, Illinois) 3ed.1983), P 158.

5-Jemes Midgley and pual Saazenbach : Social Work Religion and the Global Challenge of Fundamentalism , International Social Work (SAGE, London , New Bury Park and New Delhi) Vol .32 (1989), P.P.273 - 287.

(*) الأصولية Fundamentalism هي حركة عرفت في البروتستانتية في القرن العشرين تؤكد على ان الكتاب المقدس معصوم من الخطأ لا في قضايا العقيدة والأخلاق فحسب ، بل أيضا في كل ما يتعلق بالتاريخ ومسألة الغيب كقصة الخلق وولادة المسيح بن مريم ويلاحظك أن هذا الوصف " الأصولية " يطلقه الغرب على الحركات الإسلامية التي تريد تطبيق الشريعة الإسلامية ويلاحظ هنا الخلط بين المفهومين رغم تبينهما .

(**) موريس بوكاي ، طبيب مسيحي فرنسي اهتم في بدء حياته بالدراسة المقارنة للأديان ودفعه تخصصه العلمي كطبيب الى بحث المسائل العلمية ليتحقق عن طريقها من صدق الكتب الدينية المقدمة لانه من غير المنطقي أن يكون كلام الله متعارضا ومتناقضا مع ما خلق .

٦- انظر موريس بوكاي : التوراه والانجيل والعلم ، ترجمة حسن خالد ، المكتب الإسلامي بيروت ط ٢ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

- مناظرة الاسلام والنصرانية - مناقشة مجموعة من رجال الفكر من الديانة الإسلامية والنصرانية الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٧ هـ

- محمد أبو زهرة : محاضرات في التصرانية الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤ .

- يوسف القرضاوى : الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

(٧) مجلة الامة العدد ٦٥ ، جمادى الأول ١٤٠٦هـ ، يناير ١٩٨٦م ص ٤٦ ، نقلا عن مجلة ارساليات التنصير البروتستانتى التى تصدر فى سويسرا .

(٨) يوسف القرضاوى : ثقافة الداعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ١١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص ك: ٧ .

(٩) أنظر على سبيل المثال : يوسف القرضاوى : ثقافة الداعية ، مرجع سابق، خاصة ص : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

- عبد البديع صقر : كيف ندعو الناس ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

- على جريشة : الدعوة والداعية ، دار الطبعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- فتحى يكن : مشكلات الدعوة والداعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(١٠) حسان حتوت : من سير الرجال : حسن البنا رحمة الله ، مجلة الأمة ، العدد ٥٥ ، رجب ١٤٠٥هـ - ابريل ١٩٨٥م ، ص : ٢٦ .

(١١) أنظر - عبد البديع صقر : كيف تدعو الناس ، المكتب الإسلامى .

- حسين بن محمد بن على جبر : الطريق الى جماعة المسلمين، دار الوفاء المنصورة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ص ص : ٢٥٧ - ٤٢٥ .

« فتاة جاءت من الولايات المتحدة الأمريكية للعمل فى إطار إحدى المؤسسات التنصيرية ، وعاشت مع إحدى الأسر الزنجية البسيطة فى منطقة الحبوب وأصبحت تحمل اسم الأسرة وتعيش حياتهم العادية وبدأت تذهب الى الكنيسة يوم الأحد من كل اسبوع ، وفى المرة الأولى ذهبت معها الابنة الكبرى فى الاسرة لتؤنسها فى الطريق ، فاستقبلت استقبالا حارا كان قد أعد لها من أعضاء الكنيسة ، وقدمت إليها الهدايا ، وهكذا أصبحت فى كل أسبوع تصطحب معها فردا من الأسرة ، وبعد ثلاثة شهور أصبحت الاسرة كلها

تذهب بانتظام إلى الكنيسة ، وشاب آخر في أمريكي يدرس إحدى الجامعات هناك جاءت به منظمة " كاريثاس " للمساهمة في مشروع زراعى فى إطار خطة التنصير التى يقوم بها وكان يلبس اللباس الموريتانى ، وقرر أن يظل فى موريتانيا ولا يعود الى أمريكا ليعمل فى مجال التنصير .

(١٢) التقرر المختصر لبعض النشاطات التنصيرية فى اندونيسيا لعام ١٤٠٥ / ١٩٨٥ صدر عن المجلس الأعلى الاندونيسيا للدعوة الإسلامية شوال ١٤٠٩ - مايو - مايو ١٩٨٩

(١٣) الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر فى المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، فرع الرياض ١٤١٠هـ . .

المدخل الوقائي للخدمة الاجتماعية فى رعاية الطفل إسلامياً

د. زين العابدين محمد على رجب

لا شك أن شخصية الإنسان الفرد - مهما قيل فى تكوينها - ما هى فى النهاية إلا المحصلة النهائية التفاعلية للعديد من العوامل الوراثية والبيئية بأشكالها المختلفة ، ولا أقول كما يقول الآخرون ، إنها تبدأ منذ اللحظة الأولى لعملية الإخصاب داخل رحم الأم^(١) . ولكن فى تقديرى أنها تبدأ قبل أن يبدأ التزاوج الفعلى - فى المرحلة التمهيدية له - حيث يتأثر تكوين الإنسان بالبيئة الوراثية والاجتماعية والعرفية المختارة تأثيراً كبيراً

ولقد أكد العلم الحديث ما أقره الإسلام فى الكتاب والسنة منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، حيث أكد الإسلام أن اختيار البيئة الاجتماعية التزاوجية أمراً ضرورياً يتبعه العناية بالبيئة الرحمية أمراً أكيداً لا جدال فيه وكذلك الوسط الاجتماعى البيئى الذى يرمى هذا النشأ .

وقدأ وضحت الشريعة الإسلامية ، الأسس والقواعد لكل مرحلة من هذه المراحل لتصنع إطاراً تراثاً قوياً لو تم إتباعه وتوجيه الأفراد من خلال برامج اجتماعية وقائية بواسطة الأخصائيين الاجتماعيين ، تكون بمثابة تعريف وتوضيح ووقاية للنشأ من أخطار عملية التنشئة الاجتماعية غير السليمة والتى لا تستطيع أن تعيد النشأ مرة أخرى نشأ سليماً مهما عالجتنا جوانبها .

ولتوضيح هذا المنطق يمكن القول أن إقامة بناء اجتماعى - الأسرة - مكتمل الأركان والأعمدة - إيمانى النزعة قادر على تنشئة اجتماعية صالحة للبناء ، يمر بثلاث مراحل أساسية لكل منها أسسها وقواعدها وسلوكها ، لو اتبعناه ووجهناه وحققناه من خلال برامج اجتماعية ووقائية شاملة المراحل ... يمكن أن نقيم نشأ سليماً .. هذه المراحل يمكن تحديدها فى كل من :

- | | |
|------------------------|--------------------------|
| (١) المرحلة الاختيارية | (مرحلة الانتقاء) |
| (٢) المرحلة الجنينية | (مرحلة التكوين) |
| (٣) مرحلة الطفولة | (مرحلة الرعاية المباشرة) |

ونشير فى البداية الى أن المرحلة الأولى والثانية هى مرحلة الرعاية غير المباشرة للطفل ، من خلالها يتم إقامة بيئة اجتماعية معده لأستقبال الطفل ، فلو تمت المرحلتان على أسس سليمة ، تكون المرحلة الأخرى وهى مرحلة الرعاية المباشرة متوجه لهما .

وفى نفس الوقت هى مراحل ثلاث متكاملة الأطوار ، لا بد من الاهتمام بها اهتماماً متواصلاً ، حتى نصل إلى مرحلة الرعاية ونكون قد جهزنا وجهزت البيئة الاجتماعية الأسرية تجهيزاً أساسياً لديه الاستعداد والقدرة لإقامة تنشئة اجتماعية سليمة .

وسوف نستعرض المراحل الثلاث ، بما فيها من أسس وقواعد الزامية ، توجهنا إلى مصداقية التجهيز والتكوين والرعاية اللازمة لهذا النشأ مركزين على المرحلة الثالثة وهي مرحلة الرعاية المباشرة محاولين تصور وقائى متكامل الأبعاد موجه إلى الأبوين والمربين الموجهين والمقبلين على الزواج فى نطاق الخدمة الاجتماعية التى تعتبر النشئة الاجتماعية أحد المحاور الأساسية فى عملها فى مجال رعاية الاسرة والطقولة ، مستعرضين المراحل والأسس والقواعد الاجتماعية والتى تقوم عليها أوجه الرعاية ووسائلها .

أولا : الخدمة الاجتماعية والدين :

ليس جديداً على الخدمة الاجتماعية أو الاتجاهات الاصلاحية التزامها أو ايجاد مدخل دينى لها سواء فى الاتجاهات المسيحية أو الإسلامية ... بل أن اتجاهنا فى الخدمة الاجتماعية بعد نشأتها ارتبط أكثر بإيجاد أصول الخدمة الاجتماعية من الرعاية الاجتماعية فى الدين الاسلامى ، ولذلك كانت هناك العديد من المحاولات لعرض أوجه الرعاية الاجتماعية الإسلامية .

وإذا كنا نجد أن المحاولات متعددة ومستمره فى المجتمعات الغربية المسيحية ، فى محاولتها ربط الإصلاحات والخدمات الاجتماعية بالدين ، بل وإقامة مذاهب اجتماعية دينية للخدمة الاجتماعية مثل مدارس وكليات الخدمة الاجتماعية الكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية أو ذات الاتجاه غير المعلن الذى تمتلكه مدارس وكليات الخدمة الاجتماعية التى ترجع أصول نشأتها إلى الكنيسة ، كما فى الهند وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، بل تعدى هذا الدور ليشمل الحركة فى المجتمع المسيحى كله أو دفعه إلى المسيحية .^(٢)

ثانيا : مفاهيم يجب أن تحدد:

(١) الطفل :

- بكسر الطاء ، الصغير من كل شئ ، عينا كان أو حدثا ، فالصغير من أولاد الناس والصغير من السحاب طفل والدواب طفلا .

- بفتح الفاء - الرخص الناعم ، والمصدر الطفالة ، والطفل المولود ما دام ناعما . خصا ، والوك حتى البلوغ وهو للمفرد والمذكر^(٢).

- وفى التنزيل العزيز :

﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ﴾^(٤)

ومن ثم فالطفل هو المولود حتى سن البلوغ .

(٢) رعاية الطفل :

" عملية تشمل برامج وخدمات توجه لصالح الطفل فى كافة القطاعات سواء كانت علاجية أو بنائية أو وقائية تستهدف نمو شخصية الفرد وتحقيق رفاهيته (٥) .

(٣) المدخل الوقائى ... فى مجال الطفولة :

وهو مجموعة الخدمات والبرامج التى تحقق إشباع الحاجات والرغبات وتحقيق الآمال وبناء الكيانات على أسس سليمة وكذلك هو مجموعة الأسس والقواعد السليمة التى يجب اتباعها حتى يمكننا تلافى حدوث المشكلات أو الصعوبات التى يمكن أن تؤدى بالطفل إلى الانحراف أو المرض أو العجز ، ويتطلب حين ذاك العلاج .

ثالثا المنهج الإسلامى ودور الخدمة الاجتماعية فى رعاية الطفل :

١- ملامح المنهج الإسلامى :

يمكن أن نتصور لهذا المدخل اتجاهين أساسيين ..هما:-

الأول : مسئوليات الخدمة الاجتماعية نحو تحقيق هذه الرعاية من خلال مؤسساتها ودفع المؤسسات الأخرى التى تتعامل مع الطفولة ساعدتها بطريقة مباشرة وبطريقة غير مباشرة نحو القيام بأنوارها لرعاية الطفل إسلاميا .

الثاني : قيام الخدمة الاجتماعية بمسئولياتها وفق أسس ومبادئ وقيم إسلامية يتعلم منها النشأ الصغير والقائمون على رعايته كيفية التعامل الإسلامى فنضع فى كيان الجميع الإطار الإسلامى فى التعامل الاجتماعى .

ويمكن القول أن هذا المدخل ينطلق من انطلاقات أساسية فى أوجه الرعاية المختلفة للطفل من خلال مؤسسات الخدمة الاجتماعية .. وغيرها يمكن استعراضها على النحو التالى :-

- أن الخدمة الاجتماعية تتعامل مع الإنسان أياً كان موقفه أو فئته أو طبقتهوفقا لحاجاته ومشكلاته وسلوكه ، وشخصيته بهدف إحداث التغيير الاجتماعى - انطلاقا لمساعدته اما لبناء كيانه الشخصى أو لدفعه نحو القيام بمسئوليته وأنواره الاجتماعية الملقاة على عاتقه من وسطه الاجتماعى ...

- على الرغم من ذلك نجد أن الاساليب العلمية المختلفة فى المدارس العلمية المتنوعة فى الخدمة الاجتماعية وفى محاولتها لفهم الإنسان .. لم تتوصل جميعها إلى فهم الإنسان فهما شاملا متكاملًا ، ولا فهما لمشكلاته ومحاوله وقايته منها أو علاجها له علاجاً نهائياً وخاصة بعد ظهور العديد من الانتقادات لكل منهج وضعى ليس

فى الخدمة الاجتماعية فقط ، ولكن فى العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية أيضا ، لذلك يجب علينا أن نلجأ إلى صانع هذا الانسان .. لكى نتعرف على ما هو الإنسان ؟ وكيفية التعامل معه منذ النشأة حتى نهايته وكيفية رعايته والقضاء على مشكلاته ونستخلص منهجه فى أوجه الرعاية من خلال قرأته وسنة نبیه ؟ .

- ان الاعتماد الأساسى على المنهج الإسلامى يتحرك من منطلقات أساسية يمكن استعراضها فى الآتى :-

(أ) إنه يتميز بالوضوح والتحديد للأبعاد الدينية والدنيوية الشاملة والربط بينهم .

(ب) أنه يتميز بأنه منهج للمعاملة ، وانه دين يتميز بالوجود الاجتماعى والتفاعل الواقعى ..

(ج) انه منهج شامل .. شموليته فى كل من :-

- * النظر للانسان من المهد إلى اللحد .
- * النظر للإنسان فى دنياه وآخرته ..
- * أنه ليس لزمان ولكن لكل الأزمنة ..
- * أنه ليس لمكان معين ولكن لكل الأمكنة
- * ولا ينظر للإنسان كفرد فقط .. ولكن ينظر إليه ككيان اجتماعى يتحرك فى ومن خلال كيانات اجتماعية متعددة ومتنوعة ومتغيرة ، وهو ينطلق من كل شئ لهذا الانسان ووضع كل هذا فى كتابه الكريم " ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ " (٦)

- انه يقدم لنا اطارا اجتماعيا متكاملا للتعامل مع الواقع الاجتماعى ، بل وأبعاده القوية والضعيفة ، الغنية والفقيرة ، السليمة والمريضة ، أملا أن يصل بالإنسان إلى سلامة القول والفعل وعبادة الله على أرضه ..

- كما أن اقتناعنا بمنهجية هذا الدين .. إنما هو تحقيقا لفكرنا العقائدى ، وتحركنا به مهنيا ، يعنى تحركا مع الإطار القيمى الذى ندين به ..

- ونحن أيضا فى حاجة إلى أن نغرس بأنفسنا فى جذورنا العميقة فى بيئتنا تاريخياً وعقائدياً .. حتى لا يفقد ابتاؤنا هويتهم ... وليس فى هذا تعصب ، بل هو الشئ الطبيعى الذى يجب أن تفعله أى دولة تحترم نفسها، وتراثها وعقيدتها وهويتها الحقيقية ..

٢- الخدمة الاجتماعية وأهدافها :

إذا قمنا بتحديد الخدمة الاجتماعية كمهنة بأنها " عملية تستهدف إحداث اجتماعى مقصود للأفراد والجماعات والمجتمعات ، حتى يمكنهم القيام بمسئولياتهم الاجتماعية على أكمل وجه ممكن (٧) .

فتجد أن الهدف العام لها يتحدد.. فى كل من :-

١- مساعدة النظم الاجتماعية على أدائها لوظائفها ، ويدخل فى ذلك مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات حينما تعجز النظم القائمة على مساعدتهم تلقائيا ..

٢- تعديل أو إيجاد نظم اجتماعية حديثة - فقد عدلت من النظام الأسرى كما فى بعض قوانينه مثل قانون الأحوال الشخصية ، أو أقامت نظاما اجتماعيا جديدا مثل نظام التأمين الاجتماعى .. وهكذا ..

إلا أننا نشير هنا إلى أن مهمة المساهمة فى تغيير وتعديل الأنظمة الاجتماعية من المهام العسيرة والتي لا يمكن لمهنة ما أن تزعم لنفسها أنها تستطيع أن تضطلع بذلك . ومن ثم فإن اختيار مثل هذا الهدف من العوامل التى تحد من تطور الخدمة الاجتماعية مهنيا ، لأنه يفرض عليها تكوين قاعدة علمية معقدة واسعة النطاق إلى جانب تطوير نظام مهنى تكنولوجى شديد التنوع والتعقيد (٨).

ولما كان المنهج الإسلامى .. منهج يتميز بالثبات والشمول والتكامل من ناحية وقدرته على مواجهة أى ظروف متطورة ومتغيرة من ناحية أخرى فإننا يمكن أن نعمل على بناء خدمة اجتماعية إسلامية أو إقامة خدمة اجتماعية تكون أهدافها الاجتماعية تسعى لتحقيق الأسس والقواعد الإسلامية ، والتي يمكن أن تقينا من الوقوع فى العديد من الأخطاء أو مواجهة العديد من المشكلات حتى يمكن إفادة عملائنا بأحسن مستوى ممكن من الأداء الاجتماعى للمهنة ، الذى من خلاله يتم الوقاية من المشكلات ومواجهة المشكلات الموجودة وإزالة الصعاب التى يمكن أن تحدث العديد من المشكلات ، كما أننا نرى أن المدخل المناسب لرعاية الطفولة هو المدخل الوقائى الإسلامى للعديد من المبررات سوف يأتى استعراضها فيما بعد وذلك بهدف تنشئة جيل يتميز بالأصالة وعمق الماضى العقائدى ومستقبل يتميز بنشأ جيل نو نشأة إيمانية تحضرية قوية .

وإذا كنا نسعى من وراء مشاركة الخدمة الاجتماعية الوقائية فى رعاية الطفل إلى إعداد جيل صالح له من المقومات الجسمية والنفسية والاجتماعية مما يمكنه من أن يكون قادرا على إعادة صنع الحياة الحقيقية على أرضه ، وهو ما يتحقق بالعمل وليس بالأمل فقط ، ومن ثم تعمل الخدمة الاجتماعية فى هذا المجال من منطلق أساسى ألا وهو استخدام كل مواردها وامكانياتها وطاقاتها وممارستها وعلماؤها فى المساهمة الحقيقية فى بناء الطفل إسلاميا ..

وهذا ينقلنا إلى التعرف على الخدمة الاجتماعية الوقائية من هذا الجانب .

رابعا الخدمة الاجتماعية الوقائية ورعاية الطفل :

إذا كنا نرى أن المدخل الوقائي للخدمة الاجتماعية ، نحن فى أمس الحاجة إليه ومن ثم فنحن نهدف من وراء استخدامنا إلى تجنب وقوع هذا النشأ الجديد فريسة للأمراض الاجتماعية والمشكلات المتزايدة .. وأهم من هذا وذاك تجنب أطفالنا النشأة غير السليمة ..

وأن التزامنا به يعود للمبررات الآتية :-

١- أن علاج مشكلات الأطفال يحتاج إلى توفير العديد من الامكانيات والموارد المجتمعية التى تزيد أضعافا مضاعفة عن إقامة البرامج الوقائية التى لو تم إقامتها لتجنبنا العديد من المشكلات مستقبلا ... ومن خلالها يمكن تجنب وأزالة العديد من المشكلات الحاضرة .

٢- إن علاج شخصية الطفل نو النشأ غير السليم ، ليس سهلا ولكنه صعب جداً ، بل ومهما عالجناها .. فسوف يتبقى جوانب غير سليمة فى الشخصية .

٣- بالإضافة إلى أن علاج جوانب الشخصية فى الطفل يحتاج إلى مزيد من الممارسة بمختلف تخصصاتها والتى نعتقد بأنها غير متوفرة بالقدر المناسب ، هذا بجانب قلة المؤسسات الاجتماعية والمؤسسات غير الاجتماعية .

٤- كما أن التلاحم بين البيئات الداخلية والخارجية التى يتعامل معها الطفل .. يمكن أن يحدث له انحرافاً أو انتكاساً فى علاجه إذا لم نكن قادرين على إقامة نشأة سليمة النزعة قائمة على أسس وقواعد سليمة .

وأرى أن الخدمة الاجتماعية الوقائية فى مجال رعاية الطفل تتحرك من خلال ثلاثة أبعاد أساسية هى :-

(١) إيجاد حالة الوعى للأفراد والجماعات والمجتمعات ، بالأسس والقواعد الإسلامية التى يجب أن تقوم عليها نشأة الطفل .. ويأتى ذلك من خلال تعريفهم بها ، وتفهمهم إياها .. وتعليمهم كيفية تحقيقها .

(٢) تقديم كافة الخدمات التى تساعد على تحقيق البعد الأول ، واستخدام الأسلوب الإسلامى فى ذلك ، والذى يتميز بالوضوح والتحديد والموضوعية من ناحية والصدق والأمانة والعدل والمساواة والخلق الكريم بإطاره القيمى من ناحية أخرى .

(٣) ووقاية الطفل من التعرض للصعوبات التى تعوق نموه جسميا ونفسيا عقليا واجتماعيا وإيمانيا ، الأمر الذى يدعم نشأته وتوافقه ويزيد من ثقته فى نفسه ويجنبه الوقوع فى المشكلات .

من خلال هذه الابعاد يمكن أن نحدد الأهداف العامة للخدمة الاجتماعية الوقائية في رعاية الطفل إسلامياً على النحو التالي:-

١- تحقيق أقصى استفادة ممكنة من البيئة الاجتماعية الأسرية والمدرسية والمحلية لخلق حالة الوعي بالأسس والقواعد الإسلامية التي يجب أن نسترشد بها في نشأة الطفل ورعايته .

٢- مساعدة الأطفال على النمو والتغير والوصول إلى أكبر قدر ممكن من الاعتماد على النفس .

٣- خلق علاقات اجتماعية مرضية سليمة بين الأطفال والآخرين الذين يتعاملون معهم ، قائمة على الأسس والقواعد الإسلامية أهمها العدل والمساواة والتسامح والصدق والأمانة .

٤- مساعدة الأطفال على اكتساب القيم السليمة التي يتطلبها بناء مجتمعهم الإسلامي عن طريق تعريفهم بها وتفهمهم لها وتدعيم الاتجاهات والقيم الإسلامية السامية ومساعدته على نبذ القيم والاتجاهات الضارة .

٥- مساعدة الاطفال على التعاون لخدمة البيئة الاسلامية المجتمعية .

٦- العمل على إيجاد الترابط والتفهم القوي بين البيت والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية التي تعمل في مجال الاهتمام بالأسرة والطفولة حتى يمكن رعايتهم إسلامياً .

ولكي تحقق هذه الأهداف العامة لهذا المدخل .. لابد من ترجمتها إلى أهداف عملية قابلة لوضع برامج وأنشطة اجتماعية حتى يمكننا رعاية الطفل إسلامياً ، ومن هذه الاهداف العملية :

(١) الاهتمام بالأسرة من خلال العمل على حسن تكوينها واستمرارها وتحسين ظروفها والعمل على استقرارها وتماسكها تمهيدا لخلق مناخ اجتماعي سليم يساعد على تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية سليمة .

(٢) الاهتمام بدفع الأسرة نحو الاهتمام بأسلوب وطريقة تنشئة الأبناء وفق الأسس والقواعد الإسلامية عن طريق تعريفهم إياها وتفهمهم لها ومساعدتهم على كيفية تحقيقها ..

(٣) الاهتمام في العملية التعليمية بتوجيه المربين والمعلمين نحو الإهتمام بالنشأة الإسلامية وتكوين المنهج وفق هذا المنهج الإسلامي .

(٤) الاهتمام باقامة الأنشطة الاجتماعية والرياضية والثقافية للأطفال ، بما يحقق التوجيه النفسى والاجتماعى السليم وخاصة داخل البيت وفى الوحدات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى .

(٥) ترشيد وسائل الاعلام لوضع برمجها الخاصة بالأطفال والموجه إليهم وإلى المربين والموجهين والمعلمين والآباء فى إطار المنهج الإسلامى .

(٦) الاهتمام بالجمعيات الخيرية الإسلامية ، تدعيم الدور الاجتماعى فيها للأخصائيين الاجتماعيين فى رعايتهم برعاية الأطفال ومساندتهم للدعوة الدينية والرجال الدين الإسلامى للقيام بدورهم الإيجابى فى توضيح خطورة إتباع أسس وقواعد غير إسلامية أو التقاعس عن التعامل بالقواعد الإسلامية.

(٧) رفع المستوى الاجتماعى والتعليمى والثقافى والمادى للتجمعات المحلية وذلك عن طريق أجهزة المجتمع ومؤسساته الاجتماعية المختلفة وخاصة جمعية تنمية المجتمع .

(٨) تطوير وتدعيم الأجهزة الاجتماعية والمنظمات المختلفة العامة فى مجال الطفولة حتى يمكنه إقامة الأسس والقواعد الإسلامية وأوجه الرعاية الإسلامية للطفل وترجمتها لخلق الفهم الواضح ولممارسة الحقيقية للرعاية .

(٩) دفع أجهزة ومنظمات الخدمة الاجتماعية لتحمل مسئولية إقامة السياسة الاجتماعية وفق المنهج الإسلامى بما يتيح انشأة الإسلامية للأطفال .

خامساً: المدخل الوقائى فى الخدمة الاجتماعية وكيفية استخدامه لرعاية الطفل إسلامياً:

على الرغم من عدم إنكارنا أن الخدمة الاجتماعية نشأت علاجية واستمرت فى إطارها العلاجى لفترات طويلة ، قبل أن تتحول أهدافها إلى أهداف وقائية وإنشائية ثم تنموية بانتقالها إلى العالم الثالث .

إلا أن الاسترجاع التاريخى للخدمة الاجتماعية ، يوضح أنها انطلقت فى عملها من الأسرة والاهتمام بأفرادها على أساس انها الوحدة الأساسية للمجتمع ينطلق منه أفرادها فى جميع الوحدات الاجتماعية الأخرى مؤثرين ومتأثرين .

وإذا كنا نؤمن تماماً أن رعاية الطفل تتوقف على هذه الأسرة سواء عند تكوينها أو فى مرحلته الجنينية ثم فى مرحلة الرعاية المباشرة له بعد ولادته مباشرة حتى يصبح شاباً .

ومن ثم نرى أن الخدمة الاجتماعية لابد أن تقيم برامجها الوقائية من خلال المراحل الثلاثة للرعاية التي أشرنا إليها سابقا .. لذلك سوف نستعرض هذا المدخل من خلال هذه المراحل على النحو التالي :-

(١) المرحلة الاولى .. وهي مرحلة الإعداد والانتقاء . - ماهية المرحلة :

وهي المرحلة الاختيارية التي يتم خلالها تحقيق التآلف بين رجل وامرأة لتكوين بناء أسرى سليم ، لذلك فإن اختيار الرجل والمرأة لتكوين البنية الاجتماعية الناشئة يجب أن يتم على أساس سليم ، حتى منشأ الطفل كجنين آمن ويتم رعايته كطفل .. ومن ثم كانت هناك دعوة صريحة واضحة لاختيار الأعمدة الأساسية لهذا البناء الاجتماعي اختيارا سليما ، قبل البدء في التفكير لانجاب جيل يحمل طباعه ، فإذا كان الأساس المختار سليما صحيحا - كان لهذا الجيل البيئة الاجتماعية السليمة والمناخ الأسرى الاجتماعي السليم ، الذي يتيح للطفل حرية الحركة ، حركة الانطلاق والنمو .. لذلك كانت دعوة النبي ﷺ لتكوين هذا البناء ، طالما لدينا المقدرة على قيمه واضحة تماما حين قال رسول الله ﷺ :

" من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم " (٩) وأرى أن مفهوم الباءة مفهوم شامل للقدرة .. فهي القدرة المالية والجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية بالإضافة إلى القدرة على تحمل المسؤولية والقيام بمهام الزوج .. لان الاسلام حلل المقصود الاسمى من الزواج الشرعى فى ثلاثة أمور ، هى فى أهميتها على الوجه التالى :- (١٠)

* إنجاب ذرية .

* التعاون على الحياة الكريمة .

* تلبية نداء الغريزة الجنسية .

ولتحقيق أغراض الإسلام فى الزواج ، وضعت القواعد والأسس حتى لا يترك الانسان حائرا ، بل يهتدى بها كمناورات فى طريق حياته الأسرية حتى يتم من خلالها رعاية الأسرة بأطفالها . وليس هناك منارات أقوى نور ، ولا أصول أحكم من التي وضعها العليم الخبير سبحانه وتعالى : ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ (١١) .

ومن هذا المنطلق نجد أن الزواج فطرة إنسانية لها طبيعة اجتماعية لتحقيق مصلحة اجتماعية بناء على أسس أهمها الانتقاء والاختيار ، ولذلك فللزواج ثلاثة جوانب أساسية لها أهميتها .. وهذه الجوانب (١٢) هى :-

(أ) الزواج فطرة إنسانية .

(ب) الزواج مصلحة اجتماعية .

(ج) الزواج انتقاء واختيار .

وهنا يأتى دور الخدمة الاجتماعية الوقائية فى تحقيق كل من :-

(١) العمل على تحقيق حالة الوعى الاجتماعى لدى أفراد المجتمع وخاصة المقبلين على الزوج وأسرهم لتفهم العلاقة الاجتماعية الزوجية والغرض من إقامتها فهما اجتماعيا ودينيا سليما وفق الأسس الاجتماعية الإسلامية .

وتنطلق حالة الوعى الاجتماعى من خلال جانبين أساسيين.. هما :-

أ- الزوج فطرة إنسانية .

ب- الزواج مصلحة اجتماعية .

وسوف نقوم باستعراضهما على النحو التالى :-

أ- الزواج فطرة إنسانية :

ويؤكد الله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ^(١٣) وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألونه عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها "وجدوها قليلة" فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأتى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا افطر وقال آخر : أنا أعتزل الناس فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى ^(١٤) فمن هذه النصوص يتبين لنا أن الزواج فى الإسلام فطرة إنسانية ، ليحمل المسلم فى نفسه أمانة المسئولية الكبرى تجاه من له فى عنقه حق التربية والرعاية والتنشئة .

ب- الزواج مصلحة اجتماعية :

نستعرضها ونبين أوجه ارتباطها بتنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سليمة فى الآتى :-

- المحافظة على النوع الإنسانى وذلك ببقائه وتكاثره وتسلسله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ويؤكد هذه الحقيقة الله فى قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من

انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون» (١٥) .

- المحافظة على الأنساب : وما فيها من اعتبار ذاتي للطفل واستقرار نفسى له ، ولولا ذلك لعج المجتمع بأولاد لا كرامة لهم وانتشر الفساد والإباحية .

- سلامة المجتمع من الإنحلال الخلقي: حتى يأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعى وما أصدق ما قاله رسول الله ﷺ فى هذا الشأن : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه وجاء " (١٦).

- سلامة المجتمع من الأمراض : بالزواج يسلم المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التى تنتشر بين أبناء المجتمع نتيجة للزنا وشيوع الفاحشة والاتصال الحرام ، ومن هذه الأمراض : مرض الزهري وداء السيلان (التعقيب) ... وغيرها من الأمراض الخطيرة التى تقضى على النسل أو تجعله نسلا مريضا أو ضعيفا ، وتنتشر الوباء وتفك بصحة الأولاد .

- الزواج سكن هادى ومستقر : وأكد على ذلك الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١٧) ولا يخفى ما فى هذا السكن الأمن المستقر من حافز على تربية الأولاد ، والاعتناء بهم ، والرعاية لهم .

- التعاون فى بناء الأسرة وتربية البناء فكل الزوجين يكمل بعضهما الآخر ، فالمرأة تقوم بأعمال البيت وإدارته والتربية للبناء ، والرجل كزوج يسعى ويعمل فى شق الأعمال حتى يستخدم عائدها فى إعداد أولاده إعدادا شاملا وتربية جيل مؤمن بالإسلام حق الإيمان ويقوم على حماية الأسرة من كل الأخطار .

- تأجج عاطفة الأبوة والأمومة وهدفها ينصب فى خلق مناخ أسرى فياض بالأحاسيس والعواطف ينعكس فى رعاية سليمة للبناء ، و السهر على مصالحهم وتحمل تبعات هذه التنشئة .

(٢) العمل على خلق حالة الوعى لدى أفراد المجتمع مع الأسس الاختيارية الإسلامية التى تحقق أسرة إيمانية قوية مكونة من البنين والبنات فى نورة الإيمان المكين والجسم السليم والخلق القويم والعقل الناضج والنفس المطمئنة الصافية .. والمساعدة على تحقيق ذلك .

ونستعرض أهم هذه الأسس والقواعد الإيمانية على النحو التالى:-

(أ) الاختيار على أساس الدين :

وجوب اختيار الأكثر تديناً سواء للزوجة أو الزوج - وهذا لا يخالف العرف الاجتماعي ، بل يتماشى معه القائل بأن : " شبيه الشيء ينجذب إليه " (١٨) أرشد النبي صلوات الله وسلامه عليه راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج وأداء حق الأولاد أداء حق البيت على النحو الذي أمر به الإسلام ، وحض عليه الرسول عليه الصلاة والسلام .

روى البخاري ومسلم وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك : (١٩) ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى بقوله : " إن الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " (٢٠) .

وهذه الزوجة هي الكفيلة باستقرار بناء الأسرة واستعصائها على الزلزلة والاضراب ، وهذا ماوجه الإسلام إليه راغبي الزواج ونجده في قول الله تعالى : ﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ (٢١) .

وفي هذا دلالة على أن مبدأ الاختيار قائم على اعتبار سلامة العقيدة والخلق والاتجاه ، قبل اعتبار الوضاعة والجمال .

ونستطيع أن نرى صورة الزوجة المثالية في نظر السلام من خلال إجابة النبي ﷺ لما سئل : أي النساء خير ؟ إذ قال : " التي تسره إذا نظر ، تطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ، ولا مالها بما يكره " (٢٢)

ومن خلال هذا الحديث ، نرى أن هناك مجموعة من الصفات للزوجة المثالية في الإسلام : -

* بعضها يتصل بجانب الجسد والجمال .

* بعضها يدل على شرف النفس وطهارة السريرة ونضج الخلق ، مما يدل على تكامل نظرة الإسلام إلى الزوجة الصالحة وشمولها لكل الأمان ، فالذي ينبغي هو اتباع الفطرة وتوازنها (٢٣) .

(ب) الاختيار على أساس الأصل والشرف :

والزواج من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والخلق ، وأصالة الشرف ، لكون الناس معادن يتفاوتون فيما بينهم وضاعة وشرفاً ، ويتفاضلون فساداً وصلاحاً .

وروى ابن ماجه ، والدارقطنى ، والحاكم ، عن عائشة رضى الله عنهما مرفوعا "تخيروا لتطفكم وانكحوا الأكفاء" (٢٤) .

وروى ابن ماجه والدارقطنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تخيروا فإن العرق دساس" (٢٥) .

وروى ابن عدى فى الكامل مرفوعا "تزوجوا فى الحجر الصالح فإن العرق دساس" وقال أيضا : "اياكم وخضروات الدمن ، قيل ماخضراء الدمن يارسول الله ، قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء" .

فهذه الأحاديث بمجموعها ترشد راغبى الزواج إلى أن يختاروا زوجات ترعرعن فى بيئة صالحة ، ونشأن فى بيت عريق ، عرف بالشرف والطيب ، وتناسلن من نطفة انحدرت من أصل كريم ، وجود أمجاد .

(ج) الاغتراب فى الزواج :

ونعنى به هو زوج الفرد من أجنبيه ، ونعنى بأجنبية هو أن لا يكون له صله بها عن طريق القرابة ، وهذا يحقق نتائج ايجابية من حيث سلامة البناء وراثيا ، ومن ثم سلامة اجسامهم من الأمراض السارية أو العاهات الوراثية أو هما معا ، وكذلك توسيعا لدائرة الروابط الأسرية وتقوية للروابط الاجتماعية ...

وقد حذر النبى ﷺ من الزواج بنوات النسب والقرابة حتى لا ينشأ الولد ضعيفا أو مريضا ، فمن تحذيراته فى هذا الشأن : " لا تتكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاريا" (٢٦) وقوله : " اغتربوا ولا تضروا " (٢٧) .

وقد أثبت علم الوراثة أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفا من ناحية الجسم ، ومن ناحية الذكاء ، ويورث الأولاد صفات خلقية زمنية ، وعادات اجتماعية مستهجنة (٢٨) .

(د) تفصيل ذوات الأبكار :

وقد ألح عليه الصلاة والسلام عن بعض الحكمة بالزواج بنوات الأبكار فقال : عليه الصلاة والسلام - فيما رواه ابن ماجه والبيهقى " عليكم بالبكر فانهم أعزب أفواها ، وانتق ارحاما ، وأقل جنأ ، وأرضى بالبسير" (٢٩) .

(هـ) تفضيل الزواج بالمرأة الولود :

وهى فى الإسلام تعرف بشيئين .. هما :

الأول : سلامة جسمها من الأمراض التى تمنع من الحمل ويستعان بمعرفة ذلك بالمختصين .

الثاني : النظر في حال أمها وحال أخوتها المتزوجات ، فان كن من الصنف الولود فعلى الغالب هي تكون كذلك .

واذا استطعنا أن نتأكد من ذلك على أساس صحة جيدة وجسم قوى سليم تستطيع أن تنهض بأعبائها المنزلية وواجباتها التربوية ، وحقوقها الزوجية على أعلى درجة .

اذن نتطرق في هذه المرحلة على أن تربية الأولاد في الإسلام ، يجب أن تبدأ بزواج مثالي يقوم على مبادئ ثابتة لاثر في التنشئة وفي إعداد الجيل تكويناً وبناءاً إلا فليتذكر أولو الألباب .

ونجد أن الخدمة الاجتماعية الوقائية في هذه المرحلة تتحرك من خلال :-

أ- الاستراتيجية التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعي في هذه المرحلة :

وهي استراتيجية الاقتناع : وهي تفترض اتفاق أفراد المجتمع (شباب وفتيات وأسرهم في المجتمع) على اعتناق فكر معين على أساس القيم التي تعتنقه ولذلك يجب أن يتحرك الأخصائي الاجتماعي نحو العمل على تأكيد القيم الإسلامية التي يعتنقها الأفراد والجماعات وأسرهم والتي تساعد على الاتفاق حول خلق حالة الوعي الكامل بأهمية الأسس والقواعد الإسلامية في عملية الزواج وبناء أسرة ونشأة جيل إسلامي .

ب - الوسائل والمؤسسات :

يستخدم الأخصائي الاجتماعي لعدد من الوسائل المتنوعة على النحو التالي :

المقبلات المهنية في مكاتب المقبلين على الزواج (مع الشباب والفتيات المقبلين على الزواج) وفي مكاتب الاستشارات الأسرية (مع أسر هؤلاء الشباب والفتيات) وذلك بغرض دفعهم وحثهم على مراعاة الأسس والقواعد الإسلامية في عملية الزواج :

* الندوات والمناظرات والمؤتمرات في جمعيات تنمية المجتمع والأندية الاجتماعية والساحات الشعبية (الشباب والفتيات وأسرهم) في المدارس والجامعات (مع الشباب والفتيات في مرحلة الزواج) .

* مجلات الحائط والتي تتركز أكثر في المدارس والجامعات والأندية ، للشباب المقبل على الزواج .

* وسائل الاعلام المختلفة وخاصة في الاذاعة والتلفزيون التي تصل لأغلبية أفراد المجتمع داخل بيوتهم ، بالإضافة إلى الاذاعة الداخلية في المدارس والأندية ، بالإضافة إلى الصحف والمجلات المختلفة التي لا بد وأن يكون جزء من جوانبها السياسية مخصصة للنشئة الاجتماعية الإسلامية السليمة للأسرة .

* الكتيبات والنشرات الاجتماعية التي يمكن أن تقوم بها جمعيات تنظيم الأسرة ومكتب المقبلين على الزواج وتوزيعها بأرخص الأثمان أو بدون مقابل .

ج - الأئوار التي يمارسها الأخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة :

ويمكن أن نتصور هذه الأئوار على النحو التالى : (٢٠)

(١) دور الأخصائى الاجتماعى كمرشد :

- المبادأة بالاتصال بأفراد المجتمع وكأسر ومجتمع محلى .. دون أن يطلب منه مساعدتهم على خلق حالة الوعى بالأسس والقواعد الإسلامية وعملية الاختبار وبناء الأسرة ورعاية النشأ ..

- التحرك نحو دوره فى تقبل التطورات والأوضاع الواقعة كما هى بدون تحيز .

- شرح دور الاجتماعى المهنى ، ومحاولته إفهام الجميع وتقبله ويتصرفون على أساس ذلك الفهم .

يعمل الأخصائى الاجتماعى كمرشد لتوجيه أفراد المجتمع للأسس والقواعد الإسلامية وإيجاد الوسائل لتحقيقها ، وتتلخص مسئولياته فى مساعدة المجتمع على اختيار التجاه الذى يرغبه بدقة مراعىا العوامل المتعددة التى تؤثر فى المجتمع .

(٢) دور الأخصائى الاجتماعى كمساعد :

- يتركز فى العمل على مساعدة أفراد المجتمع على عدم الرضا عن الأحوال السيئة الموجودة فى المجتمع والناجمة من الأسس والقواعد الوضعية فى بناء الأسرة أو رعاية النشأ .

- خلق الرغبة وتهيئة الاستعداد وتشجيع أفراد المجتمع - وكذلك المؤسسات الاجتماعية ، نحو المطالبة بمساعدتهم لخلق حالة الوعى بالأسس والقواعد الصحيحة الإسلامية فى هذا الشأن .

(٣) دور الأخصائى الاجتماعى كخير :

وهو مد الأسرة والأفراد المقبلين على الزواج بالمعلومات الكافية سواء عن طريق المقابلات الفردية أو الجماعية أو عن طريق المؤسسة الدينية المتخصصة فى هذا الشأن حتى يكون لديهم الإلمام الكافى بالأسس والقواعد الإيمانية التى يتم من خلالها بناء الأسرة ورعاية النشأ وفوائدها وأهمية اتباعها .

(٤) دور الأخصائى الاجتماعى كمنظم للتغير :

- يجب أن يحدد الأخصائى الاجتماعى الوقائى المؤسسات والهيئات التى يجب أن تتحمل تلك المسئوليات .

- يجب أن يوضح الحاجة إلى تكوين هيئات ومؤسسات جديدة وخاصة فى بعض البيئات التى لاتوجد فيها مثل هذه المؤسسات المستولة اذ لزم الأمر.

(٥) دور الأخصائى الاجتماعى كمستشير :

يقوم الأخصائى الاجتماعى فى هذا الدور باستثارة أفراد المجتمع والمؤسسات التى يعمل معها مستخدما فى ذلك ومركزا على حالات عدم الرضا التى يشعر بها بعض الأفراد حتى يكون لديهم ولدى الآخرين الرغبة والاستعداد لتقبل حالة الوعى الجديد والعمل على تحقيقها .

(٢) المرحلة الثانية .. وهى المرحلة الجنينية

تهدف الخدمة الاجتماعية فيها على إقامة الاستقرار الأسرى الذى يساعد على خلق المناخ النفسى والاجتماعى السليم الذى يحافظ على الأم وجنينها . ويأتى ذلك من خلال أهداف عملية وهى :-

١- المساهمة فى استقرار الأسرة وتماسكها .

٢- المساهمة فى خلق الوعى وتوضيح وشرح الأسس والقواعد التى يجب أن تراعى للأم الحامل والجنين فى كافة الحالات بما أوضحتها الشريعة الإسلامية .

ويمكن استعراض تلك القواعد والأسس على النحو التالى :-

- الدعوة لله بمباركة هذا الخلق الجديد (المولود) :

وذلك عن طريق الدعوة له أن يصون هذه النطفة عند وضعها ويحميها من النزعات الشيطانية .. حيث قال عليه السلام : " لو أن أحداكم اذا أراد أن يأتى أهله فقال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه اذا قدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان أبدا " (٣١)

- العناية بالأم أثناء حملها :

ويهدف من وراء هذه العناية المحافظة على الأم وعلى جنينها حتى لا يتعرضان للهلاك أو التعب أو المرض أو التشوه ، كما حرصا أكثر على الجنين خوفا من تعرضه للنقص أو السقوط ، ولهذا فقد اهتم الإسلام بالآتى :

(أ) أباح الشارع للحامل الفطر فى رمضان إذا خافت على نفسها أو ولدها أو تعرضهما للإرهاق والتعب والمرض ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن الحامل ومن المرضع الصوم " (٣٢).

(ب) مطالبة الام بالاهتمام بصحتها وتناول الأغذية المناسبة لحالتها والتي تتوافر فيها كافة العناصر الغذائية الضرورية لتكوين الجنين وحمايته واكتمال نموه .
- منع المرأة من فعل ما يعرض الجنين أو يلحق به الأذى أو يؤدي إلى الاجهاض سواء أكان ذلك بواسطة عمليات جراحية أو تناول بعض الأدوية التي ربما تؤدي إلى سقوط الجنين أو الاضرار بالجنين .

- بل زاد على ذلك ورتب المشرع عقوبات بدنية ومالية تلزم من يتعدي على الجنين ..
فقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه " ان امرأتين رمت أحدهما الأخرى بحجر فطرح جنينها فقضى النبي ﷺ بضرة عبد أو وليدة " (٣٣) .

وعن أبي هريرة قال : اقتلت امرأتان من هزيل قرمت أحدهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها ، فأختصموا الى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها نثرة عبد أو وليدة قضى بدية المرأة على عاقلتها (٣٤) .

- تحريم الاجهاض : وتعنى بجا سقاط المرأة جنينها بفعل منه عن طريق بواء أو غيره بفعل من غيرها . وقد أجمع الفقهاء على منع إسقاط الجنين بعد نفخ الروح واكثرهم يرى المنع من ذلك قبل نفخ الروح ايضاً ، ورتبوا عقوبة على الجاني تتمثل في الغرة والكفارة أو الدية مع الكفارة ، بل أن العقوبة قد ترمى الى حد النقود من ايمان (٣٥) .

- اخراج الجنين حي عند موت الحامل : فقد عني الفقهاء بالمحافظة على حياة الجنين عند وفاة أمة ، ولو لم يكن ذلك إلا بشق بطنها . جاء في الفقه الشافعي : " وان ماتت المرأة وفي جوفها جنين حي وقد شق جوفها ، لانه استبقاء حي باتلاف جزء من الميت فأشبه ما إذا اضطر إلى أكل جزء من الميت .

- المحافظة على حقوق الجنين المالية : أثبت الشارع الأهلية للجنين ولكنها أهلية ناقصة ، حيث أثبت له الحق الإرث والوصية والوقف .

- وصل الشارع إلى حد أبعد من هذا كله حين أجل إقامة الحد على المرأة الحامل حتى تضع حملها ، بل وأكثر من ذلك حتى يتم قطمه .

وقال رسول الله ﷺ : " إذا قتلت المرأة حداً لم تقتل حتى تضع ما في بطنها ، وحتى تكفل ولدها " (٣٦)

٣- تقديم الخدمات الاجتماعية المختلفة التي يمكن أن تساعد بشكل مباشر وغير مباشر في رعاية الأم نفسياً واجتماعياً وصحياً وترفيهاً .

٤- تدعيم بعض الأسر ماديا، للمحافظة على صحة الأم والجنين وذلك عن طريق :-

- عدم إجهاد الأم العاملة أثناء حملها عن طريق تخفيف الأعمال التي تقوم بها حجما ونوعا أو إعطائها أجازة عن العمل ، مع المحافظة على المستوى المادى للأسرة .

- العمل على عدم تعرض الأم للقيام أو الاستمرار بالأعمال التي يمكن أن تسبب بعض التشوهات أو الأمراض للجنين ، مثل تعرضها للأشعة السينية ، أو تعرضها لإجهاد المواصلات ..

- المساهمة المباشرة فى علاج الحامل فى حال تعرضها للإصابة بالأمراض المعدية نظرا لانعكاسها على جنينها .

- رفع المستوى المادى لبعض الأسر للمحافظة على صحة الأم ومستوى غذائها لما له من انعكاس على صحة الأم وجنينها .

٥- العمل على إقامة الندوات والمحاضرات سواء فى جمعيات رعاية الأمومة والطفولة أو فى جمعيات تنمية المجتمع المحلى أو مكاتب رعاية الأسرة يكون الهدف الأساسى منها أيضا الأسس والقواعد الإسلامية والعلمية المرتبطة بصحة الأم ونوع الاغذية ومستواها .

٦- توزيع النشرات والكتيبات على الحامل المتعلمة أو التي تعرف القراءة ، والتي توضح من خلالها كثيرا من استفساراتها المرتبطة بالجوانب الإسلامية والعلمية، ومنها عملية الافطار فى رمضان ، وكيفية التعويض عن ذلك وكذلك مدة الحمل ، وعلاقاتها الجنسية بزوجها ونوع ومستوى التغذية وتدرج رعايتها بنفسها وجنينها طبقا لجدول زمنى .

٧- القيام بعرض بعض الافلام التسجيلية وخاصة للحامل الأمية ، يتم من خلالها إيضاح كيفية اهتمامها بصحتها وصحة جنينها وتغذيتها ، والطريقة الصحية للنوم ، وعدد الساعات التي يجب أن تنامها وتفضل مواعيد معينة وكيفية قيامها بمسئولياتها فى البيت حتى لا تتعرض هى وجنينها للأخطار .

٨- استخدام البرامج التلفزيونية الخاصة بالطب والصحة وكذلك البرامج الاجتماعية فى استعراض كيفية الاهتمام بالزوجة الحامل والمحافظة على جنينها من جانب الزوج والأهل والأقارب وعدم تعرضها للأخطار أو الإجهاد أو الانفعالات السيئة .

المرحلة الثالثة : مرحلة الرعاية المباشرة للطفل

وهى المرحلة التى تبدأ منذ ميلاد الطفل حتى سن البلوغ ، وتنبه الأذهان إلى أنها تحتاج إلى كافة التخصصات المهنية المختلفة لرعايته صحيا ونفسيا وعقليا واجتماعيا وايمانيا ، إلا أن تولى مسئولية الرعاية تقع فى المقام الأول على الأبوين أو الأسرة والمؤسسات العاملة معها ..

ومن هنا يأتى دور الخدمة الاجتماعية فى تجاهها الوقائى فى المقدمة ، على أساس انها مهنة تهتم بخلق حالة الوعى لدى الأبوين نحو الاهتمام بطفلها منذ البداية اهتماما اجتماعيا خالصا من جميع الأوجه .

وبذلك نجد أن على الخدمة الاجتماعية فى مدخلها الوقائى تحقيق أهدافها فى هذا الشأن من خلال ثلاث نقاط أساسية هى :-

- (١) تفاعلها مع الوحدات الاجتماعية التى تقوم برعاية الطفل تفاعلا إسلاميا .
- (٢) المساهمة الحقيقية فى رسم سياسة اجتماعية إسلامية .
- (٣) توجيه أجهزة العلم توجيهها إسلاميا .

ومن ثم لو استطعنا تدعيم الوحدات التى تتعامل مع الطفل وخلق حالة الوعى لديها بكيفية التعامل معه وكيفية تحقيق ذلك من خلال سياسة اجتماعية موجهة ، يتم بنائها وتوجيهها إسلاميا وترشيد البرامج الاعلامية المختلفة لأمكننا بناء الانسان والطفل المصرى إسلاميا ، ولكن كيف يتم ذلك ؟ الاجابة تتم من خلال تعامل الخدمة الاجتماعية من العناصر الثلاثة ، ألا وهى :

العنصر الأول : الوحدات التى تتعامل مع الطفل :

تتم عملية رعاية الطفل وتنشئته تنشئة اجتماعية فى جميع المجتمعات من خلال طريقتين (٣٧) هما :-

الأولى : عن طريق التربية والتعليم والتنشئة التى تقوم بها الجماعات الأولية نحو الطفل وعلى الأخص جماعة الأسرة، بصفتها الجماعة المحورية الأولى فى عملية تنشئة الطفل ورعايته ..

الثانية : عن طريق عمليات التربية والتعليم التى تقوم بها الجماعات الثانوية نحو الطفل، وعلى الأخص جماعة المدرسة وجماعة التلفزيون بصفتها الجماعتين المحورتين التاليتين فى عملية التنشئة الاجتماعية .

وكلا الطريقتين يكمل بعضهما البعض ، إلا أنه في غالبية المجتمعات المتقدمة تلعب الجماعة الثانوية دورا رئيسيا في عملية التنشئة الاجتماعية وذلك بحكم التطور الأكبر الذي طرأ على وظائف هذه الجماعات بحيث أصبحت تحتوى على الجزء الأكبر من العملية في غالبية المجتمعات الصناعية المتقدمة ، والعكس صحيح ففي غالبية المجتمعات المتخلفة أو النامية حيث تلعب الجماعات الأولية ، الدور الرئيسى علي عملية التنشئة الاجتماعية للطفل حتي الآن ، وذلك بحكم ضعف وعجز الجماعات الثانوية عن القيام بوظائفها المماثلة في المجتمعات المتقدمة (٣٨).

ولذلك سوف نركز على الأسرة والمدرسة كوحدات تتعامل مع الطفل كمحاور أساسية في رعاية الطفل :

أولاً الأسرة :

لما كانت الأسرة بمثابة الجبهة الاجتماعية الأولى التي تتلقى الطفل وبدونها لا يستطيع الحصول على ما يشبع مختلف حاجاته البيولوجية والاجتماعية والنفسية ، بل بدونها يمكن أن يفقد حياته كلها ، بل أن التنشئة الاجتماعية السليمة للطفل ، لا تتحقق بصورة طبيعية إلا من خلال الأسرة الطبيعية (٣٩) .

ترجع أهمية الأسرة كوحدة محورية في رعاية الطفل وتنشئة إلى :

* ما أكدته مدارس علم النفس ، وخاصة مدرسة التحليل النفسى على أهمية السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل - في تشكيل شخصيته الأساسية ، وهذه الفترة يكون فيها الطفل داخل نطاق الأسرة ، متأثرة بكل ما فيها من قيم واتجاهات ورعاية ، فإذا كان المناخ الأسرى سليم يحقق ويشبع حاجاته ويرعاه تكون لنا بناء ذاتى سليم للطفل وإذا كان العكس يكون لنا العكس ..

* قد أكد علماء الاجتماع والتربية الحديثة أن الفرد في السنوات الأولى من عمره يقلد ما يراه من سلوك داخل نطاق أسرته من عادات وتقاليد ومفاهيم وقيم دينية واجتماعية وكذلك كيفية التعامل مع الآخرين (٤٠) ..

* أكدت العديد من الدراسات ، أن حدوث أية تغيرات في البيئة المباشرة المحيطة بالطفل (الأسرة) في السنوات الأولى من عمره من شأنها أن تساعد إلى حد كبير في ارتقاءه النفسى الاجتماعى بوجه عام ، ومن شأنها أيضا أن تعطل كثير من وظائفه وقدراته كالذكاء وكالوظيفة اللغوية .

ومن هنا نجد أن أهداف الخدمة الاجتماعية مع الأسرة لرعاية الطفل تحدد في :-

١- المحافظة على الكيان الأسرى واستقراره وتماسكه وثباته ، حتى يتحمل مسئوليات وظيفية ، بعد ما تم اختياره اختبارا اسلاميا سليما ، وذلك عن طريق

* مواجهة الصعوبات والعقبات الاجتماعية التي تتعرض لها الأسرة والتي قد تؤدي إلى هدمها أو تصدعها أو انفصال أجزاء منها ، مما يهدد المناخ النفسي والاجتماعي الأسري .. ويعرض النشأ لهزات نفسية واجتماعية تهدد بناء كيان الشخصى .

* مساعدة الأسرة ماديا إذا احتاجت ذلك ، قبل أن ينعكس ذلك عليها ويحدث تصدعا لها .

مساعدة الأسرة علي اكسابها كيفية مواجهة العوامل والصعوبات التي تواجهها في البداية وبنفسها حتى تتعلم القضاء على مثل هذه الصعوبات مستقبلا حتى لا تؤدي إلى انهيارها .

٢- خلق حالة الوعي للأسرة (الأبوين) بالأسس الاجتماعية التي تكون بداية حقيقية لرعاية الطفل ، وذلك عن طريق تعريفهم إياها ومساعدتهم على تحقيقها كاملة

وأن يركز البرنامج الاجتماعي لمثل هذه الندوات والمحاضرات على الأسس الاجتماعية الإسلامية لرعاية النشأ من قبل الأسرة .

وسوف نستعرض هذه الأسس الاجتماعية ، مؤكداً منذ البداية على أن كل منها يؤدي إلى الأخرى :

- | | |
|-------------------|------------------------|
| (١) انتماء الطفل | (٢) التسمية . |
| (٣) مراعاته جسميا | (٤) التنشئة اليمانية . |
| (٥) الحضانة | (٦) النفقة . |

ويمكن عرضها على النحو التالي :-

الأساس الاجتماعي الأول :

انتماء الطفل منذ مولده الى شخص يرعاه ويحميه . وهو ما يعرف في الفقه بثبوت النسب ، وهو من أهم الأسس في الوقع الاجتماعي ، حيث أن انتماء الطفل الى أبيه يحفظه من الضياع ويحميه من التشرد .

كما أن هذا الأساس الاجتماعي يترتب عليه العديد من الأسس الأخرى والحقوق الاجتماعية ، وأن فقدانه أو حتى التشكك فيه ، يؤدي إلى بلبلة اجتماعية كبيرة ، وأن ثبوت النسب يترتب عليه كل من الرضاعة والحضانة والنفقة .

الأساس الإجتماعى الثانى : التسميه :

ونقصد به اختيار اسما مناسباً للمولود ، يدعى به ويميزه عن غيره من الناس ، وقد جاء توجيه الشريعة الإسلامية الى ذلك فى قول رسول الله ﷺ " انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم ، واسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم " (٤١)

وتنطلق الحكمة التى دعت الإسلام الى تحسين الأسماء - وهى فى المقام الأول حكمة اجتماعية - وانتقائها من الكلمات التى تبعث البهجة والتفاؤل حتى لا يشمنز الطفل من اسمه ولا يشعر بنفور الناس منه ، فيدعوه ذلك الى كراهة المجتمع حوله واعتزاله اياه " (٤٢) .

وأن التسميه لها أصول يمكن استعراضها فى الآتى : -

أ- ما يستحب من الأسماء وما يكره :

* أحسنها وأجملها .

* يجنبه الاسم القبيح الذى يمس كرامته ، ويكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية عليه .

* كما يجنبه الأسماء التى بها اشتقاق من كلمات فيها تشاؤم ، حتى يسلم الولد من مصيبة هذه التسمية وشؤمها .

* كما يجنبه الأسماء المختصة بالله ، فلا يجوز تسميته بالأحد ولا الصمد ولا بالخالق ولا بغيرها (٤٣) .

* كما عليه أن يجنبه الأسماء المعبدة لغير الله ، كعبد الكعبة وعبد النبى وماشابهها ، فإن التسميه بهذه محرمة بالاتفاق .

* وعليه أن يجنبه الأسماء التى تميم وتشبه وفيها غرام مثل هيام ، وهيفاء (٤٤) .

ب- تكنية المولود بأبى فلان :

* تنمية شعور التكريم والإحترام فى نفسية الطفل .

* تنمية الشخصية الاجتماعية ، لاستشعاره أنه بلغ مرتبة الكبار وسن الإحترام .

* ملاطفته وإدخال السرور عليه بمناداته بهذه التكنية المحببة إليه .

* تعويده أدب مخاطبة الكبار وإن كان فى سنه ممن الصغار . وجاء فى

الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن

الناس خلقاً ، وكان لى أخ يقال به أبو عمير وكان النبى ﷺ إذا جاءه يقول به :

يا أبا عمير ما فعل النغير ، قال الراوى : أظنه كان فطيماً .

ج- متى يسمى الولد :

روى أصحاب السنن عن سمره قال : قال رسول الله ﷺ " كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى فيه ويحلق رأسه " .

وقال رسول الله ﷺ حين ولد ابنه إبراهيم من مارية " ولد لى الليلة غلام فسميته بإسم أبى إبراهيم " والظاهر أن التسميه ممتدة من اليوم الأول الى اليوم السابع منها ويكره أن تأخر عن ذلك (٤٥) .

الأساس الإجتماعى الثالث .

مراعاته عن المولد جسميا :

ويأتى ذلك من خلال أبعاد أساسية :

أ- استحباب تحنيكه عندما يولد :

والتحنيك معناه وضع التمرة ، وذلك حنك المولود بها . والحكمة فى ذلك تهدف الى تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتملظ ، واستدل الفقهاء على استحباب التحنيك مما يلى : جاء فى الصحيحين من حديث أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه قال : ولد لى غلام فأتيت به النبى ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمره ودعا له بالبركة ، ودفعه الى (٤٦) .

ب- إزالة الأذى عنه كنساس لرعايته جسنيا (حق الطفل فى النظافة)

تدعو الشريعة الإسلامية إلى القيام بالكثير من الواجبات نحوه مما يترتب عليه حمايته ووقايته وسلامته من الأمراض ، فتؤكد على إزالة كل ما من شأنه التأثير على صحته ونموه .

وإذا كانت الدعوة لذلك ، فلا غرو أن توجب الشريعة أمور تتعلق بإزالة الأذى من الطفل منها وما يرويه أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : " الفطرة خمس : الختان والاستبراء ونتف الأبط وقص الشارب وتقليم الأظافر " (٤٧) .

ج- حقه فى الغذاء :

فإن الله تعالى فرض على الأم (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أن ترضع مولودها حولين كاملين ، وقد أكدت البحوث الطبية اليوم أن المدد المثلى من جميع الأوجه الصحية والنفسية عامين كاملين ، وأنها ضرورية لنمو الطفل نموا سليما من الناحيتين البدنية والنفسية (٤٨) .

لذلك تعطى الشريعة الإسلامية للمحافظة على المولود كلا من :-

* تعطى للمرضع حق الفطر في رمضان كما أوجبت عليها تناول الغذاء الذي يؤدي إلى اضرار اللبن الذي يحقق النمو السليم للطفل .

* ليس الأم مضارة للأب ، وإذا فعلت فله أن يحضر لطفله مرضعه حتى تتحقق مصلحة الطفل في هذه الرضاعة .. له ذلك على شرط أن يعطى أجرها وأن يحسن معاملتها .

﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف ﴾ (٢٩)،
فذلك ضمان لأن تكون للطفل ناصحه ، وله راعية .

* وفي حالة وفاة الأب ، فإن المسؤولية والرعاية تنتقل الى وارثه ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فهو المكلف أن يرزق من تقوم بإرضاع الطفل ، يكسوها بالمعروف والحسنى ، تحقيقا للتكامل العائلى الذى يتحقق طرفه بالإرث ويتحقق طرفه الآخر بتحمل نفقات الموروث.

الأساس الإجتماعى الرابع

التنشئة الإيمانية :

وذلك من خلال الحركة الإيمانية الاولى من خلال : -

(أ) الأذان في أذن المولود

يسن الأذان بصوت خفيض في إذن المولود اليمنى .. فعن ابن رافع رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ أذن فى أذن الحسين بن على حين ولادته فاطمة يعنى أذن بالصلاة * (٥٠) رواه أبو داود والترمذى .

(ب) العقيقة

يسن ذبح شاه عن المولود الذكر والمولودة الأنثى ، والأحسن الأكمل أن يذبح عن الذكر شاتين وعن الأنثى شاه فقد جاء فى حديثه صحيحه ابن خزيمة وغيره أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشا كبشا * (٥١).

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ * أمرهم أن يعق عن الغلام شاتان متكافئتان ، وعن الجارية شاه (٥٢) .

(جـ) التصديق بمقدار حلق شعره فى اليوم السابع فضه

وقد جاء فى الحديث : أمر الرسول ﷺ أن يماط الأذى عن الوليد فى اليوم السابع - وإماطة الأذى المراد بها ، حلق الشعر .. وجاء فى حديث غير متصل انه ﷺ أمر

فاطمة رضى الله عنها حين ولدت الحسين أن تحلق شعره وتتصدق بوزنه فضة ، فلما وزن كان درهما أو أقل من درهم " (٥٣) .

الأساس الإجتماعى الخامس

الحضانة :

تعرف الحضانة بأنها العيش - عيش الأولاد - فى أحضان الأبوين عيشه كريمة ، لذلك فقد رسمت لها الطريق لكى يدوم النقاء والصفاء والمحبة والألفة والرحمة والمودة بين قطبى الأسرة (الأبوين) ، كما أنها أمرت برعاية الأولاد والمحافظة عليهم وحمايتهم وتثقيفهم من الأبوين ، وهذا مايعرف بالحضانة ، كما أنها لا تترك الأولاد لحالة الضياع والتشتت والتشرد فى حالة انفصال الزوجان وإنما رسمت الخطوط الأساسية لحمايتهم ورعايتهم والمحافظة عليهم حتى يصلوا إلى مرحلة تمكثهم من إدراك مصالحهم والإعتماد على أنفسهم .

ونجد أن الإسلام قد جعل الأم ثم لقرباتها الأقرب ، حضانة الطفل حتى يبلغ سن السابعة ، وبعدها يدخل مرحلة أخرى ، يصدر فيها حكما يجعله لآبيه أو لأمه أو يخير بينهما وذلك عدل ورحمة ووضع الأمور فى مواضعها (٥٤) .

ولما كانت الحضانة من الأهمية بحيث يعتمد عليها فى تنشئة ورعاية الطفل وتكوينه وبناء شخصيته الإجتماعية ، فكان لابد من أن نتأكد من توافر العديد من الشروط فى القائم على حضانة الطفل ومنها :

عدة شروط للحضانة :-

١- ألا تكون الأم متزوجة بأجنبى عن الصغير المحضون ، مع أهليتها للتحمل سلوكها وتدينها والهدف من هذه السمات هو توفير الجو الصالح الذى يوفر نشأة مستقيمة .

٢- أن تكون أمينة على نفسه وسلوكه وخلقه .

٣- العدالة .

٤- القدرة على التربية والرعاية والتنشئة ومن تثبت مرضه أو كبره فلا حق له فى الحضانة .

٥- أن تكون الحاضنة حرة بالغة عاقلة .

٦- يشترط فيها أن تكون ذات رحم محرم للطفل ، كأمه وأخته وخالته وعمته فلا حضانة للغريبة غير المحرم كبنات الأعمام والعمات ... كما لا يثبت الحق فى الحضانة للمحارم غير الأقارب .

٧- ألا تكون مرتدة .

وعدة شروط للرجل الذي له حق حضانة الطفل لعدم وجود أهل لحضانته من النساء
وهي :-

١- الحرية ٢- العقل ٣- البلوغ .

٤- القدرة على تربية الطفل ورعايته

٦- أن يكون عصبية للطفل ، يقوم من يكون مقدما من الميراث .

٧- وأن يكون ذا رحم محرما إذا كان الطفل أنثى ، فليس لابن عمها حق حضانتها

٨- أن يتحدد فيها الإتحاد الذي يثبت به التوارث بينهما، فلا يكون للرجل حق حضانة الطفل ولا ضمه ، إذا خالف دينه دين الطفل بالإسلام وغيره وجميع الديانات غير الإسلام تعتبر ديناً واحداً هنا كما في الميراث (٥٥) .

الأساس الإجتماعي السادس :

الفقرة ..

النفقة في إصطلاح الفقهاء هي : الإدرار على الشخص بما يحفظ عليه حياته وهي على الإطلاق تشمل الطعام والسكن والكسوة .

وقد حدد النفقة للأولاد ، كل جانب منها له هدفه الاجتماعي وحكمته

الولد الصغير : " إني كان أو بنتا " إذا كان له مال حاضر أيا كان مقداره فلا تجب نفقته على أبيه - لأنه يعتبر غنيا بماله ، فإن كان ماله غير جاهز فعلى الأب أن ينفق عليه حتى يحضر ماله ، أما إذا كان الصغير ليس له ماله فنفقته على أبيه ، فإن كان أبوه فقيرا وجب عليه السعي والتكسب للقيام بهذه النفقة .

وإذا كان الأب فقيراً..أو غير قادر على التكسب ، أو لم تتيسر له طرق التكسب ،
لزمت الأم النفقة على الصغير .. فإذا لم يكن أحد من الأقارب يستطيع الإنفاق عليه
كانت النفقة في بيت مال المسلمين ، وإذا كبر الصغار فإن كانوا ذكورا فلا تجب نفقتهم
على أبيهم إلا إذا كانوا عاجزين عن الكسب بسبب مرض أو عاهة .

أما البنت فتجب على أبيها حتى تتزوج ، ولو لم تكن عاجزه عن الكسب ولا يجور لأبيها أن يدفعها للتكسب أو يوجرها في عمل أو خدمة ، فإن ذلك يعرضها للفتنة والانحراف ، ولكن إذا كان لها كسبها عن طريق مأمون ، فكانت كانت تعمل وهي في بيتها وتكسب من ذلك ، وكان أبوها فقيرا ، فلا تجب عليه نفقتها وإنما تنفق على

نفسها من كسبها ليفى بحاجتها ، كان على أبيها أن يكمل لها بما فيه كفايتها . أما إذا كان الأب غير موسر أو غير قادر على التكسب ، لزم الأقارب نفقه البيت . وجوب التفقة على الأولاد ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع :

يمكن أن نستعرض أوجه الرعاية الإسلامية المختلفة التي يمكن أن تحقق نشأة اجتماعيا سليما ، على النحو التالي :-

أ- أوجه الرعاية الجسمية والصحية :

وهي الخدمات والأسس التي يجب اتباعها لرعاية الجانب الجسمي للطفل ، ويكون هدفها هو نشأة الأولاد على خير ما ينشئون عليه من قوة جسمية وسلامة بدنية وتمتعهم بمظاهر الحيوية والنشاط لذلك يجب العمل على :

* توفير وتهئى الأسرة (الأهل والأولاد) كل من الغذاء السليم الصالح ، والمسكن المناسب والكساء الملائم ، حتى لا تتعرض أجسامهم للأسقام أو تنهك أبدانهم الأوبئة والأمراض ، وتساهم مؤسسات الخدمة الاجتماعية وهي مؤسسات الضمان الاجتماعى والمساعدات المادية لتحقيق ذلك فى حالة عجز الأسرة على تحقيقه .

* اتباع القواعد الصحية فى الماكل والمشرب والنوم .

بهدف خلق عادات سلوكية صحية تحقيق رعاية جسمية سليمة .

* الوقاية من الأمراض المعدية :

ونجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : " فر من المجنوم قرارك من الأسد " (٥٦) .

وقال عليه السلام : " لا يوردن ممرض على مصح " (٥٧) .

وفى تربية الأجسام والمحافظة على صحة الأبناء كان الهدى النبى الشريف يوجه إلى ابعاد الأولاد عن بعضهم البعض وفصل السليم عن المريض حتى لا ينتشر المرض ويعم .

التداوى من الأمراض :

يقول رسول الله ﷺ : " لكل داء بواء " (٥٨) وهذه دعوة محمدية بأن يتجه الآباء إلى معالجة أبنائهم إذا مرضوا لأن الشريعة الإسلامية ، تؤكد على الأخذ بالأسباب ، ولذلك لابد من الالتزام بالتوجيهات الإسلامية .

التعويد على الرجولة والرياضة :

نجد أن هناك اتجاهات متعددة فى هذا الشأن :

- تعويد الولد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية :

وجه الإسلام الى تعليم السباحة والرمى وركوب الخيل ، ويروى البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ كان يمر أصحابه فى الرمى فيشجعهم ويقول لهم : أرموا وأنا معكم كلكم " (٥٩) .

- تعويد الولد على التقشف والخشونة

يهدف من وراءه التعويد على الحياة الصعبة وعدم التنعيم ، حتى تكون التنشئة بداية حقيقية للجهاد فى الكبر ، ولقد روى الامام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، مرفوعا : أياكم والتنعيم ، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين .

- تعويد الولد على حياة الجد والابتعاد عن التراخى والميوعة والانحلال .

فقد قال رسول الله ﷺ : " كل شئ ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (أى الرمى) وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليم السباحة " (٦٠) .

ب- أوجه الرعاية العقلية :

وهى مجموعة الخدمات والتوجيهات والقواعد التى لو نفذت لتكون لدى الطفل فكراً نافعاً ناضجاً واعياً .. ولذلك يجب العمل على توعية وتعليم وتثقيف الولد منذ النشأة ، وأن آيات القرآن تؤكد على أهمية التعليم .

فنجد أن أول الآيات نزلت : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٦١) وأيضاً قول الله تعالى : ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (٦٢) .

ويأتى مسئولية الخدمة الاجتماعية وخاصة مع الأسرة والمدارس نحو تحقيق المناخ التعليمى الملائم والمناسب والمهنى لتحقيق العقلية الناضجة فى مراحلها التعليمية المختلفة .

ج- أوجه الرعاية النفسية :

هى مجموعة الخدمات والأنشطة والبرامج التى من خلالها إقامة المناخ النفسى الاجتماعى المناسب ، بهدف تكوين شخصية الطفل النفسية والمحافظة على إترانها وتكاملها ..

ونجد أن هذه الرعاية تتحرك من خلال اتجاهين أساسيين .. هما : -

الأول : أن يحرر الطفل من كل العوامل والأسباب التي تحطم كيانه الشخصى ..

الثاني : أن ندفع الفرد لتكوين كيانه النفسى بإتزان وصراحة ، والانضباط والتمتع بكل الفضائل الخلقية والنفسية على الإطلاق .

ونجد أن العديد من الإتجاهات النفسية الحديثة ومنه اتجاه " فروم " الذى يؤكد على أهمية الوالدين فى تشكيل شخصية الطفل ، فالأبوين يشكلان اتجاهات وقيم الطفل أثناء التجارب الأسرية (٦٢) .

قد ركز الإسلام على الإتجاهين السابقين فى تحقيق الرعاية النفسية لذلك أراد أن يوضح بعض العوامل التى يجب أن نسعى لتحرير الطفل منها والتى تشترك فى تحطيم كيانه الشخصى ، منها الخجل ، والخوف والشعور بالنقص ، والغضب .

د- أوجه الرعاية الإجتماعية :

هى مجموعة الخدمات ذات الطابع الإجتماعى التى تقدم للطفل من الأسرة يكون الغرض منها تكوين الكيان الإجتماعى له القادر على تحقيق التفاعل والتعامل ، وتكوين علاقات ايجابية سليمة مع البيئة الإجتماعية ، ويخرج هذا كله من خلال حسن المعاملة والتصرف ، الأدب ، والإتزان الاجتماعى والتعرف الحكيم ولذلك لابد وأن تتكون مقابلات الأسرة والمؤسسات المختلفة معها موضحة لها مثل هذه الأشياء .. والتى يمكن تحديدها فى كل من : -

- بناء الأصول الإجتماعية العامة :

وهى أصول تغرس منذ الصغر فى الطفل وأهمها : التقوى والأخوة والرحمة والإيثار والصفو والجرأة ، وقد ركز عليها الإسلام .

- بناء الأصول الإجتماعية المرتبطة بمراعاة حقوق الآخرين والتعامل معهم وأهمها : حق الأبوين ، والأرحام والجار والمعلم والكبير والصاحب ونهدف من ورائها بناء كل ما يحقق التفاعل الإجتماعى بين النشأ والآخرين ، تفاعلاً سليماً ومحددأ يراعى فيه حدود هذا التفاعل ونوعيته .

وهناك آيات كثيرة تركز على كل هذه الأصول :

- مراعاة الإلتزام بالآداب الإجتماعية العامة :

إن منهجية الإسلام قامت على أساس تكوين الولد خلقياً وإعدادة سلوكياً واجتماعياً ، حتى يكون تعامله مع الآخرين مبنى على أساس سليم يتميز بمكارم الأخلاق ...

ومن الآداب الإجتماعية الكثير ، ومن أهمها :-

آداب الطعام والشراب والسلام والمزاح والمجلس ، عيادة المريض ، التعزية ، العطاس ، والتأوب وآداب الحديث .

- المراقبة والنقد الإجتماعى :

ونهدف من وراثتها تقديم الطفل لكل ما يساعده على أن يتعود على مراقبة حدود الله وعدم الخروج عنها حتى يمكن المحافظة على القيم الأساسية للإسلام سواء أكان ذلك عن طريق توجيهه على أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أو محاربة الفساد والانحراف والخلل الإجتماعى الذى يمكن أن يظهر فى الأمة الإسلامية ، وتؤكد كلمات الله تعالى هذه المعانى يقول : ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أَمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٦٤).

ولتكوين الكيان الإجتماعى وتحقيق أهداف الرعاية الإجتماعية لابد وأن توجه الأسرة للأسس والقواعد التى يجب أن يلتزم أفرادها تجاه هذا الطفل .. هى :-

(١) المساواة فى المعاملة .

(٢) الرفق فى المعاملة والحديث .

(٣) التدرج فى التوجيه والوقاية والتربية .

ولذلك نجد أن :

(١) المساواة فى المعاملة : فهى تعنى العدل فى المعاملة أو التسوية بين الأولاد ، لأن أساس التكوين الإجتماعى للطفل ، وهو شعوره بالمساواة وخاصة بين اخوته ، حتى بداية حقيقية للتعامل مع الوجود الإنسانى كله حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦٥).

عن النعمان بن البشير قال : نحلّى أبى نحلا ثم أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهده، فقال أكل ولدك أعطيته هذه ؟ قال : لا ، قال : أليس تريد منهم الرب ما تريد من ذا ؟ قال : بلى، قال : فأتى لا أشهد (٦٦) .

(٢) الرفق فى معاملة الأطفال :

لقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الرفق فى معاملة الأطفال ونبذ القسوة ، لأن القسوة فى المعاملة ، مثبطة للهمم ، قاتلة للذكاء ، مؤدية للذل ، باعثة على النفاق ، ومن أهم جوانب تكوين الجانب الإجتماعى فى الشخصية الرفق فى المعاملة وحسنها ، لأنها تكون شخصية إجتماعية مترنة ومتسامحة وصادقة .

وفى الصحيحين وفى حديث أبى هريرة قال : قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على ، وعنده الأقرع بن حابس التميمى حال ، فقال الأقرع : أن لى عشرة من الولد وما قبلت أحدا منهم ، فنظر إليه الرسول ﷺ ، وقال : ومن لا يرحم لا يرحم " (٦٧) .

(٣) التدرج فى التوجيه والوقاية والتربية :

للإسلام طريقته الخاصة فى محاولة توجيه الطفل وإصلاحه فى بدايات إنحرافه ، فالإسلام يتدرج فى ذلك .. على النحو التالى :-

- الملاطفة بالوعظ: فقد روى البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أثر بشراب فشرب منه . وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال الرسول ﷺ للغلام ، أتأتى لى أن أعطى هؤلاء ؟ وهذه هى الملاطفة ، فقال لا والله ، لا أؤثر بنصيبى منك أحدا ، فقله رسول الله ﷺ فى يده (أى وضعه فى يده) (٦٨)

- الزجر أو الهجر : فلا يجوز أن يلجأ إلى الضرب :

فقد روى البخارى ومسلم عن ابن سعيد رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الخزن ، وقال أنه لا يقتل الصيد ، ولا ينكا العدو ، وأنه يفقأ العين ويكسر السن

الضرب: إذا عجزت كل الوسائل السابقة ، فلا بأس بعد ذلك أن يلجأ الى الضرب غير المبرح ، وقد روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع ﴾ (٦٩) .

ثانياً - المدرسة :

تعتبر المدرسة من الجماعات الثانوية المؤثرة تأثيراً كبيراً على الطفل ، حيث أنها تلعب دوراً كبيراً فى تنمية القدرات الإدراكية للطفل وتوجيهها ، ومن ثم صقل بناء الطفل الشخصى عقليا واجتماعيا وخلقيا ...

ولكن يجب الإشارة هنا إلى وحدة لها من التأثيرات والتوجيهات الكثيرة بالنسبة لجزء ليس بالقليل لأطفالنا قبل المدرسة ألا وهى الحضانات حيث أن زيادة الرغبة فى تعليم الأبناء قبل مرحلة التعليم الأساسى ، وخروج المرأة للعمل ، بل وتزايد خروج الأمهات للعمل ، مما يدفعهن إلى ترك أبنائهم فى حضانات سواء فى أماكن أعمالهم أو بجوار بيوتهم ، وهذا يؤدى إلى تقليص دور البيئة الطبيعية (الأسرة) فى التنشئة الاجتماعية الأساسية الأولى للأطفال .

لذا يجب أن نرى الحضانة ووضعها الحالى فى المجتمع وكذلك مدى تأثيرها على النشأ، بل ومدى قدرتها على تحمل مسئولية إعداد جيل وخاصة إعداد عقائديا .. فنجد أن الطفل يوضع فى دار الحضانة مع معلمات ومربيات لسن على المستوى المطلوب من الإعداد التربوى والأكاديمى المطلوب إسلاميا وليست الحضانة مجهزة بالوسائل والأساليب والكتب التى يمكن أن تحقق التربية والتنشئة الإسلامية المطلوبة ، بالإضافة إلى مجموعة المبررات الشخصية للمعلمات والمربيات ، ومن أهمها أن معظمهن يفتقدن الرغبة الحقيقية فى هذا العمل ، كما ينقصهن الحماس والدافع للنجاح فيه ، وأصبحت مهامهن الحضور إلى عمل وظيفى روتينى للتعايش من ورائه ، وكثير ما يمارسن ألوانا عديدة من العقاب البدنى والنفسى على الأطفال ، لارغامهم على الصمت وعدم الحركة ، ليستمتعن بالثرثرة أو شغل التريكو (٧٠) .

ومن هنا يجب علينا أن ننطلق نحو إعادة صياغة مفهوم العمل فى دور الحضانة ومسئولياته والهدف منه فى بداية إعداد الطفل وصياغة عقلية تعليمية وإسلامية . وكذلك نوعية الأسرة للاهتمام بطفلها إذا لم تكن الحاجة ملحة لدور الحضانة وأجهزتها ومسئولياتها نحو العمل على الإهتمام بالأسس والقواعد التربوية والدينية التى سبق إيضاحها فى شخصية المعلمات والمربيات .

ومن ثم لابد من أن نوضح ملامح المناخ المدرسى الإسلامى على النحو التالى :-

- مناخ يسوده الحب والمودة والحرية .. حتى نعطى لشخصية الطفل أبعادا حقيقية للحرية .. فينطلق عقله لكى يفكر ويعبر ويناقش وينضج ويتخذ قراره ..

- مناخ تسوده العدالة والمساواة ، مما يشعر معه الطفل بالأمان النفسى والاستقرار الاجتماعى ، فيندفع نحو العمل بجد واجتهاد ، ويعلم من خلاله بأن قيمته الحقيقية فى تحصيله وعلمه ، وأنه سوف يثاب على ذلك ، ولا يتوقف ذلك على وجود طبقة معينة أو مستوى معين ولا نخاطر بتحطيم كثير من أطفالنا بالرشوة أو النفاق أو المحسوبية أو الوساطة .

من هنا نجد أن المناخ الإسلامى يسوده اتاحة الفرصة لجميع أطفالنا مما يعطى لهم الرغبة الحقيقية والحفز المتواصل نحو استثمار مآلديهم من قدراتهم وإمكانياتهم وبناء شخصياتهم الإسلامية .

ولا يمكن أن يتحقق هذا المناخ المدرسى إلا من خلال :-

المدرس ، والمنهج وطرق التدريس المتبعة وأوجه النشاط المختلفة وكذلك العاملين بمختلف التخصصات بالمدرسة .

ونستطيع أن نقول أن العمل المهني للخدمة الإجتماعية يتحرك من خلال:-

* مجموعة الخدمات الفردية المتنوعة ومنها مواجهة المشكلات وإشباع بعض الحاجات مثل الحاجات المادية وكذلك النفسية والإجتماعية .

* مجموعة الأنشطة التي تمارس داخل المجال المدرسى .

فلو إنطلقنا بالخدمة الإجتماعية فى أوجه النشاط المختلفة بالمدرسة يمكن أن يكون تحريكها المهني لمجال خصب لرعاية الطفل رعاية شاملة متكاملة .

فأوجه النشاط وممارستها إيجابيا يحقق كل من :

* إشباع حاجتهم وميولهم ورغباتهم بشرط أن توجه توجيهها قيما إسلاميا سليما .

* تعليمهم العديد من المهارات والخبرات الإجتماعية والنفسية والجسمية التي لا يمكن تعليمهم أياها فى الفصل وبالتالي نكسب الطفل الكثير من السمات الإجتماعية والإسلامية ومنها التعاون والصبر وضبط النفس وإحترام الغير وتحمل المسؤولية .

ومن هنا تلعب الخدمة الإجتماعية دورا أساسيا فى تحقيق ذلك من خلال أوجه لنشاط المختلفة وفقا للجماعات المتنوعة ويمكن أن نوضح الأطر الأساسية لعملها فى هذا الشأن .. على النحو التالى :-

إطار الأول : تنوع الجماعات وتعدد أنشطتها :

- الجماعات الثقافية وهى متعددة ومنها :

* جماعة المحاضرات والندوات والمناظرات .

* جماعة الصحافة .

* جماعة المكتبة .

* جماعة الأذاعة .

* جماعات أخرى كالشعر والنثر والزجل والخطابة .

- الجماعات الإجتماعية .. ومنها :

* جماعة الجمعية التعاونية - جماعة النادى المدرسى - جماعة الخدمة العامة .

* جماعة الهلال الأحمر - جماعة المراسلات - جماعة الرحلات والمعسكرات .

* جماعة الحفلات .

ج- الجماعات الرياضية .ومنها :

* فريق الألعاب - جماعة التمرينات الحرة - جماعة الحركات على الأجهزة - الفرق المائتة .

د- الجماعات الفنية .. ومنها :

* جماعة الرسم والتصوير والحياسة وأعمال التجارة والتجليد والتمثيل .

هـ- الجماعات العلمية :

جماعة الكيمياء ، والجغرافيا ، والتاريخ وإحياء العلوم - الخط (٧١) .

هذه هي أوجه النشاط بأنواع الجماعات التي يمكن أن تمارس داخل المدارس ، والتي يمكن أن يتخذ منها الأخصائي الإجتماعي ما يجده مناسب لتحقيق حاجاتهم وإشباع رغباتهم ويتفق مع يعد لهم من ناحية ، ويتمشى مع مرحلتهم العملية التي يمرون بها أطفالنا من ناحية أخرى حتى يحقق النشأة الإجتماعية السليمة ذو الطابع الإسلامي .

الإطار الثاني : الركائز الأساسية لعمل الخدمة الإجتماعية لرعاية الطفل إسلاميا :

أ- منهجية الخدمة الإجتماعية في ممارسة أوجه النشاط بالمدرسة أو الإطار المبني الذي ينطلق منه الأخصائي الإجتماعي محددا فيه كل من الجماعة وأماكن أنشطتها وأنواتها ومحتوى النشاط وأهدافه الإسلامية .

ب- الطبيعية القيمية لمنهج العمل ، والتي تحل طابعا إسلاميا وفقا للقواعد الإسلامية والقيم الإيجابية التي يجب أن تترجم في طبيعة النشاط وممارساته .
ج- الواقع بإحتياجاته وإمكانياته وتطلعاته المستقبلية وإسلاميته .

الإطار الثالث : كيفية الممارسة للنشاط في الجماعات المتعددة والتي يمكن أن تسهم في رعاية الطفل إسلاميا .

١- نجد أن النشاط الثقافي يتنوع وفقا للجماعات الثقافية المدرسية ، ونجد أن العمل المهني يترك نحو تحقيق كل من :-

* إقامة الندوات والمحاضرات في الموضوعات الثقافية المختلفة التي يجب أن يراعى فيها عمر الطفل ويدور محورها .. أما برأى الدين الإسلامي نحو ضروب الحياة وكيفية تحقيقها أو تدور في مناخ يحمل طابع إسلاميا تنظيميا وقيميا ونركز فيه على التحام الأطفال بقيادات العمل الإسلامي (٧٢) بما يحقق المناخ الثقافي الإسلامي .

* دفع الطفل وحفره وتعويده على القراءة ، ومن ثم لابد من وجود كتب وقصص وأعمال أدبية دينية وأعمال دينية إسلامية في العديد من فروع العلم منها الطب والهندسة والأدب والسير والسياسة والعقريات والمعارك الحربية .

* إقامة المسابقات الثقافية في جميع فروع المعرفة الإسلامية وتحديدًا وفقًا لقواعد سليمة في عملية الفرز والتصحيح وإعطاء قيمة حقيقية إسلامية للجائزة المعطاه ، بشرط أن تكون أسس وقواعد الفرز واضحة ومحدد ومحايده ومعروفة مسبقًا كما أثار الإسلام مما يشعر الأطفال بالأمن والطمأنينة والأمان فيتعلمون الطريق القويم .

* الإهتمام بجماعة الخطابة والنثر والشعر والزجل لتمجيد الشعائر الإسلامية وإحياء علماء ومفكرى وخلفاء المسلمين مركزين على أعمال النبي الرسول المهداه .

* الإهتمام بالإذاعة المدرسية .. ودفع الجماعة المسئولية عنها لتركيز برامجها على الجوانب الإسلامية ومعرفة أخبار المجتمع الإسلامى والدعوة إلى دعم الإطار الدينى .

.. أما النشاط الإجتماعى داخل المدرسة :

ويعتبر وسيلة حقيقية لإكساب الطفل (التلميذ) جزءاً أساسياً من السلوك الإجتماعى ولذلك يجب أن تتحرك الخدمة الإجتماعية بالنشاط الإجتماعى ، الذى يتميز بالعلاقات والتفاعلات الإجتماعية بين الطفل والآخرين فى ممارسة أطفالنا له من خلال أسس وقواعد إسلامية حتى يتكون لديهم السلوك الإجتماعى لاسلامى .. وهذه القواعد التى يجب أن يلتزم بها الأخصائى الإجتماعى أثناء مساعدة الأطفال وقيامهم بالنشاط الإجتماعى .. وهى :

* أن يكسبه القيم الإجتماعية النابعة من الإسلام .. أهمها المشاركة والتعاون على البر والتقوى وتحمل المسئولية ...

* تثبيت بعض الأفكار الرئيسية لدى أطفال الإجتماعية من خلال إستشارتهم وتحفيزهم لممارسة نشاطهم على أساس أنه نوع من أنواع الحركة الإجتماعية ومجدد للنشاط ومحقق لأهداف إجتماعية إسلامية وليس مضيعة للوقت حتى يمكن أن تستثمر طاقاتهم أحسن استثمار ممكن .

* أن يرتبط النشاط الإجتماعى بالإحتياج المجتمعى الإسلامى ..

مركزين على تحقيق الولاء الإجتماعى للمجتمع الإسلامى وتنشيط الأطفال لتقوية علاقاتهم الإجتماعية بأنفسهم وبيعضهم البعض وأعداد كيانات إجتماعية قوية تدافع عن المناخ الإسلامى فى تعاملاته وعلاقاته وكيانه .

* يجب أن يكون نشاط الرحلات كنشاط إجتماعى موجه فى جزء كبير منه نحو العرف على المعالم بالآثار الإسلامية حتى يكون هناك تواصل حقيقى بين أجزاء الحضارة الإسلامية بين الأجداد والآباء والأبناء ولذلك يجب أن نركز على رحلات إلى المتاحف الإسلامية ، وتتعرف على تاريخها ومعالمنا وأثارنا الإسلامية فيها ودور عظمائنا المسلمين فى تحقيقها .

* يجب أن يتجه نشاط المعسكرات نحو تعويد الأطفال على حياة الجد والجد والصبر حتى يخرجوا منها أقوياء صالحين كما يحض على ذلك الدين الإسلامى وفى نفس الوقت نتجه نحو دعم المجتمع الإسلامى فى حاجته نحو تشجير المدن وزراعة الصحراء وتصوير القرى والمساهمة فى إصلاح الطرق الممتدة وخاصة فى الريف المصرى .

* كما يجب أن يوجه نشاط الحفلات إلى تعريف أطفالنا بالسيرة المحمدية ودور المسلمين الأول وجهودهم فى بناء الدعوة وبناء الإنسان المسلم الحقيقى وإقامة الحفلات للتعرف على قيادات العمل الإسلامى ومناقشاتهم فى بناء الشخصية الإسلامية الحققة .

٢- الجماعة الرياضية :

فهى جماعات تهدف إلى تقوية الأجسام وتعليم المبارات الأساسية الرياضية ، فلو تم توجيهها إلى ما ينفع الإسلام من البداية وهى مع الأطفال حتى يمكن تنمية قدراتهم الجسمية وفقا لاتجاهات الدين الإسلامى من خلال تعليمهم وتدريبهم على السباحة والرمية وركوب الخيل وما يشابهها ، ويمكن أن تحقق نشأ قوياً يفخر به الإسلام ويفتخر به على مستوى العالم بالمسابقات العالمية حتى تظهر إنعكاس دعوة الإسلام على أبنائه وأطفاله ..

٤- الجماعة العلمية :

وفى سن الطفولة يمكن أن نعلم وندريب الأطفال على حسن الخط العربى الأصلى وهو خط القرآن وأحاديث الرسول ﷺ بالإضافة إلى تكوين جماعة التاريخ لمحاولة رصد التاريخ الإسلامى نكون قد حققنا الدعوة الإسلامية .

٥- الجماعة الفنية :

يمكن استثمار هذه الجماعة فى إقامة المعارض الإسلامية وتجسيد الروح الإسلامية فى أعمال فنية وعرضها على باقى الأطفال ، فنسى فى الجماعة والأخرى الروح والكيان الإسلامى .

العنصر الثانى : توجيه أجهزة الإعلام توجيهها إسلاميا :

تلعب أجهزة الإعلام (المجلة - الإذاعة والتلفزيون) ووسائل الثقافة (الكتاب - المسرح - السينما) دورا ليس بالقليل فى حياة أبنائنا .

لذلك يجب أن تتضافر كل الجهود بشكل عضوى من أجل بناء أولادنا بشكل متحد سليم قائم على أسس إسلامية فى أجهزة الإعلام والثقافة المختلفة .

ويأتى هنا دور الخدمة الاجتماعية فى وسائل الإعلام والتي يجب أن تكون مرتبطة بكل المؤسسات الاجتماعية وغير الاجتماعية حتى تتعرف على رد فعل البيئة وخاصة المحلية لبرامجها المسموعة أو المرئية ، حيث نجد أن مؤسسات الخدمة الاجتماعية منتشرة فى كل البيئات ولها أهداف متعددة مع الطفولة والشباب وتتحرك من ملاحظة السلوك وتصرفات الأبناء وإشباع الخدمات لهم ، وهى بحساسيتها المهنية يمكن أن نرى تقدمها بأبحاث عن تأثير وسائل الإعلام المختلفة فى العلاقات الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية والواقع الاجتماعى القيمى ، لما لهذا كله من انعكاس فى سلوك الأطفال ، وهنا تتحرك الخدمة الاجتماعية باستمرار لتعطى لأجهزة الإعلام مدى انعكاس برامجها وتأثيراتها المختلفة على أطفالنا أول بأول حتى لا تحدث مشكلات ، وتحتاج إلى علاج جيل كامل وليس مجموعة أفراد .

كما أن الخدمة الاجتماعية إذا لم تستجيب وسائل الإعلام لبحوثها واتصالاتها وعلاقاتها بها يمكن أن تقوم بدور وقائى فى توجيه الأسر وأولياء الأمور بالعمل على مشاهدة البرامج التلفزيونية مع أبنائهم ومحاولة نصحتهم وتوجيههم توجيهها قيما وفقا للدين الإسلامى .

ولكن نظرا لانتشار الخدمة الاجتماعية فى العديد من المؤسسات مثل المدارس والأندية والساحات الشعبية التى يوجد فيها الأطفال ، فيمكن أن نستثمر برامج التلفزيون والإذاعة أثناء تواجد الأطفال فى هذه المؤسسات توجيههم لها ، وأهمية إتباع ومشاهدة برامج بعينها دون الأخرى ، أو مساعدتهم على الفهم الصحيح لهذه البرامج .

ولكن نؤكد على دور الخدمة الاجتماعية ، فى الإذاعات الداخلية والإعلام الداخلى فى المدارس والساحات الشعبية والأندية الاجتماعية ، حيث تتحكم فيه ومنه ويمكن أن نعطي الدفعة القوية للنشأ بالنسبة للبرامج المذاعة فى الإطار العام المجتمعى .

العنصر الثالث : المساهمة الحقيقية فى رسم سياسة اجتماعية إسلامية :

لكل دولة سياستها العامة التى تستمد وجودها ومفاهيمها واتجاهاتها من أيديولوجية الدولة وقيمتها ومعاييرها ، وهى مجرد تفكير منظم يعبر عن الأهداف التى ترى الدولة تحقيقها فى جميع الميادين والمجالات .

وينبثق عن السياسات العامة سياسات فرعية يختص كل منها بميدان أو مجال معين كالزراعية أو الصناعية أو التعليمية أو الإجتماعية (٧٣)

وتعرف السياسة الإجتماعية بأنها " نتائج التفكير المنظم الذى يوجه التخطيط والبرامج الإجتماعية ، فالسياسة تتبع من أيديولوجية المجتمع تعبر عن أهدافه البعيدة وتوضح مجالات البرامج والخطط الإجتماعية وتحدد الإتجاهات العامة لتنظيمها وأدائها.

من خلال التعريف نجد أن السياسة الإجتماعية تتضمن :-

(١) أيديولوجية المجتمع : وهى الفلسفة الموجهة لسلوك المجتمع والحكومة ويجب أن تلعب الخدمة الإجتماعية دورا أساسيا فى المساهمة فى صنع السياسة الإجتماعية من خلال الإطار الدينى الإسلامى بدلا من الإتجاه والأيديولوجية الإشتراكية .

(٢) أهداف بعيدة : فهى تسعى لتحقيق أهداف بعيدة المدى ويجب أن ندفع لبناء أهداف يكون فى نهايتها تحقيق الدعوة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامى من خلال بناء الطفل المصرى المسلم .

(٣) مجالات العمل : هناك مجالات التأمين الإجتماعى أو الصحى أو التعليمى .. وما إلى ذلك ، وهنا يبقى بناءه على أفكار أساسية فلو تم بناءه على أفكار إسلامية يمكن أن يساهم وخاصة فى المجال التعليمى حتى يخرج النشأة نشأ إسلاميا صحيحا .

(٤) إتجاهات والسياسة الإجتماعية إتجاهات ، وتلك الإتجاهات تتأثر بأيديولوجية المجتمع ، فلو كان الأيديولوجية إسلامية فيكون طبيعة الإتجاهات إسلامية من بين الإتجاهات إتجاهات فى كفاية الحد الأدنى لإحتياجات الفرد ، كما قد تتجه إلى توفير حياة كريمة للفرد فوق المستوى الأدنى ، وهكذا ، كما نادى بها الإسلام بما يحقق فرصة حقيقية للطفل حتى يخرج قويا معافيا مؤمن قوى يدافع عن دينه ووطنه .

ومن هذا المنطق تلعب الخدمة الإجتماعية بينائها الإسلامى فى تحقيق ذلك من خلال وجودها كمهنة فى المجتمع تهتم بطرقها المختلفة بالعمل على تحقيق الحاجات والمتطلبات الإجتماعية وتتحرك نحو تدعيم العلاقات الإجتماعية بين الأفراد والجماعات والمجتمعات بل والنظم الإجتماعية أيضا من خلال مؤسساتها المنشورة ، ويمكن أن تتحرك فى العمل على :-

- أ- إجراء البحوث الإجتماعية العلمية التي تحدد الإحتياجات غير المشبعة للطفل الحالى أو إحتتمالات ظهور إحتياجات أخرى بدرجة من التنبؤ وكذلك يمكن أن تتحرك نحو التعرف علي الأضرار والأخطار الناجمة عن عدم إستخدام الأسس والقواعد الإسلامية فى تنشأة النشأ وانعكاسها فى العلاقات الإجتماعية بين الأطفال بعضهم وبعض وبينهم وبين مجتمعهم بأفراد وأجهزته ومؤسساته .
- ب- تعمل على تنبيه المجتمع بمؤسساته المسئولة عن الطفولة من خلال نتائج بحوثها الحالية حتى يدرك المجتمع إحتياجات الطفل فى المستقبل منا يؤدى إلى توقيرها فنحقق له الرعاية السليمة .
- ج- تساهم فى وضع خطط وبرامج تهدف من خلالها إلى تحقيق الإحتياجات وإشباعها وتعطى الأولوية فى برامجها علي أكثر الإحتياجات الحاحا وخاصة حاجات الطفولة ، وبالتالي تساهم الخدمة الإجتماعية بحساسيتها الإجتماعية المباشرة مع عملاتها ومستفيديها فى مؤسساتها الإجتماعية فى تحديد أهداف السياسة العامة وفى توجيه أهم المجالات التى يجب أن يوجه الجية فيها أكثر، وتعمل على وضع الخطط والبرامج التى تحقق هذه الأهداف من خلال مؤسساتها المتنوعة .

الهوامش

- (١) عبد الرحمن العيسوى : الإسلام والعلاج النفسى : القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٦ ، ص ٨٧ .
- (٢) محمد أحمد عبد البادى : الخدمة الإجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية ، بحث تحت النشر ، ص ٥ .
- (٣) محمد بن أحمد صالح : الطفل فى الشريعة الإسلامية : القاهرة ، نهضة مصر بدون ناشر ، ص ١ .
- (٤) سورة النور ، ٥٩ .
- (٥) محمود حسن : الخدمة الإجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة الأنجلو المصرية ج١ ، ١٩٧٦ ، ص ٧٩ .
- (٦) سورة النحل ٨٩ .
- (٧) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد والمجتمع المعاصر : القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ج ٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٤٠ .
- (٨) عبد الحليم رضا : الخدمة الإجتماعية المعاصرة - كفر الشيخ ، مركز الدراسات الوطنية ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٥ .
- (٩) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ج٩ ، ص ٨ .
- (١٠) عطيه صقر : موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الجزء الأول : مراحل تكوين الأسرة القاهرة ، الدار المصرية للكتاب ، ج٢ ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م ، ص ١٥١ .
- (١١) سورة طه : ١٢٢ .
- (١٢) عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد فى الإسلام : الجزء الأول : بيروت ، دار الطباعة للنشر والتوزيع ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ٢٧ .
- (١٣) سورة الروم : ٢٠ .
- (١٤) صحيح البخارى ج٩ ، ص ٦-٧ .
- (١٥) سورة النحل : ٧٢ .
- (١٦) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ٨ .

- (١٧) سورة الروم ٢١ .
- (١٨) زيدان عبد الباقي : الأسرة والطفولة : القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٩ م - ص ٧٣ .
- (١٩) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ٣٨ .
- (٢٠) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ٢٧ .
- (١٢) سورة .
- (٢٢) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ٢٨ .
- (٢٣) مصطفى عبد الواحد : الأسرة والسلام : جدة دار البيان العربى ، ج٤ ١٩٨٤ ، ص ٢٥ .
- (٢٤) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ٢٩ .
- (٢٥) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ٣٠ .
- (٢٦) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ٢٣ .
- (٢٧) المرجع السابق ، ص ٢٣ .
- (٢٨) عبد الله ناصح علوان : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩ .
- (٢٩) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ٢٥ .
- (٣٠) سيد أبو حسانين : طريقة الخدمة الإجتماعية فى تنظيم المجتمع : القاهرة الانجلو المصرية ، ط١ ١٩٧٤ ، ص ٤١ - ٤٧٣ .
- (٣١) صحيح البخارى ، ج٩ ، ص ١٣٦ .
- (٣٢) صحيح البخارى ، ج١٠ ، ص ٨٩ .
- (٣٣) حديث .
- (٣٤) حديث .
- (٣٥) محمد بن أحمد صالح : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ .
- (٣٦) حديث .
- (٣٧) جمال مجدى حسانين : دراسات فى التنمية الإجتماعية ، القاهرة ، دار الطباعة للجماعات ، ١٩٨٧ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
- (٣٨) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

- (٣٩) زيدان عبد الباقي مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .
- (٤٠) محمد السيد الهابط : التكيف والصحة النفسية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٥ .
- (٤١) حديث .
- (٤٢) حسن أيوب : السلوك الإجتماعي في الإسلام ، القاهرة ، دار البحوث العلمية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ ، ص ٢٣٦ .
- (٤٣) عبد الله ناصح علوان : مرجع سبق ذكره ، الجزء الأول ، ص ٧٩ .
- (٤٤) المرجع السابق ، ص ٨٠ .
- (٤٥) حسن أيوب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٦ .
- (٤٦) صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ٥٠٠ .
- (٤٧) صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ٥٠٢ .
- (٤٨) محمد بن أحمد صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٢ .
- (٤٩) سورة البقرة ٢٣٣ .
- (٥٠) صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ٥٠٥ .
- (٥١) صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ٥٠٦ .
- (٥٢) المرجع السابق ، ج٩ ، ص ٥٠٦ .
- (٥٣) صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ٥٠٥ .
- (٥٤) حسن أيوب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٧ .
- (٥٥) عبد الرحمن تاج ، الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية ، ١٣٨٢ هـ ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .
- (٥٦) صحيح البخاري ، ج٦ ، ص ٦ .
- (٥٧) صحيح البخاري ، ج٦ ، ص ٧ .
- (٥٨) صحيح البخاري ، ج٦ ، ص ٢ .
- (٥٩) صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٩٣ .
- (٦٠) صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٩٤ .
- (٦١) سورة العلق : ١ - ٤ .

- (٦٢) سورة الزمر : ٩ وكذلك طه ١١٤ ، المجادلة ١١ ، القلم ١ ، ٢ .
- (٦٣) محمد سعيد فرج : البناء الإجتماعى والشخصية : الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ٤٧ .
- (٦٤) سورة آل عمران : ١١ .
- (٦٥) سورة النحل ، كما جاء فى سورة النساء ، ١٣٥ .
- (٦٦) صحيح البخارى ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .
- (٦٧) صحيح البخارى ، ج ٨ ، ص ٩ .
- (٦٨) صحيح البخارى ، ج ٨ ، ص ١٧ .
- (٦٩) سورة المزمل ١ - ٦ .
- (٧٠) عبد الرحيم الرفاعى : التربية البيئية لطفل ما قبل المدرسة : بحث بمجلة التربية بكلية الزقازيق ، العدد الثالث ، السنة الخامسة ، ١٩٩٠ ، ص ٤١٥ .
- (٧١) محمد نجيب توفيق : الخدمة الإجتماعية المدرسية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦ ، ص ٨٧ - ٨٨ .
- (٧٢) محمد عبد الهادى : الخدمة الإجتماعية الإسلامية - القاهرة ، مكتبة وهبة سنة ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م ، ص ١١٩ .
- (٧٣) سيد أبو بكر حسانين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتنقى الإسلام حديثاً

د. رشاد أحمد عبداللطيف

تمهيد لمشكلة البحث وأهميتها

قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٢) (١)

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) (٢)

لقد اهتم القرآن بأمر الدعوة وأولى لها أهمية وعناية فائقة وذلك من خلال التوجيهات التي تضمنتها آياته .. فقد أوجب الإسلام على الأمة أن تنتدب فيها جماعة لتقوم بمهمة الدعوة إلى الله وتعمل على إصلاح الناس ودعوتهم إلى الإسلام وتوضيح أوجه الخير التي لا تستقيم حياة أى مجتمع بدونها . ويشير إلى ذلك قول الله تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ (٣)

وقول الله تعالى :

﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣٠) (٤)

فى إطار ذلك يشير مفهوم الدعوة إلى تبليغ الإسلام إلى غير المسلمين ، والعمل على تثبيت العقيدة لدى من دخلوا الإسلام منهم من خلال الاقتناع الخالى من الاكراه والحب الخالى من الكراهية، والعمل على العناية بهم ودراسة احتياجاتهم والمشكلات التى تواجههم .

وتعتبر طريقة تنظيم المجتمع إحدى طرق مهنة الخدمة الاجتماعية التى يمكن أن تسهم فى مجال الدعوة إلى الله ، حيث تشير الكتابات الحديثة أنها لم تعد تركز على مبادئ الطريقة أو الأدوار التقليدية للمنظم الاجتماعى ، بل اتجهت صوب مهارات ومجالات جديدة ، ومن هذه المهارات دراسة الاحتياجات Needs Assessment وتصميم البرامج Program Design وزيادة الموارد المالية للمؤسسات Fund Rais- ing وهى لم تعد قاصرة على المجالات التقليدية المتعارف عليها كالمدارس والمستشفيات أو المصنع ، بل امتدت إلى مجالات وفئات جديدة ، ومن هذه المجالات مجال الدعوة لله، ومن هذه الفئات معتنقى الإسلام حديثاً، مستهدفة بذلك العمل على دراسة احتياجاتهم

ومشكلاتهم والعمل على تصميم البرامج المناسبة والملائمة لإشباع احتياجاتهم ومواجهة مشكلاتهم بما يمهّد في الوصول إلى سياسة عامة لرعايتهم والاهتمام بهم .

كما تسعى طريقة تنظيم المجتمع في إطار العمل في مجال الدعوة إلى الله إلى التعرف على المراحل التي يمر بها معتنقو الإسلام حديثاً حتي دخولهم الإسلام ودور الاختصاصي الاجتماعي في كل مرحلة منها ، وقد استفاد الباحث في تحديده للمراحل التي يمر بها من يتبنى ديناً جديداً بما جاء في المؤتمر العالمي لتنصير العالم الإسلامي، الذي عقد في مدينة جيلين ايرى بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٨ حيث قدم به أكثر من مائة بحث تتناول جميعها الوسائل والأساليب والخطوات التي يتم من خلالها تنصير المسلمين ، بالإضافة إلى احتواء بعض الأبحاث على مقاييس تستخدم في تنصير المسلمين وتشمل الجوانب الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المحيطة بهم ، بالإضافة إلى الجوانب التي تتصل بالاعداد والتهيئة واتخاذ القرار (٥) .

ولقد استفاد الباحث من هذه المقاييس ومن خبرته في العمل مع معتنقي الإسلام طوال عام ١٩٩٠م (١٤١٠هـ) في وضع تصوره للمراحل التي يمر بها معتنقو الإسلام حديثاً عند اتخاذهم القرار بالدخول في الإسلام وما ينبغي أن يقوم به الاختصاصي الاجتماعي في كل مرحلة من هذه المراحل .

جدول رقم (١)

يوضح المراحل التي يمر بها معتنقو الإسلام حديثاً عند اتخاذهم القرار بالدخول في الدين الاسلامي

مراحل القرار	أسباب اتخاذ القرار	مشاعر معتنق الإسلام حديثاً	دور المنظم الاجتماعي والمؤسسات الإسلامية
(١) التفكير	ادراك بأن هناك رباً واحداً لهذا الكون والرغبة في التقرب إليه (الايـمـان بالفطرة).	- الرغبة في نبذ الشرك بالله . - ادراك التناقض بين ديانتهم الأساسية والإسلام . - الرغبة في معرفة المزيد عن الإسلام . - قلة المعلومات المتوفرة لديه عن القرآن الكريم . - لا توجد معرفة كافية بآركان الإسلام .	- يمكن أن يستفيد المنظم الاجتماعي من الأطر النظرية المتصلة بعملية التحول واتخاذ القرار حيث يمكن تطبيق نظريات الاتصال والأبحاث الخاصة بالاتجاهات والتأثير في آراء الناس . ويلاحظ أن الدراسات المتصلة بهذه الجوانب معظمها غربي ، وتعالج الجوانب النفسية . لذا يعتبر الاهتمام بالدوافع والعوامل التي يعتمد عليها المنظم الاجتماعي الداعي إلى الله سبحانه وتعالى . وهن لا بد من ادراك هذه الجوانب : أ - عوامل الاعداد والتهيئة . ب - محيط الالتزام (الاطار الثقافي والاجتماعي) . ج - سرعة التأثير . د - خطوات اتخاذ القرار .

<p>(٢) الاقتناع واتخاذ القرار</p>	<p>الدخول في الإسلام</p>	<p>- ادراك أولى بالقرآن الكريم . - ادراك مبادئ الإسلام الأساسية . - فهم واستيعاب معاني القرآن . - ارتباط إيماني بالقرآن الكريم - تقويم المشاكل الناجمة عن الإسلام . - ادراك كامل بأن أي مشاكل سوف يواجهها سوف يكون ثوابها عند الله . - القرار بالدخول في الإسلام . - الالتزام بما نص عليه القرآن والسنة من تعاليم.</p>	<p>ينبغي هنا اتخاذ القرار والعوامل المؤثرة عليه والمشاكل المترتبة عليه ، وتبسيط الاجراءات الخاصة بأشهار الإسلام . - تزويد المسلمين حديثا بالكتب الإسلامية البسيطة وبتفسي اللغة التي يتحدث بها المسلم الحديث . - البدء في إعطاء بعض أساسيات اللغة العربية ، والعقيدة والفقه ، والتوحيد . - الإجابة على كل التساؤلات التي يطرحها معتنقو الاسلام حديثا بأسلوب مقنع وواضح . - الدراسة العملية لمشكلاتهم واحتياجاتهم .</p>
<p>(٣) مرحلة ما بعد اتخاذ القرار (تدعيم القرار) وهو مرحلة هامة من أجل ضمان التزام قوى ودائم بتعاليم الدين الإسلامي .</p>	<p>ترسيخ العقيدة والاندماج في المجتمع الإسلامي</p>	<p>- الحاجة إلى الرعاية والمتابعة . - تحقيق تفاعل مكثف بينه وبين اخوانه في الإسلام . - المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية . - مواجهة مشكلات العمل ، الأسرة ، النخل ، المسكن ... الخ .</p>	<p>يمكن للعنظم الاجتماعي هنا أن يسهم في «تدعيم الايمان» لدى المسلمين حديثا والعمل على إقامة روابط قوية بين المسلمين حديثا أو تقوية الدعم الاجتماعي لهم من خلال تقوية شبكة العلاقات الاجتماعية فيما بينهم وبين أبناء المجتمع الإسلامي . - أن يكون هناك أساليب خاصة ومناسبة لكل فئة حسب الظروف الاجتماعية والدينية والثقافية المميزة لها ، وإسهام أخصائي خدمة الفرد في إعداد دراسات عن كل حالة إذا أمكن ذلك . - عمل مخيمات إسلامية تكون وسيلة تعليمية للمسلمين حديثا وكذلك وسيلة تدريبية لهم لتعلم أساليب المناقشة والحوار والقيم بالدعوة . - إزالة الضغوط المحيطة بالمسلم الحديث سواء كانت متصلة بالعمل ، الأسرة ، المجتمع .</p>

ومن الجدول تدرك أهمية قيام مهنة الخدمة الاجتماعية وطريقة تنظيم المجتمع
بالعمل في مجال الدعوة إلى الله . ورعاية معتنقي الإسلام في مرحلة من المراحل التي
يمرون فيها حتى دخولهم الإسلام ، وتحقيق الرعاية والدعم الاجتماعي والمادي لهم

حتى يدركون حلاوة الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، معتدين بقوله رسول الله ﷺ : « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا » ، وما يحقق ذلك هو السعى نحو دراسة حاجات المسلمين حديثاً المادية والروحية والعمل على اشباعها بما يحفظ لهم كرامتهم ويسهم في استقرارهم وسعادتهم للقرار الذي اتخذوه بالدخول في الإسلام .

كما أن تعاليم الإسلام وقيمه وأخلاقياته تفيد في تطوير أساليب الممارسة الخاصة بمهنة الخدمة الاجتماعية وطريقة تنظيم المجتمع ، وتفتح مجالا جديدا للعمل المهني في مجال الدعوة إلى الله والعمل مع المسلمين حديثا مسترشدين في ذلك بما جاء في تعاليم الدين الإسلامي من آداب وضوابط للسلوك الاجتماعي وفلسفة شاملة للوجود الإنساني.

إلا أن المتتبع للدراسات التي تعالج موضوع الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله يلاحظ ندرة في الدراسات التي تتعرض لهذا الموضوع بطريقة مباشرة . بالرغم من أهمية هذا المجال بالنسبة للخدمة الاجتماعية ، ومن خلال تحليل الباحث للدراسات سواء كانت نظرية أو تطبيقية وجد أن هذه الدراسات والأبحاث قليلة بالمقارنة بالمجالات الأخرى ، كما تبين أن الباحثين والممارسين ينظرون إلى هذا الجانب كما لو لم يكن مجالا من مجالات الممارسة . وقد انعكس ذلك في دعم بلورة نظرية علمية تتصل بهذا الجانب ، وكانت الأبحاث المتصلة به تدور حول القيم المتصلة بنسق العمل أو بالبناء الاجتماعي ككل (٦) .

كما لوحظ أن معظم الكتابات والأبحاث تدور حول العلاقة بين الخدمة الاجتماعية والأديان ، كما أنها تقتصر على الديانات الأخرى غير الإسلامية وفي مجتمعات غربية . وقد أشار Goldstein ١٩٨٦م ، Siporin and Glasser عام ١٩٨٧م إلى أن الكتابات الخاصة بعلاقة الخدمة الاجتماعية بالدين - في الولايات المتحدة الأمريكية - لاتجد قبولا وتعاطفا من جانب الممارسين للمهنة ، بل ينظرون إليها بإهمال ، والسبب في ذلك أنهم يرون أن الدين مناقض للعلم مما أدى إلى عدم الاهتمام بالدين في ممارسات الخدمة الاجتماعية بل كانوا يرون أن القيم الدينية والاعتقادية تتعارض مع أسس الخدمة الاجتماعية مثل مفهوم حق تقرير المصير ، كما أن الاختصاصيين الاجتماعيين ليسوا مؤهلين للعمل في المجال الديني أو كرجال دين (٧) .

إلا أنه في ظل الشريعة الإسلامية نجد ما يخالف ذلك حيث أن كل مسلم مطالب بالدعوة إلى الله مخلصا وبكل الوسائل الممكنة والمشروعة ، ومطالب بالتفكير في الكون والحياة والآيات التي تنتهي بكلمة « يعقلون » ، « يعملون » ، « يتفكرون » ، « يتدبرون »

... كثيرة جدا ، كما تقوم مهنة الخدمة الاجتماعية الإسلامية على إحترام الإنسان وإعطائه الحق فى تقرير مصيره مسترشدة فى ذلك بما جاء فى كتاب الله من آيات تشير إلى قدرة الله وحرية الإنسان . قال الله تعالى :

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينَ﴾ (٢١) ﴿٨﴾

﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نَزَّلْنَاهَا مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّكِرِينَ﴾ (١٤٥) ﴿٩﴾.

وفىما يتعلق بالدراسات التى تتصل بممارسة الخدمة الاجتماعية فى المجتمعات الإسلامية ، فقد لوحظ أيضا أن الكتابات النظرية والبحوث التطبيقية قليلة ، وإنها تركز على مبادئ المهنة ودور الأخصائى الاجتماعى المسلم ، وأهمية تدريس المواد الشرعية لايجاد الصلة بين المهنة والإسلام . (١٠)

وقد أوضح د. محمد عبدالهادى أن الخدمة الاجتماعية الإسلامية هى مجال جديد من المجالات التى تعمل فيها مهنة الخدمة الاجتماعية (١١) مضيفا بذلك بعدا جديدا للمهنة يخرجها بها من الإطار التقليدى لمجالات الممارسة ويسهم فى إبراز جذورها الإسلامية .

كما أشارت كتابات أخرى إلى القيم الأخلاقية من منظورها الإسلامى وأهمية التزام الأخصائى الاجتماعى بها لأنها تحقق تجاوبا أكثر من جانب العملاء والتزام من جانب الأخصائى الاجتماعى بأنه يساعد الإنسان المحتاج من منطلق إسلامى يقربه من الله سبحانه وتعالى (١٢) .

وتشير الكتابات السابقة إلى أهمية تدخل مهنة الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وطريقة تنظيم المجتمع بوجه خاص فى مجال الدعوة إلى الله لما للجوانب الدينية والروحية من تأثير على حياة الأفراد والمجتمعات ، حيث يجد الأفراد كما تجد المجتمعات سعادتها فى اتباع تعاليم الدين وإشباع الجوانب الروحية المتصلة بالله سبحانه وتعالى .

كما أن مهنة الخدمة الاجتماعية بما لديها من أساليب فنية وأسس علمية وقيم أخلاقية مستمدة من شريعة الله سبحانه وتعالى هى أقرب المهن إلى تحقيق هذه الأهداف وتحقيق أهداف المؤسسات الإسلامية ونشر رسالتها وتدعيم الخدمات التى تقوم بها بالاستعانة بالأساليب الفنية لطريقة تنظيم المجتمع فىما يتعلق بالجوانب المتصلة بالتنسيق ما بين المؤسسات وبعضها ، وفى توعية أفراد المجتمع بخدماتها وتسهيل عملية استفادتهم منها ، وبصفة خاصة مع المسلمين حديثا ، بما يؤدى إلى شعورهم بالأمن والثقة فى جوهر الدين الإسلامى وتعاليم الله سبحانه وتعالى .

كما أن طريقة تنظيم المجتمع فى مجال الدعوة إلى الله - لاتعنى شيئاً مختلفاً عن الطريقة التقليدية ، وإنما هو ممارسة للطريقة ذاتها والعمليات الخاصة بها وأدواتها وأساليبها الفنية ، بالإضافة إلى إعداد متميز لممارسيها سواء على المستوى النظرى أو التطبيقى يتصل بالدعوة إلى الله لتحقيق الأهداف والغايات المهنية التى تتفق مع الشريعة الإسلامية ولاتتناقض معها وتسهم فى تحقيق أهداف الدين الإسلامى والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

أهداف طريقة تنظيم المجتمع مع المسلمين حديثاً

يعتبر العمل مع المسلمون حديثاً مجالاً جديداً لطريقة تنظيم المجتمع تستهدف من خلاله تحقيق مايلى :

(١) دراسة الحاجات التى يعانى منها المسلمون الجدد :

للمسلمين حديثاً حق على المجتمع المسلم يستمد أصوله من حق الأخوة فى الله وحق التساند والموازة ، كما أن على المتخصصين فى طريقة تنظيم المجتمع مسئولية تجاه اخوانهم المسلمين حديثاً تتمثل فى مسئولية الفهم والإدراك لاحتياجاتهم والعمل على دراستها ، حيث لوحظ انهم يعانون من حاجات وضرورات ملحة لايمكن تركها بدون إشباع سواء مايتعلق منها بنواحى مادية (كالمسكن ، العمل ، التعليم ، العلاج ... الخ) أو نواحى معنوية (تشمل الحاجة إلى الدعم الاجتماعى ، تنمية شبكة العلاقات الاجتماعية ، الترويح ... الخ) .

كما أن هذه الاحتياجات تختلف باختلاف الأعمار والجنس ، والإطار الثقافى ، والمستوى التعليمى والإقتصادى .. كما أن لها انعكاسات متعددة على شخصيتهم وعلى أسرهم .

ويمارس المنظم الاجتماعى المسلم عمله هنا على أساس مساعدة معتنقى الإسلام حديثاً على تحديد الاحتياجات ذات الأولوية بالنسبة لهم معتمداً فى ذلك على :

- أ - البيانات المتوفرة حول هذه الاحتياجات .
- ب - نوعية هذه الاحتياجات (مادية ، معنوية) .
- ج - مدى استمرارية هذه الاحتياجات (مستمرة ، مؤقتة) .
- د - الاحصاءات المتعلقة بحجم الخدمات المتاحة .
- هـ - آراء الخبراء فى مجال الرعاية الاجتماعية .
- و - المؤسسات التى تقوم بإشباع هذه الاحتياجات (العدد ، المكان ، الاجراءات ، .. الخ) .

ز - مجموعة القرارات المتخذة من قبل الهيئات المسؤولة بالمجتمع والتي تتصل ببرامج الرعاية الاجتماعية (١٣).

ح - الاجراءات البيروقراطية التي يمكن أن يواجهها المستفيد عند حصوله على الخدمات وتهيئة نفسه لمواجهةها .

ويمكن لطريقة تنظيم المجتمع أن تسهم من خلال المؤسسات الإسلامية المعنية بالمسلمين حديثاً ومؤسسات الرعاية الاجتماعية الأخرى بالمجتمع في مواجهة هذه الاحتياجات وذلك من خلال :

- تسهيل التحرك لإشباع الحاجات المادية في حدود الامكانيات المتاحة .

- تشجيع المسلمين حديثاً على المشاركة الفعالة في مواجهة الحاجات المادية والمعنوية والاستفادة من الخبرات السلبية .

-حث المسلمين حديثاً على التحرك واكتساب القدرة على تحديد احتياجاتهم ، وكذلك المقدرة على إشباعها .

وهذا يعتبر أحد المداخل الحديثة للطريقة في الدعوة إلى الله بين المسلمين الجدد وغير المسلمين معتمدين في ذلك على دعائم الشريعة الإسلامية التي تحت على ضرورة سعى الإنسان المسلم إلى مساعدة أخيه المسلم « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره » (١٤) .

(٢) المساهمة في تصميم البرامج التي تشبع احتياجات المسلمين حديثاً :

ومن برامج الرعاية الاجتماعية للمسلمين حديثاً ما يلي :

(١) رعاية المسلمين حديثاً وأسرههم :

حيث تلعب الأسرة من حيث التكوين والعدد ونوعية العلاقات بين أفرادها دوراً بارزاً فيما يعانيه المسلم الحديث من مشكلات أو استقرار عند بداية دخوله في الإسلام ، وقد أشار التحليل الاجتماعي أن هناك أربعة أنواع من النماذج توضح العلاقة بين أفراد الأسرة وهذه النماذج هي :

١ - نموذج التلازم في الوقوع ٢ - العدوى

٣ - التبعية ٤ - التأثير (١٥) .

وقد استفاد الباحث من هذا النموذج عند تحليله للمشكلات التي يعاني منها المسلمون حديثاً عند اعتناقهم للإسلام وأضاف إليه نموذج آخر وهو « نموذج الرفض »

أ - نموذج التلازم في الحوث : فقد يدخل الإسلام الزوج والزوجة معا .

ب - نموذج العدوى : وفيه يدخل أحد الأشخاص من الأسرة فى الدين الإسلامى ثم يتبعه الابن أو الزوجة أو الأقارب بعد أن كانوا يعارضون الفكرة فى البداية.

ج - نموذج التبعية : وفيه تقوم الأسرة باتباع المسلم حديثا بعد إسلامه مباشرة .

د - نموذج التأثير : حيث يمكن أن يتأثر الرفاق أو الأسرة ككل ويدخلون الإسلام بعد فترة .

هـ - نموذج الرفض : حيث ترفض الأسرة أو الأبناء أو الأقارب اتباع المسلم الجديد . ويمارسون عليه وسائل متعددة للترهيب وممارسة أنماط من السلوك العدوانى.

والنموذج الأخير يحتاج المسلم الحديث فيه إلى الدعم الاجتماعى من اخوانه المسلمين أصلا حتى يستطيع مقاومة هذه الوسائل والتمسك بالعقيدة .

(٢) الرعاية الاقتصادية للمسلمين حديثا :

ويمكن للأخصائى الاجتماعى أن يساعد من خلال دراسته للمجتمع المحلى واحتياجاته من العمالة ودراسته لامكانيات المسلمين حديثا ومهاراتهم وقدراتهم أن يوافق ما بين هذه الامكانيات والقدرات وفرص العمل المتاحة بالمجتمع بما يمكنهم من الاعتماد على أنفسهم ومواجهة أساليب الضغط المضادة .

(٣) الرعاية الصحية للمسلمين حديثا :

والأخصائى الاجتماعى المسلم يسعى إلى التعرف على الحالة الصحية لأخيه المسلم الحديث وأسرته حيث يمكن أن يساهم فى تقديم برامج الرعاية الصحية المناسبة له بواسطة الأطباء المسلمين ، وهو فى ذلك لا يستغل حالات الضعف التى يمر بها من يرغب فى الإسلام ، ولكن يقدم له هذه الخدمة ، تاركا له حرية التفكير والتأمل والاختيار دون ضغط أو إكراه .

(٤) خدمات الإسكان :

حيث يمكن للمنظم الاجتماعى أن يقوم بدراسة احتياجات المسلمين حديثا ، فيما يتعلق بالسكن وامكانية توفيره بسعر مناسب لدخلهم وبصفة خاصة بالنسبة للطلاب الملتحقين بالجامعات بعد اشهر إسلامهم ، ويمكن ان يستعين المنظم الاجتماعى فى ذلك بالمؤسسات الإسلامية (رابطة العالم الإسلامى ، الندوة العالمية للشباب الإسلامى ، مكاتب الدعوة والإرشاد ...) وغير ذلك من المؤسسات التى يمكن أن تساهم فى مواجهة هذه الاحتياجات وضمان مستوى سكنى لائق للمسلمين حديثا وأسرهم .

(٥) اخدمات التعليمية للمسلمين حديثا :

تعتبر اخدمات التعليمية ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمسلمين حديثا وذلك لفهم تعاليم الدين الإسلامى وحفظ القرآن الكريم ، ويمكن للمنظم الاجتماعى أن يسهم فى تصميم هذه البرامج من خلال حصر عدد المسلمين حديثا الراغبين فى تعليم اللغة العربية ، والقيام بتشجيع الجهود التطوعية من جانب رجال الدين والمتخصصين فى تدريس اللغة العربية ، وتحديد الأوقات المناسبة لكل من المسلمين حديثاً والمدرسين للقيام بهذه البرامج التعليمية ، ومواجهة أي مشكلات قد تحول دون استفادة المسلمين حديثا من هذه البرامج .

(٣) مساعدة المؤسسات الإسلامية على تصميم البرامج التي تشبع احتياجات المسلمين حديثا :

حيث يمكن لطريقة تنظيم المجتمع أن تسهم فى مساعدة الهيئات الإسلامية (مثل رابطة العالم الإسلامى ، مكاتب التعاون للدعوة والإرشاد ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والافتاء ، هيئة الإغاثة الإسلامية ، النوة العالمية للشباب الإسلامى...) وغير ذلك من المنظمات التي تعمل فى مجال الرعاية الاجتماعية كالجمعيات الخيرية ، وزارة العمل والشئون الاجتماعية ، المستشفيات ... الخ .

حيث تعمل الطريقة على تعريف معتنقى الاسلام حديثا بالأهداف التي تسعى إليها وتسهيل عملية اتصالهم بها ، وضمان وصول الخدمة إلي مستقحيها معتمدين فى ذلك على الأسس العلمية لدخل دراسة الاحتياجات Needs Assessment والأسلوب العلمى فى تقديم الخدمات .

كما تساعد الطريقة هذه المؤسسات فى التعرف على المستفيدين الحقيقيين ونوعية اخدمات وأهميتها وعمل الأولويات الخاصة بها بالاعتماد على القيادات المؤثرة من المسلمين حديثا والخبرات الفنية لممارسى طريقة تنظيم المجتمع .

(٤) بناء الوعي الإسلامى :^(١٦)

بناء الوعي الإسلامى لدى المسلمين الجدد وتوعيتهم بجوهر هذا الدين ودعوتهم إليه كاسلوب يتناسب مع اهتماماتهم والانتقال بهم تدريجيا نحو معرفة أحكامه والعبادات المرتبطة به على أن يتم ذلك خطوة بعد خطوة حيث لننا لانعرف عادات وتقاليده المجتمعات التي أتى منها هؤلاء المسلمون الجدد ولهذا يمكن تنصير هؤلاء المسلمين الجدد بضرورة الأخذ بالعادات الصحيحة للإسلام سواء فيما يتعلق بالصلاة الصيام ، الزكاة ، الحج ، الأمور التي تتعلق بالحلال والحرام ، والطهارة والنجاسة بأسلوب بسيط ومقنع .

وأن ما يجعل الأمر يسيراً على الخدمة الاجتماعية في هذا الجانب هو أن الإسلام لا يفضل بين القيم والسلوك فهو متكامل في الفكر والممارسة ولا ينادى بقيم مثالية يعجز البشر عن الوصول إليها بل يتناول الأمور الفكرية والسلوكية بتوازن فريد وشمول واتزان لا يصل إليها غيره^(١٧). وهذاما أشار إليه المسلمون الجدد أثناء الدراسة التطبيقية للبحث حيث قالوا : « إن الدين الإسلامى مع حياته العادية ، بل إنه أعطى لنا الفرصة بتنظيم حياتنا والبعد عن الشرك بالله » .

(٥) تقوية شبكة الدعم الاجتماعى للمسلمين حديثا :

يجب أن ندرك أن المسلمين حديثا هم كيانات متفاعلة مع كيان المجتمع الإسلامى وجزء من نسيجها العام لا يمكن أن تغفل عنهم ، وحتى تحقق لهم هذا التفاعل وأن يكونوا جزء فعال في نسيج المجتمع الإسلامى فمن الضرورى التعرف على الأبعاد المختلفة المحيطة بهم (والتي تشتمل على : البعد الجغرافى ، التاريخى ، الاقتصادى ، الاجتماعى ، النفسى ... الخ) لما لها من أهمية فى إبراز شخصية المسلم الحدث ، وإعادة صهره فى بناء المجتمع الإسلامى ومن المهم فى طريقة تنظيم المجتمع أن نتعرف على هذه الأبعاد ، مع تركيز خاص على الجوانب الاجتماعية والنفسية للمسلمين حديثا باعتبارهم ليسوا كيانات من لحم ودم وعظم وعصب ، وإنما هم رموز ومعان وموجهات وضوابط ويمثلون عناصر الثقافات فرعية خاصة بهم وثقافة كلية للمجتمع الذى اتوا منه، كما أنهم إنعكاس فى غاية الدقة والصدق لكافة الأبعاد الأخرى المؤثرة ، وإبرز ما يمثلها البعد الاجتماعى النفسى .

كما تدرك طريقة تنظيم المجتمع أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية - Social Net- works ، وأهمية التدعيم الاجتماعى Social Support للمسلمين حديثا ، حيث تؤثر شبكة العلاقات الاجتماعية الأولى التى عاش فيها وانتمى إليها المسلم الجديد لسنوات طويلة على شخصيته وعلاقاته وتكيفه مع المجتمع الإسلامى الجديد بالنسبة له ، وبالنسبة للإطار المرجعى الخاص به .

فى إطار ماتقدم ، تسعى طريقة تنظيم المجتمع إلى الإسهام بشكل فعال فى تقوية الدعم الاجتماعى للمسلم الحديث ، بحيث تكون هناك شبكة من العلاقات الاجتماعية القوية يمكن أن تحيط به وتحقق له المواجهة الفعالة لمشكلاته واحتياجاته دون أن يتعرض لأى نوع من التهديد أو الخوف بعد إنسلاخه من شبكه العلاقات القديمة وبخوله فى شبكة العلاقات الإسلامية .

وطريقة تنظيم المجتمع بما لها من عمليات تتصل بالدراسة والتخطيط والتنفيذ والمتابعة والتقويم ، تستطيع أن تسهم فى نجاح البرامج والعلاجية والوقائية التى تتعلق بطبيعة الاحتياجات وتنوعية الخدمات الخاصة بالمسلمين حديثا والتى تنمى بينهم وبين اخوانهم المسلمين أصلا علاقات اجتماعية قوية، تبعد عنهم الشعور بالعزلة والاغتراب .

سمات المنظم الاجتماعي في مجال الدعوة إلى الله

هناك مجموعة من السمات ينبغي توافرها في المنظم الاجتماعي تؤهله للعمل مع المسلمين حديثاً وهي :

(١) اخلاص النية :

فالأعمال تحدد قيمتها الحقيقية بقيمة النيات الباعثة عليها وبحسب هذه النيات يجرى الحساب والجزاء على الأعمال عند الله تبارك وتعالى ، ولقد جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ».

والمنظم الاجتماعي عند عمله مع المسلمين حديثاً فهو يخلص النية مبتغياً مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وأن يدرك أن أجر العمل الذي سوف يقوم به على الله ، فقد جاء في الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » (١٨) وقال الله تعالى:

﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٥٧) (١٩) .

(٢) بسط الوجه وحسن اللقاء :

وهذه السمة لها أهمية كبيرة في تأليف القلوب وتوثيق العلاقات ومواجهة مشكلات العزلة التي قد يشعر بها المسلمون حديثاً، وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ .. ﴾ (٢٠)

والمنظم الاجتماعي بحكم اعداده وتدريبه على مهارة المقابلة والأساليب المتصلة بها ، يمكنه أن يساعد المسلمين حديثاً على التعبير عن احتياجاتهم بحرية ودون خوف من خلال مقابلاته لهم بوجه بشوش ومعاملة حسنة .

(٣) الألفة وحسن الخلق :

وهي مرتبطة بالسمة السابقة ، فكلما حسنت الأخلاق وصلاح العمل كان ذلك دافعا للمسلمين حديثاً على الاقتداء ، كما يترتب على التزام المنظم الاجتماعي بهذه الصفة نمو المودة والألفة بينه وبين معتنقي الإسلام حديثاً ، وفي بيان أهمية الألفة يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ يَنْ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ يَنْهُمْ ﴾ (٢١).

وحتى يكون المنظم الاجتماعي ملتزماً بهذه الصفة ، لابد من توافر ثلاث مقومات هي : الإيمان ، والاعلان بالقول ، والاعلان بالعمل (٢٢) .

(٤) ادراك مايجول بخواطر المسلمين حديثا بما لديه من معرفة وقدرة على تفسير التعبيرات التي تبدوا على وجوه المسلمين الجدد ، وهو يعمل على دراستها والتعرف على أسبابها ، وتلبية حاجات المسلمين حديثا دون أن يعرضهم للإحراج ، وقيهم ما أمكن ذل السؤال ، كما أنه في ذلك لا ينتقد سلوكياتهم امام الآخرين ، ويتعرف على بوافع هذه السلوكيات ، وأن يستفيد بما أشار إليه الرسول ﷺ : « يحسب المؤمن من الشر أن يحقر اخاه المؤمن » (٢٣) .

(٥) تفادي الاصطدام بالعادات والتقاليد الخاصة بالمسلمين حديثا والعمل على احترامها وتقديرها ، ودراسة الجوانب الجيدة منها والعمل على ترسيخها ، والسعى إلى توضيح القيم والعادات التي تتعارض مع الدين الإسلامي بأسلوب بسيط ومقنع ملتزما بحسن النصيحة . ويقول الرسول ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن » (٢٤) .

دور المنظم الاجتماعي في الدعوة إلى الله

يتضمن دور المنظم الاجتماعي جانبين هما :

أ - دوره مع المجتمع المستهدف Target وهم المسلمين الجدد .

ب - دوره مع المؤسسات المستهدفة وهي المؤسسات الإسلامية .

دوره مع المسلمين حديثا :

١ - دور علاجي : ولانغنى بذلك أن يقوم بتعديل سلوك منحرف إلى سلوك سوى ورنا يكون الدور منصب هنا على حل مشكلة معنية أو إشباع احتياجات يعاني منها المسلمون حديثا وتوجيه الجهود المادية والبشرية لعلاج وإشباع احتياجات المسلمين حديثا .

٢ - دور الوسيط : حيث يمكن من خلاله أن يواجه أي صعاب تحول دون استفادة المسلمين حديثا من الخدمات التي تقدمها المؤسسات الإسلامية ومؤسسات الرعاية الاجتماعية .

٣ - دور الداعية : ويتضمن القيام بتوضيح بعض الأمور الشرعية للمسلمين حديثا معتمدا على كتاب الله وسنته وما اكتسبه خلال دراسته ، بالإضافة إلى الاستعانة بالمختصين في المواقف التي لا يستطيع الإدلاء فيها برأى قاطع .

٤ - دور المدافع : حيث توجد لدى المنظم الاجتماعي الخبرة والدراية بالموارد المتاحة بالمجتمع والخدمات المتوفرة وكيفية الاستفادة منها ، وهو في ذلك لا يتحرك نيابة عن المسلمين حديثا للحصول على الخدمات ، ولكن مساعدتهم على التعبير عن احتياجاتهم ، والسعى نحو إشباعها من خلال بعض القادة الممثلين لهم .

وفى إطار ماسبق يمكن للمنظم الاجتماعى أن يمارس دوره مع معتقى الإسلام حديثا كما يلى :

١ - مساعدة المسلمين حديثا على مواجهة احتياجاتهم ، وذلك من خلال تذليل الصعاب الاجتماعية والمادية التى تعرقل استفادتهم من الخدمات التى تقدمها المؤسسات الإسلامية ومؤسسات الرعاية الاجتماعية .

٢ - القيام بدراسة احتياجات المسلمين حديثا وإبراز أهم هذه الاحتياجات وكيفية القيام بأشباعها .

٣ - إقامة علاقات انسانية طيبة بين المسلمين حديثا وإخوانهم المسلمين أصلا أو بينهم وبين أقرانهم من المسلمين الجدد ، من خلال الأنشطة الجماعية ، المحاضرات ، الندوات ، وغير ذلك من الوسائل المتاحة .

٤ - تشجيع المسلمين حديثا على اكتساب مهارات الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

٥ - اكتشاف القيادات - من بين المسلمين الجدد - والقادرة على القيام بعملية الدعوة إلى الله ومساعدتهم على القيام بذلك .

٦ - توفير المعلومات التى يحتاج إليها المسلمون حديثا والمتعلقة بأمور الدين وكذلك جوانب الرعاية الاجتماعية الخاصة بهم .

٧ - تخفيف مشاعر القلق والخوف الناتجة عن انفصالهم عن أسرهم أو ثقافتهم الأصلية من خلال تقوية شبكة الدعم الاجتماعى من جانب إخوانهم المسلمين بالمجتمع وتوضيح الجزاء الذى سوف يناله من دخل فى دين الإسلام .

وفى هذا يقول الرسول ﷺ : « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا » (٢٥) .

دور المنظم الاجتماعى مع المؤسسات الإسلامية

يعمل المنظم الاجتماعى مع المؤسسات الإسلامية بهدف مساعدتها على تطوير الخدمات التى تؤدى إلى المسلمين الجدد كما وكيفا ، والعمل على توفير الظروف الملائمة داخل هذه المؤسسات ، كى تستطيع القيام بوظائفها على الوجه الأكمل ، وقد أكد هنرى ماير Henry J. Mayer إلى أن مهنة الخدمة الاجتماعية تعمل مع المؤسسات بهدف تحسين وتطوير عملية المساعدة (٢٦) .

ولهذا يتضمن قيام المنظم الاجتماعى بالعمل داخل المؤسسات الإسلامية مايلى :

١ - دور تنسيقى : بين المؤسسات الإسلامية بهدف إقامة علاقة مناسبة بينها والتوصل إلى سياسات واجراءات عمل متفق عليه بين هذه المؤسسات .

٢ - دور إدارى : يتمثل فى مساعدة الجهاز الإدارى بهذه المؤسسات فى :

- إعداد سجلات خاصة بالمسلمين حديثاً.

- تصميم استمارات لدراسة أحوال هؤلاء المسلمين الجدد .

- التحضير لاجتماعات مجالس إدارات هذه المؤسسات.

- متابعة القرارات الصادرة بشأن المسلمين الجدد .

- المساهمة فى وضع علاقات متوازنة بين الجهاز الإدارى والجهاز المهنى حتى

لا يسيطر العمل الإدارى على الجوانب المهنية .

٣ - دور فنى مهنى : وبصفة خاصة فى عملية اتخاذ القرارات الصادرة من المؤسسة

لصالح المؤسسة والمستفيدين من خلال جمع الخيارات المختلفة والمتاحة لمواجهة

حاجات المسلمين الجدد ، ومناقشة فوائد ومضار كل خيار ، وانتقاء أفضل البدائل

المتاحة ، ثم المساهمة فى تنفيذ القرار المتخذ .

الأساليب والوسائل التى يعتمد عليها المنظم الاجتماعى فى الدعوة إلى الله

تتعدد الوسائل والأساليب التى يستخدمها المنظم فى الدعوة إلى الله . وهى تتفق

مع الوسائل التى يستخدمها الدعاة فى دعوتهم إلى الله ، يضاف إليها تفهم العوامل

الاجتماعية والنفسية المحيطة بالمسلم الجديد عند القيام بالدعوة وهذا يتطلب ما يلى :

أ - الحاجة إلى فهم واستيعاب الثقافات غير الإسلامية .

ب - فهم وإدراك معطيات الكتب السماوية الأخرى .

ج - تهيئة المناخ الجيد للدعوة وانجازها فى الوقت المناسب .

كما يتطلب ذلك أيضاً استخدام أساليب الاتصال الآتية :

(١) الاتصال الفردى المباشر:

ويفيد فى ذلك التعرف على النوعيات الجيدة التى يمكن أن تدخل الإسلام والتعرف

على مشكلاتهم وأوضاعهم الاجتماعى والاقتصادية ، وبالتالي القيام بعمليات

التشخيص والعلاج آخذين فى الاعتبار قول الرسول ﷺ : « لأن يهدى الله بك رجلاً

واحد خير لك من الدنيا وما فيها » .

ويستفيد المنظم الاجتماعى هنا بمهارات طريقة العمل مع الأفراد والأساليب المتعلقة

بها لنجاح عملية الدعوة .

(٢) الاتصال غير المباشر :

من خلال الاستعانة بالقيادات المحلية الموجودة في المجتمع من المسلمين الذين يتسمون بسمات معينة كالقدرة على التأثير والمعرفة بلغات الجنسيات الأخرى غير العربية والقدرة على عرض الإنكار وتوضيح تعاليم الدين الإسلامي بأسلوب إقناعي خالي من الإنفعال .

ويمكن للمنظم الاجتماعي أن يستعين في الدعوة بكل من :

- أ - المسلمين المواطنين : أي الذين هم أصلاً مسلمون من جنسيات أخرى ، حيث أنهم أقرب في الاتصال ومعرفة المشكلات الخاصة بأبناء بلادهم .
- ب - الدعاة ومن لهم خبرة في العمل الدعوى حيث يمكن للمنظم الاجتماعي ان يعمل معهم ليستفيد منهم ويفيدهم في أساليب الاتصال وتجميع الآراء .
- ج - المسلمين منذ فترة طويلة : وكانوا قبل إسلامهم يدينون بديانات أخرى للاستفادة منهم ومن خبراتهم منذ دخولهم الدين الإسلامي ، كما أنهم أقدر على التعرف على سمات وشخصيات المسلمين حديثاً وخاصة إذا كانوا من نفس بلادهم
- د - المسلمين حديثاً : ولديهم الرغبة في دعوة غيرهم إلى الإسلام مع إعطائهم التدريب المناسب للقيام بذلك .

(٣) اللجان :

وتعتبر من الأدوات الهامة في طريقة تنظيم المجتمع ، والتي يمكن أن تسهم في نشر الدعوة إلى الله وتعريف المسلمين حديثاً بأمور دينهم مثل :

- لجنة تفسير القرآن الكريم .
 - لجنة تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم .
 - اللجنة الاجتماعية والمساعدات المادية .
 - لجنة الدعاية والنشر .
- وغير ذلك من اللجان التي يتطلب الأمر تكوينها ، وهذه اللجان يمكن ان تزود بمجموعة من الوسائل السمعية والبصرية تساعد في القيام بالمهام الخاصة بها .

(٤) المحاضرات :

وهي تركز على معالجة موضوع معين يهدف إلى تعريف المسلمين الجدد بأسس الشريعة الإسلامية ، أو قد تتصل بمناقشة بعض المشكلات والصعوبات الخاصة بهم ،

ويقوم المحاضر فيها باتاحة الفرصة للمسلمين الجدد للمناقشة والحوار ويتجنب الانفعال والدخول فى قضايا خلافية وخاصة إذا كان حديث العهد بالدعوة .

(٥) وسائل أخرى يمكن للمنظم الاجتماعى أن يشارك فيها سواء بالاعداد أو التخطيط أو التنفيذ مثل :

- تكوين صحيفة إسلامية تنشر امور الدين وتوضح القضايا الإسلامية بأسلوب سهل وبسيط .

- عقد مؤتمرات لكبار المشتغلين بالدعوة الإسلامية ورسم سياسية عامة تسير عليه الدعوة فى الداخل والخارج .

- تكوين مراكز إسلامية للدعوة فى أنحاء العالم تراقب عن كسب أفكار الناس الإسلام وتصحح الأخطاء وتظهر الحقائق .

نماذج التدخل المهني لطريقة تنظيم المجتمع مع المسلمين حديثا .

هذا المجال الجديد بالنسبة لطريقة تنظيم المجتمع قد لانستطيع أن نركز فيه على نموذج واحد أو متدخل واحد من المداخل التى أشار إليها Jak Rothman وهى التنمية المحلية ، التخطيط الاجتماعى ، العمل الاجتماعى (٢٧) ، ولذلك يلزم العمل مع المسلمين حديثا المزج بين مدخلى التنمية والتخطيط الاجتماعى ، مع تركيز خاص على المدخل الأخير الذى يطلق عليه فى بعض الكتابات مدخل حل المشكلة ، حيث يدرك المنظم الاجتماعى فى إطار هذا المدخل أن أى تحديد لمشكلة معينة يعانى منها المسلمون حديثا أو أى إجراء يتخذ لمواجهة هذه المشكلة لابد أن يشارك فيه المسلمون .

المراجع

- (١) سورة فصلت ، آية ٢٢ .
- (٢) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .
- (٣) سورة النحل ، آية ١٢٥ .
- (٤) سورة آل عمران ، آية ٢٠ .
- (٥) يرجع إلى :
- ديفيد أ . فريزر . تطبيق « مقياس في لتصير المسلمين ، أحد بحوث مؤتمر العالم الإسلامي ، ١٩٧٨م (ترجمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض ، ص ٢٣٧) .
- بشير عبدالمسيح ، استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل وسلوك المسيح ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .
- جورج بيترز ، نظرة شاملة عن إرساليات التصير العاملة وسط المسلمين ، المرجع السابق ، ص ٥٨٣ .
- (٦) Joseph H. Vincenta. "Religion and Social Work", The Journal of Contemporary Social Work (N.Y., Family Services, 1983) P. 443.
- (٧) Frank M. Loewenberg , Religion and Social Work Practice In Contemporary American Society (N. Y. , Columbia University Press, 1988) p. 5 .
- (٨) سورة الطور . آية ٢١ .
- (٩) سورة آل عمران ، آية ١٤٥ .
- (١٠) د. نبيل محمد صادق ، نحو مدرسة إسلامية في الخدمة الاجتماعية ، الكتاب السنوي الأول في الخدمة الاجتماعية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٩) ، ص ٣٥٧ .
- (١١) د. محمد أحمد عبدالحادي ، الخدمة الاجتماعية الإسلامية (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٨) ، ص ٢٠ .
- (١٢) د. على حسين زيدان ، القيم الأخلاقية لخدمة الفرد من المنظور الإسلامي (القاهرة ، المؤتمر الدولي العاشر للإحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية والسكانية ، ١٩٨٥) ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

Kramer, M. Ralph and Speht Harry, Readings in Community (١٣)
Organization Practice (N.Y., John Witly, 1983) PP. 292 - 293.

(١٤) أخرجه البخارى والطبرانى عن أنس .

(١٥) د. محمد على محمد وآخرون ، دراسات فى علم الاجتماع الطبى
(الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤) ص ٢٣٣ .

(١٦) د. محمد أحمد عبدالهادى ، الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، مرجع
سبق ذكره، ص ١٨ .

(١٧) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(١٨) رواه أبو داود والترمذى عن عبدالله بن عمرو .

(١٩) سورة يوسف ، آية ٥٧ .

(٢٠) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ .

(٢١) سورة الأنفال ، آية ٦٣ .

(٢٢) أمين حسن صلحى ، منهج الدعوة إلى الله (الكويت ، دار نشر الكتاب
الإسلامى ، ١٩٧٠) ، ص ٢٤ .

(٢٣) أخرجه مسلم عن أبى هريرة .

(٢٤) أخرجه أبو داود عن أبى هريرة .

(٢٥) رواه مسلم (الترمذى وأحمد فى مسنده عن العباس رضى الله عنه) .

Henry J. Meyer, and Robert Dinter, "Social Work and Social (٢٦)
Welfare" In The Use of Sociology (London, Weiden field and
Niloson, 1968) P. 160.

Fred M. Cox, John L. Erlich, Jack Rothman, John Etropman, (٢٧)
Macro Practice, Strategies of Community Organization
(U.S.A.F.E., Peacock Pub, 1987) P. 10.

المعاونه المهنية من الخدمة الاجتماعية لحدى مؤسسات العمل (دراسة حالة)

د . على حسين زيدان

تمهيد

نشأت الخدمة الاجتماعية كمهنة لتساعد الإنسان سواء كان فردا أو جماعة أو مجتمعا على التغلب على ما يواجهه من مشكلات وعلى أداء أدواره بطريقة أفضل من خلال التدخل المهني المخطط المبني على الأساس المعرفي للمهنة والملتزم بقيمها الأخلاقية وعن طريق استخدام المهارات المهنية^(١) ، وقد حققت هذه المهنة نجاحات متصلة تمثلت في التزايد المستمر في الأعداد المطلوبة من الأخصائيين الاجتماعيين ، وبخولها مجالات متعددة لم تكن تمارس فيها من قبل ، بحيث أصبحت الآن تمارس في مجالات عدة ، منها مجال الخدمة الاجتماعية المدرسية ، والخدمة الاجتماعية الطبية والخدمة الاجتماعية العمالية .. الخ ، كما بدأت هذه المهنة التي نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية مع بدايات هذا القرن في الانتشار الجغرافي عبر القارات والبلدان .

ومع دخول الخدمة الاجتماعية إلى البلاد العربية والإسلامية ، وممارسة النماذج الغربية لعدة عقود ، بدأت تظهر دعوات متزايدة إلى ضرورة إدخال بعض التعديلات على النماذج الغربية في الخدمة الاجتماعية ، حتى تكون أكثر فاعلية عند تطبيقها في المجتمعات العربية والإسلامية ، وقد بدأت هذه الدعوات تتلمس طريقها مدركة وضع الإطار الثقافي والاجتماعي للمجتمع الذي تمارس فيه الخدمة الاجتماعية موضع الاعتبار عند تطبيق نماذج الممارسة ، وهو ما أطلق عليه في ذلك الوقت توطين الخدمة الاجتماعية^(٢) .

بدأ عدد من الباحثين في الخدمة الاجتماعية يدرك الطبيعة المتميزة للمجتمع الإسلامي والتي تجعل للمجتمع المسلم صبغة متميزة تجعله يختلف عن غيره من المجتمعات في أمور كثيرة ، كما بدأ بعض الباحثين يكشف أن الأصول الإسلامية تحتوي على أسس قوية يمكن أن تصلح أساسا لبناء نموذج متميز للخدمة الاجتماعية يطبق في المجتمعات الإسلامية ، ومن هنا بدأت الدعوة إلى التأسيس الإسلامي للخدمة الاجتماعية .

مع تزايد عدم المعنيين بالتأسيس الإسلامي للخدمة الاجتماعية وتبنى بعض الجهات العلمية لهذه الدعوة ، بدأت تظهر تيارات متعددة من بينها تيار يمكن أن نطلق عليه تيار الخدمة الاجتماعية الإسلامية على أنها مجال من مجالات الإسلامية وخدمة أهداف الإسلام والإسهام في تنمية المجتمعات الإسلامية بالاعتماد على نفسها في إطار من تعاليم الإسلام .

ويدخل ضمن هذا الإطار الاستفادة من امكانات الخدمة الاجتماعية كمهنة فى تدعيم المؤسسات الإسلامية وزيادة فاعليتها فى تحقيق أهدافها بتقديم المعاونة العلمية والمهنية المتخصصة لها حيث ينعكس دور هذه المعاونة المهنية على مستوى الخدمات التى تقدمها هذه المؤسسات لعمالئها (٢) .

والحالة التى نحن بصدددها هى محاولة لمساعدة إحدى مؤسسات العمل الإسلامى من خلال المعاونة المهنية المتخصصة للخدمة الاجتماعية على زيادة فاعليتها فى تحقيق أهداف العمل الإسلامى قام بها فريق من مندوبى قسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وقد كان الباحث مسئولاً عن فريق المعاونة المهنية لهذه المؤسسة ، مضى على بدء التجربة حتى لحظة اعداد هذا البحث أكثر من عام شعر الباحث فيه بثراء هذه التجربة ، وبأن فيها ما يمكن أن يفيد كما شعر فى نفس الوقت بأن عرضها وما يسفر عنه من آراء يمكن أن يعدل من مسارها و يجعلها أكثر ثراء وقيمة ، وفيما يلى تقدم المعالم الرئيسية لها .

أولا : المعاونة المهنية :

أقرب وصيف للمعاونة المهنية هى ما يسميه الفريد كادوسين Alfred Kadushin الاستشارة المهنية Social Work Consultion وبالتحديد تلك النوع الذى يسمى بالاستشارة التى تركز على البرنامج Program - centered Consultion (٤).

وتعرف الاستشارة المهنية فى الخدمة الاجتماعية بأنها عملية مشتركة للمساعدة على حل مشكلة ما يقوم خلالها المستشار بمساعدة المؤسسة أو الجهة طالبة الاستشارة على حل مشكلة مهنية يعانى منها فى مجال تخصصه (٥) . ويعرف كل من ماكلينان MacIennan وكوين Quinn وشرويدر Sheroeder الاستشارة التى تركز على البرنامج بأنها ذلك النوع من الاستشارة التى تركز على تحسين تخطيط وتنمية وإدارة وتنسيق الخدمات المباشرة أو غير المباشرة التى تقدمها المؤسسة أو الجهة طالبة الاستشارة من خلال العمل على إحداث تغييرات فى النظام الذى يتفاعل من خلاله الأخصائى الاجتماعى والعميل وتهتم بفهم وتقدير موقف المؤسسة أو الجهة طالبة الاستشارة ، وما يحدث فيها من عمليات ، وما تملكه من وسائل ، وما فيها من عيوب بنائيه تقلل من الكفاءة فى أداء الواجبات وتتضمن خدمات المساعدة على التنظيم والتعديل فى أهداف ومحتويات البرامج التى تقدمها المؤسسة من خلال تطبيق الخبرات المضينة فى الديناميات الاجتماعية والعمليات الإدارية للنسق الذى يتم من خلاله تقديم الخدمة (٦) .

كما تضمنت المعاونة المهنية - كما سوف يتبين فيما بعد - جوانب أخرى تتصل بما يسمى الاستشارة التي تركز على المستشار Consultee- Centered Consultation وتتصب على مساعدة المؤسسة أو الجهة طالبة الاستشارة على إحداث تغييرات في بنائها أو وظائفها عن طريق استخدام المعرفة بإدارة المؤسسة و العقد التنظيمية والظواهر البيروقراطية و البناء التنظيمي غير الرسمي ، وأنماط الاتصال وعملية اتخاذ القرار في إحداث تعديلات لعلاج المشكلات التي يشكو منها طالب الاستشارة ، كما تتضمن علاج العوامل التي تتصل بالتفاعل والعلاقات الشخصية التي تؤثر على أداء الواجبات في المؤسسة ، ورفع الروح المعنوية ، وإزالة التجاوزات ، وازدياد الديمقراطية في المؤسسات ، وجعل العلاقات بين العاملين بها أكثر انسانية ، كأنهم أهداف هذا النوع من الاستشارة (٧) .

وقد جمعت المعاونة المهنية التي قدمت حتى الآن بين خصائص من كل من النوعين السابقين بالإضافة إلى أنواع أخرى من المعاونة لا تندرج تحت إطار الاستشارة ، كما سوف يتضح فيما بعد ، وذلك لأن متطلبات الممارسة الميدانية تتجاوز في كثير من الأحيان الأطر النظرية مهما كانت دقتها وكفائتها ، ولذلك فقد وجد الباحث أن إطلاق اسم المعاونة المهنية على ما تم تنفيذه من تعاون مع المؤسسة أكثر دقة لأنها تضمنت ما هو أكثر من مجرد الاستشارة ، وقد حاول فريق المعاونة المهنية التوفيق بين الأصول المهنية لتقديم الخدمات ومتطلبات الواقع المبريقي ، كما تتطلبه طبيعة العمل بالمؤسسة وظروفه .

ثانيا : نبذة عن المؤسسة :

انشئت هذه المؤسسة منذ حوالي سبع سنوات كنوع لاحدى المؤسسات التي تعمل على المستوى الدولي تعمل فى خدمة الإسلام والمسلمين ، ولهذه المؤسسة فرعين من الأهداف أولهما أهداف دعوية وذلك بدعوة المسلمين إلى التمسك بدينهم والدفاع عن حقوق الأقليات المسلمة فى البلدان غير المسلمة ، ودعوة غير المسلمين إلى الدخول فى الإسلام ، وثانيهما الأهداف الاغاثية والإنسانية ، حيث تشرف المؤسسة على العديد من البرامج التي تتضمن مساعدات الإغاثة والإيواء والعلاج والتعليم والتدريب فى العديد من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية وهى مؤسسة أهلية تعتمد فى تمويلها على التبرعات ويساهم المتطوعون بجانب كبير من الجهد المطلوب للعمل فيها .

يتكون الجهاز الوظيفى للمؤسسة من مدير متفرغ وعدد قليل من الموظفين الإداريين وتعمل على تحقيق أهداف تعتبر جزء من أهداف المؤسسة الأم ، وعلى الرغم من أن

العديد من البرامج والأنشطة التي تمارسها المؤسسة تدخل في نطاق اختصاص الخدمة الاجتماعية فلا يوجد بها أخصائي اجتماعي واحد لا من العاملين ولا من المتطوعين ، بل إن دور الخدمة الاجتماعية وما يمكن أن تقدمه من دعم للمؤسسة لم يكن واضحاً في ذهن المسئولين عن المؤسسة .

ثالثاً : مراحل المعاونة المهنية :

يري كل من هولاند وريتفو وتكنز أن للاستشارة المهنية مجموعة من الخطوات هي^(٨) .

١ - الإقرار بالحاجة إلى الاستشارة

٢ - طلب الاستشارة

٣ - تحديد المشكلة وتقدير الموقف

٤ - التفاوض حول التعاقد على الاستشارة

٥ - الاتفاق على تحديد أهداف الاستشارة

٦ - تحديد استراتيجيات العمل

٧ - التنفيذ

٨ - قياس العائد من الاستشارة

وعلى الرغم من وجود بعض أوجه الاتفاق بين الاستشارة والمعاونة المهنية ، إلا أن المعاونة المهنية لم تأخذ نفس الخطوات السابقة وذلك لعدد من الأسباب من بينها أن الاستشارة عادة ما تتم بين مؤسسة يوجد بها مهنيون متخصصون في الخدمة الاجتماعية يستطيعون تحديد مدى حاجتهم إلى الاستشارة والجوانب التي يحتاجون إلى الاستشارة بشأنها ويمكنهم الأسهام في سائر خطوات الاستشارة من تقدير للموقف إلى التعاقد إلى تحديد الأهداف والاستراتيجيات والتنفيذ وقياس العائد ، وقد أثر عدم وجود أخصائيين اجتماعيين بالمؤسسة إلى حد كبير على تفاعلها مع فريق المعاونة المهنية ، إلا أنه أعطى في نفس الوقت لفريق المعاونة المهنية قدراً كبيراً من الحرية في العمل .

وعلى الرغم من وجود بعض التداخل بين المراحل ، إلا أننا يمكننا تمييز المراحل التي مرت بها المعاونة المهنية حتى الآن على النحو التالي :-

١ - مرحلة الاتصال :

بدأت هذه المرحلة في شهر ربيع الثاني سنة ١٤١٠هـ حيث تم اتصال غير رسمي بين أحد أساتذة قسم الخدمة الاجتماعية ومدير المؤسسة، تم على أثره عقد اجتماع بين مجموعة من أساتذة القسم برئاسة رئيسة ومدير المؤسسة عرض فيه مدير المؤسسة

أهداف المؤسسة وبرامجها ورحب فيه بقاء مساعدة تقدم إلى المؤسسة وحدد رئيس القسم بصورة مبدئية أوجه المعاونة التي يمكن تقديمها وقد أسفر هذا الاجتماع عن الاتفاق على الآتى :-

- أ) إقرار مبدئى بمبدأ المعاونة المهنية للمؤسسة من قبل القسم .
 - ب) تقوم المؤسسة بإعداد ملفات تحقوى على بيانات عن البرامج التي سوف تتم المعاونة بشأنها وهى كفالة اليتيم . وصندوق مساعدة الطلاب .
 - ج) أن يقوم القسم باتخاذ الاجراءات اللازمة لهذه المعاونة المهنية وتشكيل الفريق الذى سوف يقوم بتقديم المعاونة المهنية .
- عقب ذلك بفترة وجيزة تم إنهاء الاجراءات الإدارية اللازمة لهذه المعاونة المهنية كمل تم تشكيل فريق المعاونة المهنية وبدأ فى عقد اجتماعات متتالية تهيئنا للمراحل التالية كما بدأ فى القيام بزيارات للمؤسسة ولقاءات مع المسئولين فيها للتعارف ووثيق العلاقات .

٢ - تحديد أهداف المعاونة المهنية :

تحدد الهدف الرئيسى للمعاونة المهنية فى زيادة كفاءة المؤسسة وفاعليتها فى تحقيق أهدافها وذلك من خلال :

- أ) دراسة البرامج القائمة وتحديد أوجه القوة والضعف فيها وعن ثم اقتراح التعديلات المناسبة سواء كانت هذه التعديلات فى أهداف البرامج أو فى إنارتها أو تمويلها والمساعدة على تنفيذ هذه التعديلات بحيث تسير هذه البرامج وفقاً للأصول المهنية السليمة .
- ب) اقتراح برامج جديدة تتماشى مع أهداف المؤسسة والتخطيط لهذه البرامج والمساعدة على تنفيذها وتقويمها .
- ج) مساعدة المؤسسة على رفع مستوى العاملين بها وزيادة كفاءتهم .
- د) تدعيم المؤسسة فنيا وماليا من خلال مساعدتها على تنشيط التطوع وتنظيم جمع المال .

والى جانب هذا الهدف الرئيسى كانت هناك بعض الأهداف الأخرى منها :-

- أ) اشعار قيادات العمل الإسلامى والقائمين عليه بما يمكن أن تقدمه الخدمة الاجتماعية كمهنة من زيادة فى كفاءة هذا العمل فى تحقيق أهدافه . ومن ثم فتح باب العمل فى هذا المجال للأخصائيين الاجتماعيين كعاملين أو مستطوعين فيه .

ب) اكتساب دراية أكبر بالعمل الإسلامى وظروفه ومؤسساته بما يدفع عملية التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية ويساعد على بلورة نماذج للممارسة تنبع من المؤسسات المحلية فى المجتمعات الإسلامية وتستجيب لمتطلبات الواقع وتكون بالتالى أكثر مناسبة لهذه المجتمعات وأكثر كفاءة فى التعامل مع مشكلاتها .

٣ - مرحلة التعاقد :

لم تتضمن مرحلة التعاقد كما هو مألوف فى مثل هذه الحالات تحديدا مكتوبا لنوع المعاونة وشروطها أو جداول زمنية لمراحل سيرها أو تكلفتها (٩) . واقتصرت على مجرد اتفاق شفهي على تقديم المعاونة من جانب فريق المعاونة المهنية وعلى قبولها من جانب المؤسسة وذلك نتيجة لعدد من العوامل هى :

أ) عدم وجود أخصائيين اجتماعيين بالمؤسسة وعدم وضوح الرؤية بالنسبة لما يمكن أن يقدم إلى المؤسسة من معاونة مهنية .

ب) لم تتضمن المعاونة المهنية إلقاء أية أعباء أو فرض أية شروط على المؤسسة وبالتالي فلم يكن من المناسب فى رأى المسئولين عن المؤسسة وضع شروط لمعاونة غير مشروطة تقدم دون مقابل .

ج) اعتماد المؤسسة على الجهد التطوعى ، ومن ثم النظر إلى فريق المعاونة المهنية على أنه عدد من المتطوعين بالمؤسسة .

د) الثقة المتبادلة بين المسئولين بالمؤسسة وفريق المعاونة المهنية والمستمدة من نظرة كل منهما إلى الآخر على أنه يعمل لوجه الله ولن يدخر جهدا فى تيسير عمل الجانب الآخر وبذل أقصى الجهد فى خدمة الإسلام والمسلمين .

٤ - تقدير الموقف :

عقب ذلك قام فريق المعاونة المهنية بدراسة ملفات البرامج التى أعدتها المؤسسة كما قام بملاحظة أسلوب العمل من خلال تواجده فى المؤسسة ولقاءاته مع المسئولين فيها وقد تم تجميع ملاحظاته عن المؤسسة وما تنفذه من برامج ، وكان من أهم هذه الملاحظات ما يلى : -

أ) يتولى المسئوليات القيادية فى البرامج وعملية اتخاذ القرار فى كل برنامج عدد من المتطوعين بالتنسيق مع إدارة المؤسسة ، ويشرف على كل برنامج عدد محدود منهم تواجد معظمهم فى المكتب غير منتظم وفى أوقات غير محددة فى كثير من الأحيان .

ب) يتولى المسئوليات التنفيذية بالمؤسسة عدد محدود من الموظفين المثقلين بالأعمال والمسئوليات اليومية للمؤسسة وبرامجها ويصعب اشراكهم في تطوير البرامج دون تخفيف بعض المسئوليات عنهم .

ج) عدم وجود أخصائيين اجتماعيين في المؤسسة سواء من العاملين أو المتطوعين مما جعل التفاهم على الكثير من الأمور المهنية الأساسية أمرا غير متيسر .

د) الانشغال الشديد لكبار المسئولين في المؤسسة بالأعمال اليومية للبرامج وعدم وجود الوقت الكافي لديهم للعمل على تطوير البرامج أو أسلوب العمل بالمؤسسة.

هـ) ترحيب جميع من بالمؤسسة دون استثناء بفريق المعاونة المهنية و تحليهم بالتواضع والروح الإسلامية الطيبة والنظر إلى فريق المعاونة المهنية كمحتسبين أولا وكمصدر للمعاونة المتخصصة من جهة ثانية الأمر الذي يمكن أن يذلل الكثير من الصعوبات .

٥ - تحديد استراتيجيات العمل :

وإزاء ذلك تم الاتفاق بين فريق المعاونة المهنية على الخطوط الأساسية للمعاونة المهنية على النحو التالي :-

أ) البدء بإنشاء وحدة المتطوعين لتدعيم المؤسسة بالقوة البشرية التي تساعد في تخفيف الأعباء التي يتحملها العاملون بالمؤسسة على أن يتولى مسئولياته بالكامل فريق المعاونة المهنية مع الرجوع إلى إدارة المؤسسة لأخذ موافقتها بالطبع .

ب) أما بالنسبة للبرامج القائمة بالفعل فقد تم الاتفاق على أن يقوم الفريق بعد دراسة كل مشروع بتحديد التعديلات المطلوب إدخالها على كل برنامج والبدء باختيار بعض هذه التعديلات والاتفاق مع المسئولين عن كل برنامج على مبدأ إقرار هذه التعديلات على أن يتولى فريق المعاونة المهنية التنفيذ الفعلي لهذه التعديلات مع القيام بالتنسيق مع المسئولين عن البرنامج حتى لا يحدث أي ارتباك في سير البرنامج .

ج) يتم اطلاع المسئولين عن البرنامج على نتائج التعديلات التي حدثت وادماج هذه التعديلات في البرنامج بالتدريج بعد أن يلمس المسئولون عن البرنامج الآثار الايجابية لهذه التعديلات على البرنامج بحيث تصبح هذه التعديلات جزءا من البرنامج فيما بعد ، مع إدماج القائمين بهذه التعديلات أيضا مع القائمين على

تنفيذ البرنامج وذلك بهدف إتمام التطوير المستهدف للبرامج بصورة تدريجية وتلافى إلقاء أية أعباء على المسئولين عن البرامج فى المراحل الأولى على الأقل .

د) تخصيص مسئول من فريق المعاونة المهنية بكل برنامج كمسئول أول عن المعاونة المهنية لهذا البرنامج وأن يحرص هذا المسئول على تنمية العلاقة مع المسئولين عن هذا البرنامج من قبل المؤسسة .

٦ - تنفيذ الخطة :

بدأ تنفيذ خطة المعاونة المهنية للمؤسسة بناء على ما سبق وسوف نعرض فيما يلى سير عملية التنفيذ فى برنامج على حدة والنتائج التى أسفرت عنها بالنسبة للبرنامج على النحو التالى :-

أولا : وحدة المتطوعين :

أدلت مجموعة المعاونة المهنية لهذا البرنامج أولوية متقدمة لشعورها بحاجة المؤسسة إليه ولتأثيره الإيجابى المتوقع على المؤسسة وعلى البرامج الأخرى وقد كان الهدف من إنشاء وحدة المتطوعين ما يلى :-

١ - تزويد المؤسسة بالأعداد الكافية من المتطوعين فى التخصصات التى تحتاج إليها للمشى قدما فى تنفيذ برامجها .

٢ - تحقيق المزيد من التعريف بالمؤسسة من خلال الدعوة إلى التطوع .

٣ - تخفيف الأعباء المكثفة التى يعانى منها العاملون بالمؤسسة من خلال اشتراك المتطوعين الجدد فى أداء بعض المسئوليات .

٤ - إيجاد رصيد من القوة البشرية المتخصصة من المتطوعين الذين يمكن لفريق المعاونة المهنية الاستعانة بهم فى انجاز مسئوليات تطوير برامج المؤسسة فى المستقبل القريب .

٥ - اكتساب المسئولين بالمؤسسة الخبرة والمهارة اللازمة للاستفادة من المتطوعين من خلال البرنامج .

وقد سار إنشاء هذه الوحدة على النحو التالى :

١ - تم عرض فكرة انشاء الوحدة على إدارة المؤسسة أثناء اجتماع مشترك مع فريق المعاونة المهنية وتمت الموافقة عليها من حيث المبدأ .

٢ - قام فريق المعاونة المهنية بإعداد مقترح بلائحة الوحدة تضمنت تحديداً لأهدافها ، والمسئوليات التى تقوم بها الوحدة وكيفية تنظيمها والتجهيزات

المطلوبة لها ، وقد تم عرض هذه اللائحة على إدارة المؤسسة ووافقت عليها
دون تعديل ، ومن ثم تم تصميم استمارة بيانات للمتطوع وبرنامج كمبيوتر
لتخزين واسترجاع ومعالجة بيانات المتطوعين وتم وضعه فى الحاسب الآلى
بالمؤسسة وتدريب الموظف المختص على استخدامه .

٣ - قام فريق المعاونة المهنية بإدارة المؤسسة وأقسامها المختلفة لتحديد
احتياجاتها من النوعيات المختلفة من المتطوعين ، وقد استغرقت هذه العملية
وقتا طويلا نسبيا ، حيث كان مدير المؤسسة يحيل هذه المسألة إلى معاونيه من
المتطوعين ، وقد أدى انشغالهم فى متابعة الأعمال اليومية إلى عدم وجود
الوقت الكافى لديهم للقيام بهذه المهمة ، مما أدى إلى حدوث بعض التأخير ،
وأخيرا تم حصر هذه الاحتياجات وكانت تتمثل فى مسئولى إدارة ،
متخصصون فى العمل على الكمبيوتر ، متخصصون فى العلاقات العامة
والمحاسبية والترجمة والاتصال ، أساتذة جامعيون يتطوعون لإلقاء محاضرات
عامة فى موضوعات متنوعة .

٤ - قرر فريق المعاونة المهنية أن الجمهور المناسب الذى يمكن توجيه الدعوة إليه
للتطوع هو مجتمع الجامعة واستقر رأى على البدء بتوجيه الدعوة إلى طلاب
جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية من منطلق أن طبيعة الدراسة
الإسلامية بهذه الجامعة يجعل الدافع إلى التطلع فى المؤسسات الإسلامية
لديهم أقوى ، بالإضافة إلى وجود التخصصات المطلوبة بين كلياتها .

٥ - قام فريق المعاونة المهنية بإعداد خطاب موجه إلى عمداء كليات الجامعة يطلب
منهم الموافقة على تعليق إعلان يتضمن الدعوة إلى التطوع وقدم الخطاب الى
مدير المؤسسة لإقراره ، وطباعته واعتماده . وقد استغرقت هذه العملية
مايقرب من شهر بسبب بعض الصعوبات الروتينية مثل عدم وجود الطابع أو
عدم حضور مدير المؤسسة وقد تم إعداد إعلانات الدعوة إلى التطوع للإسهام
فى برامج المؤسسة ووضع فى الإعلان عنوان المؤسسة ورقما الهاتف والوقت
المناسب للحضور إلى المؤسسة ، وقد تم تسليم الخطابات إلى عمداء الكليات
عن طريق فريق المعاونة المهنية من خلال مقابلات شخصية تم خلالها توضيح
الهدف من التطوع ، وقد تم تعليق الاعلانات وانتظرنا أسبوعا ولم يتقدم أحد .

٦ - حاول فريق المعاونة المهنية البحث عن تفسير لعدم الإقبال على التطوع ايجاد
الحلول المناسبة لهذا الموقف ، وقد أرجع الفريق عدم الإقبال على التطوع إلى
عدم وضوح الصيغة التى كتبت بها الاعلانات ، بالإضافة إلى اقتراب موعد
الاختبارات حيث لم يبق عليها سوى ثلاثة أسابيع ، وقد تم تغيير صيغة

الاعلانات كما تم تكليف عدد من فريق المعاونة المهنية بالدعوة إلى التطوع من خلال الاتصال الشخصى بين من يتوسمون فيهم قبول هذه الدعوة ، وقد أسفرت هذه الاتصالات عن التعرف على أن قرب الاختبارات هو السبب الرئيسى لعدم الاقبال وتم الاتصال بهم على حضورهم إلى المؤسسة عقب انتهاء الاختبارات .

(٧) حضر فى الأسبوع التالى إحدى عشر متطوعاً وتم استيفاء البيانات منهم على أن يتم الاتصال بهم عقب انتهاء الاختبارات وقد وصل عدد المتطوعون بعد انتهاء الاختبارات إلى عشرين متطوعاً تم اجراء مقابلات مع كل منهم وتعريفه بالمؤسسة وأقسامها وأهدافها والأعمال التى يمكن أن تسند إليه ، كما تم عقد اجتماع مشترك للمتطوعين مع مدير المؤسسة رحب فيه بهم وأعطاهم فكرة عن المؤسسة وأهدافها وبرامجها وما تعلقه على إسهامهم بها من آمال ، وقد لوحظ حماس واضح لديهم للقيام بأى عمل يكفون به بالفعل وقد تم تكليف بعضهم بالفعل بالقيام ببعض مسئوليات المعاونة فى الأعمال الادارية بالمؤسسة كما تمت الاستعانة بهم فى البرامج الأخرى التى يقوم فريق المعاونة المهنية بتطويرها .

(٨) بعد ذلك بوقت قصير توقفت أعمال فريق المعاونة مؤقتاً بسبب العطلة الصيفية قد تم تكليف أحد أفراده بالتعاون مع بعض المتطوعين بتسيير الأعمال الروتينية لفريق المعاونة المهنية بما فى ذلك متابعة المتطوعين خلال هذه العطلة، وقد تم عقب العطلة الاتصال بالمتطوعين من جديد وتحديث البيانات الخاصة بهم كما بدأ تنشيط عملية التطوع من خلال الاتصال الشخصى وقد أسفرت هذه العملية عن وصول عدد المتطوعين إلى حوالى خمسين متطوعاً وتم الاستعانة بهم فى العديد من المسئوليات منها :-

- أداء بعض الأعمال الإدارية بالمؤسسة
- الإسهام فى إدارة وحدة المتطوعين
- الدعوة إلى التطوع
- الإسهام بمهام متعددة فى برنامج كفالة اليتيم
- الإسهام بمهام متعددة فى برنامج الجاليات .

- تم من خلال البرنامج تزويد بعض المؤسسات الأخرى التى واجهت حاجة ماسة إلى المتطوعين أثناء جهودها لإغاثة النازحين من العراق والكويت إلى الأراضى السعودية بأعداد من المتطوعين لمعاونتها فى ذلك ، وقد طلبوا من فريق المعاونة المهنية انشاء وحدة للمتطوعين لديهم وتم ذلك بالفعل .

- بدأ بعد ذلك بعض المسئولين فى المؤسسة بالفعل فى الاستعانة بالمتطوعين من خلال برنامج الحاسب الالى بالمؤسسة والاتصال بهم ، وتكليفهم ببعض المسئوليات وبدأ الشعور فى المؤسسة يتزايد بكون وحدة المتطوعين جزء من المؤسسة .

- لم يوافق المسئولون بالمؤسسة على اشتراك المتطوعين فى حملة لجمع المال لبرنامج كفالة اليتيم من خلال طوابع للتبرع واستثمارات للكفالة حتى الآن وينخوفون من وقوع مشكلات مالية ويقوم فريق المعاونة المهنية فى الوقت الحاضر بدراسة أسباب هذا التخوف ومناقشتها والعمل على ازالتها حتى يمكن تحقيق الاستفادة الأمل من جهودهم .

النتائج التى أسفر عنها إنشاء وحدة المتطوعين بالمؤسسة :

أسفر إنشاء هذه الوحدة بالمؤسسة عن مجموعة من النتائج من أهمها : -

(١) توفير طاقة بشرية تساعد فى أداء المسئوليات المختلفة فى المؤسسة ومن خلال حصر خبرات المتطوعين تبين أنها تنص على ما يلى :-

- المشاركة فى إجراء البحوث الاجتماعية

- إلقاء الدروس الدينية

- الإسهام فى جمع التبرعات وحملات جمع المال

- أعمال الاغاثة

- الدعوة الإسلامية

- تعليم القرآن الكريم والدروس الدينية

- الطباعة على الآلة الكاتبة

- الأعمال الإدارية

- الخط العربى

وقد تمت الاستفادة بالفعل من جانب كبير من المتطوعين فى خدمة برامج المؤسسة.

(٢) تدريب بعض العاملين فى المؤسسة على الجوانب المختلفة لعملية التطوع مثل الدعوة إلى التطوع وتدريب المتطوعين وتكليفهم بالأعمال المختلفة الخ .

(٣) رفع كفاءة بعض برامج المؤسسة مثل برنامج كفالة اليتيم وبرنامج الجاليات من خلال جهود المتطوعين .

٤ (تخفيف بعض الأعباء الإدارية عن العاملين في المؤسسة مما أتاح الفرصة لاشراكهم بالتدريب في أعمال فريق المعاونة المهنية ، ومن ثم اكسابهم بعض المهارات المهنية التي تزيد كفاءتهم في العمل .

٥ (أسهم هذا البرنامج في تحقيق التعاون مع بعض المؤسسات الأخرى العاملة في مجال العمل الإسلامي عن طريق امدادها ببعض المتطوعين .

٦ (أسهم البرنامج في التعريف بالمؤسسة على نطاق أوسع .

ويعمل فريق المعاونة المهنية حاليا على تحقيق المزيد من الفاعلية لوحدة المتطوعين في دعم المؤسسة وبرامجها على النحو الآتي :-

١ (إزالة المعوقات التي تحول دون إسهام المتطوعين في حملات جمع المال وذلك من خلال تدعيم الثقة بين المتطوعين والمسؤولين عن البرنامج ودراسة أسباب اعتراض المسؤولين على اشتراك المتطوعين والعمل على إزالتها .

٢ (التوسع في الاستعانة بالمتطوعين في برنامج الجاليات لمساعدة المعتنقين الجدد للإسلام على حل ما يواجههم من مشكلات .

٣ (التوسع في الدعوة إلى التطوع بما يلبي الحاجة المتزايدة لمتطلبات تطوير البرامج من المتطوعين مع الاستفادة بجهود المتطوعين الحاليين في ذلك .

٤ (التوسع في الاستفادة من المتطوعين في تطوير برنامج كفالة اليتيم .

ثانيا : برنامج كفالة اليتيم

نبذة عن البرنامج :

بدأ هذا البرنامج منذ ما يقرب من أربع سنوات ويستهدف كفالة الأيتام من أبناء المسلمين في مختلف البلاد الإسلامية بتوفير متطلبات الحياة الكريمة لهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية على هدى من القرآن والسنة ورفع مستواهم الاجتماعي والصحي والتعليمي والاجتماعي وتأهيلهم تربويا ومهنيا لسد حاجاتهم وفتح الطريق أمام القادرين من المسلمين للإسهام في كفالة الأيتام التي قد لا تتيسر لهم كأفراد ، ويرعى هذا المشروع ما يقرب من أربعة آلاف يتيم في بلاد مختلفة منها أفغانستان وأريتريا وباكستان ، وتبدأ كفالة اليتيم باثبات حالته كيتيم ثم ورود استمارة بذلك من فرع المؤسسة في البلد الذي يوجد فيه اليتيم ثم تقوم المؤسسة بالبحث عن يكفله حيث يقوم بدفع مبلغ ٢٠٠ ريال سعودي شهريا ثم يرسل هذا المبلغ إلى فرع المؤسسة في البلد الذي يقيم فيه اليتيم حيث يقوم فرع المؤسسة هناك ببدء الكفالة التي تشمل توفير الغذاء والتعليم والإعانة الصحية والإقامة لليتيم إلى أن يصل إلى سن البلوغ .

وقد قام فريق المعاونة المهنية بدراسة الملف الذى أعدته المؤسسة عن البرنامج وباجراء مقابلات متعددة مع المسئولين عنه فى المؤسسة وقد أسفرت هذه الدراسة عن تبلور مجموعة من المقترحات التى تسد بعض الثغرات التى تبين وجودها فى البرنامج . ثم عقب ذلك عقد اجتماع مشترك بين فريق المعاونة المهنية والمسئولين عن البرنامج عرضت فيه هذه المقترحات وتمت مناقشة مستفيضة تم على أثرها الاتفاق على أن يقوم الفريق بمعاونة المؤسسة فيما يلى : -

أولا : فيما يتصل بتنظيم علاقة المؤسسة بالكامل :

- ١ (استكمال البيانات الموجودة لدى إدارة البرنامج عن كل من اليتيم والكافل .
- ٢ (إيجاد نظام للاتصال بالكافلين قبل انتهاء كفالتهم بوقت كاف يسمح له بتجديدها ويسمح للمؤسسة أن تعرف ما اذا كان الكافل ينوى تجديد الكفالة أم سوف يتوقف ومن ثم يتعين عليها البحث عن كامل جديد لليتيم حتى لا تنقطع كفالته .
- ٣ (تنظيم إرسال تقارير دورية من المؤسسة إلى الكافل عن التطورات فى حالة اليتيم أو الأيتام الذين يكفلهم حتى يطمئن إلى حسن انفاق ما تبرع به من مال فى مصرفه المحدد .
- ٤ (تنظيم حملة ذات شقين أولهما :
- أ) ايجاد كافلين لأعداد من الأيتام الجدد المحتاجين إلى من يكفلهم أو بدلاء لكفالة الأيتام الذين انتهت كفالتهم لدى كافلين آخرين توقفوا عن الاستمرار فى الكفالة .

ثانيا : فيما يتصل بتطوير نظام رعاية اليتيم :

- ١ (تعديل أهداف البرنامج بما يمكن من مساعدة اليتيم الذى أوشك على بلوغ سن انتهاء الكفالة على ايجاد وسيلة لكسب الرزق أو الاستمرار فى التعليم أو التدريب حتى ينتهى منه حتى لا تنقطع عنه الكفالة فجأة ببلوغه سن ١٥ سنة ونتركه دون مساعدة .
- ٢ (مراجعة وسائل التأكد من يتم المستفيدين من البرنامج والأطمئنان إلى كفاءتها وعدم حصولهم على مساعدات من جهات أخرى .
- ٣ (تنظيم أسلوب مناسب لدراسة حالات الأيتام الذين يحتاجون إلى الكفالة لدراسة أفضل سبل كفالتهم من حيث اختيار نوع الكفالة . ما إذا كان فى داخل المؤسسة أو لدى أسرة ، وتحديد الأسرة المناسبة لكفالته وأفضل سبل مساعدة هذه الأسرة على أداء دورها كأسرة حاضنة لليتيم .

٤ (تنظيم أسلوب مناسب للمتابعة وحل المشكلات المختلفة التي تواجه رعاية هؤلاء الأيتام ميدانيا .

٥ (تنظيم حملة لجمع المال الذي يمكن الاستفادة منه في تطوير البرنامج على النحو الذي سبقت الإشارة إليه .

قام فريق المعاونة المهنية على أثر هذا الاجتماع بأعداد عدد من النماذج المهنية التي يمكن عن طريق استخدامها توفير بيانات كافية عن اليتيم والكافل وهي -

١ (استمارة دراسة حالة وذلك عند بداية كفالة اليتيم تتضمن بيانات معرفة باليتيم وحالته الصحية والتعليمية والاقتصادية والأسرية والسلوكية . والأشخاص الذين يمكن الرجوع إليهم لدراسة الحالة .

٢ (تقرير دورى عن اليتيم يقوم باستيفائه المسئول المباشر من قبل المؤسسة عن متابعة اليتيم المكفول ويرسل إلى إدارة المؤسسة التي تقوم بإرسال صورة منه إلى الكافل حتى يشعر باهتمام المؤسسة وجديتها مما يزيد ثقة الكافل في المؤسسة ويشجعه على الاستمرار في الكفالة ، كما يمكن المسئولين عن البرنامج بالمؤسسة من متابعة حالات الأيتام أولا بأول .

وبعد مراجعة كل من الاستمارة والتقارير من قبل المشرف على البرنامج أبدى شكه فى امكانية استيفائها عن طريق القائمين على العمل الميدانى بوضعهم الحالى نظرا لمشكلات اختلاف اللغة وعدم كفاءة القائمين على العمل فى الميدان والصعوبات الإدارية التى يمكن أن تعوق هذه العملية مما دعا فريق المعاونة المهنية إلى التفكير فى القيام بزيارة ميدانية لدراسة الوضع على الطبيعة ولم يمانع المسئولون فى المؤسسة وأبدوا استعدادهم لأن يرسلوا مندوبا من قبلهم لمرافقة فريق المعاونة المهنية ، إلا أن ظروف عمل فريق المعاونة المهنية بالجامعة أوصت تأجيل هذه الزيارة إلى حين انتهاء العام الجامعى .

أبدى المسئولون عن البرنامج بالمؤسسة رغبتهم فى سرعة اعداد عدد من المطبوعات التعريفية بالبرنامج وتم الاتفاق على إعداد دليل عن البرنامج يوضح أهدافه و تطويره والأنشطة التى تتم من خلاله والخطوات التى تتبع لكفالة اليتيم ، كما تم إعداد مطوية تعريفية بالبرنامج تهدف إلى التعريف به والحث على الاشتراك فيه تتضمن بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو إلى رعاية اليتيم وتبين أجر كفالة مع بيان كيفية الاشتراك فيه وعنوان المؤسسة ، وقد تم طباعة كل من الدليل والمطوية .

وجنبا إلى جنب مع ما سبقت الإشارة إليه بدأ فريق المعاونة المهنية فى التعرف على النظام المتبع فى الاتصال بالكفلاء وقد لوحظ أن البرنامج لا يتصل بالكفلاء لتذكيرهم

بقرب انتهاء مدة الكفالة ويتعرف على موقفهم من تجديدها ، وقد تم شرح الطريقة التي يمكن اتباعها في ذلك عن طريق تحديد الكافلين الذين تنتهي كفالتهم شهريا على أن يتم الاتصال بكل منهم في الشهر السابق على شهر انتهاء الكفالة ويتم خلال هذا الاتصال إعطاء الكافل تقريراً موجزاً عن وضع اليتيم - إذا توفرت البيانات عنه ثم يذكر بموعد انتهاء الكفالة ثم يسأل عن نيته في تجديدها ، على أن تسجل نتائج الاتصال في سجل خاص بذلك تم إعداده . ثم تصفى هذه الحالات وتستخرج الحالات التي لا ينوى الكافل تجديد الكفالة على أن يبحث له عن كافل جديد ، إلا أن المسؤولين عن هذا العمل اعتذروا بأنهم مثقلون بالأعمال وأن هذا الأمر يضيف عليهم عبئاً إضافياً فوق طاقتهم ، وفي نهاية الأمر تم الاتفاق على أن يقوم فريق المعاونة المهنية بتنظيم قيام المتطوعين بهذا العمل تحت الاشراف المباشر لفريق المعاونة المهنية . وقد بدأ بالفعل تنفيذ هذه الخطوة وقد أسهمت في زيادة انتظام الكفلاء وفي عدم وجود فجوات غير مغطاة كما أدت إلى زيادة وانتظام التدفق التمويلي للبرنامج بصورة شعر بها المسؤولون عن البرنامج ، الأمر الذي أسهم في ايجاد المزيد من الثقة لدى المسؤولين عن البرنامج في سلامة المشورة التي يتقدمها فريق المعاونة المهنية .

وقد كشفت الاتصالات التي تمت مع الكفلاء لثلاثة أشهر متتالية عن بعض الملاحظات منها :-

١) يتطلب النظام القائم حضور الكافل شخصياً إلى مقر البرنامج لدفع مبلغ الكفالة وفي ذلك مشقة قد لا يستطيع البعض تحملها ، كما أن بعض الكفلاء من النساء ، وقد تم وضع مجموعة من البدائل للتغلب على هذه الصعوبة منها إخطار الكافل أثناء الاتصال معه برقم حساب البرنامج في أحد البنوك يستطيع الكافل أن يضع المبلغ فيه مباشرة أو أن يقوم بارسال شيك مصرفي من أي بنك في أي مكان على الفرع الذي فتح فيه الحساب .

٢) تبين ارتفاع نسبة الكفلاء الذين تغيرت عناوينهم حيث وصلت في بعض الشهور إلى ما يقرب من ثلث مجموع من تنتهي كفالتهم في ذلك الشهر ، كما أن بعض الكفلاء لا يذكر اسمه في استمارة البيانات بالخاصة به حيث يكتفى بمجرد ذكر (فاعل خير) رغبة منه في عدم الإعلان عن نفسه ، ويعمل فريق المعاونة المهنية في التغلب على هذه الصعوبة من خلال إجراء عملية تحديث بيانات للكفلاء مع الاشارة في استمارة البيانات الخاصة بالكافل الى أهمية ذكر البيانات وشرح أهمية هذا الأمر في تسهيل الاتصال به فيما بعد ، بالإضافة إلى التنبيه على المتطوعين الذين يساهمون في توزيع استمارات الكفالة إلى أهمية استيفاء هذه البيانات ، بالإضافة إلى إعلام الكافل بالاتصال على إدارة البرنامج إذا حدث تغيير في البيانات الخاصة به .

أدى الفراغ الكبير الذى أحدثه توقف برامج المساعدات الكويتية بسبب احتلال الكويت فى أغسطس ، ١٩٩٠ إلى زيادة كبيرة فى أعداد الأيتام المحتاجين إلى كفالة ، كما ازدادت نسبة الكفلاء الذين لا يرغبون فى تجديد كفالتهم لرغبتهم فى توجيه تبرعاتهم لمساعدة النازحين من الكويت الأمر الذى أحدث ضغطا كبيرا على البرنامج ثم الاتفاق مع المسؤولين عن البرنامج على مواجهته من خلال القيام بحملة لتوزيع استثمارات الكفالة بالاستفادة من امكانيات وحدة المتطوعين ، بالإضافة إلى إعداد قسائم تبرع بلغ مجموعها حوالى نصف مليون ريال سعودى يمكن الاستفادة منها فى جمع التبرعات ممن لا تسمح ظروفهم الا بالتبرع بمبالغ صغيرة وقد تم اعداد فئات من هذه القسائم ابتداء من خمسة ريالات الى مائة ريال ، كما قام فريق المعاونة المهنية بإعداد نماذج للإيصالات والمستندات التى يمكن عن طريقها ضبط حركة توزيع الاستثمارات والقسائم وإلا أن المسؤولين عن البرنامج رفضوا الاستعانة بأعداد كبيرة من المتطوعين وفضلوا أن يتم التوزيع عن طريق عدد محدود من المتطوعين الذين توجد معهم علاقة شخصية وخبرات سابقة فى التعامل معهم ، ويحاول فريق المعاونة المهنية فى الوقت الحاضر إقناع المسؤولين عن البرنامج بأهمية توسيع نطاق المتطوعين الذين يستعان بهم وتوفير الضمانات التى تقلل من حدوث المشكلات إلى أدنى حد ممكن مع إقناعهم بقبول المخاطرة باحتمال حدوث قدر محدود من المشكلات التى يمكن عليها فى سبيل التوسع فى البرنامج

تم أيضا من خلال اللقاءات المتعددة لفريق المعاونة المهنية مع المسؤولين على البرنامج طرح عدد من المقترحات التى لاقت قبولا وخطط فريق المعاونة المهنية لادخالها لتطوير البرامج من أهمها : -

١ (تطوير أهداف البرنامج من مجرد كفالة اليتيم حتى بلوغه سن الرشد إلى مساعدته على شق طريقه فى الحياة عن طريق استمرار الكفالة إلى حين انتهاء اليتيم من برامجه الدراسية أو التدريبية مع مساعدته على إنشاء مشروع تجارى أو زراعى أو مهنى ، يحقق هدفا مزوجا هو مساعدة اليتيم بالإضافة إلى تنبيه المجتمعات التى يعيشون فيها .

٢ (تطوير برامج التعليم والتدريب فى المدارس التابعة للبرامج بإدخال نوعيات جديدة من الأعمال التى يتم التدريب عليها على ضوء احتياجات البيئة المحلية التى يعيش فيها اليتيم مثل العمل على الحاسب الآلى ، والطباعة ، والصناعات الزراعية ، وصناعة الملابس وغيرها ومساعدة المتدربين فى الحصول على عمل عند انتهاء تدريبهم .

٣ (إدخال الدعوة الإسلامية ضمن مكونات البرنامج من خلال ارسال مواد دعوية مسموعة ومرئية ومقرؤة وتوفير الدعاة لقيام بمهامهم فى المدارس التابعة للبرنامج وزيادة البرامج الدينية فى المدارس التى تتبع البرنامج .

٤ (وضع نظام لتدفق وتبادل المعلومات بين إدارة البرنامج وفروعه فى الميدان وبين الفروع وبعضها وبعض مع تحديث البيانات أولا بأول مع الاستفادة بالامكانيات الواسعة التى يتيحها استخدم الحاسب الآلى فى مثل هذه البرامج .

٥ (تنظيم دورات تدريبية لرفع مستوى العاملين فى البرنامج وخاصة القائمين بالعمل الميدانى .

٦ (تحقيق المزيد من القوة فى العلاقة بين الكافل واليتيم مع العمل على اصفاء المزيد من الطابع الانسانى على العلاقة بينهما عن طريق تنظيم تزويد الكافل بالتقارير مع كل تطور يحدث فى حياة اليتيم مع إمكان تبادل الرسائل بينهما وإرسال هدايا باسم الكافل إلى اليتيم فى المناسبات مثل الأعياد .

٧ (الاهتمام بانتقاء الأسرة التى تقوم بحضانة اليتيم الذى فقد أسرته من خلال وضع شروط يجب توفرها فى هذه الأسر مع إجراء دراسة كافية لها للأطمئنان إلى صلاحيتها لحضانة اليتيم ومتابعتها بعد ذلك لمساعدتها على القيام بمهمتها على أفضل وجه ممكن وحل ما يطرأ من مشكلات .

٨ (تنظيم التقويم المستمر للبرنامج بجميع عناصره سواء كان ذلك تقويماً شاملاً للبرنامج أو تقويم عناصر مختارة منه مثل عملية التعليم والتدريب أو العلاقة بين البرنامج والكافل أو إدارة البرنامج ... الخ ، مع الاستعانة بالخبراء كلما كان ذلك ممكناً .

وقد تم الاتفاق فى هذا الصدد على أن يقوم فريق المعاونة المهنية بزيارة ميدانية إلى بعض المناطق التى يتولى البرنامج كفالة الأيتام فيها .

ثالثاً : برنامج الجاليات

نبذة عن البرنامج :

بدأ هذا البرنامج منذ ما يقرب من ثلاث سنوات ويستهدف دعوة غير المسلمين الموجودين فى المملكة إلى الدخول فى الإسلام بالاستعانة ببعض المتطوعين والدعاة ، وقد حقق هذا البرنامج نجاحاً متزايداً حيث بلغ من أشهر إسلامه من خلاله مايزيد على أربعة آلاف شخص ، ويتضمن هذا البرنامج إلقاء محاضرات تعريفية عن الإسلام بلغات مختلفة ، ثم تعريف من يدخله بآركان الإسلام واجباته كمسلم ، وكيفية تأدية العبادات المختلفة من صلاة وصيام .

وقد بدأ التدخل المهني في البرنامج متأخرا عن البرنامجين الآخرين نظرا لأن المسؤولين بالمؤسسة لم يطلبوا معاونة مهنية بشأته ولكن فريق المعاونة المهنية بعد تواجده بالمؤسسة وتعرفه على البرنامج وجد أنه يمكنه تقديم المعاونة المهنية بما يزيد من فاعلية هذا البرنامج في تحقيق أهدافه .

عقد على أثر ذلك عددا من الاجتماعات بين المسؤولين عن البرنامج وفريق المعاونة المهنية تم خلالها الاتفاق على أهداف المعاونة المهنية له على أن تتضمن ما يلي :-

(١) الاستجابة لرغبات المسلمين الجدد التي ظهرت من خلال بحث سبق اجراؤه في تنظيم دروس في القرآن الكريم واللغة العربية .

(٢) الاهتمام بالجانب الاجتماعي - إلى جانب الدعوة - بتوثيق العلاقات بين المعتنقين الجدد للإسلام من خلال تنظيم بعض الأنشطة الاجتماعية مثل الرحلات واللقاءات ومساعدتهم على الاندماج في المجتمع وتشجيع المجتمع على قبولهم وادخالهم في شبكة علاقات بديلة عن تلك التي فقدت بدخولهم في الإسلام .

(٣) مساعدة المسلمين الجدد الذين يواجهون بعض المشكلات الاجتماعية على التغلب عليها خصوصا تلك المشكلات المرتبطة باعتناقهم الإسلام حيث يتعرض بعضهم بضغط من أفراد أسرهم ونزويهم وأصدقائهم وزملائهم للارتداد عن الإسلام .

بدأت الخطوة الأولى في المعاونة المهنية بقيام الفريق بتصميم استمارة للتعرف على رغبات المستفيدين بالنسبة لتنظيم دروس القرآن الكريم واللغة العربية بهدف التعرف على ما اذا ان المستفيد يرغب في حضور دروس القرآن الكريم واللغة العربية والمكان والوقت المناسبين له ومستوى المامه باللغة العربية وقد تم تفرغ هذه الاستمارة وتجميع الرغبات وتبين وجود حوالي خمسة عشر يرغبون في تنظيم الدروس في القرآن الكريم واللغة العربية مساء يوم الخميس في مقر المؤسسة ، تم الاتفاق على تشكل لهم الحلقة الأولى لتدريس القرآن الكريم ، على أثر ذلك تم الاتفاق مع أحد المتطوعين للتدريس وتم تدبير المصاحف من خلال تبرع من متطوع آخر ولكن لم يحضر أحد من الدارسين في الوقت المحدد . وبدراسة أسباب هذه الظاهرة تبين أن مؤسسات أخرى تنظم دروسا في نفس الوقت المقترح . كما أنه يوجد درس في الدين الاسلامي في يوم آخر في مقر المؤسسة وقد رأى فريق المعاونة المهنية تنظيم هذه الدروس في نفس اليوم يلقي فيه الدرس الديني وتم الاتفاق مع المسؤولين عن البرنامج على ذلك على أن تكون حلقة دراسة القرآن الكريم واللغة العربية قبل درس الدين مباشرة تيسيرا على الدارسين ،

تم الإعلان عن ذلك وبدأت الدراسة فى الأسبوع التالى بحضور خمسة من الدارسين ، زاد العدد فى الأسبوع التالى إلى سبعة ، وفى الأسبوع الذى يليه إلى ثمانية من الدارسين .

شعر فريق المعاونة بأهمية التنسيق بين هذا البرنامج والبرامج المشابهة التى تنظمها مؤسسات أخرى وتم الاتصال بهم بالفعل وتمت مناقشة إمكانية التعاون ، وقد رحبت هذه المؤسسات بالتعاون .

عرض فريق المعاونة المهنية امكانياته لمساعدتهم فرحبوا بذلك وعبروا عن حاجاتهم إلى بعض المتطوعين لإلقاء دروس اللغة العربية والقرآن الكريم وتم الاتفاق معهم على امدادهم بالأعداد التى يحتاجون إليها من خلال برنامج المتطوعين بالمؤسسة ، كما تم الاتفاق معهم على ترتيب بعض البرامج الاجتماعية المشتركة للمسلمين الجدد مثل الرحلات واللقاءات الاجتماعية .

الخطوات المستقبلية للبرنامج :

يقوم فريق المعاونة المهنية بالتخطيط لبعض الأنشطة المستقبلية لهذا البرنامج على النحو التالى :-

١ (الاستمرار والتوسع فى دروس القرآن الكريم واللغة العربية والدين والتنسيق مع المؤسسات الأخرى العاملة فى هذا المجال بحيث تستجيب هذه الدروس للحاجة الفعلية للمعتنقين الجدد للإسلام .

٢ (تكثيف اللقاءات الاجتماعية بين المعتنقين الجدد للإسلام من جانب وبين أعداد من المتطوعين من جانب آخر على نحو شبيه بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤاخاه بين المهاجرين والأنصار ، بحيث يتولى المتطوع رعاية عدد من المسلمين الجدد ويوثق علاقته بهم كأخوة له فى الله ويساعدهم على الاندماج فى المجتمع المسلم ويساعدهم على حل مشكلاتهم .

٣ (البدء فى تنفيذ المساعدات الاجتماعية الفردية لمن يعانى من مشكلات اجتماعية من المعتنقين الجدد للإسلام بالاستفادة من امكانيات فريق المعاونة المهنية وبالمتطوعين عند الحاجة .

٤ (دراسة امكان الاستفادة من بعض من مضى على اعتناقهم الإسلام وقتاً أطول نسبياً كسواعد للمسؤولين عن البرنامج فى مساعدة زملائهم مع تدريبهم على ذلك وعلى العمل كدعاة بين مواطنيهم الذين لم يعتنقوا الإسلام بعد .

تقويم نتائج المعاونة المهنية :

مضى على بدء المعاونة المهنية للمؤسسة ما يقرب من عام كامل أسفرت عن مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلى :-

- ١ (تدعيم المؤسسة ماديا ومعنويا من خلال إنشاء وحدة المتطوعين وما أسفرت عنه من انضمام المتطوعين الجدد إليها وقيامهم بانجاز ما أسند إليهم من مسئوليات ، بالإضافة إلى الدعم المادى الذى تحقق من خلال مساعدة المؤسسة على تنظيم حملات جمع المال .
 - ٢ (تم اكساب بعض العاملين بالمؤسسة خبرات جديدة ساعدت على رفع مستوى أدائهم لأعمالهم من خلال الاحتكاك بينهم وبين فريق المعاونة المهنية .
 - ٣ (إحداث بعض التطوير فى عدد من البرامج التى تقوم بها المؤسسة .
 - ٤ (شعر عدد من المسئولين بالمؤسسة ومن قيادات العمل الإسلامى بما يمكن أن تقدمه الخدمة الاجتماعية كمهنة من مساعدة ذات قيمة فى زيادة كفاءة هذا العمل فى تحقيق أهدافه وقد تبين هذا بوضوح من خلال طلب بعض المؤسسات الأخرى للمعاونة المهنية من المسئولين بقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الإمام .
 - ٥ (اكتسب فريق المعاونة المهنية خبرة بالعمل فى المؤسسات الإسلامية ولعل فى هذه الورقة ما يشير إلى ذلك .
- ويود الباحث فى النهاية الإشارة إلى أن هذه التجربة لا زالت فى بدايتها وفى حاجة إلى المزيد من التدعيم والتقويم .

الهوامش

Hary Wirtz Macht, Jean K, Queam , Fredric W. Seidl, Social Work(١
an Introduction Columbus, Charles E. Merrill Publishing Company,
1986,pp. 3 - 17 .

(٢) عبد الحليم رضا عبد العال وآخرون ، أجهزة وحالات فى تنظيم المجتمع ،
القاهرة ، مكتبة توت للطباعة والنشر ، ١٩٨٥ ، ص ٦٦ - ٨٩

(٣) محمد أحمد عبد الهادى ، الخدمة الاجتماعية الاسلامية ، القاهرة ، مكتبة
وهبة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ ، ص ٢٠ - ٢٨

Alfred kadushin , Consulatation in Social Work, New York. (٤
Columbia University Press, 1977 pp. 73 - 79 .

Lawrence Shulman, Consultation , Encyclopedia of Social Work, (٥
18 th Edition , Silver Spring, Maryland , National Association of
Social Workers, 1987 , p. 326 .

Alfred kadushin , op. ci . pp. 73 - 74 . (٦

Ibid , p. 78 - 79 . (٧

Lawrence Shulman , op. cit , p. 328 (٨

Gebbie, M. kristine, Consulation Contracts, Their Development and(٩
Evaluation, American Journal .

دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين «منظور إسلامي»

د. علي حسين زيدان

سارت الغالبية العظمى من المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر على نهج النظريات والنماذج الغربية سواء كان ذلك في تحليل ظاهرة الانحراف وتفسيرها أو في نماذج التدخل المهني لعلاجها ، فعلى المستوى النظرى نجد أن معظم الكتابات في ظاهرة الانحراف مجرد مدى للكتابات التي تصدر في المجتمعات الغربية ، وما أن تظهر نظرية أو محاولة لتفسير هذه الظاهرة أو جانب منها في الكتابات الغربية إلا ونجد لها مدى في مجتمعاتنا الإسلامية ، وتكفي النظرة السريعة لأي مؤلف في هذا الموضوع للاقتناع بصدق هذه المقولة ، كما أن القوانين الموضوعية في معظم الدول الإسلامية تسير على نفس الوتيرة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤسسات التي تعمل في هذا المجال ، والنتيجة المتوقعة بالطبع هو تكرار لفشل هذه النظريات والنماذج في حل مشكلة الانحراف في الدول الإسلامية ، كما فشلت من قبل في حل هذه المشكلة في مجتمعاتها ، بل إن انتشار هذه النظريات والنماذج في العالم الإسلامي شجعت المعنيين بمواجهة هذه المشكلة على الركون إليها على اعتبار أنها آخر ما وصل إلي التقدم العلمي في الغرب المتقدم وهي بديل جاهز لا يحتاج إلى جهد ، كما راجت بعض المقولات الخاطئة مثل أن الانحراف هو أحد الأعراض الجانبية للتخضر والمدنية وأصبحت المدنية الغربية في سائر مناحي الحياة هي أقصى ما يطمح إليه في المجتمعات الإسلامية مع الاستعداد لقبول مشكلات هذه المدينة واستيراد الطول الجاهزة لها أيضا ، وساهم هذا إلى حد كبير في تكريس التبعية الفكرية والثقافية والعلمية للغرب ، وعزف الكثير من العلماء والمتخصصون في العلوم المعنية بظاهرة الانحراف عن البحث عن تفسير لهذه الظاهرة وعواملها وكيفية مواجهتها فيما أنزله الله سبحانه وتعالى من الكتاب والحكمة على رسوله المصطفى استغناء بما أتى به جراماتيكا وفرويد وسذرلاند وماركس ... وغيرهم .

ويحتوي الإسلام على تصور متكامل للتعامل مع ظاهرة الانحراف وصفا وتحليلا وتفسيرا وعلاجاً ، ومما يزيد من ثراء هذا التصور إنه وجد طريقة بالفعل إلى التطبيق في المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ، وكانت نتائجه باهرة .

وقد حرص الباحث على أن يقتصر في إعداد هذه التصور على المراجع الإسلامية حتى لا يقع أسيرا للفكر الوضعي بما فيه من مفاهيم وتصنيفات ، كما حرص على أن يكون اعتماده على القرآن الكريم أولا ثم الأحاديث النبوية الشريفة ، مع

الحرص على أن تكون الأحاديث التي يعتمد عليها غير مطعون في محتواها ثم التفاسير والشروح والآراء المشهود لها بالتوسط واعتدال ، ويرى الباحث في هذا المنهج ضرورة في هذه المرحلة حتى نستطيع استخلاص المنظور الإسلامي نقياً لا تشوبه شوائب الانزلاق في المزج بينه وبين النظريات الغربية التي يسهل الانزلاق إليها لما تتضمنه من مفاهيم وعلاقات وتصنيفات جاهزة ، على أن تكون الاستفادة من معطيات النظريات الحديثة في موضوع معين بعد الوصول إلى معالم محددة وملموسة للمنظور الإسلامي في هذا الموضوع يمكن أن تكون معياراً لتحديد الصالح من الفاسد من هذه النظريات.

أولاً : المسلمات الأساسية

يستمد المنظور الإسلامي للانحراف من نظرة الإسلام الشاملة إلى الوجود وخطه وجوده في هذا الكون وعلاقته بخالقه وعلاقته بغيره من الناس والتي تقوم على مسلمات أساسية نوجزها فيما يلي :

١ - الإيمان بالغيب :

الإيمان يعني التصديق والغيب هو ما غاب عن الإنسان أي أن حدود ما يصدق به الإنسان لا تقتصر على مجرد ما هو موجود في محيطه المادي وما يستطيع إدراكه بالحواس أو حتى مع الاستعانة بالمساعدات من الأجهزة والأدوات المادية ولكنها تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك ، وقد أتى الأمر بالإيمان بالغيب في بداية السورة الأولى من القرآن في الفاتحة :

الْم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) (سورة البقرة ، الآيات ١ - ٣) .

ويتضح الغيب المطلوب الإيمان به من الآية الكريمة :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُوْلِهِ ؕ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٢٦) (سورة النساء ، الآية ١٢٦) .

كما بينه الحديث الشريف حين أتى جبريل ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : فأخبرني عن الإيمان ، فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بالقدر خيره وشره قال : صدقت ... (١) .

فالإيمان بالله على أنه إله كل شيء ، وخالق كل شيء ، وعالم بكل شيء ، وليس كمثل شيء ، وقد فطر الله الناس على هذا الإيمان :

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (سورة الأعراف ، الآية ١٧٢) .

ويقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي :

{ إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا } (٢) .

ويقول الرسول في الحديث الشريف :

« ما من مولود إلا ويولد على الفطرة » (٣) .

والإيمان بالملائكة على أنهم خلق الله بوجودهم ووكل اليهم مهام متنوعة وأنهم :

.. لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) (سورة التحريم ، الآية ٦) .

والإيمان بالكتب التي أنزل الله على رسله وإن ماتت ممتتة هو الحق من الله سبحانه لبلاغ البشر بما يريد منهم ، وأن القرآن الكريم هو خاتم هذه الكتب والمهيمن عليها .

والإيمان بالرسول الذين أرسلهم الله سبحانه إلى البشر لبلاغ منهجه وإن ما جاءوا به هو بلاغ من الله وإن محمد رسول الله ﷺ خاتم الرسل ، ولارسال ولا رسالات بعده وإن كل ما جاء به هو الحق من ربه .

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) (سورة النجم ، الآيات ٣ - ٤)

وإنه رسول إلى البشر كافة وأننا مأمورون بأن نفعل ما أمرنا به وننتهي عما نهانا عنه وإن هذا هو طريق الحق الذي يأمرنا الله به : (٤)

.. فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) (سورة طه ، الآيات ١٢٣ - ١٢٤) .

والإيمان باليوم الآخر كما أخبر الله عنه وإن كل إنسان محاسب على ما يعمل في الدنيا وأن جميع أعماله مسجلة عليه :

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) (سورة المؤمنون ، الآية ١١٥) .

وأن المصير إلى خلود دائم إما في الجنة وإما في النار ، فمن آمن وعمل صالحا فمصيره إلى الجنة وأما من كذب وعصى ، فمصيره إلى النار .

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنِيرُهُ لِلْيسْرِ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنِيرُهُ لِلْعُسْرِ (١٠) (سورة الليل ، الآيات ٥ - ١٠) .

والإيمان بالقدر خيره ، وشره وأن كل شئ يسير حسب مشيئة الله سبحانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأن الله على كل شئ قدير ، وأن مشيئة الله هي حرية عباده في الاختيار وأنهم محاسبون على اختيارهم (٥) .

ويقتضى التسليم بما ودر في هذه المسئلة ألا تقتصر في تفسيرنا للسلوك الإنسان على المتغيرات المتصلة بعالم الشهادة وأن ندخل تأثير المتغيرات الخاصة بعالم الغيب ، فمن محاولات تفسيرنا للسلوك الانساني ، وأن ننظر إلى السواء على أنه طاعة الله ، وإلى الانحراف على أنه معصية الله .

٢ - القرآن والسنة النبوية مصدران أساسيان لمعلوماتنا اليقينية عن الإنسان والكون :

ترتبط هذه المسئلة بسابقتها وتترتب عليها . فالإيمان بالله وكتبه ورسله يقتضى التسليم بأن القرآن كلام الله أنزله على رسوله وتكفل بحفظه
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) (سورة الحجر ، الآية ٩) .

وانه جاء بالحق من عند الله لهداية الانسان وتعليمه وتنظيم علاقته بخالقه وبغيره من المخلوقات أورد فيه الله سبحانه ما شاء أن يعلمه إياه من أمور الغيب التي لاتصلح الوسائل والأبوات المادية للوصول إليها ، كما أورد فيه وصفا للعديد من الحقائق الكونية والاجتماعية والنفسية ، وإن كان ما جاء فيه حق وصدق .

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) (سورة النساء ، الآية ٨٧) .
(١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) (سورة النحل ، آية ١٠٢) .

وكذلك الأمر بالنسبة للسنة النبوية الصحيحة التي ثبتت نسبتها إلى رسول الله ، فالسنة النبوية توضيح للقرآن وبيان للمراد منه تفصل مجمله وتقيد مطلقة وتخصص عمومه (٦) .

وَمَا ءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (سورة الحشر ، الآية ٧) .
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (سورة النور ، الآية ٥٢) .
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) (سورة النجم الآيات ٣ - ٤) .

فكل ما جاء عن رسول الله ثبتت نسبتها إليه من أقوال أو سلوك ، إنما هي من الله سبحانه وتعالى ، وهي حق وصدق يجب التصديق به .

٣ - استحالة التعارض بين الوحي وبين الحقائق الكونية :

لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) (سورة الأنبياء ، الآية ٢٢) .

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) (سورة الملك ، الآية ١٤) .

الله سبحانه وحده دون معين ولا شريك هو خلق هذا الكون فلو كان هناك أكثر من خالق لوضع كل منهم نظاما وتوجيهات وقوانين مختلفة ولحدث تعارض وتناقض بينهما ولما كان الكون على ما نعهده فيه من النظام والاتساق والاستمرارية ، فهو الخالق الذى وضع القوانين والعلاقات والسنن التى تسير هذا الكون بمقتضاها فى كل كبيرة وصغيرة ، وفى كل جانب من جوانبه المادية وغير المادية ، فعلمه إذن علم مطلق وصحيح وكامل (٧) .

وهو سبحانه منزل الوحي على رسوله ، فالخالق العليم بما خلق هو الذى أوحى إلى خلقه من البشر بما يريدهم أن يعرفوه ، وهو الذى تكفل بحفظ ما يوحى إليهم به ، فهل يمكن أن يتعارض أو يختلف ما جاء به الوحي من بيان لبعض سنن الله سبحانه وتعالى فى خلقه عما تكون علي هذه السنن فى الواقع ؟!!! ، إننا نسلم ونؤمن بأن ما نزل به الوحي لا يمكن أن يتعارض مع الحقائق الكونية .

إننا نؤمن باستحالة التعارض بين ما نزل به الوحي فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التى ثبتت نسبتها إلى رسول الله ﷺ وبين الحقائق الكونية فى واقعنا المادى والاجتماعى . أما ما يحدث فى بعض الأحيان من شبهة فى هذا التعارض ، فمرجعه إلى عاملين اثنين هما :

١ - التسرع فى الربط بين ما نزل به الوحي وبين نظريات لا تطابق الواقع ولا تعبر عن سنن الله سبحانه فى خلقه .

٢ - الخطأ فى فهم ما نزل به الوحي ، أو التعسف فى تحميله ما لا يحتمل من تفسير وتأويل ، ذلك أنه يمكن فهم بعض الآيات القرآنية أو بعض الأحاديث النبوية الشريفة على أكثر من وجه ، وقد يكون فهمنا فى بعض هذه الأوجه غير صحيح ، ولاتؤخذ القضية على وجهها الصحيح ، حيث أن التناقض ليس بين ماتم إلى اكتشافه من سنن الله فى خلقه وبين ما نزل به الوحي ، ولكنه تناقض بين الحقيقة الكونية ، وأحد الأوجه التى فهم بها الوحي ، كما أن تبني بعض المجتهدين لبعض النظريات وحماسهم الشديد لها قد يدفعهم إلى لى

أعناق الآيات والآحاديث الشريفة وتحميلها ما لا تحتل حتى تتفق مع ماتبنوه من نظريات ، كما قد يتحيزون لتفسير أو تأويل دون غيره علي الرغم من كونه مرجوحا بغيره .

٤ - الوجود الدنيوي أحد أشكال الوجود الإنساني سبقه ويليه أشكال آخر للوجود :

لا يقتصر الوجود الإنساني على مرحلة الحياة الدنيوية كما أن الصورة التي يوجد عليها الوجود الدنيوي ليست هي الصورة الوحيدة للوجود الإنساني ، فالوجود البشري الدنيوي الذي نحياه ونشعر به إنما هو صفحة محصورة بين صور أخرى من الوجود الغيبي قبل الميلاد وبعد الممات (٨) .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٨)
(سورة البقرة ، الآية ٢٨) .

وتثبت هذه الآية للإنسان موتين وحياتين ، معلوم أن الموت صورة من صور الوجود الإنساني تكون الروح فيه منفصلة عن الجسد ثم يتحول هذا الوجود إلى الوجود البشري الحالي ثم تخرج الروح من الجسد عند موت الإنسان عقب انتهاء أجله في هذه لحياة الدنيا ثم تعود الروح إلى الجسد مرة أخرى ليبعث في حياة أخرى يوم القيامة (٩) .

وقد أخبر الله سبحانه عما حدث للإنسان قبل حياته الدنيا من قبول الإنسان لحمل الأمانة التي عرضها الله سبحانه عليه وإشهادة بالربوبية لله ، وبما يريده الله سبحانه وتعالى من الإنسان في حياته من إيمان به والتزام بمنهجه وما يحدث له بعد موته سيؤاله في القبر وما يحدث له فيه من النعيم أو العذاب ، وما يحدث يوم القيامة من بعث وجزاء وخلود إما في الجنة أو في النار .

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيِّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) (سورة الأحزاب ، الآية ٧٢) .

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) سورة الاعراف ، الآية (١٧٢) .

اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) (سورة غافر ، الآية ١٧) .

كما أن حقيقة الإنسان في مرحلة الوجود الدنيوي لا تقتصر على مجرد الجسد المادى الذى يمكن إدراكه بالحواس ، وإنما هناك مكون آخر يدخل فى عالم الغيب هو الروح وهى سر تكريم الانسان على كثير من خلق الله .

الذى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩) (سورة السجدة ، الآيات ٧ - ٩) .

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) (سورة الاسراء . الآية ٧٠) .

ويقتضى التسليم بذلك تصحيح النظرة إلى الحياة الدنيا فهى ليست كل شئ ، وطموح الإنسان السوى لا يجب أن يقتصر على مجرد ما يستطيع تحقيقه فى الحياة الدنيا ، بل يجب ان يذهب إلى ما هو أبعد ، إلى تحقيق السعادة الدائمة والأبدية فى الحياة الآخرة بطاعة الله فيما أمر به ، والانتهاى عما نهى عنه .

٥ - الانسان هو الاختيار محاسب على اختياره الإرادى :

أثبت القرآن الكريم اثباتا بينا لالبس فيه حرية الإنسان فى الاختيار ومسئوليته فى تحمل نتائج هذا الاختيار .

إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلََّا وَسْعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) . (سورة الانسان ، الآيات ٣ - ٥) .

وقد كفل الله سبحانه للإنسان العدل الكامل والمطلق ، فقد وهبه أداة الاختيار وهى العقل وبين له عن طريق الوحي ما يفعل وما لا يفعل ، وأوجد له من البدائل ما يمكنه من اختيار ما يريد ، وبين له النتائج المترتبة على اختيار كل بديل ، بل واسقط عنه الحساب والعقوبة إذا لم تتوفر له جميع مقومات الاختيار الحر ، أسقطها عن الصغير الذى لم يكتمل نضجه العقلى ببلوغه سن الحلم ، وعن المكره الذى لا اختيار له ، وعن مريض العقل المجنون الذى لا يدري ماذا يفعل .

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) (سورة النازعات ، الآيات ٣٥ - ٤١) .

وتكون النتيجة الحتمية للاختيار بعد ذلك أن البعض يختار الحق ويختار البعض الآخر الباطل ويسير البعض على الصراط المستقيم ويخرج البعض عنه . وعلاقة الدنيا بالآخرة هي علاقة الصلة بالمعلول والمقدمة بالنتيجة ، والشجرة بالثمرة فعلى حسب الاختيار تكون النتيجة (١٠) .

ويقتضى التسليم بذلك رفض مبدأ الجبرية أو الحتمية في السلوك الإنساني ، فالإنسان ليس أسيرا لقهر الظاهرة الاجتماعية ، كما أنه ليس أسيرا لخبرات لاشعوره أو لخبرات طفولته المبكرة ، وإنما هو مختار محاسب متى توفرت مقومات هذا الاختيار .

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (سورة المدثر ، الآية ٢٨) .

ثانيا - مفهوم الانحراف

أصل كلمة الانحراف في اللغة العربية (حَرَفَ) ويقال حرف الشيء يحرف حرفا وتحرف وانحرف واحرورف ، وحرف كل شيء طرفه وشفيره ومنه حرف الجبل أي أعلاه المحذب ويقال فلان على حرف من أمره أي على ناحية منه ، وتحريف الكلم عن مواضعه تغييره ، وفي حديث أبي هريرة « أمنت بمحرّف القلوب » هو المزيل أي مميلها ومزيغها وهو الله تعالى (١١) . فالانحراف إذن هو ترك الحق والوسيلة والاستقامة ، ويقتضى الانحراف منحرفا عنه ومنحرف .

أما المنحرف عنه فهو الطريق المستقيم ، والصراط في لغة العرب هو الطريق ، والمستقيم هو الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، وهو دين الإسلام وسمى الدين طريقا لأنه يؤدي إلى الجنة فهو طريق إليها (١٢) .

والصراط المستقيم لا يكون إلا واحدا من خرج أو انحرف عنه وقع في طريق من طرق الضلال ، وهو طريق الأمة الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط ، ويتضمن أمورا باطنة في قلب الإنسان وضميره من اعتقادات ، وإرادات ، وتوجهات وأمورا ظاهرة من أقوال ، وأفعال ، سواء كانت عبادات مثل الصلاة ، والزكاة ، الصوم والحج وغيرها ، أو عادات في الطعام والشراب والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة وغيرها ، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينها ارتباط ، فما يوقن في القلب من مشاعر وأحوال واعتقادات يوجب أمورا ظاهرة من الأقوال والأفعال ، وما يحدث من أقوال وأفعال يوجب في القلب شهورا وأحوالا (١٣) .

وهذا الطريق واحد لا ثاني له وهو ما بعث الله به رسله، وانزل به كتبه ، وفي ذلك يروى ابن مسعود عن رسوله الله « خط لنا رسول الله خطا ، وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه ويساره ، وقال : هذه سبل ، على كل سبيل شيطان يدعو إليه

ثم قرا قوله تعالى . ﴿ ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (١٤) . وهو منهج الله سبحانه وتعالى للبشر الذي
اوجب عليهم الالتزام به ، ووضع لهم في فاتحة الكتاب دعاء بالهداية إليه يدعون به في
كل ركعة من ركعات صلواتهم .

والصراط في الآخرة هو جسر مضروب على جهنم يؤدي إلى الجنة يجوز
الناس ، وعلى جنبتيه ، كلاليب تختطف اناسا هي أعرف بهم من الرجل بولده فتهدى
بهم في النار ، ويكون جواز الناس على الصراط بقدر أعمالهم فمنهم من يجوز كالبرق
. ومنهم من يجوز كالريح ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يحبو على وجهه ويديه
ورجليه (١٥) ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : « ... ويضرب جسر جهنم ، قال رسول الله
ﷺ ، فاكون اول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم ، اللهم سلم ، وبه كلاليب
مثل شوك السعدان ، أما رايتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فإنها
مثل شوك السعدان ، غير أنها لا يعلم عظمها الا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم : منهم
الموبق بعلمه ، ومنهم المخردل ثم ينجو .. » (١٦) . ومن هدى إلى الصراط المستقيم في
الدنيا ، هدى إلى الصراط المستقيم في الآخرة.

فالمنحرف اذن هو الخارج عن منهج الله سبحانه وتعالى وهو دينه الذي ارتضاه
للناس بما تضمنه من اوامر ونواهي تنظم للناس امور حياتهم .

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ (٧٤) (سورة المؤمنون ، الآية ٧٤).

والنكوب في اللغة العربية تعنى العدول عن الشيء أو الميل عنه إلى غيره ، ومنه
كبت الريح اذا لم تستقم على مجرى (١٧) .

وينقسم الناس بحسب معرفتهم لهذا المنهج والعمل به إلى :

١ - عالم بالمنهج وعامل به وهم الذين عرفوا منهج الله وأمنوا بأنه الحق واتبعوا
ما جاء به ، فاتمروا بما أمر به ، وانتهوا عما نهى عنه ، وهم المشار إليهم في
سورة الفاتحة على أنهم أصحاب الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم .

اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ (٧) (سورة الفاتحة ، الآيات ٦ - ٧) .

٢ - عالم بالمنهج تارك له وهو الذي يعرف المنهج ، ويعلم أنه الحق من عند الله
ولا يتبعه إتباعا لهواه ولمصالحه الدنيوية .

أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) (سورة الجاثية ، الآية ٢٣) .
وأولئك هم المغضوب عليهم المشار إليهم في فاتحة الكتاب .

٣ - جاهل بالمنهج ضال عنه غير عالم به بالطبع .
يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) (سورة الحج ، الآية ١٢) .

وأولئك هم الضالون الذين خرجوا عن الصراط المستقيم وهم يحسبون أنهم أهدى من غيرهم وأن ما يسيرون عليه أفضل مما يسير عليه غيرهم .
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أولئك الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَاءَهُ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا (١٠٥) (سورة الكهف ، الآيات ١٠٣ - ١٠٥) .

وبناء على ما تقدم ، يمكننا أن نعرف الانحراف من المنظور الإسلامي على أنه :
«معصية الله سبحانه بفعل مانهى عنه أو ترك ما أمر به » .

ثالثا - أنواع الانحراف

ويمكن تصنيف الانحراف من المنظور الاسلامى ، طبقا لمعايير متعددة على النحو التالى :

- ١ - تصنيف الانحراف طبقا لموضوعه :
 - انحراف في علاقة الإنسان بالله .
 - انحراف في علاقة الإنسان بالإنسان .
 - انحراف في علاقة الإنسان بساتر خلق الله .
- ٢ - تصنيف الانحراف طبقا لامكانية مشاهدته واثباته :
 - انحرافات ظاهرة .
 - انحرافات باطنة .
- ٣ - تصنيف الانحراف طبقا لتوقيت العقوبة عليه :
 - انحرافات عقوبتها في الدنيا .
 - انحرافات عقوبتها في الآخرة .
- ٤ - تصنيف الانحراف طبقا لطبيعة الفعل المنحرف :
 - انحراف بالاتيان .
 - انحراف بالترك .

٥ - تصنيف الانحراف طبقا لاتجاهه :

- انحراف بالتفريط .

- انحراف بالافراط .

٦ - تصنيف الانحراف طبقا لجسامة المعصية :

- الكبائر .

- السيئات (اللمم) .

١ - تصنيف الانحراف طبقا لموضوعه :

أ - انحراف في علاقة الانسان بالله .

وليس للعبد تجاه سيده إلا الطاعة في كل ما يأمره به وينهاه عنه من اعتقادات وأقوال وأفعال ويشوب علاقة الإنسان بالله نوعان من الانحراف هما :

- انحراف في العقيدة :

السواء في العقيدة هو التوحيد وذلك بان يعلم الإنسان ويعتقد ويشهد بأن الله وحده لا شريك له ، ليس كمثل شئ ، لا إله غيره ولا يعجزه شئ ، لا يغنى ولا يبيد وأنه هو الخالق والرازق والعالم لا يخفى عليه شئ والا يعبد إلا إياه مخلصا له الدين بلا ند ولا شريك ، ولا ينسب إليه إلا ما أخبر به سبحانه عن نفسه (١٨) .

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) (سورة آل عمران ، الآية ١٨) .

وانحراف العقيدة هو ماخرج عن التوحيد ومنها الكفر وهو ينكر وجود الله سبحانه مثل ما تنبأه بعض الفلاسفة المادية الملحدة التي ترى أن المادة هي أصل الكون دون موجد أو خالق ، والشرك وهو اعتقاد الإنسان بوجود شريك لله سبحانه وتعالى في خلقه .

- انحراف في العبادة :

لا يعبد الله سبحانه إلا بما شرع ، فهو سبحانه الذي يحدد كيف يعبد وبالتالي فالانحراف في العبادات هو قصد غير الله سبحانه بالعبادة مثل عبده الاصنام أو النجوم أو النار أو غير ذلك من المخلوقات ، أو عبادته سبحانه بغير ما شرع ، وذلك بابتداء أشياء في العبادات لم يأمر الله سبحانه بها أو التبديل فيها أو ترك عبادات أمر الله سبحانه بها فقد حدد الله سبحانه وتعالى ما يجب ان يعبد به ، ووضع لنا رسوله القواعد التطبيقية لكل من هذه العبادات التي تيسر لنا هذا الاتباع ، وقد حدد

الرسول هذه العبادات في الحديث الصحيح « بنى الإسلام على خمس : شهادة ان لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » (١٩)، وقد نهى الرسول عن البدع فكل بدعة ضلالة والبدعة هي ان يحدث الإنسان في الدين ما ليس فيه .

ب - انحراف في علاقة الإنسان بالإنسان :

والانحراف في علاقة الإنسان بالإنسان هو إتيان الإنسان لما حرمه الله علي في حق أخيه الإنسان ، فكل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه ، كما أن سبابه واغتيابه وهجره ، والسخرية منه مما حرمه الله ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ، ويده ، ولايسلم من لا يأمن جاره بوائقه أى أذاه ، ولذلك سن الله سبحانه الحدود لعقاب من يعتدى على حرمت الناس ، فجعل القتل جزاء من يقتل متعمدا ، وجعل الجروح قصاص ، فالعين بالعين ، والسن بالسن ، وجعل قطع اليد عقوبة السارق والرجم عقوبة الزانى المحصن ، والجلد والتقريب عقوبة الزانى غير المحصن ، والقتل والصلب جزاء الحاربة ، والجلد عقوبة رمى المحصنات بالسوء ، فهذه كلها خروج علي حدود الله وانحراف عنها .

ج - انحراف في علاقة الإنسان بسائر خلق الله :

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) (سورة لقمان . الآية ٢٠).

فقد سخر الله للإنسان أجناسا عديدة من الخلق من حيوان ونبات وجماد وجعلها في خدمته تمده بما يحتاج اليه من ماكل ومشرب وملبس ومأوى وأمره بأن يستخدمها في طاعة الله وأن يشكر الله علي نعمه وأن يرعى الله فيها .

والانحراف في علاقة الإنسان بخلق الله من الحيوانات يتضمن التقصير في رعايتهما وإطعامها وسقيها ، وتحميلها مالا تطيق ، وفي الاثر ان امرأة دخلت النار بسبب قطة حبستها ، فلا هي اطعمتها ولا هي تركتها تاكل من خشاش الارض ، اما النباتات فالانحراف يتضمن إتلافها بون حاجة والسفه والتبذير في استخدامها ، ومنعها عن يحتاج إليها ، فإذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسلة فليغرسها .

والناس شركاء في ثلاث : الماء ، الكلا ، والنار ، وأما الجمادات فالانحراف في استخدامها يتضمن السفه والتبذير ومنعها عن يحتاج إليها واستخدامها في معصية الله .

٢ - تصنيف الانحراف طبقا لمدى ظهوره :

أ - الانحرافات الظاهرة :

وهى أنماط السلوك الظاهر التى يمكن للآخرين أن يدركوها بحواسهم وأن يكونوا شهودا عليها ويمكن إثباتها وإقامة الدليل عليها ، وتنقسم بدورها إلى قسمين هما :

- انحرافات اللسان :

يقول الله سبحانه :

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) (سورة ق ، الآية ١٨) .

ويقول رسول الله ﷺ : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم » (٢٠) .

فكل كلام الإنسان محسوب عليه ومحاسب عليه أيضا والسواء فى هذا ألا يتكلم الإنسان إلا بخير وأن يصمت عما سوى ذلك من اللغو وهو الكلام عن سفاسف الأمور ، وفى ذلك يقول رسول الله : « من كان يؤمن بالله فليقل خيرا أو ليصمت ... » (٢١) .

وانحرافات اللسان عظيمة الخطر فقد قال رسول الله : « إن العبد ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها ، يزل بها فى النار أبدع مما بين المشرق » (٢٢) ، ويؤدى عدم حفظ الإنسان لسانه إلى كبه على وجهه فى النار ، وانحرافات اللسان عديدة ونذكر منها :

- الغيبة :

وهى أن يذكر الانسان إنسانا آخر بما يكره سواء بنقص فى بدنه أو خلقه أو فعله أو دينه أو دنياه أو حتى فى ثوابه وداره وهى ثلاث درجات أخفها الغيبة وهى ذكر أخيك بما تعرفه فيه بنفسك من عيوب ، ثم الإفك وهو ذكر مابلغك عنه من عيوب لم تعرفها عنه بنفسك ولكنك تنقلها عن غيرك ، وأشدّها البهتان وهو ذكر عيوب ونقائص تنسبها إلى وأنت تعلم أنها ليست فيه ، وقد تكون الغيبة بالقول الصريح أو بالإشارة .

ويقول الله سبحانه فى الغيبة :

وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) (سورة الحجرات ، الآية ١٢) .

ويقول رسول الله ﷺ : « ولا يغتاب بعضكم بعضا ، وكونوا عباد الله إخوانا » (٢٣) .

– النَمِيمَة :

وهي كشف الإنسان لما سمعه من شخص عن شخص آخر مما يكره لهذا الآخر سواء كره هذا الشخص القائل أو المقول في حقه مثل أن يقول الشخص الآخر فلان قال فيك كذا وكذا وفي ذلك يقول الله سبحانه :

وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مِّثْنٍ (١٠) هَمَّا زِمَّاءُ بَنِمِيمٍ (١١) (سورة القلم، الآيات ١٠، ١١) .
ويقول رسول الله :

« ... وإن ابغضكم إلى الله المشاعون بالنميمة ، المفرقون بين الإخوان الملتصقون للبرءاء العثرات » (٢٤) .

– الكذب في القول والوعد باليمين :

والكذب في القول هو اختلاق أشياء لم تحدث وروايتها على أنها قد حدثت أو رواية ما حدث على غير الصورة التي حدث بها . والسواء في هذا ألا يقول الإنسان إلا الحق ، وفي ذلك يقول الله سبحانه :

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ (سورة النحل ، الآية ١٠٥) .

ويقول رسول الله : « إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار » (٢٥)

ويقول رسول الله : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان » (٢٦) .

والسواء في هذا إلا يعد الانسان إلا بما تطمئن إليه نفسه ، وأن يربط وفاءه بالوعد بمشيئته الله ، وأن يبذل كل مافى وسعه للوفاء بالوعد وأن يشرح عذره لمن وعد إذا حال دون الوفاء بوعده حائل .

واليمين الكاذبة ويطلق عليها وأحياناً اسم اليمين الغموس ، لأنها تغمس صاحبها في النار ، وهو أن يقسم الإنسان على أمر ، وهو يعلم أنه على غير ما أقسم وفي ذلك قول رسول الله انه قال « إن التجار هم الفجار » ، فقليل يارسول الله اليس قد أحل الله البيع ؟ قال : « نعم ولكنهم يغلفون ، فيأثمون ، ويحدثون ، فيكذبون » (٢٧) .

– اللعن والسب والفحش في القول :

واللعن هو الطرد من رحمة الله وذلك بان ينسب الانسان اللعن الى آخر كان يقول لعن الله فلانا ، أو فلان هذا ملعون وقد نهى رسول الله عن لعن أى شئ حتى الحيوانات والجمادات « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ... » (٢٨) .

والسب هو نسبة الصفات القبيحة من شخص إلى شخص آخر ، وقد نهى رسول الله عن السب بقول : « المتسابان شيطانان يتعاونان ويتعارجان » (٢٩) .

والفحش فى القول هو التعبير عن الأمور المستقبحة والتي يستحى منها بالفاظ وعبارات صريحة والسواء فى هذا أن يعبر عنها بالكناية مثل التعبير عن التبول والتبرز بقضاء الحاجة ، وفي النهى عن ذلك يقول رسول الله « إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش » (٣٠) .

كما توجد أنواع أخرى من انحرافات اللسان لايسمح المجال بعرضها تفصيلا مثل المراء والجدال وذلك بالاعتراض على كلام الغير بإظهار ما فيه من عيوب تزكية للنفس وتحقيرا للغير ، والتعمر فى الكلام وتكلف الفصاحة ، وخوض الإنسان فيما لايعنيه (٣١) .
- انحرافات الجوارح :

جوارح الإنسان وحواسه جميعها شأنها شأن سائر النعم التى أنعم الله بها علي الإنسان فى الدنيا مثل المال والجاه والعلم وغيرها يمكن أن تستخدم فى طاعة الله ويمكن أن تستخدم فى معصيته والسواء فى استخدام الجوارح أن تستخدم فيما هو مباح ، فالعين لا تنظر إلا إلى ما أحل لها النظر إلي ، واليد لا تمتد إلا إلى ما أحل الله لها من مال ولا تمتد إلى الآخرين إلا بالخير والقدم لا تعسى إلا فى الخير والأذن لا تسمع إلا ما هو مباح فلا تتجسس ولا تلتصص .

وانحرافات الجوارح عديدة ، وتشتمل على كل الانحرافات التى تجرمها القوانين الوضعية على اختلافها مثل القتل والزنى والسرقة وإتلاف ممتلكات الغير ... الخ ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الانحرافات التى حرمها الإسلام مثل شرب الخمر والربا والنظر إلي ما لم يحل للإنسان أن ينظر إليه .

ب - الانحرافات الباطنة :

وهى أنواع من الانحراف التى لايمكن مشاهدتها بصورة مباشرة مثل الانحرافات الظاهرة ، ولايمكن إثباتها إلا بإقرار ممن يعانى منها ، فهو الذى يستطيع ان يعلم عن وجودها وأن يصفها ، وغالبا ماتكون مقدمة للانحرافات الظاهرة ، وهى عبارة عن خواطر شر تجمع بين أفكار ومشاعر منحرفة تلح على النفس وتعاودها بين الحين والآخر .

ومن أهمها مايلى :

- الكبر :

وهو ظن الإنسان فى نفسه انه خير من الآخرين فيعظم نفسه ويحقر غيره ، والكبر أنواع متعددة ، فهناك من يتكبر بعلمه ، وهناك من يتكبر بماله ، وهناك من يتكبر بسلطانه ونفوذه ... إلخ ، وإذا استقر الكبر فى النفس وتخلقت به ظهرت ثماره على سلوك صاحبه فى التكبر، حيث يتحول من مجرد ظن فى نفس صاحبه إلى سلوك

يمارسه تجاه الآخرين ، فيضع نفسه فى مكان أعلي منهم ويعمد إلى تحقير أرائهم والترفع عن مجالستهم وازدراؤهم ، وإقصائهم عن نفسه والأنفة من مساواتهم به (٢٢) ، وقد كان الكبر سببا فى إقصاء إبليس عن رحمة الله لما ظنه من تفوق عنصره وهو النار على عنصر آدم وهو الطين فرفض السجود له لما أمره الله بذلك .

وقد ورد ذم الكبر والتكبر والمتكبرين فقد قال الله سبحانه :

... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) (سورة غافر ، الآية ٣٥) .

.. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٣) (سورة النحل ، الآية ٢٣) .

ويقول رسول الله : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر .. » (٢٣).

— الحسد :

هو كراهية الإنسان لنعم الله التى أنعم الله بها على الآخرين وتمنى زوالها عنهم دون أن يضره وجود هذه النعم لديهم وفى بيان هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ : « إن لنعم الله أعداء » فقليل ومن هم قال : « الذين يحسدون الناس على ما أتاهم من فضله » (٢٤) .

فالحسد سخط على قضاء الله سبحانه فى إنعامه على المحسود ، وإذا انساق الإنسان وراء الحسد قاده إلى البغى وذلك بان يخرج من حدود تمنى زوال النعمة إلى العمل على ازالتها بالفعل فقد يدفع الحسد إلى إيذاء المحسود بمختلف الوسائل وذمه وبيان مساوئه .

وفى ذلك يقول رسول الله : « ... وإذا حسدت فلا تبغ » (٢٥).

وقد نهى الله سبحانه عن الحسد وأمر بالتعوذ من شر الحاسد كما نهى رسوله ﷺ عن الحسد فقال : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (٢٦) .

والسواء فى ذلك ألا يسخط الإنسان على قضاء الله فهو المنعم المتفضل الذى يؤتى من يشاء من فضله وإن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه .

— سوء الظن :

هو اتهام لادليل عليه ينسب السوء إلى من لا ينسب السوء إليهم عادة فهو يرميهم بما ليس فيهم من صفات سيئة أو ينسب إليهم ما لا يرتكبوه من أفعال ذميمة ، ومن ذلك سوء الظن بالله سبحانه وعدم الرضى بقضائه وعدم القناعة بما قسم الله له من مال وولد ، وسوء الظن بالناس بنسبة العيوب والنقائص إليهم بينه وبين نفسه والشك فى نواياهم وتوقع الشر منهم ، وفى النهى عن سوء الظن يقول الله سبحانه :

وَلَقَدْ ظَنَّمْ ظَنَّ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُرًّا (١٢) (سورة الفتح ، الآية ١٢)

والسواء في ذلك ان يُحسن الإنسان الظن بالله سبحانه ويؤمن أنه لا يقضى للمؤمن إلا بالخير وان ما يصيبه من خير فمن الله وما يصيبه من شر فمن نفسه ، وأن يحسن الظن بإخوانه المسلمين فلا يستبجح ظن السوء إلا بالمشاهدة او البينة العادلة ، عليه ان يفسر ما يراه او تقوم عليه البينة بأحسن تفسير ممكن وأن يلتمس لهم العذر إذا لم يكن من الممكن أن يحصله على وجه حسن (٣٧).

– الرياء :

هو طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الإنسان صفات الخير من نفسه على غير الحقيقة ، والرياء نوع من الشرك بالله فالله سبحانه هو مقصود المؤمن في عبادته فإذا عظم الناس في قلب الإنسان ورغب في الحصول على منزلة رفيعة في نفوسهم أشركهم مع ربه في قصده من العبادة فحرص على الصلاة والصيام والصدقة أمامهم ولو كان بمفرده ما فعل .

والرياء أنواع ودرجات متعددة فهناك رياء بأصل الدين بأن يظهر الإنسان الإيمان وهو يبطن الكفر ، والرياء بالعبادات ، والرياء بالطاعات ، وقد قال سبحانه في المرائين: يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) (سورة النساء ، الآية ١٤٢) .

وقد قال رسول الله ﷺ في ذم الرياء : « إن اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا ، وأن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة » (٣٨) .

والسواء في هذا أن يكون الله هو مقصود المؤمن بأعماله الصالحة فإذا تصدع له تعلم شماله ما أعطت يمينه ولم يفاخر بما فعل ولم يذكره .

وتوجد أنواع أخرى من الانحرافات الباطنة التي لا يتسع المجال لتناولها بالتفصيل ونتكفى بإشارة سريعة إليها منها الانسياق في اتباع الهوى ، والمبالغة في الغضب ، والحقد ، والعجب ، واليأس والطيرة والجزع والطمع والبخل (٣٩) .

٣ – تصنيف الانحراف طبقا لتوقيت العقوبة عليه :

يمكن تصنيف الانحراف طبقا لتوقيت العقوبة عليه إلى قسمين هما :

أ – انحرافات لها عقوبة دنيوية :

وتنقسم الانحرافات ذات العقوبة الدنيوية إلى : (٤٠)

– انحرافات (جرائم) الحدود :

هى الانحرافات التى تمثل اعتداء على حدود الله ومحارمه ، كما وردت فى القرآن والسنة ، وقد حدد الإسلام هذه الانحرافات على سبيل الحصر ، كما حدد عقوبة كل منها لاتزيد ولاتنقص ، وهى الزنا ، القذف ، شرب الخمر ، السرقة ، الحراية ، الردة ، البغى ، وقد ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تحديد دقيق لكل منها والعقوبة التى توقع على مرتكبها وكيفيه تطبيقها ، والحد حق لله فلا تقبل الإسقاط أو العفو من الفرد أو الجماعة . وقد أنب رسول الله ﷺ أحد الصحابة عندما أراد أن يشفع فى امرأة من بنى مخزوم سرقت ، فأمر بإقامة الحد عليها قائلاً : « اتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : ايها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع يدها » (٤١) .

– انحرافات القصاص والدية :

وهى الانحرافات التى يعاقب المنحرف على ارتكابها بالاقتصاص منه أو دفع الدية ، وكل من القصاص والدية عقوبة محدودة ومعروفة وليس لها حد أدنى أو أقصى ، وهى من حقوق الأفراد بمعنى جواز العفو عنها ، وهى القتل العمد وشبه العمد والقتل الخطأ والاعتداء الذى لا يؤدى إلى الموت كالجرح والضرب . وفى ذلك يقول الله سبحانه :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْحَرْبِ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْ فَاتَّبَاعِ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ .. (سورة البقرة ، الآية ١٧٨) .

– انحرافات التعزير :

التعزير هو التأديب وقد نصت الشريعة الإسلامية على بعض هذه الانحرافات ومنها الربا وخيانة الأمانة والسب والرشوة ، ولم تحدد عقوبة معينة لكل منها كما هو الأمر فى النوعين السابقين ولكن يوجد حد أدنى وحد أقصى لجرائم التعزير ويترك الحكم بالعقوبة التى تقتضيها مصلحة المجتمع وظروف ارتكاب الانحراف ، ومن أمثلتها فى السنة النبوية السرقة التى لاتوجب الحد ، ومماثلة المدين الموسر ، والشطط فى تأديب الزوجة والأبناء (٤٢) .

ب – انحرافات عقوباتها فى الآخرة :

توجد فى الإسلام انحرافات متعددة لم تحد لها عقوبات دنيوية ، رغم النص على تحريمها وقد توعد الله من يرتكبها بعقوبات أخروية مثل الكفر والنفاق والمشى بين الناس بالنميمة ، وسوء الظن ، والغيبة ، وأكل الميتة ولحم الخنزير ، والحسد .

٤ - تصنيف الانحراف طبقا لطبيعة الفعل المنحرف :

يصنف الفقهاء الانحراف طبقا لطبيعة الفعل المنحرف إلى : (٤٣)

أ - انحراف بإتيان :

وذلك بإتيان فعل منهي عنه مثل السرقة والزنا والقتل فالمحرمات محدودة حصرا في القرآن والسنة ولاتحريم إلا بنص وفي ذلك يقول الله سبحانه :

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ .. (سورة الأنعام ، الآية ١٥١) .

ب - انحراف بالترك :

وذلك بالامتناع عن أفعال أوجبها الله سبحانه وأمر بإتيانها وهذه تنقسم بدورها إلى قسمين : أولهما أن الامتناع في حد ذاته معصية مثل منع الزكاة وترك الصلاة وعدم بر الوالدين فكل من هذه الأفعال هو انحراف عن الصراط المستقيم ومعصية لله سبحانه ، أما النوع الآخر فإن الامتناع في حد ذاته لا يشكل معصية ولكنه يمكن أن يؤدي إلى معصية فقد حمل عمر بن الخطاب قوم دية رجل استسقى قوما لم يسقوه فمات من العطش .

٥ - تصنيف الانحراف طبقا لاتجاهه :

جعل الله سبحانه أمة الإسلام أمة وسطا ، وفي ذلك يقول الله سبحانه :

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .. (سورة البقرة ، الآية ١٤٣) .

وتوجد آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية متعددة تحت على التوسط والاعتدال وتنهي عن التطرف سواء بالإفراط أو بالتفريط ، ويمكن تصنيف الانحراف طبقاً لهذا المعيار على النحو التالي :

أ - انحراف بالإفراط :

الإفراط هو البعد عن الاعتدال والتوسط في اتجاه المبالغة ، والمبالغة أمر غير مستحب في أي أمر وقد نهى الإسلام عن الإفراط وعده انحرافا شأنه في ذلك شأن التفريط تماما حتى لو كان في العبادات فقد نهى رسول الله ﷺ من كان يريد أن يقوم الليل ومن يريد أن يعتزل النساء فلا يتزوج ومن يريد أن يصوم الدهر فلا يفطر ، وقال « ... صم وافطر وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام .. » (٤٤) .

ب - انحراف بالتفريط :

ويأتى على التقيض من الإفراط وذلك بالتعاون والتقصير فى أداء الإنسان لما أمر الله به ونهى عنه مثل ترك الصلوات المفروضة والتهاون فى الجهاد فى سبيل الله وعدم أداء فريضة الحج مع الاستطاعة والتقصير فيما كلف به من أعمال ومستوليات .

٦ - تصنيف الانحراف طبقا لجسامة المعصية :

يقول الله الله سبحانه :

إِنْ تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ (٣١) (سورة النساء ، الآية ٣١) .

ويتبين من الآية الكريم أن مانهى الإسلام عنه يمكن تصنيفه إلى كبائر وسيئات عادية ، وعلى الرغم من القول المأثور لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ، أى أن التوبة والاستغفار تمسح الذنوب صغيرها وكبيرها ، وإن إصرار الإنسان على معصية ليست من الكبائر يحولها إلى كبيرة ، إلا أننا يمكن أن نصنف الانحراف طبقاً لهذا المعيار إلى :

أ - الكبائر :

ويقصد بها كبائر المعاصى ويأتى على رأسها الموبقات السبع وهى : « ... الشرك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » (٤٥) ، ويقصر البعض الكبائر على هذه السبع ، ويتوسع بعضهم حتى يصل بها إلى السبعين ، بحيث يعدون كل ماورد انذار أو وعيد فى القرآن والسنة بشأنه فهو كبيرة ، ولايتسع المجال لذكرها على سبيل الحصر ، ونكتفى بذكر أمثلة منها عقوق الوالدين ، منع الزكاة ، الظلم ، الرشوة ، الرياء ، المشى بين الناس بالنميمة ، الكذب فى القول واليمين .. الخ (٤٦).

ب - السيئات (اللمم) :

وهى كل السيئات التى لم يرد ذكرها بين الكبائر ، وقد وردت الإشارة إلى أن الصغيرة تتحول إلى كبيرة مع المداومة والاصرار ، إلا أن الصلاة إلى الصلاة ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان والحج إلى الحج ، والعمرة إلى العمرة ، كفارة لما بينهما من الذنوب اذا اجتنبت الكبائر .

رابعا - خصائص المنظور الإسلامى للانحراف

يتسم المنظور الإسلامى بعدد من الخصائص التى تميزه عن النظريات الوضعية نوجزها فيما يلى :

١ - الاعتماد على القرآن والسنة :

يعتمد المنظور الإسلامى للانحراف اعتمادا كاملا على ما نزل فى الوحي من الله سبحانه على رسوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التى ثبتت نسبتها إلى رسول الله ، وعلم الله سبحانه هو علم كامل وصحيح فهو خالق الإنسان ، وهو أعلم بمن خلق ، أعلم بما يصلحه وبما يفسده ، فحين يأمره بشئ فلا بد فيه صلاح له ، وحين ينهاه عن شئ ، فلا بد فيه فساد له ، فلا يخفى عليه شئ ولا يضل ولا ينسى .

وقد وجهت انتقادات قاسية ومتعددة إلى بعض ما شرعه الله سبحانه وكانوا يطلقون عليها « الأمور الشيطانية فى الإسلام » ويعلنون رفضهم لها فى كل مناسبة إلى أن اضطروا صاغرين إلى النزول على ما شرعه الله سبحانه لا إيماناً بالله ، ولكن تحت وطأة المشكلات المتعددة التى لم يجدوا لها حلاً إلا فيما شرعه الله . .

٢ - إتساع دائرة الانحراف :

يتبين بالنظر إلى مفهوم الانحراف وأنواعه التى سبق عرضها مقارنة بالانحراف بمفهومه الوضعى ، وإن المنظور الإسلامى للانحراف أكثر اتساعاً وشمولاً حيث تضمن أنواعاً عديدة من الانحرافات غير المتضمنة فى المفهوم الوضعى فالانحراف فى علاقة الإنسان بالله بأنواعه ، والانحراف فى علاقة الإنسان بسائر الخلق والانحرافات الباطنة بأنواعها المختلفة لا يتضمنها المنظور الوضعى للانحراف .

ويؤدى توسيع دائرة الانحراف إلى تهذيب أساليب التعامل بين الناس وبعضهم ، وإلى تقليل ما يحدث من انحرافات فى المجتمع إلى حد بعيد ، وذلك لأن العديد من الانحرافات التى يحرمها الإسلام فى علاقة الإنسان بسائر الخلق والانحرافات الباطنة بأنواعها المختلفة لا يتضمنها المنظور الوضعى للانحراف .

ويؤدى توسيع دائرة الانحراف إلى تهذيب أساليب التعامل بين الناس وبعضهم ، وإلى تقليل ما يحدث من انحراف فى المجتمع إلى حد بعيد ، وذلك أن العديد من الانحرافات التى يحرمها الإسلام ولا تمنعها القوانين الوضعية تعتبر مقدمات لأنواع أكبر من الانحراف ، فنظر الإنسان إلى المرأة الأجنبية وجلوسه وتعامله معها غير محرم فى القوانين الوضعية ، على حين أنه مقدمة للاتصالات الجنسية غير المشروعة والخيانة الزوجية وغيرها ، لذلك فقد حرّمه الإسلام ، كما أن الخمر غير محرمة فى معظم القوانين الوضعية على الرغم مما تؤدى إليه من انحرافات فى حين أن الإسلام يحرمها .

ويرجع توسع الإسلام فى التحريم إلى عدد من الأسباب منها ما يلى :

- اهمال القوانين الوضعية لعلاقات أساسية فى حياة الإنسان مثل علاقته بربه فهذه لاتدخلها فى اعتبارها كما أن معظم القوانين الوضعية لاتجرم الانحراف فى علاقة الإنسان مع الحيوانات والجمادات .

- عجز القوانين الوضعية من إثبات بعض الانحرافات أمام المحاكم وإقامة الدليل عليها لأنها انحرافات تدور داخل نفس الإنسان ولايمكن إثباتها والتدليل عليها إلا بالمنحرف نفسه ولكن الله سبحانه الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يستطيع إثبات هذه الانحرافات والتدليل عليها لذلك أنزل الوحي بتحريمها .

- انحراف واضعى القوانين وسيرهم خلف أهوائهم تجعلهم يبيحون بعض الانحرافات لأنهم يريدون الاستمتاع بها .

٣ - العدل :

المحل والمحرم فى الإسلام هو الله سبحانه وهو عدل وعدله كامل ومطلق فلا مصلحة له ولاهوى فى تحليل أو تحريم ولكنه سبحانه أحل للإنسان ما يصلحه ويحقق له سعادة الدنيا والآخرة وحرم عليه ما يفسد عليه دنياه وآخرته ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :
يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ .. (سورة الأعراف ، الآية ١٥٧)

وشرع الله سبحانه لايتميز لجماعة ولا لطبقة ولا لفئة دون أخرى ، على حين أن القوانين الوضعية عادة ماتنحاز لصالح الجماعات والطبقات والفئات القوية فى المجتمع على حساب الفئات الأخرى (٤٧).

٤ - الثبات :

يتميز التحديد الإسلامى للانحراف بالثبات والاستقرار ، فنصوص الشريعة ثابتة دون تغيير أو تبديل منذ مايزيد على أربعة عشر قرنا وحتى تقوم الساعة ، فلا تحريم إلا بنص ، والنصوص ثابتة .

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) (سورة الأنعام ، الآية ١١٥) .

ويساعد استقرار تحديد ما هو مباح وما هو ممنوع على الالتزام بهذه الحدود ، على حين أن كثرة التغيير وإباحة أمور معينة ثم منعها ثم إباحتها يسقط هبة هذه الحدود ويفرغ البعض على الخروج عنها ، كما ان تحريم أمر معين فى مجتمع ما على حين يعلم أفراد هذا المجتمع بإباحته فى مجتمع آخر يشكك فى قوة اقتناعهم بالمصلحة فى

هذا المنع ، هذا بالإضافة إلى ان اختلاف حدود المنع والإباحة من مجتمع إلى آخر يسبب مشكلات عديدة للأفراد عند سفرهم وانتقالهم من مجتمع إلى آخر فقد يمارس فعلا مباحا فى بلده ممنوعا فى البلد التى انتقل إليها مما يسبب العديد من المشكلات .

خامسا - العوامل المؤدية إلى حدوث الانحراف

يقول الله سبحانه :

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) (سورة الإنسان ، الآيات ٢ - ٣) .

فقد شاء الله سبحانه أن يجعل الحياة الدنيا موضعا لامتحان الإنسان واختباره ، وكل موقف يعيشه الإنسان هو سؤال من أسئلة هذا الاختبار فى بيته ، فى مدرسته ، فى عمله ، فى الشارع ... الخ ، وجعل الله سبحانه جوهر هذا الاختبار هو اختبار الإنسان بين الحلال والحرام .

والسؤال الجوهرى هنا هو : لم يكون سلوك البعض سويا بينما يجنح البعض الآخر إلى الانحراف ؟

نلخص الإجابة على هذا السؤال فى النقاط التالية :

١ - أودع الله سبحانه فى الإنسان فطرة التوحيد التى تجعله يتوصل بتأمل فيما حوله ويعقله المجرد إلى أصل الإيمان بوجود خالق لهذا الكون وتجعله يستحسن الحسن ويستقبح القبيح وفى ذلك يقول الله سبحانه :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (سورة الروم ، الآية ٣٠) .

٢ - لم يترك الله الإنسان معتمداً على فطرته فقط ، بل أرسل له الرسل والرسالات التى تدله على وجود الخالق وتحدد له ماينبغى عليه أن يفعله وماينبغى أن يتركه ، ما هو سوى وما هو منحرف ، وفى ذلك يقول سبحانه :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ .. (سورة الحديد ، الآية ٢٥) .

٣ - ترك الله سبحانه للإنسان حرية الاختيار بعد أن هيا له أسبابه وأخبره بأنه محاسب على سلوكه الإرادى ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ .. (سورة الكهف ، الآية ٢٩)

فالإنسان حر مختار محاسب على سلوكه الإرادى ، وإرادته الحرة الدور الرئيس فى تحديد نوعية سلوكه ، فهى مصدر أول وأميل لنية الإنسان واختياراته ، ومن ثم

لسلوكه . وقد أَعفى الله سبحانه الإنسان من العقوبة على الخطأ إذا لم تتوفر لديه مقومات الاختيار الحر ، فلا إثم على المكروه أو المضطر ، ولا إثم على من فقد عقله ، ولا على ضعيف العقل ولا على الصغير الذى لم يصل بعد إلى سن البلوغ ولم تتكامل قدراته بعد .

٣ - تتحدد بناء على الاختيار الحر للإنسان صلته بالله سبحانه إما مؤمن بخالق هذا الكون ومدبره ، وإما كافر بالله أيا كان اعتقاده ، ويعتبر هذا الاختيار أمراً جوهرياً مؤثراً على سلوك الإنسان فى كافة أمور حياته .

٤ - هيا الله سبحانه القوانين والسنن الكونية فى الحياة الدنيا بما يساعد الإنسان على السير فى الطريق الذى اختاره لنفسه أيا كان اختياره ، وبحيث تستجيب له هذه القوانين والسنن بقدر اجتهاده فى السعى ، فهى تعين المؤمن الملتزم بطاعة الله على المزيد من الطاعة وتعين الكافر والمنافق على المعصية ، الأول بقدر اجتهاده فى الطاعة ، والثانى بقدر اجتهاده فى المعصية .

٥ - تترك علاقة الإنسان بالله وسلوكه فى الاتجاه الذى يختاره أثارا فى قلبه تتزايد مع مرور الوقت وتشكل بدورها عاملاً تراكمياً مساعداً يدعم سير الإنسان على الطريق الذى اختاره ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ (سورة التغابن ، الآية ١١) .

فمن يؤمن بالله يثبتته الله على الإيمان (٤٨) ، فى هذا المعنى يقول الله سبحانه فى الحديث القدسى :

« ... وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيتته هروله » (٤٩) . فمن سلك سبيل الطاعة والتقرب إلى الله يحبب الله إليه الطاعة ويعينه عليها ويوفقه إلى المزيد منها (٥٠) .

وإذا اختار طريق المعصية والكفر تتراكم آثار المعاصى على قلبه كل منها على شكل نقطة سوداء ، ثم تتكاثر إلى أن تتصل ببعضها البعض ، فذلك الران الذى يتزايد إلى أن يطبع على القلب ، ويصبح محجوباً عن الله بالكلي (٥١) وفى ذلك يقول الله سبحانه :

أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنُطْبِعُ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) (سورة الأعراف ، الآية ١٠٠) .

ويقول رسول الله : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس ، فذلك قلب الكافر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، فذلك قلب المنافق ، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق (٥٢) .

٦ - ترجع النظريات المعاصرة الانحراف إلى مجموعة من العوامل منها ما يتصل بشخص المنحرف ومنها ما يتصل بالمتغيرات البيئية المحيطة به وتتنظر إلى هذه العوامل على أنها متغيرات مستقلة ، وإلى السلوك الانحرافى على أنه متغير تابع ، وكأن الإنسان مجرد متلق للتأثير ، ولكن الأمر لا يستقيم على هذا النحو فما تشير إليه هذه النظريات على أنه عوامل مستقلة إنما هو عوامل وسيطة تأثيرها محايد يتوقف على طبيعة علاقة الشخص المتعرض لهذا التأثير .

٧ - يزيد الإيمان وينقص فهو يتفاوت قوة وضعفاً من شخص إلى آخر ، ولدى نفس الشخص من وقت إلى آخر ، ويكون الانحراف عادة فى الأوقات التى يضعف فيها الإيمان ، فلا يرتضى الزانى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن ، وإذا عاد إليه إيمانه تاب ، ولذلك فاحتمال عودة المؤمن للانحراف ضعيفة ، وإذا بلغ الإيمان منتهاه من القوة وصل بالإنسان إلى درجة الإحسان فهو يعبد الله كأنه يراه ، ومن يصل إلى هذه الدرجة يصعب ارتكابه للانحراف فشعور الإنسان بأن الله يراه تجعل بينه وبين الانحراف مانعاً قوياً ذلك أن الخوف من عذاب الله ، والخجل من مطالعة الله له وهو يعصيه والطمع فى ثوابه يدفع الإنسان إلى التمسك الدقيق بصراط الله المستقيم وعدم الخروج عنه .

٨ - قد توجد عوامل تدفع الإنسان المؤمن إلى الانحراف مثل وجوده فى وسط منحرف ، أو تعرضه لنقص كبير فى إشباع حاجاته الأساسية أو لإغراء منصب أو جاه أو علاقة أساسية فى حياته ، ويقدر قوة إيمان من يتعرض لهذا الموقف بقدر صموده وعدم وقوعه فى الانحراف وأيضاً بقدر ما يعده الله سبحانه له من أجر ، وفى هذا المعنى يقول رسول الله : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .. » وذكر من بينهم : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل دعت امرأته ذات حسب وجمال ، فقال إني أخاف الله تعالى^(٥٣) ، ويقول أيضاً : « ان الله يحب الفقير المتعفف »^(٥٤) .

٩ - بناء على ما تقدم يمكننا القول أنه لحدوث الانحراف لابد من وجود عاملين فى وقت واحد هما :

أ - ضعف الإيمان أو عدم وجوده بالمرة ، وبذلك يضعف ويزول الوازع الذى قد يمنع الإنسان من الانحراف ، وقد ثبت من واقع الدراسات الإمبريقية وجود علاقة عكسية دالة إحصائياً بين مستوى التدين والسلوك الإجرامى^(٥٥) .

ب - وجود مراحل محركة ومشجعة على الانحراف سواء كانت هذه العوامل راجعة إلى المنحرف مثل الحاج شهوة أو حاجة غير مشبعة ، أو راجعة إلى الظروف المحيطة به مثل رفاق السوء أو انتشار الانحراف فى المجتمع ، أو غيرها .

١٠ - ترك الله سبحانه باب التوبة مفتوحا للإنسان إذا أراد أن يعدل من اختياراته في أى وقت إلى أن يغرغر أو أن تشرق الشمس من مغربها ومتى استوفت التوبة شروطها فإنها تجب ماقبلها ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

سادسا - المنظور الإسلامى لمواجهة الانحراف

تتكامل جوانب الشريعة الإسلامية مع بعضها البعض تكاملا محكما يقلل من حدوث الانحراف في المجتمع إلى أدنى حد ممكن ، فمن هذه الجوانب ما يستهدف الوقاية من الانحراف وتثبيت أفراد المجتمع على الصراط المستقيم ، ومنها ما يعمل على منع وقوعه عن طريق إزالة الأسباب التي يمكن أن تؤدي إليه ، ومنها ما يستهدف علاج من وقع في الانحراف من أفراد المجتمع وتطهيره من آثار ما وقع فيه من انحراف .

ويقتضى الأمر التطبيق المتكامل للشريعة الإسلامية بجوانبها المختلفة سواء كان ذلك على مستوى أفراد المجتمع أو جماعاته أو المجتمع ككل ، وذلك نظرا للتساند القوي بين هذه الجوانب وفي ذلك يقول الله سبحانه :

أَفْتَرِئُونَ بَعْضَ الْكَتَبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) (سورة البقرة ، الآية ٨٥) .

ويمكن تلخيص هذه الجوانب فيما يلي :

أولا : الوقاية من الانحراف .

ثانيا : إزالة الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى الانحراف .

ثالثا : علاج حالات الانحراف .

وسوف نتناولها فيما يلي شئ من التفصيل مع التركيز على دور الخدمة الاجتماعية في كل منها .

١ - الوقاية من الانحراف

وتتضمن مجموعة من القواعد التي تنظم حياة الفرد والأسرة في المجتمع ، ونكتفى هنا بمجرد العرض الموجز على النحو التالي :

١ - أن يتم الإنجاب من خلال الأسرة :

جعل الإسلام الأسرة التي تتكون عن طريق الزواج المشروع هي الوعاء الوحيد لإنجاب الأطفال ، فالعلاقة الوحيدة المشروعة للإنجاب هي العلاقة الزوجية ، وفي ذلك يقول رسول الله : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج .. » (٥٦) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد في المعاونة على وضع حديث رسول الله ﷺ موضع التطبيق من خلال شرح أهمية الزواج المبكر في إحصان الشباب وتحقيق الإشباع المشروع للحاجة الجسمية حتى لا تكون ضاغطة ملحا ، قد يدفع البعض إلى الانحراف ، كما أن من مسئوليات مهنة الخدمة الاجتماعية من خلال المؤسسات المهنية العمل على إزالة المعوقات الاجتماعية التي تحول دون الزواج المبكر لمن يستطيع مثل القوانين الموجودة في بعض البلاد الإسلامية لوضع حد أدنى مرتفع لسن الزواج يمنع من وصل إلى مرحلة الشباب ويستطيع تحمل أعباء الزواج من الزواج لعدم بلوغه هذه السن بعد ، والعمل على محاربة العادات التي تعوق الزواج مثل المغالاة في المهور والأثاث ولوازم الزواج ، مما يشكل عائقا أمام أعداد كبيرة من الشباب .

٢ - ضمان صلاحية الأسرة لأداء وظائفها:

وضع الإسلام مجموعة من التوجيهات التي يؤدي الالتزام بها إلى ضمان صلاحية الأسرة لتنشئة أطفالها تنشئة صالحة ، حتى يشبوا متمسكين بصراط الله المستقيم يصعب انحرافهم عنه ، ومن هذه الضوابط مايلي : (٥٧) .

أ - حسن اختيار الشريك :

يقول رسول الله ﷺ : « تتكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (٥٨) .

ويقول : « إذا جاعكم من ترضون دينه ، فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » (٥٩) .

ومن ينشأ مثل هذه النشأة لن يقع في الانحراف ، وفي هذا المعنى يقول الحق سبحانه :

يَا خَتَّ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨) (سورة مريم بـ الآية ٢٨) .

فأهل مريم ينكرون عليها حملها بغير زواج ، لأنها نشأت بين أب طيب وأم طيبة .

كما يشترط الإسلام الكفاءة بين الزوجين وأن يكون الزواج بالاختيار الكامل بين الشريكين : « فلا تتكح الأيم حتى تستأمر ولا تتكح البكر حتى تستأذن .. » (٦٠) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد في العمل على التعريف بالمواصفات الإسلامية في شريك الحياة بين أفراد المجتمع عموما وبين المقبلين على الزواج بصفة خاصة ، كجزء من إعدادهم لممارسة الحياة الأسرية الزوجية ، وبيان الخطورة المترتبة على مخالفة ذلك ، وبيان فساد بعض العادات السائدة في أرواح الشباب أو الفتاة على الزواج من شخص غير رغبته ، لأي اعتبارات كانت والعمل على مساعدة الحالات التي تعاني من مثل هذه المشكلات على التغلب عليها .

ب - تحديد القيادة في الأسرة :

ونظرا لأهمية وجود الاستقرار والوثام في حياة الاسرة ، فقد حدد الإسلام قائد هذه الأسرة في شخص الزوج وفي ذلك يقول الله سبحانه :

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ..
(سورة النساء ، الآية ٣) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد في شرح هذه الأمور للشباب المقبلين على الزواج ولأفراد المجتمع بصفة عامة ، وبيان أن هذا هو الوضع السوي للأسرة المسلمة ، ومساعدة الأسر التي تعاني من مشكلات في هذا الصدد على العودة إلى الوضع الإسلامي الصحيح .

ج - تفصيل الحقوق والواجبات في الأسرة :

حظيت الأسرة باهتمام بالغ في التشريع الإسلامي فيما يتصل بتحديد الحقوق والواجبات بين أفرادها حتى لا يحدث نزاع حول هذه الحقوق والواجبات فتفقد الأسرة صلاحيتها لتنشئة صغارها .

وبحيث تصبح الأسرة مكانا حافلا بالبر والحب وطاعة الله وينشأ أبناؤها على صراط الله المستقيم بعيدين عن احتمالات الانحراف ، كما كفل الإسلام حقوقاً محددة للأطفال في داخل الأسرة منها الإرضاع ، والنفقة ، والمساواة بين الابن وبين اخوته في المعاملة (٥١) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في تعريف أفراد المجتمع بما على كل منهم من واجبات وماله من حقوق في أسرته ، مساعدته من يعاني من مشكلات في أداء مسئولياته الأسرية على أداء هذه المسئوليات كما حددها الإسلام ، ولا يقتصر أداء هذا الدور على مجال بعينه من مجالات الخدمة الاجتماعية ، ولكنه يمتد إلى مجالات متعددة، منها الخدمة الاجتماعية الأسرية ، والخدمة الاجتماعية المدرسية ، والخدمة الاجتماعية في مجال المنحرفين .

٣ - الحرص على استمرار الحياة الأسرية :

حرص الإسلام على استمرار الحياة الأسرية مادامت الأسرة قادرة على أداء واجباتها نحو أفرادها فقد حث الزوج على الصبر على زوجته وأوصاه بها خيرا وأمره بأن يعاشرها بالمعروف ، فال مؤمن لا يكره زوجته المؤمنة ، فإن كره منها طبعاً أحب فيها طبعاً أخرى ، وقد يجعل الله فيها خيراً كثيراً رغم كراهيته لها ، وفي ذلك يقول الله سبحانه :

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا
(١٩) (سورة النساء ، الآية ١٩) .

والمعاشرة بالمعروف لا تقتصر على مجرد كف الأذى عن الزوجة ، بل تتضمن احتمال الأذى منها والحلم عليها (٦٢) ، كما جعل الله سبحانه الملجأ الأخير إذا استحالت العشرة بين الزوجين وهو الطلاق أبغض الحلال عنده حتى لا يتم اللجوء إليه إلا عند الضرورة القصوى . ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في مساعدة الأسر التي تعاني من مشكلات على التغلب على هذه المشكلات وتجاوزها ، وبيان النهج الإسلامى فى العلاقات الأسرية ، وفى التغلب على المشكلات الأسرية .

٤ - الطلاق بالمعروف :

شرع الله سبحانه الطلاق كملجأ أخير ، إذا استحالت العشرة بالمعروف بين الزوجين ، وقد حدد الله سبحانه حقوق كل من الزوجين عند الطلاق حتى يكون الانفصال كريما لايسئ إلى أى من الزوجين ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :
وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُفِّنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ
ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ .. (سورة البقرة ، الآية ٢٢١) .

ويمكن للخدمة الاجتماعية أن تلعب دورا كبيرا فى هذا الصدد ، يتمثل فى تنفيذ التوجيه الإسلامى الكريم بأن يتم الطلاق بالمعروف ، وذلك عن طريق المساعدة فى حل المشكلات المترتبة على الطلاق مثل حصول الزوجة على حقوقها المتمثلة فى مؤخر الصداق والنفقة ومساعدة المطلقين على الاتفاق على حضانة أطفالهما ، وتنظيم رؤية كل من الزوجين لأطفاله فى حضانة الزوج الآخر ، وذلك نظرا لما تتركه هذه المشكلات وغيرها من آثار سيئة فى نفس الأطفال .

٥ - رعاية الصغير الذى يفتقد الأسرة المتكاملة :

حرص الإسلام على توفير الرعاية للصغير الذى يفتقد ماتوفره الأسرة المتكاملة لطفلها من رعاية بين أبويه بأن جعل حقوق هذا الصغير على سائر أفراد المجتمع الذى يعيش فيه ، فالصغير الذى يفتقد الأسرة المتكاملة إما يتيم وإما لقيط ، وقد كفل الإسلام لكل منهما حقوقه على نحو يضمن له تنشئة اجتماعية إسلامية سوية .

فقد أمر الله سبحانه بالإحسان إلى اليتامى فى آيات متعددة ، وجاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى (٦٣) .

وكفالة اليتيم حجاب من النار ، وخير بيت من بيوت المسلمين بين يكرم فيه اليتيم ، كما نهى الله سبحانه عن أكل مال اليتيم وأمر باعطائهم من الصدقات وجعل لمن يمسح على رأس اليتيم رحمة به حسنات بعدد شعر رأس اليتيم (٦٤) .

كما جعل الإسلام نفقة اللقيط على بيت المال ، على أن توكل رعايته إلى أحد المسلمين المشهود لهم بالتقوى والصلاح حتى ينشأ نشأة صالحة (٦٥) .

كما وضع الإسلام نظام الولاية على النفس والمال وجعلها في أقارب العصب أي الأقارب من جهة الأب الأقرب فالأقرب ، وذلك حتى يقوم الولي على رعاية الصغير وتنشئته تنشئة صالحة ، واشتراط لذلك أن يكون أميناً على الصغير في نفسه ودينه وماله (٦٦)، حفظاً للصغير حتى ينشأ نشأة طيبة على صراط الله المستقيم تبعده عن الانحراف .

وللخدمة الاجتماعية دور كبير في هذا الصدد نوجزه في النقاط الآتية :

- الإسهام في تنفيذ نظام الولاية على النفس من حيث متابعة رعاية الولي لليتيم من الناحية الاجتماعية ، والتأكد من حسن كفالاته لليتيم وتنشئته نشأة إسلامية صالحة ، والاطمئنان إلى عدم تعرضه لإساءة المعاملة أو الاستغلال أو الانحراف من أي نوع .

- تصميم وتنفيذ برامج كفالة الأيتام في المجتمع ، بناء على مواصفات معينة يتم وضعها ومتابعة رعايتها الأيتام وتقديم المشورة والتوجيه لها حتى تقوم بالرعاية على وجهها الأكمل ومساعدتها على حل ما يواجهها من مشكلات إلى أن يصل اليتيم إلى سن البلوغ ، ثم مساعدته على أن يشق طريقه كمواطن صالح في المجتمع .

- الدعوة إلى تعديل القوانين التي توجد في بعض البلاد الإسلامية والتي تتصل بتنظيم رعاية الأيتام واللقطاء بما يخالف أحكام الشريعة الإسلامية مثل التبني وغيره .

٢ - منع بعض العوامل التي قد تؤدي إلى الانحراف :

سواء كانت هذه العوامل تتعلق بفرد في المجتمع أو ببعض أفراد أو جماعاته أو على مستوى المجتمع كله ، ونوضح ذلك بإيجاز على النحو التالي :

١ - إشباع الحد الأدنى من الحاجات الأساسية :

يعتبر التكافل الاجتماعي بين أفراد وفئات المجتمع المسلم من الوسائل الأساسية لإزالة أسباب الانحراف من المجتمع .

وعلى الأخصائيين الاجتماعيين مسئولية كبيرة بحكم طبيعة عملهم فى هذا الصدر ، فهم مسئولون عن الفئات والجماعات بل والأفراد الذين يعانون من نقص فى إشباع حاجاتهم الأساسية ويمكن إيجاز دورهم على النحو الآتى :

أ - الأخصائيون الاجتماعيون هم أكثر المهن اتصالا بالفئات المحرومة والضعيفة التى تعاني من مشكلات أو من نقص فى إشباع حاجاتها الأساسية ، وعلى الخدمة الاجتماعية كمهنة من خلال تنظيماتها المهنية والعلمية ، وعلى الأخصائيين الاجتماعيين كأفراد إعداد هذه الدراسات على الوجه المناسب للتعريف بمشكلات وحاجات هذه الفئات والعمل على نشرها من خلال القنوات المهنية كالمجلات العلمية والمؤتمرات والندوات العلمية وغيرها فهم رعاة ، وهذه الفئات هى جزء من رعييتهم يسألهم الله سبحانه عنها .

ب - مساعدة هذه الفئات والجماعات على معرفة حقوقها والوعى بمشكلاتها وتعريفهم بالوسائل المناسبة للحصول على هذه الحقوق ومساعدتهم على ذلك .

ج - التعاون مع أصحاب هذه الحاجات ومع من يعاون من المشكلات فى رفع حاجاتهم المدعمة بالدراسات العلمية التى تحدد أبعاد هذه الحاجات وطرق إشباعها إلى الجهات التى يتجدها إصدار القرارات بإشباع هذه الحاجات ، كما ان على الأخصائيين الاجتماعيين أن يعتبروا أنفسهم مستشارين لولاة الأمر على اختلاف مستوياتهم فيما يتصل بأمور الرعاية الاجتماعية لهذه الفئات .

د - العمل على إنشاء المؤسسات المهنية والأهلية التى تعمل على إشباع هذه الحاجات مثل اقتراح مؤسسات معنية لم تكن موجودة من قبل أو إضافة خدمات جديدة إلى مؤسسات قائمة لم تكن تقدم مثل هذه الخدمات أو إضافة فئات جديدة للتمتع بخدمة قائمة لم تكن تتمتع بهذه الخدمة من قبل ، أو تشجيع إنشاء الجمعيات الأهلية الخيرية التى تعمل على إشباع هذه الحاجات.

٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خطأ أساسيا من خطوط الدفاع ضد الانحراف فى المجتمع ، وفى ذلك يقول الله سبحانه فى بيان أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فى منع الانحراف :

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)
(سورة المائدة ، الآية ٦٣) .

وقد أورد الله سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أنه سبب من أسباب كون المسلمين خير أمة أخرجت للناس وأمرهم نصا بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله :

وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) (سورة آل عمران ، الآية ١٠٤) .

ويمكن إيضاح دور الأخصائي الاجتماعي في هذا الصدد بإيجاز على النحو الآتي:

أ - على مستوى المجتمع العام يمكن للأخصائي الاجتماعي أن يدعو إلى إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوضيح الآثار الاجتماعية الحميدة التي تعود على المجتمع بالآخذ به ، والاختار المترتبة على تركه .

ب - على مستوى المجتمع المحلي يستطيع الأخصائي الاجتماعي أن يساهم في تنظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمكن الاستعانة في ذلك بالمؤسسات القائمة في المجتمع مثل المسجد والادارة المحلية والمؤسسات التعليمية وغيرها .

ج - على مستوى المؤسسة التي يعمل فيها الأخصائي الاجتماعي فهو مسئول مباشرة عن إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنظيمه وتحديد من يقومون به ، وذلك بالتعاون مع المسئولين الآخرين بالمؤسسة .

د - على مستوى العملاء الذين يقوم الأخصائي الاجتماعي بتقديم الخدمة المباشرة إليهم يصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزءا من المساعدة المقدمة للعملاء في سائر مجالات الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وفي مجال العمل مع المنحرفين بصفة خاصة .

٣ - منع الظلم :

يقول الله سبحانه :

وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءَ (٤٣) (سورة إبراهيم ، الآيات ٤٢ - ٤٣) .

فالظلم انحراف قد يؤدي تعرض الإنسان له إلى رده بظلم مماثل أو أشد ، ولذلك حرم الله سبحانه الظلم على نفسه وعلى عباده ، وجعل من حق المظلوم على الحاكم وعلى سائر المسلمين مساعدته على استيفاء حقه ممن ظلمه ، كما توعد الله سبحانه وتعالى الظالم بالقصاص منه يوم القيامة ، حتى تطيب نفس المظلوم ويفوض أمره على أن يكتفى برد الظلم والأيالغ في الانتقام ممن ظلمه ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ :

« انصر أخاك ظالماً أو مظلوما ، قالوا : يا رسول الله هذا تنصره مظلوما فكيف تنصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق يده » (٦٧).

ويقتضى تطبيق منع الظلم من قبل الأخصائي الاجتماعي مايلي :

أ - فى عمله مع الحالات يهتم بدراسة ما إذا كان انحراف العميل قد نجم عن ظلم أحد له أو أسفر عن ظلم لأحد .

ب - أن يساعد المظلوم باستخدام كل الطرق المشروعة على استرداد حقه كما يساعد الظالم على إدراك خطورة الظلم عليه فى الدنيا والآخرة وان رد الحقوق فى الدنيا أفضل له من بقائها فى ذمته ليتحمل وزرها فى الآخرة .

ج - ان يعمل على إرساء قواعد العدل ومنع التظالم بين العملاء فى المؤسسات التى يعمل بها وبين العملاء والعاملين فى المؤسسة بحيث يضع الأخصائي الاجتماعي موضع الاعتبار والتنفيذ مسئولية عن عدم وقوع الظلم على أحد فى المؤسسة وان يساعد المظلوم على الحصول على حقه .

٤ - تحريم المقدمات التى يمكن أن تقود إلى الانحراف :

حرم الإسلام المقدمات التى تقود إلى الانحراف وحث على تركها ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَغْضًا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ (سورة النور ، الآية ٢٠) .

فقد أمر الله بغض البصر ونهى عن النظر الى حرمة الله وإلى مافى أيدي الآخرين حتى لا تكون النظرة مقدمة لاشتفاء مافى يد الآخرين من أموال أو أعراض أو غير ذلك ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيماناً يجد حلالوته فى قلبه » (٦٨).

كما حرم خروج المرأة متجلمة سافرة حتى لا تكون فتنة للرجال وحرم اختلاء الرجل بالمرأة من غير محارمه .

ويتضمن دور الخدمة الاجتماعية فى ذلك التعاون مع علماء الدين فى تحديد مايدخل فى التحريم على أنه من مقدمات الانحراف ويحرمه الدين ولا تحرمه القوانين الوضعية وإجراء الدراسات التى تثبت خطورة عدم تحريم هذه الأفعال وتأثير ذلك فى زيادة أعداد المنحرفين ونشر هذه الدراسات على أوسع نطاق ورفعها إلى المسئولين لإصدار القرارات التى تضمن تنفيذ التوجيهات الإسلامية الكريمة فى هذا الصدد .

٥ - تشديد العقوبة علي المجاهرين بالمعصية :

يقول رسول الله : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرين ان يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه (٦٩) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية في هذا الصدد في الإسهام في العمل على تنفيذ هذا التوجيه النبوي الكريم من خلال توضيح ما يترتب على المجاهرة بالمعصية من شيع الانحراف ، وتزايد أعداد المنحرفين ، والدعوة إلى تشديد العقوبة على المنحرف الذي يجاهر بالانحراف باعتبار المجاهرة بالانحراف انحرافا في حد ذاته بالإضافة إلى الانحراف الأصلي ، وأن يتضمن العمل في حالات المجاهرة بالانحراف شرح خطر المجاهرة بالانحراف على المنحرف نفسه والمتمثل في عقاب الله له وفي تحمله وزر الآخرين الذين يمكن أن يقلدوه في انحرافه ، كما يتضمن دعوة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة إلى عدم نشر أخبار ما يحدث من انحرافات لأن ذلك يدخل أيضا في باب المجاهرة بالمعصية .

٣ - علاج الحالات التي تقع في الانحراف

الخط الدفاعي الثالث والأخير الذي يضعه المنظور الإسلامي لمواجهة الانحراف هو علاج الحالات التي تقع في الانحراف بالفعل وذلك بمساعدة المنحرف على إزالة العوامل التي أدت إلى وقوعه في الانحراف ، ومن ثم العودة إلى صراط الله المستقيم والثبات عليه .

ويتضمن العلاج أساليب متعددة ينتقى منها الاختصاصي الاجتماعي ما يناسب كل حالة على حدة ، وتتضمن هذه الأساليب ما يلي :

١ - العلاقة المهنية الإسلامية .

٢ - التوبة .

٣ - الإبعاد عن رفاق السوء وتهئية الصحبة الصالحة .

٤ - الصبر .

٥ - التفاعل العقلي .

٦ - الأسوة الحسنة .

٧ - العلاج بالعبادات ويتضمن :

أ - الصلاة .

ب - الاستعاذة بالله من الشيطان .

ج - العلاج بالقرآن الكريم .

د - العلاج بالاستغفار .

هـ - العلاج بالذكر .

و - العلاج بالدعاء .

٨ - الإثابة على سلوك الصراط المستقيم .

٩ - العقاب .

١ - العلاقة المهنية الإسلامية :

يتفق المتخصصون في الخدمة الاجتماعية بمجالاتها المختلفة على أن وجود العلاقة المهنية بين الأخصائي الاجتماعي من ناحية العميل والأطراف الأخرى للحالة من الناحية الثانية أمر لاغنى عنه ، لتحقيق أهداف التدخل المهني ، ويتفق المنظور الإسلامي مع هذه المقولة ، إلا أنه يضيف إلى هذه العلاقة مايزيدها عمقا وثراء ، بحيث تصبح أكثر فاعلية في تحقيق أهداف التدخل المهني . وتكون هذه العلاقة وتنمو نتيجة للالتزام الأخصائي الاجتماعي بمجموعة من القيم المهنية والأخلاقية ، وتنمو مع مرور الوقت ، ويستمد الأخصائي الاجتماعي الذي يعمل طبقا للمنظور الإسلامي القيم التي يلتزم بها من ثلاثة روافد أساسية هي :

أ - حق المسلم على المسلم ، فالأخصائي الاجتماعي في تعامله مع العميل مسلم يتعامل مسلم ، وللعامل على الأخصائي كل ما للمسلم على أخيه المسلم من حقوق .

ب - حق الرعاية على الراعي ، فالأخصائي الاجتماعي في عمله راع ونائب عن ولي أمر المسلمين في رعاية عملائه ولهم عليه ما للرعية من حقوق على راعيها .

ج - حق صاحب الحاجة على من يساعده في قضاء حاجته ، فالأخصائي الاجتماعي مسلم يسعى في مساعدة أخيه المسلم ، وهو العميل على قضاء حاجته ، وعليه أيضا أن يلتزم بالآداب الإسلامية للسعي في قضاء حاجة الأخ المسلم .

وتعتبر العلاقة المهنية الإسلامية ضرورية لنجاح استخدام الأخصائي الاجتماعي للأساليب العلاجية ، ذلك أن الألفة المترتبة على وجود هذه العلاقة ، تهين أفضل الظروف لنجاح هذه الأساليب

٢ - التوبة :

يقول الحق سبحانه : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا (سورة التحريم ، الآية ٨) .

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (سورة الاعراف ، الآية ١٥٢) .

والتوبة هي رجوع المنحرف إلى صراط الله المستقيم مرة أخرى بعد انحرافه عنه بارتكابه للمعصية ، وللتوبة أركان نوجزها فيما يلي :

أ - العلم :

تقتضى التوبة علم المنحرف بأنه أذنب ، وأن الذنوب لاتقاس بجسامة المعصية ، وإنما بعظم حق من عصاه وهو الله سبحانه ، كما يعلم بوجود التوبة وأنها تجوز من كل المعاصي والذنوب مهما كانت ، كما أن المنحرف فى حاجة إلى أن يعلم شروط التوبة وهى :

- الندم على انحرافه ومعصيته لله سبحانه .

- العزم على عدم الرجوع إلى الانحراف مرة أخرى .

- أن تتم التوبة قبل الفرغرة أى قبل اللحظات الأخيرة فى حياة الإنسان ، وأن يعلم فى فضل الله ورحمته لا يقتصر على مجرد العفو عن الذنوب ولكنه قد يبدل السيئات حسنات .

ب - العمل :

وذلك بترك التائب للسلوك المنحرف الذى كان يأتبه ومحاولة إصلاح ما أفسدته المعصية .

ويتطلب عمل الأخصائى الاجتماعى مع من يقع فى الانحراف ما يلى :

- تعريفهم بوجود التوبة ومزاياها وشروطها .

- التشجيع على التوبة والترغيب فيها .

ومن الآيات القرآنية الكريمة التى يمكن الاستعانة بها بالإضافة إلى ماسبقت الإشارة اليه ما يلى :

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) (سورة المائدة ، الآية ٣٩) .

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدُلُّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ حَسَنًا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)
(سورة الفرقان ، الآيات ٦٨ - ٧٠) .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة :

« التائب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٧٠) .

«الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه ، فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله ، قال أرجع الى مكانى الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده ، وعليه زاده وشرابه ، قاله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته » (٧١) .

ج - معاونة التائب على رد الحقوق إلى أصحابها بمساعدته على توفير الامكانيات اللازمة لرد هذه الحقوق ، والشفاعة له عند أصحاب هذه الحقوق للعفو عنه إن لم يستطع ردها .

د - معاونة التائب على الصبر عن المعصية .

هـ - مساعدة التائب على الاستعاضة عن السلوك المنحرف بأخر مباح لإشباع نفس الشهوات والحاجات .

ويستطيع الأخصائى الاجتماعى أن يلعب دورا كبيرا فى هذا الصدد من خلال التوظيف الجيد للمصادر المجتمعية لمساعدة التائب تثبيتا له على الصراط المستقيم حتى لا يعود للانحراف مرة أخرى .

٣ - المساعدة علي ترك رفاق السوء والاندماج في صحبة صالحة :

ويتضمن دور الأخصائى الاجتماعى فى هذا الصدد مايلى :

أ - تعريف المنحرف بالأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء :

وذلك بشرح الأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء من مخالفة لأوامر الله سبحانه وذلك عن طريق رواية النصوص القرآنية التى تتضمن النهى عن مصاحبة رفاق السوء ومايصيب الانسان من جراء هذه الصحبة ، ومن هذه النصوص :

فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) (سورة النجم ، الآية ٢٩) .

كما يمكن للأخصائى الاجتماعى الاستعانة بالأمثلة الواقعية من حياة المنحرف نفسه وتأثير رفاق السوء عليه بدفعه إلى الانحراف ، وصدده عن فعل الخيرات .

ب - تعريف المنحرف بمزايا الصحبة الصالحة :

يقابل الأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء مزايا متعددة يجنيها الإنسان من الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة ، وتتضمن مساعدة المنحرف على ترك رفاق السوء شرح مزايا الصحبة الصالحة في الدنيا والآخرة ، ويمكن الإستعانة في هذا أيضا بسرد بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ومنها :

.. وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) (سورة لقمان ، الآية ١٥) .

وقول الرسول : « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه » (٧٢) .

ج - تهيئة الصحبة الصالحة ومساعدة المنحرف على الاندماج فيها :

للأخصائي الاجتماعي دور كبير في إبعاد المنحرف عن رفاق السوء بعد أن يعلم المنحرف ما يناله من صحبتهم ، ذلك أنه من الصعب على الإنسان أن يفترق عما ألفه ، لما في ذلك من المعاناة من الوحشة والفراغ ويتطلب ذلك مساعدته على اجتياز مرحلة الوحشة والفراغ هذه بتقليل المعاناة من خلال المقابلات ، ومن خلال الاسراع بادماجه مع صحبة طيبة يطمئن الأخصائي الاجتماعي إليها ، وذلك من زملاء المدرسة أو العمل أو الجيرة أو الأقارب ، وتهيئة سبل التعارف بين المنحرف وبينهم مع تهيئة الأنشطة التي تحظى بالاهتمام المشترك من الجميع .

٤ - الصبر :

الصبر هو ترك الافعال المشتهاة (٧٣) ، ويتفاوت الجهد وقوة الإرادة المطلوبة للصبر عن الفعل المشتهاى طبقا لدرجة اشتهااء النفس لهذا الفعل فكلما كانت النفس أكثر اشتهااء للفعل ، كلما كان الصبر عنه أشق وأصعب ، ويمكن تصنيف الصبر إلى نوعين هما:

أ - صبر على ما يوافق هوى النفس من النعم التي وهبها الله سبحانه للإنسان مثل المال والصحة والسلطان والشباب والصبر عليها يتمثل في عدم ركون الإنسان إليها ، وأن يعلم أن كل ذلك أمور مستخلفة فيها ، وأن عليه أن يرعى حقوق الله فيها ، وفي ذلك يقول الله سبحانه :

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْنَى (٧) (سورة العلق ، الآيات ٦ - ٧) .
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ (سورة التغابن ، الآية ١٥) .

ب - صبر على ما لا يوافق النفس من المكاره ، ويمكن تقسيمه أيضا إلى قسمين أولهما : ما يكون باختيار الإنسان كالطاعات مثل الصوم والصلاة ، والصبر

على المعاصى والغيبة والزنا وغيرها .. وثانيهما هو ما يكون بدون اختيار الإنسان مثل الصبر على الأذى الذى يفرض على الإنسان من آخرين مثل الصبر على أذى الزملاء أو الرؤساء أو الجيران ، سواء كان هذا الأذى بالقول أو بالفعل^(٧٤) .

ويقوم الأخصائى الاجتماعى بمساعدة المنحرف على الصبر على النحو التالى :

أ - التعليم والوعظ والمساعدة على التأمل :

وذلك بتذكيره بأن الإنسان وسائر ماله من أهل ومال وولد ملك لله عز وجل أعاره له وأن مصير كل عارية رجوعها إلى مالها . وأن مصير الإنسان ومرجعه إلى الله مولاه الحق ، وأنه لابد له من أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويعود إلى مولاه ليحاسبه على ما فعل فيما أعاره إياه^(٧٥) .

ب - مساعدة المنحرف على إضعاف الشهوات التى تدفعه إلى الانحراف ، ولكل شهوة طريقة لإضعافها ، فشهوة الجنس تضعف بالصوم ، وشهوة الغيبة تضعف بالذكر ، وعلى الأخصائى مساعدة المنحرف ، وتهينة الأسباب المادية التى تعينه على عدم التعرض لمهيجات الشهوات التى تدفعه إلى الانحراف ، كما أن تسليية النفس بالمباح من إشباع الشهوات قد تبعد المنحرف عن الإشباع المنحرف ، فلا يوجد محرم إلا وله مباح من جنسه ، فشهوة الجنس تشبع بالزواج ، وشهوة المال تشبع من اكتسابه بالوسائل المشروعة .. وهكذا .

ه - التفاعل العقلى :

هو تأثير عقل فى عقل آخر يستهدف إزالة الأسباب العقلية التى يمكن أن تكون سببا فى الانحراف ، ويتضمن التفاعل العقلى ما يلى :

أ - الوعظ والتعليم :

الوعظ هو التخويف من عقاب الله المترتب على ارتكاب المعصية^(٧٦)، ويتضمن ذلك ما يلى :

- توضيح أثر المعصية فى إثارة غضب الله سبحانه على المنحرف .

- مساعدة المنحرف على تأمل وضعه على أنه مجرد مخلوق لله سبحانه خلقه وأنعم عليه فما كان منه ، إلا أن قابل نعم الله بالجحود والنكران .

- مساعدة المنحرف على استحضار عظمة الله وقدرته وقهره ، وحلمه عليه وستره إياه وما يتطلبه ذلك من ضرورة الإقلاع فورا عن ارتكاب المعاصى ، والعودة إلى الصراط المستقيم .

ويمكن أن يقوم الأخصائى الاجتماعى بالوعظ بوسائل متعددة منها تلاوة الآيات القرآنية التى تتضمن عقاب الله للعاصى وحاله فى جهنم وما أعدّه الله سبحانه من نعمي للمتمسكين بصراطه المستقيم ، وشرح معانى هذه الايات عند الحاجة وذلك عن طريق المناقشة العقلية أثناء المقابلات .

كما يمكن الاستعانة فى ذلك بالكتب التى تتناول مثل هذه الموضوعات وخاصة كتب الترغيب والترهيب ، كما أن البرنامج اليومى للمؤسسات يجب أن يتضمن فقرات لمثل هذه المواعظ خاصة عقب الصلوات ، بالإضافة إلى محاضرات وندوات يستعان فيها بالعلماء والمتخصصين من رجال الدين .

كما أن تذكير المنحرف بالموت وما يترتب عليه من ترك الدنيا وما فيها وأقدامه على ربه حيث لا يجد إلا عمله فى الوقت الذى تكون فيه كل متع الدنيا التى حصلها قد زالت وبقي على ما قد خلفه تحصيل هذه المتع من ذنوب ، ولابأس من زيارة القبور لما لها من تأثير على الإنسان فى استحضار الموت من خلال زيارات جماعية أو فردية مع الحالات التى يشعر الأخصائى الاجتماعى بحاجتها إلى ذلك .

ب - الجدل :

الجدل هو دفع المرء لآخر عن قول فاسد أو رأى فاسد بحجة أو شبهة (٧٧) .

ويأتى الجدل فى مرحلة تالية من مراحل تالية من مراحل التفاعل العقلى ، فالبداية تكون سوق المعلومات بأسلوب الوعظ والتعليم حتى يكون المنحرف على علم فإذا بدأ الجدل بإثارة الاعتراض أو الشبهات على ما يذكره الأخصائى تدخل المناقشة فى طور الجدل وفى ذلك يقول الله سبحانه :

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) (سورة النحل ، الآية ١٢٥) .

ومن الآداب التى يجب التحلى بها فى الجدل : (٧٨)

- العدل والموضوعية والتخلى عن التعصب للرأى والاستعداد للبحث عن الحقيقة والتوصل إليها .

وَأَنَا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) (سورة سبأ ، الآية ٢٤) .

- التقيد بالقول المذهب البعيد عن التجريح والسخرية لوجهة النظر الأخرى فالجدال يجب أن يكون بالتالى هى أحسن .

- التزام الطرق الاقناعية الصحيحة فى الجدل بتقديم الأدلة التى تثبت صحة الرأى مع طلب الأدلة من الطرف الآخر .

أَمِنْ يَدُوْا اخْلَقَ ثُمَّ يَعِيْدهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) (سورة النحل ، الآية ٦٤) .

- قبول النتائج التى يسفر عنها الجدل .

- المشورة والنصح :

المشورة هى طلب المنحرف لرأى الأخصائى الاجتماعى فى أى أمر من أموره ، أما النصح فهو تطوع الأخصائى بابداء رأيه دون طلب ، ويتفق كلاهما فى أن الأخصائى الاجتماعى يبدى رأيه فى أمر من الأمور التى تخص المنحرف وسواء أبدى الأخصائى الاجتماعى رأيه متطوعا أو غير متطوع فعليه بصدق النصيحة بحيث لا ينصح إلا بما يثق بأنه الحق ، والآن ينصح إلا بما يرضى الله ورسوله ، وأن يكون أسلوبه فى عرض النصح أو المشورة رفيقا بالعمل ، والآن ينصحه فى وجود آخرين ، وأن يتبع النصح بذكر الأدلة التى استند عليه فيما يراه .

٦ - العلاج بالأسوة الحسنة :

يقول الله سبحانه :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) (سورة الأحزاب ، الآية ٢١) .

الأسوة هى المثل الحى الذى يحتذى ويقتدى به ، وقد أرسل الله سبحانه الرسل من جنس البشر حتى يكون سلوكهم قدوة ومثلا لتابعيهم ، وقد أمرنا الله سبحانه بالاعتداء برسوله ﷺ ، ويحتاج المنحرف قدوة حسنة يقلدها ويتأسى بها ، ورسوله الله هو القدوة للمسلمين ، وعندما سئلت السيدة عائشة عن خلق رسول الله قالت : « كان خلق رسول الله ﷺ القرآن » (٧٩) ، فقد كان سلوكه نموذجا وتطبيقا عمليا لما يدعو إليه ، ولذا أمرنا الله سبحانه باتباع سنته والتأسى به وأمرنا الرسول أيضا باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

ويقتضى تطبيق هذا الأسلوب من الأخصائى الاجتماعى ما يلى :

١ - أن يكون الأخصائى الاجتماعى فى خلقه وسلوكه متأسيا برسول الله ﷺ حريصا على مكارم الأخلاق وحسن السلوك .

٢ - أن يكون على بينة من سلوك الرسول ﷺ فى مختلف المواقف ، وخاصة تلك التى تتكرر فى عمله مع المنحرف .

٣ - أن يشرح للمنحرف سلوك الرسول ﷺ وفى كل موقف بطريقة بسيطة تناسب إمكاناته العمرية والعقلية .

٤ - أن يشجع المنحرف على أن يسلك بالطريقة المشار إليها وأن يغرس في كل نفس المنحرف حب رسول الله ويشجعه على اتخاذه مثلاً أعلى له في كل شيء .

٧ - العلاج بالعبادات :

العبادات هي الأقوال والأفعال التي أمر الله سبحانه عباده بقولها أو بفعلها تحقيقاً لعبوديتهم له وتقرباً إليه ، ولا يعبد إلا بما شرع ، ويستهدف هذا النوع من العلاج مساعدة المنحرف على الدخول في طاعة الله وتذوق حلاوتها ، وإزالة مايكون قد تراكم على قلب المنحرف من الران المترتب على المعاصي ، واكتساب الحسنات التي تساعد على محو السيئات ، وتحصينه من غواية الشيطان .

٨ - الإثابة على سلوك الصراط المستقيم :

يقول الله سبحانه :

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) (سورة النحل ، الآية ٩٧) .

فقد وعد الله سبحانه بثواب من يعمل صالحاً من المؤمنين ، تثبيتاً لهم ، وتشجيعاً لغيرهم على فعل الخيرات وسلوك الصراط المستقيم ، ويمكن للأخصائي الاجتماعي استخدام هذا الأسلوب وذلك على النحو التالي :

أ - تعريف المنحرف بما أعده الله سبحانه وتعالى من أجر لمن سلك صراطه المستقيم سواء كان ذلك بصفة عامة أو بالنسبة لأعمال محدودة مثل الصلاة والصوم أو الصدقة أو غيرها ، والآيات والأحاديث الواردة في هذا المجال كثيرة .

ب - أن يثيب الأخصائي الاجتماعي عميله المنحرف على سلوكه الطيب وأنواع الثواب متعددة منها الكلمات الطيبة مثل الدعاء له والثناء على سلوكه الطيب أو الثواب المادي مثل الجوائز وإسناد بعض الأمور التشريعية له كان يكون رئيس جماعة .. الى غير ذلك من أنواع الثواب المتاحة ، والتي يجب أن تتوفر لدى الأخصائي .

٩ - العقاب :

ولكل جريمة في الشريعة الإسلامية عقاب ، وينقسم العقاب إلى قسمين هما :

أ - عقوبات دنيوية :

وهي أدوية نافعة الهدف منها إصلاح الأفراد والمجتمعات بكفهم عن المعاصي عن طريق إيقاع الايلام بالمنحرف (٨٠) وتنقسم إلى :

- الحدود وهى العقوبات التى حددها الإسلام بنص من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة على الجرائم التى تمثل اعتداء على حدود الله ولايجوز فيها العفو سواء من الفرد أو الجماعة مثل قطع يد السارق ، ورجم الزنى المحصن ، وجلد شارب الخمر .

- القصاص والدية ، وهى عقوبات محددة ولكن يجوز للمجنى عليه أو وليه التنازل عنها أو تخفيفها مثل قتل القاتل .

- التعازير وهى عقوبات يترك تحديدها لولى الأمر أو القاضى .

كما أن هناك نوعا آخر من العقوبات الدنيوية التى يوقعها الله سبحانه وتعالى على بعض المجتمعات إذا شاع فيها الانحراف ، وقد اخبر الله سبحانه فى كتابه الكريم عن ذلك فى مواقع عديدة ، كما أخبرنا بذلك رسول الله ، وتشهد بذلك الاحاديث التى تقع بين الحين والآخر ، فما الأعاصير والبراكين والزلازل والفيضانات إلا جند من جند الله ، وما يعلم جنوده إلا هو سبحانه وفى ذلك يقول الله سبحانه :

فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) (سورة العنكبوت ، الآية ٤٠) .

كما أن هناك عقوبات دنيوية محددة يوقعها الله سبحانه على المجتمعات على أنواع بعينها من الانحرافات إذا فشت فيها حددها رسول الله ، بقوله فى الحديث الشريف:

« يامعشر المهاجرين خصال خمس - إن ابتليتم بهن ونزلن بحم أعوذ بالله أن تدركوهن : لهم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم ، فيأخذ بعض ما فى أيديهم ومالم فحكم أنتمهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم » (٨١) .

ب - عقوبات أخروية :

وهى أشمل وأعم من حيث الجرائم والانحرافات التى توقع بسببها ، وذلك لتعذر إثبات العديد من الانحرافات بوسائل البشر المحدودة ، على حين أن عقوبات الآخرة يوقعها الله سبحانه بعد مطلق يجازى على مثقال الذرة وعلم مطلق ووسائل إثبات لايرقى إليها الشك ، تصل إلى إشهاد الجلود والأيدى والأرجل (٨٢) .

ومن رحمة الله سبحانه بالناس أن امتداد أجل توقيع العقوبة يعطى للمنحرف فرصا متعددة للتوبة لفعل الطاعات والخيرات الذى يمحو السيئات التى تراكمت بفعل الذنوب وبذلك يمكن تلافى العقوبة .

دور الأخصائى الاجتماعى فى استخدام أسلوب العقاب :

يختلف دور الأخصائى الاجتماعى فى استخدام هذا الأسلوب طبقا لنوع العقوبة ، كما يختلف دوره فى المجتمعات طبقا لمدى تطبيقها لأحكام الشريعة الإسلامية فى العقوبات ، ويمكن تلخيص دور الأخصائى الاجتماعى فى استخدام العقاب على النحو التالى :

- أن يطبق الأخصائى الاجتماعى العقوبات الواردة فى الشريعة الإسلامية فيما يدخل تحت ولايته المباشرة ، كأن يمكن المضروب من القصاص من الضارب ، إذا لم يقف المضروب عنه إذا كان يعمل فى مدرسة أو دار ضيافته .
- أن يدعو إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فى الدول الإسلامية التى تأخذ بالقوانين الوضعية .
- يعمل الأخصائى الاجتماعى مع المنحرفين الذين وقعت عليهم أحكام شرعية ويساعد الأخصائى الاجتماعى عميله فى مثل هذه الحالات على قبول العقوبة على أنها حكم من الله سبحانه ورحمه منه تكفر الذنب وتمحو آثاره ، وأن توقيع العقوبة فى الدنيا أفضل من عقاب الآخرة ، كما أن عليه مساعدة المنحرف على التوبة والعودة إلى صراط الله المستقيم ، وله أيضا دور مع المجتمع يتمثل فى تصحيح نظرة المجتمع إلى المجرم التائب ، حيث ان التوبة تجب ما قبلها ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .
- ويلعب الأخصائى الاجتماعى دورا هاما فى حالات القصاص والدية بالسعى إلى إصلاح ذات البين بين الجانى والمجنى عليه ، حيث يمكن العفو عن المنحرف اذا تنازل المجنى عليه أو وليه عن حقه ، ومساعدة من حكم عليه بدفع الدية على تدبيرها من أسرته وأقاربه أو من خلال التبرعات أو أموال الزكاة أو غيرها .
- بالنسبة للانحرافات التى أشار إليها الحديث النبوى السابق والتى توعده الله المجتمعات التى تقع فيها ، فإن على الأخصائى الاجتماعى أن يكون يقظا لوقوع مثل هذه الانحرافات .
- يستخدم الأخصائى الاجتماعى التهيب مع العملاء الذين يلمس فيها إصرارا على العودة إلى الانحراف بتذكيرهم بعقاب الله سبحانه وتوعده لمن يخرج عن

صراطه المستقيم ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تبين ذلك كثيرة ويمكن الرجوع إليها بسهولة في كتب الترغيب والترهيب ، ولا يسمع المجال بعرضها نظرا لكثرتها .

القواعد التي يجب مراعاتها عند العمل مع المنحرفين :

يتطلب الأخذ بالمنظور الإسلامي في العمل مع المنحرفين الالتزام بمجموعة من القواعد التي يجب على من يعمل في هذا المجال الالتزام بها وتلخيصها فيما يلي :

١ - الإيمان بقابلية سلوك الإنسان للتعديل :

يقر الإسلام بقابلية سلوك الإنسان للتعديل (٨٣) ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، وما التوبة إلا تعديل في سلوك الإنسان ، ولو لم يكن سلوك الناس قابلا للتعديل لما أرسل الله سبحانه الرسل لهداية الناس ، ويعتبر إيمان الأخصائي الاجتماعي بصدق هذه المقولة منطلق لاغنى عنه لادائه لعمله في هذا المجال على الوجه الأكمل ذلك لأن وجوده يوفر القناعة بجدوى ما يبذله الأخصائي الاجتماعي من جهد لتعديل سلوك عملائه .

٢ - مراعاة الفروق الفردية :

يقر الإسلام بالفروق الفردية بين الناس في الخلق والرزق والسلوك ، وفي ذلك يقول الله سبحانه :

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) (سورة الليل ، الآية ٤) .

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) (سورة الزخرف ، الآية ٣٢) .

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ (سورة النحل ، الآية ٧١) .

وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزالي : إن شأن من يعالج الانحراف شأن الطبيب الذي لا يمكن أن يعالج كل المرضى بدواء واحد ولكن لابد من معالجة كل مريض مما يناسبه (٨٤) .

٣ - التدرج في استخدام أساليب العلاج :

يقول الله سبحانه :

وَالَّذِينَ يَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا (٣٤) (سورة النساء ، الآية ٣٤)

فقد أمر الله سبحانه بالوعظ أولا ، ثم الهجر في المضاجع ثانيا ، ثم الضرب ثالثا ،
فالتدرج واضح حيث نبدأ باستخدام الأساليب الأرفق ، فإذا أفلحت في إعادة المنحرف
إلى الصراط المستقيم فقد تحقق الهدف ، وإذا لم تقلح يكون اللجوء إلى الأساليب
الأشد (٨٥).

٤ - التزام الأخصائي الاجتماعي بالسلوك الإسلامي :

من غير المتصور أن يحاول الأخصائي الاجتماعي إعادة المنحرف إلى صراط الله
المستقيم في الوقت الذي لا يكون هو سائرا عليه فلا يقبل الأمر بالمعروف ممن لا ياتمر به
ولا يقبل النهي عن المنكر ممن لا ينتهي عنه وفي ذلك قول الله سبحانه :
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تُلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) (سورة البقرة ،
الآية ٤٤) .

٥ - التطبيق المتكامل :

لا بد من التطبيق المتكامل لأساليب الشريعة الإسلامية في محاربة الانحراف حتى
تؤتى ثمارها كاملة ، فلا يصلح تطبيق بعضها دون البعض الآخر ، وذلك نظرا للتساند
لقوى بين هذه الأساليب ، وفي ذلك يقول الله سبحانه :

أَفْتَرُمُونِ يَعْضُ الْكِتَابَ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)
(سورة البقرة الآية ، ٨٥) .

قائمة المراجع

- (١) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٣ ، الجزء الأول ، ص ١٦٣ .
- (٢) أخرجه مسلم عن عياض .
- (٣) متفق عليه عن أبي هريرة .
- (٤) ابن أبى العز الحنفى ، شرح العقيدة الطحاوية ، بيروت ، المكتب الإسلامى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م . ص ص ١٦٥ - ١٦٨ .
- (٥) محمد خليل هراس ، شرح العقيدة الواسطية ، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
- (٦) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
- (٧) المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، إسلامية المعرفة ، واشنطن ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ص ٨٠ - ٨١ .
- (٨) فاروق الدسوقي ، مقومات المجتمع المسلم ، الرياض ، مكتبة فرقد الخانى ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ص ٩٥ - ٩٦ .
- (٩) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث ص ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
- (١٠) فاروق الدسوقي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٨ .
- (١١) ابن منظور ، لسان العرب بيروت ، دار لسان العرب ، د.ت ، ٦١٠ - ٦١١ .
- (١٢) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث عشر ، ص ١٤٢ .
- (١٣) ابن تيمية ، إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق وتعليق ناصر عبدالكريم العقل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ المجلد الأول ، ص ٧٩ .
- (١٤) ابن قيم الجوزية « مدارج السالكين » هذبها عبدالمنعم صالح العلى العربى ، دولة الإمارات العربية ، وزارة العدل والشئون الإسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٧ .

(١٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري لشرح صحيح البخاري تحقيق عبدالعزيز بن باز ، الرياض ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الجزء الحادي عشر ، ص ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(١٦) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

(١٧) ابو عبدالله الأنصاري القرطبي ، مرجع سبق ذكره ، الجزء ١٢ ، ص ١٤٢ .

(١٨) أبو جعفر الطحاوي ، مِتن العقيدة الطحاوية ، الرياض ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، د.ت ، ص ٣ ، ٤ .

(١٩) أخرجه البخاري عن ابن عمر .

(٢٠) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

(٢١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

(٢٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

(٢٣) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٢٤) أخرجه الطبري عن أبي هريرة .

(٢٥) متفق عليه عن أبي بكر الصديق .

(٢٦) متفق عليه عن أبي هريرة .

أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي عن عبدالرحمن بن شبل .

(٢٧) أخرجه الترمذي عن ابن عمر .

(٢٨) أخرجه أحمد وأبوداود عن عياض .

(٢٩) أخرجه النسائي والحاكم بن عبدالله بن عمرو .

(٣٠) أبوحامد الغزالي ، أحياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، د.ت ، الجزء الثالث ، ص ص ١١٢ - ١٦٣ .

(٣١) أبو حامد الغزالي ، مرجع سابق ذكره ، الجزء الثالث ، ص ص ٣٤٠ - ٤٣٩ .

(٣٢) أخرجه الطبراني عن عائشة .

(٣٣) أخرجه الطبراني عن ابن عباس .

(٣٤) أخرجه الطبراني عن حارث بن النعمان .

(٣٥) أخرجه أبوداود عن أبي هريرة .

- (٣٦) أبو حامد الغزالي ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص ص ١٥٠ - ١٥١ .
- (٣٧) أخرجه الطبراني والحاكم عن معاذ بن جبل .
- (٣٨) أخرجه البخاري عن عائشة .
- (٣٩) كمال ابراهيم مرسى ، علاقة الانحرافات النفسية الباطنة بالصحة النفسية والجسمية ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى لعلم النفس الحديث ، المعهد العالمى الفكر الإسلامى ، القاهرة ٢٤ - ٢٦ / ٧ / ١٩٨٩ ، ص ٧ .
- (٤٠) عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ، بيروت ، دار الكاتب العربى ، د . ت ، الجزء الأول ، ص ص ٧٨ - ٨٠ .
- (٤١) أخرجه البخارى عن عائشة .
- (٤٢) محمد سليم العو ، فى أصول النظام الجنائى الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة دار المعارف ، ١٩٧٩م ، ص ص ٢٤١ - ٢٥٠ .
- (٤٣) محمد أبوزهرة ، الجريمة والعقاب فى الفقه الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر العربى ، ١٩٧٦م ، الجزء الاول ، ص ص ١٢٣ - ١٢٥ .
- (٤٤) أخرجه البخارى عن عبدالله بن عمرو بن العاص .
- (٤٥) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .
- (٤٦) للمزيد من التفاصيل راجع شمس الدين الذهبى ، كتاب الكبائر ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر ، د . ت .
- (٤٧) عبدالقادر عودة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٥ - ٢٧ .
- (٤٨) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، مجلد ١٨ ، ص ص ١٢٩ - ١٤٠ .
- (٤٩) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .
- (٥٠) الأحاديث القدسية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م ، ص ص ٦٥ - ٦٦ .
- (٥١) أبو حامد الغزالي ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الثالث ، ص ص ١٢ ، ١٣ .
- (٥٢) أخرجه أحمد والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى .
- (٥٣) متفق عليه عن أبى هريرة .
- (٥٤) أخرجه ابن ماجه عن عمران ابن حصين .

(٥٥) صالح بن ابراهيم الصنيع ، العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الإجتماعية ، قسم علم النفس ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ص ٣٦٨ - ٥٠٦ .

(٥٦) متفق عليه عن أبى هريرة .

(٥٧) محمد عبدالله عرفة ، الأسرة المسلمة ، والوقاية من الانحراف ، بحث ضمن اعمال ندوة معالجة الشريعة الإسلامية لمشاكل انحراف الأحداث ، الرياض ، المركز العربى للدراسات الأمنية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، ص ص ٦١ - ٩٧ .

(٥٨) متفق عليه عن أبى هريرة .

(٥٩) أخرجه الترمذى عن أبى هريرة .

(٦٠) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(٦١) محمد عبدالله عرفة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٨٤ - ٩٣ .

(٦٢) أبوحامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثانى ، ص ٤٣ .

(٦٣) أخرجه البخارى والترمذى عن سهل الساعدى .

(٦٤) عزمى صالح ، الرغبة الاجتماعية لليتامى فى الإسلام ، القاهرة مكتبة وهبة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . ص ص ٢٢ - ٣٥ .

(٦٥) المرجع السابق ، ص ص ٣٥ - ٤١ .

(٦٦) مناع خليل القطان ، التربية الإسلامية والوقاية من انحراف الأحداث بحث ضمن أعمال ندوة معالجة الشريعة الإسلامية لمشاكل انحراف الأحداث ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١١٤ - ١١٦ .

(٦٧) أخرجه البخارى عن انس .

(٦٨) أخرجه احمد والطبرانى والترمذى والحاكم عن أبى أمامه .

(٦٩) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ..

(٧٠) أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود .

(٧١) متفق عليه عن أبى هريرة ..

(٧٢) أخرجه أبوداود عن عائشة .

(٧٣) أبوحامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الرابع ، ص ٦٣ .

- (٧٤) المرجع السابق ، المجلد الرابع ، ص ص ٧٠ ، ٧٢ .
- (٧٥) محمد المنجى الحنبلى ، تسليية اهل المصائب ، دمشق ، دار الرشيد الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م ، ص ١٩٨٨ .
- (٧٦) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الأول ، ص ٤٤٤ .
- (٧٧) زاهر عواض الألعى ، مناهج الجدل فى القرآن الكريم ، الرياض مطابع الفرزدق، د.ت. ، ص ٢٠ .
- (٧٨) المرجع السابق ، ص ص ٤٢١ - ٤٢٧
- (٧٩) أخرجه مسلم عن عائشة .
- (٨٠) أحمد بن تيميه ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميه ، مرجع سبق ذكره، المجلد الخامس عشر ، ص ٢٩٠ .
- (٨١) أخرجه ابن ماجه والبراز والبيهقى عن ابن عمر .
- (٨٢) محمد أبوزهرة ، نظرة إلى العقوبة فى الإسلام ، التوجيه التشريعى فى الإسلام، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامى ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م . ص ص ٢٥ - ٢٧ .
- (٨٣) محمد محروس الشناوى - الإرشاد النفسى من منظور إسلامى ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى لعلم النفس الحديث ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، القاهرة ، ٢٤ - ٢٦/٧/١٩٨٩ ، ص ٢٩ .
- (٨٤) أبوحامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الثالث ، ص ٦١ .
- (٨٥) محمد محروس الشناوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢ .

إصدارات المعهد العالمى للفكر الإسلامى

أولاً - سلسلة إسلامية المعرفة :

- إسلامية المعرفة : المبادئ وخطة العمل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- الوجيز فى إسلامية المعرفة : المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق العمل لمؤتمرات الفكر الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . أعيد طبعه فى المغرب والأردن والجزائر . (الطبعة الثانية ستصدر قريباً) .
- نحو نظام نقدى عادل ، للدكتور محمد عمر شابرا ، ترجمة عن الإنجليزية سيد محمد سكر ، وراجع الدكتور رفيع المصرى ، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- نحو علم الإنسان الإسلامى ، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد ، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد الغنى خلف الله ، الطبعة الأولى ، (دار البشير / عمان الأردن) ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- منظمة المؤتمر الإسلامى ، للدكتور عبد الله الأحسن ، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفاتر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
- تراثنا الفكرى ، للشيخ محمد الغزالى ، الطبعة الثانية ، (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- مدخل إلى إسلامية المعرفة : مع مخطط لإسلامية علم التاريخ ، للدكتور عماد الدين خليل ، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- إصلاح الفكر الإسلامى ، للدكتور طه جابر العلوانى ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

ثانياً - سلسلة إسلامية الثقافة :

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة ، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) الدار العالمية للكتاب الإسلامى / الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، للدكتور يوسف القرضاوى (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر) ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

ثالثاً - سلسلة قضايا الفكر الإسلامى :

- حجية السنة ، للشيخ عبد الغنى عبد الخالق ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، (الطبعة الثانية ستصدر قريباً) .

- أدب الاختلاف فى الإسلام، للدكتور طه جابر العلوانى، (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية - بقطر)، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- كيف تتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوى، الطبعة الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- كيف تتعامل مع القرآن: مدارس مع الشيخ محمد الفزالى أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

رابعاً - سلسلة المنهجية الإسلامية :

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمى الرابع للفكر الإسلامى، الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- الجزء الثانى : منهجية العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- الجزء الثالث : منهجية العلوم التربوية والنفسية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- معالم المنهج الإسلامى، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

خامساً - سلسلة أبحاث علمية:

- أصول الفقه الإسلامى : منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- التفكير من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدرى، الطبعة الأولى (دار الوفاء - القاهرة، مصر)، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

سادساً - سلسلة المحاضرات :

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

سابعاً - سلسلة رسائل إسلامية المعرفة :

- خواطر فى الأزمة الفكرية والمأزق الحضارى للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- نظام الإسلام العقائدى فى العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الأسس الإسلامية للعلم، (مترجماً عن الإنجليزية)، للدكتور محمد معين صديقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- قضية المنهجية فى الفكر الإسلامى، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ثامناً - سلسلة الرسائل الجامعية :

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبى، للأستاذ أحمد الريسونى، الطبعة الأولى، دار الأمان - المغرب، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، الدار العالمية للكتاب الإسلامى - الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الخطاب العربى المعاصر : قراءة نقدية فى مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (١٩٧٨-١٩٨٧)، للأستاذ فادى إسماعيل، الطبعة الثانية (متقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- المقاصد العامة للشريعة : للدكتور يوسف العالم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- التنمية السياسية المعاصرة : دراسة نقدية مقارنة فى ضوء المنظور الحضارى الإسلامى، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

تاسعاً - سلسلة الأدلة والكشافات :

- الكشاف الاقتصادى لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- الفكر التربوى الإسلامى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الثانية (متقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الكشاف الموضوعى لأحاديث صحيح البخارى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- قائمة مختارة حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الموزعون المعتمدون لنشورات المعهد العالمى للفكر الإسلامى

فى شمال أمريكا :

المكتب العربى المتحد

United Arab Bureau
P.O Box 4059
Alexandria, VA 22303, U.S.A.
Tel: (703) 329-6333
Fax: (703) 329-8052

خدمات الكتاب الإسلامى

Islamic Book Service
10900 W. Washington St.
Indianapolis, IN 46231 U.A.S.
Tel: (317) 839-9248
Fax: (317) 839-2511

فى أوروبا :

المؤسسة الإسلامية

The Islamic Foundation
Markfield Da'wab Centre, Ruby Lane
Markfield, Leicestershire LE6 0RN, U.K.
Tel: (44-530) 244-944 / 45
Fax: (44-530) 244-946

خدمات الإعلام الإسلامى

Muslim Information Services
233 Seven Sister Rd.
London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272-5170
Fax: (44-71) 272-3214

المملكة العربية السعودية :

الدار العالمية للكتاب الإسلامى
ص.ب : ٥٥١٩٥ الرياض : ١١٥٣٤
تليفون : 1-465-0818 (966)
فاكس : 1-463-3489 (966)

المملكة الأردنية الهاشمية :

المعهد العالمى للفكر الإسلامى
ص.ب : ٩٤٨٩ - عمان
تليفون : 6-639992 (962)
فاكس : 6-611420 (962)

لبنان :

المكتب العربى المتحد
ص.ب : 135888 بيروت
تليفون : 807779
تيلكس : 21665 LE

المغرب :

دار الأمان للنشر والتوزيع
4 زنقة المأمونية
الرباط
تليفون : 723276 (7-212)

مصر :

النهار للطبع والنشر والتوزيع
٧ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة
تليفون : 3913688 (202)
فاكس : 340-9520 (202)

الهند :

Genuine Publications & Meia (Pvt.) Ltd.
P.O. Box 9725 Jamia Nager
New Delhi 100 025 India
Tel: (91-11) 630-989
Fax: (91-11) 684-1104

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة
أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس
عشر الهجري (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكلية والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانية وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.
- ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:
- عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلمية والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.
- وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربية وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هذا الكتاب

يضم ستة عشر بحثاً قدمت إلى ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام ، التي عقدت بالقاهرة في الفترة من ١١ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ . وقد دارت موضوعات هذه البحوث حول محورين الأول بعنوان : التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، وضم ثمانية بحوث تناولت الموضوعات التالية :

- أزمة المنهج في العلوم الاجتماعية .
- مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية .
- المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية .
- المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية الإسلامية .
- الرعاية الاجتماعية في الإسلام .
- الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج : شخصية الطفل المسلم .
- نحو مكنز إسلامي للخدمة الاجتماعية .
- مدخل جديد في علم التزويج .

والمحور الثاني بعنوان : مجالات الخدمة الاجتماعية في المنظور الإسلامي ، وضم ثمانية بحوث تناولت الموضوعات التالية :

- المنظور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية .
- العلاج الإسلامي للحالات الفردية .
- الإنسان وعلاقته بالبيئة .
- الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية .
- رعاية الطفل إسلامياً .
- تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتقى الإسلام حديثاً .
- المعاونة المهنية من الخدمة الاجتماعية لإحدى مؤسسات العمل .
- دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين .